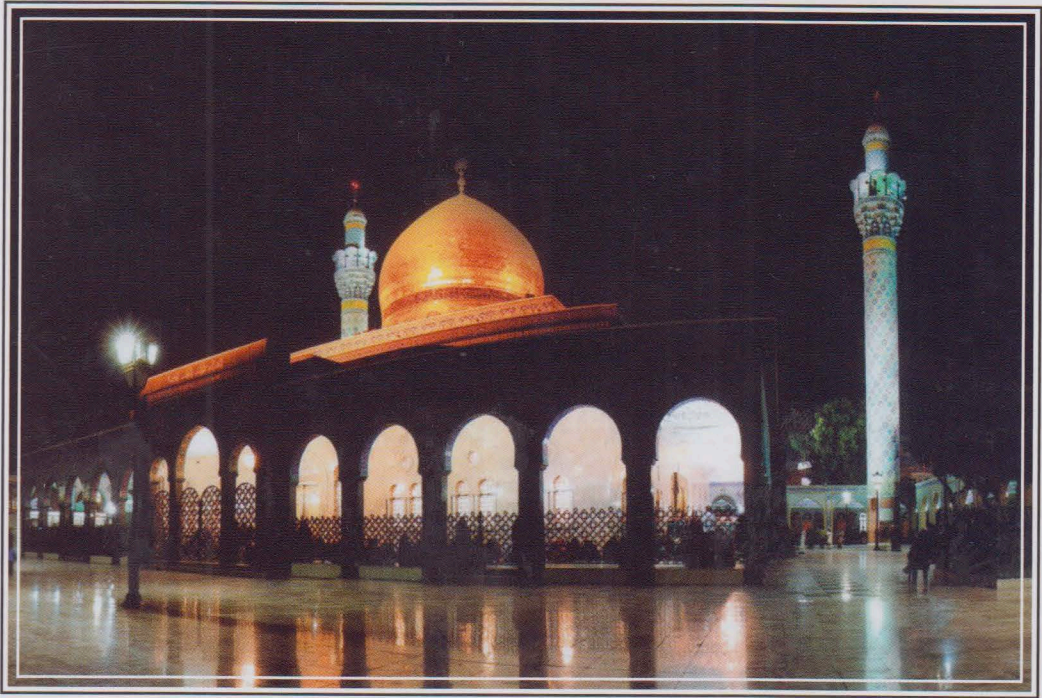


محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها تاريخ التشيع في بلاد الشام



الجزء الأول

دار الرافدين



محمد سعيد الطريحي

معالم الشام وأعلامها

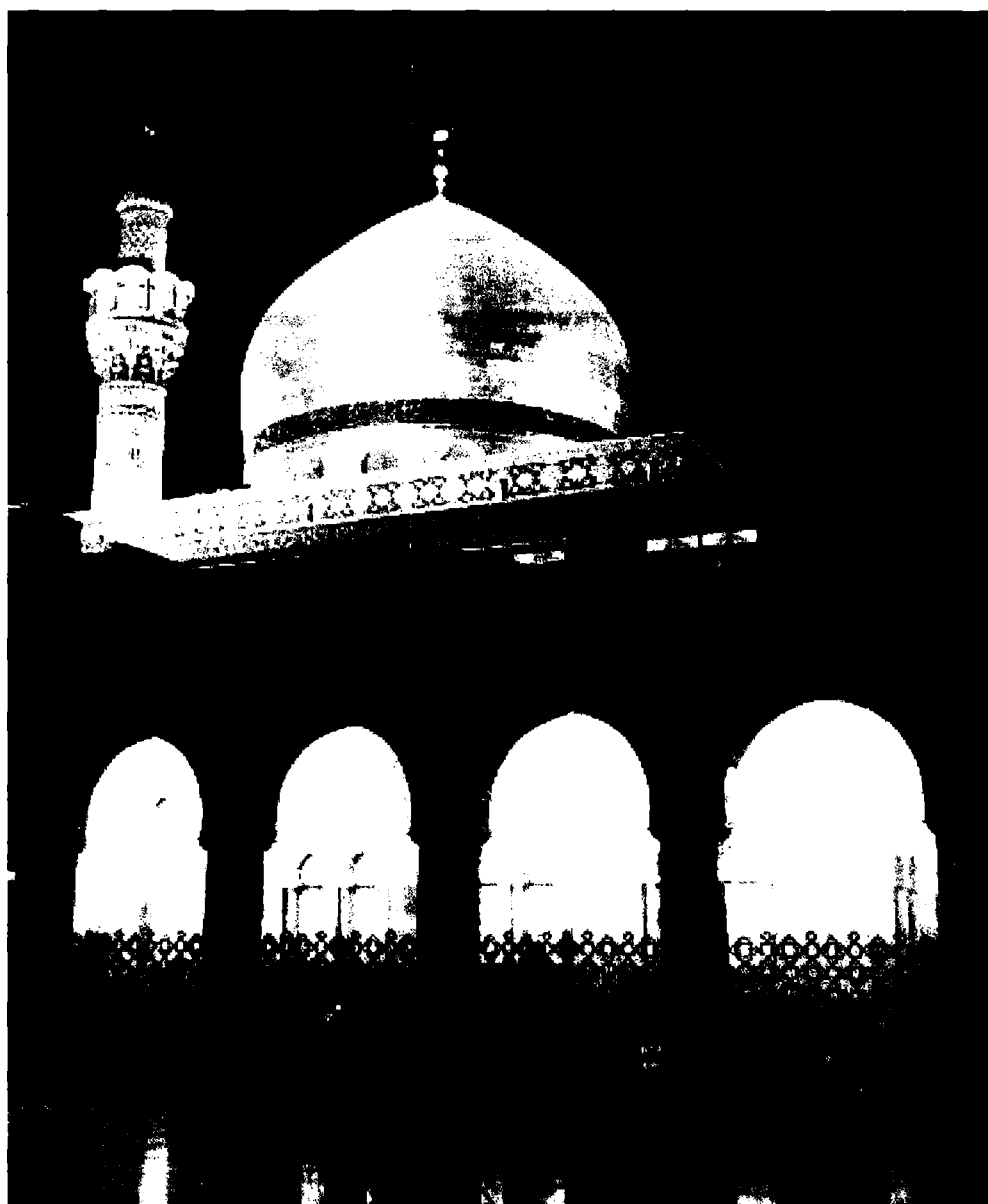
الجزء الأول



الكوفة
Kufa Academy

أَكْبَادُ مَدِينَةِ الْكُوفَةِ

هولند



فائز الشَّيْخَة في الشَّعْراء

المحتويات

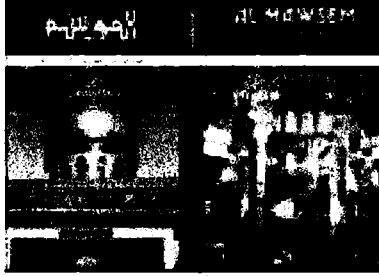
٩	صلة العلم «بين دمشق وجبل عامل»
١٤	فضل السادة الأشراف وبيوتاتهم في دمشق
٢٥	الأشراف آل الحمزاوي
٢٨	بنو زهرة الحلبيون الأسرة التي خدمت العلم والدين والأدب ... عبد الحميد الدجيلي
٤١	نظرة في مقالة بني زهرة الدكتور مصطفى جواد
٥٣	السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الإسحاقي الحلبي صاحب الفنية
٥٦	بنو زهرة الحلبيون «نسبهم» للشيخ سليمان ظاهر
٦٣	آل بني شعبة الحلبيون للشيخ سليمان ظاهر
٦٦	أويس القرني
٧٩	الشاعر الصنوبري
٨٧	تمصولت أو «طرملت»
٨٧	أبو الصلاح الحلبي
٨٨	أبو الفتح محمد بن علي ابن عثمان الكراجكي
٨٩	أبو جعفر بن علي الحلبي
٩٠	موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجيس المطران الدمشقي
٩٤	يحيى بن حميد ابن أبي طي الأزدي الحلبي
٩٥	محمد بن زكي الدين القرشي الدمشقي
٩٦	الشيخ نجيب الدين أبو القاسم بن العود الأسدي الحلبي
٩٨	الشرif زين الدين أبو علي الحسن المعروف بابن أبي الحسن نقيب الأشراف بدمشق
٩٨	إسماعيل بن مزروع الحلبي الفزوعي
٩٩	الشهيد الأول محمد بن مكي
١١١	علي بن المظفر الكندي الدمشقي المعروف بالوداعي
١١٢	الشيخ عز الدين حسين الحسام العاملي الدمشقي
١١٢	أمين الدين جعفر الحسيني نقيب الأشراف
١١٣	إبراهيم بن أبي الفيث التجاري المجدني

١١٥	الشيخ حسن السكاكيني
١١٧	إبراهيم المقصّاتي
١١٧	أحمد بن خليل الدهان
١١٨	جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة
١٢٠	إبراهيم بن عبد الله الخلاطي
١٢١	الشريف تقي الدين الحصني
١٢٣	القاضي عماد الدين إسماعيل بن التيرياج الفوعي
١٢٤	الحسين الكريلائي
١٢٤	الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي
١٢٦	الشيخ جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الجبعي
١٢٧	الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي
١٢٨	الشيخ بهاء الدين العاملي
١٣٠	الشيخ حسن بن علي الكونيني الشهير بالحناني
١٣٠	الشيخ محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الكركي
١٣٤	الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن الشهيد العاملي
١٣٤	الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المشغري
١٣٥	الشيخ محمد بن علي الشامي العاملي المشغري
١٣٥	السيد جمال الدين بن نور الدين علي الموسوي العاملي الجبعي
١٣٦	محمد أمين الدفتردار
١٣٦	الشيخ علي بن محمد بن الحسن الشهيد العاملي الأصفهاني
١٣٧	السيد أبو الحسن العلواني الشريف الموسوي من آل المرتضى
١٣٨	الشيخ إبراهيم بن يحيى المخزومي العاملي الطيبي
١٣٩	حامد بن الشهاب أحمد بن عبيد الشهير بالعطار الدمشقي الشافعي
١٤٠	الشيخ أحمد آغا أغات الغول
١٤٦	السيد صالح الحصني نقيب الأشراف
١٤٨	الشيخ عبد الرسول الحلبي النبلي
١٤٩	نور الدين نقيب الأشراف الحسني الجزائري الدمشقي
١٥٠	الشيخ عبد الله نعمة العاملي
١٦٣	الشيخ محمد دبوق
١٦٦	الشيخ علي مروة
١٦٧	الحاج يوسف بيضون

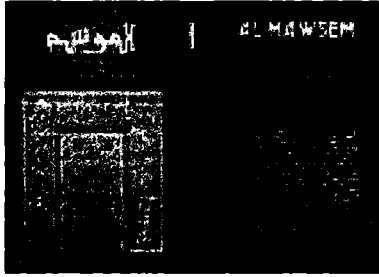
١٧١	علي الشخص
١٧٢	أديب التقي البغدادي
١٩٦	السيد علي مكي العاملي
١٩٨	التقريب بين المذاهب الإسلامية في بلاد الشام أ. د. وهبة مصطفى الزحيلي
٢٠٦	سيف الدولة الحمداني وغزوات الصليبيين ... الأستاذة بتول مشكين فام
٢١٩	السيد محمد سعيد العرفي
٢٢٧	وجيه بيضون
٢٣٦	لبيب بيضون
٢٣٩	الدكتور محمد كاظم السيد حسين مكي
٢٤٢	أديب الزين
٢٤٤	الدكتور أسعد الحكيم
٢٤٧	علي محمد حسن
٢٥٠	السيد عارف الصوص
٢٥٤	عباس قاسم شرف
٢٧٨	محمد حسن الخياط
٢٨٩	الغائب بالله محمد الخَيْر
٢٩٠	محمد أنيس الخياط
٣٠١	عقيل محمد سعيد العرفي
٣٠٦	شمس الدين الفاشوشة
٣٠٦	أبو اسحاق بن الفاشوشة
٣٠٧	مشهد رأس الحسين(ع)
٣١٥	أحوال السيدة رقية بنت الحسين(ع)
٣٣٩	السيدات سكية وأم كلثوم بمقبرة باب الصغير بدمشق
٣٥٤	تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب
٣٧٩	من مقامات آل البيت والصحابة والصالحين في الشام
٤٣٩	مسجد الإمام الصادق عليه السلام في اللاذقية
٤٥٢	قبر السيد المكزون السنجاري
٤٥٩	مشهد عمر بن عبد العزيز في المعرة
٤٩١	قبر الشاعر المعري في معرة النعمان
٥٠٣	أبو العلاء المعري ... أحمد محرم

معالم الشام وأعلامها

من دواعي السرور أن تحظى الأجزاء الأخيرة من (موسوعة الموسم) بصدى إيجابي واسع كخطوة هامة في السعي لتطوير (الموسم) من حيث الشكل والمضمون، وقد وردتنا ملاحظات سنأخذ بأهمها في الأجزاء القادمة، لكن هذا التطور على أهميته، يظل دون الطموح المشروع، ولا ريب أن اقترابنا منه يظل رهناً بقدرتنا على اجتذاب المزيد من دعم الكتاب والمبدعين.



الموسم (٤) والموسم (٢٥) أعداد خاصة عن السيدة زينب



في هذه الأجزاء الجديدة المتتالية المرقمة (٨٢-٨٤) (٨٥-٨٦) (٨٧-٨٨) نتناول قضايا هامة في تراث بلاد الشام، كتبنا وجمعنا فيها عشرات المقالات والأبحاث ومئات الوثائق والصور التي تؤرخ للإرث الشامي الزاهر الذي ساهم في إغناء الحضارة الإسلامية العريقة في كافة المجالات، فضرب بذلك مثلاً طيباً للتعايش المذهبي والمشاركة الوطنية الثقافية والاجتماعية مع جميع الفئات والجماعات التي عاشت وما تزال تعيش ضمن الإطار العام المتماسك للتنوع الديني والمجتمعي التي عرفت به (الشام)، غير مستثنين بعض فترات الجمود والتعصب التي تمر بها كافة الأمم الحية منذ فجر التاريخ وحتى يومنا الحاضر. لقد وردت في هذه الأجزاء تحقيقات لا غنى

عنها للباحثين المهتمين بالشأن التاريخي والتوثيقي كما أثبتنا مجموعة كبيرة من تراجم الأعلام الذين أنجبتهم الشام وفيهم العلماء والأدباء والشعراء والقادة والعظماء، وقمنا بتوثيق عدد كبير جداً من المقامات والأضرحة للأنبياء وآل البيت والأولياء والصالحين، وهذه الأجزاء الثلاثة التي تقترب صفحاتها من ١٦٠٠ صفحة هي مدخل لعمل أكبر في نفس الموضوع يجري العمل لإخراجه تباعاً، وهو إضافة لما قدمناه من أعمال مشابهة ومنها كتابنا (المسيحية في الشام) وكتابنا (الهيام بين العراق والشام) وأعداد (الموسم) المختصة بالسيدة زينب (ع) وهما العدد (٢٥ لسنة ١٩٨٩م)، والعدد (٢٥ لسنة ١٩٩٦م) وهناك مواد أخرى شبيهة بها متناثرة خلال أجزاء الموسم الأخرى، تمثل بمجموعها وبما سيصدر مستقبلاً، موسوعة لا غنى عنها في تاريخ الشام، نأمل أن يكون ذلك محل استفادة القراء كما ندعوهم في الوقت نفسه للإسهام في رفد المواسم القادمة بأرائهم وأفكارهم وبحوثهم لأنها موسمهم، فمنهم تصدر وهم محل الثقة وميزان الأعمال، وعلى الله الاتكال، ومنه نستمد العون.

محمد سعيد الطريحي

رئيس دائرة المعارف الهندية

أول الموسم

صلة العلم « بين دمشق وجبل عامل »

تخيرت هذا البحث دون غيره من الباحث التي تواردت على ذهني وتسابقت إلى خاطري لأمر: (الأول) لأنه صحيفة من تاريخ قطر منسي عند كثير من الناس. (الثاني) لبيان أن القطر العاملي على ضيق رقعته وقلّة ساكنيه كان له في العلم شأن مذكور لم يكن لبلد مثله ساكناً ومكاناً^(١). (الثالث) لبيان أن هذا القطر كان معروفاً بإسمه ولا سيما في القرون الأخيرة التي أصبح فيها مثابة للعلم يرحل إليه من الآفاق^(٢). (الرابع) لبيان الصلة العملية بين فريق من علمائه وعلماء دمشق وما لطائفة من أدبائه من المكانة في معاجم الرجال الدمشقية وغيرها. (الخامس) لبيان أن دمشق كانت من ديار العلم التي يرحل إليها العامليون. (السادس) لبيان أن تشيع جبل عامل المعروف عند علماء دمشق لم يكن ليكدر على العامليين غير التسامح العلمي يوم يلقون دلوهم في الدلاء. (السابع) لما في هذا البحث من التذكرة والاعتبار بعصور خلت وصل فيها العلم بين سلف هذين البلدين علّ أبناءها يطبعون على غراره ويجددون عهد تلك الصلة مهذباً من شوائب تلك الأعصار ويسيروا معاً بمواهبهم في سبيل التجدد والأخذ من القديم والحديث بما ينفع أمتهم والناس.

♦ مما كتبه الشيخ سليمان ظاهر وقدمه إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ونشر في مجلة المجمع المجلد ١٩ (سنة ١٩٢٩) ص ٢١٩ وما بعدها، وقد استدلل المرحوم الشيخ سليمان ظاهر على عمق تلك الصلة العلمية بين دمشق وجبل عامل بعدد من رجال الحركة الفكرية العاملية الذين درسوا في دمشق وترددوا عليها كالشيخ بهاء الدين العاملي والشهيد الأول والثاني وغيرهما ممن تجد تراجمهم ضمن هذا الكتاب.

(١) يحده شمالاً نهر الأولى (الضاريس) قرب صيداء والفاصل مجراه بين الشوف ومقاطعة جزين ثم يمتد غرباً على ساحل البحر الرومي إلى أن ينتهي بضواحي عكا وما يحاذي شماليه وجنوبيه شرقاً فينتهي من الشمال بحدود البقاع داخلة فيه مشرفة من أعمال البقاع ومن الجنوب شرقاً بالخيط ووادي الأردن وحاصبيا ويبلغ من الأميال المربعة زهاء خمسمائة ميل وسكانه من المسلمين الشيعة نحو الثمانين ألفاً ونصف هذا العدد تقريباً من غيرهم (تقديرات أول القرن العشرين). (٢) إن فيما أورد المحبي عن أبي المعالي الطالوي عن الشيخ داود الأنطاكي «دعيتني همة عليّة أو علوية أن أصعد منه (بعض نفور الشام) جبل عاملة فصعدته منصوباً على المدح وكنت عاملة وأخذت عن مشايخها ما أخذت ويبحث مع فضلائها فيما بحثت. لدليل على ما كان لهذا القطر من الشهرة العلمية وأما الذين أموه للإفادة والاستفادة من مختلف الأمصار فإن المتسع يضيق بعد أسمائهم.

دمشق المدينة الفاضلة:

كانت دمشق وما زالت نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وملتقى الأمم في القديم والحديث وفي الجاهلية والإسلام وفاضلة مدائن الشرق. وأول متنزهات الدنيا الأربع غوطة دمشق. ونهر الإبلّة. وشعب بوان. وصفد سمرقند كما قيل. وجنة الأرض بلا خلاف كما قال ياقوت. وجنة المشرق ومطلع نوره المشرق كما وصفها ابن جبّير.

وكما خصّت يد الإبداع هذا البلد بمطرّد الأنهار وبواسق الأشجار ونوافح الأزهار وخصب الأديم واعتلال النسيم وبكل ما فضلت به المدائن والأمصار من خواص الإقليم خصّت بنيتها بفطرة سليمة وأذواق مستقيمة وأخلاق فاضلة وأيد عاملة ووجوه صباح وأكف مطبوعة على السماح فكانت وما برحت وطن الغريب ومستروح نفس الأديب على حد ما وصفها أبو الطيب المتنبي وبينه وبينها مهامه فيج منتقلاً من وصف شعب بوان إلى وصفها ووصف بنيتها:

ولو كانت دمشق ثنى عناني	لبيق الثرد صيني الجفان
يلنجوجي ما رفعت لضيف	به النيران ندي الدخان
تحل به على قلب شجاع	وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال	يشيعني إلى النوبندجان

وكما قال فيها حافظ الأندلس الشيخ أحمد المقرئ^(١) من بعض مقاطيعه فيها:

قل لمن رام النوى عن وطن	قولة ليس بها من حرج
فرج الهم بسكنى جلق	إن في جلق باب الفرج
وكما قلت في قصيدة طويلة:	
أرييبة القدم التي تاريخها	قد سطرته قرائح وانامل
العبقريّة فيك وهي مفاخر	مأثورة وفواضل وفضائل
ولأنت فاضلة المدائن كلها	وعلاك لم يدرك مداه فاضل
النايفون بنوك نابه فضلهم	هيهات أن يخفيه غرّ خامل
أيديهم لصنائع وصناعة	لم يثنها عن دين شغل شاغل

استأثرت هذه المدينة بعظمة التاريخ في كل أدوار التاريخ في عصوره الأولى يوم كانت عاصمة الأراميين والسريانيين ومطمح أبصار الفاتحين من الآشوريين والبابليين والفرعنة والإسرائيليين واليونان والرومان في الجاهلية والإسلام وهي بريقتها الخصب ومائها العذب نجمة العرب بأيديهم

(١) هبط دمشق سنة ١٠٣٩ ويعد مكنه فيها أربعين يوماً محترماً من جميع طبقاتها رحل إلى مصر ثم عاد إليها وحصل له من الحرمة ما حصل في الأول وفارقها إلى مصر وبينما هو على أهبة الرجوع إذ فاجأه حمامه سنة ١٠٤١.

وحاضرهم جاهليهم وإسلاميهم يوم كانت عاصمة الملك العربي الغساني والعربي الأموي وعملاً كبيراً من أعمال العباسيين والأخشيديين والفاطميين والسلاجقة فعاصمة نور الدين وصلاح الدين وأعقابهم من بني أيوب الأكراد فقاعدة نيابة سلاطين مصر الترك والجرس. فحاضرة الولاية التركية العثمانية. فعاصمة الدولة السورية في العصر الحاضر. وهي في العصور الإسلامية كلها منارة العلم ومحجته يرحل إليها رجاله وطلابه من الآفاق للإفادة والاستفادة. بل هي البلد الإسلامي الأول الذي آخى بين علوم اليونان وفنون الإسلام ومشى بالمسلمين في طريق التجديد ووضع أهم أسس حضارة حفظت للأمم حضارتهم إلى يومنا هذا ولم يكن اتخاذ العباسيين بغداد عاصمة لخلافتهم وحرمان دمشق أبهة سلطانها الذي ازدهر بالخلافة الأموية زمناً طويلاً ولا قيام خلفاء منهم أشربوا في قلوبهم العلم. ليفت في عضد العلم بدمشق بل مشى البلدان بنهضتها العلمية المباركة كتفاً لكتف يوزعان النور على كل بلد يخفق في ربوعه علم الإسلام حيث تشاد المدارس وتعمر المساجد فتعمر بالذكر وحلقات العلم وما كان ليغيبض من دمشق معينه ولا ليقبض من بغداد منبسط ظله وقد أخذت تتفكك من وحدة الخلافة أجزاء وسرعان أن تكونت منها دول في المشرق والمغرب وقام إلى جنب كل دولة دولة للعلم ولكل سلطانها وأبنته فخلفت بمعاهده في الشرق سمرقند وبخارى وهمدان وأصفهان ونيسابور وخوارزم وجرجان وحلب ومصر إلى مدائن كثيرة يطول بعدها الكلام.

وفي المغرب ازدهرت بمدارسه القيروان. وقرطبة. وإشبيلية. وغرناطة. ومالقة. والمرية. وطليطلة وغيرها من بلاد الأندلس والمغرب مما لا يصل إليه الإحصاء وبالجمله فإنه لم يقم للمسلمين سلطان في قطر إلا وللعلم إلى جنبه سلطان حتى إذا افترط علماؤهم في حب الإمرة وهاموا في طلب السلطة والأثرة وصرعت عقولهم خيلاء السلطان وأعشت أبصارهم أشعة التيجان وانتقلوا بارتياح مظاهر الملك من القصد إلى الإسراف وبسياسة الرعية من العدل إلى الاعتساف ونسوا وتناسوا ما يحدق بهم من الخطر المترصد لهم من شعوب غريبة غلبوا بعضها على سلطانها وأخرى خافتهم على تيجانها وثالثة بصرت بالفرصة سانحة لغلبتهم على ديارهم فما هي إلى دورة من دورات الفلك حتى انكفأت عليهم الأعداء من هنا وهناك ومن المشرق والمغرب من التتر والروم. ومن حملات الصليبيين فانقص ملكهم الشرقي الواسع من أطرافه غزاة التتر من الشرق. وانتزع سلطانهم الغربي المنبسط غزاة الإفرنج من الغرب. فصب من ذلك البلاء على العلم والعلماء وواجهت بغداد أمضه من جيش الزاحف هولاء الذي لم يكن لأتية حاجز وخليفته العباسي مستغرق بسباته وأبناؤها سادرون في سدف الخلافات المذهبية مشغولون بسفاسفها عن دفع الخطر المحقق على عكس الشام التي صدت التيار الصليبي وصمدت له بعزيمات ثابتة صابرت محنة أحقاباً فتقلص ظل العلم من بغداد كما نضب معينه من قبل ومن بعد من بلاد الفرس والترك ومن المغرب والأندلس واستبقت دمشق ومصر على ذمائه وقد قبض الله لحراستها نور الدين وصلاح الدين. وعقبه من الأيوبيين ومن خلفهم من الترك والجرانكة فحفظ ذاك البلدان

الميراث العلمي الإسلامي بعد أن تقطعت أوصاله من البلاد الإسلامية المغلوبة على أمرها. غصت دمشق بوفود بقية سيف الغالب من رجالات العلم الذين اغتصت بلادهم وجاس خلال ديارهم وخاصة بغداد وما إليها وقد حلّ فيها من ظلم هولاء ما حلّ ببيت المقدس من نبوخذ نصر (بختنصر). فكان لها مما حملته أولئك الوفود من علم وفن منهل فياض لا يجف له معين وموردٌ صافٍ يستعذبه الوردون. وما برحت مع ما انتابها من نوب الدهر وحل بها من صروف الأيام حافظة موارث العلم عاضة عليه بالنواجذ تحمل مصباحه المتوقد فياض النور على تتابع العصور إلى يوم الناس هذا وهي في كل ما تعاقب عليها من الأزمان مضطلة بأمره ومثابة لحملته وطلابه يؤمونها من البلد البعيد والقريب ويردون منهل الصافي وما كان جبل عامل بالمحلّاء عنه وهو من دمشق على قيد مرحلتين أو ثلاث. وقد كان عملاً من أعمالها إلى عهد انفصال بيروت عنها واتخاذها سنة ١٣٠٦ حاضرة ولاية عثمانية.

بدء تاريخ الصلة العاملية العلمية بدمشق؛

أما بدء تاريخ الصلة العلمية العاملية بدمشق فإن أعوزتنا النصوص التاريخية على تحديد زمنه والعلم به فلا يفيد ذلك أنه لم يكن متمتعاً بتلك الصلة في عصور تاريخها الحافل بالعلم والنسبة إلى القطر العاملي لم تكن معروفة قديماً وإن عرفه قدماء المؤرخين بجبال عاملة وجبل الجليل والخليل من عهد اليعقوبي إلى اليوم.

وتاريخ الانتساب إليه لا يمتد إلى أكثر من ستة قرون وشهرته لا تزيد عن أربعة قرون. فمن الجائز بل الراجح أن يكون انتساب العامليين قبل هذا التاريخ إلى الشام مراداً بها القطر لا البلد وجبل عامل بعض كورها وليس هذا الاستعمال بأقل شيوعاً من استعماله في البلد بل هو المتبادر في العرف عند الإطلاق والمعروف من تاريخ تلك الصلة يبتدئ من المائة الثامنة.

أثر الصلة العلمية في البلدين؛

إن من المستصعب جداً تحديد ما لهذه الصلة العلمية من الأثر في دمشق وجبل عامل وذلك لأمرين: (الأول) لأن هذه الصلة لم تكن منتظمة لعدم انتظام الهجرة العاملية العلمية إلى دمشق. (الثاني) لأن المظان التي يرجع إليها في هذا البحث مفقودة. (الثالث) لسكوت المعاجم الدمشقية وغيرها عن ذكر رجال حلقتها الأولين من العامليين. وحسبك أنك لا تجد فيها ذكراً للشهيد الأول وهو أول من عرف بهجرته إلى دمشق وأول عامل على تحقيق هذه الصلة وما كان مجهول الفضل بدمشق في زمانه ومنزله كما عرفت. كان لا يخلو من تردد علماءها عليه ولم يكن مؤرخونا بالزاهدين بتدوين التأفة منها فكيف يعرضون عن تدوين جليلها.

إن العاملين لم يكونوا بأقل من الدمشقيين ملاماً في تركهم البحث عن هذه الصلة. ومن العجيب أن نعرف للكفعمي صلته بدمشق من المقرري الأندلسي ولا نعرفها من العاملين أنفسهم وإن نجعل المآخذ التي اعتمدها فيما كتبه عنه والمجهول لنا من تلك الصلات كثير. ولعل هذه الحلقة من حلقات التاريخ مما فقد مع المفقود وهو الكثير من ميراث البلدين العلمي.

ولئن عمي علينا نبأ تلك الصلات فجهلنا أثرها فيهما منذ ابتداء تاريخها من المائة الثامنة إلى المائة العاشرة والحادية عشرة فإن رجال معاجم هاتين المائتين ومنهم المحبي والشهاب الخفاجي وابن معصوم قد عرفوا برهط علمي عاملي ومنه يستفاد ما لهذه الصلة في ذين العصرين من التأثير البين في مستوى البلدين الأدبي.

ومن آداب جبل عامل ودمشق وما إليها من الديار الشامية مادة غزيرة لريحانة الشهاب الخفاجي وسلافة العصر لابن معصوم وغيرهما من غير المعاجم الدمشقية. على أن أثر تلك الصلات أبين ظهوراً في جبل عامل منه في دمشق. ويتأثير صلة الشهيد الأول بدمشق قامت مدرسة جزيين مسقط رأسه ومقر بنيهِ وذريته من بعده بتعليم منتظم مطبوع بطابع المدارس الدمشقية وأمها وفود العلم من كل حدب وصوب وكانت مبدأ النهضة العلمية العاملة وقام على مثالها مدارس كثيرة في عرض البلاد العاملة وطولها.

ومشى الشهيد الثاني وبعض بنيهِ وكثيرون من جبل عامل على طريقة الشهيد الأول في تجديد عهد تلك الصلة فأخذوا عن شيوخ دمشق مختلف العلوم وما كانت هذه الصلة لتتوتر لولا تراجع العلم في البلاد وتواتر الفتن وتتابع المحن وإنا لنرجو أن تتوثق عراها بين البلدين في هذا العصر الذي أصبحت فيه دمشق بعد شقيقتها مصر حافظة البقية الباقية مما ترك كر الغداة ومر العشي من تليد السلف الصالح وحاملة لواء العلم والثقافة والتجديد للأمة العربية ورافعة منار فصحاها ومشذبة أصولها من الدخيل ورطانتها بجامعها وجامعتها ومجمعها وعلمائها العاملين.



فضل السادة الأشراف وبيوتاتهم في دمشق^(١)

لا أنسى أن أدعو لقومي في هذه البلاد أن يلهمهم مولاهم تقليد العراق واليمن والأناضول والحجاز والغرب ومصر ويخارى وما يتبعها والهند وبلاد العجم وأفغان وجزيرة العرب في الرجوع إلى تكريم واحترام السادة الأشراف. ولو كانت نسبته من الأمهات لما ورد في الحديث الشريف الذي رواه عمرو بن مكنوم ونقله الإمام العيني «أن يجوز نسبة الرجل إلى أمه إذا اشتهر بذلك».

وقد كتب المؤرخ الشهير والعالم النحرير الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي أمام جامع السنانية تأليفاً لطيفاً في صحة شرف الأسباط وأورد في مؤلفه الأدلة الكافية في قوة شرفهم والتحاقهم بالسيادة. ثم نقل شيئاً مما تولى نقابة الأشراف من كتاب تحفة الطالب قال أول من تولى النقابة على الطالبين السيد الحسين النسابة النقيب ابن السيد أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ابن علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وذلك أن السيد الحسين النسابة المذكور لما حضر عند المستعين بالله التمس أن يكون الحاكم على الطالبين رجلاً منهم بطيعونه ويعرف أقدارهم ومنازلهم، ولا يحكم فيهم أتراك بني العباس فاستصوب الخليفة رأيهم وجمع من هناك من الطالبية وأمرهم أن يختاروا من يوليه عليهم فقالوا حيث أن الحسين رأى هذا الرأي فإننا نختاره، فولى النقابة عليهم «انتهى كلامه».

أقول نصبت النقباء وتقرر وظائف النقابة منذ القديم والحديث في ممالك الإسلام بقصد البحث عن حقائق الأنساب وتمييز السادة الأشراف من آل البيت أبناء الإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما صيانة، لذلك النسب الطاهر عن حصول الاختلاط المفضي إلى تعلق بعض الأحكام الشرعية بغير أهلها ما لا يخفى من اندفاع الكثير في طلب حصول المجد ورفعته الجاه بدعوى الشرف الحسنى أو الحسينى خصوصاً في زماننا هذا فالنقباء هم الذين ينبغي لهم التدقيق عن هذه الدعوى وفي نسب كل من يمكن الاشتباه في نسبه من عامة الناس لئلا نضيع الحقوق

(١) مما اخترناه من كتاب منتخبات تواريخ دمشق للحصني، الباب السابع ص ٨٠٦، ٨١٩ و ص ٨٢٥، ٨٢٦ و ص ٨٦٦.

الواجبة الرعاية لآل بيت النبوة وتسقط التكاليف الواجبة على من سواهم، ونقابة الأشراف وظيفية عالية لها شأنها في نظر العالم الإسلامي ولها تأثير عظيم في إصلاح أحوال البيوتات النبوية وتدبر أمورها مما أوجب الأمر إلى محبة هذه الذرية الشريفة وتوقيرها وطاعة الناس لها لتنفيذ كلمتها فيهم وكانوا يأترون بأوامرهم ويدعون لرغائبهم إلى غير ذلك مما يعود بعظيم الفائدة على هذا المجتمع وهي قديمة العهد في زمن الدول العربية وفي أيام الدولة العثمانية التركية. بدأ بتوظيف نقباء الأشراف السلطان يلديرم بايزيد سنة ٩٠٠ هـ وعين لها سيد علي نطاع عاشق شلبي.

وقد تقلد هذا المنصب وسُمي به ليكون مساعداً للأشراف في جميع أمورهم قائماً في شؤونهم: ونقل الفاضل الشيخ راغب الطباخ المؤرخ الشهير في «تاريخ حلب الشهباء»، عما كتبه المواردي في نقابة الأشراف وبين وظائف النقيب وأعمال النقابة وتطوراتها (يمكن الرجوع إلى مباحثه). وإنما نقول أن هذه الوظيفة كانت توسد لأكابر ذوي الشرف أحفاداً كانوا أو أسباطاً إلا أنه في الحجاز والعراق ودمشق وبخارى والأفغان والعجم وأشهر البلاد العربية خصوصاً في الأحفاد. وأما في الديار المصرية فإنها أعطيت للأشراف من الأسباط وهم رجال البيت البكري فهم من أسباط سيدنا الحسن عليه السلام ولم تزل فيهم من القرن الثاني عشر إلى اليوم كما نقل ذلك في كتاب الصديق. وبالجمله فإن حب آل البيت الطاهر سواء كان من الأحفاد أو من الأسباط أمر لازم زرع في قلب الأمة الإسلامية وملوكها وغنيها وفقيرها من ظهور الإسلام إلى اليوم كرامة إلى جدهم عليه الصلاة والسلام القائل: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»، وفي حديث آخر: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي».

وإذا ظهر من بعضهم أمر يخالف أوامر جدهم وغفل أحدهم عن سلوك طريق هديه وسنته فيلزم علينا أن نرشدهم جاهلهم وننصح غافلهم وندلهم على طريق الصواب ونجتنبهم بأكف الحكمة إلى ما به خير دنياهم وآخرهم الذي يوجب لهم نظر الرفق والرافقة من الحبيب الأبواب وأن نحسن الظن بهم ولا غرو أن أحببنا بهم صحة نسبهم أن تكف عن مساوئهم جميعاً كما قال بعضهم:

نحبهم والله أولى بأمرهم
محبهم ينجو غداً ومسئئهم
على أن طه الهاشمي غيور
عليه هناك الدائرات تدور

قال صاحب الروض البسام «قد سألني بعض المحبين أن أكتب رسالة تشير إلى بطون قریش التي بالديار الشامية ليعلم لهم المسلم الخالص حقوقهم المرعية فيعظم عظيمهم ويرحم فقيرهم ويؤاسي كريمهم ويؤدبهم حق المودة المطلوبة»، ثم قال: «إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي صرحت بفضل قریش وآل البيت الكرام والذرية المصطفوية كثيرة لا ينكرها إلا جاحد أو منافق وقد كثر الجهل بالنسب في زماننا ولذلك تلقى العامي يجلس مع جماعته من ذوي جلدته

فيحتكم بأنساب الناس ويدعي جهلاً منه بصحة هذا وتكذيب ذاك إما حسداً أو بغضاً والإمام مالك يقول «الناس أمناء على أنسابهم». ولا يخفى الوزر الذي يلحق الداخل بلا نسب وإن دق. وقد ذكر بعضهم قولاً آخر نقله عن السلف من ادعى انتساباً إلى نسب من الأنساب الكبيرة كذباً عزز لا سيما نسب الشرف لئلا يتجرأ كذاب على الدخول في نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينبغي لذوي الانتساب إلى كل شريف أن يصونوا شرف نسبته عن الدنس ويحفظوا ذلك بكمال التحري بصحته فإن الناس مؤتمنون على أنسابهم كما ذهب إليه الإمام مالك وقد حث الشارع على معرفة الانتساب. أخرج الحاكم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأجل، وبالجمله إذا ثبت النسب بشهادة أرباب الرقب فلا يجوز الطعن في أهله ويجب توقير أصحاب نهله لمن إليه انتسبوا وعليه حسبوا ولو قصدنا البسط في هذا المقال لضاق علينا المقام.

بيوتات العترة الطاهرة النبوية الشهيرة في دمشق

ومن الفاطميين السادة الأشراف بدمشق أسرة بني العجلان الأكارم ومن متأخري رجال هذا البيت السيد راغب نقيب أشرافها وعين أعيانها مات سنة ١٢٦٣ وأخوه السيد أحمد نقيب أشرافها أيضاً وصدر صدرورها مات سنة ١٢٧٩ وهما ولدا السيد سعيد مفتي دمشق ورئيسها، وهو ابن السيد حمزة مفتي دمشق ابن السيد علي نقيب الأشراف فيها ابن السيد عباس شيخ مشايخها ابن علي شيخ المشايخ ابن اسماعيل بن حسن بن حمزة بن حسين نقيب دمشق ابن شمس الدين نقيب دمشق وشيخ مشايخها ابن كمال الدين شيخ المشايخ ابن شرف الملك محمد ابن أبي البشائر محمد نزيل دمشق ونقيبها ابن السيد عجلان المصري ابن علي ابن محمد بن جعفر بن حسن الشجاع ابن عباس بن حسن بن حسين الجن ابن علي بن محمد بن علي بن اسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن سيدنا الحسين عليه السلام وقد أثنى المحبي والمرادي على مشاهير رجالهم، وقد مدحهم صاحب الروض البسام وقال وُلِّي ثمانين منهم نقابة دمشق وثلاثة قلدوا منصب الفتوى فيها وأما مشيخة الشيوخ فإنها لم تخرج من بيتهم اهـ. وقد أدركت من متأخريهم السيد عبد اللطيف كان مثال الوجاهة والأخلاق الحسنة مات سنة ١٣٣٧ وقد ترك ذرية نجبية وهم محمد أفندي وعبد القادر أفندي وإبراهيم أفندي وهؤلاء مسكنهم في زقاق العامود المشهور بهم إلى اليوم، ومن أبناء عم هذه الأسرة الذين سكنوا حي الميدان السيد حسين المتوفى سنة ١٢٤٣ وقد أعقب السيد درويش العالم الجليل الذي اشتهر في علم الفرائض وكان أخوه السيد أمين نقيب دمشق وشيخ مشايخها. مات سنة ١٢٨١ وقد أعقب ولدين أحدهما السيد أحمد شيخ المشايخ ونقيب الأشراف مات سنة ١٣٤١ وهو والد صادق أفندي كاتب العدل بدمشق وشيخ مشايخ الحرف بها، ومنها أخذ النقابة في سنة ١٣٠٧ وأسندت إلى السيد صالح

تقي الدين الحصني والأخ الثاني السيد عطا الله أحد أعيان دمشق ومن أعضاء المجلس التمثيلي، وأما السيد درويش المذكور فقد أعقب السيد محمداً الذي تولى رئاسة البلدية بدمشق وصار نائباً عنها في مجلس الأمة في دار الخلافة وكان قبلها عضواً في مجلس إدارة الولاية ومن أصحاب رتبة البلاد الخمس من الرتب العلمية، وله أخوة ثلاثة السيد محمد علي هو والد السيد مطفي والسيد حسن سهيل من أطباء دمشق والمحامي السيد مختار والسيد منير أحد أدائها وكتابها والسيد عبد القادر والسيد محمود وهم من أصحاب الأخلاق المرضية، مسكنهم في دار الأمير محمد منجك الشاعر الشهير.

ومن الفاطميين آل حمزة الأكارم. وهم من سلالة السيد إسماعيل الحراني (قيل أن جدهم الأكبر أتى من بغداد) وأكثر رجال هذا البيت نقباء وعلماء، ومن مشاهير رجالهم السيد نسيب والد السيد محمود مفتي دمشق، كان صدر دمشق ونقيبها يحسن الخط بأنواعه وله آثار جميلة الصنع كتبت بخطه وهي موضوعة الآن في مشهد الحسين في الجامع الأموي. كانت عليه خدمة المحافظة التريدارية لذلك المقام ولم تزل هذه الخدمة الشريفة في ذريتهم إلى اليوم، وقد أثنى عليهم المحبي والمرادي وغيرهم من المؤرخين وأطنبوا بمدحهم كل الأطناب، وقد ذكر صاحب الروض البسام في كتابه أسماء شجرتهم المباركة نثبتهما في كتابنا ونزينه بها خدمة خالصة لهذا البيت العريق في المجد والشرف فنقول: السيد نسيب المذكور هو نقيب دمشق ابن حسين بن يحيى النقيب ابن حسن النقيب بن عبد الكريم النقيب ابن محمد النقيب ابن كمال الدين محمد النقيب ابن شمس الدين محمد النقيب ابن بدر الدين حسين النقيب ابن كمال الدين المحدث الحافظ محمد الشهير بابن حمزة النقيب ابن عز الدين حمزة النقيب ابن أبي العباس أحمد بن علاء الدين علي النقيب ابن الحافظ محمد بن علي ابن حسين بن حمزة بن محمد بن ناصر الدين بن علي بن حسين بن إسماعيل الحراني ابن حسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأعرج ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن زين العابدين ابن سيد الشهداء الحسين السبط عليه السلام. وقد كان السيد نسيب المذكور من الشعراء البلغاء، له ديوان لطيف لم يطبع وقد نظم مولد ابن حجر وله كثير من الآثار التي لم نثر عليها. وقد قال في الروض البسام عن بعض رجال هذه الأسرة أنهم على طريقة مرضية وسيرة حمزاوية ومثل الأحفاد أن يسلكوا مسالك الآباء ويتصفوا بصفات الأجداد والأعلام ونقل قول العدواني:

ولا عيب إلا أن يرى المرء تاركاً
وأحسن شيء أن يرى المرء قائماً
وقال أيضاً:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما
وفخر الفتى بالأقدمين جهالة
وقد نقل عن لسان بعضهم:

خصالاً حسناً ورثت من جدوده
لجد عللاً قدراً بحفظ عهوده
بفضل يسود المرء أبناء جنسه
فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ومن مشاهير رجال هذا البيت أسعد أفندي بن نسيب أفندي شقيق مفتي دمشق محمود أفندي المتقدم الذكر كان من أهل الوجاهة والوقار تولى مدة طويلة عضوية محكمة استئناف العدالة. وقد رثاه كثير من الأفاضل وأرخ وفاته الشاعر الشهير سيدي ابن العم سليم أفندي تقي الدين بقوله:

إذا رمت النجاة فزر ضريحاً حوى من آل حمزة خير أمجد
سقاة الحوض لا خوف عليهم لهم أعلى مقام ثم مشهد
دعاه الله في شوال حتى يشاهد جده المختار أحمد
فكان به لقد أرخت «براً» نسيب محمد في الخلد أسعد»

وقد أرخه الهلالي أيضاً في ديوانه بقوله بعد أبيات كثيرة:

لما قضى نحبه نادى مؤرخه «للخلد راح ووافى أسعد الشهدا»

وقد أعقب ذرية كبيرة أرشدهم عبد الله أفندي مات سنة ١٣٢١ وهو والد عبد الرحمن أفندي وسعدي أفندي ومراد أفندي وحمدي أفندي ومنهم شاعر أفندي المتقدم الذكر وتوفيق أفندي وزين العابدين أفندي وهما من سراة دمشق ووجهائها ومن مشاهير رجال هذا البيت درويش أفندي بن كمال الدين أفندي كان متصفاً بالفرسية والعلم، مات سنة ١٣١٥ وهو والد سعيد أفندي من أدباء دمشق وأخيه كما أفندي.

وقد مدح العارف بالله تعالى العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي جدهم السيد عبد الكريم حينما عاد من منفاه إلى دمشق بقصيدة منها:

لك في النفوس مهابة لا تنجلي يوم المجامع ساعة الخطب الجلي
يا ابن الميامين الكرام ذوي العلا أهل الشهامة تلك والقدر العلي
أنت ابن من شرع الشرائع للورى وأبان عن طرق الهدى للمجتلي
ورأى الذي قد كان يوم الفارض أعدائه بل يوم هزم الجحفل
واسأل حيناً حين أعجب جمعهم ماذا رآوه وكان نصرهم يلي
لا عار أن نقيموا عليك فطالما تقموا على عثمان قبلك بل علي
فأثبت وكن في الدين خير مهذب طبق الشهامة في الطراز الأول
هم قائمون بسيف جدك في العدى فاصفح بحلمك عن مدى المناول
واعدد مصابك منحة لا محنة بل لا يزول عن المقام الأفضل
أو ما سمعت نبأ جدك والذي لاقى «الحسين» من العدا وهو الولي
أن البدر وإن شهدت كسوفها هي في السما لا في الحضيض الأسفل

وكذلك الأسد الفضنر ربما
مع أنه المرحوب في سطواته
والسيف أحسن ما يكون إذا خلا
أولاد حمزة يا كواكب شامنا
يا آل بيت نبينا نسب لهم
يا من ندين بحبهم والله قد
قل لست أسئلكم عليه مثنوية
لا نقص فيكم طاهرون مطهرون
أنسابكم محفوظة ومصونة
عنكم يريد الله يذهب رجس ما
فكلوا الأمور إلى المهيمن واصبروا
وهو الذي خلق الجميع دعائهم
وعليك من «عبد الغني، تحية

نشبت إليه جباله المتحيل
وأخو الجهالة في أتم تغفل
عن غمده يوم الوغى وإذا جلي
يا من لهم في المجد أشرف منزل
كالشمس منها كل طرف ممثلي
أوصى بهم بلسان طه المرسل
إلا المودة تلك بالقربي سل
مبرؤن أجل قوم كُمل
أعراضكم عن وصمة وتبذل
قد أوهمته لكم يد المتقول
فالله ناصركم على رغم العلى
أبدأ يعافي من يشاء ويبتلي
تسري إليك مع الصبا والشمال

ومن الفاطميين السادة الحسينية آل المرتضى الأكارم وقد ذكرهم بعض مؤرخي دمشق وأثنوا عليهم بخير ومن مدحهم صاحب الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام بقوله ومنهم جماعة بعلبك وغيرها من نواحي الشام قدم أجدادهم من اليمن وتوطنوا دمشق ونسبهم نسب صحيح ذكر الكثير من أسلافهم صاحب المشكاة وغيره ويتصلون بالإمام إبراهيم المرتضى من طريق السيد أبي السعادات المرتضوي وأطنب في نسبهم الحمزاوي مفتي دمشق وقدمهم على غيرهم وأثنى عليهم وذم طاعنيهم وأدى حق المودة في القربى بصلة رحم البطن المرتضوي هذا واللائق به وبأمثاله ذلك «انتهى كلامه». ومن مشاهير شعراء هذا البيت السيد رضا ابن السيد سليم ونبدأ بإسم جده الأول هو السيد علي بن موسى بن علي ابن مصطفى بن فضل الله بن مرتضى وبه اشتهر هذا البيت بدمشق وبعلمك ابن علي بن محمد بن أبي طالب بن علي بن العالم الفاضل علوان بن علي بن حسين بن موسى بن علي بن حسين بن محمد بن موسى بن يوسف بن محمد ابن معالي بن علي بن عبد الله أمير المدينة بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابن طاهر بن حسين القطعي بن موسى المكني بأبي سبحة بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام الذي يبيت الليل ساجداً وقائماً ويقطع النهار متمسداً وصائماً سيدنا أبي الحسن موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين السبط عليهم الرضوان والسلام ونسبهم هذا أشهر من أن ينبه عليه وقد جاء من رجال هذا البيت المبارك أمة من أهل التقوى والفضائل والكمال وجماعتهم الآن بدمشق وبعلمك كثيرون بارك الله بهم وقد مات السيد رضا سنة ١٣٢٢ ومن هذه العترة الطاهرة السيد محمد حسن قاضي بعلمك المتوفي عنها سنة ١٣٤٢ ودفن بها وهو من ذوي الأخلاق

الحسنة والصفات المرضية ومن مشاهير رجالهم السيد عباس بن سليم القيم والحافظ لتربة السيدة زينب رضي الله عنها.

ومن الفاطميين السادة الحـ ينية أسرة بني الأيجي الأشراف الشهيرة بدمشق المنقرضة رجالهم لم يبق من ذريتهم إلى اليوم أحدكما نعلم وقد ذكرهم المحبي وترجم مشاهير رجالهم وأنهم تولوا إفتاء دمشق ونقابة الأشراف بها وهم من خيرة أعيانها المشهود لهم بالفضل والوجاهة «فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين».

ومن الفاطميين آل الدسوقي وهم بطن آل الرضا ابن الكاظم عليهما الرضوان ينتهون إليه بواسطة جدهم السيد موسى أخي القطب الجليل السيد إبراهيم الدسوقي الحسيني قدس سره هو القطب الشهير من أهل الشطح وأصحاب الفتح اشتهر شأنه في أقطار الدنيا تفرع من هذه الأسرة المباركة جماعة كثيرون منهم في دمشق وارمناز وحلب وغيرها من الديار العربية وقاعدة هذا البيت بدسوق من ديار مصر وفيها قبر القطب المذكور وأخيه السيد موسى ومنهم الشيخ صالح إمام جامع السنانية وأحد العلماء وقد داهم هذه الأسرة الانقراض من أكثر مشاهير رجالها في ديارنا وما بقي منهم إلا القليل كما داهم غيرهم من الأسر الشريفة التي أخنى عليها الدهر وقد ذكرهما المؤرخان الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه الأسباط وصاحب الروض البسام وأثنينا عليهم بخير.

ومن الفاطميين السادة الحسينية آل الحجار الأكارم بدمشق وقد مدح جدهم السيد حسن الحجار صاحب الروض البسام وهم من بيت قديم ونقل أن أسرتهم صحيحة النسب وذكر المحبي في تاريخه السيد حسن المذكور وأثنى عليه وكانت طائفتهم من القديم تشتغل بالتجارة ويقايهاهم إلى اليوم كذلك والذي أدركناه من متأخري رجالهم السيد سليم ابن السيد محمد كان من تجار الخردة في العصورونية مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف والسيد سليم الثاني ابن السيد حسين كان أيضاً من تجار الخردة في جهة جامع السنانية وقد أعقب ولداً نجيباً اسمه محمد شريف بك دخل في المكاتب العسكرية العالية في دمشق والأستانة إلى أن صار قائداً للجيش في الدولة الإسلامية ومن أمراء أركان الحرب بها وهو من خيرة شبان هذا العصر وقد تضرع أناس كثيرون من هذا البيت ومن أسباط هذه الأسرة المنسويين إليها والمنتمين لها صديقنا عمر أفندي من تجار الأستانة وشقيقاه عبد الرحمن وصالح من تجار الخردة وقد خرج من هذا البيت جماعة من العلماء ذكرهم المحبي وقد اشتهر بلقبهم جماعة بدمشق أيضاً عرفنا منهم السيد أحمد وأخاه السيد سعيد أبناء السيد عبد الله الحجار وقد رحل قسم منهم إلى آيالة صيدا ولهم ذرية كبيرة هناك وجماعة دمشق لا يعرفونهم لبعده زمان التعارف فيما بينهم، على كل حال الناس أمناء على أنسابهم وأعرف بعشائرتهم.

ومن الفاطميين السادة الحسينية آل نصوري بدمشق وينتهي نسبهم إلى الإمام علي الرضا ابن الإمام الكاظم وهم قليلون مع أن آل الرضا في جميع الديار من أكثر الفاطميين عدداً وقد

ذكرهم صاحب الروض البسام بأنهم من السادة الأشراف الذين يجب احترامهم في هذه الديار، وتعرف شهرة رجال هذا البيت قديماً بالحصري وقد رأيت في مجموعة أحد حملة الأخبار ذكر أحد مشاهير رجال هذه الأسرة وهو السيد إبراهيم الحصري الشهير بنصري السيد الشريف الحسيب النسيب لهم نسبة شهيرة بدمشق مات بها سنة إحدى ومائتين وألف وعثرت أيضاً على مؤلف لطيف محفوظ قديم اسمه «إيقاظ أهل القابلية لما درج عليه أهل الطريقة الخلوتية» لأحد رجال هذا البيت هو الشيخ العلامة المحقق العمدة الثقة الفهامة العارف بربه المشتغل به بلسانه وقلبه صاحب التصانيف المفيدة والمآثر الحميدة زبدة المحققين وخليفة الخلفاء المعتقدين السيد نصري الحصري الحسيني الأشعري الشافعي الخلوتي الدمشقي قال في أوله بعد أن حمد الله وصلى على نبيه مصباح الظلام المكشوف له عن الغيوب والمحجب لجميع القلوب وهو مؤلف عظيم في التوحيد والتصوف كتب بخط جميل سها كاتبه عن وضع التاريخ لذلك جهل علينا عصر المؤلف والذي يظهر أن هذه الأسرة الكريمة اشتهرت به، وقد ذكر المرادي بعضاً من رجال هذا البيت وأثنى عليهم بخير وقد خرج منهم اليوم الدكتور أحمد شفيق نصري أحد رجال الطب بدمشق ومحمد أفندي نصري من أمراء العسكرية في زمن الدولة التركية الاختصاصي في عمل الآثار النفيسة التي أهداها إلى الجامع الأموي وهو صاحب الخط الكوفي في محرابه.

ومن الفاطميين السادة الحسينية آل زين العابدين الأكارم، وقد طبعت شجرتهم وسلسلتهم في مؤلفاتهم واشتهرت.

وأما بقية أشراف دمشق فإنه يوجد بها من أهل البيت الطاهر بيوتات كثيرة تفتخر بهم على سائر البلدان بارك الله بهم وألهمنا حبهم ومودتهم لأنهم أمان أهل الأرض ووديعتهم. ثبت في كتابنا هذا أسرتنا وما قاله المؤرخون بها، نقل السيد أبو الهدى الصيادي نقيب حلب الشهباء وشيخ السلطان عبد الحميد في كتابه الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام عن بعض رجال هذا البيت ما نصه: (ومن الفاطميين آل الرضا بدمشق بنو تقي الدين فهم ينتهون إلى الإمام علي الرضا من طريق جدهم السيد محمد الدين فهو من بني أخي العلامة العارف السيد تقي الدين الصني أبو بكر دفين القبيبات بدمشق واشتهروا بالنسبة لعمهم هذا لجلالة قدره وقد ذكر المحبي والمرادي في تاريخهما بعضهم وأثنيا عليهم بخير وكان من مشاهير متأخريهم السيد حسن أفندي آل تقي الدين ولي النقابة بدمشق مدة يسيرة، ثم وجهت عليه خدمة الفتوى وبقيت النقابة في آل عجلان وكان من أهل المظاهر الوجيهة والهمم العالية والنسب الوضاح ومن بني عمه السيد عبد القادر أفندي آل تقي الدين وهو والد حبيبنا الأخ الصالح الكامل السيد محمد صالح أفندي نزيل دار السعادة ونقيب القدس مات السيد عبد القادر بدمشق سنة ١٢٧٠ هـ وسنذكر تبركاً بنسبه المبارك هو عبد القادر بن أحمد بن حسن بن مصطفى بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن محب الدين بن شمس الدين محمد بن زين العابدين

مقبل بن ضياء الدين حميد بن زين الدين عميرة بن عمر بن نور الدين معلا بن مؤمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي بن فخر الدين ناسي بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن شرف الدين موسى بن يحيى بن علي بن الإمام محمد التقي الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط عليهم الرضوان ونسبهم أشهر من أن ينبه عليه وقد جاء من رجال هذا البيت المبارك أمة من أهل التقوى والفضائل والكمال وجماعتهم الآن بدمشق كثيرون بارك الله بهم انتهى كلامه.

وقد أعقب الجد عبد القادر سيدي الوالد السيد محمد حضر كثيراً من مجالس العلم ولازم شيخ علماء دمشق الملا بكر الكردي الكلالي مدرس جامع الورد وكان اتخذه خليلاً وصاهره وأخذ الطريقة النقشبندية الخالدية عنه وقد اشتغل في بادئ أمره بتجارة مال الفاتورة ثم ترك التجارة واشتغل بخدمة أمانة الحنفي في الجامع الأموي مدة طويلة تزيد عن نصف قرن يميل طبعه إلى التقشف وسلوك مسلك أهل التصوف، كان مثال الفضيلة والصلاح تعتقده الناس وتحترمه الأمراء والعلماء مات سنة ١٣١١ وقد أعقب جامع هذا الكتاب وأخي الشيخ ياسين حلمي وقد أعقب الجد سيدي العم السيد صالح نقيب دمشق، والشيخ عبد الحميد كان من حفظة القرآن يشتغل في التجارة مات عقيماً سنة ١٣٠٦ وعبد الله أفندي كان يشتغل في تجارة العطارة مات سنة ١٢٩٧ وعطا الله أفندي من التجار مات عقيماً في سنة ١٣٢٠، ومن مشاهير رجال هذا البيت أحمد أفندي بن حسن أفندي مفتي دمشق ونقيبها كان من وجهاء دمشق ومن أهل المظاهر الحسنة مات سنة ١٢٥١ وقد أرخه ابن أخيه سليم أفندي الشاعر الشهير بقوله:

زين المعالي ممجد

نجل لمفتي دمشق

نل جنة الخلد أحمد

رضوان ناداه أرخ

وقد أعقب ولداً أسمه عبد الله أفندي من أعيان دمشق كان عضواً في بلديتها وفي مجلس الأوقاف له مزرعة كبيرة في قرية المحمدية مات سنة ١٣١٧ ومن مشاهير رجال هذا البيت أيضاً الشيخ الصالح المعمر محمد أبو الصفا بن سعيد كان فقيهاً متعبداً ورعاً من تلاميذ العلامة الشيخ محمد الجوخدار يشتغل في التجارة مات سنة ١٣٣٦ وقد أعقب ذرية مباركة وله وقعة شهيرة مع السيد قاسم مرتضى من أشراف دمشق انتصر له أخوه السيد سليم بضرب يد ابن مرتضى ثم ببست يد الضارب وقصة هذه المشاجرة شهيرة من أكثر رجال الأسرتين فلا حاجة لتفصيلها ومن أبناء عمهم بنو الحصني الذين يجتمعون معهم في جدهم الأعلى السيد محمد الدين هو جد السيد محمد المترجم في تاريخ المحبي وهم القاطنون في مسكنهم زاوية الشيخ تقي الدين الحصني الكائنة في حي الشاغور الموجودة والمعمورة إلى اليوم المشروط لهم السكن بها بمقتضى توليتهم ونظرهم على توزيع ريع أوقاف أجدادهم ومن أوقافهم سوق الدق الكائن

في شارع مأذنة الشحم وكانت مشيخة هذه الحرفة عليهم مقطوعة لهم بضمائر قديمة من قبل الدول الإسلامية التي كانت حاكمة البلاد ولم تزل باقية في عقبهم إلى اليوم ويشاركهم في هذه التولية بنو الأسطواني.

ولما كنت متشرفاً في مكة المكرمة وقت الحج كلفني الشريف عبد الله بن هاشم بزيارة أقاربنا الشريف علي بن الشريف غالب لأن والدته بنت عمنا السيدة فاطمة بنت السيد تقي الدين شقيقة السيد حسن أفندي مفتي دمشق ونقيبها تزوجت بوالده الشريف فاخر بن الشريف سلطان من ذوي حسن من العباد له فقد أعقبت هو والشريفة عزيزة المشهورة بالسنت الشامية وقد تولى أخوها غالب قائممقامية الإمارة وكانت هذه الصلة في عهد إمارة الشريف محمد بن عون. ومن البطون القرشية الحسنية آل السيد الغوث عبد القادر الجيلاني منهم بدمشق وغيرها من المدن الإسلامية مثل بغداد والموصل وديار بكر وحماة وطرابلس الشام وحوارن وهم بيت تسلسل منهم العلماء والفضلاء والصلحاء والأغنياء والفقراء والنجار والمزارعون فهو الجد الجامع لهم، من أولاده المتعديين السيد محي الدين أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى الثاني ابن عبد الله بن موسى الجون ابن عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن السيد الإمام الحسن السبط رضي الله عنه وقد ذكره المؤرخون أكثر مشاهير رجال هذا البيت وأثنوا عليهم بخير، قال صاحب الروض البسام في حقهم ما نصه: ومن الفاطميين بالشام آل الشيخ عبد القادر الجيلاني قدم جدهم الشيخ سيف الدين يحيى من بغداد وسكن حماة وبها مات وأعقب بها الذرية الموجودة اليوم ومنهم جماعة بعدت من قرى الشام وآل الجيلاني في الديار الشامية كثيرون بالأخص دمشق ولهم ذيل طويل في حوارن وحلب ونابلس انتهى كلامه، وبواسطة نقيب بغداد السيد سلمان أفندي كانت عفت عنهم الحكومة التركية من الخدمة العسكرية. وقد عرفنا من مشاهير رجالهم بدمشق سعيد أفندي ابن صالح أفندي من أعيان دمشق كان حسن الهيئة نير الوجه بعمامة خضراء مهابة عند الحكام والأمراء تقلد رئاسة بلدية دمشق ثم عضوية مجلس إدارتها الكبير مات سنة ١٣١٦ وقد أعقب عطا أفندي كان وجيهاً تقلد رئاسة البلدية بعد والده وعضوية مجلس الشورى جمع بين الشهامة ودمائة الأخلاق مات سنة ١٣٣٨ وقد أعقب ذرية نجبية أكبرهم سعدي أفندي. ومن مشاهيرهم أيضاً شريف أفندي ابن حافظ أفندي أحد أعيان دمشق الموجود اليوم وهو والد الشاب الأديب نسيب أفندي من موظفي العدالة. ومنهم فارس أفندي ابن خليل أفندي أحد وجهاء دمشق وأغنيائها مات سنة ١٣٢٥ وقد أعقب هائل باشا وسهيل أفندي والأديب وجيه أفندي وحلمي أفندي من موظفي العدالة وخليل أفندي ولهم أقرباء كثيرون بدمشق بيدهم شجرات تدل على الانتماء إليهم وقد عرفنا من الزعبية الشيخ عبد الفتاح من علماء طرابلس ونقيبها والشيخ عبد القادر الاسكندراني من علماء دمشق ومدرسيها، وقد أفرد صاحب كتاب شمس المفاخر بذرية الغوث عبد القادر الموجودة بدمشق وحماة وبغداد وحوارن وطرابلس الشام

وذكر درجة مسلماتهم وأحصى جميع من ينتمي لهذه العترة المباركة وجدنا الأوفق أن نكتفي عن تكرار ذكرهم ونقلهم من كتاب لآخر فمن أراد أن يطلع عليهم جميعاً فليرجع إليه.

ومن البطون القرشية السادة الرفاعية بدمشق وقد أفرد صاحب الروضة البهية السيد محمد عز الدين أفندي عربي كاتبي الدمشقي خادم سجادة جده الرفاعية لهم باباً خاصاً في مدحهم وذكر أفرادهم وقال عنهم نجوم المفاخر وشموس المآثر الذين توارثوا الصلاح والصلاح كابراً عن كابر وهو والد السيد أمين أفندي رئيس ديوان متصرفية دمشق اليوم المشهود له بالافتقار والأخلاق الحسنة، وذكرهم أيضاً صاحب الروض البسام وأن منهم فرع السبسي في حماة ومنهم في دمشق وحران كثيرون وقد تفرّد أيضاً بذكرهم صاحب كتاب نور بهجة الصدق في ذكر سلاله الفوّه الرفاعي بدمشق فوجدنا من الاختصار عدم نقل أسمائهم وأنه لا يمكننا ذكر كل قبيلة أو كل بيت أو كل فرد منهم على حدة بل اكتفينا عن تكرار ذكرهم، فمن شاء معرفتهم فليرجع إليهم أو إلى أنسابهم التي بأيديهم المصدق عليها من قبل الحكومة العثمانية بإعفائهم من الخدمة العسكرية في زمن عهد السلطان عبد الحميد استرضاءً لشيخه السيد الجليل الشيخ أبي الهدى الصيادي صاحب التآليف الشهيرة. وقد لاح لنا بهذه المناسبة أن نعرض لبعض الأسر المنتسبة إلى الشيخ قضيب البان الذي تنتمي إليه هذه الأسرة وقد ذكر شهاب الدين في كتابه شجرة الأنساب ترجمة قضيب البان وهجرة ذريته من الموصل إلى حلب وغيرها من بلاد الشام.

آل قضيب البان:

والذي وصلت إليه خبرتنا بعد طول البحث أن ذرية قضيب البان في بلاد الشام انقسمت مع تقادم العهد إلى أسر عديدة. ففي حلب أسرتان تدعى الأولى باسم الجد الأعلى آل قضيب البان، وقد اندرست أخيراً هذه الأسرة ولم يبق منها أحد مشهور، والثانية تدعى آل القدسي نسبة إلى أحد أجدادهم الذي سمي قدسي لكونه ولد في بيت المقدس، وهي لا تزال حتى يومنا هذا من الأسر الوجيّه في حلب ورأسها أحد أعيانها الفريق كامل باشا القدسي والأرجح أن هاتين الأسرتين من سلاله السادة الشهيرين الذين ترجمهم المحبي كالسيد محمد، والسيد عبد القادر صاحب الفتوحات المدنية في التصوف وغيرها والسيد عبد الله صاحب حل العقال في الفرج بعد الشدة. ومن شاء الوقوف على عظمتهم فليرجع إلى تاريخ المحبي وكذلك توجد في حماة أسرة من سلاله قضيب البان تدعى آل الحافظ وفي دمشق أسرة تدعى آل الشيخ عثمان الباني وهي التي نحن بصدد تراجم رجالها وهي من سلاله السيد محمد بن الشيخ عثمان الباني الذي أجازة السيد الكامل كما في تذكرة الغزي.

كما بلغنا أن آل الحكيم بدمشق المقيمين منذ القديم في محلة مأذنة الشحم بيدهم شجرة تدل على أنسابهم له ونابغة هذه الأسرة اليوم الطبيب الأديب أسعد بك الحكيم والذي يظهر لنا أن ليس لهم اتصال مع آل الحكيم الذين مسكنهم في حي الميدان وياب السريحة والناس أمناء على أنسابهم.

الأشراف آل الحمزاوي

إن أسرة بني الحمزاوي من أقدم أسر دمشق شريفة الانتساب أصلها من حران وهاجرت إلى دمشق منذ قرون وتولت نقابة الأشراف فيها عدة أجيال حتى عرفوا ببيت النقيب وأول من تولاها منهم إسماعيل بن حسين سنة ٣٣٠ هـ ونبغ منهم جماعة من العلماء وأهل الفضل والصلاح إلى هذا العصر بارك الله بهم وقد سموا ببيت حمزة نسبة إلى حمزة الحراني أحد أجدادهم وقد ذكر المحبي والمرادي وغيرهما من حملة الأخبار بعض رجالهم وأثنوا عليهم بخير وقد أحسنت إليه الدولة العثمانية برتبة استنابول مع الوسام العالي الثاني إقراراً بفضله وقد ترك في آخر عمره الخروج إلى الصيد لوقعة حدثت معه في أثنائه وهي خروج أحد الأفاض العظيمة وتوقفه لقتلها بعد الجهد والرعب الشديد منها مات سنة ١٣٠٥ بمشهد عظيم مشتهر بجنائزته الخلائق على اختلاف مذاهبها ودفن في الذهبية وكان يوماً مشهوداً لم أر نظيره يحكى أن الشاعر كمال بك أحد علماء مشاهير رجال الأستانة ومن أعضاء الشورى طلب ترجمة حياته فأجابه بعد أن ذكر له في الجواب نسبه الشريف وعمن أخذ العلوم عنهم من الرجال الأعلام ثم بين له في الأرجوزة عن كيفية نياله الرتب العلمية وقال أنها. لم ترقط علي بل هي في الصندوق محفوظة لدي ومن جملة ما كتبه له أيضاً مخاطباً غيره بقوله له عنده من الرجال أثقل من الجبال يفر إلى الجبال كي لا يحضر مجامع الرجال يتمثل بقول سيدنا علي:

لنقل الصخر من قلل الجبال	أحب إلي من متن الرجال
كما أنه كتب إليه شيئاً من الشعر ضمنه اسمه بقوله:	
كيف تهدي نقائص للكمال	هل تساوي قبائح بالجمال
ليس إلا امتثال أمرك أدى	لارتكابك لديك سوء خصال
وكتب له أيضاً:	

يا ذا الكمال الذي شاعت فضائله	في كل قطر فلا يخفى كبد رسما
لا تعتمد خبر الأحباب متثقا	إذ حسنوا الظن بي واستسموا ورما
ما كل فرد كمال في الرجال ولا	كل الحدائق في الدنيا غدت أرما
أزمنت ترجمتي مني فخذ خبري	أنا السراب على بعد لأهل ظما

وقال مؤرخاً توجيه فتوى دمشق له الشيخ عبد السلام الشطي أحد علمائها بقوله:

محمود حمزة فضله	قد شاع في الإسلام
حرهمام عالم	من عمدة الإعلام
من آل طه المصطفى	حقاً بلا استفهام
لا زال من رب السورى	يزداد في الإنعام
قد قلت في تاريخه	«شأن لمفتي الشام»

وفوض المفتي الحمزاوي أمانة الفتوى عنده إلى الشيخ محمد البيطار والشيخ أبي الخير عابدين والشيخ أحمد الحلبي متولي الأموي وظاهر أفندي حمزة والشيخ حسن العطار سبط المفتي حسن أفندي تقي الدين وعين مسوداً أبا الخير أفندي الأسطواني وقد أطنب في ذكره وترجمته أيضاً الشيخ الجليل أبو الهدى الصيادي في كتابه «الروض البسام في أشهر البطون القرشية في الشام» ويتمنى أن يكون ولده النسيب بعده في سلكه لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه أخذ حظ ذريته في حياته ومن شعره اللطيف قوله:

الناس للخير ما أحلى ظواهرهم	وفي بواطنهم للشر إخراج
مثل المنارة تلقى العدل ظاهرها	وفي بواطنها عوج وإدراج

وقد أنشده الشاعر البليغ السيد سليم تقي الدين الحصني حين أحسن إليه برتبة مولوية الشام بقوله:

أيا شهما تضرد بالمزايا	فما أحد نظيرك قط شاما
سميك عم بالأنعام مصرا	وانت تعم بالأنعام شاما

وقد أرخ وفاته الهلالي الشاعر الشهير بقوله:

قد دعا الله إلى دار السلام	حجة الإسلام مولانا الهمام
عالم العالم محمود العلا	من بني حمزة سادات الأنام
إذ أتى ظهراً إلى روضته	قالت الحور أدخلوها بسلام
يوم تأسوعاً توارى أرخوا	«نجم مفتي الشام محمود المقام»

ونختم ترجمة الحمزاوي بشيء من كلامه مناجياً الحق جل وعلا بقوله:

يا رب إن لم يدارك منك غفران	فما لغيري يوم العرض نيران
يا رب ذنبي عظيم أنت تعلمه	كيف النجاة ورأس المال خسران

وقد ترك ولداً واحداً سماه السيد نسيب على اسم جده وهو من أعيان دمشق ورئيس بلديتها الأسبق وأحد أعضاء مجلس إدارتها.

ومن رجال الأسرة:

محمود بن السيد نسيب الشهير بابن حمزة مفتي دمشق الشام ولد سنة ١٢٣٦ نشأ في حجر والده وكانت المدارس في أيامه ضعيفة فتعلم القرآن وأتقن الخط واشتهر به ثم عكف على اكتساب العلم وأكب في الكبر على تلقيه من علماء دمشق فأخذ الفقه والنحو والصرف والأصول وعلم

الكلام عن الشيخ عمر الأمدي وسعيد الحلبي. والحديث والمصطلح عن الشيخ عبد الرحمن الكزيري والتفسير عن الشيخ حسن الشطي والحكمة والوضع والأدب وفن البحث والمناظرة وبعضاً من العلوم الغربية الحديثة عن الملا أبي بكر الكلالي نزيل دمشق صاحب كتاب صفوة التفاسير وأجيز من الجميع ولما اشتهر فضله وجهت إليه النيايات الشرعية سنة ١٢٦٠ ثم سافر إلى الأستانة محط آمال العالم الإسلامي وانتظم في سلك الموالى ورجع إلى دمشق ودخل في سلك مجلسها الكبير الذي ألغى بعد الحادثة المشهورة وكان يشتغل أكثر أيامه بالتأليف والتدريس والمطالعة والنظم له مؤلفات شهيرة منها تفسير المهمل والقاموس والفتاوي النظم ونظم الجامع الصغير مع نظم أصول الفقه والقواعد الفقهية والأوقاف وترجيح البينات وخلافها مما لم يصلنا خبره وفي سنة ١٢٨٤ تولى إفتاء دمشق وظل بها إلى آخر حياته وأهداه نابليون الثالث إمبراطور فرنسا على أثر حادثة الستين بدمشق المشهورة جفتاً بطقم ذهب إقراراً بفضله لما أتاه من الخير والمساعدة لمسيحي دمشق لأنه أبى قبول النيشان ولكنه ميلاً إلى الرياضة والصيد لتجديد قواه فكانت هذه الهدية

أقبل لديه واشتهر في الرمي ولا يخطئ به واشتهر أيضاً في صناعة اليد وإتقانها بغاية الانتظام والتفنن فقد كتب الفاتحة على حبة أرز وبقي ثلث الحبة فارغاً والخط واضح وأغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم أسماء وشهداء بدر وكان مقصوداً محبوباً عند الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم صادقاً في القول والفعل يأبى الضخفة الفارغة وإضاعة وقته بلا عمل ولذلك كان يميل إلى الوحدة لا يتدخل فيما لا يعنيه وكان ذا مهابة عظيمة ذهبت مع والدي لزيارته مراراً كنت أرى منه البشاشة والإحسان^(١).



وجوه دمشقية

(١) منتخبات تواريخ دمشق، الباب السادس ٧٦٨ وما بعدها، ص ٧٧٢ وما بعدها.

بنو زهرة الحلبيون الأسرة التي خدمت العلم والدين والأدب زهراء ألف سنة

قبل البدء بالبحث عن هذه الأسرة التي خدمت العلم والأدب والدين، وتقلدت النقابة زهاء ألف سنة لا بد لنا من شرح بعض النقاط الاجتماعية والسياسية والثقافية تمهيداً للموضوع وهي كما يلي:

١ - وضع حلب السياسي والثقافي عند بداية نشوء هذه الأسرة فيها:

كانت حلب ولا تزال موئل العلم ومركز الثقافة الإسلامية وقد لعبت أدواراً جمة في تكوين الحضارة الإسلامية، كما لعبت أدواراً جمة في الأوضاع السياسية في الإسلام. ومن جملة تلك الأدوار الزاهية التي تفتخر بها حلب الشهباء، دور سيف الدولة بن حمدان وبنيه إذ بعد أن تسلم هذا الرجل حلب أصبح هذا البلد مركز التعبئة الحربية ضد البيزنطيين، وأصبح المركز العلمي والأدبي مدة طويلة. فد كان عصر سيف الدولة وأولاده عصر أدب جم، وعلم يانع، وثقافة زاهرة. وكان هو أبعد الناس شهرة في خدمة العلماء والأدباء فأفاض عليهم من وابل الغزير ما جعلهم في موضع غبطة عند العلماء والأدباء الآخرين، في بقية أبلطة الممالك الإسلامية وهو كما يقول الثعالبي فيه «مقصد الوفود ومطلع الجود ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء، لم يجتمع بباب أحد من أمراء عصره ما اجتمع ببابه من شيوخ الأدب ونجوم الشعر وكواكب العلماء. إذ كان من شعرائه الزاهي البغدادي، والمتنبي، وكشاجم، وأبو فراس وغيرهم، ومن أدباء بلاطة ابن خالويه، وابن جني وغيرهما ومن الفلاسفة الفارابي وغيره. وكان مجلسه حافلاً بأمثال هؤلاء يأتونه من كل فج وصوب من العراق والشام ومصر وغيرها، وهو يوصل معروفه إلى أرياب العلم والأدب في بغداد وغيرها من النواحي الإسلامية، وله صنف أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني، وله اختار مجموعة شعرية تحوي عشرة آلاف بيت أبو محمد الفياض الكاتب. وكان سيف الدولة وبنوه أصحاب ذوق أدبي، وفهم شعري لا يقل عن هؤلاء الذين يرتادون مجالسهم. نعم هذا العصر والدور الذي حل فيه حلب رب أسرة بني زهرة وجددهم الأعلى العالم الكامل الشاعر الجزل ممدوح أبي العلاء المعري أبو إبراهيم محمد الحراني، جاءها من حران فبجلوه وعظموه وأحلوه المحل

اللائق به وجعلوه نقيباً للعلويين في حلب وأطرافها فكانت أول نقابة طالبية هناك وبه أصبحت حلب ذات صبغة فقهية علوية أوسع مما كانت قبل.

٢ - النقابة ومنزلتها وشروطها:

كانت نقابة الأشراف ذات أهمية كبرى عند الخلفاء العباسيين وملوكهم وكان لها تأثير كبير في تربية البيوتات الشريفة، وإصلاح أحوالها، وتدبير شؤونها مما أدى إلى إجلال الناس لهم واحترامهم وتعظيمهم، بل وضعهم بالمكان اللائق بشرف محتدهم وقداسته نسبهم، واقتداء الناس بهم في أمورهم الدينية واقتفاء أثرهم في فعل الخيرات، فنفذت كلمتهم على الخاص والعام، وخضعوا لهم بالطاعة والقبول ولما كانت هذه الأسرة التي أتكلم عنها تولت النقابة حوالي ثمانمائة سنة تقريباً في حلب وأطرافها رغبت قبل البحث عنها في شرح بعض خواص النقابة وشروطها ومنزلتها. وقد اعتمدت في أغلب ما أنا ذاكره هنا على الماوردي في الآداب السلطانية. وموجز ما قال هذا الفقيه الفاضل: أن النقابة على الأشراف لا تصح إلا من إحدى جهات ثلاث إما من الخليفة المستولي على كل الأمور، وإما عمن فوض إليه الخليفة التدبير، وإما من نقيب عام استخلف نقيباً خاصاً، فإذا أرادت هذه الجهات نصب نقيب على الطالبين أو على العباسيين يختار منهم أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً وانفذهم إرادة.

والنقابة على ضربين خاصة وعامة، أما الخاصة فتقتصر على مجرد النقابة من غير تجاوز إلى حكم أو إقامة حد وحينئذ لا يكون العلم معتبراً في شروطها، وإنما يلزمه فيها شروط أخرى منها: (١) حفظ الأنساب، (٢) معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى فيثبت عنه، (٣) أن يفهم عن المآثم والمنكرات، (٤) أن يأخذهم بالآداب التي تضاهي شرف نسبهم، (٥) أن ينزّههم عن المكاسب الدنية، (٦) أن يمنعهم عن التسلط على العامة والدالة عليهم، (٧) أن يكون لهم عوناً في استيفاء حقوقهم، (٨) أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى، (٩) أن يمنع أيامهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء، (١٠) مراعاة وقوفهم وحفظ أصولها وتنمية فروعها.

أما النقابة العامة فيزاد على ذلك: (١) الحكم بينهم فيما تنازعوا عليه، (٢) الولاية على أيتامهم فيما ملكوه، (٣) إقامة الحدود عليهم، (٤) تزويج أيامهم اللائي لا ولي لهن أو لهن ففضلهن، (٥) إيقاع الحجر على من سفه. وفكه على من رشد. وحينئذ يصير بهذه الخمسة عام النقابة ويشترط أن يكون هذا عالماً مجتهداً ليصح حكمه وينفذ قضاؤه؛ وهذا الذي ذكرناه عن النقابة هو ما كانت عليه الخلافة العباسية وما بعدها حتى العصر التركي أما في عصرنا هذا فقد درست هذه الوظيفة ولم يبق منها إلا الاسم يتناقلونه بالوراثة وإن كانوا في غباوة وجهل ومجون.

٣ - نسب هذه الأسرة وكيف نشأت حتى وصلت إلى حلب:

بنو زهرة ويقال لهم الإسحاقيون نسبة لجدهم إسحاق المؤتمن بن الإمام جعفر الصادق. وانتقل أحد جدودهم وهو محمد بن الحسين بن اسحق من المدينة إلى الكوفة ثم انتقلوا إلى

الري ومنها انتقلوا إلى حران. ومن حران انتقل جدهم أبو إبراهيم محمد إلى سعد الدولة بن حمدان في حلب وهناك تضرعت هذه العشيرة وعرفت بهذا الاسم. وجمهور عقب إسحاق ينتهي إلى الشريف أبي إبراهيم محمد هذا، قال الشيخ النسابة أبو الحسن العمري كما في عمدة الطالب: كان أبو إبراهيم ثيباً عاقلاً ولم تكن حاله واسعة فزوجه أبو عبد الله الحسين العلوي بنته، وكان هذا متقدماً بحرّان مستولياً عليها، وقوى أمر أولاده فاستولوا على حرّان وملكوها فأمد أبو عبد الله أبا إبراهيم فنبغ وتقدم، وخلف أولاداً فضلاء وعقبه من رجلين أبي سالم محمد جد بني زهرة وأبي عبد الله جد بني حاجب الباب ومن جعفر هذا أولاد عديدون منهم شرف الدين الفضل بن يحيى بن جعفر بن أبي تراب العالم الحافظ لكتاب الله والحاجب بباب النوبي بدار الخلافة ببغداد. ومنهم أبو إبراهيم بن جعفر وكان فارساً شاعراً جليلاً وله أعقاب. ومنهم العالم أبو علي المظفر صاحب كتاب صرف المعرة عن شيخ المعرة تعصب فيه لأبي العلاء المعري ودافع عنه ومنهم زين الدين علي بن محمد نقيب حلب. ولهؤلاء بقية في حلب والخابور وحران.

٤ - بنو زهرة وأقوال المؤرخين فيهم:

نشأ بنو زهرة من أبي سالم محمد كما قلنا وزهرة هو أبو الحسن العالم الفقيه ابن أبي المحاسن علي بن أبا سالم وهم بحلب سادة نقباء فقهاء علماء متقدمون ذوو وجهة منذ جدهم أبي إبراهيم أو لنقيب تولى النقابة من قبل سعد الدولة وكان شاعراً أديباً فاضلاً راسل بقصائد منها القصيدة التي أولها:

غير مستحسن وصال الغواني	بعد ستين حجة وثمان
فَصُنْ النفس عن طلاب التصابي	وازجر القلب عن سؤال المغاني
إن شرخ الشباب بدله شيئاً	وضعفاً مقلب الأعيان

ومنها:

كان علم مفروق في البرايا ^(١)	جمعت له معرة النعمان
فهزت هذه القصيدة أبا العلاء المعري فأجابه بقصيدته الخالدة المشهورة التي أولها:	
عللاني فإن بيض الأماني	فنيث والزمان ليس بفاني
وقد أطل في القصيدة مدح أبي إبراهيم وعظمه تعظيماً لأنقابه ومنها قوله فيه مادحاً له:	
يا ابن مستعرض الصفوف ببدر	ومبيد الجموع من غطفان
والشخوص التي خلقت ضياء	قبل خلق المريخ والميزان
وافق اسم ابن أحمد اسم رسول	الله لما توافق الغرضان
وجرت في الأنعام أولاده الستة	مجرى الأرواح في الأبدان

(١) تجد أغلب هذه القصيدة في كشكول الشيخ البهائي فراجعها هناك إن شئت.

فهم السبعة الطوالع والأصغر	منهم في رتبة الزيرقان
قد أجبتنا قول الشريف بقول	وأنبنا الحصى عن المرجان
أطربتنا الفاضله طرب العش	ساق للمسمعات بالألحان
ما امرؤ القيس بالمصلى إذا جا	راه في الشعر بل كسبت الرهان
فاقتنع بالروى والوزن منى	فهمومي ثقيلة الأوزان
بان للمسلمين منك اعتقاد	ظفروا منه بالهدى والبيان
وحدود الأيمان يقبسها م	نك ويمتاحها أولو الأيمان
عش، فداء لوجهك القمران	فهما في سناه مستصفران

وقال أيضاً في سقط الزند مجيباً أبا إبراهيم الشريف جد بني زهرة عن قصيدة أرسلها له غير هذه المتقدمة وله مراجعات أخرى له لذلك لقب بممدوح أبي العلاء. وقال العلامة الأمين في الجزء التاسع من الأعيان: بنو زهرة ينسبون إلى زهرة بن علي حفيد محمد الممدوح لأبي العلاء ويقال لهم الأسحاقيون. وقال في تاج العروس: بنو زهرة سادة نقباء علماء فقهاء محدثون وفي هذا البيت كثرة ثم عدّ منهم^(١) جماعة. وقال أبو عبد الله محمد سراج الدين الرفاعي في كتابه صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطميين الأخيار ومنهم الشريف أبو إبراهيم الحراني ممدوح أبي العلاء وعقبه من رجلين ولهم بقية بحلب وحران والخابور. وهم بيت فضل وإمارة وملك وعلم ومجد وسيادة وقال الذهبي (بنو زهرة بحلب كانوا بيت علم ونظم ونثر وكتابة ورئاسة ومكارم أخلاق وحشمة). وقال الرضوي الحنبلي في درر الحلب في تاريخ حلب (قال لي والدي كان أهل حلب كلهم حنفية حتى قدم لهم شخص من العراق «الأولى» من حران) فظهر فيهم التشيع وظهر مذهب الشافعي لأنهم كانوا يتسترون بمذهبه فقلت من هو قال الشريف أبو إبراهيم ... وقال الغزي الحلبي في نهر الذهب (... وفي أواخر أيام سيف الدولة وفد من حران رجل يقال له أبو إبراهيم محمد الممدوح وهو جد بني زهرة الذين هم نقباء حلب وسراة رجالها فظهر^(٢) حينئذ التشيع في حلب ونشأ مذهب الإمام الشافعي ولم تزل الشيعة في تصلبهم حتى حل عقيدتهم

(١) قال في تاج العروس: في مادة بني زهرة: وأعقب زهرة بن أبي سالم علياً والحسن بن علي الشريف أبو المكارم قال ابن النديم في تاريخ حلب كان حقيهاً أصولياً على مذهب الإمامية وقال ابن سعد الجواني: الشريف الطاهر أبو المكارم ولد في سنة (٥١١) ومن ولده الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة تلميذ الذهبي توفي (٧٣٥) ومن ولده محدث الشام الحافظ كمال الدين محمد بن حمزة ابن أحمد بن علي بن محمد تلميذ الحافظ بن حجر العسقلاني. وأما الحسن فمن ولده النقيب الكاتب أبو علي الحسن بن وهرة سمع بحلب من النقيب الجواني والقاضي أبي المحاسن بن شداد وكتب الإنشاء للملك الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين وتولى نقابة حلب وترجمه الصابوني في إكمال الأكمال وولده أبو المحاسن عبد الرحمن وأبو الحسن علي وسمعا الحديث مع والدهما وجدنا بدمشق. ومنهم الحافظ النسابة الشريف عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن نقيب حلب. وفي هذا البيت كثرة وأودعنا تفصيل أنسابهم في المشجرات فراجعها.

(٢) هذه نقطة لا يقرها التاريخ إذ التشيع كان في حلب قبل هذا الرجل بمدة طويلة.

وأبطل أعمالهم نور الدين الشهيد سنة (٥٤٢) ومن ذلك الوقت ضعف أمرهم غير أنهم ما برحوا يتجأهرون إلى انقراض الإسماعيلية في حدود الستمائة فأخفوا معتقداتهم ولم يزل في حلب عدة بيوت معلومة منهم وإن كان ظاهرهم الاستقامة (...) وقال الطباخ في موضع «المدارس في حلب» هي «المدرسة الزجاجية، أنشأها بدر الدولة أبو الربيع سليمان ابن عبد الجبار ارتق صاحب حلب ابتداء عمارتها سنة عشر وخمسائة ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون إذ كان الغالب عليهم التشيع فكان كلما بني فيها شيئاً نهاراً أخربوه ليلاً إلى أن أعياه ذلك فأحضر الشريف زهرة بن علي بن إبراهيم الإسحاق الحسني والتمس منه أن يباشر بناءها فكف العامة عن هدم ما يبنى فباشر الشريف البناء ملازماً له حتى فرغ منها.

٥ - رجال هذه الأسرة وما ألفوا وكتبوا منذ أبي المكارم حمزة بن علي ابن زهرة حتى عصرنا هذا؛

قلنا فيما مضى أن أول تقيب وعالم وأديب وشاعر تولى النقابة على الطالبين في حلب هو أبو إبراهيم ثم ابنه أبو سالم^(١) محمد ثم زهرة الذي تنسب إليه هذه العشيرة ثم ابن زهرة على الفقيه المحدث العالم وقد روى عنه ابنه أبو المكارم حمزة:

١ - حمزة بن علي بن زهرة التقيب الحسيني المولود عام (٥١١) كما نص عليه ابن سعد

الجواني؛

وقال الطباخ في أعلام النبلاء: الشريف حمزة بن زهرة الإسحاق الحسني المتوفى عام (٥٨٥) أبو المكارم السيد الجليل الكبير القدر العظيم الشأن العالم الكامل الفاضل المدرس المصنف المجتهد عين أعيان السادات والنقباء بحلب صاحب التصانيف الحسنة والأقوال المشهورة له عدة كتب وقبره بحلب بسفح جبل جوشن عند مشهد الحسين له تربة معروفة مكتوب عليها اسمه وأبأوه إلى الإمام الصادق وقد أبقت أيدي الزمان قبر المترجم في تربة بني زهرة وقد كانت تلك التربة مردومة فاكتشفت عام (١٢٩٧) وأحاط المرحوم جميل باشا ما بقي من هذه التربة بجدار حفظاً لها وقبر المترجم ظاهر فيها وعلى أطرافه كتابة حسنة الخط وهذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم هذه تربة الشريف الأوحى الطاهر ركن الدين أبي المكارم حمزة بن علي (يذكر الأسماء إلى الصادق ع) وكانت وفاته في رجب (٥٨٥) انتهى ما ذكره الطباخ أما مؤلفاته: فهي «غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع» وقد طبعت في إيران ضمن المجموعة الثمينة «الجوامع الفقهية» قيس الأنوار. نقض شبه الفلاسفة. جواب المسائل البغدادية الرد على المنجمين. عدد من الرسائل الصفار: منها المسألة الشافية في الجواب الوارد من الجبل. مسألة نفي الرؤية واعتقاد الأمامية ومخالفهم. مسألة في نظر الكامل على انفراد كاف في تحصيل المعارف العقلية. مسألة في الرد على من قال في الدين بالقياس مسألة في الرد على من زعم أن الوجوب والقبح لا يعلمان إلا بالسمع، كتاب

(١) لم أشر على ترجمته مفصلاً حتى الآن، وكذلك ترجمة ابن زهرة.

النكت في النحو. كتاب إباحة المتعة. الجواب عما ذكره وأرسله مطران نصيبين. جواب الكتاب الوارد من حمص. إلى غير ذلك من الرسائل والكتب العديدة وجميعها رواها عنه ابن أخيه الشريف محي الدين محمد وذكرها صاحب أمل الآمل في إجازته نجده وقد روى عنه شاذان بن جبرئيل الفقيه القمي والشيخ معين الدين المصري والشيخ محمد جعفر المشهدي صاحب المزار الكبير وقال ابن إدريس الحلبي في السرائر شاهدته وكاتبته وكاتبني. وقد أخذ عنه ابن إدريس في السرائر وناقشه في جملة آراء. وفي زمن عماد الدين صاحب حلب بعد نور الدين زنكي ثار شيعة حلب على أميرهم عماد الدين فخضع لشروطهم على أن يساعده في رد صلاح الدين عن حلب وكان من جملة مشروطهم أن يرجع في أمر العقود والأنكحة إلى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة فقبل ذلك وقد فصل ذلك ابن كثير في تاريخه وفي سنة (٥٧٩)، حاربهم صلاح الدين فسلم البلد صلحاً أميرها عماد الدين وكان أبو المكارم داخل البلد.

٢ - عبد الله بن علي أخو أبي المكارم حمزة:

قال في أمل الآمل هو عالم فاضل فقيه ثقة يروي عنه ولده محي الدين محمد وجماعة وله مصنفات عديدة منها: التجريد للفقهاء. الغنية عن الحج والأدلة. جواب المسائل القاهرة. جواب سؤال ورد من مصر في النبوة. كتاب التبيين. جواب المسائل البغدادية. جواب سؤال ورد عن الإسماعيلية. كتاب تبين الحجة. جواب سائل سأل عن العقل. إلى غير ذلك مما ذكره الحر العاملي.

٣ - الحسن بن زهرة المتوفى (٦٢٠) وأحمد بن زهرة المتوفى (٦٥٣) صاحب المدرسة النقيبية:

قال في الأعلام: أبو علي الحسن بن زهرة النقيب رأس الشيعة بحلب وعينهم وجاههم وعالمهم كان عارفاً بالقرآن والعربية والأخبار والفقه على رأي القوم وكان معيناً للوزارة بعث رسولاً إلى العراق وغيرها وانتكبت الشيعة بموته انتهى: أقول وقد كانت النقابة في زمن أبي علي هذا بيد أحد أقاربه الشريف أحمد ابن زهرة وله مدرسته المشهورة المعروفة بالمدرسة النقيبية أسسها في حلب وأوقف عليها من ماله أوقافاً كثيرة فكانت موئل العلم للشيعة والشافعية وغيرهما وبقي هو نقيباً حتى عزله الملك الظاهر غازي وولى النقابة أبا علي الحسن بن زهرة فذاع صيته وبقي فيها حتى توفي عام (٦٢٠).

٤ - الحسن بن علي بن زهرة المتوفى عام (٧١١):

نقيب الأشراف بحلب وقد أثنى عليه ابن حبيب في تاريخه وكان عالماً فاضلاً تجاوز السبعين وهو أخو حمزة والد علاء الدين. والحسين بن علي بن زهرة نقيب الأشراف مات بحلب بعد عودته من الحج عام (٧١١)^(١).

(١) ذكره في أعيان الشيعة ١٠١/٦ ونسبه كما يلي: شمس الدين حسن بن علي من الحسن أو الحسين بن زهرة الحسيني الحلبي الإسحاق الحسيني وأعاد ذكره في ١١١. ١١٠/٦ نقلاً عن الرياض والعسقلاني (محمد سعيد الطريحي).

٥ - الحسن بن محمد بن زهرة بدر الدين:

نقيب الأشراف وناظر المارستان بحلب قتل غيلة عام (٧٣٢).

٦ - محمد بن الحسن بن زهرة المتوفى (٧٣٩):

ويلقب أيضاً ببدر الدين أثنى عليه ابن حبيب ومدحه وكان وكيل بيت المال بحلب ونقيب الأشراف فيها وقد ذكره ابن الوردي في الذيل في حوادث (٧٣٩) من النسخة المطبوعة فقال توفي السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة نقيب الأشراف ووكيل بيت المال بحلب ومن الاتفاق أنه مات في اليوم الذي ورد فيه الخبر بعزل ملك الأمراء علاء الدين عن نيابة حلب وكانت بينهما شحنة في الباطن فقلت:

قد كان كل منهما يرجو شفا أضفانه
فصار كل منهما مشغولاً بشانه

وكان حسن الشكل وافر النعمة معظماً عند الناس شهماً ذكياً الخ ما ذكره ابن الوردي. قال العلامة السيد محسن الأمين ناقلاً عن رياض العلماء: قد يطلق ابن زهرة في كتب الفقه على حمزة بن علي صاحب «غنية النزوع» وقد يطلق على أخيه عبد الله بن علي صاحب الغنية عن الحج والأدلة وقد يطلق على ابن أخيه السيد محي الدين أبي المحامد أستاذ المحقق وتلميذ أبيه وابن شهر آشوب وقد يطلق على السيد أبي طالب أحمد بن القاسم ابن زهرة تلميذ الشهيد وعلى أبي طالب أحمد بن محمد الذي هو من مشايخ الشهيد وقال في أمل الأمل السيد أحمد بن القاسم بن زهرة الحسيني عالم فاضل جليل، يروي عن الشهيد وقال السيد جمال الدين الحسن بن محمد بن إبراهيم بن زهرة كان عالماً فاضلاً جليلاً القدر ومن تلامذة العلامة الحلبي وقال: أبو عبد الله الحسين بن علي بن إبراهيم بن زهرة كان فاضلاً فقيهاً جليلاً القدر روى عن العلامة واستجازاه وقال: محمد بن عبد الله ابن زهرة ألف له وبالاتماسه علي بن بن طاووس كتاب «روح الأسرار وروح الأسرار». وقال: السيد علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن زهرة فاضل فقيه جليل القدر يروي عن ابن أحمد العاملي. وقال: محمد بن إبراهيم بن محمد بن زهرة كان من علماء السادات وسادات العلماء من لامذة العلامة الحلبي.

وأنت بعد الإطلاع على هذا الذي ذكرناه هنا تعرف أن بني زهرة في هذا الدور أخذوا ينتقلون من حلب إلى جبل عامل وإلى الحلة مركز علماء الشيعة حينذاك وإلى غيرها من المدن طلباً للعلم واتصالاً بأهله.

٧. علي بن حمزة بن زهرة المتوفى (٧٥٥):

قال في الأعلام: هو علي بن حمزة بن الحسن بن زهرة بن الحسن علاء الدين أبو الحسن نقيب أشراف حلب ذكره الأمام ابن حبيب في تاريخه قال «ماجد». شرف محتده واتسع معهده. وطاب نجاهه. وارتفع مناره كان رئيساً سعيداً وكاتباً مجيداً وعارفاً وخبيراً وحاكماً على الشرفاء أميراً وافر الحرمة ظاهر النعمة ذا ثروة وعقار وجمالة ووقار وخول وخدم وقدم راسخة في السعادة

وقدم. أقام بالقاهرة وكتب في ديوان إنشائها وياشر وكالة بيت المال بحلب واستمر يتفياً من العز ظله الوريث إلى أن قيل له قدحان الحين. توفي سنة (٧٥٥) عن نيف وسبعين سنة كما في الدر المنتخب انتهى. أقول وهو الذي كتب له العلامة الحلي إجازته المعروفة بإجازة بني زهرة الكبرى الموجودة في الجزء السادس والعشرين من البحار نقلها المجلسي كلها في باب الإجازات قال العلامة الحلي في جملة مقدمتها ... وبلغنا في هذا العصر ورود الأمر الصادر من المولى الكبير والسيد الجليل الحسيب النسيب سليل الأنجم الزاهرة ... الجامع بين مكارم الأخلاق وطيب الأعراق أفضل أهل عصره على الإطلاق دلاء الملة والحق والدين أبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن بن أبي المحاسن زهرة ... أيده الله بالعنايات الألهية وبالسعادات الربانية متضمن طلب إجازة صادرة من العبد له ولأقاربه السادات الأماجد المؤيدين من الله في الصادر والوارد وأجوبة عن مسائل دقيقة لطيفة ومباحث عميقة شريفة فامتثلت أمره رفع الله قدره وبادرت إلى طاعته وإن استلزمت سوء الأدب ... وإلا فهو معدن الفضل والتحصيل ... وقد أجزت له أدام الله أيامه ولولده المعظم والسيد المكرم شرف الملة والدين ابن عبد الله الحسين ولأخيه الكبير الأماجد والسيد المعظم المجد بدر الدين محمد ولولديه الكبيرين أبي طالب أحمد أحمد أمين الدين وأبي محمد عز الدين حسن. عضدهما الله بدوام أيام مولانا أن يروى هو وهم عنى جميع ... الخ.

٨ - السيد التحرير العالم المعظم محي الدين والملة أبو المحامد نجم الإسلام محمد ابن عبد الله بن علي بن زهرة صاحب كتاب الأربعين في حقوق الأخوان الذي نقل منه الشهيد الثاني في كشف الريبة وجامع رسالة الإمام الصادق إلى النجاشي والي الأهواز وقد تقدمت إليه الإشارة في كلام رياض العلماء.

٩. علي بن محمد بن زهرة:

قال في الأعلام: سيد نسبه عريق وفرع أصله وريق ... ذو حشمة زائدة وصلة منافعها على الطالبين عائدة وميل إلى فعل الخير وركون إلى التمسك بأفنان عز العزلة. ولي نقابة الأشراف بحلب فشرف قدرها وثمر وقفها وضبط أمرها واستجلب أدعية السادة من أقبائه ولم يبرح على المنزلة إلى أن لحق بالسالفين أولياء الله. توفي بحلب عام ٧٦١ وفيه يقول الأديب زين الدين بن خضر السخاوي من قصيدة:

بني حسين تولى أمركم رجل	يرضي أباكم علياً في الوته
ورثاه الأديب عز الدين أبو علي العباس بقصيدة منها:	
تعضت رسوم المجد بعد عليها	وأصبح صبح الجود كالليل مظلماً
وراح لسان الحمد في كل وجهة	عن النطق مشغول السريرة أبكما
إلى آخر الشعر والقصائد التي نقلها عن الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية.	

١٠ - محمد بن علي بن زهرة بدر الدين:

نقيب الأشراف في حلب ولد بالقاهرة وقدم حلب بعد موت أبيه فباشر الوظيفة إلى أن مات عام ٧٦٢ وقد تقدمت الإشارة إليه في كلام رياض العلماء.

١١ - حسن بن محمد بن زهرة:

الملقب بشمس الدين الحلبي الحسيني نقيب أشراف حلب وأمير الطبلخانة قال في الكشف: «نفائس الدرر في فضائل خير البشر، لحسن بن محمد الحسيني النساب الحلبي ابن زهرة المتوفي ٧٦٦ ذكره في طبقات الأنساب العشرة وأرخه ابن حبيب انتهى عن الإعلام. وأقول اشتهر هذا الرجل بين بني زهرة بعلم الأنساب وأظن أنه صاحب كتاب «غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، المطبوع في مصر باسم تاج الدين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد المحسن بن الحسن بن زهرة. ومن يطالع هذا الكتاب يعرف أنه ليس من تأليف تاج الدين هذا المتوفى ٩٢٧ وإنما هو تأليف رجل من بني زهرة عاش بين ٦٨٠ إلى ٧٥٣ حسب الحوادث التي ينقلها هناك ونظن أنه عاش حوالي ٧٦٦ وهي وفاة المترجم له. لذلك أظن أن تاج الدين هذا كان يملك هذا الكتاب وهو أيضاً نسابة ولديه بحر الأنساب لصاحب العمدة ابن عنبه فزاد هذا عليه شيئاً وغير وبدل وأظهره للناس فظنوا أنه من تأليفه ونسبه إليه المعاصرون له وجاء الطباعون فطبعوه باسمه من دون تحقيق. وظهر أن المؤلف له جاء إلى العراق واتصل بالوزير أبي محمد الحسن بن نصير الدين الخواجه الطوسي فالتمس منه أنه يؤلف له كتاباً في أنساب السادة العلويين. نحن نعرف أن بني زهرة أكثروا التردد على العراق في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للاتصال بعلماء الشيعة وأخذ الإجازات عنهم والدراسة عليهم ولا يبعد أن يكون المترجم له والمؤلف من أولئك ثم رجع إلى حلب وبقي كتابه بين كتب بني زهرة حتى أظهره تاج الدين فتسبه الكتاب إليه على علته غلط فظيع وسنعيد الكلام في ترجمة تاج الدين النقيب.

١٢ - أحمد بن محمد بن زهرة المتوفى في (٧٧٨):

قال في الإعلام: «هو نقيب الأشراف بحلب وكاتب الإنشاء فيها واحد أعيانها سؤدداً ورئاسة وكرماً وفضلاً مع رياضة أخلاق وتواضع وإحسان لمن يرد عليه ولم يزل على ذلك إلى أن مات بحلب، وترجمه في الدرر الكامنة وقال أنه ولد عام ٧٠٠ تقريباً وكان حسن الطريقة جميل الأخلاق وقال في أمل الأمل كان عالماً فاضلاً جليلاً من مشايخ الشهيد وقد أشار إليه صاحب الرياض كما تقدم وقال أنه من مشايخ الشهيد.

١٣ - محمد بن زهرة المتوفى عام (٧٧٩):

قال في الأعلام: كان فاضلاً بليغاً سافر إلى بلاد العجم وأخذ عن علماء عصره لقي جماعة ببلاذ خراسان ووراء النهر ثم رجع إلى حلب فأقام بها وكان ذا أدب وفصاحة وسمع من الفقيه حدث المفسر شمس الدين ابن عبد الله محمد بن الحسن الفيروز أبادي وحدث بحلب، ومن نظمه:

أبا سالم اعمل لنفسك صالحاً
وما لي سوى حب النبي واله
فما كل من لاقى الحمام بسالم
يقيني يقيني بارك الله راحمي
أقول ولدى العلامة الشهرستاني (هبة الدين) في مكتبته مجلد مخطوط من تحرير العلامة
كتب في أواسط القرن الثامن وفي آخره إجازة كتبت بقلم ويخط محمد بن زهرة تأريخها ٧٧٥ ويظهر
لي أنها خط المترجم له إذ تناسب عصره ودقته وهي بخط غير منقط تشبه خط العلامة أستاذه.
١٤ - أحمد بن زهرة المتوفى عام (٧٩٥):

كان عالماً فاضلاً جليلاً من السادة النقباء. وقد أجازته فخر الدين ولد العلامة الحلبي وقد
ذكر هذه الإجازة المجلسي بمجلد الإجازات الأخير وهي المعروفة بإجازة بني زهرة الصفري قال
في الإجازة: أحمد الله. أجزت لمولانا السيد الطاهر الأعظم مضخر آل طه وياسين سيد الطالبين
شرف الأسرة النبوية فخر العزة العلوية الإمام الأعظم أفضل علماء العالم أعلم فضلاء بني آدم
أمين الدين أبي طالب أحمد بن محمد بن زهرة الحسين المذكور في هذه الإجازة أعز الله نصره
أن يروي جميع ما في هذه الإجازة من كتب أصحابنا ورواياتهم وجميع المشايخ في هذه الأوراق
عني وعن والدي بالطرق المذكورة فليرو ذلك من يشاء وأحب فهو أهل لذلك وكتب محمد بن
الحسن بن يوسف بن المطهر في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة
والحمد لله.

قلت وكان هذا الشريف جم الأخلاق محبوباً عند الخاصة والعامة مماشياً لأهل دولته على
عادة أغلب بني زهرة حتى قال في الإعلام نقلاً عن درر الحبيب أنه لم يضبط عليه في حق أحد ما
يكره وذكر عنده مرة أبو بكر فقال أبو بكر جدي يشير إلى أن جعفر الصادق جده الأعلى كانت أمه
من ذرية أبي بكر.

١٥ - أحمد بن أحمد بن محمد بن زهرة المتوفى (٨٠٣):

قال الرضي الحنبلي في درر الحبيب هو نقيب الأشراف وابن نقيبهم وابن أخي نقيبهم ووالد
نقيبهم وسبط الإمام الجمالي نشأ بحلب فحفظ القرآن واشتغل كثيراً في النحو وغيره على
شيوخ وقته كأبي عبد المعز بن الضيرير وسمع على جده لأمه والقاضي ناصر الدين بن النديم
وحدث وسمع منه جماعة منهم البرهان الحلبي وابن خطيب الناصرية مؤرخ حلب والبهاء بن
المصري. وروى عنه شيخنا بالإجازة ... وكان أوحده وقته زهداً وورعاً وصيانة وعفة ... استقر في
النقابة بعد والده ... وانضد برئاسة حلب حتى كان قضاتها وأكابرها يترددون إليه ولا يردون له
كلمة كل ذلك مع مشاركة جيدة في الفضل ويد في العربية ونظم جيد ونثر رائق وحسن محاضرة
في أيام الناس والتاريخ وحلاوة حديث وهو من حسنات الدهر (وهناك ذكر له شعراً). وقال البرهان
الحلبي في ترجمته: نشأ نشأة حسنة وقال لي أنا أقدم مصالح الناس على مصلحتي وكان أديباً
بليغاً كاملاً لم أربح حب أكثر أديباً ولا أحشم منه لا من الأشراف ولا من غيرهم. مات سنة ٨٠٣
ودفن قرب حلب ثم نقل إليها ودفن في مقبرة بني زهرة.

١٦ - علي بن زهرة المتوفى عام (٨٠٣)؛

من بيت جلالة وشهرة وكان إنساناً لطيفاً حسناً باشر الإنشاء بحلب وعد من الأعيان حتى عين ناظر الجيش فيها ولما عاقب الثناء الناس أمسكوه ثم أطلقوه ومات بعد ذلك بيسير ونقل إلى مقبرة أجداده.

١٧ - فاطمة الحسينية من آل زهرة؛

بنت النقيب أحمد بن محمد النقيب سمعت الحديث الكثير عن جدها وأجاز لها جماعة وحدثت بحلب وسمع منها ابن خطيب الناصرية وقال عنها كانت عاقلة دينة ماتت سنة ٨١٣.

١٨ - بدر الدين محمد بن أحمد؛

الرئيس الفاضل نقيب الأشراف وابن نقيبها وكاتب السربها وكان عالماً طبيباً يستحضر طرفاً من التاريخ ويذاكر به ولي النقابة بعد أبيه ثم ولي كتابة السر من قبل المؤيد ولما جاء الطاعون إلى حلب عام ٨٢٥ توفي به ودفن عند سفح جبل جوشن مع أجداده.

١٩ - حليلة الحسينية من آل زهرة؛

وهي المستدة الفاضلة بنت عز الدين نقيب الأشراف بحلب توفيت هذه الشيخة المحدث العالمة بحلب ودفنت عند أجدادها.

٢٠ - أحمد بن عبد الله القاضي شهاب الدين بن زهرة المتوفى في (٩١٥)؛

كان جواداً فياضاً مقدماً منطقياً إذا أخذ في الكلام أمام الحكام. ولي قضاء الفوعة خارج حلب ثم عاد منها فصار في الديوان عند وكلاء السلطان إلى أن مات ودفن في قرية بني زهرة. بمقبرة جده أبي المكارم وله ترجمة طويلة في اعلام النبلاء راجعها إن شئت.

٢١ - تاج الدين بن زهرة المتوفى عام (٩٢٧)؛

هو أحمد بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن زهرة الحسيني الحلبي الإسحافي ثم الفوعي كان شيخاً كبيراً معمرأً رحل إلى بلاد العجم وحصل بها جانباً من العلم والمال وبقي بها غائباً عشرين سنة وعنى بعلم الأنساب فكان نسابة عارفاً جداً بها وكان لديه كتاب بحر الأنساب لصاحب العمدة ابن عنبه وكان لأهل الفوعة فيه مزيد اعتقاد، وقد أشار إليه في تاج العروس ضمن بني زهرة وأشار إلى تضلعه بالنسب؛ وهذا المترجم له المنسوب له كتاب غاية الاختصار ونحن كما ذكرنا سابقاً في ترجمة الشريف من بن محمد المتوفى في ٧٦٦ وهو الوقت المناسب لحوادث الكتاب المتفرقة فيه في أوله يقول: (.... الباعث الذي حداني على هذا الكتاب أني وردت إلى مدينة سلام صعبة الحضرة السلطانية (يريد سلطان التتر) ورأيت الوزير الأعظم ملك أفاضل الحكماء قدوة أمثل العلماء عضد الوزارة أصيل الحق والدين الحسن بن مولانا الأعظم إمام العلماء وسيد الوزراء نصير الحق والدين ... حضرت عليه مجلسه الأرفع. قال لي أريد أن تضع لي كتاباً في النسب العلوي يشتمل على أنساب بني علي فأجبته السمع والطاعة ...) وهو يذكر الفتنة

التي وقعت بين الحسينية والداودية ويقول كنت يومئذ بالحلة سنة ٦٩٥ ويقول أيضاً ولا تزال عمارة عضد لدولة البويهية الضريح العظيم للإمام علي باقية إلى وقتنا هذا سنة ٧٥٣ وهذا يدلنا على أنه ليس لتاج الدين هذا المترجم له ولربما زاد عليه شيئاً ونشره أو زاد عليه غيره كما هو الظاهر ونشره واسمه خطأ ولعلنا نعثر على نسخة خطية تصحح هذا الخطأ وإلا فالكتاب ليس له. والذي دفعنا إلى الظن إلى أنه للشريف حسن على رغم ما فيه من الزيادات هو أننا لا نعرف نسابة في بني زهرة غيره وهو أحد أجداد تاج الدين ومناسب لعصره والمؤلف يصرح بأنه من أسرة بني زهرة، فنقول إذا بهذا القول حتى يظهر غيره.

وينو زهرة كثيرون ومتشابهة أسماؤهم وقد أهمل المترجمون لهم جملة من أسمائهم حتى إن ما يذكره مترجمو الشيعة منهم يختلف عما يذكره غيرهم من مترجميهم وهذا مما أوجب اضطراب أسمائهم وأحوالهم وأجدادهم ولقد رأيت من الصعوبة شدة حينما كنت أحاول فهم الاسم الذي يذكره مثلاً صاحب أمل الأمل لأطابقه مع الاسم الذي يذكره صاحب أعلام النبلاء الذي يكاد يكون المرجع الوحيد في استيعاب جملة منهم على توالي الزمن واختلاف القرون.

٢٢ - شرف الدين بن علي بن حمزة بن زهرة المتوفى في (٩٣٢):

ترجم له في الأعلام مفصلاً ... ثم قال وجعل ناظراً على دواوين خير الدين كافل حلب ولما آل أمر خير الدين إلى إمارة القاهرة ولأه عناية بنذر جدة ثم عزل فدخل مصر ... ثم عاد إلى مكة وتوفي هناك.

٢٣ - عبد الله بن أحمد شرف الدين المتوفى (٩٣٢):

كان جواداً فياضاً عالماً ولي قضاء الفوعة وكان في أول قضائه بها في الدولة الجركسية مقرباً معظماً عند خير الدين كافل حلب ثم ترك بلده مع خير الدين وتوجه إلى القاهرة فتوفي هناك عام ٩٣٢.

٢٤ - أحمد بن يوسف الإسحاقى من آل زهرة توفي عام (٩٤٩):

هو نقيب الأشراف في حلب وابن نقيبها وكان رئيساً سخياً مترفعاً كثير النزهات ... وفي أواخر أيامه تحاشى عن النقابة فحوّلت لأحد أقاربه السيد شمس الدين النوبرة إلى أن توفي سنة ٩٤٩.

٢٥ - محمد بن نور الدين بن زهرة:

قال في الأعلام هو محمد بن نور الدين الحسيني الإسحاقى المشهدي أمير الأشراف بحلب والمشهور بالسيد شمس الدين نوبيرة ولد بحلب عام ٨٩٩ وتوفي في القرن العاشر وكان أبوه قيماً في المشهد الحسيني بحلب ومصارعاً انتهت إليه رئاسة المصارعين بها وأما هو فإنه اشتغل قليلاً بالعلم ونال فقهه ثم صار مدرساً وكان في كثير من الأوقات أثناء التدريس متكئاً على أحد شقيه لإستيلاء حب الراحة عليه انتهى: أقول وبعد هذا المترجم له انقطعت النقابة عن آل زهرة وتحولت بعد موته إلى محمد بن عبد القادر البيمارستاني وهو كما يقول الطباق في الإعلام أحد

جهلة الناس وعوامهم حصل النقابة بالرشوة والمال الذي حصله بالسرقة ثم يختم كلامه بقوله (... صار نقيباً للأشراف على رغم جهله وأنا لله وأنا إليه راجعون) وأنت حينما تلاحظ تراجم أواخر هذه الأسرة ترى الخمول والكسل والإعراض عن دقائق العلم والإكتفاء منه بشيء نزو فكان سبباً لنزول شهرتهم وفقد نقابتهم «ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

٢٦ - يوسف بن أحمد الحسيني الإسحاقى من بني زهرة:

قال في درر الحبيب هو الشريف أبو المحاسن الحسيني من بيت كبير لازمنا في بعض شروح الألفية لابن مالك والمغني والشمسية وتوضيح الأصول وقرأ علينا طرفاً من علوم الحديث والطب وولى قراءة الحديث بالجامع بحلب وكان يعظ الناس بعد قراءته وكذلك تولى المدرسة الصلاحية وفي الإعلام. توفي في أواخر القرن العاشر.

٢٧ - بهاء الدين بن زهرة توفي عام (١٠٢٤):

هو بهاء الدين بن زهرة الشريف الحسيني الضوعى ثم الحلبي توفي عام ١٠٢٤ ودفن عند جده أبي الكارم حمزة بسفح جبل جوشن وراء المشهد الحسيني. أقول هذا ما استطعت أن أجمعه من تراجم هذه الأسرة آخذاً من أعلام النبلاء (والغالب منقول عن درر الحبيب في تأريخ حلب لابن حبيب) ومن أمل الآمل للعامللي ومن رجال أبي علي ومن الإجازة الكبرى للعلامة ومن هنا وهناك أمثال ابن شهر آشوب في معالم العلماء والشيخ منتجب الدين ابن بابويه في فهرسته لكتب الشيعة وعلمائها المطبوع كله في الجزء الخامس والعشرين من البحار. وبعد مراجعة كتاب أعيان الشيعة للعلامة الأمين ظهر لي أن بني زهرة لا يزالون في الفوعة يسكنون هناك بعد تحولهم من حلب وأخذ أوقافهم وشدة الضنك عليهم من قبل الولاة وإليك ما جاء في الأعيان: «ولا تزال ذرية بني زهرة العلويين الشيعة في الفوعة إلى اليوم وهم رؤساء أجلاء مشهورون عند الخاص والعام إلا أنه ليس فيهم أهل علم في هذا الزمان وعندهم كتاب نسب جليل قديم عليه تواريخ نقباء حلب وقضائهم في كل عصر وجيل ومنهم في عصرنا الشريف الحاج حسن الشهير وولده الشريف نايف آغا الذي قتل في دار ضيافته بالفوعة والشريف الحاج عبد الهادي الذي زارنا مراراً في دمشق وكان معه كتاب النسب المذكور تشرّفنا برؤيته وأخبرني بعض بني زهرة المقيم الآن في حلب أنهم سعوا بعد الاحتلال الفرنسي لإرجاع أوقافهم التي لا تزال منبّة قيودها في سجلات الأوقاف باسم أسرهم وقد أخذت منهم بعد نزوعهم إلى الفوعة».



نظرة في مقالة بني زهرة

• الدكتور مصطفى حويل

لقد عبرت المقالة التي ترجمتها «بنو زهرة الحلبيون» للأستاذ الفاضل عبد الحميد الدجيلي فوجدت فيها إلى جانب فوائدها شيئاً يستوجب الإتمام والإيضاح وأموراً تستحق الاستدراك فأقول:

١ - ورد في ج ٣ ص ٢٣٠ لسنة ١٩٦٦ من مجلة الاعتدال في نسب أبي إبراهيم محمد العلوي الحراني وأعقابيه (منهم شرف الدين الأندلسي بن يحيى بن جعفر بن أبي تراب العالم الحافظ لكتاب الله والحاجب بباب النوبي بدار الخلافة ببغداد (ومنهم العالم أبو علي المظفر صاحب كتاب صرف المعرفة عن شيخ المعرفة) ولم يذكر الفاضل عصره لاقتصاره على ما في عمدة الطالب: قلت: إن أبا علي المظفر المذكور كان من كبار العلماء والأدباء ألف كتاب (نصرة الأغريص في نصرة القريض) قال حاجي خليفة في كشف الظنون إنه لأبي علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الحسيني المتوفى سنة ... ألفه للوزير محمد بن العلقمي ورتبه على خمسة فصول الأول في وصف الشعراء والثاني فيما يجوز للشاعر استعماله وما لا يجوز، الثالث في فضل الشعر ومنافعه، الرابع في كشف ما مدح به وذم، الخامس فيما يجب أن يتوخاه الشاعر ويتجنبه. وأتمه في سلخ جمادى الآخرة سنة (٦٤٢) اثنتين وأربعين وستمائة، أوله: الحمد لله الباهرة آياته القاهرة الخ.

ومن هذا الكتاب الجليل الذي يجب على كافي الآداب العربية طبعه نسخة في دار الكتب الأهلية ببائيس رقمها (٤٤٢٠ عربيات) ونسخة أخرى في دار الكتب الوطنية ببرلين رقمها (٧١٧٤ عربيات) وقد جاء في هذه النسخة الأخيرة تاريخ سنة (٦٥٠ هـ)^(١).

قال كمال الدين عمر بن العديم في كتاب المظفر العلوي المذكور الموسوم بصرف المعرفة عن شيخ المعرفة وإن لم يصرح باسمه (وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب، وضعه الشريف أبو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الإسحافي الحسيني، نزيل - بغداد - وهو من ولد الشريف أبي إبراهيم العلوي الحراني وأصله من حلب وكان أبوه حاجب الباب ببغداد. ورد هذا

(١) أصول التاريخ والأدب (مج ١٥ ص ١٩٨) و (مج ٣٠ ص ١٨٠).

الشريف علينا حلب زائراً أهله بها فذكر فيه قال: حدثني والدي. رضي الله عنه وأرضاه. يرفعه إلى ابن منقذ^(١) ولم تستطع لجنة الأدباء المصرية أن تعلق كلمة في ترجمة هذا السيد الجليل. وأغفل صاحب عمدة الطالب أخا المظفر محمداً وهو عز الدين أبو الفضائل محمد بن المفضل بن يحيى بن عبد الله العلوي الأديب، كان أديباً فاضلاً جميل السيرة حسن الشارة فصيح العبارة مليح الخط، رأى بعض الأدباء بخطه:

استودعُ الله أحباباً لنا سلفوا
أفناهم حادثات الدهر والأبد
نمدهم كل يوم من بقيتنا
ولا يؤب إلينا منهم أحد

وكانت وفاته في يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة ٦١٥ هـ في أيام شببته.^(٢)

٢ - وجاء في حاشية ص ٢٣٢ (قال ابن النديم في تاريخ حلب. وقال ابن سعد الجواني) وهذا منقول من تاج العروس، والذي أحفظه أن الأول (ابن العديم) وهو كمال الدين عمر الذي ذكرناه في الكلام على المظفر العلوي والثاني هو (ابن أبي محمد بن أسعد العلوي الجواني النسابة المشهور المعروف بالجواني مطلقاً). ونظن أن صيرورة ابن أسعد (ابن سعد) في تاج العروس من خطأ الطبع إلا أن الكاتب الفاضل لم ينتبه له فقال في ص ٢٣٣ (كما نص عليه ابن سعد الجواني) والصواب (ابن أسعد).

٣ - وورد في ص ٣١٢ من ج ٤ ذكر (الحسن بن زهرة) المتوفى سنة ٦٢٠ هـ قلت ذكره أيضاً الشيخ العالم الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن الشيخ علي بن محمد والمعروف بابن الصابوني قال مستدركاً على معين الدين محمد بن عبد الغني بن نقطة العالم المحدث المشهور ما نصه: (وذكر في باب زهرة بضم الزاي وإسكان الهاء بعدها راء مفتوحة) امرأتين وأغفل ذكر الشريف النقيب أبي علي الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن علي بن محمد العلوي الحسيني الإسحاقي النقيب الكاتب ويتعين عليه ذكره لأنه دخل بغداد واحترم بها لنسبه وفضيلته وشهرته، كتب الإنشاء للملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وتقدم عنده وولاه نقابة العلويين بحلب، وكان يكتب خطأ حسناً وعنده فضل وأدب وتفنن في علوم شتى وله معرفة بالقراءات والفقه والحديث والتواريخ وأخبار الناس ولديه من العربية واللغة طرف حسن وله نظم جيد وترسل بديع؛ سمع بحلب من النقيب أبي علي محمد بن أسعد الجواني النسابة والقاضي أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم والشريف أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي وغيرهم، مولده بحلب سنة أربع وستين وخمسائة وتوفي بها في جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة بعد وصوله من الحج ودفن بسفح جبل جوشن. وولديه الشريفين أبي الحسن علي وأبي المحاسن عبد الرحمن، سمعا مع والدهما من الشريف

(١) كتاب الإنصاف والتحري في رفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري في (آثار أبي العلاء مج ٩ ص ٥٥٤) طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) أصول التاريخ والأدب (مج ٢٧ ص ٣٧).

الافتخار أبي هاشم المذكور حدثاً عند بدمشق، رايتها بها وسمعت منهما وسألتهما عن مولدهما فذكر لي أبو الحسن أنه ولد بحلب في ثاني عشر شعبان سنة ٥٩٢ وذكر أخوه أبو المحاسن أنه ولد بها أيضاً في بعض شهور سنة ٦٠٦ هـ^(١).

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة (٦٢٠) من تاريخ الإسلام الحسن ابن زهرة بن الحسن بن زهرة بن علي بن محمد، من أولاد إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن محمد، من أولاد إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الشريف الحسيب أبو علي الحسيني الإسحاق الحلي الصوفي نقيب مدينة حلب ورئيسها ووجيهها وعالمها ورأس الأشراف وجاههم ووالد النقيب السيد أبي الحسن علي. ولد له علي هذا سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وولي النقابة في الأيام الظاهرية بحلب بعد سنة ستمائة، وكان أبو علي عارفاً بالقراءات وفقه الشافعي والحديث والأدب والتواريخ وله النظم والنثر وكان صدراً محتشماً وافر العقل حسن الخلق والخلق فصيحاً مفضواً صاحب ديانة وتعب، ولي كتبة الإنشاء للملك الظاهر غازي ثم أنف من ذلك واستعفى وأقبل على الاشتغال^(٢) والتلاوة ثم نفذ رسولاً إلى العراق ومرة إلى سلطان الروم ومرة إلى صاحب الموصل ومرة إلى الملك العادل ومرة إلى صاحب أربل، فلما توفي الظاهر طلب لوزارة ولده العزيز، فاستعفى وحج في سنة تسع عشرة.

ولقيته هدايا الملوك فنفذ إليه الملك الأشرف موسى من الرقة خلعاً له ولأولاده ودواب وأربعة آلاف درهم (كذا) ونفذ إليه صاحب آمد هدية وصاحب ماردين وتلقاه صاحب الموصل لأولئ بنفسه وحمل إليه الإقامات وخلع عليه وعلى أولاده واحترم في بغداد وتلقي، ولما رجع من الحج مرض وتمادت به العلة ثم لحقه ذرب ومات. قال ابن أبي طي: فجع بموته الصديق والعدو والقريب وكان للناس به وبجاهه نفع عظيم وكان كما قال الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وأغلق البلد وشيعه الناس على طبقاتهم ومات سنة عشرين وستمائة... وله ولد آخر اسمه أبو المحاسن عبد الرحمن، توفي بعد مجيئه من الحج في جمادى الأولى ودفن بجبل جوشن^(٣) هـ. فالرجل كان من عظماء الدنيا فضلاً عن دنيا العلويين وكل ما ذكر قليل في شرح سيرته إلا أن الجمع بين هذه الأقوال يقرب منا مختصر تلك السيرة، وجاء ذكره في لسان الميزان وقال مؤلفه، كان أديباً فاضلاً ولي نقابة الطالبين^(٤) بحلب في بيت رياسته (كذا) ويعرف فقه الإمامية والقراءة وغير ذلك مات سنة أربعين وستمائة، هـ. وأصوب سنة (٦٢٠) عشرين وستمائة.

(١) تكملة إكمال الكمال، وهو مخطوط أعده للطبع باسم لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) الاشتغال عندهم كلمة اصطلاحية معناها، التعلم والدراسة والتلقي، كما أن الاشتغال مصدر «أشغل، معناه التعليم والتدريس والتفهيم.

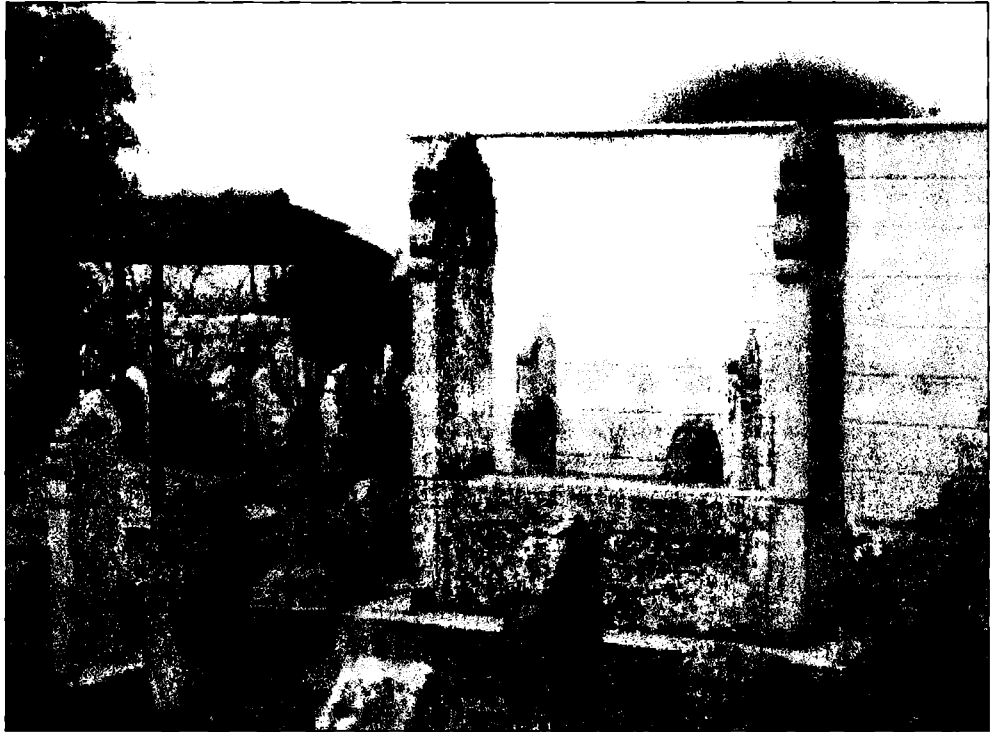
(٣) أصول التاريخ والأدب (مج ٢٤ ص ٢٨٦).

(٤) في الأصل (مكانة الطالب).

وذكره ابن كثير في البداية وابن العماد في شذرات الذهب ببعض ما ذكره به غيرهما وزاد ابن العماد (واندكت الشيعة بموته)^(١).

٤ - وذكر في ص ٣١٣ السيد (علي بن حمزة بن الحسن بن زهرة بن الحسن) ثم قال في ص ١١٤ «أقول: وهو الذي كتب (العلامة الحلي إجازته المعروفة بإجازة بني زهرة الكبرى ...) وأورد الإجازة فإذا اسم المجاز (علاء الدين علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن بن أبي المحاسن زهرة) فأين هذا من (علي بن حمزة بن الحسن بن زهرة بن الحسن)؟ إن القول باتحادهما غير صحيح فاتحاد اللقب أوهى الأسباب في علم الأنساب.

٥ - وجاء في ص ٣٢٠ (هذا ما استطعت أن أجمعه من تراجم هذه الأسرة آخذاً من أعلام النبلاء والغالب منقول عن درر الحبيب في تاريخ حلب لابن حبيب. ومن أمل الأمل للعالمي ...) قلت: إنه قال في ص ٢١٧ (قال الرضي الحنبلي في درر الحبيب) فكيف يكون الكتاب لابن حبيب؟ والصحيح أن تاريخ ابن حبيب المنقول عنه هو (درة الأسلاك في دولة الأتراك) ومنه نسخة بباريس رقمها «١٧١٩ عربيات» قال فيه فهذا الكتاب يشتمل على دولة الأتراك وأولادهم).



مقبرة بني زهرة

مشهد موضع قدم الامام علي عليه
السلام «الدويسة» - دوسة الامام علي
في الضوعة مقبرة الحي الشرقي





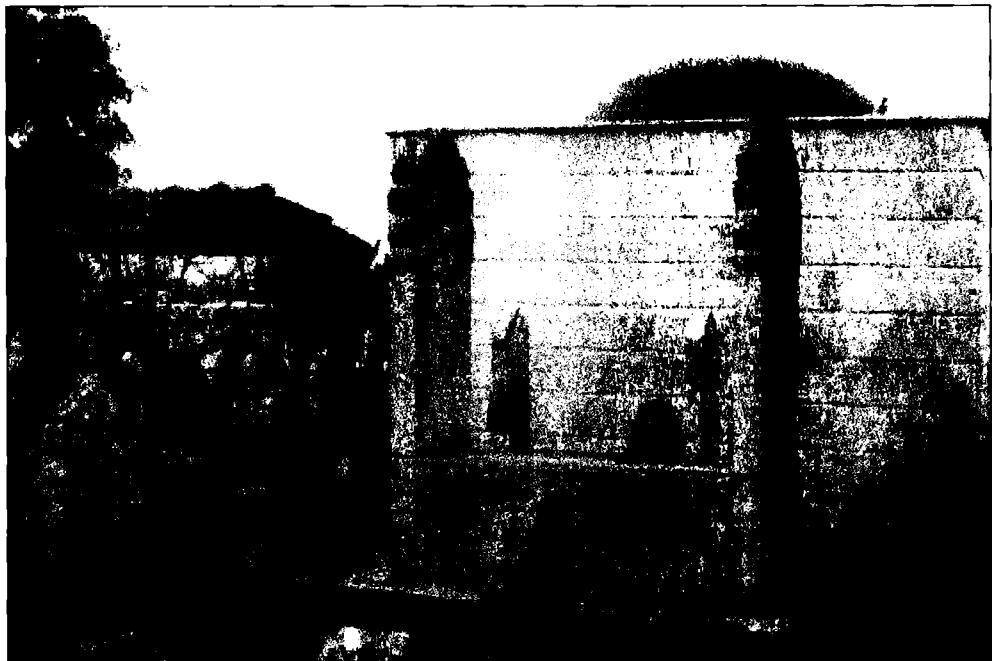
دوسة الإمام علي عليه السلام



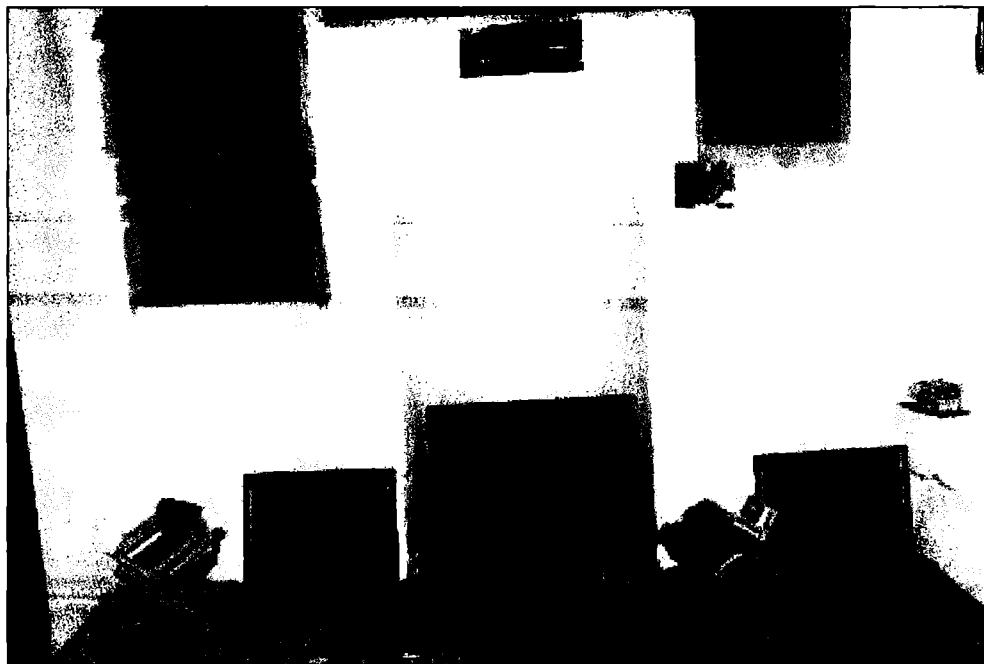
شواهد قبور قديمة لبني زهرة «الضوعة - ادلب»



الجامع الكبير، الفوعة،



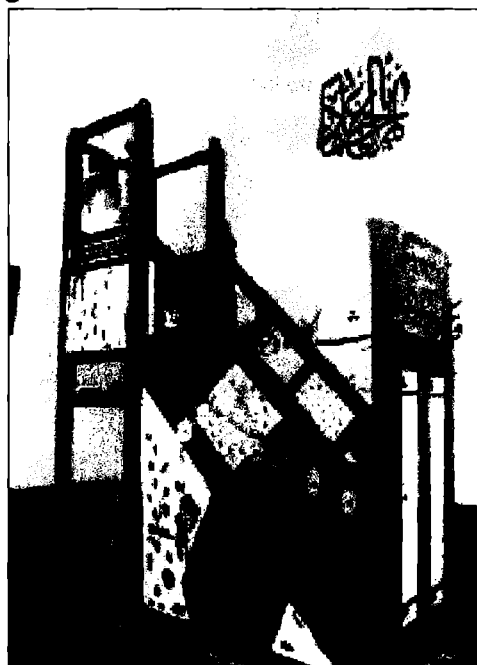
مقبرة بني زهرة



محراب الجامع



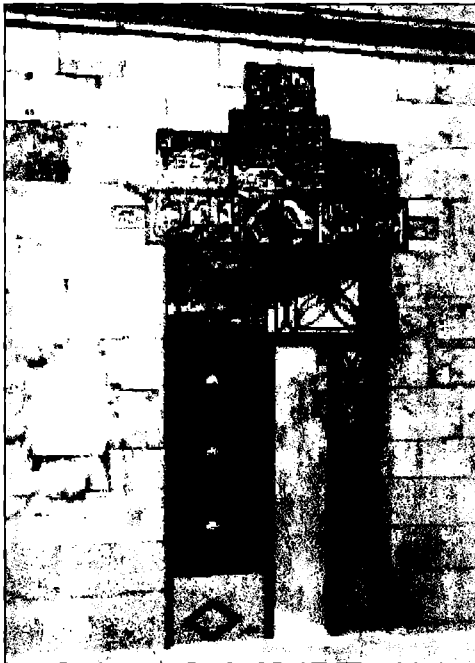
منارة الجامع الكبير



منبر الجامع



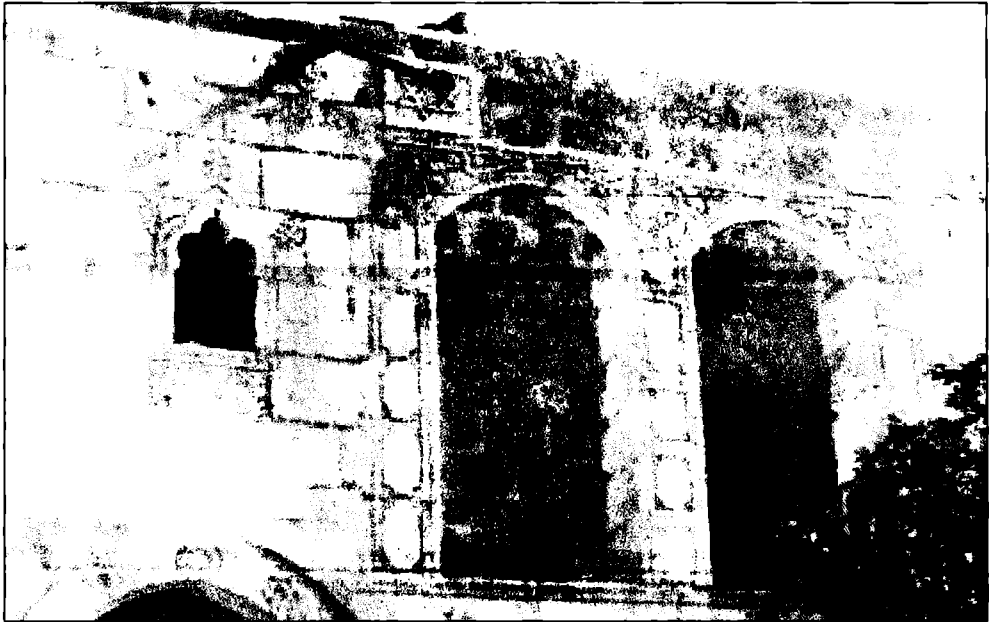
السيد محمد حسين راغب
من أحفاد بني زهرة
«الضوعة»



بوابة الجامع الكبير «الضوعة»



شاهد قبر الحاج محمد حسين بن راغب «من أحفاد بني زهرة»



جامع الفوعة الأثري

السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الإسحافي الحلبي صاحب الغنية المعروف بالشريف الطاهر (٥١١ - ٥٨٥ هـ)

ولد في شهر رمضان سنة ٥١١ وتوفي في رجب بحلب سنة ٥٨٥ ودفن في تربتهم بسفح جبل الجوشن وقبره ظاهر معروف إلى اليوم وعليه نسبه وتاريخ وفاته.
نسبه الشريف:

الشريف الطاهر عز الدين أبو المكارم حمزة بن أبي سالم علي بن أبي الحسن زهرة بن أبي المواهب علي بن أبي سالم محمد بن أبي إبراهيم محمد الحراني وهو المنتقل من حران إلى حلب ابن أحمد الحجازي بن محمد بن الحسين الذي وقع إلى حران بن أبي محمد إسحاق المؤتمن ابن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو مطابق لما هو مكتوب على لوح قبره كما يأتي ومطابق لما في مجمع الآداب ومعجم الألقاب حيث قال:
عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الحسيني الحلبي النقيب بحلب.
بنو زهرة:

في القاموس بنو زهرة شعبة بحلب وفي تاج العروس بل سادة نقباء علماء فقهاء محدثون كثر الله من أمثالهم وهو أكبر بيت من بيوت الحسين ثم قال وفي هذا البيت كثرة، وفي عمدة الطالب بنو زهرة هم بحلب سادة نقباء علماء فقهاء متقدمون كثر الله من أمثالهم، وفي أعلام النبلاء قال العمري (النسابة) جدهم أبو إبراهيم الحراني محمد ممدوح أبي العلاء المعري نبغ وتقدم وخلف أولاداً سادة فضلاء علماء نقباء وقضاة ذوي وجاهة وتقدم وجملة وعقبة من رجلين جعفر ومحمد ولأعقابهما توجه وعلم وسيادة فهم سادة أجلاء نقباء حلب وعلماءها وقضااتها ولهم تربة معروفة مشهورة رحمهم الله تعالى اهـ.

مقبرة بني زهرة بحلب وقبر المترجم:

في أعلام النبلاء وقد أبقّت أيدي الزمان قبر المترجم في تربتهم الكائنة في سفح جبل جوشن جنوبي المشهد وبينه وبين التربة أذرع وقد كانت تلك التربة مردومة فاكتشفت في جمادى الأولى سنة ١٢٩٧ وقد حاط جميل باشا ما بقي من هذه التربة بجدران حفظاً لها وقبر المترجم ظاهر فيها وعلى أطرافه كتابة حسنة الخط هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم هذه تربة الشريف الأوحـد ركن الدين أبي المكارم^(١) حمزة بن علي بن زهرة بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأئمة الطاهرين وكانت وفاته في رجب سنة ٥٨٥ هـ رضي الله عنه.

أقوال العلماء فيه:

في تاج العروس: الشريف أبو المكارم حمزة بن علي المعروف بالشريف الطاهر قال ابن العديم في تاريخ حلب كان فقيهاً أصولياً نظاراً على مذهب الإمامية وقال ابن أسعد الجواني الشريف الطاهر عز الدين أبو المكارم حمزة ولد في رمضان سنة ٥١١ وتوفي بحلب سنة ١٠٨٥ هـ وفي أعلام النبلاء (والظاهر أنه نقله عن غيره): الشريف حمزة بن زهرة الإسحاق الحسني أبو المكارم السيد الجليل الكبير القدر العظيم الشأن العالم الكامل الفاضل المدرس المصنف المجتهد عين أعيان السادات والنقباء بحلب صاحب التصانيف الحسنة والأقوال المشهورة له عدة كتب وقبره بسفح جبل جوشن عند مشهد الحسين له تربة معروفة مكتوب عليها اسمه إلى الإمام الصادق عليه السلام وتاريخ موته أيضاً. وفي أمل الأمل حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي فاضل عالم ثقة جليل القدر عظيم المنزلة.

أخباره:

في أعلام النبلاء عن كتاب الروضتين عن أبي طي، أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استولى على دمشق بعد وفاة ملكها نور الدين زنكي سار إلى حلب ونازلها وبها الملك الصالح ولد نور الدين وخاف الملك الصالح من الحلبيين أن يسلموا البلد إلى صلاح الدين كما فعل أهل دمشق فأشير على الملك الصالح أن يجمعهم ويخاطبهم بنفسه أنهم الوزر والملجأ فجمعهم وخاطبهم بما استمال قلوبهم وبكى فضجوا بالبكاء وبذلوا له الطاعة وترحموا على أبيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح أنه يعيد إليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وأن يجهروا بحي على خير العمل في الأذان، والتذكير في الأسواق وقدام الجنائز بأسماء الأئمة الإثني عشر وأن يصلوا على أمواتهم خمس تكبيرات وأن يكون عقود الأنكحة إلى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني، وأن تكون العصبية مرتفعة والناموس وازع لمن أراد الفتنة. وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان أبطله نور الدين فأجيبوا إلى ذلك. قال ابن أبي طي: فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره بحي على خير العمل وصلى أبي في الشرقية مسبلاً وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا في الأسواق وقدام الجنائز أسماء الأئمة وصلوا على الأموات خمس تكبيرات وأذن للشريف في أن يكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه. وذكر نحواً من ذلك ابن كثير في تاريخه في حوادث سنة ٥٧٠ هـ أن صلاح الدين بعدما استقرت له دمشق سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن ثم أن ابن نور الدين جمع أهل حلب وأشرف عليهم فتودد إليهم وتباكى وحرصهم على قتال صلاح الدين وذلك بإشارة الأمراء المقدمين فأجاباه أهل البلد بالطاعة وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل وأن يذكر في الأسواق

(١) الذي في النسخة ابن أبي المكارم لعل الغلط من الناسخ. ليس المراد ابن المترجم لأن تاريخ الوفاة وافق تاريخ وفاة المترجم ولقب المترجم عز الدين وقد لقبه ركن الدين.

وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز وأن يكبروا على الجنائز خمساً وأن تكون عقود أنحكتهم إلى الشريف الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة^(١) الحسيني فأجيبوا إلى ذلك كله فأذن في الجامع وسائر البلد بحي على خير العمل.

مشايخه:

في مجمع الآداب روى عن الشيخ الكبير أبي منصور الحسن بن منصور النقاش الموصلية.
تلاميذه: في مجمع الآداب روى عنه:

- ١ - ابن أخيه السيد محيي الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني وفي أمل الآمل يروي عنه أيضاً.
- ٢ - شاذان بن جبرائيل.
- ٣ - محمد بن إدريس.

مؤلفاته:

- في أمل الآمل له مصنفات كثيرة منها:
- ١ - مسألة في الرد على المنجمين.
 - ٢ - مسألة في أن نظر الكامل العقل على انفراده كاف في تحصيل المعارف العقلية.
 - ٣ - مسألة في نفي الرؤية واعتقاد الإمامية ومخالفتهم ممن ينسب إلى السنة والجماعة.
 - ٤ - مسألة في كونه تعالى جباراً (حياً).
 - ٥ - المسألة الشافية في رد من زعم أن النظر على انفراد غير كاف في تحصيل المعرفة به تعالى.
 - ٦ - الجواب عن الكلام الوارد من ناحية الجبل.
 - ٧ - مسألة في أن نية الموضوع عند المضمضة والاستنشاق.
 - ٨ - الاعتراض على الكلام الوارد من حمص.
 - ٩ - النكت في النحو.
 - ١٠ - مسألة في تحريم الفقع.
 - ١١ - غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع قال ابن شهر آشوب حسن.
 - ١٢ - نقض شبه الفلاسفة.
 - ١٣ - مسألة في الرد على من ذهب إلى أن الوجوب والقبح لا يعلمان إلا سمعا.
 - ١٤ - مسألة في الرد على من قال في الدين بالقياس.
 - ١٥ - جواب المسائل الواردة من بغداد.
 - ١٦ - مسألة في إباحة نكاح المتعة.
 - ١٧ - الجواب عما ذكره مطران نصيبين.
 - ١٨ - جواب الكتاب الوارد من حمص رواها عنه ابن أخيه السيد محيي الدين محمد وغيره.
 - ١٩ - قبس الأنوار في نصرة العترة الأخيار ذكره ابن شهر آشوب^(٢).

(١) الذي في النسخة المطبوعة إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم وحمزة بن زاهر وهو تحريف.

(٢) أعيان ٦/٢٤٨، ٢٤٩.

* بنو زهرة الحلبيون «نسبهم»

الشيخ سليمان طالع

أما شهرة هذا القبيل الفاطمي ببني زهرة فهي من عمود نسبهم الثالث زهرة أبي الحسن بن أبي المواهب علي بن أبي سالم. وأما العمودان قبله فالثاني منهما الشريف محمد أبو إبراهيم ممدوح أبي العلاء والأول إسحاق المؤتمن وهو بحلب سادة نقباء علماء فقهاء متقدمون كثرهم الله تعالى^(١).

وفي القاموس للفيروزآبادي (وبنو زهرة شيعة بحلب) ومنه يعلم أنهم كانوا معروفين إلى زمان مؤلفه لقباً وموطناً ومذهباً وفي روضات الجنات بعد أن ذكر فريقاً منهم بالعلم والفضل والجلالة والشرف «وبالجملة فهم بيت جليل من أجلاء بيوتات الأصحاب قل ما يوجد له نظير». عمود نسبهم الأول اسحق،

هو إسحاق المؤتمن ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وهو الخامس من ولد جعفر الصادق المعقبين ويكنى أبا محمد ويلقب المؤتمن وولد بالعريض^(٢) وكان من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه أم أخيه موسى الكاظم. وكان سفيان بن عيينة إذا روى عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هكذا جاء في عمدة الطالب.

وقال الإمام الشيخ المفيد رضي الله عنه في إرشاده. وإسحاق ومحمد لأم ولد. وكان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد وروى عنه الناس الحديث والآثار. وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام.

وقال المقرئ في خطه^(٣) وتزوج بنفسه رضي الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكان يقال له إسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين روى عنه الحديث. وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر. وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقي وبحلب بنو زهرة. وولدت نضيسة من إسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم لم يعقبا.

* (العرفان ج ٨)، المجلد السابع (ص ٤٥٧، ٤٦٨).

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

(٢) العريض قرية على أربعة أميال من المدينة.

(٣) الجزء الرابع ص ٣١٤.

دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وأن قبره بمصر لكنه غير مشهور وأنه كان والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوباً حتى مات المنصور وولي المهدي فأخرجه من محبسه وردَّ عليه كل شيء ذهب له^(١).
أما خبر تزويج إسحاق بالسيدة نفيسة فقد رواه ابن خلكان في الوفيات والصلاح الكتبي في الفوات والمقريزي في الخطط وأرسلوه إرسال المسلمات حيث لم يشيروا إلى وجود المخالف فيه ولكن صاحب عمدة الطالب روى هذا الخبر بغير ما رواه ورجح خلاف روايتهم كما ترى من نقلنا كلامه بالحرف الواحد قال:

وكان لزيد ابنة اسمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان فولدت منه وماتت بمصر. وقد قيل أنها خرجت إلى عبد الملك بن مروان وأنها ماتت حاملاً منه والأصح الأول وقد قيل أن صاحبة القبر بمصر نفيسة بنت الحسن بن زيد وأنها كانت تحت إسحاق بن جعفر الصادق. والأول هو الثابت المروي عن ثقات النسابين.

وأما الطبري فقد جاء في المنتخب من كتابه ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ما يلي: وحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان الحسن بن زيد يكنى أبا محمد وولد الحسن بن زيد محمداً والقاسم وأم كلثوم بنت حسن تزوجها أبو العباس أمير المؤمنين فولدت له غلامين هلكا صغيرين وعلياً وزيداً وإبراهيم وعيسى وإسماعيل وإسحاق الأعور وعبد الله فأنت ترى أنه لم يذكر نفيسة مع أنه ذكر ولده وذكر فيهم أم كلثوم وبالجمل فإني لم أجد في المصادر التاريخية التي أرجع إليها في هذا البحث ما يبعث على الركون إليه في تحقيق زواج إسحاق بهذه السيدة الجليلة وإثبات أبيها هل هو زيد أو ابنه الحسن.

وفي عمدة الطالب والإرشاد شيء من الاختلاف فقد جعل في الأول أم إسحاق أم موسى وفي الثاني أمه أم محمد^(٢) وفي الأول المحدث عنه ابن عيينة وفي الثاني ابن كاسب كما في الخطط. وأعقب (إسحاق) من ثلاثة رجال محمد والحسين والحسن، فمن ولد محمد بن إسحاق المؤتمن بنو الوارث بالري. ومن ولد الحسن بن إسحاق المؤتمن. وأعقب جماعة تضرعوا بمصر ونصيبين. وأما الحسين بن إسحاق المؤتمن فوقع إلى حران وولده بالرقعة وحلب. وجمهور عقب إسحاق المؤتمن ينتهي إلى الشريف أبي إبراهيم العالم الشاعر ممدوح أبي العلاء المعري^(٣).

الشريف أبو إبراهيم عمود نسبهم الثاني؛

هو محمد الحراني بن أحمد الحجازي بن محمد بن الحسين بن إسحاق المؤتمن هكذا أورد نسبه صاحب عمدة الطالب وصاحب أمل الأمل في ترجمة بعض أحفاده السيد علاء الدين أبي

(١) الوفيات.

(٢) وفي المناقب لابن شهر آشوب وموسى الإمام ومحمد الديباج وإسحاق لأم ولد ثلاثتهم.

(٣) عمدة الطالب.

الحسين علي بن إبراهيم وأما صاحب لؤلؤة البحرين فقد أورد ما جاء في إجازة العلامة الحسن بن المطهر رحمه الله من نسبة السيد المشار إليه وهو مطابق لما في عمود الطالب وأمل الأمل وزاد عليهما كنى آبائه وكنى عمود النسب الأول إسحاق المؤتمن بأبي إبراهيم وقد عرفت مما سبق أنه كان يكنى أبا محمد ولا يبعد أن تكون كنيته بأبي إبراهيم مقارنة لاسمه وكنيته بأبي محمد حادثة من اسم ولده محمد الذي هو أكبر ولده ووقفت على سلسلة نسب لبعض أعقابه من بني زهرة الفوعيين في هذه الأيام سقط منها اسم محمد بن الحسين^(١).

قال في عمدة الطالب قال الشيخ أبو الحسن العمري كان أبو إبراهيم لبيباً عاقلاً ولم تكن حاله واسعة فزوجه الحسين الحراني بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن علي الطيب العلوي العمري^(٢) بنت خديجة المعروفة بأم سلمة. وكان أبو عبد الله الحسين العمري متقدماً بحران مستولياً عليها وقوي أمر أولاده حتى استولوا على حران وملكوها على آل وثاب قال فأمد أبو عبد الله الحسين العمري أبا إبراهيم بماله وجاهه وتبعه أبو إبراهيم وتقدم وخلف أولاداً سادة فضلاء هذا كلامه.

أما زمن انتقاله من حران إلى حلب فغير معلوم تاريخه لأننا لم نر في المصادر التاريخية التي نعتمدها في كتابة هذا المقال تعرضاً له ولم نجد في معاجم السنة والشيعة من أفرد للمترجم ترجمة مع شهرته بالعلم والشعر والجاه والدعوة إلى التشيع في حلب كما زعمه البعض. وجل ما جاء في التعريف به هو ممدوح أبي العلاء المعري كما في عمدة الطالب وذيل المختصر في أخبار البشر لابن الوردي والممدوح كما في المجلد السادس من مجلة المقتبس والظاهر أن انتقاله إلى حلب لم يتقدم عهد أبي المعالي سعد الدولة شريف بن سيف الدولة الحمداني بدليل أنه لم يرد له ذكر بين مذكوري شعراء عهد سيف الدولة ورجال عصره العلماء الأعلام وهو كما عرفت من رجال العلم والشعر أولاً وثانياً أنه اشتهر بممدوح أبي العلاء وأبو العلاء ولد بعد وفاة سيف الدولة بسبع سنين لأن سيف الدولة مات سنة ٣٥٦ وأبو العلاء ولد سنة ٣٦٣ وثالثاً أن أبا العلاء رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار وكان ذلك كله في أوائل المائة الخامسة والشريف أبو إبراهيم هو ممن كاتبه من العلماء وذوي الأقدار وراسله بقصيدة من بارع شعره استرعى بها زند قريحته واستخرج فيها من بحر أدبه من الدرر المنظومة بسلك الاختراع والإبداع ما اقترنت به شهرته بشهرته على تمادي القرون وتوالي الأحقاب.

(١) في شجرة نسب الشريف الفوعي ما يلي: (محمد الأول أمير المدينة المنورة ابن أحمد المدني المنتقل إلى مدينة حران ابن الحسين المدني أمير المدينة المنورة ابن إسحاق المؤتمن) وهي هذا النسب ما لا يتفق مع النصوص التاريخية فإننا لم نجد فيها من ولي إمارة المدينة من بني إسحاق المؤتمن والقلقشندي ذكر طبقات أمرائها من صدر الإسلام إل عهده ولم يذكر بين ولاتها أحداً من بني إسحاق.

(٢) في عمدة الطالب ابن الطيب بن عبد الله. وعبد الله بن محمد بن عمر الأظرف ابن علي بن أبي طالب. وللحسين الحراني عدة أولاد ومن عقبه الحرانيون الذين ملكوا حران على آل وثاب كما عرفت في المتن.

وأما قصيدة أبي العلاء التي افتتح بها ديوانه سقط الزند ومدح بها أبا الفضائل سيف الدولة ولم ينفذها إليه. ومستهلها:

أعن وخذ القلاص كشفت حالاً ومن عند الظلام طلبت مالاً

فمن المقطوع (بعد ما عرفت) أنها ليست في مدح سيف الدولة وهو لم يكن بأبي الفضائل وإنما كنيته أبو الحسن ولقبه سيف الدولة والظاهر أنها في مدح ولد ولده أبي الفضائل سعد وهو الذي انقرض بموته عقب سيف الدولة. وكان في قوله في سقط الزند وقال أيضاً وهي قصيدة قد امتدح بها أحد بقايا بني حمدان ملوك حلب ما يؤيد ذلك.

أبو إبراهيم وأبو العلاء:

قال العلامة البهائي العاملي في كشكوله مما كتبه الشريف جمال النقباء أبو إبراهيم محمد بن علي^(١) بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وهو أبو الرضا المرتضى^(٢) رحمه الله إلى أبي العلاء المعري:

غير مستحسن وصال الغواني	بعد ستين حجة وثمان
فصن النفس عن طلاب التصابي	وازجر القلب عن سؤال المغاني
إن شرخ الشباب بدله شيء	بأ وضعفاً مقلب الأعيان
فانفض الكف من حياء المحيا	وأمعن الفكر في إطراح المعاني
وتيمن بساعة البين واجعل	خير فال تناعب الغريان
فالأديب الأريب يعرف ما	ضمن طي الكتاب بالعنوان
ارتجي مالاً رحيباً واسمعا	د سعاد وقد مضى الأطيان
غلغ القلب عارضيك بشيب	أنكرت عرفه أنوف الغواني
وتحامت حماك نافرة الغيد ^(٣)	نصار المهام من السرحان
ورد الفئائب ^(٤) البغيض	إليهن وولى حبيبهن المداني
وأخو الحزم مغرم بحميد الذ	كريوم الندى ويوم الطعان
همه المجد واكتساب المعالي	ونوال المعاني وفك المعاني
لا يعير الزمان طرفاً ولا يحم	حل ضييراً بطارق الحدثان

قال البهائي بعد إيراد هذه الأبيان وهذه قصيدة طويلة جداً أوردها جميعها جدي رحمه الله في بعض مجموعاته وفي تذييل تاريخ ابن الوردي على مختصر أبي الفدا جاء بعد المستهل هذا البيت:

(١) نسبته هنا مطابقة لما ورد في عمدة الطالب وأمل الأمل لزيادة اسم علي فإنه ابن أحمد كما عرفت لا ابن علي.
 (٢) لم يعرف بهذه الكنية وإنما لنرى بالعلامة البهائي على تحقيقه ومعرفته بالرجال أن يظن المترجم أبا المرتضى والرضي الموسويين.
 (٣) في الأصل عند.
 (٤) لعله العازب فإنه الأنسب معنى وسبكاً.

كل علم مضرق في البرايا
وهذا بعض جواب أبي العلاء المعري على القصيدة. قال في ديوانه سقط الزند^(١) (وقال يجيب الشريف أبا إبراهيم موسى^(٢) بن إسحاق عن قصيدة أرسلها إليه):

عللاني فإن بيض الأماني
إن تناسيتما وداد أناس
رب ليل كأنه الصبح في الحس
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما
كم أردنا ذاك الزمان بمدح
فكأنني ما قلت والبدر طفل
ليلتي هذه عروس من الز
هرب النوم عن جفوني فيها
ومنها:

ويلاد وردتها ذنب السر
وعيون الركاب ترمق عيناً
وعلى الدهر من دماء الشهيد
فهما في أواخر الليل فجرا
ومنها من المديح:

يا ابن مستعرض الصفوف ببدر
أحد الخمسة الذين هم
والشخص التي خلقن ضياءً
قبل أن تخلق السماوات أو تؤ
ومنها:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا
وافق اسم ابن أحمد اسم
وسجاي محمد أعجزت في ال
وجرت في الأنام أولاده السبعة
فهم السبعة الطوالع والأصغر
ومنها:

وإذا الأرض وهي غبراء صارت

من دم الطعن وردة كالدهان

(١) ص ٢٦.

(٢) كيف تتفق تسميته بموسى هنا مع تسميته في مديح القصيدة بمحمد في قوله وافق اسم ابن محمد. وفي البيت الذي يليه وسجاي محمد ...

أقبلوا حاملي الجداول في
قد أجبتنا قول الشريف بقول
أطربتنا ألفاظه طرب العشا
فاغتبنا بيضاء كالفضة المح
إلى أن قال بعد إبداع في الوصف:
فاقتنع بالروي والوزن مني
يا أبا إبراهيم قصر عنك الشعر
أشرب العالمون حبك طبعاً
بان للمسلمين منه اعتقاد
وحدود الإيمان يقبسها منك
ومحيالك للذي يعبد الدهر
وأله المجوس سيفك إن لم
حلبا حجت المطي ولوان
وقال يجيبه عن قصيدة^(١) مستهلها:

الاح وقد رأى يرقاً مليحاً
ومنها بعد تفتن عجيب ووصف غريب:
وأرياب الجياد بنو علي
وخير الخيل ما ركبوا فجنب
واحمي العالمين ذمار مجد
ومعرفة ابن أحمد امنتي
ومنها:

تبوح بفضلك الدنيا لتحظى
وما للمسك في أن فاح حظ
وقد بلغ الضراح وساكنيه
وقد شرفقتني ورفعت اسمي
أجل ولو أن علم الغيب عندي
وكون جوابه في الوزن ذنب
وذلك أن شعرك طال شعري

الأغمد مستلثمين بالغدران
وأثبنا الحصى عن المرجان
ق للمسمعات بالألحان
ض وعضنا حمراء كالأرجوان

فهمومي ثقيلة الأوزان
لما وصفت بالقرآن
فهو فرض في سائر الأديان
ظفروا منه بالهدى والبيان
ويمتاحها أولو الإيمان
واهباء طرفك الفتيان^(٢)

يرغبوا عن عبادة النيران
جملت عنها مالت إلى حران

سرى فأتى الحمى نضواً طليحاً

مزيروها الذوابل والصفحا
غراباً والنعامة والجموحا
بنو إسحاق إن مجد أبيها
فلا أخشى الحقيب ولا النطيجا

بذاك وأنت تكره أن تبوحا
ولكن حظنا في أن يفوحا
ثناك وزار من سكن الضريحا
به وانلتني الحظ الريحا
لقلت أهدتني أجلاً فسيحا
ولكن لم تزل مولى صفوحا
فما نلت النسيب ولا المديحا

(١) الإهباء إثارة الهباء وهو الغبار والفتيان الليل والنهار.

(٢) سقط الزند ص ١٦ وعنوان اسمه فيه كما عثوته بالقصيدة السابقة وهنا صرح فيها باسمه موسى ولم نجد في نسب بني إسحاق الذين ينتمي إليه المترجم من معاصريه من سمي بهذا الاسم قليتامل (المجلد ٧).

ومن لم يستطع إعلام رضوى
شقت البحر من أدب وفهم
لعبت بسحرنا والشعر سحر
فلو صح التناسخ كنت موسى
وفي سقط الزند قصائد أخرى لا أستبعد أنها في ممدوحه فتركت الاختيار منها لأنها لم
تعنون باسمه ولم يلقب المترجم بممدوح أبي العلاء إلا لمدحه له بأكثر من القصيدتين اللتين
اخترنا منهما ما اخترناه. وبعد فإننا نختم هذا الفصل بإيراد ما يتسع له المجال من قصيدته
التي رثاه بها قال:

لساني إن لم أرث والدكم خصمي
بوافٍ ونقلا من سرور إلى هم
جناحا لشهم أض رشاً على سهم
مقر الثريا فادفنوه على علم
سماوي سرفاتقوا كوكب الرجم
أباً لبنات لا يخفن من اليتيم

بني الحسب الوضاح والشرف الجم
شكوت من الأيام تبديـل غادر
وحالا كريش النسربينا رأيته
فيا دافنيه في الثرى إن لحده
ويا حاملي أعواده إن فوقها
وما نعشه إلا كنعش وجدته
ومنها:

سواه ليبقى ثكله بين الوسوم
كما خط في القرطاس رسم على رسم
إذا هو أغفى ما يرى الناس في الحلم
فلم يشفها منه برشف ولا لثم
إلى الشرب ما ينفي الحباب من السم
كان الحميا لوعة في ابنة الكرم
بسيـف فويق للمكارم والحزم
منفذة الأقدار في العرب والعجم
كفتني فيهم أن أعرفهم باسمي
أمير المعاني فارس النثر والنظم
وان قيل فهم فالخليل أخوالهم
بناء المراثي وهي صور إلى الهدم
فإنك دان في التخيل والوهم
إلى العرش يهديها لجذك والأم
عصائب شتى بين غر إلى بهم
فتسأل ربي أن يخفف من إثمي

فيا قلب لا تلحق بثكل محمد
فإني رأيت الحزن للحزن ماحياً
كريم حليم الجفن والنفس لا يرى
فتى عشقته البابية حقبة
كان حباب الكأس وهي حبيبة
تسور إليه الراح ثم تهابه
دعا حلباً أخت الغربين مصرع
أبي السبعة الشهب التي قيل أنها
فإن كنت ما سميتهم فنباهة
فهذا وقد كان الشريف أبوهم
إذا قيل نسك فالخليل ابن أزر
أقامت بيوت الشعر تحكم بعده
فيا مزعم التوديع إن تمس نائياً
تقرب جبريل بروحك صاعداً
فلا تنسني في الحشر والحوض حوله
لعلك في يوم القيامة ذاكري

أعقابيه:

قال في «عمدة الطالب» وعقب أبي إبراهيم المذكور المعروف الآن من رجلين أبي عبد الله جعفر نقيب حلب وأبي سالم محمد ابني إبراهيم ولأعقابها توجه وعلم وسيادة فمن بني أبي سالم محمد «بنو زهرة» ومن أبي عبد الله جعفر بن إبراهيم «بنو حاجب الباب» وهو شرف الدين أبو القاسم الفضل ابن يحيى بن أبي علي بن عبد الله نقيب حلب بن جعفر ابن أبي تراب زيد بن جعفر المذكور وهو السيد العالم حافظ كتاب الله كان حاجباً لباب الفتوى بدار الخلافة ببغداد.

والذي يظهر من قول أبي العلاء المعري في القصيدة الأولى

(وجرت في الأنام أولاده السبعة جري الأرواح في الأبدان)

ومن قوله في مرثيته:

أبي السبعة الشهب التي قيل أنها منفذة الأقدار في العرب والمجم

إنه تخلف بسبعة ولكن المعقبين منهم اثنان كما ورد في عمدة الطالب.

آل بني شعبة الحلبيون

آل أبي شعبة الحلبيون:

اعلم أن آل أبي شعبة الحلبي من علماء الشيعة القدماء لهم فضل الصحبة بأئمة أهل البيت الذين عاصروهم من القرن الأول إلى القرن الثالث منسوبون إلى حلب وأبو شعبة مولى بني تيم الله بن ثعلبة أو مولى بني عجل في رواية أخرى وسبب نسبتهم إلى حلب ذكره غير واحد من علماء الرجال الشيعة. قال أبو العباس أحمد بن علي النجاشي في^(١) ترجمة عبيد الله بن علي بن أبي شعبة^(٢) «أبو علي كوفي كان يتجر هو وأبوه وأخوته إلى حلب فقلبت عليهم النسبة إلى حلب. وآل شعبة بالكوفة بيت مذكور في أصحابنا. روى جدهم أبو شعبة عن الحسن والحسين عليهما السلام. وكانوا جميعهم ثقات مرجوعاً إليهم في ما يقولون».

وأورد ذلك بالحرف الواحد الميرزا محمد الاستريادي^(٣) في الجزء الثاني من كتابه (منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال) وإليك من التعريف بأسماء رجالهم المعروفين ما تكمل به الفائدة ولا يشذ عن الموضوع:

* مجلة العرفان، المجلد السابع (ص ١٣٩، ١٤٢).

(١) تخرج بالشيخ المفيد (ره) عاصر شيخ الطائفة الطوسي (ره) والشريف المرتضى (رض) ولد سنة ٣٧٢ وتوفي سنة ٤٥٠.

(٢) في كتابه أسماء مصنفى علماء الشيعة ص ١٥٩.

(٣) المتوفى سنة ١٠٣٣ بمكة المكرمة.

- ١- أبو شعبة الحلبي هو الجد الأعلى الذي تحدر منه أولئك الرجال وعنه تسلسلوا وإليه انتسبوا. وقد مر بك آنفاً أنه روى عن الحسن والحسين عليهما السلام.
- ٢- ولده الأول علي قال الاستريادي في منهج المقال علي بن أبي شعبة ثقة صه (الخلاصة) وفي جش (النجاشي) وكش (الكشي) ما تقدم في ابن ابنه أحمد بن عمر^(١).
- ٣- ولده الثاني عمر قال الاستريادي عمر بن أبي شعبة الحلبي ق (أي من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر ع).
- ٤- أحمد بن عمر الحلبي قال النجاشي (أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي ثقة روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام وعن أبيه من قبل وهو ابن عم عبيد الله وعبد الأعلى وعمران ومحمد الحلبيين. روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام. وكانوا ثقات. لأحمد كتاب يرويه عنه جماعة الخ).
- وذكره الكشي في رجاله وأورد خبراً له عن الرضا (ع) ونقل العلامة الاستريادي في منهج المقال ما جاء في كتابي الكشي والنجاشي برمته واستظهر من الرواية التي ذكرها الكشي أنه روى عن الرضا وأبي جعفر الجواد عليهما السلام.
- ٥- عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي.
- قال النجاشي (عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي مولى بني تميم اللات ابن ثعلبة إلى أن قال (وكان عبيد الله عليه السلام وصححه. قال عند قراءته أترى لهؤلاء مثل هذا والنسخ مختلفة الأوائل والتفاوت فيها قريب. وقد روى هذا الكتاب خلق من أصحابنا عن عبيد الله والطرق إليه كثيرة الخ).
- وذكره الاستريادي في منهجه ونقل أقوال علماء الرجال فيه ومنهم العلامة الحلبي (ره) في خلاصته وعقب روايته عرض كتابه على أبي جعفر (ع) بقوله وهو أول كتاب صنّفه الشيعة ومنهم البرقي قال في حقه (كوفي وكان متجره إلى حلب فغلب عليه هذا اللقب مولى ثقة صحيح له كتاب وهو أول ما صنّفه الشيعة)^(٢).
- ٦- أخوه محمد بن علي بن أبي شعبة.
- قال النجاشي (ره) في رجاله (محمد بن علي بن أبي شعبة الحلبي أبو جعفر وجه أصحابنا وفقههم والثقة الذي لا يطعن عليه هو وأخوته عبيد الله وعمران وعبد الأعلى له كتاب التفسير قال وله كتاب مبوب في الحلال والحرام وجاء نحو هذا في الفهرست والخلاصة هو من أصحاب الإمام الباقر ع).
- ٧- أخوه عبد الأعلى بن علي بن أبي شعبة.

(١) لا يخفى أن أحمد بن عمر هو ابن أخي علي لا ابن ابنه فتأمل.

(٢) جاء في فهرست النجاشي ما يستفاد منه أن في رجال الشيعة من سبق المترجم بالتصنيف وجاء في كتاب الشيعة وفنون الإسلام في هذا الموضوع ما فيه زيادة للمستزيد.

قال الاسترابادي (عبد الأعلى بن علي بن أبي شعبة أخو محمد بن علي الحلبي ثقة لا يطعن عليه صه (الخلاصة) وفي جش (النجاشي) في أخيه محمد) وقد مر ما أورده النجاشي فيه وفي أخوته في أخيه محمد كما عرفت قريباً.

٨- عمران بن علي بن أبي شعبة الحلبي.

تقدم ذكر النجاشي له مع أخوته في أخيه محمد وأما الاسترابادي فقد قال في حقه (ثقة لا يطعن عليه. وكنيته أبو الفضل صه (الخلاصة) وفي ق (أصحاب الإمام الصادق ع) عمران بن علي بن أبي شعبة الحلبي الكوفي انتهى).

٩- ولده أحمد قال العلامة الاسترابادي في منهج المقال (أحمد بن عمران الحلبي (قر) ذكره في رجال الباقر ع) ويحتمل أن يكون نشأ من الكنية بأبي جعفر عليه السلام فإن المعروف من عمران الحلبي أنه من رجال الصادق ع).

١٠- يحيى بن عمران بن علي بن أبي شعبة قال النجاشي (ره) «يحيى بن عمران بن علي بن أبي شعبة الحلبي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام. ثقة صحيح الحديث له كتاب يرويه جماعة».

وذكر في أصحاب الصادق. والشيخ والاسترابادي ذكراه في كتابيهما الفهرست ومنهج المقال. ويعد فإننا لم نستطرد الكلام إلى ذكر هؤلاء الأعلام إلا لمناسبة نسبتهم إلى حلب وإن لم يكونوا حلبيين مغرساً ومنبتاً. والنسبة كالإضافة تصدق بأقل مناسبة. مضافاً إلى إزالة ما لعله يعلق في بعض الأوهام من أنهم حلبيو المغرس والمنبت. وأن يتخذ عهدهم بدء تاريخ التشيع الحلبي القديم على أننا لا نثبت ذلك لعدم وجود الدليل عليه فإننا لا ننفيه لجواز أن يكون قد دخل حلب في ذلك العهد أو قبله ولكن بطريقة الكتمان. فإن الشيعة لم يكن لديهم من حرية المجاهرة بمذهبهم ما يمكنهم من الإصحار به بل كانوا يكونون في كل بلاد إسلامية مستترين بحجب التقية وذلك يعمي على المؤرخ تحقيق بدء دخول التشيع حلب أو غيرها من بلاد الشام ماعداً (جبل عامل الذي ثبت من بعض النصوص التاريخية الأمامية دخول التشيع فيه في عهد نفي الصحابي الجليل أبي ذر إلى الشام).

استدراك:

اعلم أن الحلبي في مصطلح أهل الرجال هو الشيخ الفقيه الثقة الصدوق عبيد الله بن علي بن شعبة الحلبي وهو الخامس من رجال آل أبي شعبة. وإذا أطلق في كلام الشهيد الأول فالمراد منه أبو الصلاح لا غير.

أويس القرني (٠٠٠ - ٣٧ هـ = ٠٠٠ - ٦٥٧ م)



أويس ذو الشفاعة كان منّا

فيوم البعث نحن الشافعون

دعبل بن علي الخزاعي

أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قُرْن بن رذمان بن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين. أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة. وشهد وقعة صفين مع عليّ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها^(١).

جاء في أعيان الشيعة: أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن رذمان بن ناجية بن مراد وهو يحابر بن مالك بن ادد بن مذحج المرادي المعروف بأويس القرني. قتل مع علي (ع) بصفين سنة ٣٧ وقبره بها معروف إلى اليوم. هكذا نسبته ابن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير. وفي أسد الغابة عن ابن الكلبي أنه قال بعد ابن مالك بن عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد الخ المرادي ثم القرني ويمكن أن يكون مسعدة بن عمرو سقط في النسخ في الطبقات. وفي المستدرک للحاكم وحلية الأولياء والإصابة ولسان الميزان وغيرها أويس بن عامر وقيل عمرو وفي تاريخ ابن عساكر ذكر ابن عياش في أسماء أهل الكوفة أويس بن عروة المرادي وهو أويس القرني قال «في تاريخ الهيثم» أويس هو ابن عمرو وهو الصواب (انتهى). (والقرني) بفتح القاف والراء بعدهما نون نسبة إلى قرن أبو قبيلة. وفي تاريخ دمشق قال الدارقطني قرن بفتح تحتين (انتهى) وفيه قال عبد الغني بن سعيد قرن بطن من مراد (انتهى) وفي الإصابة قال عبد الغني بن سعيد القرني بفتح القاف والراء هو أويس (انتهى) وما في الصحاح من أنه بسكون الراء اشتباه.

(١) ابن سعد ٦: ١١١ والشرقي ٢: ٢١٧ وتاج العروس ٤: ١٠٢ ابن عساكر ٣: ١٥٧ وميزان الاعتدال ١٢٩ وحلية الأولياء ٢: ٧٩ وفيه أنه مات في غزوة أذربيجان أيام عمر. وذيل المنيل ٨٧ و١٠٨ ولسان الميزان ١: ٤٧١ ومنهج المقال ٦٤ ومسالك الأبصار ١: ١٢٢ وفيه (قرن - بفتح القاف والراء - بطن من مراد) وفيه أيضاً ما مؤداه: (غلط الجوهر في الصحاح في قوله إن أويساً القرني منسوب إلى قرن المنازل - بقر مكة - فهذا بفتح القاف وسكون الراء. الأعلام ٢/ ٢٢، وأعيان الشيعة ٣/ ٥١٢ - ٥١٦، مراقد المعارف ١/ ١٦٣ - ١٦٨

موضع وفاته

المشهور وهو الأصح أنه قتل بصفين مع علي (عليه السلام) ودفن بها كما مر. قال الكشي قتل بصفين في الرجالة مع علي بن أبي طالب (ع) وروى بسنده من طريق العامة عن شريك قتل أويس مع علي (ع) في الرجالة بصفين.

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: في مقال لسعيد بن المسيب أن أويساً قاتل بين يدي علي يوم صفين حتى استشهد أمامه فنظروا فإذا به نيف وأربعون جراحة من طعنة وضربة ورمية. وفي المستدرک للحاكم: ذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يتول سمعت العباس بن محمد الدوري يقول قُتل أويس القرني بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم صفين، وبسنده عن شريك قال وذكروا في مجلسه أويس القرني فقال قُتل مع علي بن أبي طالب في الرجالة (انتهى) ويأتي عند ذكر شهوده صفين رواية الكشي أنه لم يزل يقاتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام حتى قتل فوجد في الرجالة ورواية الحاكم أنه ما زال يحارب بين يدي أمير المؤمنين (ع) بصفين حتى قتل وروايته الأخرى أنه استشهد أويس في الرجالة بين يدي علي بن أبي طالب. وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن حفص بن عمران البرجمي عن عطاء بن السائب عن أبي البخثري قال أصيب أويس القرني مع علي بصفين. وفي ميزان الاعتدال: بسنده عن زيد بن علي قتل أويس يوم صفين، وفيه بسنده عن سعيد بن المسيب في حديث أنه لما شهر هام على وجهه فلم يوقف له على أثر دهرأ ثم عاد في أيام علي فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة. وفي خلاصة تذهيب الكمال شهد صفين مع علي وقتل يومئذ (انتهى) وفي الإصابة في ذيل حديث أسير الآتي أن أويساً قال: اللهم ارزقني شهادة توجب لي الجنة والرزق قال أسير فلم يلبث إلا يسيراً حتى ضرب على الناس بعث علي فخرج صاحب القطيفة أويس وخرجنا معه حتى نزلنا بحضرة العدو قال ابن المبارك فحدثني حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أسير قال فنادى منادي علي يا خيل الله اركبي وابشري فصف الناس لهم فانتضى أويس سيفه حتى كسر جفنه فألقاه ثم جعل يقول «يا أيها الناس تموا تموا لتتمن وجوه ثم لا تنصرف حتى ترى الجنة، فجعل يقول ذلك ويمشي إذ جاءته رمية فأصابته فؤاده فتردى مكانه كأنما مات منذ زمن وهو صحيح السند (انتهى) وفي الإصابة أيضاً قال ابن عمار الموصلي ذكر عند المعافي بن عمران أن أويساً قُتل في الرجالة مع علي بصفين فقال معافي ما حدث بهذا إلا الأعرج فقال له عبد ربه الواسطي حدثني به شريك عن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فسكت.

وفي مناقب ابن شهر آشوب عند ذكر حرب صفين: وأتى أويس القرني متقلداً بسيفين ويقال كان معه مرماة ومخللة من الحصى فسلم على أمير المؤمنين وودعه ويرز مع رجالة ربيعة فقتل من يومه فصلى عليه أمير المؤمنين (ع) ودفنه (انتهى).

ما روي في الشواذ من موته في غير صفين؛

في لسان الميزان: اختلفوا في موته فمنهم من يزعم أنه قُتل يوم صفين في رجالة علي ومنهم من يزعم أنه مات على جبل أبي قبيس بمكة ومنهم من يزعم أنه مات بدمشق ويحكمون في موته قصصاً تشبه المعجزات التي رويت عنه (انتهى) وفي تاريخ دمشق: اختلفوا في وفاته فقيل أنه قُتل في صفين ويقال أنه مات بدمشق وأن قبره في مقبرة باب الجابية وقيل أنه خرج غازياً راجلاً إلى ثغر أرمينية فأصابه البطن فالتجأ إلى أهل خيمة فتوفي هناك (انتهى) وفي الإصابة: روى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند من طريق عبد الله بن سلمة قال غزونا أذربيجان في زمن عمر ومعاوية أويس فلما رجعنا مرض فمات. وفي الإسناد الهيثمي بن عدي وهو متروك والمعتمد الأول يعني قتله بصفين (انتهى) وفي ميزان الاعتدال بسنده في حديث أن أويساً غزا غزوة أذربيجان فمات فتنافس أصحابه في حفر قبره وفيه أن في آخر حديث أسير بن جابر أنه مات بالحيرة (انتهى) والأخبار مستفيضة بأنه استشهد بصفين والقول بأنه مات بدمشق أو أرمينية أو غيرهما شاذ لا يلتفت إليه.

حليته؛

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن هرم بن حيان العبدي قال قدمت الكوفة فلم يكن لي بها هم إلا أويس القرني حتى سقطت عليه فعرفته بالنعث فإذا رجل لحم آدم شديد الأدمة أشعر محلوق الرأس يعني ليس له جمّة كث اللحية عليه إزار من صوف ورداء صوف بغير حذاء كبير الوجه، مهيب المنظر جداً (الحديث). وفي حلية الأولياء بسنده عن أبي هريرة في حديث يصف فيه الأصفياء الأخفياء الأبرياء قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال: ذاك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال: أشهل ذو صهوة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره رام بذقنه إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في السماء لو أقسم على الله لأبرق سمه إلا وأن تحت منكب الأيسر لمعة بيضاء إلا وأنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لأويس قف فاشفع فيشفعه الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر (الحديث).

من أنكره أو شك في وجوده أو لم يعرفه؛

من الغريب ما ينقل من إنكار وجوده والشك فيه مع اشتهاؤه وشهرة أخباره المانعة من وقوع الشك في مثله أما عدم معرفته فليس بغريب. في الإصابة: كان مالك ينكر وجوده إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحداً أن يشك فيه (انتهى)، وقال ابن عساكر أمر أويس مشهور فلا معنى لهذا القول (انتهى) وفي ميزان الاعتدال: قال أبو داود أنبأنا شعبة قلت لعمرو بن مرة أخبرني عن أويس هل تعرفونه فيكم قال لا قلت إنما سألت عمراً لأنه مرادي هل تعرف نسبته فيكم فلم يعرف

ولولا الحديث الذي رواه مسلم ونحوه في فضل أويس لما عرف لأنه عبد الله تقي خفي وما روى شيئاً فكيف يعرفه عمرو وليس من لم يعرف حجة على من عرف. قال وروى قراد أبو نوح عن شعبة أنه سأل أبا اسحق وعمرو بن مرة عن أويس قلم يعرفاه. قال ابن عدي: قد شك قومه فيه ولا يجوز أن يشك فيه لشهرته (انتهى).

أقوال العلماء فيه:

قال الكشي في رجاله كان أويس من خيار التابعين ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصحبه وقال أيضاً: (الزهاد الثمانية) علي بن محمد بن قتيبة سئل أبو الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية فقال الربيع بن خثيم وهرم بن حيان وأويس القرني وعامر بن عبد قيس فكانوا مع علي (ع) ومن أصحابه وكانوا زهاداً أتقياء، وأما أبو مسلم فإنه كان فاجراً مرثياً وكان صاحب معاوية وهو الذي كان يحث الناس على قتال علي (ع) وقال لعل (ع) ادفع إلينا الأنصار والمهاجرين حتى نقتلهم بعثمان فأبى علي (ع) ذلك فقال أبو مسلم الآن طاب الضراب إنما كان وضع فخاً ومصيدة. أما مسروق فإنه كان عشاراً لمعاوية ومات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له الرصافة وقبره هناك. والحسن كان يلقي أهل كل فرقة بما يهون ويتصنع للرياسة وكان رئيس القدرية وأويس القرني مفضل عليهم كلهم (انتهى) قال أبو محمد الفضل ثم تحرف^(١) الناس بعد أويس القرني رحمه الله. ولا يخفى أن الكشي ذكر أن الزهاد ثمانية وذكر منهم سبعة فقط وكان الثامن سقط من قلمه أو من النساخ وعن المحقق الشيخ محمد حفيد الشهيد الثاني والشيخ عبد النبي الجزائري وغيرهما أنه الأسود بن يزيد وهو مذموم وهو المطابق لما يأتي عن تاريخ دمشق. وفي النقد سمعنا من بعض الفضلاء أنه جرير بن عبد الله البجلي والله العالم (انتهى) والصواب أنه الأسود كما مر. وفي ميزان الاعتدال قال يحيى بن سعيد القطان الحمصي حدثنا يزيد بن عطاء الواسطي عن علقمة بن مرقد قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين عامر بن عبد القيسي وأويس وهرم بن حيان والربيع بن خثيم وأبو مسلم الخولاني والحسن ومسروق، الحديث بطوله، وهو باطل من هذا السياق (انتهى) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر قال علقمة بن مرثد الحضرمي انتهى الزهد إلى ثمانية نضر من التابعين عامر بن عبد القيس وأويس القرني وهرم بن حيان العبدى والربيع بن خثيم الثوري وأبي مسلم الخولاني والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع والحسن بن أبي الحسن البصري «الحديث». ومن هذا يظهر أن المراد بأبي مسلم في رواية الكشي السابقة هو أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب وقيل غير ذلك. واستظهر أن المراد بأبي مسلم أهبان بن صيفي كما وقع في النقد ليس بصواب كما مر في ترجمة أهبان ويدل عليه أيضاً ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء قال ثنا أبي ثنا إبراهيم بن الحسن ثنا

(١) هكذا في الأصل والظاهر أن صوابه تحوير بدليل ما يأتي من قول الكشي هؤلاء المتحورة وقوله وأول المتحورين وفي نسخة عرف وكأنه تحريف والظاهر أن المراد أن الناس رجعوا إلى أمير المؤمنين (ع) بعد ذلك والله أعلم

أبو حميد أحمد بن محمد بن سيار الحمصي ثناء يحيى بن سعيد ثنا عطاء بن يزيد عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولاني «انتهى» ومن غريب الاتفاق قول صاحب الميزان أنهم ثمانية وعدهم سبعة فترك الأسود ولعله سقط من الناسخ كما أن الكشي وقع له مثل ذلك كما مر آنفاً فترك الأسود أيضاً وقال الكشي أيضاً في أوائل الكتاب في ترجمة سلمان ومقداد وأبو ذر: محمد بن قولويه حدثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف حدثنا علي بن سليمان بن داود الرازي حدثنا علي بن أسباط عن أبيه أسباط بن سالم قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه فيقف سلمان ومقداد وأبو ذر ثم ينادي مناد أين حوارى علي بن أبي طالب (ع) وصي محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد وأويس القرني (الحديث) ثم قال فهؤلاء المتحورة وأول السابقين وأول المقربين وأول المتحورين من التابعين (انتهى) وذكره ابن سعد في الطبقات الكبير فيمن نزل الكوفة من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم فقال: أويس بن عامر القرني كان ثقة وليس له حديث عن أحد (انتهى) وفي حلية الأولياء: أويس بن عامر القرني سيد العباد وعلم الأصفياء من الزهاد بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم به وأوصى به أصحابه. وفي المستدرک للحاكم: ذكر مناقب أويس بن عامر القرني أويس راهب هذه الأمة ولم يصحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما ذكره رسول الله ودل على فضله. وفي أسد الغابة: أويس بن عامر المرادي ثم القرني: الزاهد المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها (انتهى) وفي الإصابة أويس بن عامر وقيل عمرو المرادي القرني الزاهد المشهور أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عن عمر وعلي وروى عنه بشير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال كان ثقة. وذكره البخاري فقال في إسناده نظر قال ابن عدي ليس له رواية (انتهى). وقوله روى عن عمر وعلي ربما ينافي قول ابن سعد المتقدم ليس له حديث عن أحد وقول ابن عدي السابق والآتي ليس له رواية وقول ابن حجر الآتي ما روى الرجل شيئاً، إلا أن يراد نفي روايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة أو غيرها لكن ينافيه ما يأتي عن ابن عساكر أنه أسند عن أويس عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض كتب أصحابنا ما يدل على أنه له رواية عن علي (ع) ففي مهج الدعوات عن موسى بن زيد عن أويس القرني عن علي بن أبي طالب وذكر دعاء ويسند آخر أن أمير المؤمنين (ع) علم أويساً دعاء (انتهى) وفي الإصابة قال عبد الغني ابن سعيد: أويس أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهد صفين مع علي وكان من خيار المسلمين وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال أسلم أويس على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن منعه من القدوم بره بأمه. وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي نضرة عن أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر وفي رواية فمن لقيه منكم فمروءه فليستغفر لكم (انتهى) وفي ميزان الاعتدال أويس بن عامر ويقال ابن عمرو القرني اليماني العابد نزيل الكوفة قال البخاري يمانى مرادي في إسناده نظر فيما يرويه وقال البخاري أيضاً في الضعفاء في إسناده نظر يروي عن أويس في إسناده ذلك قلت يريد أن الحديث الذي يروي عن أويس في الإسناد إلى أويس نظر ولولا أن البخاري ذكر أويساً في الضعفاء لما ذكرته أصلاً فإنه من أولياء الله الصادقين وما روى الرجل شيئاً فيضعف أو يوثق من أجله. وروى بسنده عن اسحق بن إبراهيم ما شبهت عدي بن سلمة الجزري إلا بأويس القرني تواضعاً. قال ابن عدي ليس لأويس من الرواية شيء إنما له حكايات ونتف في زهده ولا يتهياً أن يحكم عليه بالضعف بل هو ثقة صدوق (انتهى) وروى بسنده في حديث كان أويس يجالس رجلاً من فقهاء الكوفة يقال له بشير قال فققدته فإذا هو في خص له قد انقطع من العربي فذكر الحديث بطوله (انتهى الميزان). وفي لسان الميزان قال ابن حبان في ثقات التابعين أويس بن عامر القرني من اليمن من مراد سكن الكوفة وكان زاهداً عابداً يروي عن عمر (انتهى) وفي خلاصة تذهيب الكمال: أويس بن عامر القرني بفتح القاف والمهمل ثم نون من مذبح مخضرم أرسل وروى له مسلم أشياء من كلامه وهو سيد التابعين كما رواه مسلم في صحيحه وله مناقب مشهورة (انتهى) وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أويس بن عامر وقيل ابن الخليفة بن مالك بن عمر بن سعد بن عصوان المرادي القرني من تابعي أهل اليمن أدرك حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره ووفد على عمر بن الخطاب وروى عنه وعن علي أن صحت الرواية. عنه يسير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى وموسى بن يزيد وأبو عبد رب الدمشقي وسكن الكوفة واسند ابن عساكر أويس عن علي بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد أنه وتر يحب الوتر ما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة وقال في تمة حديث علقمة بن مرثد السابق فأما أويس القرني فإن أهله ظنوا أنه مجنون فبنوا له بيتاً على باب دارهم وكان يأتي عليه السنة والسنان لا يرون له وجهاً وكان طعامه مما يلتقط من النوى فإذا أمسى باعه لإفطاره وإن أصاب حشفة خبأها لإفطاره (انتهى).

بعض ما روي في حقه:

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن رجل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خليلي من هذه الأمة أويس القرني، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من خير التابعين أويس وهو حديث مشهور (انتهى).

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي بكر بن عياش عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الجنة بشفاعتي من أمتي أكثر من ربيعة ومضر قال هشام فأخبرني حوشب عن الحسن أنه أويس القرني أبو بكر بن عياش فقلت لرجل من قومه أويس بأي شيء بلغ

هذا قال: فضل الله يؤتيه من يشاء. وفيه بسنده عن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من بني تميم قال عبد الوهاب الثقفي قال هشام سمعت الحسن يقول أنه أويس القرني صحيح الإسناد ولم يخرجاه (انتهى) يعني مسلماً والبخاري. وفي الإصابة: عن الدلائل للبيهقي عن عبد الله بن أبي الدعاء رفعه قال يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من بني تميم قال هشام بن حسان كان الحسن يقول هو أويس القرني (انتهى) وفي ميزان الاعتدال بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليشفعن رجل من أمتي في أكثر من مضر قال أبو بكر يا رسول الله أن تيمماً من مضر قال ليشفعن من أمتي لأكثر من تميم ومن مضر وإنه أويس القرني. وفيه عن يونس وهشام عن الحسن قال يخرج من النار بشفاعته رجل ليس بنبي أكثر من ربيعة ومضر قال هشام عن الحسن هو أويس (انتهى).

جملة مما روي من أخباره

قال محمد بن سعد في الطبقات الكبير: أخبرنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة حدثني سعيد الجرير عن أبي نضرة عن أسير بن جابر قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا فإذا فرغ من حديثه تفرقوا ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم كلامه فأحبيته ففقدته فقلت لأصحابي هل تعرفون رجل كان يجالسنا كذا وكذا فقال رجل منهم أنا أعرفه ذاك أويس القرني فانطلقت معه حتى ضربت حجرته فخرج إلي، قلت يا أخي ما حبسك عنا؟ قال العربي وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه، قلت خذ هذا البرد فألبسه، قال لا تفعل فإنهم إذا يؤذني إن راوه علي، فلم أزل به حتى لبسه، فخرج عليهم فقالوا من ترون خدع عن رده هذا؟ فجاء فوضعه، وقال أترى؟ فقلت ما تريدون من هذا الرجل قد أذيتموه؟ الرجل يعري مرة ويكسى مرة فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً. فقضى أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمرو وفيهم رجل ممن كان يسخر به، فقال عمر: هل هنا أحد من القرنين فجاء ذلك الرجل فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال أن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غيراً له وقد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا مثل موضع الدرهم فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم قال فقدم علينا قلت من أين قال من اليمن قلت ما اسمك قال أويس قلت فمن تركت باليمن قال أما لي قال أكان بك بياض فدعوت الله فأذهب عنه قال نعم قال استغفر لي قال أويستغفر مثلي لئلك يا أمير المؤمنين فاستغفر له قلت له أنت أخي لا تفارقني قال هاملس^(١) مني فأنيبت أنه قدم عليكم الكوفة فجعل ذلك الذي كان يسخر به ويحتقره يقول ما هذا فينا يا أمير المؤمنين رجل يقال له أويس نسخر به قال أدرك ولا أراك تدرك فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يأتي

(١) املس بتشديد الميم أصله امتلس قلبت التاء ميماً وادغمت ومعناه افلت.

أهله فقال له أويس ما هذه بعادتك فما بدا لك قال سمعت عمر يقول فيك كذا كذا فاستغفر لي يا أويس قال لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي فيما بعد ولا تذكر الذي سمعته من عمر إلى أحد فاستغفر له قال أسير فما لبثت أن فشا أمره في الكوفة فأتيته فدخلت عليه فقلت يا أخي إلا أراك العجب ونحن لا نشعر قال ما كان في هذا ما أتبلغ به في الناس^(١) وما يجزى كل عبد إلا بعمله ثم أجلس منهم فذهب. (وروى) هذا المضمون أو قريباً منه الحاكم في المستدرک مع بعض الاختلاف.

وفي الطبقات: بسنده عن قيس بن يسير بن عمرو عن أبيه أنه كسا أويسا القرني ثوبين من العري قال فأني شيء لقي من ابن عم له. وبسنده عن هرم بن حيان العبدی: قدمت من البصرة فلقيت أويساً القرني على شط الفرات بغير حذاء فقلت كيف أنت يا أخي كيف أنت يا أويس فقال لي كيف أنت أخي قلت: إني قال إني أكره أن أفتح هذا الباب يعني على نفسي أن أكون محدثاً أو قاصاً أو مفتياً ثم أخذ بيدي بكى قلت فاقراً علي قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم حم والكتاب المبين إنا أنزلنا في ليلة مباركة إن كنا منذرين حتى بلغ أنه هو السميع العليم فغشي عليه ثم أفاق ثم قال الوحدة أحب إلي (انتهى). ورواه الحاكم في المستدرک بسنده عن هرم بن حيان العبدی بأطول من ذلك بكثير مع بعض الاختلاف ونحن ننقله من المستدرک بأخصر مما ذكره وبأطول مما في الطبقات قال هرم بن حيان العبدی قدمت الكوفة فلم يكن لي بها هم إلا أويس القرني حتى سقطت عليه جالساً وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعته فسلمت عليه فرد علي فمددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت رحمك الله يا أويس كيف أنت ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي له لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى ثم قال وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي من ذلك علي قلت الله قال لا إله إلا الله سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً حين سماني والله ما كنت رأيت قط ولا رأيته ثم قلت من أين عرفتني وعرفت اسمي وأبي فوالله ما كنت رأيتك قط قبل هذا اليوم قال نبأني العليم الخبير عرفت روعي روحك حيث كلمت نفسي نفسك أن الأرواح لها أنفوس كأنفس الأحياء إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ويتحدثون بروح الله وإن لم يلتقوا وإن لم يتكلموا ويتعارفوا وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل قلت: حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحدث أحفظه عنك قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغني من حديثه كما بلغكم ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثاً أو قاصياً ومفتياً في النفس شغل يا هرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله اسمعهن منك فإني أحبك في الله حباً شديداً وأدع بدعوات وأوصر بوصية أحفظها عنك فأخذ بيدي على شاطئ الفرات وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن

(١) هكذا في الأصل من قوله إلا أراك العجب إلى هنا وكان فيه تحريفاً.

الرحيم فشقق شهقة ثم بكى مكانه ثم قال «قال ربي تعالى ذكره وأحق القول قوله وأصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لأعبين ما خلقناهما إلا بالحق. حتى بلغ: إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم، ثم شقق شهقة ثم سكت وأنا أحسبه قد غشي عليه، ثم ذكر له موعظة ووصية ودعاء لهرم، ثم قال: «استودعتك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»، ثم قال لي «لا أراك بعد اليوم فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي ولا تسأل عني ولا تطلبني». فحرصت على أن أسير معه ساعة فأبى علي حتى دخل في بعض السلك فكم طلبته بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء (انتهى).

وهذا الحديث مما استدركه الحاكم على الشيخين مسلم والبخاري وصححه ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرک فدل على أنه صحيح عنده. ونسبته إلى أبيه، وهو لم يره قط، ويقول له كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه: نبأني العليم الخبير (١) وإذا روى راوٍ ما يشبه ذلك عن أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام وروى علوم جدهم استعظم ذلك واستكبر وكذب راويه ونسب إلى المغالاة ودعوى علم الغيب للبشر! ما هذا بإنصاف.

وروى فيه بسنده عن سفيان الثوري كان لأويس القرني رداء إذ جلس مس الأرض وكان يقول اللهم إني أعتذر إليك من كبد جائعة وجسد عار وليس لي إلا ما على ظهري وفي بطني وبسنده عن عطاء الخراساني: ذكروا الحج فقالوا لأويس القرني إما حججت قال لا قالوا ولم فسكت فقال رجل منهم عندي راحلة وقال آخر عندي نفقة وقال آخر عندي جهاز فقبله منهم وحج به.

شهوده صفين وشهادته وأنه من خير التابعين؛

قال الكشي روى يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: خرج بصفين رجل من أهل الشام فقال فيكم أويس القرني قلنا نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول خير التابعين أو من خير التابعين أويس القرني ثم تحول إلينا (انتهى) ويذكرنا هذا الخبر ما جرى لعمار يوم صفين حين روى عمرو بن العاص لأهل الشام: عمار تقتله الفئة الباغية وسؤال جماعة من أهل الشام أهل العراق أفيكم عمار بن ياسر وقول ابن أبي الحديد عجباً لقوم يرتابون لمكان عمار ولا يرتابون لمكان علي بن أبي طالب. ونحن نقول أيضاً عجباً لقوم يرتابون لمكان أويس لأن روي فيه أنه خير التابعين ولا يرتابون لمكان علي بن أبي طالب وقد ورد فيه «حريك حربي وسلمك سلمى، علي مع الحق والحق مع علي، وأمثاله ذلك مما شاع وذاع وملاً الأسماع، «إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور». قال ورثاه دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يفتخر فيها على نزار وينقض على الكميت بن زيد قصيدته التي يقول فيها (إلا حبيت عنا يا ردينا) فقال دعبل:

فيوم البعث نحن الشافعونا

أويس ذو الشفاعة كان منا

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي مكي بن ربيعة امرأة في مسجد أويس القرني قالت

كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا يصلون ويقرؤون في مصاحفهم فآتي غداءهم وعشاءهم ها هنا حتى يصلوا الصلوات قالت وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتى غزوا فاستشهد أويس وجماعة من أصحابه في الرجالة بين يدي علي بن أبي طالب.

ما جاء عنه من المواعظ والحكم:

في الإصابة: أخرج الحاكم المستدرك بسنده عن أسير بن جابر في تمة الحديث السابق بعد قول أويس من كانت له إلى حاجة فليقلني بعشاء ثم قال أويس إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر مؤمن فقيه ومؤمن لم يفقه ومناقق وذلك في الدنيا مثل الغيب يصيب الشجرة المؤنقة المثمرة فتزداد حسناً وإيناعاً وطيباً ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسناً ويكون لها ثمرة ويصيب الهشيم من الشجر فيحطمه ثم قرأ: ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً (انتهى) قلت لم أجده في المستدرك. وفي الطبقات بسنده جاء رجل من مراد إلى أويس القرني فقال: السلام عليكم قال: وعليكم قال كيف أنت يا أويس قال بخير نحمد الله (قال الحمد لله) قال كيف الزمان عليكم قال ما تسأل رجلاً إذا أمسى لم ير أنه يصبح وإذا أصبح لم ير أنه يمسي يا أخا مراد إن الموت لم يبق فرحاً يا أخا مراد إن معرفة المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضة ولا ذهباً يا أخا مراد إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً والله إننا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذونا أعداء ويجدون على ذلك من الفساق أعواناً حتى والله لقد رموني بالعظام وأيم الله لا ينعني ذلك أن أقول لله بالحق (إن أقول بالحق) ورواه الحاكم في المستدرك بسنده مثله. وفي تاريخ ابن عساكر قال أويس لهرم بن حيان احذر ليلة صبيحتها القيامة ولا تفارق الجماعة فتفارق دينك، يا هرم توسد الموت إذا نمت واجعله أمامك إذا قمت، ولا تنظر إلى صغر ذنبك ولكن انظر إلى من عصيت فإن صغرت ذنبك فقد صغرت الله. وقال له هرم يوماً: صلنا يا أويس بالزيارة فقال له: قد وصلتك بما هو خير من الزيارة واللقاء وهو الدعاء بظهر الغيب إن الزيارة واللقاء ينقطعان والدعاء يبقى ثوابه. وقال له رجل أريد أن أصحبك لأستأنس بك فقال سبحانه الله ما كنت أرى أحداً يعرف الله يستوحش مع الله فقال له مرني بمكان أنزل به فأوماً بيده نحو الشام فقال له فكيف بالمعيشة فقال: قد خالط الشك هذه القلوب فما تنفع معها موعظة. وكان يقول لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً (انتهى) وقال ابن عساكر أيضاً قال أويس كن في أمر الله كأنك الناس كلهم (انتهى) وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن يزيد بن يزيد البكري قال أويس كن في أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم (انتهى) ومعناه على رواية ابن عساكر ظاهر أي اجتهد في امتثال أمر الله اجتهداً يقابل اجتهد جميع الناس أما على رواية الحاكم فيمكن أن يكون معناه والله أعلم خف من الله مخافة من قتل الناس كلهم ويحتمل أنه سقط من تاريخ ابن عساكر لفظ قتلت ولعله من النسخ (انتهى).

مرقد الشريف: وجاء في كتاب مراقد المعارف:

أويس القرني^(١) بن أنيس المرادي، الشهير بالقرني نسبة إلى أحد أجداده وهو قرن بن رومان بن ناجية بن مراد، من أهل اليمن، استشهد مع الرجال في حرب صفين^(٢) بين يدي أمامه أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٧ هـ.

مرقد بالرقعة^(٣) في صفين قرب حدود العراق ومجرى نهر الفرات، كانت على قبره دكة قديمة البناء، وحدثونا أنه بعد ذلك بنوا عليها قبة، وله حرم صغير وسياج كالصحن، كما كان إلى جانب دكته لوح حجر كبير جداً مكتوب عليه اسمه بالخط الكوفي، وقد دفن الحجر إلى حدود النصف منه عند موضع رأسه كالوتد المثبت في الأرض، رآه جماعة من أصحابنا المنقبين عن الآثار، وحدث غير واحد من الحجاج العراقيين المارين بالرقعة إلى الشام أنهم رأوا قبره مشيداً بما وصفناه في أواخر العهد التركي بالعراق.

كان أويس القرني أحد الزهاد الثمانية^(٤) ومن سادات التابعين، ومن شهد له رسول الله (ص) بالجنة، ولم ير النبي الأكرم (ص)، ولم يحظ ببقاءه ومجالسته.

(١) ابن عامر بن جزء بن مالك القرني أحد سادات التابعين وسيد زهاد زمنه، جاء ذلك في هامش (عنوانه الدراية) تأليف أبي العباس أحمد الغبريني المتوفى سنة ٦٤٤ هـ، وشذرات الذهب، ٣٦: ١، ومسالك الأبحار، ١٢٢: ١، والطبقات الكبرى، لابن سعد ١١١: ٦.

(٢) «صفين» موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، كانت بها وقعة صفين بين علي عليه السلام ومعاوية سنة ٣٧ هـ في غرة صفر، وقتل مع علي (ع) خمسة وعشرون صحابياً بديراً، وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة - «معجم البلدان»، ٥: ٣٧٠.

(٣) وفي «تاريخ الرقة» قال طاهر النعساني في المقدمة ص ١٣: «وطمست معالم القبور في الرقة كلها ولم يبق منها إلا قبر أويس القرني تحت قبة معروفة في الجهة الشرقية من الرقة، وهو معتقد عند الأهليين حتى أن الأشجار التي حوله لا تعضد، ويقول النعساني في ص ١٥: «وأصبح اليوم (أي بعد الحرب العالمية الثانية) سكان قضاء الرقة يزيدون على عشرين ألفاً». وامتد العمران إلى ضريح أويس القرني.

قال الشيخ محمد حرز الدين: إن في شوشتر قبراً وبقعة عامرة ينسبونها إلى أويس، وأن القبر يقع بالقرب من بستان دهكي المعروف. ولا يخفى على كل المحي فطن أن نقل جسد أويس القرني من المعركة في صفين إلى شوشتر في حياة إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام مما لا يفوه به أحد، وعلى فرضه فهو قبر رجل اسمه أويس أو ويس والله أعلم. ثم إن المؤلف، أهاف أيضاً: أن في شوشتر قبوراً ومزارات كثيرة لا نعرف مدى صحتها: ومن المزارات فيها ما يسمى «مقام حسين» و«قربلاش»، كانت الجركس في جواره قديماً تقيم فيه العزاء أيام عاشوراء في شهر المحرم، وإن أهل المحلة من المسلمين يمدونهم بالبذل لإقامة عزاء سيد الشهداء عليه السلام، وقد بني مسجد فخم بجنبه (انتهى). عن كتاب «النوادر» ج ٥.

(٤) وهم الربيع بن خثيم، وهزم ككتف ابن حيان، وأويس القرني، وعامر بن عبد قيس، وهؤلاء الأربعة كانوا مع علي بن أبي طالب (ع) ومن أصحابه، وكانوا زهاداً أتقياء، قاله الفضل بن شاذان، وأما الأربعة الأخرى فهم على الباطل، وهم أبو مسلم الخولاني، ومسروق ابن الأجدع، والحسن البصري، وأسود بن يزيد، أو جرير بن عبد الله. «الكنى والألقاب» - ١: ٢٦٩، «منتخب التواريخ فارسي» ص ١٧٥.

وفي «الطبقات الكبرى» للشعرازي - ١: ٢٤ أن أويساً كان من أكابر الزهاد، رث الثياب قليل المتاع، وكان أشهل ذا صهوبة، بعيداً ما بين المنكبين، معتدل القامة آدم شديد الأدمة، ضارباً بذقنه إلى صدره راميةً ببصره إلى موضع سجوده، واضعاً يمينه على شماله ...

قال بشر الحافي (رض): «وبلغ من ورع أويس أنه جلس في قوصرة من العري، فهذا هو الزهد، وكان مشغولاً بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد روي أنه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد، وقال: والله ما كسرت رباعيته (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى كسرت رباعيتي، ولا شج وجهه حتى شج وجهي، ولا وطن ظهره حتى وطن ظهري، هكذا رأيت هذا الكلام في بعض المؤلفات.

روي في بعض كتب الفضائل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «واشوقاه إليك يا أويس القرني، ألا ومن لقيه فيقرئه مني السلام، فقيل: يا رسول الله ومن أويس القرني؟ قال (ص): «إن غاب عنكم لم تفقدوه، وإن ظهر لكم لم تكتروا به، يدخل الجنة في شفاعته مثل ربعة ومضر، يؤمن بي ولا يراني، ويقتل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين، ورواه الكشي في رجاله.

روي عن أويس القرني أنه قال لرجل سألته: كيف حالك؟

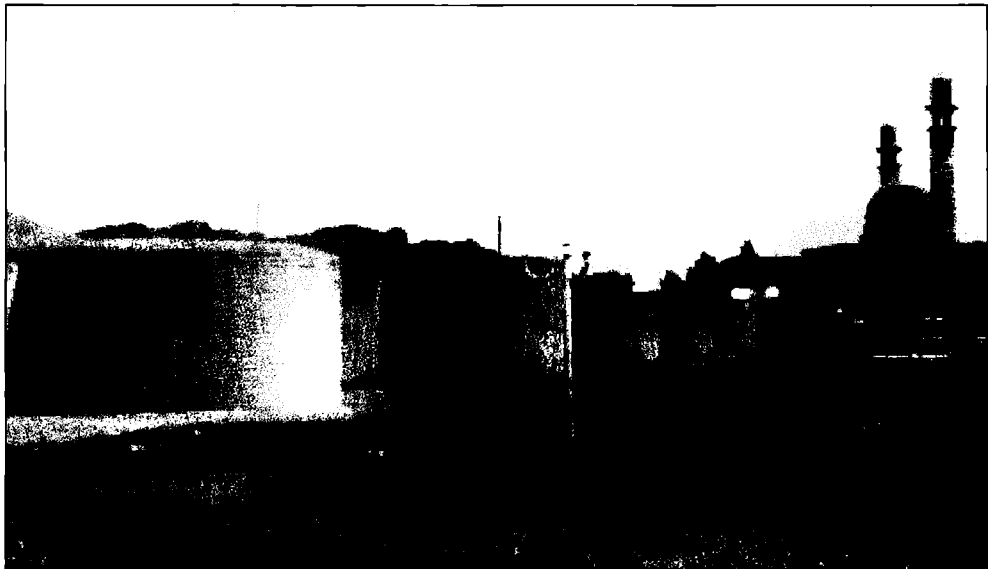
فأجاب «كيف حال من يصبح يقول: لا أمسي ويمسي يقول لا أصبح، يُبشّر بالجنة ولا يعمل عملها، ويحذر الناس ولا يترك ما يوجبها ثم قال: والله أن الموت وغصصه وكرياته وذكر هول المطلع وأحوال يوم القيامة لم تدع للمؤمن في الدنيا فرحاً، وإن حقوق الله تعالى لم تبق لنا ذهباً ولا فضة، وإن قيام المؤمن بالحق في الناس لم يدع له صديقاً، نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، فيشتمون أعراضنا، ويرموننا بالجرائم والمعائب والعظايم، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين، أنه والله لا يمنعنا ذلك أن نقوم فيهم بحق الله تعالى شأنه».

صار أويس القرني من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام، روى الشيخ الكشي في رجاله عن الإمام موسى بن جعفر (ع) «أنه إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين حوارى علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله (ص)؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار، وأويس القرني».

حكي قصة شهادته أنه جاء إلى هذا الموضع فسمع صوت ضرب الطبل وسأل عنه قيل له محاربة علي أمير المؤمنين (ع) لمعاوية وأهل الشام، فالتحق فوراً بأمر المؤمنين (ع) وحصل منه الرخصة في حرب معاوية وقتل جماعة من الشاميين وقتل رضوان الله عليه ودفن في المعركة، وعهدة هذه الحكاية على حاكبيها من أصحابنا.

قال الشيخ محمد حزر الدين: والذي سمعته مذاكرة من بعض ثقات أصحابنا كالبخاتبة المتتبع الجليل الحافظ العالم الشيخ محمد لائذ النجفي: أن أويساً دخل المدينة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم على المغتسل فقال له أمير المؤمنين (ع): «ما الذي جاء بك يا أويس في هذه الساعة تقتلك قريش، اذهب وأتني بعد خمسة وعشرين سنة». فقال أويس: مَدَّ يَدُكَ أَبَايَعُكَ فبإيعه، ثم جاء بعد مضي الوقت الذي ضربه له عليه السلام وعلي بصفين، وقبل وصوله أخبر أمير المؤمنين (ع) أنه يبايعني اليوم كذا مقدار من الرجال فبايعه العدد إلا واحداً، فقال: المنافقون ما قالوا، وقال: ابن عباس ليته لم يقل ذلك، ولما أشرفت الشمس على الغروب وإذا بغبرة قد سطعت من جانب البر فحققوا النظر وإذا هو أويس يركض وعليه مدرعة من صوف وقد تقلد بسيفين فلما وقع عليه نظر أمير المؤمنين (ع) سلّم عليه وقال: أويس هذا؟ قال: نعم مَدَّ يَدُكَ أَبَايَعُكَ، فقال (ع): ألم تبايعني في المدينة؟ قال: نعم وأبايعك اليوم على البراءة من أعدائك ومن هؤلاء، ثم قتل بين يدي أمير المؤمنين (ع) هـ.

أقول: وهذا التفصيل في أحوال أويس لم أعر عليه في كتب أهل السير والرجال، ولعله وجده في كتب أخرى لم أعر عليها أو سمعه من بعض معاصريه كالعالم الخبير السيد كاظم العاملي التجفي، والرجالي المحيط الشيخ الأكبر الشيخ محسن خنفر العفكاوي وغيرهم. روى الشيخ المفيد في «الإرشاد» أنه قال أمير المؤمنين (ع) بذى قار وهو جالس لعقد البيعة: «يأتاكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعوني على الموت»، قال ابن عباس: فجزعت ذلك وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه فيفسد الأمر علينا ولم أزل مهموماً دأبي احصاء القوم حتى ورد أوائلهم فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً ثم انقطع مجيء القوم، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ماذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل حتى إذا دنا وإذا هو رجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وإداوته فقرب من أمير المؤمنين (ع) فقال له امدد يدك أبياعك، فقال أمير المؤمنين: علام تباعني؟ قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك، فقال: له ما اسمك، قال: أويس، قال: أنت أويس القرني قال: نعم، قال: «الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنني أدرك رجلاً من أمته يقال: له أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر» قال: ابن عباس فسرى والله عني.



مشهد الرقة (سيدنا أويس القرني وسيدنا عمار بن ياسر) «رض»

الشاعر الصنوبري

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي المعروف بالصنوبري. (مرار) بميم مفتوحة وراء مشددة وألف وراء (والضبي بالضاد المعجمة المفتوحة والياء الموحدة المشددة والياء آخر الحروف نسبة إلى ضبة أبو قبيلة (والصنوبري) بصاد مهملة ونون وياء موحدة مفتوحات وراء منسوب إلى الصنوبر شجر معروف. وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه سئل الصنوبري عن سبب نسبة جده إلى الصنوبر حتى صار معروفاً به فقال كان جدي الحسن صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدة مزاجه وقال إنك لصنوبري الشكل يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج (هـ) وقال السمعاني في الأنساب: هذه النسبة إلى الصنوبر وظني أنها شجرة والمشهور بهذه النسبة أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري.

أقوال العلماء فيه

كان الصنوبري شاعراً مجيداً مطبوعاً كثيراً، وكان عالي النفس ضئيلاً بماء وجهه عن أن يبذله في طلب جوائز ممدوح صائناً لسانه عن الهجاء يقول الشعر تادباً لا تكسباً، مقتصراً في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، وهو من فحول الشعراء ومن جملة من كان منهم بحضرة سيف الدولة، وكان لا يجارى في وصف الأماكن والأنهار والرياض والأزهار وقد أكثر في شعره من ذلك وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: إنه شاعر محسن أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار (الأزهار) قدم دمشق وله أشعار في وصفها ووصف منتزهاتها (١ هـ) وقال السمعاني في الأنساب: الشاعر المحسن المجيد أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري كان يسكن حلب ودمشق وأنشد ديوان شعره، روى عنه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جميع الغساني وذكر أنه سمع منه من شعره مجلداً (١ هـ) وفي شذرات الذهب: الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الضبي الحلبي شعره في الذروة العليا (١ هـ) وذكره ابن شاکر الكتبي في فوات الوفيات وترجمة الذهبي فيما حكى عنه. وذكره ابن النديم في الفهرست وقال: جمع ديوانه الصولي في مقدار مئتي ورقة. وفي معالم العلماء في شعراء أهل البيت عليهم السلام من أصحاب الأئمة عليهم السلام وغيرهم أبو بكر الصنوبري وأورد في المناقب كثيراً من شعره وفي الطليعة: كان فاضلاً باهراً وأديباً شاعراً قدم العراق ومدح بها الأمراء، وله مع المعري مطارحات (١ هـ). وفي كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني في باب المشاهير من الشعراء: وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ولولا مكانه من السلطان لأخفاه وكان الصنوبري والخبزازي مقدمين عليه للسن ثم سقطا عنه، على أن الصنوبري يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره، ولقيه المتنبي مرة بالمصيصة أو غيرها فقال له يهزأ به: أنت صاحب بغادين؟ - يريد قصيدته:

شربنا في بغادين على تلك الميادين
لما فيها من المجون والخلاعة - فقال له الصنوبري: أنت صاحب الطرطبة؟ - يريد قصيدته:
ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبة
لما كان فيها من اللين والركاكة ولكل كلام وجه وتأويل ومن التمس عيباً وجده، وقيل بل قال
له أنت صاحب جاخا قال نعم! قال أنت شاعرٌ بلدك - يريد قوله في صفة الوعل:
ذاك أم أعصم كان مدرياه حين عاجا على القذالين جاخا
(١ هـ) وقال الخوارزمي: من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات
الكميت وثقائن جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهديات أبي العتاهية ومراثي
أبي تمام ومدائح البحثري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج إلى الشعر فلا أشب
الله قرنه (١ هـ).

تشيعه:

لم يشر ابن عساكر وابن شاعر والذهبي والسمعاني وغيرهم ممن ترجمه ممن ترجمه إلى تشيعه ولعله
لعدم اطلاعهم على شعره الدال على تشيعه، ولذلك لم يوردوا شيئاً من شعره في أهل البيت
عليهم السلام وهو شيعي بلا ريب كما يدل عليه عد ابن شهر آشوب في المعالم إياه من شعراء أهل
البيت ومدائحه ومراثيه الكثيرة فيهم عليهم السلام كثيرة، وأورد ابن شهر آشوب منها مقطعات
في مناقبه.

وفي يتيمة الدهر في ترجمة المتنبي: حكى ابن جني قال حدثني أبو علي الحسين بن أحمد
الصنوبري قال: خرجت من حلب أريد سيف الدولة فلما برزت من السور إذا أنا بفارس ملثم قد
أهوى نحوي برمح طويل وسدده إلى صدري فكدت أطرح نفسي عن الدابة فرقاً ثم ثنى السنان
وحسر لثامه فإذا هو المتنبي وأنشدني:

نثرنا رؤوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال: كيف ترى هذا القول أحسن هو؟ فقلت له ويحك قد قتلتنني! قال ابن جني فحكيت
هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب فعرفها وضحك لها وذكر أبا علي من التقريظ والثناء
بما يقال في مثله قال:

وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها (وا حرّ قلباه ممن قلبه شيم) فلما
وصلت إلى قوله فيها:

وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

أعجب به جداً واستعاده حتى حفظه، ومعناه: الشكوى من مساوئه لغيره في العطاء ممن
لا يصل إلى درجته في الشعر (١ هـ).

والظاهر أن هذا ولد الصنوبري المترجم وتوهم معاصر، كتب في الجزء ٨ ص ٤٨٤ من مجلة
المجمع العلمي العربي الدمشقي ترجمة لأبي بكر أحمد بن محمد بن الحسن الصنوبري صاحب

الترجمة نقلها عن مجموع قديم مخطوط فيه أنه توفي سنة ٣٣٤ كما ذكرنا فظن أن المذكور في كلام صاحب اليتيمة آنفاً هو المترجم وأن كلام المؤرخين قد اختلف في اسمه واسم أبيه وبنى على ذلك أن تاريخ وفاته المذكور مغلوطاً لأن القصيدة التي أولها (وا حرّ قلباه) هي آخر ما أنشده أبو الطيب سيف الدولة سنة ٣٤٦. (قلت) وهذا وهم ظاهر فإن الذي نقل ابن جني عنه الحكاية هو الحسين بن أحمد وكنيته أبو علي والمترجم أحمد بن محمد وكنيته أبو بكر. والثاني توفي سنة ٣٣٤ والأول كان حياً سنة ٣٤٦ فكيف يتوهم اتحادهما ويحكم باشتباه المؤرخين لمجرد أن كلا منهما يعرف بالصنوبري.

أشعاره:

قال كان أول شعر قلته وارتضيته قولي:

ما حل بي منك وقت منصرفي ما كنت إلا وديعة التلف
كم قال لي الشوق قف لتلثمه فقال خوف الرقيب لا تقف
فكان قلبي في زي منعطف وكان جسمي في زي منصرف
ومما أورد له ابن عساكر وغيره قوله في الغزل:

لا النجوم أدري به ولا الأرق يدري بهذين من به رمق
إن دموعي من طول ما استبقت كلت فما تستطيع تستبق
ولي عليك لم تبد صورته منذ كان إلا صليت له الحدق
نويت تقبيل نار وجنته وخفت أدنو منها فأحترق
وقوله:

تزايد ما ألقى فقد جاوز الحدا وكان الهوى مزحاً فصار الهوى جدا
وقد كنت جلدأ ثم أوهني الهوى وهذا الهوى ما زال يستوهن الجلدأ
فلا تعجبي من غلب ضعفك قوتي فكم من ظباء في الهوى غلبت أسدا
غلبتم على قلبي فصرتم أحق بي وأملك لي مني فصرت لكم عبدا
جرى حبكم مجرى حياتي ففقدكم كفقد حياتي لا رأيتم لكم فقدا
وقوله في غلام يتعلم الكتابة:

أنظر إلى أثر المداد بخده كبنفسج الروض المشوب بورده
ما أخطأت نونات من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قدده
أقت أنامله على أقلامه شبيهاً أراك فرندها كفرنده
وكانما أنفاسه من شعره وكانما قرطاسه من خده
ما صدعني حين صدّ تعمداً لولا المعلم ما رميت بصدده
وقوله:

شمس غدت تشرب شمساً غدت وحدها في الوصف من حده

تغيب في فيه ولكنها	من بعد ذا تطلع في خده
وله في صاحبة اللباس الأخضر:	
وشاطرة أدبتها الشطارة	حلى الروض من حسننها مستعارة
أتت في لباس لها أخضر	كما لبس الورق الجلناره
وله كما في شرح رسالة ابن زيدون:	
وإن أبدلتني بالسهم	ل من أخلاقك الوعرا
لعماد الحلوم من ود	ك فيما مضى مرا
إذا مـ زدتك الآن	وفاء زدتني غدا
فما تسمع لي قولاً	ولا تقبل لي عذار
وما لي فيك إلا الصبـ	رساء الوقت أم سرا
وله:	
وإذا ما السلام ضنت به الألد	سن كان السلام بالأحداق
وله:	
يا شمس يا بدر يا نهار	أنت لنا جنة ونار
تجنب الإثم فيك إثم	وخشية العار فيك عار
يخلع فيك العذار قوم	فكيف من ماء له عذار
وله في غلام عريس:	
أيها المفتدي إلى العرس لاقت	ك سعود قد جانبها نحوس
ما سمعنا والله فيما سمعنا	بعروس تجلى عليها عروس
وله:	
نار راح ونار خد ونار	لحشى الصب بينهن استعار
ما أبالي ما كان ذا الصيف عندي	كيف كان الشتاء والأمطار
وأورد له في مجموعة الأمثال الشعرية كثيراً من الأبيات المفردة مروياتي بعضها فمناها:	
ما بدت شعرة بخدك إلا	قلت في ناظري أو في فؤادي
وله ونسبها في معاهد التنصيص إلى أبي نواس:	
ولم أنس ما عاينته من جماله	وقد زرت في بعض الليالي مصلاه
ويقرأ في المحارب والناس خلفه	(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله)
فقلت لـ ما تقول فإنه	فعالك يا من تقتل الناس عيناه
وله في الشيب والشباب:	
هدم الشيب ما بناه الشباب	والغواني وما غضبن غضاب
قلب الأبнос عاجا فلأعـ	ين منه وللقلوب انقلاب

وضلال في الرأي يشنأ البا
وله في مثله:
زي على حسنه ويهوى الغراب

ملأت وجهها على عبوساً
ورأتني أشرح العاج بالعا
ليس شيبني إذا تأملت شيبا
وله:
واستثارت في المآقي الرسيسا
ج فظلت تستحسن الأبنوسا
إنما الشيب ما أشاب النفوسا

واسوداد العذار بعد ابيضاض
وله في مثله:
كابيضاض العذار بعد اسوداد

أبدى الغواني الصد والإعراضا
وغيض عنك جفونهن وربما
لما رأين بعارضيك بياضا
قلبن أحداقاً إليك مراضا

قال الأميني في ترجمته: شاعر شيعي مجيد. جمع شعره بين طرفي الرقة والقوة، ونال من المتانة وجودة الأسلوب حظه الأوفر، ومن البراعة والظرف نصيبه الأوفى، وتواتر في المعاجم وصفه بالإحسان تارة وبالإجادة أخرى وإن شعره في الذروة العليا ثالثة وكان يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره وقال الثعالبي: تشبيهات ابن المعتز وأوصاف كشاجم، وروضيات الصنوبري، متى اجتمعت اجتمع الظرف الطرف، وسمع السامع من الإحسان العجب.

وله في وصف الرياض والأنوار تقدم باهر، وذكر ابن عساكر: أن أكثر شعره فيه. وقال ابن النديم في فهرسته: إن الصولي عمل شعر الصنوبري على الحروف في مأتي ورقة. فيكون المدون على ما التزم ابن النديم من تحديد كل صفحة من الورقة بعشرين بيتاً ثمانية آلاف بيت، وسمع الحسن بن محمد الغساني من شعره مجلداً.

وله في وصف حلب ومنتزهاتها قصيدة تنتهي إلى مائة وأربعة توجد في «معجم البلدان» للحموي ص ٣١٧-٣٢١، وقال البستاني في «دائرة المعارف» ص ١٣٧: هي أجود ما وصف به حلب مستهلاً:

إحبسا العيس احبساها وسلا السدار سلاها

وأما نسبته إلى الصنوبر فقد ذكر ابن عساكر عبد الله الحلبي الصفري إنه قال: سألت الصنوبري عن السبب الذي من أجله نسب جده إلى الصنوبر حتى صار معروفاً به. فقال لي: كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحده مزاجه وقال له: إنك لصنوبري الشكل يريد بذلك الذكاء وحده المزاج. وذكر له النويري في «نهاية الأرب» ج ١ ص ٩٨ في نسبته هذه قوله:

وإذا عزينا إلى الصنوبر لم
لا بل إلى باسق الفروع علا
مثل خيام الحرير تحملها
كان ما في ذراه من ثمر
تُعز إلى خامل من الخشب
مناسباً في أرومة الحسب
أعمدة تحتها من الذهب
طير وقوع على ذرى القضب

شابت رؤوس النباتات لم يشب
أمن في لبسها من الحرب
الأصداف حتى بدا من القرب
مانيل من طيبها ولا رطب
أفدي بأمي محبةً وأبي
يزيد في حسنه على النسب

إلا السلام وأدمع نذريها
عيش أوازيه بعيش فيها
بحث البكاء كنت استبكيها
ولئن بخلت فأدمعي تسقيها
أغريت عاصية على مغريها
عما تكلفنيه من وصفها
لم يحل ممضاها إلى ممضيها
شيئاً فتطلب فوق ما تعطها
مع حب فاطمة وحب بنيتها
يبني العلا بعلاهم بانيها
في حبهم فالحمد للموليا
فيحق لي أن لا أكون سفيها
ودّي وأصفيت الذي يصفيها
يلتدُّ برد رجائها راجيها
بعد الصلاة على النبي أبيها
في كربلاء لما ونت تبكيها
كانت دماء العالمين تقيها
كنا بنا وبغيرنا نفديها
مشؤومة العقبي على باغيها
أوصى الوصايا قط أو يوصيها
ليرى ارتضاع يمينه رائيتها
فيه وفيه يبدئ التنبيها
لم يأل في خير به تنويها
أمضى قضيته التي يمضيها

باقٍ على الصيف والشتاء إذا
محصن الحب في جواشن قد
حب حكي الحب صين في قرب
ذونثة ما ينال من عنب
يا شجراً حبه حداني أن
فالحمد لله إن ذا لقب
ومن شعره قال رحمه الله:

ما في المنازل حاجة تقضيها
وتضجع للعين فيها حيث لا
أبكي المنازل وهي لو تدري الذي
بالله يا دمع السحائب سقنها
يا مغرياً نفسي بوصف عزيزة
لا خير في وصف النساء فأعطني
يارب قافية حلى إمضاؤها
لا تطمعن النفس في إعطائها
حب النبي محمد ووصيه
أهل الكساء الخمسة الغرر التي
كم نعمة أوليت يامولاهم
إن السفاه بشغل مدحي عنهم
هم صفوة الكرم الذي أصفاهم
أرجو شفاعتهم فتلك شفاعة
صلوا على بنت النبي محمد
وابكوا دماء لو تشاهد سفكها
تلك الدماء لو أنها توقى إذن
لو أن منها قطرة تُفدي إذن
ان الذين بغوا إراقتها بغوا
قتل ابن من أوصى إليه خير من
رفع النبي يمينه بيمينه
في موضع أضحى عليه منها
أخاه في «خم» ونوه باسمه
هو قال: أفضلكم علي إنه

هو لي كهارون لموسى حبذا
يوماه يوم للعدي يرويه
يسع الأنام مثوية وعقوبة
وله في الحسين عليه السلام:
هل أضاخ كما عهدنا أضاخا
يقول فيها:

ذكر يوم الحسين بالطف أودى
منعوه ماء الفرات وظلوا
بأبسي عترة النبي وأمي
خير ذا الخلق صبية وشباباً
أخذوا صدر مفخر مذ كما
النقيون حيث كانوا جيوباً
يألفون الطوى إذا ألف النسا
خلقوا أسخياء لا متساخي
أهل فضل تناسخوا الفضل شيبا
بهواهم يزهو ويشمخ من قد
يا ابن بنت النبي أكرم به ابناً
وابن من وازر النبي ووالا
وابن من كان للكرهية ركا
للطلى تحت قسطل الحرب ضرا
ذو الدماء التي يطيل مواليد
ما عليكم أناخ كلعله الدهر

قال في قصيدة يمدح بها علياً أمير المؤمنين (عليه السلام):

وأخى حبيبي حبيب الله لا كذب
صلى إلى القبلتين المقتدى بهما
ما مثل زوجته أخرى يقاس بها
فمضمرة الحب في نور يخص به
هذا غداً مالك في النار يملكه
ردت له الشمس في أفلاكها فقضى
أليس من حل منه في أخوته
وشافع الملك الراجي شفاعته

تشبيه هارون به تشبيهها
جوراً ويوم للقنى يرويها
كلتاها تمضي لما يمضيها
حبذا ذلك المناخ مناخا

بصماخي فلم يدع لي صماخا
يتعاطونه زلاً لا نقاخا
سد عنهم معاند أصماخا
وكهولاً وخيرهم أشياخا
نوا وخلوا للعالمين المخاخا
حيث لا تآمن الجيوب اتساخا
س اشتواء من فيهم وأطباخا
ن وليس السخي من يتساخي
وشباباً أكرم بذاك انتساخا
كان في الناس زاهياً شماخا
ويأسناخ جده أسناخا
ه وصافاه في الغدير وواخي
باً وفي وجه هولها رساخا
باً وللهم في الوغى شداخا
ه اختضاباً بطيبها والتطاخا
رو لكن على الأنام أناخا

وابناه للمصطفى المستخلص ابنان
والناس عن ذاك في صم وعميان
ولا يقاس على سبطيه سبطان
ومضمرة البغض مخصوص بنيران
وذاك رضوان يلقاه برضوان
صلاته غير ماساه ولا وان
محل هارون من موسى بن عمران ١٩
إذ جاءه ملك في خلق ثعبان

قال النبي له: أشقى البرية يا
هذا عصي صالحاً في عقر ناقته
ليخضبن هذه من ذا أبا حسن
ويرثي فيها أمير المؤمنين وولده السبط الشهيد بقوله:
نعم الشهيدان رب العرش يشهدلي
من ذا يعزي النبي المصطفى بهما
من ذا لفاطمة الزهراء ينبئها
من قابض النفس في المحراب منتصباً
نجمان في الأرض بل بدران قد أفلا
سيضان يغمد سيف الحرب إن برزا
وله يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

ياخير من لبس النب
وجدني على سبطيك وجد
هذا قتيل الأشقيا
يوم الحسين هزقت دم
يوم الحسين تركت با
يا كربلاء خلقت من
كم فيك من وجه تشر
نفسى فداء المصطفى نار
حيث الأسنة في الجوا
فاختار درع الصبر حيد
وأبى إباء الأسد إن
وقضى كريماً إذ قضى
منعوه طعم الماء لا
من ذا لعفور الجوا
من للطريح الشلو عر
من للمحنط بالترا
من لابن فاطمة المغي

وّة من جميع الأنبياء
د ليس يؤذي بانقضاء
وذا قتيل الأدياء
مع الأرض بل دمع السماء
ب العز مهجور الفناء
كرب علي ومن بلاء
ب مأوه ماء البهلاء
الوغي أي اصطلاء
شن كالكوكب في السماء
ث الصبر من لبس السناء
الأسد صادقة الإباء
ظمان في نضر ظماء
وجدوا ماء طعم ماء
د ممال أعواد الخباء
ياناً مخلى بالعراء
ب وللمغسل بالدماء
ب عن عيون الأولياء

(مراجع: الاعلام ٢٠٧/١، الغدير ٣٦٧/٣ وما بعدها، فوات الوفيات ٦١/١، اعلام النبلاء ٢٣/٤، البداية والنهاية

١١٩/١١ وسماء محمد بن أحمد بن مراد، وفيه وفاته حوالي سنة ٣٠٠، وأعيان الشيعة ٣٠٦/٩ - ٣٨١).

تمصّلت أو « طزملت »

(توفي ٣٩٤ هـ)

ويقال طزّمات بن بكار أبو محمد الأسود القائد

مات بدمشق سنة ٣٩٤.

في تاريخ ابن عسّاك: «ولي أمرة دمشق من قبل علي المنصور الملقب بالحاكم، وكان رافضياً خبيثاً، وأول ولايته سنة ٣٩٢، فلما ولي دمشق وأتاها نزل في القصر الذي للسلطان، ثم أنه ولي دمشق غلاماً له أسود اسمه رشيد، ومن أعماله أنه دور في دمشق رجالاً مغريباً ونادى عليه هذا جزاء من يحب الشيخين ثم أخرجه إلى الخارج فضرب عنقه، ثم أنه مكث في دمشق سنة وشهرين ومات ٣٩٤ وخرج القاضي والقواد والأشراف وصلوا عليه، (انتهى).

يقول السيد الأمين:

الذين يحبون الشيخين يعدون بالملايين فلم أختص هذا المغربي من بينهم، فلا بد أن يكون لذلك سبب سياسي آخر.^(١)

أبو الصلاح الحلبي

(توفي ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م)

النسفي بن نجم بن عبد الله أبو الصلاح الحلبي شيخ الشيعة بدمشق، وكان عين علماء الشام، وقد جمع العلم والبيان وجمع من علوم الأديان.

وكان علامة في فقه أهل البيت عليهم السلام، وله مصنفات في الأصول والفروع.

توفي بدمشق سنة ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م.^(٢)

(١) أعيان ٦٣٨/٣.

(٢) الحوليات السورية (١٩٨٥) ص ٣٣ عن منتخبات تواريخ دمشق لمحمد أديب الحصني (المتوفى سنة ١٩٤٠).

أبو الفتح محمد بن علي ابن عثمان الكراجكي

(المتوفى ٤٤١ هـ)

من أجل العلماء والفقهاء والمتكلمين، رأس الشيعة صاحب التصانيف الجليلة، كان نهـ. رياً لغوياً عالماً بالنجوم طبياً متكلماً فقيهاً محدثاً، أسند إليه جميع أرباب الإجازات، من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي، روى عنهم وعن آخرين من أعلام الشيعة والسنة، وروى عنه وقرأ عليه جماعة من علماء عصره.

كان نزير الرملة، وأخذ عن بعض المشائخ في حلب والقاهرة ومكة وبغداد وغيرها من البلدان، وتوفي بصور، ثاني ربيع الآخر سنة أربعمائة وتسع وأربعين هجرية.

وكتابه كنز الفوائد. كما يقول السيد بحر العلوم في رجاله. يدل على فضله، وبلوغه الغاية القصوى في التحقيق والتدقيق والإطلاع على المذاهب والأخبار، مع حسن الطريقة وعذوبة الألفاظ.

له مؤلفات كثيرة بلغت السبعين حسب عد بعض معاصريه، ومنها «كنز الفوائد» و«الاستطراف في ذكر ما ورد في الفقه في الإنصاف» و«الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار» و«الأعلام بحقيقة إيمان أمير المؤمنين وأولاده الكرام» و«البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان» و«البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان» و«التعريف بحقوق الوالدين» و«التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة» و«تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام» و«تهذيب المسترشدين» و«شرح جمل العلم للمرتضى» و«الكروا الفرقي الإمامة» و«معارضة الأضداد باتفاق الأعداد» و«ومعدن الجواهر ورياضة الخواطر» و«معرفة الفارض في استخراج سهام الفرائض» و«المنهاج في معرفة مناسك الحاج» و«النوادر» و«وجوب الإمامة».

و«الكراجكي» بفتح الكاف وإهمال الراء وكسر الجيم، نسبة إلى «الكراجك» عمل الخيم، ولهذا وصفه بعض مترجميه بالخيمي، وضبطه بعضهم بضم الجيم نسبة إلى «الكراجك» قرية على باب واسط ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٤٣، لكن هذا ليس بصحيح^(١).

أبو جعفر بن علي الحلبي

هو أبو جعفر بن علي بن عبد المحسن الحلبي، ولد بحلب ومال إلى الفقه فرحل إلى العراق ودرسه على الشيخ الفقيه الكبير أبي جعفر الطوسي وسمع الحديث وأتقنها، وحدث فروى عنه قطب الدين الراوندي وغيره، قال بعض المؤرخين:

«قرأت بخط بعض أدباء حلب في تعليق له: أبو جعفر بن علي بن المحسن الحلبي: شاعر من أهل حلب، وقيل أنه كان فقيهاً على مذهب الإمامية، ورحل إلى العراق واشتغل على أبي جعفر الطوسي، وعاش بعده إلى حدود السبعين وأربعمائة، وقيل أن له مصنفات على مذهبه وذكر أن له قصيدة يمدح بها بعض الملوك (يقول فيها):

مليك على هام الثريا مهاده	وفوق متون الصافنات مهوده
تمطق ثدي الملك وهو ابن يومه	وما جال في خيط التميم وريده
يعد المذاكي وهي جرد صواهل	ليوم يذيب الصافنات وقوده
ويدخر المُرآن حتى يرده	وأملوده ما طوره أو قصيده
سليل ملك في العلاء معرق	يمت بمجد لا ترد شهوده
فيذعن بالتقصير كل مُنادد	وما الفخر إلا ما رواه نديده
يقول فيها:	

فيا ملكاً تضحي الملوك أذلة	لديه كما ذلت لمولى عبيده
ويسجد رب التاج خوفاً لبأسه	وقل له من رب تاج سجوده
بقيت على رغم الحسود مبلّغاً	من العمر ما تختاره وتريده

ومن روى عرضاً من الترجمة: قطب الدين سعيد بن هبة الدين الحسن الراوندي^(١)

(١) مصطفى جواد: من مستدرك أعيان الشيعة. (مخطوط)

موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجيس المطران الدمشقي

ولد بدمشق ونشأ بها وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٨٧ هـ بدمشق.

ذكر له ابن أبي أصيبعة في الأنباء ترجمة طويلة قال فيها: هو الحكيم الإمام العالم الفاضل كان سيد الحكماء وأوحد العلماء وأفر الألاء جزيل النعماء أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها وأكثرهم تحصيلاً لأصولها وجملها جيد المداواة لطيف الإدارة عارفاً بالعلوم الحكيمة متعيناً في الفنون الأدبية وكان أبوه أيضاً طبيباً متقدماً وكان موفق الدين حاد الذهن فصيح اللسان كثير الاشتغال وكان جميل الصورة كثير التخصص محباً للبس الفاخر المثلث وكان يغلب عليه الزهو بنفسه والتكبر حدثني أبو الظاهر إسماعيل أنه لم يكن على شيء من ذلك أيام طلبه للعلم فكان إذا فرغ من دار السلطان يأتي وحوله كثير من المماليك فإذا قرب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب بيده ودخل وحده إلى حلقة الشيخ فسلم عليه وقعد بين يديه وكان كثير المطالعة للكتب لا يفتقر عن ذلك في أكثر أوقاته وكان أبداً لا يفارق في كفه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجه وكان كثير المروءة كريم النفس ويهب لتلامذته الكتب ويحسن إليهم وإذا جلس أحد منهم لمعالجة المرضى يخلع عليه ولم يزل معتنياً بأمره (انتهى).

وفي النجوم الزاهرة: موفق أسعد بن الياس بن جرجيس المطران الطبيب كان نصرانياً فأسلم على يد السلطان وكان غزير المروءة حسن الأخلاق كريم العشرة.

تشيعه

ليس في ترجمته التي في عيون الأنباء على طولها ما يشعر بتشيعه ولكن في النجوم الزاهرة ما يدل على تشيعه وهذا غريب مع كونه في خدمة صلاح الدين وأسلم في زمانه قال: وكان يصحبه صبي حسن الصورة اسمه عمر وكان موفق يحب أهل البيت ويبغض ابن عنين الشاعر لخبث لسانه وكان يحرض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له أليس هو القائل:

سلطاننا أعرج وكاتبه
أعمش والوزير منحذب

فهجاه ابن عنين بقوله:

قالوا الموفق شيعي فقلت لهم
كيف يجعل دين الرفض مذهبه
هذا خلاف الذي للناس منه ظهر
وما دعاه إلى الإسلام غير عمر

إحسانه إلى أهل صناعة الطب وعطفه عليهم

في عيون الأنباء: أنه كان كثير الاشتغال على أهل هذه الصناعة الطبية والحكمية يقدمهم ويتوسط في أرزاقهم. أخبرني الفقيه إسماعيل بن صالح ابن البنا القفطي خطيب عيذاب قال لما فتح صلاح الدين الساحل أتيت لزيارة البيت المقدس فلما حصلت بالشام رأيت جبلاً مشجرة بعد براري عيذاب المصحرة فاشتقت إلى سكني الشام، وتحيلت في الرزق به فأتيت القاضي الفاضل عبد الرحيم فكتب لي كتاباً إلى السلطان بتوليّتي خطابة قلعة الكرك فلما أتيت دمشق أشير علي بعرضه على ابن المطران فدخلت عليه بإذن فرايته حسن الخلقة والخلق لطيف الاستماع والجواب ورأيت داره في غاية الحسن والتجمل حتى أن أنابيب الماء فيها من ذهب ورأيت له غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة وسألته حاجتي فأنعم بإنجازها. ولما فتح صلاح الدين الكرك أتى إلى دمشق الحكيم يعقوب بن سقلاب النصراني وهو بزي أطباء الفرنج فقصده ابن المطران لعله ينفعه فأشار عليه أن يغير زيه إلى أطباء بلاد الإسلام، وأعطاه ما يلبسه وقال له: إن ها هنا أميراً كبيراً اسمه ميمون القصري وهو مريض وأنا أدأويه فتعال معي فقال للأمير هذا طبيب فاضل وأنا أعتد عليه فيكون يلزمك إلى أن تبرأ إن شاء الله فلازمه إلى برئ فأعطاه خمسمئة دينار فأحضرها إلى ابن المطران فقال له ابن المطران: ما أردت إلا نفعك فخذها فأخذها ودعا له.

من مكارم أخلاقه

في عيون الأنباء: حدثني الحكيم إبراهيم بن محمد السويدي قال كان ابن المطران جالساً على باب داره فجاءه شاب وأعطاه ورقة فيها اثنا عشر بيتاً من الشعر يمدحه بها فقال له أنت شاعر قال لا ولكنني من أهل البيوت وقد ضاقت يدي فقصدتك فأدخله داره وقدم له طعاماً فاكل وقال له قد مرض عز الدين فرخشاه صاحب صرخد وهذا المرض يعتاده وأنا أعرف دواءه وقد رأيت أن أبعثك فتداويه بما أقول لك وأعطاه ثياباً لائقة وفرساً ومئتي درهم وكتب معه إلى فرخشاه فذهب ودأواه بما قال له ابن المطران فبرئ وأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب منه أن يبقى عنده ويكون طبيبه فقال حتى أشاور شيعي ابن المطران فقال وهل هو إلا غلام أخي لا سبيل إلى خروجك فلما ألح عليه أحضر الجائزة وأخبره بقصته فقال لا عليك تكون حاجباً عندي.

اتصاله بصلاح الدين بن أيوب

في عيون الأنبياء: أنه خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه، وكان يتحجب عنده ويقضي أشغال الناس، وقال من جهته من المال مبلغاً كثيراً، وكان صلاح الدين كريم النفس كثير العطاء لمن هو في خدمته، وكان له حسن اعتقاد في ابن المطران لا يفارقه في سفر أو حضر، وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك وكان صلاح الدين قد عرف ذلك منه ويحترمه لعلمه، وأسلم ابن المطران في أيام صلاح الدين. حدثني بعض من كان يعرف ابن المطران أنه كان مع صلاح الدين في بعض غزواته وكان عادة صلاح الدين في حروبه أن تنصب له خيمة حمراء وكذلك دهليزها وشقتها فنظر يوماً إلى خيمة حمراء وكذلك شقتها ومستراحها فسأل عنها فأخبر أنها لابن المطران الطبيب فقال لقد عرفت أن هذا من حماقة ابن المطران وضحك وأمر بمستراحها فرمي، فصعب ذلك على ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالاً. وحدثني أيضاً أنه كان في خدمة صلاح الدين طبيب يقال له أبو الفرج النصراني فقال يوماً للسلطان أن عنده بنات ويحتاج إلى تجهيزهن فقال صلاح الدين اكتب ما تحتاج إليه في ذلك فكتب ما قيمته ثلاثون ألف درهم فأمر بشراء ذلك له فلما بلغ ذلك ابن المطران قصر في ملازمة الخدمة وتبين التغير في وجهه فأمر له صلاح الدين من المال بمثل تلك القيمة. وقال جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي أن موفق الدين لما أسلم وكان نصرانياً حسن إسلامه وزوجه صلاح الدين إحدى حظاياها وكانت جارية زوجة صلاح الدين وأعطتها الكثير من حلبيها وذخائرها فرتبت أموره وصار له ذكر سام في الدولة وحصلت له أموال جمة من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في أمراضهم وترقت حاله عند سلطانه إلى أن كاد يكون وزيراً.

أخباره في معالجة المرضى

في عيون الأنبياء: حدثني شيخنا مذهب الدين قال كان أسد الدين شيركوه صاحب حمص قد طلب ابن المطران فتوجه إليه وكنت معه فاستقبله في الطريق رجل مجذوم وقد تغيرت خلقته، فاستوصفه دواء فقال كل لحوم الأفاعي فعاوده المسألة فقال كل لحوم الأفاعي فلما رجعنا وإذا بشاب حسن الصورة قد سلم علينا فلم نعرفه فأخبر أنه هو المجذوم أكل لحوم الأفاعي فصلح. وحدثني أيضاً أنه كان معه في البيمارستان الذي أنشأه نور الدين بن زنكي فكان من جملة المرضى رجل به استسقاء زقي فقصد إلى بزره فخرج منه ماء أصفر وابن المطران يتفقد نبضه فلما رأى أن قوته لا تقي بإخراج أكثر من ذلك أمر بشد الموضع وأن يستلقي المريض ولا يغير

الرباط وأوصى زوجته بعدم تغييره إلى اليوم الثاني فلما انصرفنا قال المريض لزوجته قد وجدت العافية وما بقي شيء وطلب منها حل الرباط فامتنعت فعاودها إلى أن حلت الرباط وخرجت بقية الماء فهلك.

وحدثني أيضاً أنه رأى في البيمارستان مع ابن المطران رجلاً قد فلجت يده من أحد شقي البدن ورجله من الشق الآخر فعالجه بالأدوية الموضعية فصلح.

مشايخه

في عيون الأنباء: قرأ علم النحو واللغة والأدب على الشيخ الإمام تاج الدين أبي اليمز زيد بن الحسن الكندي وتميز في ذلك واشتغل بالطب على مذهب الدين ابن النقاش.

تلاميذه

في عيون الأنباء: كان أجل تلامذته شيخنا مذهب الدين عبد الرحيم بن علي وكان كثير الملازمة له والاشتغال عليه وسافر معه عدة مرات في غزوات صلاح الدين لما فتح الساحل.

مؤلفاته

في عيون الأنباء: له من الكتب (١) بستان الأطباء وروضة الألباء جزءان جمع فيه ما يجده من ملح ونوادر وتعريفات مستحسنة لم يتم. (٢) المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية جعلها باسم الملك الناصر صلاح الدين. (٣) مختصر كتاب الأدوار للكلدانيين إخراج أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية فرغ من اختصاره في رجب سنة ٥٨١، (٤) لغز في الحكمة. (٥) كتاب على مذهب دعوة الأطباء. (٦) كتاب الأدوية المفردة لم يتم. (٧) كتاب آداب طب الملوك.

خزانة كتبه

في عيون الأنباء: كانت له همة عالية في تحصيل الكتب حتى أنه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبدأ ويجري عليهم الرزق منهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة وكان خطه منسوباً وكتب ابن المطران أيضاً بخطه كتباً كثيرة رأيت عدة منها وهي في نهاية حسن الخط والصحة والإعراب وأكثر الكتب التي كانت عنده توجد وقد صححها وأتقن تحريرها وبعد وفاته بيعت جميع كتبه لأنه لم يخلف ولداً.^(١)

يحيى بن حميد بن ظافر أبو زكريا المعروف بإبن أبي طي الأزدي الحلبي المؤرخ الأديب

(٥٧٥ - ٦٢٧ هـ)

ولد بحلب في آخر سنة ٥٧٥ هـ وكان أبوه نجاراً شيعياً وكذلك كان جدّه واشتغل هو بصناعة النجارة مع أبيه برهة من الزمان ثم تركها وحفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة ومال إلى طلب العلم والأدب ولقي العلماء وجالس الفضلاء فقرأ فقه الإمامية على أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب وقرأ علم الخلاف على أبي الثناء محمود بن طارق الحلبي الفقيه الحنفي ثم انتقل إلى تعليم الصبيان وإقراء القرآن إلى سنة ٥٩٧ هـ ثم اختص بتعليم ابن لأحد الوزراء إلى سنة ٦٠٠ هـ ثم ترفع عن التعليم وأنف منه ولزم داره وطلب مشايخ الأدب فقرأ عليهم ودرس ثم أقبل على نظم الشعر ومدح الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي وارتفعت منزلته عنده وولاه نقابة الفتيان في سنة ٦٠٩ هـ فكان نقيب حضرته في الفتوة ثم أحب التصنيف فصنف كتباً في التاريخ وتفسير القرآن الكريم والآداب والفقه والأصول كثيرة، منها «التاريخ الكبير» المسمى «معادن الذهب في تاريخ حلب» جمع فيه أخبار الملوك والعلماء وأخبار الشام التي لا توجد مجموعة في كتاب قديم ولا حديث في عصره، وابتدأ به من أول الفتوح إلى سنة ٥٨٩ هـ وواصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الإسلام والحديثة وهو كتاب حسن، وشرح نهج البلاغة في ست مجلدات، وفصائل الأئمة، وسلك النظام في أخبار الشام، وكتاب «لمح البرهان في تفسير القرآن»، وكتاب «البيان في أسباب نزول القرآن»، و«كتاب غريب القرآن» مختصر، وكتاب المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين، وكتاب تاريخ العلماء، وكتاب أسماء الشعراء، وكتاب شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل، وكتاب الحاوي ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهائهم وشعراءهم وأئمتهم المصنفين في مذاهبهم، وهو مرتب على حروف الهجاء، وعابه بعض معاصريه. والفاضل لا يسلم من السنة معاصريه، وتوفي بحلب سنة ٦٢٧ هـ، ومن شعره قصيدة في أهل البيت ومنها:

من كل أبيض ذي قوام ناضر
رويت معاطفه بغيث باكر
مسكي صدغ صارمي محاجر
سمحت به الأيام بعد تهاجر

أنا في أسار غداثرون وناظر
ريان من مرج الصبا فكانما
خمري ريق لؤلؤي ضواحك
لله لبتنا بكازمة وقد

والبدر سار في السماء كأنه
والشعريان كأنهما أحداقها
وسهيل الوقاد يخفق دائباً
والليل يرفل في فضول غلائل
والريح تنشر عرفها بنسيمها
خير الأنام ومن يذل مهابة
صنو النبي وصهره ووزيره
ومبير عتبة والوليد وشيبة
ومزعزع الباب المشيد وقالع الد
ومغيض تيار الفرات وقد طما
سل عنه إن أنكرت سورة مريم
واسأل حديث الشمس عنه فإن تجد
وحديث يوم الدوح أعظم موقعاً
إذ قام في يوم الغدير محمد
«من كنت مولاه فذا مولى له»
يا رب وال من الأنام وليه

من وجهه باد بنور باهر
أحداق عاذل حبه المتكاثر
خفقان أحشائي عليه وخاطري
رقت كشوقي أو كدمعي القاطر
نشرى مديح أخي النبي الطاهر
من بأسه قلب الهزير الخادر
وظهيره في كل يوم تشاجر
والعامري وذو الخمار الكافر
حجر الشديد عن القلب الدائر
ورمى البلاد بكل موج زاخر
والصف والشورى وسورة غافر
رشدأ وإلا سل حديث الطائر
عند اللبيب وكل طب خابر
ويكفه كف الإمام الطاهر
في كل أمر باطن أو ظاهر
وأخذل لخاذله الأذل الصاغر^(١)

محمد بن زكي الدين القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٦٦٨ هـ

قال الحصني في أحداث سنة ٦٦٨ هـ:

«وفي تلك السنة مات بدمشق أبو المعالي محمد بن زكي الدين القرشي الدمشقي ولي قضاء دمشق مرتين وكان شيعياً يُفَضَّلُ علياً على عثمان مع كونه ادعى نسبه إلى عثمان وهو القائل:
أدين بما دان الوصي ولا أرى
ولو شهدت خيلي الحروب لأعذرت
سواء وإن كانت أمية محتدى
وساء بني حرب هنالك مشهدي^(٢)»

(١) مصطفى جواد: مستدرک أعيان الشيعة (مخطوط).

(٢) منتخبات تواريخ دمشق/ ٥١٥.

الشيخ نجيب الدين أبو القاسم بن حسين بن العود الأسدي الحلي الحلبي الجزيني

توفي ليلة النصف من شعبان سنة ٦٧٩ في جزين من بلاد جبل عامل عن نيف وتسعين سنة وقيل سنة ٦٧٧.

(أقوال العلماء فيه)

ذكره الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام على ما حكى عنه فقال: الفقيه المتكلم رئيس الرافضة وشيخ الشيعة كان عالماً متقناً مشاركاً في أنواع من الفضائل ثم ذكر ما فعله معه الحلبيون مما يأتي ثم قال ويلغني أنه كان في الأخير متديناً متعبداً يقوم الليل، وقد رثاه إبراهيم بن أبي الغيث بأبيات أولها:

عرج بجزين يا مستبعد النجف فضل من حلها يا صاح غير خفي

وذكره أبو ذر في كنوز الذهب في تاريخ حلب على ما حكى عنه فقال: ابن العود كان من الحلة وهو عندهم إمام يقتدى به في مذهبهم وفيه مشاركة في علوم شتى وحسن عشرة ومحاضرة بالأشعار والتواريخ والحكايات والنوادر «ا هـ». قال: ولما توفي رثاه الجمال إبراهيم العاملي فقال (عرج بجزين يا مستبعد النجف).

وفي شذرات الذهب في حوادث سنة ٦٧٩ فيها توفي النجيب ابن العود أبو القاسم بن الحسين الحلي الرافضي المتكلم شيخ الشيعة وعالمهم سكن حلب مدة فصنع بها لكونه نال من الصحابة ثم سكن جزين إلى أن مات بها في نصف شعبان وله نيف وتسعون سنة وكان قد وقع في الهرم «ا هـ» وذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ بعين عبارة الشذرات وكان صاحب الشذرات أخذ منه. ومن الغريب أنه ليس له ذكر في كتب أصحابنا لا في أمل الآمل ولا غيره مع جلالة قدره وزيادة فضله باعتراف خصومه الذين عرفناه من جهتهم، ولا عجب فكتب أصحابنا العاملين جملة منها قد ذهبت بها الحوادث والفتن وأمل الآمل اقتصر فيه على ما ذكره منتجب الدين في فهرسته وهو لا يسمن ولا يغني من جوع وعلى أحوال معاصريه الذين اطلع على أحوالهم وعلى من ذكر في سلسلة الإجازات ويسير من غيرهم وخفي عنه كثير من سواهم.

(ما فعله معه الحلبيون)

وهو أمر نهاية في الفضاغة وغاية في تمثيل التعصب والشناعة مع العلماء الأعلام لأجل التشيع والانتساب إلى أهل البيت الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام وكان الأولي بنا أن لا نذكره لفضاعته وشناعته لكننا رجحنا ذكره لأمانة التاريخ ولبيان ما كان عليه أهل ذلك الزمان من الجلافة والتعصب والعداوة لشيعة أهل البيت الطاهر وعلماهم حتى تناولوهم بعظيم الأذى وبالقتل وليعلم من يعيب الشيعة بالتقية أنهم معذرون فيه وأنه يضطر إليها بطبعه لو ابتلي بما ابتلوا به. وحاصل هذه الواقعة هو ما ذكره الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام بعدما ذكر في حق المترجم ما تقدم من المدائح فقال:

قدم حلب وتردد إلى الشريف عز الدين مرتضى نقيب الأشراف فاسترسل معه يوماً ونال من الصحابة فزيره النقيب وأمره بجره من بين يديه وأركب حملاً مقلوباً وصنع في الأسواق فحدثني أبو الفضل بن النحاس الأسدي أن عامياً نزل من حانوته إلى مزبلة فاغترف غائطاً ولطخ به ابن العود وعظم النقيب عند الناس وتسحب ابن العود من حلب ثم أنه أقام بقرية جزين مأوى الرافضة فأقبلوا عليه وملكوه، كذا، بالإحسان.

وعن أبي ذر في كتابه كنوز الذهب في تاريخ حلب أنه ذكر فيه قصة الفقيه ابن العود في كلامه على مدرسة ابن النقيب وقال بعد ذلك قال العلامة قطب الدين وعمل في هذه الواقعة أشعار كثيرة وقال القاضي شهاب الدين محمود أنا أذكر هذه الواقعة وأنا بحلب في الكتاب بعد ٦٥٠ وكان استؤذن فيها يوسف الظاهري فتوقف خوف الفتنة وأمضاها المرتضى وفعلها بيده فلم يجسر أحد من الشيعة أن يعارضه في ذلك^(١).

(قال السيد الأمين): إن فعل الحلبيون هذا مع ابن العود العالم الجليل الفقيه المتكلم لأنه من أتباع أهل البيت الطاهر بتهمة النيل من السلف فقد فعلت قريش مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشبهه من وضع السلا وما يستقذر على ثيابه لأنه عاب آلهتهم وأصنامهم وقد انتقم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله منهم بأبي طالب فأمر السلا على سبائهم ولحاهم ولئن لم ينتقم الله لابن العود من الحلبين في الدنيا (ولعله فعل) فسينتقم له منهم يوم تجتمع لديه الخصوم: والحقيقة أن ابن العود لم ينل من أحد أمام النقيب ولا غيره وإنما عرفه الحلبيون بالتشيع ففعلوا معه فسكت فنسب إليه الرضا أو مباشرة ذلك بيده. والعجب ممن يفعلون ذلك مع من يتهمونه بالنيل من السلف ويتولون من سب سيد السلف على المنابر في الأعياد والجمعات وقتت بسبه في الصلوات وأضاف معه الحسنين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس حبر الأمة وأحد سادات الصحابة^(٢).

الشريف زين الدين أبو علي الحسن بن محمد بن عدنان بن الحسن الحسيني المعروف بابن أبي الحسن نقيب الأشراف بدمشق

ولد سنة ٦٥٣ وتوفي ٥ ذي القعدة سنة ٧٠٨.

في الدرر الكامنة لابن حجر هو والد الشريف علاء الدين نقيب الأشراف ولاء الأفرم نظر ديوانه بعد كمال الدين الزملكاني سنة ٧٠٨ وكان ناظر الجامع أيضاً نقيب الأشراف وولي نظر حلب قال البرزالي كان فاضلاً في كتابة الإنشاء والديوان مليح الشكل عارفاً بليغاً فصيحاً ويعرف شيئاً من كلام الإمامية والمعتزلة وكان ممن قام في جباية الأموال لغازان فلما عاد إلى بلاده عوقب وأهين وصورد وسجن وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ١٧٠٨ هـ. وعن خط السخاوي في هامش الدرر ذكره أبو الحسن بن أبيك فقال في تمة صلة التكملة له: وفي الخامس من ذي القعدة سنة ٧٠٨ توفي السيد الشريف العالم زين العابدين أبو علي الحسين بن محمد بن عدنان بن الحسن الحسيني نقيب الأشراف بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير ومولده سنة ٦٥٣ وكان فاضلاً في كتابة الديوان والإنشاء عارفاً بليغاً فصيحاً له معرفة بكلام الإمامية والمعتزلة وله نظم ومن شعره قوله وكتبهما عنه البرزالي.

مثلما تشتهي وفوق المراد
فقلوب الأنام كالأكباد^(١)

عامل الناس بالصفاء تجدهم
ودع المكر والخداع جميعاً

إسماعيل بن مزروع الحلبي الفوعي^(٢)

المتوفى سنة ٧١٦ هـ

قتل يوم عرفة سنة ٧١٦.

في الدرر الكامنة ويقال أن اسم أبيه عبد الله وكان من ذوي الوجاهة بدمشق فجرت له كائنة مع تنكز نائب الشام فقتل يوم عرفة سنة ٧١٦ ويظن تشيعه من كونه من أهل الفوعة المشهورين بالتشيع قديماً وحديثاً.

(٢) اعيان ٣/٣٧٧.

(١) اعيان ٦/١٥٧، ١٥٨.

الشهيد الأول محمد بن مكي

(٧٣٤ - ٧٨٦ هـ)

الشيخ أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين مكي ابن الشيخ شمس الدين محمد بن حامد بن أحمد المطلبي العاملي النباطي الجزيئي المعروف بالشهيد الأول والشهيد الثاني على الإطلاق.

(والمطلبي) نسبة إلى المطلب أخي هاشم لأنه من ذريته وإلى المطلب ينسب عبد المطلب بن هاشم واسمه شيبه الحمد وكان لما توفي أبو هاشم عند أخواله بالمدينة فأبت أمه أن تسلمه إلى عمه المطلب فواعده مكاناً وأخذة خفية وأركبه خلفه فكان إذا سئل من هذا معك قال عبيدي فسمي عبد المطلب.

ولد المترجم سنة ٧٣٤ واستشهد بدمشق ضحى يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٨٦ قتلاً بالسيف على التشيع وعمره إثنا وخمسون. وبعضهم قال في التاسع عشر من جمادى الأولى والصحيح الأول.

(أقوال العلماء فيه)

في أمل الأمل: كان عالماً فقيهاً محدثاً مدققاً ثقة متبحراً كاملاً متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقلية والنقلية زاهداً عابداً ورعاً شاعراً أديباً منشئاً فريد دهره عديم النظير في زمانه «اهـ» وقال في حقه المحقق الكركي في إجازته لصفي الدين الوزير: شيخنا الإمام شيخ الإسلام علامة المتقدمين ورئيس المتأخرين حلال المشكلات وكشاف العضلات صاحب التحقيقات الفائقة والتدقيقات الرائقة حبر العلماء وعلم الفقهاء شمس الملة والحق والدين أبي عبد الله محمد بن مكي الملقب بالشهيد رفع الله درجته في علين وحشره في زمرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وقال في حقه الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد:

شيخنا الإمام الأعظم محيي ما درس من سنن المرسلين ومحقق الأولي والآخري الإمام السعيد أبي عبد الله الشهيد.

وقال فخر الدين محمد بن العلامة الحلبي في إجازته التي كتبها على ظهر القواعد عند قراءته عليه: قرأ علي مولانا الإمام العلامة الأعظم أفضل علماء العالم سيد فضلاء بني آدم

مولانا شمس الحق والدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد أدام الله أيامه من هذا الكتاب مشكلاته وأجزت له رواية جميع كتب والدي قدس سره وجميع ما صنفه أصحابنا المتقدمون رضي الله عنهم عني عن والدي عنهم بالطرق المذكورة لها ١٠ هـ وقال السيد مصطفى التفرشي في كتابه نقد الرجال: شيخ الطائفة وثقتها نقي الكلام جيد التصانيف. وفي مستدركات الوسائل: أفضقه الفقهاء عند جماعة من الأساتيد جامع فنون الفضائل وحاوي صنوف المعالي وصاحب النفس الزكية القدسية القوية (١ هـ) وهو إمام من أئمة علماء الشيعة وعلم من أعلامهم وركن من أركانهم وفقه عظيم من أعظم فقهاءهم يضرب المثل بفقاهته ومضخرة من مفاخر جبل عامل بل من مفاخر الشيعة عظيم المنزلة في العلم جليل القدر عظيم الشأن عديم النظير محقق ماهر متفنن أديب شاعر تشهد بجلالة قدره وعظم شأنه تواليه المشهورة الجليلة العظيمة الفوائد المتنوعة المقاصد في الفقه والأصول وغيرهما كما ستقف عليه كالقواعد التي لم يؤلف مثلها في موضوعها وكالألفية والنقلية الوحيدتين في موضوعهما والدروس التي جمعت على صغر حجمها ما لم يوجد في المطولات والذكرى التي امتازت على أشباهها واللمعة التي صنفها في سبعة أيام وجمعت على اختصارها فأوتعت وكفى في الاهتمام بها أنها نسخت وهي في يد الرسول، وشرح الأربعين حديثاً ولا يبعد أنه أول من صنف في ذلك من أصحابنا.

(أحواله)

قرأ أولاً على علماء جبل عامل ثم هاجر إلى العراق سنة ٧٥٠ وعمره ست عشرة سنة فقرأ على فخر المحققين ولد العلامة ويحكي عن فخر المحققين أنه قال استفدت منه أكثر مني وحينئذ فيما يقال أنه قصد العراق ليقرأ على العلامة فوجده قد توفي فقرأ على ولده تيمناً من غير حاجة منه إلى القراءة عليه غير صحيح لأن العلامة توفي سنة ٧٢٣ قبل ولادة الشهيد بثمان سنين وقد أجازته فخر الدين في داره بالحلة سنة ٧٥١ كما في أربعينه وأجازته ابن نما بعد هذا التاريخ بسنة وأجازته ابن معية بعد هذا التاريخ بستين وأجازته المطارباذي بعد هذا التاريخ بثلاث سنين وبقي في العراق خمس سنين ثم رجع إلى البلاد وهو ابن إحدى وعشرين سنة. وقال في إجازته لابن خاتون: وأما مصنفات العامة ومروياتهم فإني أرويهما عن نحو من أربعين شيخاً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم (ع). ويعلم من ذلك أنه دخل كل هذه البلاد وقرأ على علمائها واستجازهم وهو يدل على علو همة عظيم إذ كان عمره اثنتين وخمسين سنة كما عرفت وله من الآثار العلمية الباقية إلى اليوم التي يعجز عنها الفحول المعمرين فذلك من كراماته وفضائله التي لم يشارك فيها.

ويظهر أنه كان له تردد كثير إلى دمشق ولعله كان فيها في ذلك العصر عدد كثير من الشيعة كان يذهب لتعليمهم وإرشادهم وإقامة مدة بين ظهرانيهم ويدل على ذلك أمور (منها) تسمية بعض كتبه باللمعة الدمشقية لتصنيفه لها في دمشق والقول بأنه صنفها في الحبس غير

صحيح كما ستعرف (ومنها) ما حكاه الشهيد نفسه عن القطب الشيرازي شارح الشمسية حيث قال رأيته بدمشق وهو من أصحابنا بلا ريب ويقال أنه قرأ على الشهيد قواعد العلامة وقرأ عليه الشهيد في علم المعقول ومنها قوله في إجازة الشيخ زين الدين علي بن الخازن أنه كتبها بدمشق المحروسة (ومنها) ما نقله السيد علي خان في الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة عن الشهيد في حق حجر بن عدي وأصحابه الذين قتلهم معاوية.

(خبر الياقوش)

ومما عرف عن الشهيد رحمه الله أن رجلاً مشعوذاً ظهر في جبل عامل وادعى النبوة واسمه محمد الياقوش من قرية تسمى برج يالوش فحاربه الشهيد وقضى عليه في سلطنة برقوق ويقال أنه كان من تلامذة الشهيد فوقع بيد الشهيد كتاب شعوة فسلمه إليه ليتلفه فأخذه وغاب ثم رجع وأخبره بإتلافه كاذباً وأخفاه عنده وتعلم منه الشعوة وعمل به حتى ادعى النبوة.

(المكاتبة بين الشهيد وسلطان خراسان)

كان بين الشهيد والسلطان علي بن المؤيد ملك خراسان وما والاها مودةً ومكاتبة على البعد إلى العراق ثم إلى الشام وطلب منه أخيراً التوجه إلى بلاده في مكاتبة شريفة أكثر فيها من التلطف والتعظيم والحث للشهيد على ذلك فأبى واعتذر إليه وصنف له اللمعة في سبعة أيام لا غير على ما نقله ولد الشهيد أبو طالب محمد ذكر ذلك الشهيد الثاني في شرح اللمعة عند قول المصنف إجابة لا لئماس بعض الديانين وقال أن هذا البعض هو شمس الدين محمد الآوي من أصحاب السلطان علي بن مؤيد ملك خراسان وما والاها في ذلك الوقت إلى أن استولى على بلاده تيمور لنك فصار معه قسراً إلى أن توفي في حدود سنة ٧٩٥ بعد أن استشهد المصنف بتسع سنين وأخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل ولم يتمكن أحد من نسخها منه لضنه بها وإنما نسخها بعض الطلبة وهي في يد الرسول تعظيماً لها وذلك في سنة ٧٨٢ والظاهر أن شمس الدين الآوي كان هو الملتمس للشهيد وأرسلها إلى الآوي ليوصلها إلى السلطان ولم يمكن من نسخها ضناً بها.

(سبب قتل الشهيد وكيفيته وتاريخه)

في أمل الأمل: كانت وفاته سنة ٧٨٦ التاسع من جمادى الأولى قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم بدمشق في دولة بيدمر و سلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة دمشق وفي مدى الحبس ألف اللمعة الدمشقية في سبعة أيام وما كان يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع وكان سبب حبسه وقتله أنه وشى به رجل من أعدائه وكتب محضراً يشتمل على مقالات شنيعة وشهد بذلك جماعة كثيرة وكتبوا عليه شهاداتهم وثبت ذلك عند قاضي صيدا ثم أتوا به إلى قاضي الشام فحبس سنة ثم أفتى

الشافعي بتوبته والمالكي بقتله فتوقف في التوبة خوفاً من أن يثبت عليه الذنب وأنكر ما نسبوه إليه فقالوا قد ثبت ذلك عليك وحكم القاضي لا ينقض والإنكار لا يفيد فغلب رأي المالكي لكثرة المتعصبين عليه فقتل ثم صلب ورجم ثم أحرق قدس الله روحه سمعنا ذلك من بعض المشائخ وذكره أنه وجده بخط المقداد تلميذ الشهيد «١ هـ» وكان ذلك في عهد برقوق إذ كان هو السلطان بمصر ونائبه بالشام بيدمر في عصر السلطان بايزيد العثماني ولم تكن الشام داخله في حكمه. ورأيت في آخر نسخة مخطوطة من كتاب البيان للشهيد ما صورته: قتل المصنف بدمشق في رحبة القلعة مما يلي سوق الخيل ضحى يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وصلب وبقي معلقاً هناك إلى قرب العصر ثم أنزل وأحرق «١ هـ» وعن خط ولده أبي طالب محمد على ظهر إجازته أبيه لابن الخازن ما صورته: استشهد والدي الإمام العلامة كاتب الخط الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مكي بن محمد بن حامد شهيداً حريقاً بعده بالنار يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وكل ذلك فعل برحبة قلعة دمشق «١ هـ».

وفي اللؤلؤة: رأيت بخط شيخنا العلامة أبي الحسن الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني ما صورته: وجدت في بعض المجموعات بخط من أثق به منقولاً من خط الشيخ العلامة جعفر بن كمال الدين البحراني ما هذه صورته: وجدت بخط شيخنا المبرور العالم العامل أبي عبد الله المقداد السيوري ما هذه صورته: كانت وفاة شيخنا الأعظم شمس الدين محمد بن مكي قدس سره بحضيرة القدس في تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وقتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق بالنار ببلدة دمشق لعن الله الفاعلين لذلك والراضين به في دولة بيدمر وسلطنة برقوق بفتوى المالكي برهان الدين وعباد بن جماعة الشافعي وتعصب جماعة كثيرة في ذلك بعد أن حبس في القلعة الدمشقية سنة كاملة وكان سبب حبسه أن وشى به تقي الدين الجبلي الخيامي بعد ظهور إمارة الارتداد منه وأنه كان عاملياً ثم بعد وفاة هذا الفاجر قام على طريقته شخص آخر اسمه يوسف بن يحيى وارتد عن مذهب الإمامية وكتب محضراً يشنع فيه على الشيخ محمد بن مكي وكتب في ذلك المحضر سبعون نفساً من أهل الجبل ممن يقول بالإمامة والتشيع وارتدوا عن ذلك وكتبوا خطوطهم تعصباً من ابن يحيى في هذا الشأن وكتب في ذلك ما ينيف على الألف من أهل السواحل من المتسننين وأثبتوا ذلك عند قاضي بيروت وقيل قاضي صيدا وأتوا بالمحضر إلى القاضي عباد بن جماعة بدمشق فأنفذوه إلى القاضي المالكي وقال له تحكم فيه بمذهبك وإلا عزلتك فجمع الملك بيدمر الأمراء والقضاة والشيوخ وأحضروا الشيخ محمد بن مكي قدس سره بحضيرة القدس وقرأ عليه المحضر فأنكر ذلك وذكر أنه غير معتقد له فلم يقبل منه وقيل له قد ثبت ذلك عليك شرعاً ولا ينتقض حكم القاضي، فقال الغائب على حجته فإن أتى بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلا فلا، وما أنا أبطل شهادات من شهد بالجرح ولي على كل واحد حجة بينة، فلم يسمع ذلك منه ولم يقبل، فقال الشيخ للقاضي عباد بن جماعة: أنت

شافعي المذهب وأنت الآن إمام المذهب وقاضيه فاحكم بمذهبك، وإنما قال الشيخ ذلك لأن الشافعي يجيز توبة المرتد، فقال ابن جماعة على مذهبي يجب حبسك سنة ثم استتابتك، أما الحبس فقد حبست ولكن تب إلى الله واستغفر حتى أحكم بإسلامك، فقال الشيخ ما فعلت ما يوجب الاستغفار حتى استغفر، قال ذلك خوفاً من أن يستغفر فيثبت عليه الذنب فاستقلطه ابن جماعة وأكد عليه فأبى الاستغفار، فساره ثم قال: قد استغفرت فثبت عليك الحق. ثم قال للمالكي قد استغفر والآن ما عاد الحكم إلي، «غداً وعناداً لآل البيت عليهم السلام»، ثم قال: الحكم عاد إلى المالكي، فقام المالكي وتوضاً وصلى ركعتين ثم قال قد حكمت بإهراق دمه فألبسوه اللباس وفعل به ما قلناه من القتل والصلب والرجم والإحراق، لعن الله الفاعل والراضي والأمر. وممن تعصب وساعد في إحراقه رجل يقال له محمد ابن الترمذي مع أنه ليس من أهل العلم وإنما كان تاجراً فاجراً، فهذه صورة هؤلاء في تعصبهم على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وليس هذا بأفطع مما فعل بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن علي (ع) وأهل بيته عناداً. والحمد لله رب العالمين على السراء والضراء والشدة والرخاء وذلك من باب وليمحص الذين آمنوا وما كتب البلاء إلا على المؤمنين «انتهى».

وما ذكره المقداد من أن شهادته كانت يوم التاسع عشر من جمادى الأولى قد انفرد به كما سمعت وكأنه سهو من النسخ لمخالفته لما ذكره ولده وغيره من أنها كانت يوم التاسع منه وقول صاحب الأمل أن الشافعي قبل توبته كأنه مبني على ما هو المعروف من مذهب الشافعي الذي تشبث به الشهيد قدس سره وإلا فكلام المقداد صريح في أن عباد بن جماعة الشافعي تحيل لاستغفاره بأن ساره ساعة وكأنه لما امتنع من الاستغفار علناً ثلثا يثبت عليه الذنب تحيل ابن جماعة لاستغفاره سراً فقال له في سرارة استغفر وأنا أحكم بقبول توبتك فاستغفر أمامه سراً لما لم يجد من ذلك بداً فأعلن ابن جماعة استغفاره وأحاله إلى القاضي المالكي الذي لا تقبل توبته عنده فحكم بقتله. ومنه يعلم أن الجميع كانوا في غاية التعصب عليه، وحكي عن صاحب مقام الفضل في سبب حقد ابن جماعة عليه أنه جرى بينهما يوماً مناظرة وكانا متقابلين وأمام الشهيد دواة يكتب بها وكان الشهيد صغير الجثة وابن جماعة كبيرها فقال له ابن جماعة تحقيراً له: إني أسمع حساً من وراء الدواة ولا أرى شخصاً فقال له الشهيد: إن ابن الواحد لا تكون جثته أعظم من هذا. وهو أول من لقب بالشهيد من علمائنا ولما استشهد الشيخ زين الدين لقب بالشهيد الثاني وصار يقال لمحمد بن مكي الشهيد على الإطلاق أو الشهيد الأول للتمييز بينهما ثم استشهد بعد ذلك جماعة من العلماء لأجل التشيع فلم يشتهر أحد منهم بلقب الشهيد ولقب بعضهم بالشهيد الثالث لكنه لم يشتهر بذلك كما أن لقب المحقق صار لجعفر بن سعيد الحلبي صاحب الشرائع ثم صار للشيخ علي الكركي فلقب بالمحقق الثاني وحاول كثيرون أن يجعلوه لثالث فلم يكن ولقب العلامة اختص بالحسن بن المطهر الحلبي، ولقب الشيخ أو شيخ الطائفة بأبي جعفر الطوسي. وفي روضات الجنات: رأيت بخط الشهيد

الثاني على ظهر مجموعة من الرسائل النفيسة كلها بخطه أبياتاً للشهيد الأول أرسلها إلى بيدمر لما حبسه في قلعة دمشق وهي:

يا أيها الملك المنصور بيدمر	بكم خوارزم والأقطار تفتخر
إنني أراع بكم في كل أونة	وما جنيت لعمري كيف أعتذر
لا تسمعن في أقوال الوشاة فقد	باؤوا بوزر وإفك ليس ينحصر
والله والله إيماناً مؤكدة	إنني بريء من الإفك الذي ذكروا
عقيدتي مخلصاً حب النبي ومن	أحبه وصحاب كلهم غرر
يكفيك في فضل صديق وصاحبه	فاروقة الحق في أقواله عمر
جوار أحمد في دنيا وآخره	وأية الغار للأبواب معتبر
والخير عثمان والمنعوت حيدرة	وطلحة وزبير فضلهم شهروا
سعداهم وابن عوف ثم عاشرهم	أبو عبدة قوم بالتقى فخروا
الفقه والنحو والتفسير يعرفني	ثم الأصولان والقرآن والأثر
فكن كمنجك إذ الله أعظمه	وزادك الله عزاً ليس ينحصر
أتى إليه رواة السوء إذ أفكوا	فحين حقق أرداهم بما ذكروا
أمير حاجب نجل العسكري له	من ذاك خبر فسله يعرف الخبر
والله ما مسني منه مقابلة	بالسوء كلا ولا خسرت ما خسروا
لأنني وآله العرش مفتقر	إلى تقير وقطمير له خطر
لا أستغيث من الضراء يعلم ذا	ربي وأستاذ دار ظل يذكر
فامتن أميري ومخدومي على رجل	واغنم دعاي سراً بعد إذ جهروا
في كل عام لنا حج وكان لنا	في خدمة النجل في ذا العام محتضر
محمد شاه سلطان الملوك بقي	ممتعاً بحماكم عمره عمر
ثم الصلاة على المختار سيدنا	والآل والصحب طراً بعده زمر

خدمة الملوك المظلوم والله محمد بن مكي الشامي

ويعلم من هذه القصيدة عدة أمور تاريخية وهي: أنه كان قد وشي بالشهيد قدس سره إلى الأمير منجك قبل هذا فلم يقبل الوشاية وأن الأمير حاجب وأستاذ الدار كانا يعلمان ذلك وأنه كان يحج في كل سنة وأنه كان في السنة التي استشهد فيها قد حج وكان أمير الحج محمد بن بيدمر وأنه كان له خلطة مع أرباب السلطنة وأركان الدولة. وفي الروضات: رأيت في كتاب التبر المذاب في مناقب آل والأصحاب للسيد أحمد بن محمد الحافي الحسيني الشافعي بعد ذكر الصحابة وقد حسن أن أقول:

عقيدتي مخلصاً حب النبي ومن أحبه وصحاب كلهم غرر
إلى قوله: (أبو عبيدة قوم بالتقى افتخروا) مع زيادة قوله:
رضوان ربي عليهم كلما طلعت شمس النهار وضاء الشمس والقمر
فيكون الشهيد رحمه الله قد ضمن الأبيات الخمسة في شعره وهي لغيره.
وفي ذيل المذيل تذكر الحفاظ وصفه بالرافضي وسماء الشمس محمد بن مكي العراقي
المقيم بحويزة وقال عنه أنه مات بدمشق مقتولاً على الرض سنة ٧٨٦ (١ هـ) وفي الهامش بل
على انحلال العقيدة واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح
على ما ذكره ابن العماد في الشذرات (١ هـ).
وهذا تحريف من النساخ فصحف العاملي بالعراقي والمقيم بجزيين بحويزة وانظر إلى
ما فعله: لعداوة واسعة في نسب رجل من أجلاء علماء المسلمين إلى انحلال العقيدة
واستحلال الخمر الصرف، في ذلك من الفضائح أجل من القبائح ممن لقي الله بدمه
ولا عجب فقد قال شامي لأصحابه علي (ع) في صفة: نقانلكم لأنكم لا تصلون وصاحبكم
لا يصلي.

(مشايخه في التدريس والإجازة)

كان معظم قراءته عند (١) فخر الدين ابن العلامة (٢) السيد عميد الدين عبد المطلب
الحسيني الحلبي شارح تهذيب خاله العلامة في الأصول المعروف بالعميدي (٣) أخوه السيد
ضياء الدين عبد الله الحسيني الحلبي شارح تهذيب خاله العلامة في الأصول أيضاً وكتب الشهيد
كتاباً جمع فيه بين ما في الشرحين سماته الجمع بين الشرحين (٤) قطب الدين محمد بن
محمد البويهري الرازي شارح الشمسية عن السيد حسين بن السيد حيدر الموسوي العاملي الكركي
أنه سمع شيخه السيد حسين ابن الحسن الحسيني الموسوي ابن بنت المحقق الكركي يقول أن
شيخنا الشهيد قدس الله سره ذكر في بعض كلماته أن طريقه إلى الأئمة المعصومين عليهم
السلام يزيد على ألف طريق وذكر فخر الدين ابن العلامة في بعض إجازاته أن طريقه إلى الإمام
جعفر بن محمد الصادق (ع) يزيد على المائة ثم قال والحمد لله أن جميع هذه الطرق داخله في
طريقي ولو حاولنا ذكر طرق كل من بلغنا من المصنفين لطال الخطب والله ولي التوفيق.

(مشايخه في الرواية)

(٥) السيد تاج الدين بن معية الحسيني وهذا ومن بعده مشايخ إجازة (٦) السيد علاء الدين
بن زهرة الحسيني أحد المجازين الثلاثة من العلامة بإجازته الكبيرة (٧) السيد مهنا بن سنان
المدني صاحب المسائل للعلامة ولولده فخر الدين (٨) الشيخ علي رضي الدين ابن طراز المطار
أبادي (٩) الشيخ علي رضي الدين علي بن أحمد المشتهر بالمزيدي (١٠) الشيخ جلال الدين

محمد ابن الشيخ شمس الدين الحارثي أحد تلامذة المحقق الحلي (١١) الشيخ محمد بن جعفر المشهدي (١٢) أحمد بن الحسين الكوفي. ومن المحتمل قوياً أن يكون قرأ على عدة مشايخ في جبل عامل وأجازوه لم تصل إلينا أسماؤهم منهم والده الذي كان من أفاضل العلماء وأجلاء مشايخ الإجازة.

(مشايخه من علماء أهل السنة)

قد عرفت أنه قال في بعض إجازاته أنه يروي عن نحو أربعين شيخاً منهم ومن جملة من يروي عنه منهم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القرشي الشافعي الكرمانى الراوي عن القاضي عضد الدين الإيجي الأصولي وولده زين الدين أحمد بن عبد الرحمن العضدي.

(تلاميذه في القراءة أو الإجازة)

(١) ولده رضي الدين أبو طالب محمد بن محمد بن مكي (٢) ولده ضياء الدين أو القاسم أو أبو الحسن علي بن مكي (٣) ولده جمال أبو منصور الحسن بن محمد بن مكي (٤) ابنته أم الحسن ست المشائخ فاطمة بنت محمد بن مكي (٥) زوجته أم علي ولم نعرف اسمها (٦) المقداد السيوري (٧) الشيخ حسن بن سليمان الحلي صاحب مختصر البصائر (٨) السيد بدر الدين حسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين الأعرجي الحسيني جد السيد بدر الدين حسن بن جعفر الأعرجي شيخ الشهيد الثاني (٩) الشيخ شمس الدين محمد بن نجدة الشهير بابن عبد العالي شيخ رواية الحسن بن العشرة (١٠) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد العلي الكركي العاملي (١١) الشيخ زين الدين علي بن الخازن الحائري.

(مؤلفاته)

(١) القواعد والفوائد في الفقه مختصر يشتمل على ضوابط كلية أصولية وفرعية يستنبط منها أحكام شرعية لم يعمل الأصحاب مثله (٢) الدروس الشرعية في فقه الإمامية خرج من تصنيفه مجلد واحد كذا قال المؤلف في إجازته لابن الخازن ولكنه كتب فيه بعد ذلك أكثر الفقه ولم يتمه (٣) غاية المراد في شرح الإرشاد في الفقه كلها مطبوعة (٤) شرح التهذيب الجمالي في أصول الفقه أي تهذيب العلامة جمال الدين الحلي (٥) اللمعة الدمشقية مختصر لطيف في الفقه مطبوعة مع الشرح ألفها بدمشق في سبعة أيام وما كان يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع ونقل تأليفها في سبعة أيام، ولده أبو طالب محمد وكان ذلك بالتماس شمس الدين الأوي وأخذ شمس الدين نسخة الأصل ولم يتمكن أحد من نسخها لضعفه بها وإنما نسخها بعض الطلبة وهي في يد الرسول تعظيماً لها وسافر بها قبل المقابلة فوقع فيها بسبب ذلك خلل ما أصلحه المصنف بعد ذلك بما يناسب المقام وربما كان مغايراً

للأصل بحسب اللفظ وذلك في سنة ٧٨٢ ونقل عن المصنف أن مجلسه بدمشق في ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور لخلطته بهم وصحبته لهم قال فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أن يدخل عليّ أحد منهم فيراه (لأنه كان يتقي منهم ولا يظهر نفسه) فما دخل عليّ أحد منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه وكان ذلك من خفي الألفاف وهو من جملة كراماته قدس الله روحه وضريحه. قال الشهيد الثاني في الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: وما جاء في أمل الآمل من أنه صنف اللمعة في الحبس غير صحيح لما سمعت من أنه صنفها بالتماس الآوي وكان تصنيفها لسلطان خراسان سنة ٧٨٢ قبل قتل الشهيد بأربع سنوات^(١).

وهذه ترجمة أخرى للشهيد الأول من قلم المؤرخ الأديب سليمان ظاهر رحمه الله^(٢).

الإمام الشيخ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني

علم من أعلام المائة الثامنة غزير الفضل جم العلم جيد التصانيف مبرز في عملي المعقول والمنقول وكتبه الفقهية اللباب المحض في التحقيق وبلاغه العبارة مع جازة المبنى وإصابة المعنى وعليها وعلى شروحها وجلها للإمام الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني العاملي الجبعي المعول في الأخذ عنها وتدريسها إلى يومنا هذا وأكثرها مطبوع في إيران والهند. وإليه يرجع الفضل في النهضة العلمية العاملية وبه يبتدئ تاريخها ولئن تقدم عصره بقليل من الزمن بعض العلماء العامليين^(٣) وكلهم من رجال هذه المائة فإنه لم يعرف لهم أثر في تاريخ تلك النهضة المباركة التي وضع أساسها صاحب الترجمة وترك لها من ولده ومريديه من رفع بناءها فكانت مدرسة جزين مسقط رأسه أول مدرسة شيدت في جبل عامل ثم عمرت على مثالها وطبعت على غرارها بأجال متقاربة مدارس جبج، ومشغرة، وميس، وعيناتا، والنبطية، وكرك نوح، وبعلبك بناءً على إلحاق هذين البلدين بجبل عامل.

ديار هجرته وبعض شيوخه:

منبت أسرته جزين من أعمال لبنان الجنوبي وبها نشأ في حجر أبيه وكان من العلماء وهاجر إلى الحلة وهي إذ ذاك بلد العلم الذي أصبح يرحل إليه بعد نكبة بغداد. فقرأ على الشيخ

(١) للشهيد رضوان الله عليه مؤلفات أخرى كثيرة ولعرفه بقيتها يمكنكم الرجوع إلى أعيان الشيعة ١٠/ ٥٩-٦٢ الذي رجعنا إليه في هذه المادة.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٩ العدد ٥ أيار ١٩٢٩.

(٣) منهم الشيخ طمان بن أحمد بن صالح العاملي المتوفى سنة ٧٢٨ والشيخ صالح بن مشرف العاملي والشيخ مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني والد صاحب الترجمة.

فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف المطهر الحلي^(١) الذي انتهت إليه الرئاسة العلمية بعد وفاة أبيه العلامة^(٢) وعلى فريق من علماء العراق منهم السيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن القاسم بن مَعِيَّة الحسني الديباجي النسابة المشهور^(٣).

وفي دمشق أنفق معظم أيام حياته بين الإفادة والاستفادة وهو أول عاملي عرف بالرحلة إلى هذا البلد في طلب العلم وفيه اجتمع بالعلامة قطب الدين محمد بن محمد البويهري الرازي^(٤) واستجازه فأجازه.

وأما شيوخ إجازته في مختلف العلوم فلا يحصون كثرة وحسبك ما ذكر في بعض إجازاته من أنه يروي مصنفات السنة عن أربعين عالماً. دع ما يرويه من مصنفات الشيعة عن شيوخته الكثيرين. فكان للمتاخرين عنه إلى يومنا هذا حلقة الاتصال بسلسلة الإجازة بروايات الفريقين ومصنفاتهم. وعظمت منزلته في دمشق وأحلّه علماؤها وعظماؤها من نفوسهم محلاً كريماً لفزارة علمه وحسن خلطته وعشرته فكان مجلسه الحافل فيهم في أكثر الأحيان ولم ينقطعوا عنه كما نقل ولده الشيخ أبو طالب محمد في الزمن الطويل الذي طوى صحيفته بين ظهرانيهم إلا مدة سبعة أيام صنف في أثنائها كتاب اللعة الدمشقية في الفقه الإمامي إجابة لالتماس صديقه الشيخ شمس الدين محمد الآوي^(٥) من أصحاب علي بن المؤيد ملك خراسان وما والاها^(٦) وكان بينهما مودة ومكاتبه على البعد إلى العراق ثم إلى الشام وطلب منه الترجمة إلى بلاده في مكاتبة أكثر فيها من التلطف والتعظيم فأبى واعتذر.

نهاية أمره السجن والقتل:

ختم لهذا الإمام ما ختم لكثير من أئمة المسلمين من الشهادة وبقاء الذكر الجميل وإصابة من حساده وأعدائه الذين لا يعرفون من الدين إلا مظاهره ومن العلم إلا رسومه وما يقربهم من ولائهم وسلاطينهم زلفى ما أصاب غير واحد من عظماء الأمة ومصلحيها من أمثاله ممن لا يقوم أعوجاجاً من سلطان بموعظة حسنة ولا يرد جماحاً من وال بحكمة

(١) من أعلام هذه المائة توفي سنة ٧٧١.

(٢) هو الشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن علي بن المطهر الحلي كان معاصراً لابن تيمية وبينهما مناظرات كتابية تخرج بالعلوم العقلية على الفيلسوف نصير الدين الطوسي وبالفقه والأصولين على الإمام المحقق الشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي وانتهت إليه الرئاسة في المعقول والمنقول وله أكثر من سبعين كتاباً في فنون من العلم توفي سنة ٧٢٦.

(٣) من أعقاب إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب. وأول من تلقب بابن مَعِيَّة من عقب إسماعيل أبو القاسم علي بن الحسن ابن الحسن بن إسماعيل. ومَعِيَّة هي أمه وهي بنت محمد بن حارثة بن عامر بن مجمع بن العطف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس.

(٤) ولد ونشأ في ورامين من أعمال الري تخرج بالعلامة الحسن بن المظهر وأجازه برواية جميع مصنفااته ومروياته وانتقل إلى الشام بعد وفاة السلطان أبي سعيد واستشهد الخواجة غياث الدين وغيره من الوزراء وجرت بينه وبين الشيخ تقي الدين بن السبكي مناظرات ذكرت في طبقات النحاة وله مصنفات وجلها في علمي المنطق والكلام توفي سنة ٧٦٦ بدمشق وصلي عليه في الحصن وحضر الصلاة عليه أكثر أعيان البلد ودفن في الصالحية ثم نقل إلى مكان آخر.

(٥) نسبة إلى آوة قرية في الري وهو من العلماء ترجمة في أمل الأمل.

(٦) استولى على بلاده تيمورلنك توفي سنة ٧٩٥.

بالغة بل يسرون بالدين وأحكامه على ما تملبه مشيئتها ولهم من وراء ذلك نفوذ الأمر والافتئات على مصابيح الأمة جزاءً وفاقاً. فإذا أرادوا نكاية بعالم يتخوفون ظهور أمره ومزاحمته لهم على ما بأيديهم من الولايات وغلبتهم على ما يتمتعون به من تافه حطام زائل وزخرف مجد باطل فليس لهم إلا أن يلصقوا به تهمة المروق من الدين فالإرجاف بذلك في العامة وهم أتباع كل ناعق فاتخاذ هياجهم وسيلة لدى السلاطين والولاة لحلول نعمتهم بالمرجف به تسكيناً لثائرة العامة ولشد ما غلب الجهل الفاضح على سلطان العلم الصحيح بمثل هذه الأضاليل والأباطيل.

انتقص جهلة الدين ممن يزعمون أنهم من حملته ونزلوا به من معارج كرامته وسابق منزلته حيث ألصقوا به عداوته للعلم وهو العلم توأمان ولا يفترقان وأقصوه عن اجتهد العقل وهو والعقل إخوان لا يتنابدان وحسب هؤلاء المفتتين على الدين والعلم والعقل بالقرآن حجيلاً وبالسنة خصيماً إن كانوا ممن يتدبرهما ويستتير بهديهما فهل يجدون فيهما غير ما يؤاخي بين الدين والعلم والعقل. وما كان أسهل عليهم من تكفير من يخالفهم في الآراء أو من لا يجرون معه في مضمار باسم الدين والدين منهم براء فأوذي من أمثالهم أمام الحديث والتفسير والتاريخ محمد بن جرير الطبري^(١) والإمام أبو عبد الله المفيد محمد بن محمد الفقيه المتكلم الإمامي^(٢) وأبو الحسن الناشي علي بن وصيف البغدادي^(٣) وابن تيمية^(٤) والقاضي الفيلسوف ابن رشد^(٥) وقتل شهاب الدين السهر وردي بحلب^(٦) ولسان الدين بن الخطيب الأديب الأندلسي قتل في سجنه بفاس^(٧) وأوذي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي بمصر^(٨) والشيخ داود الحكيم الأنطاكي^(٩) فر من مصر إلى مكة بتهمة الانحلال من العقيدة والمأموني^(١٠) أبعد عن حضرة صاحب بن عباد^(١١) إلى كثيرين من أقطاب العلم والفلسفة وأئمة الدين ممن يطول الكلام بذكرهم ونضيق عن استيعابه المجلدات الضخمة.

(١) توفي سنة ٣١٦ ودفن ليلاً بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً.

(٢) أوذي مرات بضن الرصافة والكرخ في بغداد توفي سنة ٤١٣.

(٣) الشاعر المتكلم قتل حرقاً بالنار كذا جاء عن ابن شهر آشوب وسكت ابن خلكان عن خبر قتله في ترجمته.

(٤) انتهت حياته بسجن دمشق سنة ٧٢٨ بعد أعوام طوى صحائفها السود بسجون دمشق ومصر.

(٥) أبعد السلطان أبو يعقوب بن عبد المؤمن من مراکش إلى الأندلس بعد أن أذاه وأمر بإبعاده كل من يتكلم بالعلوم الفلسفية ويحرق كتب الفلسفة ثم أعاده إلى مراکش بعد أن جنح إلى تعلم الفلسفة توفي سنة ٥٩٤.

(٦) ورد حلب في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وناظر فقهاءها فكانت له الغلبة عليهم فأكثروا من التشنيع عليه وما كان جمع السلطان بينه وبين أكابر المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم من المناظرات التي انتهت بظهوره عليهم وحسن موقعه لديه - إلا لتزيدهم إغراقاً في التشنيع عليه فكتابة المحاضر بتكفيره إلى الملك صلاح الدين فأمره بقتله وذلك في سنة ٥٨٦.

(٧) قتل خنقاً وبعد دفنه أخرجت رمته وألقي عليها الأحطاب وأضرمت فيها النيران وكان ذلك في سنة ٧٧٦.

(٨) توفي بدمشق سنة ٦٣١.

(٩) توفي بمكة سنة ١٠٠٨.

(١٠) هو أبو طالب عبد السلام بن الحسين من أولاد أمير المأمون الخليفة العباسي فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه وورد الري ومدح الصاحب بغفر القصائد فآكرم مثواه وأحسن قراه فدبت إليه عقارب الحسدة من ندماء الصاحب وشعرائه وتقولوا عليه الأقاويل واتخذوا من السعابيات ضروباً حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ففارق حضرته ويوده أن لا يفارقها بعد أن استأذنه بالرحيل في قسيده من بارع الشعر توفي سنة ٣٨٣.

(١١) توفي سنة ٣٨٥.

لم تكن العصور التي تقدمت عصورهم بأسلس مقادة وأرضى عناناً وأعذب مورداً وأصفى كأساً على من تقدمهم من الأعلام حتى في عصر ازدهار الإسلام في صدر الخلافة العباسية وعهد هبوب ريح العلم وانصراف المسلمين إلى اقتباس فلسفة اليونان وحسبك بما كان لمسألة خلق القرآن من الهنات التي طمى سليها وعم ويلها وأرهق في القول بإثباتها أو نفيها غير واحد من أفاضل الأمة.

وما كانت هذه الأمة بما مني به مصلحوها ببدع من الأمم ولا عصورها يحدث من العصور (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وناله من أعدائه ما نالهم وفي قصص الأنبياء عبرة للمعتبرين وما كان عهد سقراط حكيم اليونان وهو يتجرع السم إلا كعهد لوثر وكوبرنيك وغاليليو وأضرابهم وهم يصابرون المحن من حشويي أقوامهم في سبيل عقيدة أو اكتشاف علمي وهكذا الحال في كل زمان وفي هذه الأيام فكل نابه هدف لحامل وكل مجدد غرض لجامد تلك سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلاً).

انتهت حياة صاحب الترجمة بسجنه مدة سنة بقلعة دمشق بوشاية تقي الدين الجبلي (أو الخيامي) وبالإقتل فالصلب فالرجم فالإحراق سنة ٧٨٦ بسعاية يوسف بن عيسى (أو يحيى) في عهد سلطنة برقوق ونيابة بيدمر الخوارزمي^(١).

عقب صاحب الترجمة: إن للشهيد خلفاً صالحاً اقتفى أثره في العلم والعمل فقد كان ولده الشيخ رضي الدين أبو طالب محمد والشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي وأختهما أم الحسن فاطمة الملقبة بست المشايخ من أفاضل العلماء وولده المنصور الشيخ حسن من فضلاء المحققين وزوجه أم علي من فضليات نساء وقتها وكان يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها. وإن بيتاً لا يستظل تحت سقفه من رجاله ونسائه إلا من أخذ من العلم بنصيب لهو من أكرم البيوت فضلاً ونبلًا.

وللمترجم له صلة نسب وصهر بمقدمي جزين المنتسبين إلى الخزرج من الأنصار^(٢) ولم تتقطع سلسلة العلم من أعقابها إلى هذا اليوم^(٣).

(١) اتفقت كلمة مترجمي الشهيد على أن قتله كان سنة ٧٨٦ في نيابة بيدمر وسلطنة برقوق فبيدمر على هذه الرواية كان حياً إلى هذا العهد ويؤيدها قصيدة صاحب الترجمة التي بعث بها إليه وهو في سجن قلعة دمشق ومستهلها:
(يا أيها الملك المنصور بيدمر بكم خوارزم والأقطار تفتخر)

وما جاء في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى من ذكره له في عدة مواضع بعد سنة ٧٤٨ التي ورد في تاريخ ابن الوردي في حوادثها (إن الملك المظفر بن الناصر بن قلاوون (أعدم) أخاه الأشرف فيها وقتل بالأمراء وقتل من أعيانهم نحو أربعين أميراً مثل بيدمر البدري نائب حلب).

(٢) رآيت في تعليقة على كتاب مخطوط كتبت سنة ١١٦٥ إن الكاتب لها يقول إنه من ذرية الشريف أبي عبد الله الشهيد محمد بن شرف الدين مكي المطلي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الجزيني.

(٣) إن أسرة شمس الدين العلمية العلمية يذكر رجالها انتسابهم إليه. وقد فارق منذ تسعين عاماً بقية منهم جزين البلد المسيحي اليوم ومسقط رأس الشهيد وكثيرين من عليّة العلماء العالمين وإحدى مدارس العلم الكبرى في زمن نهضة جبل عامل العلمية أمس.

علي بن المظفر الملقب علاء الدين الكندي الاسكندراني الدمشقي المعروف بالوداعي^(١)

توفي بعد (٧١١ هـ)

قال صلاح الدين الصفدي في ذيل تاريخ ابن خلكان: كان هذا الرجل شيعياً، ودخل ديوان الإنشاء بدمشق سنة إحدى عشرة وسبع مئة تقريباً، وهو صاحب التذكرة الكندية الموقوفة بالشميساطية في خمسين مجلداً، فيها عدة فنون، وله ذؤابتان بيضاءان إلى أن مات ونقلت من خطه:

مهلاً فقد أفرطت في تعييبها
فعلام أقطعها زمان مشيبيها

قلب تقلبه الذكرى وتقلقه
فالطرف للطرف جار ليس ترمقه

حرى الجوانح يوم عاشوراء
وعليه قد بخلوا بشرية ماء

فكحلت في عاشور مقلّة ناري
أذاقوه، دون الماء حرّ البواتر

يا عائلاً مني بقاء ذؤابتي
قد واصلتني في زمان شببتي
إلى أن قال: وقال:

ذكرت شوقاً وعندي ما يصدقه
هذا على قرب دارينا ولا عجب
وقال في شهادة الإمام الحسين عليه السلام:

عجباً لمن قتل الحسين وأهله
أعطاهم الدنيا أبوه وجده
وقال:

سمعت بأنّ الكحل للعين قوة
لتقوى على سح الدموع على الذي

(١) ترجمته: البداية والنهاية: ج ٤ ص ٧٨؛ الدرر الطالع: ج ١ ص ٤٩٨، الدرر الكامنة: ص ٢٠٤، ربحانة الأدب: ج ٤ ص ١٦٢، شذرات الذهب: ج ٦ ص ٣٩، فوات الوفيات: ج ٢ ص ٨٧، الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٤٧٧، لسان الميزان: ج ٤ ص ٢٦٣، النجوم الزاهرة: ج ٩ ص ٢٣٥، هدية العارفين: ج ١ ص ٧١٧، روضات الجنات ٥/ ٢٨٠ رقم ٥٢٠.

الشيخ عز الدين حسين بن شمس محمد بن محمد بن إبراهيم الحسام العاملي الدمشقي

(القرن الثامن الهجري)

من علماء المائة الثامنة، هكذا جاءت نسبته في أمل الآمل وفي إجازة فخر الدين بن العلامة الحسن بن المطهر الدلي. وكان قد قرأ عليه وهو معاصر للشهيد. وفي أمل الآمل ذكر ترجمة أربعة رجال من علماء عيناثا إحدى قرى جبل عامل الجنوبية ينتسبون إلى الحسام ولم يتحقق انتسابهم إليه ولا مشاركتهم له في عمود نسبه. أما صلته العلمية بدمشق فحسبك دليلاً عليها انتسابه إليها^(١).

أمين الدين جعفر بن محي الدين محمد الحسيني نقيب الأشراف

المتوفى سنة ٧١٤ هـ

قال الحصني نقلاً عن العبر:

«وفي سنة أربع عشرة وسبعمائة مات بدمشق نقيب السادة الأشراف أمين الدين جعفر بن شيخ الشيعة محي الدين محمد بن عدنان الحسيني توفي في حياة أبيه فولي بعده النقابة ولده شرف الدين عدنان»^(٢).

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٩ (١٩٢٩).

(٢) منتخبات تواريخ دمشق / ٥٢٥.

إبراهيم بن أبي الغيث النجاري المجذلي

كان حياً سنة (٧٣٦ هـ)

هو جمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث بن الحسام النجاري الفقيه الشيعي من أهل قرية مجدل سلم أو مسلم من بلاد صفد، درس الفقه على ابن العود الفقيه المشهور وابن مقبل الحمصي ورحل إلى العراق ودرس على العلامة الحلبي وأتقن الفقه حتى صار إماماً من أئمة الشيعة، وكان أبوه فقيهاً أيضاً، وكان له مجلسان أحدهما معد للوفود والآخر لطلبة العلم، وكان يؤزغ وقته بينهما، وجوده يصل إلى المجلسين غداء وعشاء، قال بعض الأدباء المؤرخين: اجتمعت به بقرية مجدل سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ودار بيني وبينه بحث في الرواية وعدمها وطال النزاع وتجادبت الأدلة، وكان ذا شكل تام حسن لطيف الأخلاق ربيض النفس، يعظمه أهل تلك النواحي، وذكر شهاب الدين بن فضل الله العمري أنه كان حياً سنة ٧٣٦ وقال: كتبت إليه وقد طالت غيبته بعد كثرة اجتماع به في مجلس شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية. رح. وكان ابن الحسام كثيراً ما يتعهد مجلسه، ويستوري شيخنا وقبسه، وكانت تجري بيننا وبينه بحضور الشيخ مناظرات وتطول، أو قال: مذاكرات ومحاضرات. وذكر أن ابن الحسام كتب إليه:

وديمة مطرت ريعي على ظمأ	حتى انتعشت بها من أفضل الديم
سحابة لابن فضل الله جاد بها	عن ابتداء فكانت غاية الكرم
وكان عصره عصر اضطهاد للشيعة ببلاد الشام فقد كبسوا داره وأخذوا كتبه فقال:	
لئن كان حمل الفقه ذنباً فإنني	سأقلع خوف السجن عن ذلك الذنب
والأفما ذنب الفقيه إليكم	فيرمى بأنواع المذمة والسب؟
إذا كنت في بيتي فريداً عن الوري	فما ضر أهل الأرض رفضي ولا نصبي
أوالي رسول الله حقاً وصنوه	وسبطيه والزهراء سيدة العرب
على أنه قد يعلم الله أنني	على حب أصحاب النبي انطوى قلبي
أليس عتيق مؤنس الطهر إذ غدا	إلى الغار لم يصحب سواه من الصحب؟
وهاجر قبل الناس لا ينكرونها	بها جاءت الآثار بالنص في الكتب؟
وبالثاني الفاروق أظهر دينه	بمكة لما قام بالمرهب العضب
وأجهر من أمر الصلاة ولم يكن	بمجهر في فرض هناك ولا ذنب
وقد فتح الأمصار ما رد جيشه	وجالت خيول الله في الشرق والغرب

وجهز جيش العسرة الثالث الذي
 وإن شئت قدّم حيدراً وجهاده
 أخا المصطفى يوم المؤاخاة والذي
 كذاك توالى آله وصحابه
 أولئك ساداتي من الناس كلهم
 وفي بيعة الرضوان عند كفاية
 وله شعر غير ما ذكرت منه وصف نمسر أفسد خلایا نحل وما سواه. ولما تشيع السلطان
 محمد أولجایتو خدابنده بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز التتري الایلخاني
 ملك خراسان وأذربيجان والروم والعراق مدحه جمال الدين بن الحسام بقصيدة يقول فيها:
 أهدي إلى ملك الملوك دعائي
 وإذا الورى والوا ملوكاً غيره
 هذا هدايندا محمد الذي
 ملك البسيطة والذي دانت له
 أغمتك هيبتك التي أعطيتها
 ولقد لبست من الشجاعة حلّة
 ملأ البسيطة رغبة ومهابة
 من حوله عصّب كآساد الشرى
 وإذا ركبت سرى أمامك للعدى
 ولقد نشرت العدل حتى أنه
 فليهن ديناً أنت تنصر ملكه
 نبهته بعد الخمول فأصبحت
 وبسطت فيه بذكر آل محمد
 وغدت دراهمك الشريفة نقشها
 ونقشت أسماء الأئمة بعده
 ولقد حفظت عن النبي وصية
 فابشر بها يوم المعاد ذخيرة
 يا ابن الأكاسرة الملوك تقدموا
 تسمى بذی النورین فی طاعة الرب
 بإطفاء نار الشربك بالطعن والضرب
 بصارمه جلّی العظیم من الكرب
 وأكرم بهم من خير آل ومن صحب
 فسلمهم سلمی وحريهم حربي
 فحسبي بها من رتبة لهم حسبي
 وأخصه بمداخلي وثنائي
 جهلاً فضيه عقيدتي وولائي
 ساد الملوك بدولة غراء
 أكنافها طوعاً بغير عناء
 عن صارم أو صعدة سمراء
 تفنيك عن جيش ورفع لواء
 فالناس بين مخافة ورجاء
 لا يرهبون الموت يوم لقاء
 رعب يخلق أنفوس الأعداء
 قد عمّ في الأموات والأحياء
 وطبيبه الداري بحسم الداء
 تعلو مهابته على الجوزا
 فوق المنابر السن الخطباء
 باسم النبي وسيد الخلفاء
 أحسن بذاك النقش والأسماء
 ورفعت قرياه على القرياء
 يجزيكها الرحمن خير جزاء
 وورثت ملكهم وكل علاء^(١)

(١) مصطفى جواد: مستدرک اعیان الشیعة (مخطوط).

الشيخ حسن السكاكيني

الاستشهد سنة ٧٤٤ هـ

كان أحد علماء الشيعة بدمشق، وقد قتل ظلماً وعدواناً وقد وصف استشهاده ابن كثير الدمشقي بأسلوبه الحاد المعروف في طعن أتباع آل البيت. قال:

«وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره، وأنه رافضي جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين رضي الله عنهما، وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد، وإنما كان مرسلأ إلى علي، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله، وقد فعل وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتى رجع عن مذهبه، وصار إلى قول أهل السنة فآله أعلم. وأخبرت أن ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة»^(١).

وقال مصطفى جواد:

«هو حسن بن أبي بكر بن القاسم الهمذاني الأصل الدمشقي السكاكيني، كان والده شيخ الشيعة بدمشق ومتكلمهم، عالماً بالفقه، وقد اتهم بما اتهم به أحمد بن يوسف المقصاتي المقدم ذكره وذلك يدل على مؤامرة بهؤلاء وائتمار بهم ليقتلوه، في ذلك العصر عصر الاضطهاد الديني الشنيع، وقد حكم عليه بعض القضاة البغاة بالقتل فضربت عنقه بسوق الخيل في دمشق في جمادى الأولى سنة ٧٤٤ وكانه أعدم مع إبراهيم بن يوسف المقصاتي»^(٢).

وجاء في أعيان الشيعة: «قتل على التشيع بدمشق ١١ أو ٢١ جمادى الأولى (٧٤٤).

(١) البداية والنهاية ٢١١/١٤ مطبعة السعادة بمصر.

(٢) مستدرك أعيان الشيعة (مخطوط).

في الرياض: هو ووالده من أكابر علماء الشيعة وستجيء ترجمة والده وأما ولده هذا فقد استشهد لأجل تشيعه (اه) وفي الدرر الكامنة حسن بن محمد بن أبي بكر السكاكيني كان أبوه فاضلاً في عدة علوم متشيعاً من غير غلو فنشأ ولده هذا غالباً في الرضا فثبت عليه ذلك عند القاضي شرف الدين المالكي بدمشق فحكم بزندقته ويضرب عنقه فضربت بسوق الخيل ١١ جمادى الأولى سنة ٧٤٤ (اه) وفي الرياض بعد نقل ذلك نسبة القول بغلط جبرائيل وغيره إلى ابن السكاكيني من مفتريات الشهود عليه تعصباً وعناداً (اه) وفي المستدركات أن ذلك من مفترياتهم وأكاذيبهم الشائعة بينهم (اه) وهكذا كانت تذهب الدماء هدرًا بالتعصب والعداوة وشهادات الزور وأحكام القضاة الجائرة لا سيما في دمشق فكم قتل فيها من مؤمن بالله ورسوله ويكل ما جاء به من عند ربه موال لأهل بيته معظم لأصحابه منزله لأزواجه لأنه شهد عليه عند القاضي بأمور تبرأ منها الشيعة ويبرأ منها المشهود عليه فحكم القاضي بإباحة دمه ولم تقبل توبته وإن حكم قاض آخر بقبولها تعصباً وعناداً ومحادة لله ورسوله وأهل بيته والمطالع للدرر الكامنة يرى من ذلك الشيء الكثير وما هي إلا تاريخ لعصر واحد وهي المائة الثامنة فما ظنك بباقي العصور وكذا المطالع لغيرها لكنه لم يذكر فيها الشهيد الأول محمد بن مكي مع أنه في المائة الثامنة.

ومما يدل على كذب هذه الشهادات وأن أصحابها إنما شهدوا بها بغضاً وعداوة إنها تتضمن فيما نقله ابن حجر في ترجمة هذا الرجل قذف أمهات المؤمنين ونسبة جبرائيل إلى الغلط في الرسالة ولا يوجد بين جميع فرق الشيعة في جميع الأعصار والأدوار والبلدان والأقطار من يعتقد بشيء من ذلك وما هو إلا محض افتراء على الشيعة كما بيناه في المقدمات ومن نسب إليهم ذلك فليأتنا بما يدل عليه من كلام واحد منهم إن كان من الصادقين. والعجب ممن يتولى ساب علي بن أبي طالب على المنابر ومكفره وهو أحد أعيان الصحابة وأحد الخلفاء الأربعة ومن كان يقتل من لا يبرأ منه ومن دينه ويقول عنه أنه كفر كفره صلاء وينتحل له الأعداء ويستحل دماء المسلمين ويحكم بزندقته لأجل التشيع ولا شيء أعجب من أن الذين قذفوا أم المؤمنين عائشة كانوا من الصحابة منهم حسان بن ثابت فلم يحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكفرهم ولم يستحل دماءهم بل أقام عليهم حد القاذف بعد ثبوت براءتها وقبل توبتهم والشيعة تعلن لجميع الملأ أنها تعتقد أنه لا يجوز أن تكون زوجة النبي زانية وأنه يجب تنزيه جميع أزواج الأنبياء عن ذلك فلا يقبل منهم وتلصق هذه التهمة بهم أن هذا لعجيب»^(١).

إبراهيم المقصّاتي

المستشهد ٧٤٤ هـ

هو إبراهيم بن يوسف المقصّاتي الدمشقي، وظاهر نسبه يدل على أنه كان يحترف بصنع المقصّات، اتُّهم ظلماً بأنه سب الصحابة والسيدة عائشة. رضي الله عنهم. وذكر جبريل بما لا يليق به، فكان من ضحايا التلفيق والتزوير والاختلاق فأفتى بعض القضاة البغاة بقتله فقتل بدمشق في جمادى الأولى من سنة ٧٤٤ هـ وهو في الحقيقة الشهيد الأول وإن اشتهر هذا اللقب للعلامة الفقيه العالم النبيه محمد بن مكي. وكان عصره عصر اتهام الطغام لأعدائهم بالإلحاد في الإسلام.^(١) والظاهر أنه استشهد مع الشيخ حسن السكاكيني في وقت واحد.

أحمد بن الخليل الدهان

كان من أهل الرقة على الفرات، وكان شاعراً غزلاً، انتقل من الرقة إلى حران فأقام بها، وأخباره عزيزة، قال ابن الشعار: «كان شاعراً مطبوعاً متشيعاً حسن التغزل»، قال: «أنشدني سليمان بن بليمان الصائغ الأربلي قال أنشدني أحمد بن الخليل الدهان الرقي لنفسه». وذكر الأبيات الآتية ولها معنى جديد في شرعة الحب، وذلك أن الحبيب من عادته التجني على محبه واختلاق الذنوب وهذا على عكس ذلك:

أقسو عليه مكلفاً ويرق لي	طبعاً وأدعو الغير وهو يجيب
وأصد غضباناً فيقبل راضياً	عني فيصفييني الهوى فأثوب
وأغصه بالذنب مختلقاً له	درياً فيحلف صادقاً ويتوب
وأعز ثم يبين ذلة صاغر	ويرى الخطأ فيقول أنت مصيب
يرجو بذاك دوام أسري في الهوى	هيهات تأتي في هواه عجيب
قسماً بأبعادي له وتسخطي	برضاه وهو على البعاد قريب
إنني وأبعادي هواه كعازب	عن طفلها وفؤادها مرعوب ^(٢)

(١) مصطفى جواد: مستدرك أعيان الشيعة (مخطوط).

(٢) مصطفى جواد: شعراء منسيون، البلاغ ١ ص ٨٤.

جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة

(٧٨٧، ٧٨٨ هـ)

هو جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، واسم أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل أبي القبيلة بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العقيلي الحلبي هكذا ساق النسب ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن العديم، وفي تاج العروس: أبو جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر أخى عبادة وعمرو والد خفاجة بن عقيل أخى قشير وجعدة والخريش أولاد كعب أخى كلاب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة صاحب علي رضي الله عنه وهو جد بني جرادة بحلب «انتهى».

وآل أبي جرادة

طائفة كبيرة مشهورة بحلب وهم شيعة وفيهم العلماء والفضلاء والشعراء والكتاب والقضاة الكثيرون العدد ويظهر أنهم كانوا أصحاب عشرة حسنة مع الناس في الدين والدنيا وألسنة نظيفة ومداواة ولذلك تراهم قد ذكروا في كتب التراجم لأهل السنة بكل ثناء جميل وتوفير وتعظيم ووصفوا بدمائه الأخلاق وحسن العشرة كما ستطلع عليه مع ظهور تشيعهم غالباً ويدل على تشيعهم ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة منهم حيث قال: قال ابن السمعاني قرأت عليه بحلب وخرجت يوماً من عنده فرأني بعض الصالحين فقال لي أين كنت قلت عند أبي الحسن بن أبي جرادة قرأت عليه شيئاً من الحديث فأنكر علي قال ذاك يقرأ عليه الحديث قلت ولم هل هو إلا متشيع يرى رأي الحلبيين؟ فقال لي لبيته اقتصر على هذا بل يقول بالنجوم ويرى رأي الأوائل وسمعت بعض الحلبيين يتهمه بذلك «انتهى». وقوله يقول بالنجوم أي بتأثيرها في الكائنات كما كان يراه أهل الجاهلية وهذا معنى قوله يرى رأي الأوائل ولا يبعد أن يكون الذي ساق إليه هذه التهمة هو التشيع فكثيراً ما ساق التشيع تهماً باطلة وافتراءات كاذبة. وأهل حلب كان الغالب عليهم التشيع إلى القرن الثامن،

وينو أبي جرادة حليبيون. ويدل عليه قول ابن السمعاني: متشيع يرى رأي الحليبيين. كما أن لأحد أعلام الأسرة وهو القاضي أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي شرحاً مخطوطاً على قصيدة أبي فراس الحمداني الميمية المسماة «بالشافية في مدح أهل البيت»، والرد على ابن سكرة الهاشمي لا يشك المطلع عليه في تشيعه مع أنه ترجم في كتب أهل السنة بكل وصف جميل ولم يشر أحد إلى تشيعه فدل على أن باقي أهل بيته كذلك ولم يذكر أحد أن هذا وعلياً المتقدم ذكره متشيعون من بين أهل بيتهم كما ذكروا أن الإمام الناصر شيعي من بين أهل بيته وناصر الدولة بن حمدان سني من بين أهل بيته قال ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم: بيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب أدباء شعراء فقهاء عباد زهاد قضاة يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر وأنا أذكر شيئاً من مآثر هذا البيت وجماعة من مشاهيرهم ناقلاً ذلك كله من كتاب ألفه كمال الدين أطل الله بقاءه وسماه «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة، وقراته عليه فأقر به وسألته لم سميتم ببني العديم؟ فقال سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه وهو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون به ولا أحسب إلا أن جد جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة مع ثروة له واسعة كان يكثر في شعره مع ذكر العدم وشكوى الزمان فسمي بذلك فإن لم يكن هذا سببه فلا أدري ما سببه. قال ياقوت حدثني كما الدين عن عمه أبي غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة أنه قال لما ختمت القرآن قبل والدي ما بين عيني وبكى وقال الحمد لله يا ولدي هذا الذي كنت أرجوه فيك حدثني جدك عن أبيه عن سلفه أنه ما منا أحد إلى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا من ختم القرآن (قال ياقوت) وهذه منقبة جليلة لا أعرف لاحد من خلق الله شرواها وسألته عنها قوماً من أهل حلب فصدقوها وقال لي زين الدين محمد بن عبد القاهر بن النصيبى دع الماضي واستدل بالحاضر فإنني أعد لك كل من هو موجود في وقتنا هذا وهم خلق ليس فيهم أحد إلا وختم القرآن وجعل يتذكرهم واحداً واحداً فلم يخرم بواحد حدثني كمال الدين أطل الله بقاءه قال كان عقب بني أبي جرادة من ساكني البصرة في محلة بني عقيل بها وأول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة إلى حلب بعد المائتين للهجرة وكان وردها تاجراً واستوطنها وقيل وقع طاعون بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل إلى الشام فاستوطن جندنا حلب وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله ولمحمد ولد اسمه عبد الله لا أدري أعقب أم لا وأما العقب الموجود الآن فلهارون وهو جندنا ولعبد الله وهم أعمامنا «انتهى». وفي تاج العروس أن أول من انتقل منهم إلى حلب هو عيسى وأن ولده موسى ولد بحلب قال قرأت في معجم شيوخ الحافظ الدمياطي قال عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة نقل من البصرة مع أبيه سنة إحدى وخمسين في طاعون الجارف إلى حران ثم إلى حلب فولد بها موسى وولد موسى هارون وعبد الله فهارون جد بني العديم وعبد الله جد بني أبي جرادة.

ولد صاحب الترجمة ٦ ذي الحجة سنة ٧١٧ وتوفي ١٦ المحرم سنة ٧٨٧ بحلب. في أعلام النبلاء أنه سمع صحيح البخاري على الحجار بحماه وعلى العز إبراهيم بن صالح بن العجمي عشرة الحداد وسمع من الكمال بن النحاس وحفظ المختار وولي قضاء حلب بعد أبيه سنة ٧٥٢ إلى أن مات إلا أنه تخلل في ولايته أنه صرف مرة بابن الشحنة قال علا الدين في تاريخه كان عاقلاً عادلاً في الحكم خبيراً بالأحكام عفيفاً كثير الوقار والسكون إلا أنه لم يكن ناقدًا في الفقه ولا في غيره من العلوم مع أنه درس بالمدارس المتعلقة بالقاضي الحنفي كالحلوية والشاذبية وكان يحفظ المختار ويطالع في شرحه ثم حكى عن خط البرهان الحلبي أنه كان من بقايا السلف وفيه مواظبة على الصلوات في الجامع الكبير نظيف اللسان وافر الفضل سهل الصمت والمهابة في غاية الفقه مع المعرفة بالمكاتب والشروط كبير القدر عند الملوك والأمراء له مكارم ومآثر وكان كثير النظر في مصالح أصحابه وحكى أيضاً عن خط البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع على آخر بمال فأنكر فأخرج المدعي وثيقة فيها أقر فلان ابن فلان فأنكر أن يكون ذلك اسمه واسم أبيه فتشاغل القاضي عنه مدة وأطال ثم نادى يا فلان ابن فلان فأجابه المدعى عليه مبادراً فقال ادفع لغريمك حقه فاستحسن منه هذه الحيلة.^(١)

إبراهيم بن عبد الله الخلاطي

(٧٢٠-٧٩٩ هـ)

هو إبراهيم بن عبد الله الحسيني الخلاطي الأصل الشريف السري، ولد سنة (٧٢٠) بالتقريب وتفقه في بلدة خلاط ودرس عدة فنون فمهر فيها وكان من أفاضل السادات العلويين، ثم قدم حلب فسكن في زاوية بطرفها من جهة الشرق مدة منقطعاً عن الناس، ولكن الناس أقبلوا عليه، وقصدوا إليه، وكان قوي النفس عالماً بمكانة نفسه فعظم عند أهل الدولة، وكان ينسب إلى اتقان الطب وغيره من الفنون فبلغ الملك الظاهر برقوقاً خبره فاستحضره من حلب ليعالج مرضاً أصابه في رجله وفخذه فقدم القاهرة وأقبل الملك عليه إقبالاً عظيماً وأقام يداوي ابنه فلم تنجع مداواته، واستوطن هو الديار المصرية بدار على شاطئ النيل بفم الخور وكان الملك الظاهر يمر بداره في الأحيان فيكلمه وهو راكب ويتحدث هو معه من سطح منزله، وقد نسب إلى عمل الكيمياء واللازورد حتى نسبته بعضهم بنسب «اللازوردي» زاعماً أنه تعلم صنعته في بلاد العجم،

وهذا باطل بطلاناً علمياً، وقال: «وبعضهم ينسبه إلى الاستخدام أي استخدام الجن، والظاهر أنه كان على معرفة من علم الحكمة ويتعانى صنعة اللازورد ومع هذا كان ينسب إلى الرفض فلماذا ما اشتهر عنه أنه حضر الصلاة بالجماعة ولا الجمعيات». والسبب في غموض أمره، كما أرى، ثراؤه وأنه كان منقطعاً عن الناس لا يذهب إلى أحد ولا يأذن لأحد في الدخول عنده إلا لمن يختاره، وأنه كان يعيش عيش الملوك في المأكل والمشرب والملبس. وتوفي في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ٧٩٩ هـ، وكان الجمع الذي حضر جنازته متوافراً، وكان هذا دليلاً على اشتهاره بالديانة والصيانة، ولما بلغ الملك الظاهر برقوقاً خبر وفاته رسم للأمير قلمطاي الدويدار أن يحتاط على تركته في داره فاحتاط على جميعها، وكانت عظيمة فيها ذهب وقماش كثير الأنواع، وجام ذهب وكتب كثيرة في علوم الحكمة ولم يخلف وارثاً ولذلك ورثه الملك، وقيل: وجد في تركته صندوق فيه أنواع من الفصوص والحجارة الكريمة. وزعم بعض أعدائه أنه وجد في تركته أشياء محرمة، ومن البديهي أن مثله لا يسلم من ألسنة سوء. وقد دفن بحوش الأمير يونس الدوايدار بالقرب من قبة النصر بالقاهرة.

الشريف تقي الدين الحصني

(٧٥٢-٨٢٩ هـ)

وفي سنة تسع وعشرين وثمانمائة مات بدمشق السيد الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد عبد المؤمن بن حريز بن معلي بن مؤتمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي بن ناشي بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن يحيى بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد المتقي بن حسن العسكري بن علي بن محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام والحصني نسبة إلى الحصن قرية من قرى حوران ثم الدمشقي الشافعي ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وقد ترجمه كثير من مؤرخي العرب والتürk وذكروا موته ونسبه ونقل بعضهم أن أحد أجداده رحل رحل من مكة واختار الإقامة في الحصن نشأ وتفقه بالشريشي والزهرري وابن الجابي والصرخدي في حوران والغزي وابن غنوم وأخذ عن الصدر الياسوفي ثم انحرف عن طريقته وحط على ابن تيمية وبالح في ذلك وتلقى ذلك عنه الطلبة بدمشق وثارت بذلك فتن كثيرة ذكرها حملة الأخبار وكان يميل إلى التقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وللناس فيه اعتقاد زائد ولخص المهمات في مجلد وكتب على التنبيه قال القاضي تقي الدين الأسدي كان خفيف الروح منبسطة له نوادر ويخرج إلى

التنزه وبيعث الطلبة ويحثهم على ذلك مع الشدة في الورع والدين المتين والتحري في أقواله وأفعاله وتزوج عدة نساء ثم انقطع وتقشف ثم ازداد بعد الفتنة تقشفه وكثرت مع ذلك أتباعه حتى امتنع عن مكالمة الناس ويطلق لسانه في القضاة والحكام وأصحاب الولايات وله في الزهد والتقليل حكايات تضاهي ما نقل عن الأقدمين وكان يتعصب للأشاعرة وأصيب في سمعه وبصره فضعف وشرع في عمارة رباط داخل باب الصغير المعروف اليوم في محلة الشاغور بزاوية الحصني فساعدته الناس بأموالهم وأنفسهم ثم شرع في عمارة خان السبيل ففرغ في مدة قليلة وكان قد جمع تأليف كثيرة قبل الفتنة وكتب كثيرة بخطه في الفقه والزهد. قال السخاوي شرح التنبيه والمنهاج وشرح مسلماً في ثلاثة مجلدات ولخص المهمات في مجلدين وخرج أحاديث الأحياء في مجلد وشرح النواوية مجلد وتآديب القوم مجلد وسير السالك مجلد وتنبيه السالك على مظان المهالك ستة مجلدات وشرح الغاية مجلد وشرح النهاية مجلد وقمع النفوس مجلد ودفع الشبهة مجلد وشرح أسماء الله الحسنى والمولد وتوفي بخلوته بزاوية المازا بالشاغور ليلة الأربعاء الخامس عشر جمادى الآخرة وصلى عليه بالمصلى ابن أخيه شمس الدين محمد الحصني الآتي ذكره وترجمته الذي تتفرع منه ذريته الموجودة اليوم من بني تقي الدين الحصني دفن بالقبيبات عند البوابة نهاية محلة الميدان على جادة الطريق عند والدته لأنها كانت من حي الميدان وحضر جنازته خلق كثير لا يحصيه إلا الله تعالى مع بعد المسافة وعدم علم أكثر الناس بوفاته وازدحموا على حمله للتبرك به وختم عند قبره ختمات شريفة كثيرة وصلى عليه أمم ممن فاتته الصلاة على جنازته ورؤيت له منامات صالحة في حياته وبعد مماته انتهى ما نقله صاحب شذرات الذهب وغيره من حملة الأخبار قال العدوي في تاريخه عن ترجمته ما نصه الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد عبد المؤمن الإمام العالم الرباني الزاهد الورع العابد القانت الكامل الولي الحصني الدمشقي الحسيني مولده في أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قال مؤرخ الإسلام ابن قاضي شعبة وله في الزهد والتقليل من الدنيا حكايات لعل أن لا يوجد في كبار الأولياء أكثر ومنها لم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان ثم قال والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل ومن كراماته أنه لما خرج المسلمون إلى غزاة جزيرة قبرص والتحم القتال رأى جماعة من العسكر الشيخ تقي الدين الحصني يقاتل أمام المسلمين حتى نصرهم الله تعالى فلما رجعوا حكوا ذلك وأخبر جماعة من الحجاج أنهم رأوا الشيخ بعرفات والمدينة المنورة وهم يعرفونه حق المعرفة فلما رجعوا أخبروا بذلك والحال أنه ما غاب عن أصحابه يوماً واحداً ويحكى من كراماته أن شخصاً معه علبة لبن فباعها الشخص لآخر وحملها الحمال إلى منزل المشتري ففي أثناء الطريق مر على الشيخ فأخذها وكبها ورمها وإذا في وسطها حبة كانت قد سقطت في الحليب وماتت وراب الحليب عليها فأطلع الله الشيخ على ذلك والهمة فكبها في الطريق ومنها أنه كان يطعم الرطب الجني للصغار والكبار في غير أوانه ولم يكن بدمشق واحدة من ذلك انتهى من تاريخ البصري وتراجم الرجال من تاريخ العدوي ونقل بعضهم من كلامه قوله:

إذا ما مالت النفس إلى الدنيا منعناها تخادعنا ونخدعها وبالصبر غلبناها

لها قوت من الفقر وفيه قد انخناها^(١)

القاضي عماد الدين إسماعيل بن التيرياج الفوعي الشاعر قاضي الفوعة

المتوفى سنة ٨٥٥

في أعلام النبلاء عن كتاب كنوز الذهب لموفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي أنه قال: عماد الدين إسماعيل بن التيرياج الشافعي أنه قال: عماد الدين إسماعيل بن التيرياج الشافعي هذا الرجل ولي الحكم بأريحا وسمرين والفوعة ونظم الشعر، وقال لي شيخنا أبو الفضل بن حجر لما أوقفه على نظمه: هذا أصلح نظم أهل العصر. ومن شعره:

الأحيي ذاك الليل في مقلة الفجر وريق النداء قد راق في مبسم الزهر
وأسفرت الكتبان عن رائق الحلوى وماست غصون البان في الحلل الخضر
وهي طويلة، ومن شعره أيضاً: لما قرفت من البلاء د أردت أن أتفوعا

وكان حسن الشكالة والمحاضرة والمجالسة والمفاكحة، وله تاريخ وقفت عليه، وفي أوله: قيل أن أبا بكر يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النسب في مرة بن كعب (انتهى) قال فأقول: وهذا بلا خلاف بين أهل النسب وأنه ابن عمه، لكن المؤرخ صاحب الترجمة من أهل الفوعة، وله ديوان قطعته في حياته وسألته عن سبب ذلك فقال لي: كان الشخص قديماً إذا نظم القصيدة ومدح بها أحداً أجرى عليه وأعطاه الجوائز السنوية، وأنا الآن أنظم القصيدة وأرسل معها الخدم بالعدل وغيره حتى تقبل، ففي حال حياتي أبدل مالي، ويعدى يقال: ما أكثر ما سأل بقصائده. وكان يقول: أنا من الخزرج، ويكتب ذلك بخطه، وينسب إلى تشيع، وكان كريم النفس جداً يجود على أصحابه ويفضل عليهم ويحسن إلى الغرباء وحمدت سيرته في ولايته، وله المدائح الغرر في رؤساء حلب، ومن ذلك ما امتدح به القاضي الحنفي ابن الشحنة في سنة ٨٥٠ لما قدم من القاهرة وأنشدها:

صـدور أيامنا بك انشـرحت وأنفس المكرمات قد فرحت
والدهر كم قد شكا تغيره بعدك واليوم حاله صلحت
أشرف عيد نهار مقدمكم فيه العدا بالعيون قد ذبحت
كانت نفوس الأنام قد سكرت غمأً ومنها لما دنوت صحت
أطلعت شمس الفخار مشرقة من بعد ما للغروب قد جنحت

وهي طويلة أوردها أبو ذر بتمامها وختمها بقوله:

بقيت ما ماست الغصون وما سرى من البان نسمة نضحت^(١)

مات في ١٩ رجب سنة ٨٥٥ ودفن بمصلى العيد خارج سمرين.

الحسين الكربلائي

(المتوفى بعد ٩٧٥ هـ)

الحسين الكربلائي نزيل دمشق وهو صاحب كتاب الروضات في مزارات تبريز وقد اجتمع مع البهائي بمحلة الخراب في دمشق «المسماة الآن بمحلة الأمين» وفرغ من كتابه روضات الجنان سنة ٩٧٥ هـ.^(١)

الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي

(المتوفى بعد ٩٩٠ هـ)

الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل العاملي الحارثي الكفعمي^(٢) مولداً. واللويزي^(٣) محتداً. والجبعي^(٤) أباً. والحارثي منسباً. والتقي لقباً. والإمامي مذهباً.

هكذا انتسب في آخر كتابه المصباح. ترجمه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي في أمل الأمل. والشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤة البحرين. والشيخ أحمد المقرئ الأندلسي في كتابه نضح الطيب. وكلهم أثنوا على أدبه وعلمه ووصفوه بطول الباع وسعة الإطلاع. ومن أساتذته الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي^(٥) البياضي^(٦) والشيخ شمس

(١) أحياء الدائر من القرن العاشر ص ٧٠.

(٢) قال المقرئ والكفعمي نسبة إلى كفرعما من قرى أعمال صفد كما تقول في النسبة إلى عبد الدار عبادي وإلى حصن كيفا حصكفي. وقال في الروضات وكفعم على وزن زمزم قرية من قرى جبل عامل كاللويضة وجبع. ونقل عن العلامة البهائي أن الكفر على لغة جبل عامل بمعنى القرية وعيتم اسم رجل لقرية هناك والمعروف أن قرية كفعم كانت عامرة منذ نحو ثلاثة قرون وهي من قرى الشقيف على غلوة سهمين من قرية جبشيث وثلاثة أميال من النبطية وقبره معروف فيها وهي اليوم خربة.

(٣) نسبة إلى اللويضة من أعمال جزين.

(٤) نسبة إلى جبع من أعمال النبطية اليوم وكانت قاعدة أعمال التفاح سابقاً.

(٥) نسبة إلى النبطية البلد المعروف على غير القياس.

(٦) نسبة إلى قرية البياض من قرى صور الساحلية.

الدين محمد بن زين الدين علي بن شمال العاملي المشغري وكانت قراءته على الثاني سنة ٨٤٨. أما صلته العلمية بدمشق فلم أجد من مترجميه من صرح بها كما أنهم لم يصرحوا بذكر أيام تحصيله. وأسماء شيوخه الذين أخذ عنهم العلم. والبلاد التي ارتحل إليها في طلبه اللهم إلا تنقاً ذكرت في ترجمته لا ترتاح إليها نفس المؤرخ شأنهم في جل ما كتبوه في معاجمهم التي هي مجموعة فهارس وجريدة أسماء وكنى وألقاب. وعذرهم أن غرضهم مما كتبوه في الغالب يتمحز لحفظ سلسلة الإجازة لا للتاريخ.

ومن تضاعيف تلك المعاجم وقفت على اسمي شيخيه اللذين ذكرتهما آنفاً وهما لم يذكرنا في ترجمته وإذا لم نقف على تصريح برحلته إلى دمشق لأخذ العلم عن شيوخهما فإننا نستفيد مما ذكره العلامة الشيخ أحمد المقرئ في الجزء الرابع من ص ٣٩٥ إلى ص ٣٥٨ من كتابه نفع الطيب من التعريف به. وإيراد نبذة من نظمته ونثره. ومنها رسالته إلى قاضي القضاة أبي العباس ابن الرفوري أنه كان على صلة حسنة بعلماء دمشق. وإليك محل الحاجة مما جاء بنفع الطيب: «ومن بدائع الكفعمي رسالة كتب بها إلى قاضي القضاة العالم العلامة أبي العباس ابن المرفوري في شأن استادار قاضي القضاة المذكور الأمير علاء الدين^(١) ويخرج من أثنائها قصيدة منها^(٢). والكفعمي برسالته شفيح بالأستاذار إلى قاضي القضاة. وفي اتخاذ الأستاذار له شفيحاً به إلى قاضي القضاة الذي كان يتولى أكبر منصب في دمشق وبيته في ذلك الوقت من أعرق بيوتات العلم ولجاء فيها^(٣) دليل على مكانة الكفعمي الأدبية في ذلك البلد الطيب مضافاً إلى توثق عرى المودة والأدب بينه وبين قاضي قضائها.

وفي كتاب رضات الجنات ما محصله: أن خازن المكتبة العلوية الغروية أباح للكفعمي مدة من الزمن الإطلاع على نفائس كتبها النادرة الجليلة والاستفادة منها فكانت لؤلؤاته منهلًا فياضاً غزير المادة حتى قال المقرئ وهو حافظ الأندلس في وقته: «وما رأيت مثله في سعة الحفظ

(١) هو علي بن فخر ولم أعثر له على ذكر في غير هذا الكتاب.

(٢) ومن القصيدة هذه الأبيات:

وينهي إلى قاضي القضاة بأن ذا	علي بن فخر الدين في أمركم مرضي
ومدحكم فرض يراه لسانه	وحبكم إياه شاهده يقضي
حديث سواكم لا يمر بقلبه	وإن مر لا يحلو وحكمكم يمضي
يتيه به من في القبيبات عزة	لخدمته إياك يا قاضي الأرض
فإن يك في أفعاله أومقاله	عصاكم فعين العفو عن ذنبه تقضي

(٣) قال ابن شاشو في كتاب تراجم أعيان دمشق واصفاً هذا البيت «بيت بالرئاسة مشهور. وفي قديم الكتب مذكور. أكثره قضاة وصدور. ولغناه المجد به ورود وصدور». وقال البديعي في كتابه ذكرى حبيب في ترجمة الشيخ أحمد بن محمد «هو من ذوي الحسب والعراقة. وأرباب اللسان والطلاقة. وأباؤه صدور الدروس. وزينة الأزمنة والطروس». وترجم المحبي من رجاله أربعة: الأول الشيخ أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧. الثاني الشيخ عبد الوهاب وترجمه ابن شاشو توفي سنة ١٠٧٣. الثالث الشيخ محمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٢. الرابع ولي الدين بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧٢. وفي خطط الشام ذكر عبد الرحمن بن فرفور المتوفى سنة ٩٩٢ وابن شاشو ذكر أحمد بن ولي الدين وابن معصوم في سلافتهم الشيخ مصطفي.

والجمع، وأورد له أبياتاً من نظمته اقتبس فيها أسماء بعض الكتب وعقبهما بقوله: «وأكثر هذه الكتب التي ورى بها غير موجودة بأيدي الناس ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة إطلاعه». ومن مصنفاته رسالة محاسبة النفس اللوامة وهي الرسالة التي نشرها العلامة عيسى اسكندر المعلوف في بعض مجلدات آثاره. لم أجد من مترجميه من تعرض لتاريخ وفاته والراجح أنه توفي في آخر العقد العاشر من المائة التاسعة^(١).

الشيخ جمال الدين أبو المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الجبعي الشهير بالشامي

المتوفى (١٠١١ هـ)

علم من أعلام المائة الحادية عشرة وإمام التحقيق. له التصانيف الجليلة الجامعة إلى غزارة العلم بلاغة العبارة ومنها مقدمة معالم الدين وملاذ المجتهدين في علم أصول الفقه وهو كتاب نافع يدرس إلى اليوم. وهو معدود في الطبقة الأولى بين شعراء وقته. ترجمه المحبي والخفاجي وابن معصوم والحر العاملي والبحراني وحفيده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور وكلهم أثنوا على علمه وأدبه. توفي سنة ١٠١١ في جبج وقبره معروف فيها إلى اليوم^(٢).

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٩ (١٩٢٩) بحث الشيخ سليمان ضاهر.

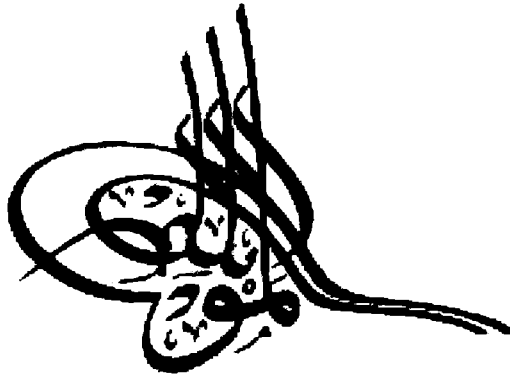
(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٩ (١٩٢٩).

الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي

(توفي ١٠٣٠ هـ)

من اكابر علماء عصره المحققين له مصنفات جيدة في فنون من العلم ونثر وشعر متوسط الطبقة. رحل رحلات إلى مكة والعراق ولم يلبث في العراق إلا قليلاً وغادرها إلى مكة خائفاً يتربص من أعدائه الذين رمي بسهم من أحدهم فأخطاه ولم يزل مجاوراً بها إلى أن توفي سنة ١٠٣٠.

كان في عهد اشتغاله بالعلم يذهب إلى دمشق ويقيم بها ويختلط بفضلائها ويصاحبهم ويعاشرهم أحسن عشرة. وقرأ عندهم في علوم شتى. ومن جملة شيوخه الشيخ شرف الدين^(١) الذي كان يقول إذا انتهى إليه التحكيم بما كان يجري بينه وبين تلامذته من المناظرة، يا إخواني لا نعبر في وجه الحسان، يعني بذلك صاحب الترجمة وكان هو والشيخ محمد بن الحرفوش من تلامذته. وكان من زهاد عصره ومما رواه عنه ولده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور أنه رد صلة صديقه الأمير يونس حاكم بعلبك في ذلك الوقت وهي صلة لا يستهان بها تورعاً كما رفض التماس بعض ملوك عصره حضوره إليهم للاستفادة من كلمة تجنباً للظهور. وابتعاداً عن رجال الدنيا.^(٢)



(١) أحد أفاضل دمشق المشهورين بالفضل التام وكان متجراً ذا فنون كثيرة أقرأ الكثير وضبط وقيد وجلس مجلس التدريس ونفع كثيراً من الأفاضل أخذوا عنه وانتفعوا به توفي سنة ١٠٣٨ (عن خلاصة الأثر).

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١٩ (١٩٢٩).

الشيخ بهاء الدين العاملي

المتوفى (١٠٣١ هـ)

الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهنذائي العاملي الشهير باليهالي:

من أقطاب العلم وأشهر رجال الفنون في هذه المائة وهو أعرف من أن يعرف وله مصنفات في أكثر العلوم تجنب فيها التطويل.

سافر أبوه به إلى العجم وهو ابن سبع سنين. ثم انتقل به إلى البحرين وفيها توفي فعاد صاحب الترجمة إلى بلاد العجم وأقام في أصفهان فأكرم الشاه عباس الصفوي وفادته وولاه مشيخة الإسلام. وتخلّى عن ذلك إلى السياحة في الآفاق مدة ثلاثين سنة. وزار مصر ودمشق وحلب والقدس. واجتمع بمحلة الخراب بأديب دمشق في ذلك الوقت الشيخ حسن البوريني فظهر له من غزارة عمله وتحقيقه ما بهره وترجمه كما ترجمه المحبي ترجمة مطولة والحر العاملي والبحراني وابن معصوم والخفاجي والطالوي في سانشاته والمنيني في مقدمة شرحه لقصيدته. توفي في أصفهان سنة ١٠٣١ ودفن في المشهد الرضوي.

(مجيئه في سياحته إلى دمشق وما جرى له فيها)

وقال المنيني: ولما ورد دمشق نزل بمحلة الخراب عند بعض تجارها الكبار واجتمع به الحافظ الحسين الكربلائي القزويني والتبريزي نزيل دمشق صاحب الروضات الذي صنفه في مزارات تبريز واستنشدته شيئاً وكثيراً ما سمعت أنه تطلب الاجتماع بالحسن البوريني فأحضره له التاجر الذي كان عنده بدعوة وتأنق في الضيافة ودعا غالب فضلاء محلته فلما حضر البوريني المجلس رأى فيه البهائي بهيئة السياح وهو في صدر المجلس والجماعة محدقون به وهم متأدبون غاية التأدب فعجب البوريني من ذلك وكان لا يعرفه ولم يسمع به فلم يعبأ به ونحاه عن مجلسه وجلس غير ملتفت إليه وشرع على عادته في بث دقائقه ومعارفه إلى أن وصلوا العشاء ثم جلسوا فابتدر البهاء في نقل بعض المناسبات وأخذ في الأبحاث فأورد بحثاً في التفسير عويصاً فتكلم عليه بعبارة سهلة فهمها الجماعة كلهم ثم دق في التعبير حتى لم يبق من

يفهم ما يقول إلا البوريني ثم أغمض في العبارة فبقي الجماعة كلهم والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول غير أنهم يسمعون تراكيب واعتراضات وأجوبة تأخذ بالألباب فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه فقال إن كان ولا بد فأنت البهاء الحارثي إذ لا أحد اليوم بهذه المثابة إلا هو فاعتنقا وأخذنا بعد ذلك في أيراد أنفس ما يحفظان وسأل البهاء من البوريني كتمان أمره وافتراقا تلك الليلة ثم لم يقم البهاء فأقلع إلى حلب. وذكر الشيخ أبو الوفاء العرضي في ترجمته قال: قدم مستخفياً في زمن السلطان مراد بن سليم مغيراً صورته بصورة رجل درويش فحضر درس الوالد الشيخ عمر هو لا يظهر أنه طالب علم حتى فرغ من الدرس فسأله عن أدلة تفضيل الصديق على المرتضي فذكر حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر وأحاديث غيره فرد عليه ثم ذكر أشياء كثيرة تقتضي تفضيل المرتضي فشتمه الوالد وقال له رافضي شيعي وسبه فسكت. وما فعل ذلك إلا لعجزه عن الجواب فعمد إلى السفه والسباب لما أعيته الحجة في الجواب كما هي العادة. قال: ثم إن البهائي أمر بعض تجار العجم أن يصنع وليمة ويجمع فيها بين الوالد وبينه فاتخذ التاجر وليمة ودعاهما فأخبره أن هذا هو المنلا بهاء الدين عالم بلاد العجم فقال للوالد شتمتمونا فقال ما علمت أنك المنلا بهاء الدين ولكن إيراد مثل هذا الكلام بحضور العوام لا يليق. «ا هـ» وهذا عذر أقبح من الذنب فإنه إن كان ما اعترض به مستحقاً لهذا الجواب فلا فرق بين أن يكون المنلا بهاء الدين أو رجلاً من المساكين وإن كان غير مستحق لهذا الجواب فالمجيب مذموم ولو لم يكن المجاب بهاء الدين فهو بهذا العذر سجل على نفسه أنه ينظر إلى من قال لا إلى ما قال ويعرف الأقوال بالرجال لا الرجال بالأقوال ويشتم أهل المسكنة ويتحامى أهل الجاه والأبهة وأبرد من ذلك: العذر بأن إيراد مثله لا يليق بحضور العوام فإن كان الدليل يقتضيه يلزم إيراده بحضور العوام والخواص وإن كان الدليل لا يقتضيه يلزم أيضاً إيراده بحضور العوام ليعلموه عن دليل لا عن تقليد ولكن الحال ظاهر في أن إثباته بالدليل غير مستطاع فيخشى من تغير عقيدة العوام ويلزم بقاؤهم على التقليد بغير برهان.

قال: ولما سمع بقدمه أهل جبل بني عاملة تواردوا عليه أفواجاً فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب، قال وسياق كلام العرضي يقتضي أن دخوله إلى حلب كان بقصد الحج.^(١)

الشيخ حسن بن علي بن حسن بن أحمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحانيني^(١)

(المتوفى ١٠٣٥ هـ)

انتقل أبوه الشيخ علي وهو من العلماء من المدينة إلى جبل عامل فكان له فيه خلفاً صالح. ولصاحب الترجمة بعض المؤلفات الأدبية والتاريخية وديوان شعره. وأثنى عليه المحبي وقال بعد أن وصفه بالفضل والأدب «وكان مقيماً ببلده بيت حانين من ضواحي صفد. وافتي مرة في حياة الشهاب أحمد الخالدي»^(٢). وترجمه الحر العاملي في أمل الأمل توفي سنة ١٠٣٥ هـ^(٣).

الشيخ محمد بن علي بن محمد الحرفوشي الحريري العاملي الكركي الشامي

(المتوفى ١٠٥٩ هـ)

نسبته

(الحرفوشي) نسبة إلى آل حرفوش أمراء بعلبك (والحريري) نسبة إلى الحرير لأنه كان يصنع القماش الغبانات المتخذة من الحرير كما في خلاصة الأثر (والكركي) نسبة إلى كرك نوح.

(١) نسبة إلى كونين وحانين وهما قريتان متجاورتان من قرى عامل الجنوبية وعلى بضعة أميال من تبين. والحانيني نسبة إلى حانين وهي قرية عامرة معروفة بهذا الاسم خلوا من لفظ بيت.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي الفقيه الأديب الحنفي المتوفى في صفد نسبة ١٠٣٤ هـ.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ٩ (١٩٢٩).

أقوال العلماء في حقه

في أمل الآمل: كان عالماً فاضلاً أديباً ماهراً محققاً مدققاً شاعراً أديباً منشئاً حافظاً أعرف أهل عصره بعلوم العربية له مؤلفات كثيرة الفوائد. وقال صاحب السلافة في حقه: منار العلم السامي وملتزرم كعبة الفضل وركنها الشامي ومشكاة الفضل مصباحها المنير به مساوؤها وصاحبها خاتمة أئمة العربية شرقاً وغرباً والمرهف من كمام الكلام شرقاً وغرباً أماغط عن المشكلات نقابها وذلل صعابها وملك رقابها وألف بتواليغه شتات الفنون وصنف بتصانيفه الدر المكنون. وذكره المحبي في خلاصة الأثر فقال: اللغوي النحوي الأديب البارع الشاعر المشهور كان في الفضل نخبة أهل جلدته وكان في الشعر مكثراً محسناً في جميع مقاصده جمعت من شعره أشياء لطيفة.

أحواله

في أمل الآمل: قرأ على السيد نور الدين علي بن علي بن الحسين الموسوي العاملي في مكة جملة من كتب الخاصة والعامة رأيته في بلادنا مدة ثم سافر إلى أصفهان. وفي خلاصة الأثر: قرأ بدمشق وحصل وسما وحضر دروس العمادي المفتي وكان العمادي يجله ويشهد بفضله وطلبه المولى يوسف بن أبي الفتح لإعادة درسه فحضره أياماً ثم انقطع فسأل المفتي عن سبب انقطاعه فقليل أنه لا يتنزل لحضور درسه فكان ذلك الباعث على إخراجهم من دمشق وسعى المفتي عند الحكام على قتله بنسبة الرفض إليه وتحقق هو الأمر فخرج من دمشق إلى حلب هارباً ثم دخل إيران فعظمه سلطانها الشاه عباس وصيره رئيس العلماء في بلاده وكان وهو بدمشق حامل الذكر وكان يصنع القماش الغبانات المتخذة من الحرير ولذلك قيل له الحريري وكان كثير من الطلبة يقصدونه وهو في حانوته يشتغل فيقرؤون عليه ولا يشغله شاغل عن العلم «ا هـ».

وهذه حال علماء السوء يسعون في قتل من يترفع عن حضور دروسهم ولا شك أنه لم يكن درساً مفيداً وإلا لما ترفع عن حضوره.

وعن السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية أنه أسند عنه وحدث عنه بواسطة الحرفوشي المذكور قال في الروضات وذكر ابن الأقا في كتاب المقامع أنه له الرواية عن الشيخ محمد الحرفوشي بخمس وسائل وأنه يروي بتسع وسائل عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال وهذا من غريب الإسناد ولا يداني هذه الرواية شيء في علو السند غير حديث قاضي الجن الذي نقله السيد حسين ابن السيد حسين ابن السيد حيدر الكركي العاملي بإسناده عن المولى جلال الدواني عن وسائل ثلاث آخر .

مؤلفاته

(١) اللئالي السنية في شرح الأجرومية مجلدان. (٢) نهج النجاة فيما اختلف فيه النحاة «لم يتم». (٣) شرح الزبدة في الأصول. (٤) شرح التهذيب في النحو. (٥) شرح الصمدية في

النحو. (٦) شرح القطر للفاكهي. (٧) شرح الكافي على قواعد الإعراب لابن هشام. (٨) طرائف النظام ولطائف الانسجام في محاسن الأشعار. (٩) شرح قواعد الشهيد كذا في الأمل وفي خلاصة الأثر حاشية على شرح القواعد للشهيد. (١٠) رسالة الخال. (١١) ديوان شعره. (١٢) رسائل متعددة.

أشعاره

منها قوله في الشيخ محمد الجواد الكاظمي:

جرى في حلبة العلياء شوطاً بسعي ما عدا ستن السداد
ففاق السابقين إلى المعالي وما هذا ببدع من جواد
وقوله:

خليلي عوجاً على رامة لا نظر سلعاً وتلك الديارا
وعج بي على ربع من قد نأى لا سكب فيه الدموع الغزارا
فهل ناشد لي بوادي العقيق عن القلب أنني عدت القرارا

وقوله وكتب به إلى صديق له تمرض بالحمى:

أنا مذ قيل لي بأنك تشكو ضر حمى قد زاد بي التبريح
أنت روحي وكيف يبقى سليماً جسد لم تصح فيه الروح
وقوله:

حباتي الوجد والحرقا وأودع مقلتي الأرقا
وروع بالجفا قلباً بغير هواه ما علقا
رنا بصوارم خذم تسمت بيننا حدقا
حمى أوراد وجنته بأسود خاله ووقى
ولاح بواضح أضحى له شمس الضحى شفا
له حصر بالحاظ إلى رى ما زال منتطقا
وقوله:

تروم ولأه الجور نصراً على العدى وهيهات يلقي النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه سهام دعاء من قسي قلوب
وقوله:

يقولون في الغليون أفرطت رغبة وليس بشيء تقننيه وتختار
فقلت لهم ما ذاك إلا لأنه مضاهي لا تنفك في قلبه النار
وقوله:

يا ليتها إذ لم تجد بوصال سمحت بوعد أوبطيف خيال
جنت لما رقص الوشاة ونمقوا من أنني سال ولست بسالي

لجحيم نيران الصبابة صالي
 ينجو الورى من سحها المتوالي
 وسهاد جفن وأدكار ليالي
 فيه سـراب أو لسوع الآل
 ألقى وقلبي عند ذات الخال
 هيف الغصون بقدها الميال
 يحوي لذيد الشهد والجريال
 كرقيق غيم فوق بدر كمال
 ففرت بهن ولم تناد نزال
 أضحى لديها في أشد وبال
 ومذال اهل الحب غير مزال
 فرقنا من الواشين والعذال
 بالقرب بعد تبرم ودلال
 برد الوصال ومنتهي الآمال

كيف السلو ولي فؤاد لم يزل
 ومدامع لولا زفيرى لم يكد
 ونحول جسم واحتمال مكاره
 فالأم اظماً في الهوى ومواردي
 ولم اختباري عن فؤادي كل من
 هيفاء رنحها الدلال فأخجلت
 في خدها الورد الجني وفغرها
 حجبت محياها الجميل ببرقع
 ونضت من الأجفان بيض صوارم
 فلکم عزيز يختشي من بأسه
 وأخو الهوى يلقي المذلة غرة
 لله ليلة أقيلت بدجنة
 ووفت كما شاء الغرام وأنعمت
 وحبت فؤادي بعد نار صدودها

رثاؤه

في أمل الآمل: لما توفي رثيته بقصيدة طويلة منها:

وحل بقلبي بعده الحزن والوجد
 وحال بها لون الضحى فهو مسود
 وكادت له الشم الشوامخ تنهد
 وأما وجهها أيد وساحلها خد
 فذاب أسى من نعيه الحجر الصلد
 ومن هو في طرق السرى العلم الفرد^(١)

أقم مأتماً للمجد قد ذهب المجد
 ويانت عن الدنيا المحاسن كلها
 وقائلة ما الخطب راعك وقعة
 وما للبحار الزاخرات تلاطمت
 فقلت نعى الناعي إلينا محمدا
 مضى فائق الأوصاف مكتمل العلى

اسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 وآله الطيبين الطاهرين
 أجمعين

الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي

(المتوفى ١٠٦٤ هـ)

ذكره غير واحد من رجال المعاجم كالحر العاملي والمجبي وابن معصوم والبحراني وأخوه في كتابه الدر المنثور وكلهم أطروا علمه وأدبه.

سافر إلى بلاد العجم وقرأ مدة على العلامة البهائي وبعد وفاته ارتحل إلى مكة ومنها إلى بلاده ثم رجع إلى العجم لأمر اقتضى ذلك وعاد إلى بلاده سريعاً ومنها سافر مرة ثانية إلى مكة وفيها توفي سنة ١٠٦٤.

وشعره معدود في الطبقة الأولى بين شعراء عصره ولم يؤلف كتاباً مدوناً لشدة احتياطه ومخافة الشهرة وليس له إلا فوائد وحواش كثيرة غير مدونة بكتاب (١)

الشيخ محمد بن الحسن بن علي محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري^(٢)

(المتوفى ١٠٧٩ هـ)

الإمام المحدث الكبير له مؤلفات كثيرة جلها في علم الحديث وشعره الكثير متوسط الطبقة بالنسبة إلى شعراء زمانه. ترجم نفسه في كتابه أمل الآمل وترجمه ابن معصوم والبحراني والمجبي ترجمة مطولة.

سافر إلى بلاد العجم وأقام في طوس وبها توفي سنة ١٠٧٩.

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ١٩ (١٩٢٩).

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٩ (١٩٢٩) والمشغري نسبة إلى مشغرة من أعمال البقاع (لبنان)..

الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف ابن إبراهيم الشامي العاملي المشغري

(المتوفى ١٠٩٠ هـ)

امام القريض والأدب في وقته وشعره مطبوع نقي الديباجة رحل إلى الهند وأقام فيها مديدة بكنف الأمير نظام الدين أحمد بن الأمير معصوم الحسيني. وبه تخرج في كثير من الفنون والآداب وذكره ولده السيد علي بن معصوم صاحب السلافة. وقد أطنب بمدحه في سلافته. وترجمه المحبي والحر العاملي. توفي في الهند سنة ١٠٩٠ ونيف بعد تنقلات وأسفار في العجم والحجاز.^(١)

السيد جمال الدين بن نور الدين علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي

(المتوفى ١٠٩٨ هـ)

هكذا جاءت نسبته في أمل الآمل. وفي خلاصة الأثر «السيد جمال الدين بن نور الدين بن علي بن أبي الحسن الدمشقي». قال صاحب أمل الآمل بعد أن وصفه بالعلم والفضل والتحقيق والشعر «وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا».

وقال المحبي: «قرأ بدمشق وحصل وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف فأخذ عنه من المعارف ما تنافست عليه فيه الآراء. هاجر إلى مكة وأبوه ثمة في الأحياء فجاور بها. ثم دخل الهند فحيدر آباد. وتقلب به الأيام إلى أن توفي سنة ١٠٩٨ وأخوه السيد علي وهو من الشعراء وأقام بمكة. وعنه أخذ المحبي ترجمة أخيه المترجم له.^(٢)

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٩ (١٩٢٩)، وفي خلاصة الأثر بدل المشغري الحشري وهو تحريف، محمد سعيد الطريحي ملوك حيدر آباد. ص ١١٢ - ١٢٢، سلوة الغريب.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٩ (١٩٢٩)، ملوك حيدر آباد. ص ١٧٨ - ١٨٢، نزهة الخواطر ٥ / ١١٦ - ١١٧.

محمد أمين الدفتردار

(القرن الحادي عشر الهجري)

في ترجمة الشيخ نظام الدين السندي النقشبندي المتوفى سنة ١٠١٦ هـ نقل عن البوريني أنه اتهم الدفتردار محمد أمين بأنه رافضي يبغض أبا بكر وعمر وشاع ذلك وذاع فأمر قاضي القضاة بإخراجه (إخراج نظام الدين بعدما اتهم بالتخليط والمرض وأدخلوه البيمارستان).^(١)

الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الأصفهاني

(١١٠٣-١١١٣ هـ)

صاحب كتب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور وغيره من الكتب الممتعة. أودع في ذلك الكتاب تراجم آبائه مفصلة. وترجمة له مطولة. استقصت أحوالهم. وشغفهم بالعلم من المهد إلى اللحد. واحتمالهم مشاق الرحلة في طلبه وأخذة عن شيوخه وما منوا به من مصابرة محن الأيام. ومكاييد الحساد للنام.

لم يصف الزمان لرجال هذا البيت الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر وكانوا حسنات عصورهم فالشاهد زين الدين وهو من أعلام المائة العاشرة يتصل بسلسلة النسب العلمي بستة آباء كلهم أولهم الشيخ صالح بن شرف تلميذ العلامة الحسن بن المطهر الحالي من رجال المائة الثامنة. ومن الشهيد تسلسل اعلم في بنيه وأحفاده إلى المائة الثانية عشرة.

أما الشهيد وهو من أشهر رجال هذا البيت وأعلم علماء الأمامية فقد مات قتيلاً في قونية. وحفيده الشيخ محمد وولده الشيخ زين الدين فقد ماتا غريبين فراراً من الأعداء في مكة. والشيخ علي المترجم له وأولاده الشيخ محمد والشيخ حسين والشيخ علي والشيخ محي الدين ماتوا في أصفهان. وفيها مات ابن أخيه الشيخ علي بن زين الدين بن محمد ابن الحسن زين الدين الشهيد وكلهم من أكابر العلماء.

وروى صاحب الترجمة في كتابه الدر المنثور من بعض نكباتهم احتراق ألف كتاب من مكتبتهم وأنه لم يحصل بعد العناء الشديد إلا على مائة كتاب من ألفي كتاب مما كان لهم أمانة في دمشق وبعليك وبلادهم.

كتب المترجم له سبعين كتاباً بخطه ما عدا مؤلفاته الكثيرة ولد سنة ١٠١٣ وتوفي سنة ١١٠٣ وقد ذرف على التسعين.

السيد أبو الحسن ابن السيد زين العابدين بن علوان العلواني الشريف الموسوي من آل المرتضى

نقيب أشراف بعلبك المتوفى (١١٠٤) هـ

توفي ليلة الثلاثاء ١١ جمادى الثانية سنة ١١٠٤.

تولى النقابة في بعلبك بعد ابن عمه السيد محمد أبي طالب سنة ١٠٨٦ وجدت على ظهر كتاب الأنساب بخط بعض آل المرتضى أنه تولى النقابة بعد السيد محمد أبي طالب ابن السيد علي بن علوان ابن عمه السيد الأجل مولانا السيد أبو الحسن ابن السيد زين العابدين ابن علوان الحسني.

«ورأيت مكاتبة من أحد نقباء الأشراف بدمشق وهو السيد حمزة بن عجلان الحسيني إليه بتاريخ ٥ جمادى الثانية سنة ١١٠١ ويعد وفاته قام مقامه في النقابة ولده السيد إبراهيم»^(١)



الشيخ إبراهيم بن يحيى المخزومي العاملي الطيبي

(١١٢٣ - ١٢١٣ هـ)

من أعيان علماء عصره وأكابر شعرائه المبدعين أخذ مبادئ العلوم في بلاده عن أبيه وعن علامة جبل عامل في وقته السيد أبي الحسن قشاقش جد أسرة آل الأمين ثم هاجر إلى بلاد العجم فأقام في أصفهان دار العلم في ذلك العهد مدة عشر سنين وآب إلى وطنه عالماً متبحراً متفتناً شاعراً وله بعض المؤلفات وديوان شعره الذي يحوي أربعين ألف بيت كما أخبر حفيده الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم بن صادق بن إبراهيم المترجم له أحد علماء هذا العصر وشعرائه المطبوعين. وكان معاصراً لمشايخ آل الصغير الوائليين وآل صعب الأيوبيين في أبان صولتهم وزهرة حكمهم الأقطاعي وله فيهم المدائح الحسان.

ولما حدثت سنة ١١٩٥ معركة بارون^(١) بين جيش أحمد باشا الجزائر الكثيف والعامليين على حين بغتة وانجلت عن مقتل كبير مشايخهم نصيف النصر الصغير الوائلي وانزهاهم اشتدت وطأة الجزائر الثقيلة على البلاد وأمعن فيها جيشه الظافر يدمر حصونها وينهب أموالها ويوسم أهلها ضروب النكال والقتل والتعذيب وكان أشد البلاء مصوباً على رؤوس العلية والعلماء ولم ينج منهم بعد استصفاء مكاتبهم الحافلة بنفائس الكتب^(٢) إلا من كتبت له السلامة بالضرار. وكان صاحب الترجمة من البقية التي سلمت من سيف ذلك الغالب المنتقم فهبط دمشق وسكن في محلة الخراب. وصاهر أشراف آل المرتضى على إحدى كرائمهم وكرائمه وطوى الشطر الأخير من صحيفة أيامه بين ظهرائهم محترماً مكرماً. ولم يكن ذلك بالذي يسليه عما حلّ ببلاده من مظالم الجزائر التي شاهد منها الكثير عن كذب بعينه. وما زال يتسمع وهو في دمشق من السنة الرواة فادح أنبائها فنظم في الحنين إليها. والعطف عليها. قصيدته السائرة التي مستهلها:

والعيش بين فتى وبين فتاة

بين الجبال الشم والهضبات

من لي برد مواسم اللذات

ورجوع أيام مضين بعامل

(١) من قرى عاملة الجنوبية المتاخمة لحدود فلسطين الشمالية.

(٢) على رواية بعض العامليين أن ما انتهب من مكتبة آل خاتون التي كانت تحوي أربعة آلاف مجلد ثلاثة آلاف مجلد ونيف فما بالك فيما انتهب من المكاتب الأخرى الكثيرة. وروى غير واحد أن أفران عكاء أوقدت سبعة أيام بكتب العامليين ما عدا الكتب التي استصفاها حاشية الجزائر والتي وقفها على المسجد المنسوب إليه.

وهي قصيدة طويلة من بارع شعره ومتخيرته.
على أن حنينه إلى وطنه المشرّد عنه. وتذكّره أيامه الخوالي وهو تحت سمانه مرفه الحال.
هادئ البال. لم يقف بقريحته الفياضة عن وصف دمشق جنة الأرض وكل ما فيها وحيّ وإلهام
فقال:

ولما بلغت الشام صادفت جنةً	بها الحور والولدان قد وتوأم
هي الغادة الحسناء ترقص فرحةً	فينثر ديناراً عليها ودرهم
تبخرت في ثوب الغنى وهو مسبل	وتختال في برد الهنا وهو معلم
وانهارها تفتّر عن درر الحمى	ويظهر مكنون الثفور التّبسم
وكم روضة فيحاء قد نثر الحيا	عليها فريداً قلماً يتنظّم
رياض إذا هزّ النسيم غصونها	تأوه مشتاقاً وحنّ مقيم
وإن أخرجت من كمها يانع الحنا	تشارك فيه العين والأنف والضم
تبارك من أولي الشام محاسناً	غرائبها يمن لمن يتشام
محاسنها شتى جليّ وغامض	وجوهرها في الحسن لا يتقسم
هي الدار نعم الدار لو أن عيشها	يدوم ولكن الفناء محتم

ولد صاحب الترجمة سنة ١١٣٦ وتوفي بدمشق سنة ١٢١٢ قبل مهلك الجزار بخمس سنين.

حامد بن الشهاب أحمد بن عبيد الشهير بالعطار الدمشقي الشافعي

(١١٨٦ - ١٢٦٣) هـ

ولد بدمشق في السابع عشر جمادى الأولى سنة ١١٨٦ وأخذ عن علمائها من أجلهم له
انتفاعاً والده الشهاب والشمس محمد الكزبري وغيرهما من فحول علماء دمشق وغيرهما ،
ويحكى أنه لما طلب أمين الجندي صاحب الديوان الإجازة من أبيه الشهاب سأله سؤالاً فما أجاب
ثم قال له:

إن الفصيح لديك أصبح أبكماً	لم يأت من نطق بحرف واحد
إذ حجة الإسلام أنت بلا سرا	ولنا الدليل باسم ابنك حامد

وقد تصدر للتدريس والإفادة بعد وفاة والده الشهاب في بيته وفي الجامع الأموي ثم تولى تدريس جامع السلطان سليمان في كل خميس من رجب وشعبان وهرعت إليه الفضلاء وأذعنت له الأمراء وتخرج على يده كثير من العلماء وانتفع به خلق كثير كانت وفاته عند عودته من الحجاز في قلعة القطرانة ما بين الكرك ومعان ودفن هناك وقبره ظاهر معروف يزار، مات ١٢٦٣ ومن كلامه تخميس أبيات الشيخ محي الدين الأندلسي:

إذا كنت تبغي رقعة وفضيلة	فوال لطفه عترة وعشيرة
فقد قال محي الدين فيهم عقيدة	جعلت ولائي آل طه فريضة
«على رغم أهل البعد تورثني القري»	
لازم حماهم واتخذ عندهم يداً	فإن لهم يوم القيمة سؤداً
ولا تعبان بالمبطلين أولي الردا	فما طلب المبعوث أجراً على الهدى
بتبليغه إلا المودة في القري ^(١)	

الشيخ أحمد آغا أغات الغول

القرن الثالث عشر الهجري

سيد شريف جليل القدر من السلالة الطاهرة النبوية العلوية الفاطمية من أهل العراق وسكن دمشق الشام وتولى فيها منصب أغات الغول مدة من الزمان في أواخر القرن الثاني عشر وهو من المناصب العسكرية في الدولة العثمانية ثم نقل إلى العراق وللشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي فيه مدائح كثيرة موجودة في ديوانه الذي جمعناه قالها حين هربه من جبل عامل إلى دمشق في حادثة الجزار واتصاله بصاحب الترجمة وقد ذكرنا جملة منها في ترجمة الشيخ إبراهيم المذكور ومما لم نذكره هناك قوله يمدحه ويهنئه بالعيد ويذكر وقعة له بدمشق:

اما والهوى لولا الجفون الفواتر	لما صرعت أسد العرين الجاذر
ولولا خدود كالشقيق نواضر	لما نثرت در الدموع النواظر
وبيضه خدر لا تزال لحاظها	تصيد فؤاد الليث والليث خادر
إذا سمرت عن وجهها قوض الدجى	وكيف بقاء الليل والصبح سافر
وفي وجهها ماء ونار كلاهما	ينص على أن المهيمن قادر
وبين ثناياها غدير مدامة	ترد يد الحران عنه الظفائر

لهوت بها والعيش غض وللصبا
ولما ذوى غرس الشبيبة أعرضت
وما الشعرات البيض في لمة الفتى
ولا عجب أن تخضر البيض ذمتي
إذا قلب الدهر المجن توابثوا
وما نالني والحمد لله جميعهم
حليف العلى والمكرمات وقربها
وأبي فياض اليدين نسوالة
أعاد حياة الجود والجود ميت
يخاطر في كسب المعالي وقلما
مفيد ومتلاف يرى الحمد مغنماً
وكل فتى لا يكسب الحمد والثنا
من النضر الفر الذين إليهم
إذا ولد المولود منهم تهلت
وإن ذكرت أسماؤهم سلم الصفا
بحور أحاطت بالعباد هباتهم
نبذت السورى لما ظفرت بحبهم
سعى أحمد للمكرمات كسعيهم
له الله من ندب أغرو وماجد
تلافى صلاح الشام عند تلافها
فألبسها درع السلامة بعدما
ودارت على الباغي فيها رضى الردى
ولكن نجا شيطانها وقرينه
وفر فرار الطير أهوى لصيدها
ولما أراد الله قتلها معاً
أصابهما الضاري فأمسى ثعالة
فيا راحلاً لا قُرب الله داره
ويا مجرم أذنائه من سيف أحمد
لعمري لقد نالت يد الشام منكما
وثم فروع من يزيد وحزبه
وقد صنعوا بالسبط ما قد عرفته
ليهنك عيد قيل أنك مثله
ودونكما عذراء طيبة الشذا

على البيض ناه لا يرد وأمر
لسرعان ما مج العقار المعافر
وجمته للبيض إلا ضرائر
فأكبر من أخلصته الود خافر
على فهمه جند له وعساكر
بشر وثي من أحمد الخير ناصر
وأكرم فرع طبن منه العناصر
على علل الأيام هام وهامر
وشاد ربوع المجد والمجد دائر
ينال خطير المجد إلا المخاطر
عظيماً وإن خاست لديه المتاجر
وإن ربحت أمواله فهو خاسر
تؤول المعالي كلها والمفاخر
له الأرض واهترت إليه المنابر
عليهم وعجت بالصلاة المشاعر
ففرد باد بالثناء وحاضر
يعاف الحصى من في يديه الجواهر
وتجري على أعراقهن الضوامر
على مثله في الفضل تثني الخناصر
برأي له السيف الصقيل مؤازر
أطلت نيبوب للردى وأظافر
كذاك على الباغي تدور الدوائر
وللأجل المحتوم لا شك آخر
من الجو معروق الجناحين كاسر
ومن عد له أن ليس يسلم جائر
قتيلاً وأمست في الرباط حناجر
لقد جرت البلوى إليك الجرائر
تبسمه وهو الهزير المكاشر
مناها وطارت للعراق البشائر
لدينا وفي كلتا يديك البواتر
وأنت بثأر السبط لا شك ثائر
مغالطة والفرق كالصبح ظاهر
وكل حديث في معاليك عاطر

اضربها طول الظماء فصرحت
فإن تولها فضلاً فما زلت مفضلاً
وحقك ما في الشام غيرك ماجد

بحاجتها للبحر والبحر زآخر
وإن تكن الأخرى فيني عاذر
يُرجى ولا في الشام غيري شاعر



وقال يمدحه أيضاً ويذكر تلك الواقعة:

بشرى فقد أهدت لك الأقدار
وحباك ريك بالمعالي فاغتدى
عاثوا زماناً في الشام وأفسدوا
وعصوا ولي الأمر وانحازوا إلى
ورموك عن قوس العداوة حيث لا
واتوك من بقر البلاد بجحفل
فوثبت وثبة ضيغم أنيابه
فتركتهم ما بين مطرح على
ومكلم يبغي الفرار وقلما
فأصيب منهم من تعرض للقنا
بذلوا لك الأموال خوفاً عندما
يبغون رد غشمشم لا درهم
فعضوت عنهم والعبيد إذا هفت
إلا عن الرجس الذي شبت به
ما زلت تطلبه كما أهوى على
حتى ظفرت به وبالوغد الذي
فقضيت حق المشرفية منهما
وأرحت من فوق البسيطة منهما
فضل حباك به الذي خلق الورى
فاشكر إلهك ما قدرت فإنه
والخير كل الخير إنعاش الفتى
والعدل أن العدل أفضل مركب
والجود لكن لا تريد مذكراً
أنت الذي بالفضل أنعشت الورى
وإذا أراد الله إحياء الكالأ
خذها ولا من عليك فريدة
من مخلص لك في المودة لم تكن
وأسلم ولا تنفك ما هب الصبا

ما تشتهي منها وما تختار
متواضعاً من خوفة الجهار
فيها وعقبى المفسدين بوار
شق الشقاق وكلهم أغمار
ينجيك إلا الواحد القهار
لجب ولكن الرئيس حمار
سمر القنا وسيوفه الأظفار
وجه الصعيد ضيوفه الأطياف
ينجي إذا حم الحمام فرار
وأنجاب ذاك الجحفل الجرار
قتل أطل عليهم وأسار
يثنى عزيمته ولا دينار
منّت عليها السادة الأحرار
في الجانب الشامي تلك النار
فحل الحبارى أجدل مغوار
قد كان يختار الذي يختار
والبيض لا تغدو لها أوتار
وبشكر فضلك طارت الأخبار
وأنهل فيهم جوده المدرار
غرس له ما تشتهيه ثمار
في شدة قلت بها الأنصار
لا يعتريه مدى الزمان عثار
بالجود وهو أليفك المختار
حتى كأن هباتك الأمطار
ساق الغيوث إليه وهي غزار
عصماء يكبو دونها بشار
لولا هواك شعاره الأشعار
قطراً تعيش بصوبه الأقطار

وله أيضاً يمدحه من قصيدة أرسلها إليه من أصفهان إلى بغداد وكان قد نقل إليها من الشام:

همام إذا ما هم لم يثن همه
وإن حضر النادي تخطت به العلى
وإن رفعت أعلامه جزم العدى
جواد يبذ الأغنياء ذوي الندى
وجود الفتى في كل حال فضيلة
فصيح إذا نص البيان حسبه
ويضرق منه الليث والليث خادر
وصلت به حبلي فأصبحت ممسكاً
وعهدي به في الشام وهو أميرها
أروح وأغدو آمناً في جواره
فما راعني إلا وقد قوّضت به
يسير كيدر التم في حنّس الدجى
وما ذاك إلا أنه شيم خطّة
وأجدر خلق الله باللوم قادر
فخيم في الزوراء في ظل أصيد
فيا خير من يعزى إلى الدوحة التي
أبشك أشواقاً إليك تركتني
نعم حبذا دار السلام وحبذا
هي الروضة الغناء بل هي جنة
أقمت زمان القيظ فيها وعندما
ولولا فساد الرأي ما اخترت فارساً
ودونكها عذراء خامر قلبها
هدية مولى أثمر الغرس عنده
ولي في حماك الرحب فرخ تركته
وأنت له بعد المهيمن عدة



وله من قصيدة يمدحه فيها:

اتلك ثغور أم بروق لوامع
وطرة مي ما أرى أم هو الدجى
دعاني جمال العامرية للهوى
وأطعم منها بالوصال وإنما
وبي ظمأ برح وفي الثغر منهل

وأعين عين أم سيوف قواطع
ونور محياها أم الصبح طالع
على رسله أني مطيع وسامع
يقطّع أعناق الرجال المطامع
نمير ولكن حوله السّم ناعم

أما تتقين الله في قتل مسلم
وإن كان لي ذنب كما تدعيه
ولولا الهوى ما لأن عودي لغامز
وما ضربي إن غار وفري ومزقت
فقد يفجع البازي بفقدان ريشه
وليس الغنى في الناس إلا ودعة
ولست أبالي بعد إدراكي العلى
وإن كان في نظم القوافي لناظم
أنرت دياجيّه وأوريت زنده
ولي قصبات السبق في كل حلبة
أنا السابق المتبرّع فيها إلى المدى
وما زلت مذ نيّطت علي تئامي
ولولا أذاها ما تركت منازلتي
ولا صرت في الدنيا غريباً تضمّني
أروح وأغدو في الشّام كأنني
ولكنني صادفت فيها أماً جداً
ولا سيما بحر المكارم أحمد
فتى وجهه في الحرب ضاح وضاحك
يبشره مرآه جدواه مثلما
هو الروض أما ظله فهو سابغ
ويشرق في العام المحيل جبينه
به قام سوق الشعر شرقاً ومغرباً
غرسّت لديه المدح فهو حديقة
ولا غرو أن يزكو لدي صنيعه

على مثله في الفضل تثني الأصابع
فحسبي من الإخلاص يا مي شافع
وكيف يلين الطود والطود فارغ
قميص الغنى عني رياح زعازع
ويخلق غمد السيف والسيف قاطع
ولا بد يوماً إن ترد الودائع
أضاق علي الرزق أم هو واسع
فخار ففخري في البرية شائع
وقارعت من فرسانه من يقارع
تقطر فيها مستقيم وضائع
وكل مجيد جاء بعدي تابع
تصارعني أحداثها وأصارع
وفيهما من الأحباب كهل ويافع
مربع أقوام وتأبى مربع
أفتش عن باب الغنى وهو ضائع
أكفهم للواردية من مشارع
حليف العطاء الجزل والدهر مانع
ومعروفه في السلم هام وهامع
تبشر بالغيث البروق اللوامع
ظليل وأما عرفه فهو ضائع
وللبدر في جنح الظلام مطالع
وقد قل شار للثناء ويائع
لها ثمر من جود كفيه يانع
فعند كرام الناس تزكو الصنائع



واقترح الأما المذكور نظم قصيدة لفظها له ومعانيها للأما فقال:

ألا طرقتنا والخليون هجّ
نؤوم الضحى مجدولة النقد تثني
وتفتقر عن كنز من الدر نوره
تذود الأفاعي عنه وهي ظفائر
أقتنا على يأس الرجاء وريما
ونضت محيا لو تطلع ناسك
وحيت بأجفان مراض وانها

ولليل تاج بالنجوم مرصع
كما اهتز خوط البان والريح زعزع
يلوح على رغم الظلام ويلمع
فأي فتى في ذلك الكنز يطمع
أباح لك المطلوب من كان يمنع
إليه لهام الناسك المتطلع
لأفتك من غرب الحسام وأقطع

لعمرك يا لمياء أني متيم
ولكن أبي لي أن أميل إلى الخنا
ألم تعلمي يا بيضة الخدر أنني
وإني أصون البيض بالبيض حيث لا
سلي بي الست الضارب الهام في الوغى
سلي بي ألم أغش الكريهة حاسراً
سلي بي ألم ألق الجري على اللقا
سلي بي الست القاتل الفقر بالندا
ومما قال السيد إبراهيم ابن السيد محمد العطار في مدح الحاج أحمد آغا المذكور وهو في
الشام من قصيدة عدد أبياتها ٥٢ أولها:

من ذي فؤاد بنار الوجد مشتعل
يقول فيها:

سمي أحمد خير الخلق كلهم
سيف الوزير الجليل الشان فخر بني
شمس الإمارة إبراهيم من سطعت
لولاكم لم تهجني الشام مطرية
وقد أتاني كتاب من جنابكم

ومما قاله الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي عن لسان الحاج أحمد آغا المذكور في مدح علي
أفندي المرادي من قصيدة عدد أبياتها ٣٥ وأولها:

ألمت بنا لمياء بعد صدود
يقول فيها:

وكيف ينال الدل مني مراده
لهم نسب كالشمس شد نطاقه
إذا قيل طه سيد الخلق جدهم
شباب وفتيان كأن وجوههم
ولا سيما المولى علي فإنه
طرح عنائي بعد معرفتي له
ولكنه أصفى إلى قول حاسدي
فيا علم الأعلام شرقاً ومغرباً
أيسخطكم مثلي بشيء وإنما
أمرت بأمر لو تجنبته ورده
صدرت إليك العذر التمس الرضا

على رغم واش في الهوى وكنود
وأل مراد عديتي وعديدي
على خير آباء وخير جدود
أقر لهم بالفضل كل حسود
نجوم سماء في بروج سعود
لنسطاط دين الله خير عمود
كما ارتفق الحران بعد ورود
وقابل إخلاصي له بصدود
وأفضل مبد في الورى ومعيد
قيامي في مرضاتكم وقعودي
أباح ولي الأمر قطع وريدي
وأنت كريم الحلم غير حقود^(١)

السيد صالح الحصني نقيب الأشراف

(١٢٥٦ - ١٣١٠ هـ)

وهو السيد صالح نقيب الأشراف بدمشق بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الشهير بابن تقي الدين الحصني الحنفي. المولود بدمشق سنة ١٢٥٦. وهو الذي امتدحه العلامة المرحوم الشيخ خالد أفندي الاتاسي مفتي حمص سابقاً بقوله:

يا بادي القرى التي وجبت لنا	دنيا مودتها بغير خلاف
فق سامياً أنت ابن طه المصطفى	تبدو بسلسلة ابن عبد مناف
أبهى بأشراف دعيت نقيبهم	صعدوا ربا الشرفين والإسعاف
بك صالح القدس الشريف سرى لها ال	شرفان فلتحي بطيب كاف
ويدا لسان الحال منها قائلاً	«طاب الهنا بنقابة الأشراف»

ولله دره حيث ضمن كل عجز منها تاريخاً أن ذلك من البلاغة بمكان ثم أخبرني أنه حين قدم إلى الأستانة سنة تسع وثمانين وبعد أن أقام بها مدة وحظي من نفحاتها بما حظي توجه لأداء الحج وكان محل إعزاز وإكرام من أمير مكة وأشرافها ومنها توجه إلى المدينة المنورة مكث فيها مدة ثم كر راجعاً إلى وطنه وأن كثيراً من العلماء والأعيان لما سمعوا بقدومه استقبلوه واحتفلوا لملاقاته وكان ممن اعتنى بشأنه غاية الاعتناء حضرة العلامة الإمام الحجة السيد السند أمير العلماء وعالم الأمراء مولانا الأمير عبد القادر الجزائري الحسني طيب الله ثراه ثم أنه عاد ثانياً إلى الأستانة في سنة ١٢٩٢ وبقي بها إلى الآن وحسنت له فيها المعاملات وتعرف بكثير من أكابر رجالها وأعيانها وقد شهد له منهم بالديانة والأمانة كل من عرفه وأنا كذلك معهم من الشاهدين انتهى كلام المؤرخ السلوي وفي سنة ١٣٠٧ أحسن إليه بنقابة أشراف دمشق الشام وحضر إليها وصار صدرها يشار إليه فيها اتفق على حبه جميع العلماء والأمراء وفي سنة ١٣١٠ توجه إلى المدينة المنورة وكان محل احترام علمائها وأعيانها ثم ذهب مع الحج الشامي إلى مكة المكرمة وكنت إذ ذاك رفيقاً له وحل ضيفاً في دار إمارة الشريف عون الرفيق باشا وبعد أداء مناسك الحج ذهب هووالشيخ مصطفى أفندي الجندلي نقيب أشراف أزمير الذي كان مع حج تلك السنة إلى الطائف بدعوة من الأمير وفي تلك الأثناء مات بمكة ودفن في المعلا بجانب السيدة آمنة في تلك السنة ولما ورد الخبر بوفاته إلى والي دمشق وحاكمها كتب إلى الأستانة بتوجيه النقابة إلى وكيله بها أخيه سيدي الوالد إمام السادة الأحناف في الجامع الأموي وقبل ورود المنشور بذلك توفاه الله تعالى وأعيد هذا المنصب إلى بني عجلان الأكارم وقد أطلعت على قصيدة عالية يمدح بها صاحب الترجمة ويهنؤه بمولود جاءه في سنة ١٣٠٣ اسمه صلاح الدين

العلامة طاهر أفندي الأتاسي قاضي البصرة ومفتي حمص اليوم وقد أرخه أيضاً الشاعر الشهير محمد آغا السوقية من أدباء دمشق ومن رجال التمثيل العربي بقوله من قصيدة طويلة:

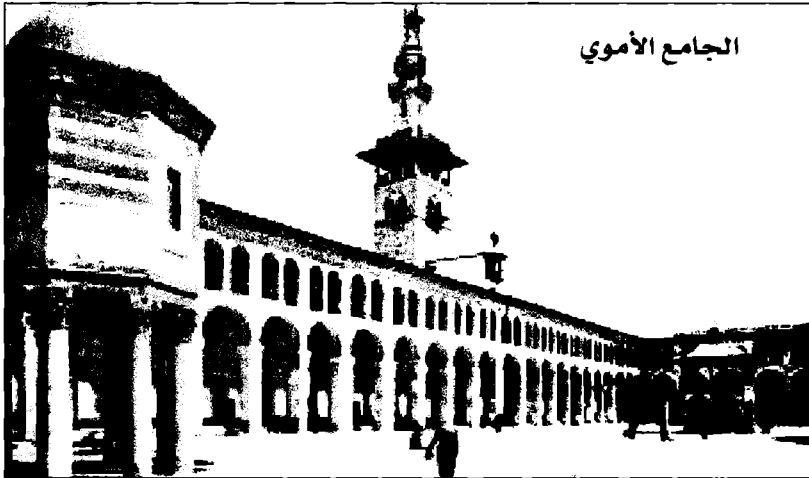
قد أن إلى علياً أبيه مسرة	تعبد له عند الهناء المجدد
شريف حسيني له الفخر سيد	حوى شرف الآباء بضعة أحمد
سليل بني الزهراء خير عصابة	توارثها عن سيد بعد سيد
فيذا العلا ميلاد نجلك قد علا	بطالعه الأسنى على كل مولد
يدوم بمهد العزيزي منعماً	إلى أن نرى من نسله كل أمجد
وتاريخه باليمن لاح مبشراً	بوجه صلاح الدين نور محمد

وقد اطلعت أيضاً على قصيدة طويلة إلى الشاعر الشهير السيد رضا مرتضى من أشراف دمشق يمدح بها صاحب الترجمة منها قوله:

وغدت تسألني عن الدنيا وما	في أهلها من ناصح وأمين
فأجبتها لم يبق أصلح في الورى	من صالح الدنيا تقي الدين
إلى أن قال:	

هو نخبة الشرف الذي نالت به
بعد العنا نصراً بنو ياسين
ونقل الفاضل صاحب مختصر طبقات الحنابلة ما نصه قال كتب الشيخ عبد السلام الشطي أحد علماء دمشق على نسب السيد الشريف والعالم الغطريف محمد صالح أفندي تقي الدين الحصني نقيب الأشراف بدمشق:

نسب عليه من الصلاح لوائح	وختامه مسك وعطر فائح
نسب شريف طاهر بل ظاهر	كالشمس في وقت الظهيرة واضح ^(١)



(١) منتخبات تواريخ دمشق ٧٣٤، ٧٣٥.

الشيخ عبد الرسول الحلبي النبلي

(القبلة النبوية)

توفي في نبل (والنبلي) بنون مضمومة وباء مشددة مضمومة ولأم: قرية من قرى حلب كان عالماً فاضلاً تقياً نقياً حسن الأخلاق جميل الصفات جاء من بلاد حلب مع أخيه الشيخ عبد الحميد إلى النجف الأشرف لطلب العلم وسافرا في بعض السنين لزيارة الحمزة والقاسم بنواحي الحلة فقطع اللصوص عليهما الطريق فمانعهما الشيخ عبد الحميد فقتلوه وبقي المترجم يطلب العلم في النجف ويقرأ على فضلاء العلماء حتى بلغ درجة عالية من العلم مع ورع وتقوى واستقامة وأخلاق فاضلة وكان يقوم بأكثر لوائمه سيد من سادات النجف ذو دين وصلاح ضعيف الحال يسمى السيد علي الحمامي وهو والد السيد حسين الحمامي أحد أعلام العلماء في النجف اليوم والمدرسين بها وكان السيد حسين المذكور يقرأ على المترجم ويساويه والده السيد علي بابنه المذكور بل يفضلته على ولده وكان المترجم ساكناً معهم في دارهم. وكان في النجف قائمقام يدعى خير الله أفندي من تواحي حلب كان يدعو وأخاه كل سنة في شهر رمضان إلى ضيافته ويكرمهما بالمال وأوعز إليهما أن يقيدا في دفاتر الطلبة الرسمية ليعفيا من الخدمة العسكرية وساعدهما في ذلك أجرى المعاملة مجانياً بدون طوابع مالية كل ذلك لأنهما من بلاده. وكانت للمترجم مشاهرة يسيرة من الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي الشهير قبل اتصاله بآل الحمامي فقطعت في شهر منسوب إلى الزهراء عليها السلام فأصبح مخاطباً لها عليها السلام عاتباً عليها في انقطاع مشاهرتة في الشهر المنسوب إليها ثم خرج من الدار فبينما هو يمشي في الزقاق وإذا بأمراة عربية بزى نساء النجف تناديه من خلف: قف يا شيخ فوقف فقالت له: خذ هذه الدراهم فهي زكاة فأخذها فإذا هي بقدر مشاهرتة بغير زيادة ولا نقصان.

قال معاصره السيد الأمين: «أخبرني بذلك من لفظه وأزاني الدراهم فأخذ الدراهم منه جماعة من أصحابنا وأعطوه عوضها واقتسموها بينهم كل أخذ قطعة وأبقاها معه تبركاً وكان إذا احتاج أحدهم رهن تلك القطعة ولم يصرفها. وجد له من المؤلفات شرح المقولات العشر بخطه أخبرني بعض أصحابنا في النجف أنه وجدها فاشتراها وهي عنده. بقي المترجم في النجف مشتغلاً بالعلم والإفادة إلى أن اعتراه مرض فذهب لتغيير الهواء وتوفي رحمه الله تعالى»^(١).

نور الدين النقيب على عموم الأشراف في ممالك الدول العثمانية ابن السيد الحسين بن السيد محيي الدين الحسني الجزائري ثم الدمشقي

قال الحسني: وهو ابن أخي الأمير عبد القادر الشهير ولد في الجزائر وحضر مع أبيه حين مهاجرة أسرته لدمشق نشأ في حجر والده وشاركه بالأخذ عند بعض علماء دمشق وقرأ أيضاً على كثير من معاصريه لم نقف على أسمائهم، كان حسن السيرة والسريرة محترماً عند الحكام تقلد وظائف كثيرة منها أول مأمور بأنه استخدم في معارف الأستانة ثم نقل إلى مديرية أوقاف حلب ثم تولى قضاء حيفا ثم لواء حوران وبعدها تولى قضاء اللاذقية ثم طرابلس الشام مرتين ثم انتقل إلى سينوب وترفع إلى ولاية الموصل ثم رحل إلى الأستانة وتولى خدمة النقابة على الأشراف في الممالك العثمانية ومات عنها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف وعند توليته لهذه الخدمة الشريفة جاءنا منه كتاب محول من والي دمشق إلى دائرة النقابة بها يشعر تقلده هذه الوظيفة ويوصي به جميع نقباء الأشراف في ولايات الدولة العثمانية برعاية آل البيت الطاهرين وتأمين راحتهم وطلب الأدعية منهم لمقام خليفة المسلمين وحضهم على إتباع أوامر جدهم سيد المرسلين وقد سجلناه في سجل النقابة عندنا مع غيره من المحررات الرسمية وقد أعقب صاحب الترجمة أنجالاً أدباء أرشدهم الآن الأمير مختار تولى متصرفية دير الزور وكان يردد في مجلسه قول المعري:

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضل وأقبر
يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يقضي المنبر
ومنهم الأمير مختار والأمير خالد والأمير محمد علي أبناء السيد عبد العزيز بن السيد الحسن ابن عم الأمير عبد القادر من خيرة رجال الإدارة المتعلمين النابغين في هذا العصر.
ومما قاله في حقهم السيد الصيادي نقيب أشراف حلب في الروض البسام ما نصه: ومن آل إدريس في دمشق أسرة الأمير الشهير الغطريف الكبير السيد عبد القادر ابن السيد محيي الدين الجزائري الحسني نزيل دمشق.

ود الأخلاء وصدق الوفا
وهكذا سلاله المصطفى

كان لنا خلاً ومن طبعه
خلائق قامت بأعراقه

هو من أعاضل الأدارسة ومن صدور عصائهم وسادات فصائلهم ونسبه فيهم نسب صحيح شهير لا ريب فيه وقد كان من صلحاء الأشراف الأعلام له علم وذوق وعبارات في التصوف رشيقة ولسان عذب مع عبادة وتقوى وتحقق بالطريق الأقوى وهو من فحول الأمراء وأنه معدود عند من يعرف قدره وفضله في الطبقة الأولى من الأشراف الكمل وممن ينظم فيهم سلك عقود الصدر الأول انتهى كلامه.

وقد هاجر كثير من رجال الجزائر وتونس وطنجة ومراكش وبرقة وغيرها من البلاد المغربية إلى دمشق أكثرهم ينتمون إلى الإمام الحسن ويدهم سلائل تدل على ثبوت دعواهم والناس أماناء على أنسابهم.^(١)

الشيخ عبد الله نعمة العاملي

١٣٠٣-١٢٢٣

هو الشيخ عبد الله بن علي بن الحسين بن الشيخ عبد الله بن علي بن نعمة المشطوب الوشاحي الجبعي العاملي من أكابر علماء عصره.

من رجالات الطائفة الأفذاذ، والعلماء المتبحرين، والفقهاء الكاملين، ومن أهل الورع والتقوى والقداسة، سكن الشام بحي الخراب (الأمين حالياً) مدة من الزمن مرشداً وموجهاً دينياً لأبناء الطائفة ولم يترك شؤونهم أثناء مرجعية في البلاد العاملية بل كان يستفقد أحوالهم ويرجع إليه الناس في أمورهم الدينية حتى وفاته وبعد ذلك رجع الناس في الشام إلى الشيخ محمد دبوب الذي خلفه في هذه المهمة الجليلة، والمترجم له هو والد الشيخ حسن آل نعمة المتوفى سنة ١٣١٢، والذي يقول في مدحه السيد محسن لأمين:

راح يروي الظما ويقرى السفابا	(حسن) بالنوال بعد أبيه
وكل يعدد الإحسابا	وإذا القوم ضمهم منتدى الفخر
حسباً ثاقباً وأصلاً لبابا	ترك الكل خلفه وشأهم

قال الشيخ أغا بزرك في ترجمة الشيخ عبد الله رحمه الله:

(آل نعمة) من بيوت الشيعة المعروفة في جبل عامل، ظهر فيه رجال علم وأدب في عصرنا وما قبله، وأشهرهم المترجم له، ولد سنة ١٢٢٣ ونشأ في بلاده.

وقرأ مقدمات العلوم ثم حضر علي الشيخ حسن القبيسي في الكوثرية، وعلى غيره وتشرف بعد ذلك إلى النجف فحضر الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) وغيرهما من مشاهير العلماء يومئذ، فقد لازم أبحاثهم سنين طوالاً حتى تقدم في العلم والفضل، وعرف في الأوساط بالتحقيق وغزارة المادة وسعة الإطلاع والمعرفة، وكان صديقه في النجف الأشرف وزميله ومصاحبه في طلب العلم الحجة الشيخ محمد حسن آل ياسين.

وقد أضاف المترجم له إلى تضلعه واجتهاده في الفقه، خبرة واسعة في باقي العلوم الإسلامية وبراعة فائقة في الأدب والشعر، فقد كان له باع طويل وأجادة تامة في النظم والنثر، وإطلاع على أخبار العرب وآدابهم ونواذرهم وأنسابهم وغير ذلك، وكان حسن الأخلاق طيب النفس شديد التواضع جم الأدب، عذب المنطق والحديث حظي بحب واحترام أخوانه وزملائه ومشايخه وسائر من عرفه، واتفق أن طلب أهل رشت عالماً من النجف الأشرف يرشدهم ويوجههم فرشحه أستاذه الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء وأرسله إليهم فقام عندهم بالوظائف الشرعية على أحسن وجه، وظل هناك أكثر من عشر سنين، وكان خلال ذلك يتشوق إلى النجف وقبر الإمام عليه السلام ومعاهد العلم وإخوان الصفاء، فقد رأيت بعض شعره الذي نظمته في جيلان ونواحيها من رشت ومازندران وفيه يكثر الحنين إلى تلك المراتب والمعاهد والنوادي.

وعاد إلى جبل عامل فسكن جبع وأقبلت عليه النفوس وحاز ثقة العامة والخاصة ورأس رئاسة مطلقة، وحاز مرجعية كبيرة وزعامة امتدت إلى كل بلاد الشيعة في جبل عامل بشكل قد لم يتوصل إليه زملاءه في عصره وما قبله وما بعده، وكانت له عند أمراء البلاد من آل الأسعد مكانة عظيمة واحترام فائق، واجتمع عليه طلاب العلم من تلك الأطراف فبنى مدرسة دينية كبيرة بنفقة الحاج سليمان الزين من الوجهاء هناك فقصدها كثيرون من أنحاء البلاد وتولى التدريس فيها وتخرج عليه جم غفير، وكان يتجول في البلاد العاملية والمناطق الشيعية فيستفيد الكل من بركاته وعمله. وظل كذلك مرجعاً كبيراً وملاًذاً وحيداً وحصناً منيعاً إلى أن توفى يوم الثلاثاء (٢٦) ربيع الثاني سنة ١٣٠٣ عن ثمانين سنة ودفن في مقبرة خاصة أعدها لنفسه في بستان له في جبع، وخلف ولده العلامة الشيخ حسن وله آثار علمية منها (رسالة في الطهارة) و(حاشية القواعد) للعلامة الحلي، ومجموعة ما نظمته من الشعر، وغير ذلك، وتلاميذته كثيرون، ورأيت خطه على نسخة من (تعليق العراقي) عند السيد عبد الغفار المازندراني في النجف ملكه في سنة ١٢٥٧ وكذا على نسخة من (المنقذ من التقليد) عند السيد محمد رضا التبريزي ملكه بنفس العام.

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «هو رحمه الله من العلماء الشهيرين في أوائل القرن الذي نحن فيه وكان تحصيله أولاً في النجف الأشرف على المحقق الشيخ علي سليم كاشف الغطاء والفقيه صاحب الجواهر وبعد الفراغ من الاجتهاد والخطوة بمراتب الكمال سار

إلى (رشت) وأقام فيها بضع سنين ثم عاد إلى مسقط رأسه من جبل عامل وأقام في جبج وألقت عامة تلك البلاد إليه مقالات المرجعية والتقليد وحاز فيها شهرة طائره وله على كل الأسنه ذكر طري وثناء جميل وأثار حسنة ومساع مشكورة ولم يزل في (جبج) حتى بلغ من العمر الثمانين تقريباً ثم نقله الله إليه في الثالثة بعد الثلاثه والألف ودفن هنالك فرحمة الله عليه وكان قد أقام له في النجف مجلس الغراء المرحوم عميد السادات والعلماء السيد (حسن) يوسف الشهير المتولد عام ١٢٦٠ في قرية حبوش من ناحية الشقيف وفي سن التمييز ذهب إلى جبج وتلقى المبادي والعلوم الدينية في مدرسة المرحوم الشيخ عبد الله المتقدم الذكر وكانت هي المدرسة الوحيدة ولما بلغ السابعة والعشرين هاجر إلى النجف لنيل المراتب العالية من التحصيل على الأساتذة الأعظم فاقام مشغولاً بذلك ثلاثة وعشرين سنة ثم استقدمه اهل النبطية وما ألقى فيها عصاه حتى أخذ في بث العلم ونشر المعارف والقيام بإصلاح كل خلل وفساد وأكثر ما كان يبذل عناء فيه - هو إصلاح ذات البين فقد كانت له همة بذلك لم يجاره فيها نظير ثم أسس فيها مدرسة كانت تشتمل على مائة وخمسين من طلبة العلم فأكثر وكان موفقاً لإنجاز كل عمل يتولاه ومشروع خير يقوم به ولم يزل وفقاً للمصالح العمومية مجرداً عن المطامع والأغراض الشخصية متفانياً في إيصال الحقوق إلى أهلها مائلاً بنفسه للضيافة وإكرام كل نزير حتى قبضه الله إليه سنة ١٣٢٤ عن أربعة وستين عاماً من العمر والألسن إلى اليوم تلهج بذكره والقلوب تتحسر على أن يمن الله عليها بمثله إن شاء الله..

وقد توسع العلامة الأمين في ذكر سائر أحوال المترجم له نثبتها هنا ملحقين بها بعض ما حصلنا عليه من مراثيه رحمة الله عليه:

«ولد سنة ١٢١٩ وتوفي فجر الثلاثاء لأربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٣ في جبج ودفن فيها وعمره سبع وثمانون سنة ورثته الشعراء ومنهم هذا الفقير مؤلف الكتاب وأقام له مجلس الفاتحة الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل وكنا يومئذ نقرأ عليه فيها وكذلك أقام له مجلس الفاتحة شريكه في الدرس الشيخ الفقيه الشيخ محمد حسن آل ياسين الكاظمي في الكاظمية».

أحواله:

كان عالماً جليلاً شاعراً أديباً ذا أخلاق سليمة وصفات جليلة لطيف المعاشرة حاضر النكتة بهي الطلعة صبيح الوجه حسن السميت قرأ في جبل عامل ثم هاجر إلى العراق فقرأ في النجف الأشرف على كثير من علمائنا المبرزين خصوصاً أولاد الشيخ جعفر وتفقه بهم وكان مسلكه في الفقه مسلكهم وطلب أهل مدينة رشت عالماً مرشداً يكون عندهم فاختاره لهم شيخه الشيخ علي ابن الشيخ جعفر فنهاء الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر عن ذلك وكان حينئذ في الحجرة المدفون بها صاحب مفتاح الكرامة فقال له أني طلبت إلى إيران فنهاني صاحب هذا القبر وقال لي

أني أتوسم فيك مخايل الرئاسة فابق في النجف ولا تخرج منها تكن من الرؤساء قال المترجم فخالفته وذهبت إلى رشت. وقد ندمت لخالفته وبقي في رشت نحو اثنتي عشرة ثم عاد إلى جبل عامل فسكن جبع واصل عائلته من حبوش.

وكان حسن الحديث لسنا طلق اللسان حلو العبارة لطيف الإشارة عذب الألفاظ لو جالسته الدهر لما أحدث لك طول مجالسته ملأ بل تود أن يكون لكل جارحة منك سمع.

ولما عاد إلى جبل عامل وسكن جبع رأس في جميع البلاد ورجعت إليه ناس في جميع الأمور الدينية وكانت له الرئاسة المطلقة الدينية في جبل عامل وجميع بلاد الشيعة في سورية ونال عند الناس مقاماً وموقعاً في النفوس لم يصل إليه غيره حتى صارت تضرب به الأمثال فإذا أرادوا التبرم بمن يطيل الصلاة قالوا له هل صلاتك صلاة الشيخ عبد الله نعمة وإذا مدت المرأة يدها إلى محرز الحب أو الطحين تقول يا بركة الله وبركة الشيخ عبد الله.

وسب رجل قصاب الدين في بلدة النبطية التحا فآخبر الشيخ ومابرح أن آتاه القصاب خاضعاً ذليلاً تائباً نادماً وكان عبرة لغيره.

وأسس في جبع مدرسة دينية اجتمع فيها عدد كثير من الطلاب من جميع أنحاء البلاد وأنفق الحاج سليمان الزين في سبيلها كثيراً من المال لكن هذه المدرسة لم تف بالغرض المطلوب من أبنائها لأنه رحمه الله كان يقتصر في بحثه على الفقه خاصة وكل سائر العلوم من علوم العربية والبلاغة والمنطق والأصول وغيرها إلى غيره كما أنه كان يكل إدارة المدرسة إلى غيره وكان الذين يحضرون درسه في الفقه غير متشبعين بما يحتاج إليه علم الفقه من المقدمات فلم يستفيدوا في الفقه كبير فائدة وكان من أوكل إليهم إدارة المدرسة يسرون بها على الطريقة القديمة العقيمة في كيفية التدريس وإلقاء الدروس فكانوا يقضون عشرات السنين في علمي النحو والصرف ويلقون الدرس معرضين عن عبارة الكتاب وتفسيرها ويلقون أبحاثاً خارجة عنها لا يفهم الطلاب جملة منها ولعل الأساتذة أيضاً كانوا لا يفهمون جملة مما يلقيه فكانت الفائدة الحاصلة من تلك المدرسة لا تتناسب مع الجهود والأموال والأوقات التي صرفت عليها وأخيراً ترك التدريس وعطلت المدرسة وتفرق طلابها.

قال السيد الأمين عليه الرحمة: رأيته مرتين في جبل عامل فرأيت رجلاً مهيباً وقوراً بهي الطلعة أبيض الوجه واللحية وكنت صغير السن وكانت له في كل سنة دورة على عموم بلاد الشيعة فيأتي إلى بلاد بشارة وجبل لبنان وبلاد بعلبك ودمشق وبلاد حمص وحلب وغيرها وكان كثيراً ما يصوم شهر رمضان في دمشق لكن لا يصل إليه إلا وجوه الشيعة وشيوخهم فتقل بذلك الفائدة من وجوده وكان يذهب في أموره مذهب علماء العجم لسكناء مدة في بلادهم ورأيت ورقة بخطه في دمشق تثبت بها نسب آل الشجاع الدمشقيين وأنهم من ذرية الفاطميين ويثبت نسب الفاطميين كما رأيت خط عم والدي السيد أحمد بن السيد محمد الأمين في دمشق بإثبات نسبهم.

وكان حسن الإدارة لأملاكه وأمواله يقوم عليها بنفسه ويقتني بغلا يحمل عليها نواتج أرضه وأشجاره وأنشأ بستاناً في جيب اسمه الكسارة كان يضرب المثل في عمرانه وبه كان مدفنه ثم أصبح بعد وفاته أثراً بعد عين قد استولى عليه الخراب وكان له جاء عظيم عند أمراء البلاد لا سيما علي بك الأسعد صاحب تبينين وابن عمه محمد بك وكان إذا جاء إلى بلاد بشارة يستقبلانه مع اتباعهما ووجوه البلاد إلى جسر القاقعية على نهر الليطاني فيحضر معهما إلى تبينين ولا يصعد إلى القلعة مقر إمارة على بك ولا يقبل دعوته ولا يأكل طعامه ويقول له أنت ظالم لا ادخل منزلك ولا أكل زادك وينزل في دار رجل صالح متفقه يسمى الشيخ حمود في قرية تبينين ومع ذلك فعلي بك يعظمه تعظيماً لا يصل إليه أحد فيستقبله إلى الجسر مسافة نحو أربع ساعات وإذا كتب له الشيخ كتاباً شفاعاً في أحد أو لأمر من الأمور قصته سطوراً واستشفى به للمرضى فيذيبه في الماء ويسقيه لهم أو يعلقه عليهم وجرت بعض الهنات بينه وبين آل الحر فبلغ ذلك الأميرين فسارا بخيلهما ورجلتهما إلى جيب للانتقام فلما بلغ الشيخ ذلك جاء بنفسه حتى جلس على باب دارهم ومنع من الدخول إليها ولم يدع أن يجري على أحد منهم أقل أذية وتخلّف بولد واحد ذكر هو الشيخ حسن.

وقال صاحب تكملة أمل الأمل في حقه: «فاضل فقيه ماهر في العلوم الدينية غير مدافع كان شيخ كل البلاد الشامية ولو كان في النجف لكان شيخ كل البلاد الإسلامية حدثني السيد العالم الفاضل الثقة العدل الضابط السيد محمد الهندي قال كنت جالساً تحت منبر شيخنا صاحب الجواهر مع العلماء فجاء الشيخ وصعد المنبر وقبل الشروع في الدرس قال كتب إلي بعض الأخوان من طهران أن الشاه محمد القاجاري في صف السلام قال إن عند الشيخ محمد حسن النجفي مصبغة الاجتهاد يصبغ فيها الطلبة ويرسلهم إلى إيران، مع أنه يعلم أنني لم أشهد باجتهاد هؤلاء الذين كتبت بالرجوع في المسائل والقضاء إليهم فإن مذهبي في المسألة معروف أنني أجوز القضاء بالتقليد نعم ما شهدت في كل عمري باجتهاد أحد إلا أربعة الشيخ عبد الله نعمة العاملي والشيخ عبد الحسين الطهراني والشيخ عبد الرحيم البلو جردى والحاج ملا علي الكني (قال) والغرض أن الشيخ عبد الله نعمة من المسلم لهم عند الأساطين قد سمعت من حجة الإسلام الشيخ محمد حسن آل يس الكاظمي طاب ثراه ثناء عظيماً بالنسبة إلى الشيخ عبد الله نعمة وهو صاحبه وشريكه في الدرس وكان له معه أخوة خاصة وبالجملية كان هذا الشيخ الجليل في تلك البلاد مجهول القدر مع ذلك».

يقول السيد محسن الأمين المقدار الذي يسعه ما عون جبل عامل قد امتلأ من معرفة فضل الشيخ وجلاله شأنه وجبل عامل بلاد الزهد والقناعة التقشف للعلماء وإذ نظرنا إلى أن المحقق الشيخ علي بن عبد العالي الميسي وتلميذه الشهيد الثاني كانا ينقلان الحطب على حمار لهما وتلاميذهما وأن الشهيد الثاني كان يحرس الكرم ويشغل بالتجارة في الشريط ويذهب مع

جمالة أهل جبل عامل كأحدهم إلى الأماكن البعيدة لبيع سلعته وأن الشيخ محمد علي عز الدين الفقيه المجاهد المعروف يقضي جملة من وقته على البيدر وينظر في أمر الزراعة والفلاحة ويتجر، إلى غير ذلك ما لا يمكن إحصاؤه ونظرنا إلى أن المجلسي كانت جواريه التي في المطبخ تلبس شالات الترم التي تساوي مئات التوامين وعلماء إيران والهند وغيرهم لهم الخدم والحشم ويسكنون القصور وفسيح الدور علمنا أن الشيخ عبد الله نعمة لم يكن مجهولاً في جبل عامل وأن ما عون جبل عامل قد امتلأ بمعرفة علمه وفضله وجلاله وقدره.

مشائخه:

قرأ أولاً على الشيخ حسن القبيسي العاملي في الكوثرية ثم ذهب إلى العراق فتلمذ على الشيخ علي ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء كما عرفت وتلمذ على الشيخ محمد صاحب الجواهر وتلمذ في جبل عامل على أساتذة لم تحضرنا أسماؤهم وكذلك في العراق غير من ذكر. تلاميذه:

له تلاميذ كثيرون منهم الشيخ محمد علي آل عز الدين والشيخ علي السببتي والشيخ مهدي شمس الدين والشيخ علي الحر والشيخ عبد السلام الحر والشيخ حسن بن سعيد الحر والشيخ محمد حسين المحمد الجبعي المعروف بالحر والشيخ محمد سليمان الزين وأخوه الشيخ أبو خليل الزين وأعمام السيد محسن الأمين السيد مهدي والسيد عبد الله والسيد محمود وجدنا الشيخ محمد حسين قلحة الميسي وغيرهم.

موقفه في فتنه الستين:

جاء في كتاب مجمع المسرات تأليف الدكتور شاكور الخوري: «إنه في حادثة الستين التي كانت بين الدروز والنصارى سنة ١٨٦٠ م الموافقة ١٢٧٧ هـ: أنه عمل معروفًا مع النصارى لا يقدر. وتفصيل هذا الذي أشار إليه الدكتور الخوري هو أن المترجم آوى جماعة منهم في داره وأكرمهم ولكن أهالي الشوف لما علموا بوجودهم في جبع هجموا عليها ودخلوا دار الشيخ عبد الله نعمة وفتكوا بمن التجأ إليها ونهبوا داره. ولما جاء فؤاد باشا من أستانبول لقمع هذه الفتنه وعمل مجلساً فوق العادة وكان علي بك الأسعد أمير جبل عامل. من أعضائه وجاء علي بك إلى دمشق مع ألف خيال من رجاله جاء الشيخ عبد الله نعمة إلى دمشق يطالب بمنهوباته ودخل مجلس فؤاد باشا وفيه علي بك فأجله علي بك كثيراً وعرف به فؤاد باشا إلا أنه لم يرجع له شيئاً من منهوباته ولا عوض عنها فذهب إلى أستانبول فلم يستفيد شيئاً ولكن جماعة من الإيرانيين فيها جمعوا له مبلغاً من المال لما علموا بالحال..»

ثم قال الدكتور الخوري: «إن مشايخ المتأولة عملت كل معروف مع النصارى وكانوا يصرفون من أموالهم الخاصة عليهم فلذلك يلزم أن تكون النصارى مدينة بالمعروف والجميل لهم ولا ينسوا حسين بك الأمين والشيخ فضل وولده حسن بك والشيخ علي الحر والشيخ عبد الله نعمة من جباع إلى آخره ولا أولادهم إلى من يأتي من نسلهم فيما بعد..»

شعره:

له عدة قصائد ومقطعات منها قوله:

له الله كم يمت نجدا وتلعة
خليلي هل قلب يُباع فإنني
وهل وقفة تشفي الغليل ونظرة
وهل قائل للصب بشرى بعودة
وقوله:

دعها تشن إلى العلى غاراتها
أخوان صدق لو نزلت بحبهم
ومن قصيدة نظمها في مهجره يحن فيها إلى وطنه جباع:

رعى الله طودا فد نشأت بظله
فان به داري ومنزل جيـرتي
لقد برج الشوق الملح بناظري
أبى الوجد إلا أن يبيض ناظري
وما أنا أن شط المزار بذاهل
تروم اتصالاً بالحبیب وبيننا
أنسى رياض الحي وهي مريعة
وأنسى ظباء الحي وهي أوانس
عسى نفحة تسري إلى الحي بكرة
فيا برق يمم سفح لبنان قاصداً
ويلغ سلامي في السفيح لمعشر
سقى الله أياماً تقضت بعامل
وقل لهم ذلك الكئيب الذي نأى
وحدث حديثي للديار وأهلها
لعل عيوننا من صخور جوامد
وله أيضاً متذكراً أيام اجتماع التلامذة عليه:

إذا ذكرت نفسي زمانا تصرمت
هتفت بهاتيك الصحاب كأنني
وله أيضاً:

ولما افترقنا والقلوب من الجوى
سمحت بدمع من جفون قريحة

وكم روضت عيني محول المرباع
فقدت فؤادي بين تلك الأزراع
وإن كان حتمي من بروق ثوامع
تبوخ بها نار الجوى من اضالعي

حتى تقوم على ريسا كوفان
فاحت عليك روائح الأخوان

وحياه من صوب الغمام بنافع
وملعب أترابي وروض مراتعي
واذكى لهيبات الفضا في اضالعي
كما أبيض فودي واستصمت مسامعي
عن الود حتى تحتويني مصارعي
مهامه بيد لا ترق لضارع
وشادي العلا يشدو بتلك المجامع
تلوذ بظبي مسفرات البراقع
فيصبح ممطور الثرى بمدامعي
ربوع أحبائي الكرام وسارع
هجرت لهم بعد الفراق مضاجعي
فقد كان مسراها كوثب المسارع
على رغبة عن عهده غير راجع
فإن حديثي من غريب الوقائع
تفور جوابا عن ديار بلاقع

لياليه بالدهنا وشملا تجمعنا
وليد تمنى بالعشية مرضعا

تلوب ونار الشوق ملء الأضالع
ومكنت سني من رؤوس الأصابع

وله أيضاً:

لا تكثرون من الشكاية أن أتى
واصبر كما صبر الكرام فربما
وله:

لئن منعت عني كلاماً أحبه
وإن أسبلت دوني الحجاب فإن لي
وله:

يارب مالي غير بابك ملتجاً
كم شدة شدت علي ومحنة
أوليت عبدك يا آلهي صرفها
هذي العتاة تتابع في بغيها
وله:

لعل الحمى يوماً تعود سعوده
وله متشوقاً إلى العراق:

يا راكباً يطوي الفلاة ميمماً
عج بالفرى مُقبلاً تلك الرى
قبر الأمير وقطب دائرة العلا
عجلان يحدو جسرة قد شفها
خرقاء تدرع الرى وتشقها
ولهان ما ترك الهوى من حاله
هلا حملت مشرداً قذفت به
حران ليس له أنيس صباية
يرنو بعين فؤاده نحو الحمى
وله أيضاً:

خليلي هل تدري الديار وأهلها
وهل علمت أهل السفوح بحالتي
وهل عثرت عند الصبوح بمهجتي
وهل سمعت عمر الزمان بنازح
لك الخير إن جزت السفوح فقف به
وقبل ثرى ذاك السفوح وطالما
يئن كما أن الحمام ويشتكى

أمر الآله واطلمت تلك اللجج
جرت إليك عواقب الصبر الفرج

فباني ورب الراقصات لهالك
عيون فؤاد بالحجاب سواك

أنت الرجاء وأنت نعم المرتجى
طالت وكان نهارها مثل الدجى
منا فساد ظلامها متبلجا
حَتّام تعدو يا آلهي مفرجا

فيخضر واديه ويورق عوده

أرض العراق مواطن الأخوان
ركن الإمام ومنبت الإيمان
خير الأنام وغرة الإنسان
طول السرى وتذكر الأوطان
شق النسيم شقائق النعمان
إلا عقيق مدامع الأجفان
أيدي القضاء بوعرتي جيلان
الا تذكر سابق الأزمان
فالدمع أيسر ما يلاقي العاني

بأن عيوني للعقيق سوافح
وهل سمعت نوحى وذو الوجد نائح
فإن فؤادي طوحته الطوائح
يصابحه مر النوى ويرواح
وقوف كئيب للعذول يكافح
ترشف منه الترب غاد ورائح
شأبيب نار في الحشا لا تبارح

ويبلغ سلاماً لو أبوح ببعضه
وإن ضلت التهج القويم رواج
مشوق ولولا ما جنى البني لم أكن
يزيد إذا هب النسيم تسعرا
وقص غرامي بالعقيق وأهله
وله أيضاً من قصيدة يحن فيها إلى وادي الغري ويمدح الإمام علي عليه السلام:
خليلي عوجاً بالديار وسائلاً
فهل أنعمت عيشاً بعيد فراقنا
وهل عرس الحادي بحزوي ورامه
وهل روض الوادي الأنيق وهل غدت
أحن إذا هب النسيم ولم أكن
حلفت لكم بالله ما أم واحد
باحزن من قلبي غداة ترحلت
لئن بخل الدهر الخؤون بقريكم
وقد أحكم القدر المتاح قضاءه
فإن رجائي للأمر يفكه
أمام له في كل فخر سوابق
إذا افتخر الناس الكرام بمفخر
شواهد فضل للإمام وكم له
فكم آية نصت وكم آية هدت
ولولا أدكاري للغري لما غدت
رعى الله أيام الغري فإنما
وله:

قد كان قلبي والديار أنيسة
فالآن طارقة النوى قد مزقت
أيه منازل جيرتي كم غصة
لم يرو تريك دمعاً لما جرى
الله أكبر كم ثرى رويته
مراثيه:

للسيد جعفر الحلي يرثيه:

خل عينيك تهملان الدموعا
كيف يرجى منك السلو إذا ما

لضاعت على هام السماك روائح
فعرف شذا تلك البطائح فائح
أقيم على هذا الجوى وأسامح
وينشق عرف الشيخ والطيب فائح
وعدد من الأحوال ما هو واضح
أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم
وهل أمطرت تلك الهضاب بناغم
وهل غرد الشادي بتلك المعالم
ثغور الأقاحي ضاحكات المباسم
بناس زماناً بين أهل المكارم
رماها النوى عن وصله بالصوارم
ركابي وزمت للفراق رواسمي
وحالت صروف البين دون المراسم
وسد طريق الوصل عني بصادم
كما صد عمراً عن ذؤابة هاشم
ومن كل عز أخذته بالمقادم
فضخر علي سابق في العوالم
على الفضل آيات تبين لنائم
وكم حكمة قامت لغير الخاصم
سحائب دمعي هاطلات الحناتم
إليها حنيني وارتعاش قوائمي

من خوف طارقة النوى محزوناً
شملي كأن لها عليه ديوناً
جرعت هذا المفرم المفتوناً
حتى أسلت دم الفؤاد عيوناً
بين الطلول وكم بعثت أنينا

فالأحباء أزمعوا توديعاً
شتت الدهر شملك المجموعاً

تركوا فسحة الغوير وأموا
 ما يريدون بالغيوث إذا ما
 عرفوني نزع المنية لما
 وتنفس فاشتكى القلب لما
 لست أصغي إلى حمام أراك
 فنواح الحمام للصب عندي
 لست دون الإسلام وجدا (بعب
 سامه الخفض إذ قضى وبه كا
 صاح ناعيه بالعراق بصوت
 فاه فوه بموت من كان فيه
 شهد الدين أنه كان قدما
 بخفي الأمور كان بصيراً
 ملك أن رقى على منبر الـ
 تبصر الناس عنده تتسنى
 عشقوا منه في بيان المعاني
 كل يوم تراه مستقرعاً با
 فكان اللفظ الذي يتأتى
 يقطع الليل في علائق وصل
 وترى الطير أن تهجد ليلاً
 عثر الدهر فاستقال وأنى
 لو كبا في العثار ليم ولكن
 إن هوى كوكب الكمال فهذا
 ذاك غيظ الحسود من آل فهر
 بين عينيه للبيادة نور
 ورثته أباًؤه الصيد منها
 عال بالطير جده فهو يبقي
 زادني حبه ولوعاً ولولا
 وإذا العام طَبَّقَ المحل فيه
 فكان الربيع كان شتاء
 وجد الناس في رياض حماء
 شكر الله سعيه من مجد

شعب نعمان يطلبون الربيعا
 فجرت مقلتي لهم ينبوعا
 لم تدع زفرتي علي ضلوعا
 ألبسوا العيس ارحلاً ونسوعا
 تابعت فيه لحنها المجوعا
 رقية ليس تنفع الملسوعا
 د الله) إذ بات بعده مفجوعا
 ن بأعلى دعامة مرفوعا
 مدّش كل من دعاه أربعا
 يقصد اللاجئون حصناً منيعاً
 لثناياه حامياً وطلوعا
 ولداعي الإيمان كان سميعاً
 علم وحف الأعلام فيه جموعا
 لفظه العذب أن أراد شروعاً
 منطلقاً رايقاً ولفظاً بديعاً
 بأ من العلم لم يكن مقروعاً
 منه للسمع لم يكن مسموعاً
 فسجود طورا وطورا ركوعا
 حوماً حول وجهه ووقوعا
 لست أهدي لسمعه تقرّيعا
 (عثر الدهر واستقال سريعاً)
 (حسن) الوجه قد تجلى طلوعا
 كفه للعبادة كانت ربيعاً
 كلما لاح خلت برقاً لموعاً
 شرفاً باذخاً ومجدا رفيعاً
 رزقها في الجبال كي لا تجوعا
 ما أرى منه لم يزدني ولوعا
 وتساوت منه الفصول جميعاً
 وكان الشتاء كان ربيعاً
 مرتعاً يانعاً وغيثاً مريعاً
 لم تذق قط مقلته الهجوعا

كم أشارت له يد الفضل حتى
يا ابن أركى الأنام والصبر منكم
إن شخصا لآل هاشم يُنمى

أخذت في كلا يديه جميعا
قبل ذا كان حسنه مشروعا
لحري أن لا يكون جزوعا

وممن رثاه العلامة السيد محسن الأمين العاملي بقوله من قصيدة:

للعلم بعدك رنة وعويل
هدمت بك الأيام طوداً شامخاً
وأضلت الأيام بعدك بدرها الز
تالله ما المتكول أنت وأنما
ما كنت أحسب قبل يومك أنه
زهرت بك الدنيا فلما اشتاقت الأخرى
رفعتك أملاك السماء يؤمها
غيضت بحار العلم بعدك والندی
حملوا سريرك خُشعاً أبصارهم
ما أنت بالمحمول فيه وإنما المجد
من للقضايا المشكلات يحلها
ومن الذي يُرجى لدفع ملمة
أودى أبو حسن فيالك نكبة
غوث البرية في الخطوب وغينها الهامي
عثر الزمان به فمن ذا بعده
وطواه ريب الحادثات فللعلى
أمست به الأيام سوداً بعدما
جلت مآثره فجعل مصابه
ما مات من يبقى له طول المدى
وسقى ضريحاً ضم جسمك والهدى

والدين بعدك عضبه مفلول
يرتد عنه الطرف وهو قليل
أهي وقل حسامها المصقول
فخر الأنام وعزها المتكول
للبدرفي ردم الصفيح أقول
إليك وحن منك رحيل
نحو الجنان مكبراً جبريل
فالجهل فاشر والزمان محيل
ميل الرقاب فخف وهو ثقل
المؤثّل فوقه المحمول
وله خطاب الفصل حين يقول
وبه على نوب الزمان نصول
كادت لها شم الجبال تزول
وظلل للعضاة ظليل
عشرات نائبة الزمان يقيـل
حزن عليه مدى الزمان طويل
كانت لها غرر به وحجول
وكذلكم زرع الجليل جليل
ذكر بالسنة الأتنام جميل
والدين من غر الغمام هطول

وقال من قصيدة أخرى يرثيه (رحمهم الله):

أي خطب يالبرية نابا
يوم راحت تريش أيدي المنايا
ودهى العالمين منه بزره
ألبس الشمس منه ثوب حداد
وأفاض العيون بالدمع فيضاً
ترك العالمين منه حيارى

ومصاب أذكى القلوب التهابا
سهم غدر قلب الكمال أصابا
فادح طبق البلاد مصابا
وكساها من ظلمه جلبابا
وينار الجوى القلوب أذابا
وصموتاً فلا تحير جوابا

أي ناع نعى لنا العلم والدي
أي ناع نعى لنا ملجأ الخلد
ما عهدنا من قبل منعاه بدرأ
ما عهدنا من قبل منعاه ليثاً
ما عهدنا من قبل منعاه سيفاً
علم في العلى بنى بيت مجد
صمته عن تفكر واعتبار
صارم مرهف على نوب الأيد
عجياً للمنون لم تخش منه
حملوا نعشه فخف على النا
إن يكن نابه من الدهر خطب
اشبهت كفه السحاب قدمي
لا عداك السحاب يا قبر عبد الله

بن وأحكام أحمد والكتابا
ق وغوث الورى إذا الخطب نابا
مشرقاً في ثرى البسيطة غابا
في بطون الثرى تبوأ غابا
قد تخذنا له التراب قرابا
مد فوق السما له الأطنايا
وإذا ما يقول قال صوابا
سام فل منه المنون منه الذبابا
واستباحث ذاك الجنب المهابا
س وإن كان قد أمل الهضابا
فلكم ذلل الخطوب الصعابا
بعده لا يزال يحكي السحابا
يهمي على ثراك انسكابا

وقال الشيخ حسين بن الشيخ علي آل مغنية العاملي (١٢٨٠-١٣٥٩ هـ) يرثيه ويعزي عنه
الفقيه الشيخ موسى شرارة وولد المتوفى الشيخ حسن والفاضل الرئيس الشيخ علي الحررحمهم
الله جميعاً:

زال فانهاالت الجبال انهيا لا
ولقد زلزل البسيطة خطب
حيث جاءت به الليالي مصابا
كان بدرأ للمجتلين منيراً
وغياثا للمجتدين مريعاً
وإذا ما احتبى بدست تراهم
قل لمن يبتغي محامد عبد الله
أفهل تستطيع تحصر زخر البحر
حملوه وأثاقل النعش فيه
هل درى حاملوه بالنعش أن قد
أم درى مودعوه في اللحدان قد
أم درى هائل التراب عليه
فلئن نالت المنايا منهاها
ولئن ناله الزمان بسهم
ولئن سود البلاد مصابا

طود حلم على السماء تعالى
طبق الأرض سهلها والجبالا
أورث الناس دهشة وخبالا
وهلالا إذ يفقدون الهلالا
وئمالا إذ يعدمون الثمالا
خشعا منه هيبة وجلالا
حصرا لقد بغيت محالا
أو تستطيع تحصي الرمالا
فاستخفوا به الجبال الثقالا
حملوا الدين والهدى والكمالا
أودعوا حكمة الأله تعالى
أن فوق العلا التراب أهالا
فمساعيه في الورى لن تنالا
فلكم للزمان راش نبالا
فلقدبيض الكتاب فعالا

ولئن ضمه مضيق ضريح
يا عماداً به الشريعة قامت
لا تخف مذ وهت عليها انتفاضاً
جعل الله منك موسى دعاماً
قام عرش الدين الحنيفي فيه
وحماها به فصان حماها
علم الله أن عامل تحتاج
فأجال الرجال جول قـداح
وبوادي الغري لا طور سيناء
لا ولا قال في ظلال شعيب
فإذا ما أتيت وادي طـواه
وإذا ما الرجال لجلجها العي
وعرتهم عمياء وعر إذا ما
كان داود في الحكومة ينفي
فجرى في العلاء يمشي خفيفاً
ورقسي وهو لم يوف ثلاثاً
فتراه ماء يسوغ شراباً
وإذا ما الغمام جف حياة
أيها الراكب المغلس يمم
فهو قصد الأنـام بعد أبيه
حسن الخلق أنت أن جل خطب
لا عرتك الخطوب من بعدها قط
وبربع العلي أنت فعـرج
ماجد مفرد تجمع فيه
طاب فرعاً من طاب أصلاً فامسي

فلكم أوسع البرايا نوالاً
وهت من وهي العماد ومالا
قد أبى الله نقضها والزوالاً
حافظاً سـقفها به أن يطالاً
وهو لولاه كان ثل انثـلالاً
واستقرت به فعزت منالاً
إلى من يقوم الأعمال
فرآه أرضي الرجال خصالاً
تجلى له الاله تعالى
بل بظل العلى استراح وقال
وحماه فأخلع هناك النعال
حجاجاً فلن تحير مقالاً
سلكوها كان السلوك ضلالاً
كان لبس ويوضح الأشكال
ومشوا فيه ظالعين هزالاً
وثلاثين مرتقى لن ينالاً
وترى غيره سراباً وآلاً
أن بالندى يداه انهمالاً
«حسناء» والى في حماه الرجال
وكذا الشبل يخلف الرئبال
كنت للناس ملجأ ومالاً
ولا في حماك شدة عقالاً
فهو المرتجى إذا الخطب هالاً
شاردات العلى فعز مثلاً
طيب المحتدين عما وخالاً

مراجع الترجمة (سحر بابل وسجع البلابل ٣-٣١٢، نقباء البشر / ١٢٠٤-١٢٠٦ رقم ١٧٣١،

أعيان الشيعة ١٠/٦، ٦٢، مذكراتي الشامية).

الشيخ محمد دبوب

توفي: موالى سنة ١٣٠٩ هـ

الشيخ محمد دبوب، عالم الشام في وقته، كان فقيهاً متجرباً، له دراية وإلمام واسع في الفقه والأصول، كما كان شاعراً وأديباً من الطبقة الجيدة، وقد ضاعت آثاره وكتبه، وانقطعت أخباره بعد وفاته، ولم يعد يتذكره من أهل الشام إلا النزر القليل من معمرهم، أما شعره فلم يقع في أيدينا منه غير قصيدتين راسل بهما العلامة السيد محسن الأمين العاملي، وهذه أولاهما:

وطابت وحياها من المزن نافع
ومنزلة بدر السما وهو ساطع
أبتكم ما قد حوته الأضالع
وفيون هم فيها الشمس الطوالع
فكلهم ثدي النجاة راضع
سواهم ولا عن حبهام أنا راجع
ولا لسوى من قاطعوا أنا قاطع
ثناء عليهم خالص أنا سامع
وعن جرم المجد المؤئل مانعوا
لأمر فهل بعد التناي تراجع
حوادث حالت بيننا وموانع
وان ضيع العرف عندي ضائع
مهناً وطرف الدهر عني هاجع
وهيهات عندي أن تضيع الصنائع

ألا حُبَّيت بالخير تلك المرباع
مرباع حازت كل سام نباهة
فلا تعجبوا أن كنت لا أستطيع أن
فلي بين هاتيك الربوع أحبة
كرام كرام الأصل لا بدع أن رقوا
عدولي عداك الخير ما أنا وامق
ولا لسوى من واصلوا أنا واصل
ولا لحديث غير مشتمل على
فيا سادة غرا رغو منبر العُلا
نأت دارنا عن داركم بعد قربها
وما البعد محبوباً إليّ وإنما
فصرت أرى أني لكم غير حافظ
أما ولييلات قصار قضيتها
بأنى لم أجد جميل صنيعكم

فأجابه السيد الأمين (وهو أول ما نظمته من القريض) قال:

وربح الصبا منها شذا المسك ضائع
كما مال من كاس المدامة كسار
وكشف عن وجه السرور البراقع
بها اللفظ والمعنى بديع وبازع

حمام الحمى فوق الغصون سواج
وتهتز في الدوح الغصون تمايلاً
ولا عجب أن أصبح الكون باسماء
فقد أقبلت من فائق النظم غادة

رياض بها غرس البلاغة مثمر
بدت فنسيم الكون منها معطر
فقام لسان الشوق يتلو حروفها
معان بدت تزهو بلفظ كأنه
فقد صاغه فرد الزمن «محمد»
ومن بلغ الغايات كهلاً وقد رقى
فيا من سرى طلق العنان إلى العلا
لئن تنأى عنا بعد قرب فما الولا
فدم سالماً ما فاه بالشعر ناظم

وما هي إلا للقلوب مراتع
ونور بهاها من محياه ساطع
على وأعضائي جميعاً مسامع
طلا الكاس وأعقد من الدر ناصع
ومن لسوى بكر العلى لا يسارع
بهيمته فوق السهى وهو يافع
ولم تشنه عنها الصروف القوارع
بناءً ولا عهد المودة ضائع
وما غردت فوق الغصون السواجع

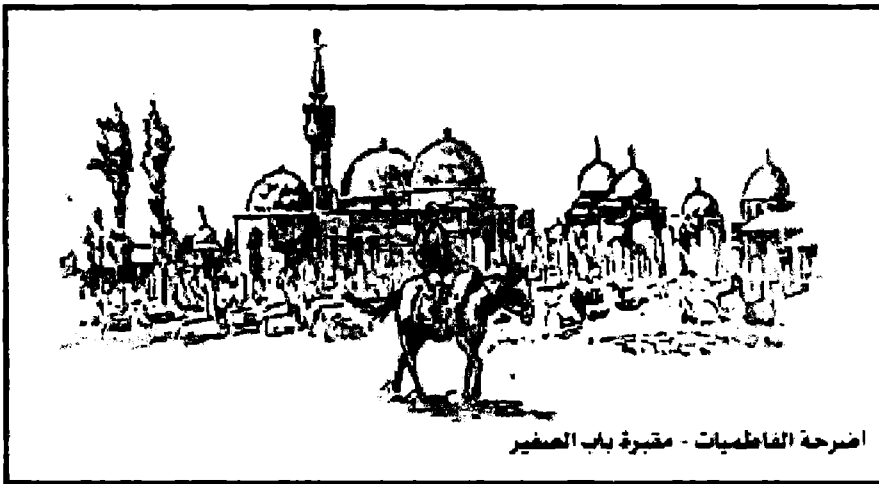
وأما الثانية من قصائد الشيخ محمد دبوب فهي أيضاً من مراسلاته مع العلامة السيد الأمين العاملي وقد كتبها إليه قبل سنة ١٣٠٨ هـ، وهي:

لله غراء الجبين
تختال في حلل الجما
حدثتها فأتت بمثل اللؤلؤ
وتلست علي غرائباً
ياضرة الشمس البهية
أنت الحبيبة لا عدم
ما كان ضرك لومند
أنا مدنف بك مغرم
فإذا صمت ففي الحشا
وإذا نطقت فأنما
ولقد صفوت إلى النفير
ودنا السير فهل أزو
أشهى وأبرد في الحشا
فوحق وجهك أنني
لي نفس حر لا تهش
لكنني أهوى حديد
حتى يخيل للجهو
ولئن تغلق قلبي الـ
فبصحف إبراهيم والألواح

تلوح كالبدر المنير
ل على نمارق من حرير
الرطب النثير
تسمو مقامات الحريري
والهلال المستنير
تلك أن تجودي أو تجوري
ت على ميمك الأسير
دامي الحشاشة ذو زفير
لهيات نيران السعير
هو عن فؤاد مستطير
ر فراعني صوت النفير
د قبلة قبل المسير
من بارد العذب النмир
لمظهر عف الضمير
إلى السفاهة والفجور
ت الغيد ربات الخدور
ل سفاهة الرجل الوقور
ولهان بالظبي الغرير
أقسم والزبور

لا يستفزني الهوى
 حمال أعباء الريا
 قمر التأمل مزنة التأمل
 من لا تغيره عن الأخوان
 أغنته قوة حزمه
 وثنته همته العلية
 حاولت درك صفائه
 أو يستطاع تناول الـ
 لا تطلبين له النظير فليس
 ولقد أمنت من الثواب
 وأويت منه إلى عز
 يا من برقة نظمه الأشعار
 حسبي حديثك شاغلاً
 ما بين أقوام يرف
 ويفوح في جنبات سا
 أني شكرتك فاستزد
 وأقبل هدية قاصر
 وبنات فكر يمت
 وأسلم ودم متسريلاً

لسوى أخي الشرف الخطير
 سة فارج الأمر العسير
 جوار المستجير
 حالات الدهور
 في الأمر عن رأي المشير
 عن رضاه بالحقير
 فرجعت ذا طرف حسير
 جوزاء بالباع القصير
 ذلك باليسير
 إذا وكلت له أموري
 ذرى وامنع من ثبير
 فاق على جرير
 عن دور كاسات الخمر
 عليهم طير الحبور
 حة أنسهم أرح العبير
 إن شئت من شكر الشكور
 وافقت وكن فيها غديري
 مغناك حيالة النحور
 بالعز سريال السورور



أضحة الفاطميات - مقبرة باب الصغير

الشيخ علي مروة

(١٨٥٨ - حدود ١٩٣٨ م)

لبناني الأصل، من بيت (مروة) العائلة العلمية المعروفة، سكن دمشق وكان شاعراً أديباً ظريفاً، ضريراً، يلبس العمة النجفية، متزوج وأعقب صبية توفيت في حياته، وكان فقير الحال يقنع بالميسور، وله شعر كثير لكنه ضاع بعد وفاته، ولادته سنة ١٨٥٨ م وتوفي حوالي سنة ١٩٣٨ م. ولم نعتزله إلا على شيء بسيط من شعره.

من ذلك قوله مستجيراً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

إليك رسول الله حثت ركائبي	لها الشوق حاد والغرام مساعد
وحسن ظنوني في علاك أزمة	وطرفي دليل والنجوم شواهد
ورحلي زميل والظلام مسامري	وأنسي نجوم الليل والركب راقد
وفقري سياط والذنوب سوائق	ونفسي ذلول والعزيمة قائد
لنا الرمل مهد والسراب شرابنا	وذكراك زاد والقلوب مزاد
وقصدي جداوليك التي عم نفعها	أيا خير من ترجى إليه المقاصد
وأنت شفيع المذنبين ففكّني	من الأسر أني نحو بابك قاصد
وأنت ملاذ الخلق في يوم حشرهم	فيسعد من تهوى ويخسر جاحد
عليك صلاة الله ما عسعس الدجى	وما ابتسم الاصباح أو خر ساجد

وكتب إلى الحاج محمد حسني صندوق هذه الأبيات:

وفيت بما وعدت بدون مطل	وخلف لا عدمتك من خليل
شأشكر فعلك المحمود دهري	لما أوليت من صنع جميل
وما عجلته من نجح قصدي	حرى أن تجل من العديل
ولا عجب فإنك من كرام	علّوا في الأنعام بلا مثيل
سأمنحك الثناء بكل أن	لعمري بالغداة وبالأصيل
ودم في نعمة ورغيد عيش	على مر الزمان المستطيل
فأجابه الحاج صندوق بقوله:	

مبارك الاسم واللقب النبيل	شريف الأصل والفرع الأثيل
(علي) بالروءة خير خلق	يجل عن المثل بكل جيل

هم الكرماء في العام المحيل
إليك وأنت للعليا دليلي
بنظم فاق عذب السلسيل
جزاك الله عني بالجزيل

أديب فاضل يُنمى تقوم
شرفت بخدمته زادت بقدري
فجئت مكافئي ما ليس يبلى
علوت بمدحك السامي مقاماً



الحاج يوسف بيضون

(١٢٥٨-١٣٦٥ هـ / ١٨٤٠-١٩٢٢ م)

كان في عصره شخصية من كبار الشخصيات في سورية ولبنان، وهو مشهور بإحسانه وكرمه المنقطع النظير وما تزال فضائله الجمة

يتناقلها الناس الخلف عن السلف، وقد ولد سنة ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٠ م من والد تقي بار فقير الحال هو الحاج محمد بيضون، ولم يكد يبلغ السادسة من عمره حتى أرسله والده إلى أستاذ جامع مأذنة الشحم ليتلقى دروسه الابتدائية ولما كان العلم يومئذ مفقوداً، محصوراً، فإنه لم يستطع أن يتعلق منه بغير القراءة والكتابة البسيطتين، ثم أنه أخذ يساعد والده في عمله ولما كانت نفسه العظيمة تأبى عليه إلا الاستقلال في الأعمال، شأن كل حر، أبى، مجتهد، يرمي إلى النهوض ويتوق إلى العلياء، استقل وانفرد بعد مشاورة والده في الأمر واستحصله رضاه، واستطاع في مدة قليلة أن يحوز على رتبة غالية من الجد والمثابرة وأن يحصل على مركز مرموق بين تجار بلده وكان لا يتوانى من السفر بين الحين والآخر قاصداً بغداد والأستانة، متاجراً مثابراً ما يعرف معنى للعراقيل التي كانت تعترضه، وما أكثرها في تلك الأيام نظراً لفقدان أسباب المواصلات وصعوبة التنقل بين البلاد. فكان من ذلك أنه وثق به من اتصلت بينه وبينهم أسباب المعرفة أو سمعوا به سمعاً فتهافت عليه القوم من سائر الأقطار حتى من أقاصيها كالهند والسند وكلهم يخطبون وده، ويطلبون أن يصل بهم علاقته، ويفتح دونهم باب معاملته، ولما اتسع نطاق عمله، وأخذت عليه وقته كثرة أشغاله وعلى الأخص في تجارة العبي والتبناك والسجاد لم ير بأساً من مشاركة المرحوم الحاج أمين شحادة وكان ذلك عام ١٨٧٥ غير أن هذه المشاركة لم تلبث أن انضط عقدتها لعقد، وتهافت أسبابها لأسباب، فعاد الحاج يوسف إلى العمل آنئذ وحيداً.

وكان كثيراً ما يتردد على بيروت للمتاجرة فيمكث فيها نصف العام، ومثل ذلك في دمشق الشام، إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان، وهو عبارة عن حوادث حسد سببها النفوذ الشخصي الذي كان سائداً في ذلك الأوان. فاضطر غير باغ إلى النزوح عن مسقط رأسه في ليلة حالكة

الأهاب تشبه قلوب كل حاسد ذميم ففارق دمشق إلى بيروت، وفي قلبه حسرتان: حسرة على فراق ريعه، وحسرة من الأشرار المزهوين.

حدث ذلك عام ١٨٩٢ ومنذ هذا الحين أصبحت بيروت موطنه الجديد هو وأهله وجميع عياله. على أنه ترك في دمشق قبل مغادرتها جملة آثار خيرية تحرك ألسن الناس بمديح صاحبها والإعجاب به إلى آخر الدوران. وحسبنا أن نذكر ذلك أن يرجع إليه الفضل الأعظم في تأسيس المدرسة العلوية للذكور إذ تبرع لدن تأسيسها بثلاث قيمتها من ماله الخاص، وفي عام ١٩٠٠ زار دمشق مسقط رأسه، فلم يشأ أن يخلو زيارته من عمل يذكر له ويفيد به أمته. فوقف داراً خاصة لتكون مدرسة للإناث ثم راح ينفق عليها ما يترك حاجة صغيرة أو كبيرة تتعلق بها إلا قضاها (وهي المدرسة اليوسفية الشهيرة اليوم بحي الأمين بدمشق).

وفي سنة ١٩٢٣ عاد إلى دمشق زائراً أيضاً فَعَرَجَ على مدرسته المذكورة فوجدها غاصة بالتلميذات فأبى عليه نفسه الكريمة إلا أن يوسعها ويحسنها وهكذا فعل فاشترى لها دار واسعة بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمئة دينار عثمانى ذهباً من ماله الخاص ووقف تلك الدار وقفاً أبدياً لخدمة العلم والأمة وما تزال المدرسة تقدم خدمة كبيرة لأبناء الوطن وله عدة أعمال نظير خدماته هذا فقد شارك في بناء المستشفى الإسلامي ببيروت، وأنشأ الجمعية الخيرية العاملة، وأسس عدة معامل للحرير في لبنان لتشغيل مئات العاطلين عن العمل.

وكان المرحوم الحاج يوسف بيضون - على ما وصفه الأديب الراحل وجيه بيضون - من حيث الهيئة ربع القامة، معتدل الجسم، متوسط حجم الرأس، مستدير الوجه، متناسب أعضائه، يشع في محياه نور الفضيلة كما يشع في عينيه نور الذكاء، وتلمي جبهته المتكاثفة قوة الإرادة. وكان من حيث الأخلاق متواضع النفس جداً، شديد الحزم والعزم، محباً للخير حباً جماً. حتى فهارس الجمعيات الخيرية كلها لا تخلو من ذكر له.

وكان متديناً ورعاً من جهة، ولا يحب الجمود من جهة أخرى، شديداً على أولاده يتتبع خطواتهم حتى ما كان يسمح لأحد منهم بالخروج من داره بعد دخوله مساءً، وكثيراً ما كان يجمعهم من حوله، ويبدأ بإملاء نصائحه الثمينة عليهم وكلها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وكان مجداً مجتهداً يحب النظام والترتيب في سائر أعماله ما يتهاون بشاردة أو واردة منها. وكان على الرغم من كرمه مقتصداً بمعنى الاقتصاد الحقيقي الذي يفهم أمثاله من كبار التجار وأصحاب الأعمال والأموال.

وما رآه أحد ذمّ أحداً أو يستغيب قريباً أو بعيداً، وكان يتجاوز عن خطيئته كل من أسلف إليه سيئة من السيئات أو حرّكه الحسد لمعارضته ومعاكسته بل كان المثال الحقيقي لمكارم الأخلاق المطلوبة من الإنسان الشريف.

وقد طويت حياته الزاخرة بأعمال البر والإحسان في يوم الخميس ١ حزيران ١٩٢٧ الموافق ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ ودفن بمقبرة الباشور في بيروت رحمه الله وتغمده بوابل غفرانه. وقد خلف ذرية طيبة هم السادة، محمد، وحزمة، ورشيد (الذي أصبح من كبار الشخصيات السياسية اللبنانية)، وسليمان ومحسن، والحاجة رقية.

وقد أرخ وفاته الشاعر نجيب بالوظة بقوله:

حدث فيه توارى يوسف	فبكى العلم على الباني صروحه
عاش في الدنيا عصاً مياً وقد	خلد الرحمن في الجنات روحه
قد دعاه الله لبى طائعا	وهو يتلو آية الحمد صريحه
ليلة الأضحى (بنو بيضون) قد	ودعوه فروى الدمع صحيحه
صحبت أعماله التقوى لذا	أرخوه (نور الله ضريحه)

سنة ١٣٤٥ هـ.

وأرخها أيضاً الشاعر أديب فرحات بقوله من قصيدة:

يا (بنو بيضون) صبراً أنه	زينة المحزون في حين العطل
كلنا في زربكم انفسو اسى	يذرف الدمع كغيث أن هطل
كلنا في الختم تأريخاً لقرى	قد نأى يوسفنا والخطب جل

(٣٠١) (١٠٤) (٥٢) (٢٠٧) (١٤٥) (١٣) سنة ١٣٤٥.

ولنفس الشاعر من قصيدة أخرى في رثائه، نقول فيها:

قد كان للراجلين خير مؤمل	ومحسنة الرواد والوراد
ومتى تحف به الجياع فإنه	غوث الجياع ومنهل للصادي
وإذا الأيامي واليتامي مسها	ضر تراه يخف للأنجداد
وإذا المدارس والملاجئ لم تجد	براً يؤازرها ببيض أيادي
تلقاه خير مؤازر ومعاضد	وتراه أول باذل ومغادي
ذا يوسف الحر الذي خدم الورى	في خير أخلاق وخير مبادي
لم يدخر وسعاً لرفع بلاده	بالأريحية والذكا الوقاد

ومن قصيدة الشاعر عبد الحسين محمود من شقراء - جبل عامل، قال يخاطبه:

كمصر جعلت الشام يا يوسف الثاني	عتيقة فضل من نذاك وإحسان
أقمت بافناء (الخراب) (عمارة)	يطأطئ إجلالاً له رأس (غمدان)
رفعت سواريتها وأحكمت سمكها	على فتيات فاضلات وفتيات
فمنك إذا ضمت نواة زكية	ومنك إذا ما استثمرتها يد الجاني
ومنك إذا لاحت بافق هداية	وسارت بإخلاص وصدق وإيمان
ومنك إذا نالت بسالة (حيدر)	ومنك إذا حازت بلاغة (سحبان)
مواهبها قد رحن منك مواهباً	يقدرها القاصي ويشكرها الداني
ستخدمك الولدان والخور مثلما	سعيت إلى إنقاذ حور وولدان

ورثاه الشاعر الأديب السيد أديب التقي بقوله:

فقدناك بداراً عندما أظلم البدر	وتدبأ لدى الجلى وقد أعوز النذب
فقد ناك عيناً تكلاً المجد والعلی	وكفا توارت خلف نائلها السحب

فقدناك غوثاً للصريخ إذا دعا
فقدناك غضباً مرهف الحد ماضياً
فقدناك للإحسان عز نصيره
فقدناك للأيتام غاب كفيهم
فقدناك للرأي السديد وللحجى
أيوسف قد شُيعت غير مذمم
مضيت وخلصت الثناء على يد
نهضت لنشر العلم في خير معهد
وخير حديث يترك المرء بعده
ستبكك أيتام، أسوت جراحها
ويبكك قوم كنت أمتع معقل
لقد كنت حيناً تملأ العين رهبة
سقى الله قبراً ضم شخصك مزنة
ولا زال منهل العهد يجوده
ومما جاء في قصيدة العلامة السيد محسن الأمين العاملي:

وغيثاً إذا غش مرايعنا الجذب
وسود الليالي إذ مضيت لنا حرب
وللفضل والمعروف واراها الترب
أباً مشفقاً يُجلى بطالعه الكرب
إذا معضلات الدهر حاربها اللب
ومالك بين الناس عاب ولا ذنب
يحدث ركباً عن عوارفها ركب
به لذ للوراد منهله العذب
حديث علماً يبقى وأن بلى الحقب
بعين جرى من فيض محجرها القلب
لهم، إن دهاهم أو نبابهم الخطب
ورحت وملؤا الصدر من خلفها نحب
لها فوقه من عضوه أبداً سكب
ويعبق في أرجائه المندل الرطب
مثال التقى والحزم والجود والوفا
كريم لدى الرحمن قد جل موقفا
فعاد بناها عالي السمك مشرفا
أباً مشفقاً قد كان بل كان أرقفا
لأبنائها بالبذل كنت مثقفا
نؤوماً إذا نام المهبل أو غفا
وقوراً نقي الذيل في الجهر والخفا
دواماً كما تتلو مدى الدهر مصحفا

رقية بيضون

ونجعل ختام كلمتنا هذه بحديث للكاتبة العربية الفاضلة وداد سكاكيني عن كريمة الحاج يوسف بيضون، الحاجة رقية، هذه المحسنة الكبيرة ذات المآثر المذكورة، حيث وصفتها بأنها كريمة متكئة بين الفتيات عندما تفوقت عقلاً وقلباً وفضلاً وأدباً بل هي كزهرة البنفسج وادعة وتواضعاً عذبت بها (الحاجة رقية يوسف بيضون) كريمة المحسن المعروف فقد رأيت من غيرة هذه الحاجة على الأعمال الخيرية وإغاثة الملهوفين والبائسين ما جعلني أكبر هذه الروح الطيبة، ومما يروقني الحديث عن هذه المحسنة إن إحسانها لا يعرف ديناً معيناً ولا مذهباً محدداً فهي تحسن إلى من يستحق من أخوان لها في الإنسانية كما أرجو لابنة أخيها السيدة حبيبة بيضون توفيقاً في أعمالها الإنسانية لوجه الله والوطن^(١).



علي الشخص

١٩٤٤

السيد علي بن السيد أحمد بن علي أحمد بن إبراهيم بن رضي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي المعروف بالشخص وهو الجد الأعلى لأسرة الشخص المعروفة في الحجاز، وفي النجف بالعراق، وهو ابن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن موسى بن السيد الجليل أحمد المدني الحسيني الذي كان بالمدينة ثم رحل إلى الإحساء وما زالت أسرته هناك بمنطقتي التويثير والقارة^(١)، وهو ابن السيد محمد بن موسى بن محمد بن أحمد بين عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن حسين بن إبراهيم بن حسن بن أحمد بن محمد ابن أحمد^(٢) بن السيد إبراهيم المجاب بين السيد محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

ولد السيد علي الشخص في النجف بمحلة العمارة في ٤ رجب ١٣٤٤ هـ، ودرس مقدمات العلوم الشائعة يومئذ في الجامع الهندي على يد بعض الأساتذة، وامتحن الخطابة الحسينية منذ وقت مبكر من حياته، وما زالت مهنته، ويخطب في المناسبات المعهودة في البحرين أو دول الخليج الأخرى، وهو ما يزال يحتفظ بجنسيته بلد آبائه وأجداده (الحجاز) وكذلك أولاده الذين انتقلوا إليها نهائياً من العراق. وهو شقيق الخطيب السيد حسن الشخص، وهما شقيقان من أب حجازي وأم دمشقية (من آل صندوق) ولعمهما العلامة السيد باقر الشخص في توجيههما لحياة العلم والخطابة الحسينية. وللسيد علي الشخص أبحاث لم يخرج منها شيء للطبع، قال لي: أن منها كتاب تحليلي لأحداث السقيفة، وآخر عن الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام.

(١) وينتسب إليه في العراق (البوطيخ)، و(آل اللعبي) في قرية (نشوه) بين البصرة والقرنة وتسمى قديماً (شهبان)، و(آل خليفة) و(آل السويج) في البصرة، و(آل حديد) و(آل الغافلي) في الإحساء.

(٢) ويعرف (بالزاهد) وكان نقيب الطالبين في عصره، وقد مات عن ولد واحد هو محمد المنكور، والسيد محمد هذا تولى نقابة الحائر الحسيني الشريف، ومن الأسر العلوية التي تنتسب للسيد أحمد (آل بن حاجي) وهم أنفسهم آل البراق، وآل قارون بالبحرين، و(آل المبرقع) بالعمارة، و(آل المشعشع) بالحويزة، أما ولده السيد محمد نقيب الحائر ينتسب إليه في النجف آل جابر أو الجوابر، وآل الحمامي، وآل بو جاز.

وهو شقيق الخطيب السيد حسن الشخص المعروف في الخليج والعراق، وهما شقيقان من أب حجازي وأم دمشقية من (آل صندوق) وبينما يتخذ السيد علي دمشق وطناً له بعد هجرته من الكاظمية في العراق، نجد السيد حسن يتردد عليها في أوقات الصيف، وأرى أن السيد المقدس من العلاقة باقر الشخص عهما الفضل الكبير في تعلمهما واتجاههما لحياة العلم والأدب والفضيلة والخطابة الحسينية. وللسيد علي كتب لم يخرج منها من المسودة شيء، حدثني أن منها كتاب في تحليل أحداث السقيفة، وآخر عن سيرة الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام، ويظهر أن مزاولته التجارة لم يدع له وقتاً لتبويض كتبه هذه.

أديب التقي البغدادي

(١٣١٣-١٣٦٤ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٤٥ م)



ولد سنة ١٣١٣ في قرية شبعاء التابعة لقضاء حاصبيا خلال انتقال والده إليها في وظيفته الحكومية بدائرة الأحراج وتوفي بدمشق في مقبرة (الباب الصغير) سنة ١٣٦٥.

أسرته:

أصل أسرته من بغداد وأول من انتقل منها إلى دمشق جده (سلمان) حيث كان تاجراً ينتقل في تجارته حتى وصل مرة إلى دمشق فتزوج فيها وأقام ورزق ولده سعيد والد المترجم لذلك عرفت أسرته بآل التقي البغدادي. وكان والده من الاتقياء الورعين وكان شبه أُمي، وبحكم عمله في دائرة الأحراج الحكومية كان كثير التنقل في البلاد إلى أن أحيل على التقاعد فاستقر في بلده دمشق.

دراسته:

بدأ دراسته الابتدائية في مدرسة الأرثوذكس في عجلون ثم أكملها في دمشق وتابع دراسته الثانوية فنال شهادة البكالوريا. وبعد انقطاع عشر سنين عاد فتابع تحصيله العالي فنال إجازة الحقوق من جامعة دمشق، ثم بعد ما يقرب من عشر سنين أخرى تقدم لشهادة الدكتوراه في الأدب من جامعة القاهرة.

ومما يذكر هنا أنه زار القاهرة قبيل الحرب العالمية الثانية وفي نيته التحضير للدكتوراه فالتقى بالدكتور طه حسين وكان عميداً لكلية الآداب ويعد أن تحدثاً ملياً، سأله المترجم عن شروط القبول لقسم الدكتوراه، ولما علم الدكتور طه بأن المترجم هو طالب الانتساب - وكان قد أدرك من لقائهما نضوجه وعمقه وثقافته وتفتح ذهنه فأعجب به كل الإعجاب - قال الدكتور: هذه الشروط لغيرك، أما لك فإنه لشرف لقسم الدكتوراه أن تنتمي إليه، ولا يطلب منك إلا أن تقدم الأطروحة.

وعاد إلى دمشق فلم تلبث الحرب العالمية الثانية أن أعلنت فشغلته متاعبها وعكف على دراسة الشريف الرضي ليكون موضوع أطروحته، وكان من المعجبين بالشريف، وفيه يقول معللاً اختياره له:

(أنقذتني في مواقف الحصر، وسددتني في حيرة الفطن، وأعطيتني نفسك ونفسك شعراً وشعوراً وحساً وضميراً، فوقفت من الناس والسلطان موقفك، ورمقت الدنيا ومتاعها بمقلتك، وأصغيت إلى غنائها ويكائها بأذنك، وتحسست في بأسائها ونعمائها بإحساسك. ثم إنني جالدت كما جالدت وناضلت كما ناضلت).

وما من قول ينطبق على (أديب التقى) كهذا القول فقد كان فيه من الشرف مشابه أي مشابه. ولكن المقادير أبت عليه أن يصل إلى غايته، فقد كان من قبل يعاني داء النقرس فلم يقعه عن العمل، وبينما هو يعد العدة لإنهاء رسالته والسفر إلى القاهرة في أواخر الحرب إذا بالأوجاع تننابه فيحار لها الأطباء ثم يقررون نقله إلى بيروت لإجراء جراحة له يكشفون بها عن سر آلامه المضنية فإذا بالجراحة تكشف عن أن داءه هو السرطان، وإذا بالداء قد أخذ مأخذه، فيعاد المريض إلى دمشق لينتظر قضاء الله أياماً معدودات، وبينما هو في سكرات الموت تصله الدعوة إلى القاهرة لمناقشة رسالته.

هذه هي أطوار دراسته (الرسمية) وهي الدراسة التي اصطلح عليها في عصره. ولكن كانت له دراسة أخرى هي أبعد أثراً في تكوينه وتوجيهه وتأديبه: هي أنه منذ فتحت عيناه على الحياة كان يصحب والده إلى مجالس الإمام السيد محسن الأمين ويصغي إلى أحاديثه ويستمع إلى ما يلقي من شعر ونثر وما تضمنه تلك المجالس من محاضرات فقهية ومطارحات أدبية ومحادثات تاريخية فينبسط لذلك ويتعلق به - وهو بعد طفل - فلما بدأ دراسته الثانوية درس على المؤلف علوم النحو والمنطق والمعاني والبيان والبدیع ومبادئ أصول الفقه وشيئاً من الفقه والتفسير والشعر، كما يقول هو نفسه في أحد مؤلفاته. ثم يعقب على ذلك بقوله عن المؤلف أنه: (ما زال مثابراً على ملازمته والغرف من مشرعه لليوم). والواقع هو أن الأمر كما قال الأستاذ محمد هندية في رسالته الجامعية (أديب التقى حياته وأدبه): تحولت هذه التلمذة إلى صداقة قوية بين الفتى وشيخه فتأثر على الغرف من معارفه طول حياته.

لما توفي المترجم أقيمت له حفلة تأيينية تضمنت فيما تضمنته كلمة السيد الأمين قال فيها: (كان من صفاته الظاهرة الجد والعمل وعلو الهمة وإباء النفس).

ثم يقول عن نظمه الشعر:

قرأ علي طرفاً من علم البلاغة طلباً لأن يقوى على النظم وكان يعرض علي ما ينظمه في أول الأمر فأرشدته إلى ما ينبغي ثم أكثر ممارسته الشعر حتى صار يعد من شعراء العصر البارزين.

ثم يقول عن تأليفه كتاب الشريف الرضي:

وأخيراً ألف كتاباً في الشريف الرضي أجاد فيه كل الإجادة وعرضه علي في مرضه الذي توفي فيه فناقشته فيما اقتضى الحال مناقشته به فكتب ذلك بحضوري.

ثم يقول واصفاً له:

وكان يسترشدني في كثير مما يكتبه ويعرف لي الجميل ولم يتغير عن ذلك بتغير الأزمان والأحوال فدل ذلك على طيب طينته وصفاء نفسه، ومن أظهر صفاته عقيدته الإسلامية وعدم تركه للواجبات الدينية، يصوم شهر رمضان ويصلي الفرائض الخمس، الأمر الذي صرنا نعهده في هذا الزمان من صفات المدح:

أنا لفي زمن ترك الصبيح به من أكثر الناس أحسان وإفضال
وحج بيت الله الحرام رئيساً لبعثة. ولم تؤثر المعاشرة في عقيدته وأعماله الدينية كما أثرت في الكثيرين من أمثاله.

في الحرب العالمية الأولى

لم يكد يتم تحصيله الثانوي حتى طلب للجندي في الحرب العالمية الأولى فسبق إلى اسطنبول حيث تسلم فيها رتبته العسكرية (ضابط احتياط) ومن هناك أرسلت قطعته إلى القفقاس فلاقى الأحوال صابراً محتسباً، ولما تبدت نوايا الاتحاديين في القضاء على زهرة رجالات العرب رأى أنه يخدم دولة همها القضاء على قومه، وكان قد نال إجازة مرضية وعاد إلى دمشق فتواري فيها بعد انتهاء إجازته حتى انتهاء الحرب.

وأرى أن الأستاذ محمد هندية في رسالته التي تقدم ذكرها لم يوضح حقيقة تفكير المترجم في هذا الموضوع فظل الأمر مبهماً في ذهن القارئ وذلك حين قال متحدثاً عن تخليه عن الجيش التركي: (وتختم في رأس التقى فكرة كان قد غرسها فيه أستاذه السيد محسن الأمين.. فكرة بغض الأتراك فيصمم على الهرب من صف الترك).

ثم يقول الأستاذ هندية متحدثاً عن حياة المترجم السياسية: (أما البذور السياسية الأولى عند التقى فهي من غرس أستاذه وصديقه محسن الأمين وهو الذي غرس فيه كره الأتراك والحدق عليهم، كما غرس إلى جانب ذلك حب العرب والتشبث بهذا الحب) ومن هناك يمكن أن يفهم القارئ أن أستاذه قد غرس في نفسه كره الترك لأنهم ترك، في حين أن مثل أستاذه غرس فيه الوطنية السليمة الصحيحة ومنها كره الظالمين ومكافحتهم سواء أكانوا تركاً أو إنكليزاً أو فرنسياً. والأستاذ هندية يقصد هذا ولا شك ولكن عباراته جاءت بحاجة إلى توضيح.

وقد كان لهذه الرحلة العسكرية أكبر الأثر في أدب المترجم لاسيما في شعره كما سيأتي.

بعد الحرب

يقول الأستاذ هندية متحدثاً عن المترجم فيما بعد الحرب (١٩١٨): (وترافق عودته وثبة العرب النفسية فيندفع في عمله بروح الثائر وعزيمة المناضل ويعد نفسه ليكون شاعر النهضة العربية فيلقى بصوت خطابي جهوري قصائده في المحافل والمجتمعات مشيداً بالثوار العرب من أرض الجزيرة العربية. ولكن هذه الفترة لم تنته على الأمة العربية بخير إذ ران عليها استعمار

جديد، فقام التقى بالتالي يكافح مع المكافحين ويناضل بلسانه وقلمه حتى أكره على الهجرة إلى الأردن) انتهى.

وقد استمرت هجرته إلى الأردن طيلة عهد الثورة السورية الكبرى التي اندلعت عام ١٩٢٥ ولما خمدت الثورة وهدت الأحوال عاد فيمن عاد واستمر في دمشق ولم يتركها إلى الاصطيااف في لبنان وإلا إلى رحلة إلى العراق وأخرى إلى مصر وأخرى إلى الحج وكما كان لتغريه في الحرب أثر كبير في شعره كان لهجرته إلى الأردن نفس الأثر.

علمه في التدريس

كان أول اشتغاله في التدريس بعد نيله شهادة البكلوريا مباشرة وقبل استدعائه للتجنيد إذ تولى التدريس في المدرسة السلطانية الثانوية التي تخرج منها وظل في عمله سنة ثم ذهب مجنداً. وبعد الحرب عاد للتدريس فتولى إدارة مدرسة (انموذج البحصه) واستمر فيها بعد معركة ميسلون. وكانت السلطات الحاكمة قد أرغمت المدارس على تعليق صورة الجنرال غورو الفرنسي. وكان من عادة المترجم أن يخطب في طلابه، وفي إحدى خطبه حرك شعورهم بخطبته الحماسية فحطموا صورة الجنرال وخرجوا في مظاهرة عنيفة مما أدى إلى فصله من عمله وقد فات الأستاذ هندية في رسالته أن يشير إلى مرحلة من مراحل حياة المترجم أذانه بعد فصله من عمله الحكومي بقي بدون عمل فاحتضنه أستاذه (السيد الأمين) وعينه مديراً لمدرسته في دمشق (المدرسة العلوية). فكان له في إدارة هذه المدرسة دور من أعظم أدواره في تخريج طلابها وتوجيههم. فلم يكن أسمى من المترجم في توجيه التلاميذ أفضل الوجاهات وأنبأها وهو يتولى بنفسه تدريسهم دروس التاريخ والإنشاء والمحفوظات وله في ذلك أساليب تجل عن الوصف.

ولما اضطرت الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ ترك دمشق إلى الأردن حيث تولى فيها التدريس. ثم عاد بعد الثورة - كما مر - وظل يتولى التدريس في معاهد دمشق لاسيما في دار المعلمات. ثم انتخب عضواً بالمجمع العلمي ومحرراً لمجلته وكان يحاضر في دار المعلمين العليا في الجامعة السورية. وظل كذلك حتى وفاته.

تدينه وأخلاقه

كان كما وصفه أستاذه - فيما تقدم - مسلماً مؤمناً لا يهمل واجباً دينياً ولا يرتكب محرماً. ولكن تدينه كان تدين المثقف الكيس الذي يفهم الدين على حقيقته تسامحاً وتعاطفاً لا تعصباً ذمياً وجموداً وكزازة.

وقد أخطأ الأستاذ هندية في إدراك حقيقة ما أراه في البيتين الذين استشهد الأستاذ هندية بهما ورغم أن التناحرات الدينية التي يؤجج نارها الاستعمار قد أدت به إلى أن يهجو المذهب السنّي وأهله:

يا قاطع الله من أبناء أكلة الأكلاب السنة سبوا بهن علي
تالله ما شتموا غير النبي وما أذكوا القلوب لغير الله بالدغل

فالأسنة التي سبت علي بن أبي طالب ليست السنة المذهب السني وأهله، والمذهب السني ينكر على من يسبون علياً مثل ما ينكره التقي. والذي سبوا علياً وقصدهم التقي معروفون وقد عينهم هو حين قال: (أبناء أكلة الأكلاب)، ولا أدري كيف أنزل قلم الأستاذ هندية هذا الانزلاق. وأديب التقي أكرم وأنبل من أن يهجو ديناً أو مذهباً وأن يهجو أهل ذاك الدين أو المذهب.

وكذلك قوله: (وتفتر هذه النعرة الدينية عنده نسبياً بعد عودته من الأردن). فأديب التقي لم يكن ممن تغيرهم الأحداث والأزمان، يقول: تلميذه السيد حسن الأمين «فحن الذين تتلمذنا عليه وخالطنا طيلة حياته عرفناه مسلماً غيوراً على الإسلام وعقائده متسامحاً سهلاً لا يكره أحداً لدين ومذهب وظل كذلك منذ عرفناه حتى افتقدناه لم يتغير ولم يتبدل. أما عن أخلاقه فكما قال الأستاذ هندية: (كان يجنح في طبعه إلى الجد جلوداً على العمل، صبوراً على المكار، يؤثر الفكاهة الأدبية الرفيعة ذات المغزى النبيل، محافظاً على ما تحدر من الأجداد)».

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنه كان صارماً في مثاليته الأخلاقية جهوراً بالحق صادقاً كل الصدق لا يداجي ولا يحابي ولا ينحرف قيد شعره عن الطريق القويم والصراط المستقيم. كان تلميذاً من تلاميذ مدرسة علي بن أبي طالب وخريجاً من أنجب خريجيها، ومن هنا كان أكباره لعلي وحببه له ذاك الحب.

مؤلفاته المطبوعة

- (١) التاريخ العام (٢) مناهج التربية والتعليم (٣) الطرف، شارك في تأليفه مع آخرين (٤) الشريف الرضي (٥) سير التاريخ الإسلامي (٦) سير العظماء (٧) نهضة اليابان السياسية (٨) مصطفى كمال في الأناضول (٩) غرائب العادات (١٠) المسيح الهندي.

أما مؤلفاته غير المطبوعة فهي:

- (١١) تاريخ العصر الحاضر (١٢) تاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين (١٣) بسمارك والاتحاد الألماني (١٤) الجغرافية الاقتصادية (١٥) تاريخ الختان ومحسناته (١٦) سير العظماء - الجزء الثاني (١٧) شعر الخيام وفلسفته (١٨) تعريب رواية الوجيه المتحضر لموليير (١٩) الرحلة العسكرية إلى فروق والحدود القفقاسية (٢) المسائل الحسابية النظرية (٢١) المعادلات الجبرية (٢٢) المسائل الرياضية (٢٣) مائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك (٢٤) جواهر المعادن أو كشكول العصر العشرين (٢٥) محكم الصياغة في الفصاحة والبلاغة.

مناحي شعره

قال الأستاذ محمد هندية في رسالته:

يمثل (التقي) في شعره أصدق تمثيل الشعراء الذين عاشوا في فترة الانتقال، بين عصور الانحطاط ومشارف النهضة الحديثة، فلقد تناول الفنون الشعرية المعروفة في عصر ذلك الانحطاط من غزل يغلب عليه الجانب العقلاني، إلى صنع شعره في تواريخ الوفاة، وغير ذلك من تشطير وتخمين ورسائل اخوانية، كما تناول بشعره أيضاً حركة القومية العربية، فمدح أبطالها وأشاد بالعرب ويعنصرهم النبيل، كما رثى الفئة المجاهدة التي استشهدت في ميادين الشرف، وعرض - على شكل هجاء اجتماعي - بأمته عندما قصرت عن إدراك مرادها لظروف قاهر، كما رسل شعراً رقيقاً في الحكم وشكوى الزمان. وأرسل أشعاراً في الحنين إلى وطنه، وقال في وصف طبيعية بلاده الساحرة، كما أنه افتخر بفضائل نفسه.

وهكذا يكون (التقي) قد أسهم في أكثر فنون الشعر العربي^(١).

وممن ترجم له صديقه الأديب الدكتور أسعد الحكيم ومما قاله:

ولد التقي وترعرع في آخر القرن التاسع عشر وهل العصر العشرين تحت سماء سورية الباسمة الباكية، في ذلك الجو المتحول الممزوج بالظلمة والنور، المكهرب بأنوار الانقلابات السياسية والاجتماعية وعواصف الحرب العالمية وعقابيلها، ما بين هجوع الماضي وبقعة الحاضر، على رابية صغيرة من ربي دمشق صالحة التربة يسقيها سلسيل عذب من الإيمان والتقوى، تحف بها غوطة الشام ذات الأنهار الجارية والأشجار المثمرة والرياحين العطرة والطيور المفردة بأجمل الألحان، ويقبل أقدامها وداي بردى بعيونه المتدفقة وغياضه المكتظة بشجر الحور والصفصاف، ووروده الزاهية بمختلف الألوان والروائح، ويظللها عن بعد جبال لبنان حيث النسيم العليل والماء العذب والغيد الحسان. في هذه البيئة ذات الجمال الطبيعي الرائع والأفق السياسي والاجتماعي المتلبد بالغيوم نبت التقي وشب فنشاً ولكل من هذه العوامل المؤثرة في نفسه طابع تقرأه في شعره وتخيره في عشرته. فهو معتدل المزاج، قلق النفس، دمث الخلق، صلب المبدأ، ينتصر لتقديم ولا يبغي على الحديث، يهوي الطبيعة ويحب الجمال ويؤثر البساطة ويكره التكلف والتصنع، يفضب لقومه، ويحن لموطنه، ويعترف بالفضل لذويه وينقم على المجتمع لما فيه من مساوئ ومظالم تجعل حياة الحر نكدة وسعادة مثوبة بالشقاء والبؤس.

تلك نفسية التقي كما تتجلى في مرآة شعره.

أما شعره فهو صدى تلك البيئة وفيض هذه النفسية، ليس للتعهد والتكلف فيه أثر، جزل اللفظ، رقيق المعنى، محكم السبك، مختلف المباني والصور، خال من التطويل، يتأثر بروح العصر، وينهج منهج السلف في أسلوبه من حيث وجوه التشبيه، والتقيد بالبحر والقافية، وهو يمتاز بحس الوصف والرصف والتمثيل والخيال المنعكس عن الطبيعة الغناء والجمال الساحر.

أما صاحبه الآخر وصديق صباه الأديب الأستاذ سعيد البحرة فله كلمة فيه قيمة آثرنا نشر

(١) بهذا تنتهي الترجمة التي ذكرها السيد حسن الأمين.

جلها وهي توقفنا على صورة واقعية من تاريخ حياة شاعرنا التقى ونشأته وأخلاقه وشعره رحمه الله، قال الأستاذ البحرة: حديث كقطع الروض، طاب نشره، وذكا عرفه، يزينه نبرة أخاذة شائقة قد جمعت إلى رخامة الصوت، عنوية اللفظ وحلاوة الإيراد والنطق، يقوم على ذلك ويغذيه روح تفيض حياة وقوة، وتتوقد حماسة ونشاطاً.

ذلك إلى إشارة رشيقة مرسلة حيناً، مترفقة رزينة حيناً آخر، مردها فيما ترمز له وفي دقة انسجامها من حيث ما تتكشف عنه من مختلف مظاهر القوة صعوداً وهبوطاً ثم اتساقها، ومراد القول بشتى وجوهه ومتباين أهدافه ومناحيه، شعور دقيق بالحياة إن دلت على شيء، فأكثر ما يكون، على صلة موثقة بني الحياة بعميق أغوارها ومظلم رجالها وبين أغراض هذه الحياة ومتعدد. ومالها من مطالب، ثم انتظام ذلك كله في موازنة تامة وتساق سليم.

نكتة حاذقة غير مترخصة ولا مبتذلة تقبس براعتها من المعبته الصادقة تتدفق صفاءً وإشراقاً لا تضل الغرض ولا تخطئ مواقع الإصابة بالغاً ما بلغت، من دقة المغزى ولطف الإشارة، إلى فطنه واسعة لا تنتهى دونها آفاق النظر، بعيدة أماد الرؤية، قوامها جملة متلاحمة من عناصر الإجادة، يشيعها حيثما بلغت من مطارح التفكير ومجالي الشعور: ذوق سليم، عاطفة بريئة، تفكير ناضج وإحساس بعيد الغور نبهات الحياة وشوائب أعراضها، ثم تقدير حصيف لما يحف بها من روعة وبهرج وما تذخر به من دواعي الفتنة وعوامل الإغراء. ذلك كله إلى عصامية وقور مترفعة قد جمعت إلى حب المحافظة وما يتلو ذلك ويتضرع عنه من شدة الحرص على أمجاد الأدباء وزهو بمناقب السلف والتدله بحبه ومراتع الأجداد، أدباً غضاً وإطلاعاً واسعاً، وعلماً ناضجاً، وثقافة شاملة.

تلاست وأديباً بعضنا الآخر منذ ميّطت عنا التمايم، وإن كنت أسبق به منه إلى هذا الوجود بعض الشيء، تلابساً تدريجياً ابتداءً عهداً بما يمهد له قرب الجوار ووحدة المدرسة وتواتر التلاقي من جراء هذا القرب وهذه الوحدة من تآلف الأنظار، ثم مازال الدهر يقرب بيني وبينه حتى تلاقينا وحتى جمعني وإياه وألف بين قلوبنا عوامل عدة: مثل وحدة التربية، وحدة الرأي، وحدة المسلك. ثم اشتري بعيد المدى بالإحساس والشعور، فإذا أنا رجعت بالذاكرة إلى تلك العهود الخوالي إذا كنا كلانا في غلواء الصبا نرفل في حلل الفتوة الغضة والشباب الناضر جاهداً في الوصول إلى ما يزال ميسوراً بي أن أتناوله من ذكريات الصبي العابس وأشتات نفاثته متناثرة على أضاف الوعي المبهم وجذباته الغامضة، نافضاً عنها ما تراكم عليها من غبار الأيام وحلّل الليالي الذاهبة، إذا لا جلت من أديب بقوة التحديق إحدى تلك الصور السماح مما كان يطالعني به إذ ذاك وأنا مله يافع شارخ، ولألفتني مرة أخرى حيال فتوة جبارة قد حبتها الخلقة، من سجايا الرجولة الكاملة وحصافة التفكير واستقلال الرأي والمبدأ ومن الغيرة الدينية والزياد عن تراث الأباء مع وسامة في المحيا وبراعة في الأدب وشغف في العلم، ما يصعد بك فوق كل إعجاب وفوق كل تقدير.

نشأ أستاذنا وصديقنا أديب في أحد أحياء دمشق العريقة بدمرويتها، تلك الأحياء التي مازالت إلى يومنا هذا تحفظ بين جوانحها ذلك السر الذي كان ينبثق ذاك الشمم وتلك العبقرية التي أطلت بهما دمشق في مستهل نشأة الإسلام وتآلق الجذوة العروية على العالم القديم هاتفة بسكانها في الأوقات الخمس أن هبوا إلى استئناف حملة هامسة في أذان نابغة، وهم في مراتعهم لا يعون غير اللهو واللعب، أسرار العظمة الخالدة والعزة الدائمة، تلك الأحياء التي أول ما يبدأ فيها الأدب وحيأ يتلقاه الأبناء من خلال قصائد عنتره يستمعون إليها في كل مساء ممتزجة بأي من الذكر الحكيم تنهو بأسماعهم وألبابهم لدن كل صباح.

يسهل عليك بعد إذ علمت ذلك أن تجد تعليلاً كافياً لما يلزم مثل هذه النشأة وببسط سلطانه عليها من نزعة تشاؤمية تتناول كافة مواهب النفس وتثير في سجايها فطرية في طريق التشكيك والانقباض من حيال ما يني يتجدد كل يوم من متناقضات الحياة وتسلسل حوادثها، بعيدة عن قواعد المنطق السليم، صادفة عن مبادئ العدل المطلق، وأحر بمثل هذه النشأة أن تنفجر كل هذا الانفجار منذ أول خطوة تلقي بها نحو الحياة وتلتقي والرجولة مخنثة والكمال زائف على صعيد واحد.

وعندي ليس أدل على كمال المرء وكمال رجولته مثل أعراضه عن مثل هذه الهنات والشوائب ثم منازلتها وجهاً لوجه والعمل على استئصال شأفتها من المجتمع الإنساني. وخليق بالشاعر أن يكون أسدى الناس إحساساً بمثل هذه الأرزاء والمصائب تنعكس في وجدانه بالتاريخ والآما يرسلها على أوتار قيثارته أحياناً باكية تملأ الكون نقمة وزفيراً.

ذلك لعمرى مجال الشعر والأدب، وتلك رسالة الأديب والشاعر. وإنما بهذه المثابة كان الشعر شعراً وكان الشاعر شاعراً، فليثبت الشاعر وليمعن في وثوبه حتى يتجاوز هذه الأطلال العافية وليسام بنفسه صعداً سابحاً في مهامه هذا الفضاء الفسيح، وليطلق لشعوره العنان يجوز خلال هذه الخرائب فإذا ما انحسرت له عن مكامن الداء ومواطن العلة انقلب إلى وجدانه المرفه يستمد منه الوحي والإلهام خير سلها غار الشعراء تهتك ستر عن هذه الظلمات المتجمدة والغيوم المتبلدة وإنما بهذا القبس الضئيل المتألق بين جوانح الشاعر والأديب فحسب، تستقبل البشرية الغد وهو وحده فحسب معقد الرجاء ومناط الأمل.

وفي ذمة الشاعر والأديب وهما يذويان في آلام الإنسان ويزويان في قيادته إلى الغد، كل ما نلقاه من عنت وما يغشنا من ضنى وإرهاق.

لا جناح على شاعرنا وقد صار به الدهر إلى ريشة يموربها الموج إن يخونه الجلد وتهدى منه العزيمة وينطلق به اليأس إلى كنف الطبيعية ابتغاء أن يجد في أحضانها الحارة ما يرفه عن أعصابه المثقلة وإحساسه المرفه بعد تلك الرحلة المضنية، نعم لا خير على شاعرنا وقد مني بكل هذا الانكسار أن يؤول به ذلك إلى التمرد وإلى الخروج على الحياة فيمضي في نجدان ضالته بين

السوسن والنسرين والنجس والفل في سكون الليل الداجي، في ماء الغدير، في القمر الأزهر، في إدغال الروض مستمعاً إلى نغمات الجؤذر، وهديل الورق وضجيج النهر وراء الخمر العذارى وفي قامة البان في وسط الحرير المفرج وفي جيد الريم وفي سهام المقلتين، هناك في (بكاسين) وها هنا في (غوطة دمشق) ، (في بلودان). بيد أننا ويا للأسف لا نزال نرى شاعرنا ههنا مصعد الزفرات، مستدام الكآبة ما أن يستمره فتنة تتبدى له من مفاتن الطبيعة وروائعها الكثر حتى ينقلب ساخطاً متبرماً، رافعاً لواء التمرد والعصيان، نافضاً عن نفسه ما كان يغمرها من سحر ونشوة نضياً فيهما خلال دقائق معدودات ظلال السعادة والهناء. لم يكن شاعرنا في وقت من الأوقات من أولئك الذين تفتت المعركة في سواعدهم لأول حملة يحملونها، فإن لديه من قوة التشمير ما يساعده على الاستمرار في النضال وكثيراً ما شهدناه في بهرة الوغى من أشد المكافحين صبراً وأكثرهم بلاءً، وغير كبير عليه أن يكون كذلك وهو أولئك الأفاضل الذين استضاؤوا بمشكاة العزم والفكر الثاقب في دياجير هذه الحياة، ولكن ما عساه يصنع بما ينوء به ظهره من أثقال الحياة، وهي تبا لها من أثقال، نعم لم يكن لشاعرنا بدءاً وهو من أشد الناس إخلاصاً للواجب، من أن يساير الحياة ويتمشى معها ولكن مشية الهائز الساخِر، وبين جوانحه فرحة لا تندمل، والقريض وحده هو الموئل الذي يلجأ إليه في بث نجواه وتفريج كربيته، لذلك لا تكاد تجد له قصيدة لا تلمس فيها أثر الألم والأسى والحسرة، حتى لتكاد تقول ما قاله الشاعر التركي (ضيا باشا) في قصيدته الانتقادية في صدد الكلام عن أكبر شعراء الترك (نفعي) إذ يقول: ((إن شعره جميعه ليفوح برائحة كبده المحروقة)).

وممن ترجم له وأفاض في ذكر صفاته ومزايه الأستاذ وجيه بيضون ومما نقل عنه في مذكراته ما يلي: (إذا كان للمرء من اسمه يصب، أو كأنما توافقا والقدر على ما سيكون في مستقبله فاستجابا له في تسميته بما هو أهل في فضله، أو كأنني بالمترجم نفسه إلى ألا أن يكون رقيباً على نفسه في ألا يراقبه الناس إلا اسماً على مسماه ينزل أحدهما من الآخر نزول الضرند في حمالته، والسبيك في بوتقته، فكان تقياً أي تقي، وأديباً أي أديب، جمع بينهما في مثل الغادة بلغت غايتها في الحسن ثم زادت فاكتسب بالزينة تضاعف جمالها ليكون آية الآيات:

أديب أديب فاسمه لا كمن غدا	يسمى أديباً وهو غير أديب
تفرست فيه فهو لا شك أخذاً	بأوفر حظ في العلى ونصيب

أما التقوى فكانت تقوى الروح والخلق معاً كأن فيها قبساً من روح النبوة وخلقها، وأما الأدب فقد ولد في دمه ولحمه وعصبه ثم انبثق نوراً من عبقرية على لسانه وكلمة، فكان له ولادة طبيعية لا شك له بها، ثم ولادة لها كل الشأن في حياته والحياة العامة.

عرف بالتدين كما عرف بالشمال الرضية الأبية مثلاً مما ينبغي للمرء في مثل هذا العصر، أخذاً بروح التقوى: ما يجانب الحق في القول، والطهارة في الخلق، والسمو في العقيدة، ثم الميل

عن التزامن يبلغ مبلغ العصبية الذميمة. ومن أجل ذلك رضي عنه المتقدمون ممن درجوا على السنن القديم في التربية والعقلية، وفاز بإعجاب المجتهدين شباباً وناشئين ممن ينزعون إلى التطور ومجاراة ركب الحضارة والزمرة، تجمع من هنا وهناك وما استوى به صورة محببة للمسلم المؤمن يحافظ ويجدد في آن واحد.

عاش أبياً أنوفاً، يابى أن يتهضم أو يستذل، أو يعمل إلا بوحى من عزته وكرامته ورضى من ربه في دينه وعقيدته، لا يستكين لما اعتده له الدهر من قهر وعنده عدته من الصبر، ومن زيف وله من ضميره الحي النور الذي يهديه سواء السبيل. وقد أحل الإباء من نفسه أرفع المنازل، ليكون أبعد من أن تتصل به السفاسف والصفائر، وأسمى من أن يؤذن فيه للحق أو يؤذي، أو يهاود في توفية واجبه، ومن ثم كان كأنما فيه مثل روح النار في الانفعال إذا ما مسه أقل الضيم، وللموت عنده آنذاك أهون من الهوان.

(وكان عصامي النشأة، حصل ما حصل بجده وذكائه فهو عصارة أيامه ولياليه عرف كيف يجتنيها خير اجتناء فيما يرتجع عليه خير غذاء، وكان كلما عصفت به خيفاً وتحيفاً فزادها من عصف همته نشاطاً).

(والواقع أن التقى في تفكيره وبيانه قد احتذى العرب في أساليبهم وارتاض بكلامهم حتى لو قرأته ولم تعرفه لما شككت في أنه أحد الأدباء القدماء في بيانه الرصين. وفيه الكثير مما يمت إلى دنيا أيام زهوة أن في الوصف والتشبيه، أوحشد المترادف والمتوارد، أو ضرب الأمثال، بيد أنه ممن يغلب عليه القصر في رحاب البحث، فما يمتد إلا إلى الأشواط القريبة حتى كأنه يلوح الفكرة لمحا من حيث جثالة ولا جزالة، اللهم إلا في بعض خطراته التي تحكي القفزات البعيدة بحكم الزكاة والتبصر، ويقع ذلك حين يجول في التاريخ، وهو فيه لا يكاد يلحق في مغمار أو يشق له غبار، بل لما لنا نزع بأننا تعشق التاريخ حتى استعبده، وهو الذي ما أخذ بأطراف موضوع إلا امتهد له بطرف من حوادثه الخاليات، أو خلله ببعض شواهد، أو استاق منه المشابه والأمثلة؟ أما أن النزعة التاريخية هي المسيطرة على مجمل كتاباته وآرائه، وهي اللون الطاغى الباهر، والريح الذي يسطع منها وينتشر، ولا يدع فإن طول تمرسه ودريته في هذا العلم جعله كالطبيب الذي اختص بناحية من الطب، فلا يعرض له معرض الا نظر إليه من تلك الناحية. أضف إلى ذلك أن دراسته على الطريقة القديمة السائدة لبديئة عصرنا الحاضر قد كان لها ولا شك أثرها في أسلوب تفكيره وكتابته معاً. فإن هو نجا من بعض قيودها وبدأ مجدداً أو شبه مجدد، فلا تصاله ببعض المحاسن في الطريقة الحديثة، ولقد أفاد في هذا السبيل إطلاعه على الأدب التركي، ثم إلمامه بشيء من الفرنسية).

وعند وفاته كان وجيه ببيضون أحد الأدباء الذين رثوه بقوله:

يا طالما استهدت به الآراء

فقدت مربي نشئها الضياع

فقدت دمشق اليوم بداراً نيراً

فقدت أديب بيانها وتقياها

فقدت أديباً كان معقد عزها	يوم الفخار إذا انبرى الأدباء
خفت الهزار وكان يعذب شدوه	وخبا الذكاء ونوره الوضاء
لهضي عليه وقد رماه من الردى	سهم تراقب دونه الأحشاء
لهضي عليه والمنايا حوم	جارت عليه يمينها الرعاء
سلبته أحوج ما نكون لمثله	بدرأ تتيه بمثله العلياء
فأصابنا ما قد أطلح بصبرنا	وأصابنا الأذهال والإعياء
وتساءلت منا النفوس عن الحياة:	أونحن فيها ذرة وهباء؟
وعن الخلود وسره ما بيننا:	أحقيقة، أم خدعة وعفاء؟
إن الوجود بقاؤه بغنائسه	لولا الفناء لما استندم بقاء

وجاء في مجلة العرفان في رثائه ما يلي:

لله أي داهية دهماء عرت، وأي مصيبة دهماء نزلت وأي كارثة أسرعت فلم ترق ولم ترحم أجل تلك فاجعتنا الكبرى بأديبنا التقى الأملعي الذي عاجلته المنون وهو في الخمسين من سنيه بعد ما جاهد وجالد جهاد الأبطال فقد كان في أوائل الحرب الكبرى في المدرسة السلطانية في دمشق ولم يتخرج منها بنجاح فائق إلا وأخذ ضابطاً (كوجك ضابط) للقوقاس فحارب هناك ولما عاد لدمشق اشتغل في التعليم وكان يؤلف الكتب المفيدة المدرسية من حين لآخر ويكتب وينظم حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠ هـ ومله في الوطنيات كما أن له مجموعة أناشيد عربية حماسية لحنها بعض الأساتذة وتغنّى بها التلامذة حتى بلغت أصواتهم عنان السماء وعين مديراً لمدرسة البحصة في دمشق فكان يلقي الخطب الحماسية على تلامذته ويلهب نفوسهم بالحماسة العربية فخرجوا يوماً بعد وقعة ميسلون منشدين متأثرين بخطابه وجاء الفرنسيون فأغلقوا المدرسة وأوعزوا لمدير المعارف آنئذ أن يعزل المدير ويبعد الأساتذة وهكذا كان فعين مديراً للمدرسة العلوية وبعدها خرج منها ودرس الحقوق وعين أستاذ العربية والتاريخ في تجهيز الإناث والذكور في دمشق وكان عازماً على ارتياد مصر لأخذ الدكتوراه في الأدب وكان أخذ من دمشق الليسانسيه في الحقوق وفي الأدب وقواعد لدكتوراه الأدب في مصر كتاباً قيماً عن الشريف الرضي اشتغل في تأليفه منذ ثلاث سنين والكتاب من أحسن ما ألف عن الشريف فلا بد أن يطبع وينشر ليكون أثراً خالداً لهذا الفقيد العزيز وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي وساهم في الكتابة بمجلة المجمع.

ولم يكن أظلى منه حديثاً ولا أحسن عشرة ولا أطف نكتة ولا أوسع علماً وأدباً. عاش رثاء كثيراً ورافقناه في عدة رحلات وآخرها رحلتنا لمصر سنة ١٩٣٩ في المؤتمر الطبي فكان نعم الرفيق ونعم الصديق الصدوق. وتوفى للحج العام الماضي ولزيارة قبر الرسول من طرف الحكومة السورية كما توفى قبلاً لزيارة أئمة العراق.

وانقطعت أخباره عنا مدة طويلة على غير عادته فإذا به يفاجئنا بكتابة الذي نشر في العرفان فحسبنا أنه عاوده مرض النقرس الذي ينتابه من حين إلى آخر ويأشد ما صعقنا لما قيل لنا أنه أتى به لمستشفى الكلية في بيروت فما لبثنا أن هبطنا بيروت وزرناه فساءنا حاله ويأدرنا للنطسي الجراح الكبير الدكتور سامي حداد فإذا به يقول لنا إن الأستاذ مصاب بالسرطان فلا يلبث إلا أياماً معدودة. ولأزمناه في بيروت أربعة أيام كان مع آلامه ومرضه يذكرنا بالذكريات الجميلة ويرسل النكتة إثر النكتة ويعلها أخذ لدمشق وما لبث أياماً معدودة حتى فوجئنا بنعيه فحضرنا جنازته الحافلة بكبار القوم وعدنا ونحن نذرف الدمعة إثر الدمعة، ونلفظ الحسرة بعد الحسرة على رجل قضى والرجال قليل أحدث فراغاً لم يسده غيره ولم تخسره بلده وأهله بل خسرت البلاد العربية قاطبة.

أريد بأن تدنو فتبصر لوعتي

عليك وأن تصغي فتسمع إنشادي

نماذج من شعره

بين أيدينا الجزء الأول من ديوان أديبنا التقي وقد ضمنه سبعة أقسام هي على التوالي:

- ١ - نبضات قلب.
- ٢ - غوارب الموج.
- ٣ - جروح وآلام.
- ٤ - ألواح وصور.
- ٥ - ظلال وأفياء.
- ٦ - أماليح.
- ٧ - أغاريد.

وكي يقف القارئ الكريم - على نفس الشاعر وروحه الشعرية اخترنا له عدة نماذج شعرية من تلك الأقسام السبعة، فمما نظمته تحت عنوان (من خواطر الحرب) قالها يوم غادر دمشق إلى القسطنطينية للانضمام إلى الجيش في الحرب العالمية الكبرى:

له بيننا أتى نَحْلٌ سَطوع	شذاك أم المسك الفتيت يضوع
إليك ولم يسكن لهن ولوع	رحلنا ولكن في القلوب تلفت
فبات ولم تعطف عليه ضلوع	فيا لحشى أورى الحنين ضلوعه
أذاع به من غوطتيك مديع	إذا ما كتمنا سر حبك خلفها
لديكن من عين الشأم قطيع	فيا أثلاث النيرين يشوقني
وللبدر من آفا ككن طلوع	فكم للظباء العين فيكن مسرحاً
يرنق جفنيها كرى وهجوع	وكم هجعت لي فيك عين ولم يكن
لتخبو مصابيح بها وشموع	خبا النور من تلك القصور ولم تكن
فاوحشها منهم بكى وخشوع	بكت صلوات في المحاريب خشعاً
وهاد النوى، عود بنا ورجوع	أجلق هل للعيش فيك، ودوننا
يحن إلى الأم الرؤوم رضيع	أحن إلى عيش لديك وإنما

تنكرت الأيام فيك وفرت
فيا ليت شعري والزمان مفرق
فلولاهم لم تبك عيني ولا جرت
وما لي لا أبكي وفي الحي نسوة
ثوين بعقر الدارين دبن راحلاً
يلوحن بالتمديد عند وداعنا
فيالك منديلاً أثار شجوننا
وقال بعنوان (في مهب الريح):

بنفسي من أمسى يرنح قدها
تثنت فما أدري أغضض أراكة
من البيض لم يريح لديهن عاشق
شكت عبث الريح الخفوق بثوبها
تمد يديها وهي حانقة لكي
تلجلج منها المنطق العذب وانثنت
تلقت مثل الطي في القاع راعه
ففي الجيد والعينين والساق شاغل
وفي جفنها الوسنان سيف وسائق
ومن غزله، (أنا ومي):

يا حمام الأيك غني
أنا في الأسر رهين
فاح بالوادي أريج
عطر الوادي فقلنا
أترين الريح هذي
حبذا يا مي ريا
وأنتنا تنهادي
يا حمام الأيك غني
أنا في الأسر رهين

في ثنايا الهضبات اليوم أبصرت غزالا
راعني منه نزار حينما زلت وزالا

بها ندوات بعدنا وجموع
أيرجع فينا الشمل وهو جميع
عليهم بمحمر العتيق دموع
بقلب الصفا من نوحهن صدوع
تردد دور نديبه وريوع
كما لاح برق في الظلام لموع
وراح به ذو الصبر وهو جزوع

من الريح خفاق والجلابيب نافح
أم الخيزران الغض غاد ورائح
سوى حرق تطوى عليها الجوانح
وقد سطعت بالطيب منها الروائح
تستر حسن الساق والحسن فاضح
على خجل، تحمر منها الملامح
مهالك قد حفت به ومطاح
وفي معصميه والنهود مطامح
وفي قدها المناد رمح ورامح

وإذا ما شئت نوحى
طال عن مي نزوحى
بين أشل وأراك
ذلك العطر شذاك
لامست فضل رداك
قبلت والصبح فاك
في الروابي والسفوح
وإذا ما شئت نوحى
طال عن مي نزوحى

جيده جيدك والعينان عيناك مثالا
أنه ذكرني منك نضاراً ودلالا

نظرة يا مي من عينيك تشفي داء روجي

هذه ريح الصبا قد هبت اليوم ذكية

أتراها تحمل اليوم لنا
لا تضني بسلام
بخلت والدمع لي براء به
قطرة من دمع عينيك
يا حمام الأيك غني
أنا في الأسر رهني
أنا في أيدي النوى أصبحت
لم أجد إلا دموعي
أنا يا مي حزين
لم يكن قلبك من صخر
رشفة من ريقك العذب
لو تقولين لقلبي
برح الوجد به حتى
لم تزل تبعث ذكراك
فإذا استعصى لقاء
زورة بالطيب يا مي

ومن موشحاته أيضاً: (أنا والنسمات).

نسمات الشام وغوطتها
سكن الليل الداجي وسكنت
أنا يا نسمات عليل
قلبي الحران إذا ما استاف
الموعد موهن هذا الليل
مري بالوادي يا نسمات
وارتادي الروض ففي أدغال
وإذا جئت الدوح احتملي
كم نجوى تحفظها لي فيه
ومواقف سال الدمع بها
أمي أثلاث الواد وجوسي
هل ماء غديره إلا
وسلي الصفصاف وهذي
كم من حسنات كان لها

هُبَيَّ فالوجد بنا برح
وثائرهمي لم يبرح
مثلك رقة جسمي والعله
عبير شذاك فقد بله
وعند الصبح إذا أصبح
وجوزي بالمرج الأخضر
الروض لنا خبر يذكر
من رياه نشر العنبر
الأنجم والقمر الأزهر
فجرى منه سيل الأبطح
ثمة في قلب الروضه
من ادمع عيني المرفضه
الأغصان المتدلّية الغضة
عندي وإياد مبيضه

سمح المقدار بها حيناً
هبي بالغاية واستمعي
وهديل الورق على غصن
لك يا شجرات المرج غدا
صليت ولوتدنين لنا
عهدي بالربع مريعاً ما
أشتاق جنائنك الغناء
وخرير الماء بظل الروض
أشتاق زهورك باسمة
والورد المطبق في الأكمام
في الرمل من البیداء
الجو الطلق مع الحرية
لا الورد عليه ممتنع
حيي يا ريح السرب بها
أنني يصبيني الأثل بها
أو ما تنفك ترود الروض
وهل الوادي والسفح على
أمساح آرام الغزلان
ما غير منا جارحة
الحب الصدق كعهديكم
تتصاعد أنفاسي الحری
هل قلبي موقد نيران
قد حال الليل ونفسي ما
من لي يا ريح بأنفاس
نضبت عيني وبها قد كنت
الليل وفحمتة احترقت
في الكوة منه خيال شج
لم يبق الوجد سوى رمق
شخصت لمهبك عيناه

وسألنا القود فلم يسمح
بغمات الجؤذر في الغاب
وضجيج النهر المنساب
تحناني اليوم وتنحابي
لتخذت بظلك محرابي
أقوى والنبت وما صوح
وتريفة غوطتك الفيحا
وصوت البلبل والدوحا
وخزامى هضبك والسفحا
ونور الروض إذا فتح
مهابة ترتع في ظل النخلة
حبب للسرب العزلة
إن شاء الورد ولا الظلة
ومقيل السرب من الرملة
والنخل الباسق إذا أبلح
لدى الأصـال الأرام
ما نعهد والآجام
أترجع فيك الأيام
حزن في النفس وآلام
فيه والصبروان قرح
في جوف الليل فألمسها
أم عيني عز تبجسها
إن حالت قط هواجسها
تجلو كربي وتنفسها
أبرد ناري إذ تلفح
أتراه يسفر عن فجر
رثت أحشاه من الصبر
منه يتردد في الصدر
لا يدري أيهما الأروح

وقال بعنوان (بين قمرين) وهي من وحي مصايف بلودان:

أو نجمة لمحت وقد حلك السدف

سفرت كدر أبرزوه من الصدق

ومضت تعثر بالعيون وشد ما
غيداء لم تقبل لها ساق ولم
وهبت نسيم الصباح رفته وفي
السفح مفتر النواحي باسم
طلعت على الشرفات، والقمر المنير
في مثل لألاء الكواكب سافرات
قمران قد لاحا فذا في الأفق
ما كان يا بدر السماء محبباً
غرف يفيض الحسن في جنباتها
لم لا يفوقك في البهاء ووجهه
أليفة الأستار كم من غمرة
ما الخدر بعد اليوم مألوف ولا
لم يحل لولاك المصيف ولم يكن
أرسلت في الفرع الطيوب وإنما
ورقلت في هذا الشفيف من الحرير
تأسيني بالبسمات أجراح الفؤاد
ما كنت أحسب أنني أنقاد للنظرات
حتى رميت فكان مما أصمت العيان
ضل السبيل ولم ينل أهدافه
وله من قصيدة يرثى بها ولده الصغير:

يهيج شجوني حمام البطاح
علام حمام البطاح تنوح
تعال فزي البث بعض السلو
لقد ذبلت زهرة الياسمين
تعال نبكي هنا وردة
تعال بنا نبك نجماً أضاء
أذابت نواك بُني الفؤاد
نزلت بدار نعيم مقيم

ومن مجموعة (غوارب موج) اخترنا قصيدته (وحي الروض):

الروض قد نبهه ساجعه
الأقحوان باسم ثغره

قتلت بعينيها ومرت لم تخف
يؤخذ على أعطافها فرط الهيف
عرف الخميلة من شمائلها لطف
والواد حين بدت له والمنعطف
تحفها الأتراب صفاً بعد صف
مسناً في الحبرات في نشر ولف
تؤويه السماء وذاك تحويه الشرف
مرآك لولا بدر هاتيك الغرف
منه وتزدحم العيون لتغترف
حر ووجهك شأنه هذا الكلف
في السترد أخو الهوى لو تنكشف
ورد الخمائل تستحب له الغلف
للواد حسن في العشية يستشف
منك استعارت طبها الروض الأنف
وبض جسمك من غلائله أشف
وتبعثني من العيون له الدنف
تبعث من تضاريج السجف
قلبي والمرير من الشغف
من كنت في هذه الحياة له هدف

فطوراً هديل وطوراً نواح
أمثلي أنت كسير الجناح
وفيه لنضو الهموم ارتياح
وكم ذاع فينا شذاها وفاح
ذوت وربيعاً تقضى وراح
وبرقاً على مفرق الأفق لاح
فعيني لها بالدموع اتشاح
ليهنك ثمة روح وراح

فهب من رقده هاجعه
والورد غرض المجتبى يانعه

تضوع النسرين في جوه
والنرجس الناعس قد طله
يعجبك الأصفر من لونه
لأنت يا نور الربى طالعا
وسنبل الحقل إذا ما استوى
يندفع التيار في لجة
والجدول الرقراق ينبوعه
أليست الحياة نهراً جرى
وأنت يا بلبل لا يأتلي
سيرجع التفريد نوحاً إذا
يا دوحة تشرب ماء الحيا
اللحن ما صاغته أفنائه
أدواء هذا العيش أعيتني
أكلما رقعت فتقاً بدا
أراك حتى من جنود الأسى
يجري بنا الدهر إلى غاية
إن لم يزن حسن الفتى خلقه
والمسك ما تم عليه الشذا
قد حبيب الروض لمرتاده
والورد حول الجزع فواحه
وقال متبرماً من الحياة:

لم اشتكي عيشاً بظل مرتقاً
وساعات نحس للزمان تمر بي
وقال أيضاً:

أمسيت في بلدي كالسيف يحمله
يا ويح قومي غفوا حتى الكلاب غدت
وعادة الدهر أن تروى الكلاب به
وقال:

ألا تعست هذي الحياة فما بها
تشابه فينا حزنها وسرورها
وحال غني القوم حال فقيرهم

فتم عن فواحه ضائعه
قطر الندى يحضله واقعه
كأنما من ذهب فاقعه
نور مشيبي راعني طالعه
خف إلى تجميره زارعه
فسائل اللجة من دافعه
سوف يفيض في غد نابعه
حتى تولى قطعه قاطعه
لحنك مشغوقاً به سامعه
نور حياتينا خبا لامعه
دوحك لا أغبه هامعه
والشعر ما غنى به ساجعه
ألا دواء يبتغي ناجعه
أخر لي يعني به راقعه
يا محجراً قد خاتني دامعه
سيان داني الخطو أن شاسعه
فما جمال خلقه نافعه
لا ما غلا في مدحه بائعه
نشر الخزامى طيباً ذائعه
أرواحه يستافها جازعه

وعمرأ أرى فيه الحياة مماتا
عيتت ولم أدرك لهن فواتا

الجبان والدر في حانوت فحام
تنهى وتأمّر في أساد أجام
ويصدر الليث صديان الحشا ظامي

سوى البؤس والههم الملازم للنفس
وأسمى سوءاً طالعا السعد والنحس
يحمل رزايا العيش والضحك والبؤس

كذا المرء في الدنيا حليف مصائب
وقال:
منوعة حتى يغيب في الرمس

يا أيها العمر المطل على الورى
إني سئمت العيش في الدنيا فهل
قد كان لي صلة بكل رغائبي
فلربما أجد الرضى برباك أو
وقال:
هل للرقى إلى ذراك سبيل
لي فيك يا قمر السماء مقليل
لو كان لي يوماً إلى وصول
أقضي فلا يأسى على خليل

يا رب أنت العون في بلد
لم يجدني علمي ولا عملي
ألقيت للأقدار أسلحتي
وكظمت غيظاً ملء حنجرتي

ومما قاله مخمساً لقصيدته الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب في الثورة الحجازية سنة ١٣٣٤ هـ:

لئن الركاب حدا بهن الحادي
لئن البنود خفقن في الانجاد
حفت ببيض ظبي وسمر صعاد
لئن المضارب في ظلال الوادي

ريانة الجنبات بالوراد

لئن اللواء حماه كل فتى أبى
لئن الجياد تقل كل مذرب
شهد الوقائع والحروب مجرب
الله أكبر تلك أمة يعرب

نفرت من الأغوار والأنجاد

شبه الجزيرة في حشاي واضلعي
ولقد دعوت بنيك دعوة مسمع
لك ثابت للعهد لم يتصدع
لبيك يا شبه الجزيرة واسمعي

ما شئت من شجوي ومن إنشادي

خاب الألى نصبوا حبالهم لنا
بثوا مكائدهم وراموا ذلنا
بيد العداء ولم يراعوا إلنا
تعس العداة فما يفرق شملنا

شعباً وأن الله بالمرصاد

وله من قصيدة نظمها عن الثورة السورية سنة ١٩٢٥ م:

مضت دمشق ولم تجزع لنازلة
وهيجت من بنيتها للوغى أسدا
قساور إن دعوا للحرب مسعرة
هبت ترد العدى بالسيف أوتة
واستبسلت في دفاع عن حقائقها
لا تنكروا في اللقاء يوماً فروستها
ولم تقف موقف المستضعف الراجي
من كل أروع ماضي العزم مهتاج
مشوا لها بني أفراد وأزواج
وتارة بلسان غير لجلاج
بكل ذي لبدة للهول فراج
فإنها نضو الجام وأسراج

والحق يؤخذ من حد السيوف ولا
دمشق سيري إلى العليا خافقة
فقبل راياتك الخفاقة اقترعت
ورفرت فوق سد العين وانبعثت
لا غرو إما اصطليت الحرب مكرهه
نشدت بالدم حقاً منك مغتصباً
ومن سقى الدم استقلاله بسقت
رماك قادحهم بالسوء مفترياً
حرية الشرق باب أنت مفتحه
الشرق والعالم الغربي مرتقب

أما موقف شاعرنا من المرأة فهذا ما سنعرفه في قصيدته (فتاة التجدد) قال رحمه الله:

الله في المفتون من لفتتك
مشيت تهترين مشي القطا
تفوح في السوق إذا جزته
كم نبه الفاسق من نومه
فأي معنى لحجاب غدا
سفرت عن ثفرة نحر كما
والساق قد بالغت في كشفها
ما أنت يا هذي بصديقة
أغرك القوم بما زخرفوا
فرحت تبغني جديداً بما
منوك تحريراً ولم يقصدوا
ما أنت يا هذي سوى حرة
أن يحسبوك علة للعلى
ظنوك للهو لهم آلة
لو عقلوا صانوك عن لغوهم
فليصلحوا وجهتهم قبل أن
هم أحرص الناس على سمعة
ونهضة الأمة أن ترتقي
أسعدي الدين بأدابه
ألم يكن أحمد في ما قضى

يعطي كإعطاء بعض السؤل والحاج
منك البنود بتأويب وأدلاج
هام الرى بين وادي السند والتاج
إلى المحيط فماجت فوق أمواج
هم أخرجوك عليهم شر إخراج
وكل أفوه ثبت القول محجاج
فروعته منتجات أي إنتاج
الترب في قم ذاك القادح الهاجي
والقوم قد ارتجوه أي ارتاج
أن تنهجي للمعالي خير منهاج

وفي تشنيك وفي خطرترك
هلا احتشمت اليوم في مشيتك
روائح يعبقن من بردتك
وسواس هذا الحلي من زينتك
صونك في طياته منتهك
أنبت ما صففت من طرترك
فبان ما فوق مدى ركبتك
في ما أتيت اليوم من فعلتك
يبغون أنها ضك من كبوتك
أبليت في ذلك من جدتك
فيما تحدوه سوى خدعتك
في بيتك الحروفي أسرتك
فإنما هم باعثو علتك
ولست إلا أم ذريتك
وعن مقال الزور في نصرترك
يدعوا إلى الإصلاح من وجهتك
فحافظي أنت على سمعتك
في خلقك السامي وفي حشمتك
فلا تحيليه إلى شقوتك
أول من حض على نهضتك

أتاك بالخير ومحض الهدى
كيف صدفت عن تعاليمه
ما كان قط شرعة مثلها
ولم يكن يوماً كقرآنه
مفاسد الغرب بنا جمّة
لا تغضبني من دعوة حقّة
طرائق التضليل قد مهدت
الله في مجد بني يعرب
الله في النشئ وفي نسلنا

وحدث في الشرع على حرمتك
وقست بالنور دجى ظلمتك
كافلة حقاً لحريتك
مستنكر دعوى عبوديتك
فالتزمي آداب شريقتك
وخفضي بالله من حدثك
وكلها تدعو إلى محنتك
وقد بُني قدماً على عفّتك
يا أمة، الله في أمتك

ومن ذكرياته في بلاد القفقاس هذه القصيدة وقد نظمها وهو ضابط في الجيش التركي الثاني المكلف برد غارات الجيش الروسي فكانت بين الجيشين مصادمات ليست بذات شأن وإنما لقي الجيش التركي الوليات بمصارعة الجوع والبرد والحمى التيفوس، وهذه الآفات الثلاث كادت تبتلع الجيش برمته حتى أقتات بعض الجند والضباط، والشاعر منهم، بعشب الأرض ثلاثة شهور، وبعضهم أقتات بالجيف ولحوم الموتى وعظامهم وفي القصيدة وصف لما عانوه هناك:

هي الخيل تضويها الريى والبسابس
على قن القفقاس شعناً كأنها
من الفيلق الجرار كاليم زاخراً
سروا والبنود الحمر فوق رؤوسهم
أسود تلاقي الموت وهي بواسم
ورب فجاج لا حبات إذا بدا
مضائق سدت بالجبال فزوجها
كأن ركام الثلج بحر بها طما
كأن الضياع المقضرات جزائر
لقد حشدوا فيها الجيوش تتابعت
فما لقي الخيل المفيرة دارع
لجندبيهم خلق الغزاة إذا غزوا
صبور على الجلى ترى منه راجياً
تعفف حتى لا يرى الدهر شاكياً
ولا مثل تلك الشوس هيماً إلى الوغى
ليوث عرين غالها البرد والطوى
ثمانون ألفاً أو يزيدون صرّعوا

ضوايح تنزو بالشكيم عوابس
بمفرقها حين استدارت قلانس
تدفع كالأمواج فيه الضوارس
خوافق تحميها الكماة الأشاوس
ووجه الردى في الروع أسود عابس
لها الصبح ردت وهي بيد طوامس
سبائخ من ندف السما وكبائس
كأن الذرى فيه سفين قوامس
أحاط بها بحر من الثلج قالس
كتائب قد ضاقت بهن المتارس
ولا اقتحم البيض الصوارم تارس
ونفس على ورد الحمام تنافس
من العز ما يصبو له وهو يائس
فيحسب من أهل الفنى وهو بائس
إذا قيل يوم الروع أين الأحامس
قضت مثلاً في الغار تقضي الهجارس
فأجسامهم تسفي عليها الروامس

وكم في ثنايا الشعب والواد هالكا
وكم جيفة وحش الغلاة يعافها
هلموا إلينا وانظروا ما أصابنا
ألم بأنكم ما حل فينا وقد مشت
يعاودنا الداء المبرج والطوى
عذيرك من عيش تهجم وجهه

تعاوره بالناب والظفر ناهس
تنازع فيها جوع وتنافسوا
وأي شقاء في الحياة نمارس
نواد بأخبار لنا ومجاس
ويقتلنا برد هنالك قارس
وثارت له في كل نفس هواجس

ومن شعره قصيدتان القاهما أمام فيصل الأول (ملك العراق فيما بعد) في حفلتين أقيمتا بمناسبة تشريفه إلى المدرسة العلوية في حي الأمين بدمشق وهذه المدرسة من المدارس الدمشقية القديمة خرجت الكثير من الأساتذة والمتقنين، ومما جاء في القصيدة الأولى:

لك الخدم الصمصام إما تجردا
وتعنو له الأقدار وهي مطيعة
وأيدك الرحمن منه بقدره
نسك بك الثغر المخوف ونستقي
وكفاك كف في الوغى تمطر الدما
لقد شدت للعرب الأباة مفاخرأ
ومما جاء في الأخرى، قوله:

تخر له الهامات في الحرب سجدا
وتأبى العلى إلالك للناس سيذا
بها جدك المختار من قبل أيذا
بك الغيث أن ضن السحاب وصردا
وكف بها في السلم تستمطر الندى
ومجداً على مر الزمان مخلدا

ألا في سبيل العرب يا بن محمد
وثقت بنصر الله بعد توكل
فسوقتها جرداً عتاقاً ضوامراً
عوابس في وجه الخطوب دواجياً
ضوابح يعلكن الشكيم كأنما
سبحن بلج من دم الشوس زاخر
فوارس من عليا لؤي بن غالب
نبت فوق هام النسر ملكاً تيوات
ترف عليه راية عربية
فآبوا ونصر الله يخفق فوقهم

تجشمت في طرق العلى كل فدفع
على الله والعضب الجراز المهند
طوالع في ليل من النقع أسود
تروح، عليها الدارعون وتغتدي
غدا رعيها من دون مرعى ومورد
وخاض بها غمر الردى كل أصيد
تهش لقرع البيض في كل مشهد
به دون من ساماه أشرف مقعد
معززة بالفيلق المتحشد
وأبت أعاديهم بذل مبدد

وكان المرحوم شاعرنا كثير الثناء على أستاذه الأمام السيد محسن الأمين العاملي وله أكثر من قصيدة في مدحيه من ذلك قوله مخاطباً له:

أبا باقر تفديك نفسي انني
واحجى بمتلي أن يكف يراعه

أرى فيك مدحي قاصراً ونسيبي
فإن منال الشمس غير قريب

على أنني من بحر علمك غارف
مناقبك الغر الجسم تجل عن
وفيك سجايا لا يقوم بنعتها
أخذت بأسباب الفضائل والعلی
وأنی منك الشبل فی کل غایة
تفرست خیراً بی وأنی لأمل
وسوف أقر العین منك بما رأت

ومن فيضه الطامي غراف ذنوبي
إحاطة مداح ووصف خطيب
كلام بليغ أو قريض أديب
وعاد الوری طراً ببعض نصيب
وحسبي فخراً أن تكون قريبي
من الله ذاك الخير وهو مجيبي
وأصدق وعداً منك غير كذوب

ولشاعرنا كتاب (مناهج التربية والتعليم) وهو باكورة مؤلفاته وقد أهداه لأستاذه الأمين

العالمي وكتب على صدره هذه الأبيات:

«أبا باقر، أوليتني نعماً كثيراً
وحلّيت جيدي بعد أن كان عاطلاً
فلله بحري قد ذف الدر لُجّه
وما أنا إذ أهدي إليك مؤلّفي
وأن سنى أقدمت فيه محبداً
فدُم للمعالي خير ذخر فإنما

وفضل إياد لا أطيق لها شكرا
بجوهر علم كنت أنت له بحرا
وليس عجيباً منه أن يقذف الدرا
سوى مخبراني أطعت لك الأُمرا
على الليل عاد اليوم منبثقاً فجرا
قوام المعالي أن تدوم لها ذخرا

وقال وقد نعي إليه والديه في شهر واحد وهو في (الجعاد) في شرقي الأردن سنة ١٣٤٥ هـ:

إن غبت يا شمس فلا ترجعي
حلا لي الليل ويا ربما
قد ألفت عيني سواد الدجي
يا هاجعاً في جدت موحش
أرضعتني درأ جرى عندما
يا والدي احتسبا مهجة
نعي الي الصبر ناعيكها
«جلعاد» هل عندك من رحمة
لذاب منك الصخر لو أنه

وأنت يا بدر فلا تطلع
شكوت مامضى له مضجعي
آنسة بلونه الأسفح
إلى متى نومك في المهج
يوم تحملت مع الأدمع
ذابت على زركما المضجع
فما أعني ماذا يقول النعي
بالواجد الباكي فتبكي معي
حُمّل ما تحمله أضلعي

وله بعنوان حياة المصايف
جزّ في مصايف لبنان تجد عجباً
ترى الذكور اناثيا بمظهرهم
تمشي المناكر في أفناء دورهم

وكم أتى بعجيب الأمر لبنان
كما الاناثي بالأخلاق ذكران
فتلتقي عندها غيد وفتيان

ترى القمار وقد غصت موائده
كم ثروة دخلت فيه وما خرجت
هناك مائدة بالفسق عامرة
ساق تَلَفُ على ساق وساقية
من النواعم ذات الدل تحسبها
راحت ترضن على عمد بخمرتها
دون الثياب نفوس ملؤها ريب
الصدر للمصدر مضموم، وملتصق
والخصر للخصر مجذوب ومنصهر
مواقف مزقوا وجه الحياء بها
آهات نفسك لا تستطيع تمسكها
إن العفاف الذي قد جئت تنشده
ضحوا بأوطانهم من أجل شهوتهم
وقال بعنوان .. تظلم الشرق

سئمت انصباب الدمع يا شرق والصبرا
كلوم غدت في جسمك اليوم لم تزل
ومهجة حرأنا عليها توفرت
فهل أنت بالشكوى لأسيك مطفئ
شكوت الجدود العاثرات تعذرا
تعاورك الخذلان من كل جانب
وهل أنت إن كففت دمعك ساعة
تباريح أمسى الغرب مضرم نارها
وقطب فيك الوجه من غير موجب
أليس غريبا أيها الغرب أن ترى
وأنت الذي أعلنت بالأمس جاهرا
وفي هذه الحرب العظيمة بعثها
ففي م إذا ما صبح ما تدعي نرى
إذا هب للحرية اليوم ناشدا
وإن هاله ذل الخضوع وهضمه
وبينا نراه يطلب الحق أعزلا
إذا ساغ يوما أن يكون فريسة

شيب تغشى نوادييه وشبان
وكم عديم تولى وهو ثروان
وها هنا مائد في الرقص نشوان
قد راح يهصرها صاح وسكران
حوار تعهدا في الخلد رضوان
والخمر من جفنها والذن ولحان
وفي الوجوه أصابيح وألوان
ردف بردف كما تنهال كثنان
كما انصهرن بجذب الريح أغصان
وابرزوا الجسم فيها وهو عريان
أن كان في النفس إيمان ووجدان
مع الفضيلة والآداب قريان
هذي فهل تستقل اليوم أوطان

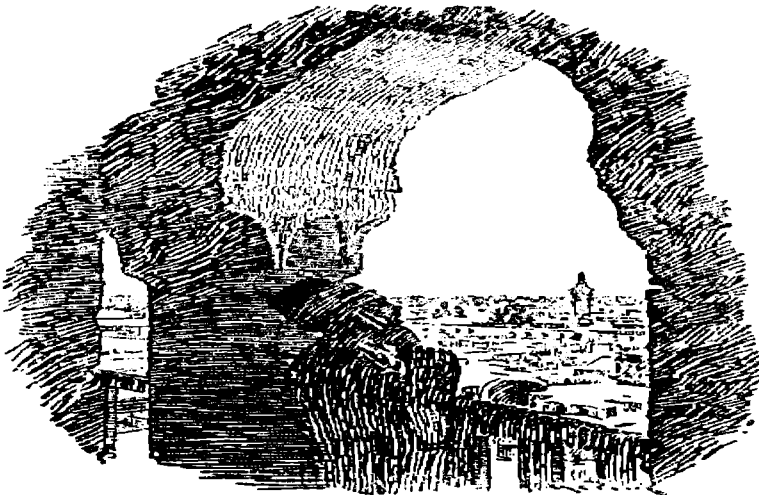
فهل أنت يا هذا سوى مقله عبرا
بعيدة غور لا تطيق لها سبرا
دواعي الأسى والياس فاضطرت جمرا
لحر الأسى في طي مهجتك الحرى
فغير الجدود العاثرات التمس عذرا
لك الله هل من بعده ترتجى نصرا
مسكن قلب لم يزل يخفق الدهرا
لقد أججت منك الجوانح والصبرا
وظلت له رغم امتهانك مفترا
هضوما لحق الشرق إن أنف الأسرا
(حقوق بني الإنسان) كيما يرى حرا
نفوساً لتحرير الألى استعبدوا قصراً
تهضمك الشرقي ترهقه العسرا
كملت له فاه واسكته قهرا
وجاءك يشكو حيفه سمته الجورا
نراك وقد أوجرتة البيض والسمرا
فها أنت قد حددت نابك والظفرا

وسقت عليه الشر تتبعه الشرا
توالون في الشرق المظالم والغدرا
ولا تتركون المكر فينا ولا النكرا
لديكم وتغضي عن حقوق لنا غرا
أدرتم لنا وجهها أدرتم لنا ظهرا
وأوصدتم في وجهنا البر والبحرا
وأصبح يشكو نهسة الفقر من اثرى
لكم أن تروا صرعى مطامعكم حسرى
له أعين للحقد يرمقكم شزرا
سليم دواعي الصدر لا يآلف المكرا
فما نكره منه التوثب والزأرا

حملت عليه بالقنابل والقنا
إلى م تماديكم بني الغرب بالأذى
وتلقون في ما بيننا البأس والعدا
على م وفي م اليوم نلقى مساءة
قلبتم لنا ظهر المجن وبعد أن
ملكتم علينا مقطع الرزق والغنى
فنفض كفيه من العيش مدقع
إذا لم توالوا الشرق فالشرق منذر
وأن ترمقوا الشرقي شزرا فإنه
وأن تنصفوه اليوم تلفوه منصفا
ومن احفظ الليث الهزير بغابه

مراجع ترجمة:

- بين الصناديق ٩٦ وما بعدها، مذكراتي الشامية ١٩٨٠، الديوان المخطوط للأستاذ أديب
التقي، مجلة العرفان المجلد ١، ج ١ ص ٣٢، المجلد ١٨ ص ٤٢٧، المجلد ٣١ ص ٣٣٦. المجلد ١١ ص
١٠٢٤ المجلد ٥٠ ص ٧٦٤، الأعلام للزركلي ١/٢٨٦.
مجلة أصدا ٥/٤/١٩٤٥، ومجلة المجمع العلمي العربي ٢١/٣٦٩.



السيد علي مكي العاملي

ولد (١٩٣٤م - ١٣٥٣هـ)



ولد في النجف الأشرف ليلة الثالث عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٣ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من آب/أغسطس ١٩٣٤ م. ونشأ في النجف الأشرف برعاية أسرته ووالده العلامة الجليل السيد حسين مكي العاملي الذي كان قد هاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلم كما هو شأن العلماء العامليين قديماً، وصلة أسرته بالعراق أقدم من ذلك، فجدّه لأمه السيد حسن يوسف كان قد هاجر إلى العراق من قبل وأقام بها فترة طويلة.

درس الابتدائية والثانوية في مدرسة منتدى النشر، ثم تابع دراسته الدينية على يد والده المقدس، وعلى عدد من كبار الأساتذة اللامعين على عهد شبابه، وبعد إنهاء دروس (السطوح) حضر البحث الخارج مع سماحة السيد محسن الحكيم (قدس سره)، وكان أكثر

حضوره في هذا الدرس لدى أستاذه السيد أبي القاسم الخوئي (قدس سره) أصولاً وفقهاً. في سنة ١٩٥٧ أرسله الإمام الحكيم ممثلاً عنه إلى مدينة الصويرة^(١). فأقام بها عدة سنين مرشداً روحياً ومصلحاً اجتماعياً وناشطاً ثقافياً انتفع منه أهل تلك الأطراف كافة، ولم تبلغه نعي والده المقدس الذي كان يشغل منصب أمام الديار الشامية للطائفة الجعفرية بدمشق، فارق (الصويرة) وحل محل والده في دمشق، رغم الصعوبات والعراقيل التي كانت تعترض طريقه آنئذ، واستطاع بحكمة وحسن تصرفه ووعيه وتجاربه السابقة أن يجمع الكلمة ويرص الصفوف ويزيل الفوارق وينمي الاتجاه الديني الواعي والمسؤول من خلال الدروس والمحاضرات واللقاءات المستمرة مع أبناء الطائفة، وتشجيع عمل الهيئات والجمعيات الخيرية الإنسانية فساهم بذلك في الإصلاحات البناءة التي استهدفت رفع كيان الطائفة والحفاظ على وجودها وحيويتها وهو مع كل مشاغله كان مواصلاً الدرس مع من يلتقيه من العلماء الأعلام وكانت معه دائماً مجموعة من الطلبة الذين يأخذون عنه، كما كان وما زال معنياً بالتأليف والتحقيق فمما أنجزه من الكتب التي ما تزال مخطوطة: ١ - محاضرات الفقه والأصول (تقارير بحث أستاذه السيد الخوئي). ٢ - كتاب المصطلحات الأصولية. ٣ - كتاب الإمامة. ٤ - كتاب الغزوات. ٥ - القرآن واليهود.

(١) الصويرة، مدينة عراقية. وأصل الكلمة (صيرة) ثم صُغرت على مألوف عادة أهل البادية العراقية، وصيرة مصحفة عن جزيرة، المقصودة عن (جزيرة) بحذف الجيم من الأول. وسُميت جزيرة لأن المياه تحيط بها من كل جانب، وهكذا صُحفت (الجزيرة) إلى (زيرة) ثم إلى (صيرة) ثم إلى (صويرة).



السيد علي مكّي العاملي

التقريب بين المذاهب الإسلامية في بلاد الشام

أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي
استاذ في جامعة دمشق - كلية الشريعة

الحمد لله الذي وحد الأمة الإسلامية في أصولها وأنشطتها ومنطلقاتها، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين محمد بن عبدالله الذي صاغ هذه الوحدة صياغة محكمة خالدة، وعلى آله وصحبه الذين كانوا أوفى الناس عهداً لمدرسة الوحي الإلهي والنبوة ورضي الله عنهم أجمعين وبعد:

تقرير عن مسيرة التقريب

هذا تقرير موجز عن مسيرة التقريب في بلاد الشام (سورية ولبنان والأردن وفلسطين) وهو في الواقع لا يختلف بحال عن ظاهرة التقريب في البلاد الإسلامية المختلفة مثل مصر والسودان والدول الأفريقية وبلاد المغرب، والبلاد غير العربية مثل تركيا وإيران والهند والباكستان واندونيسيا وماليزيا وأفغانستان، والجاليات الموزعة في القارات الخمس ولا سيما أمريكا وأوروبا وآسيا. كل هذه البلاد على الرغم من تباعد حدودها أحياناً، وتجاورها أحياناً أخرى، أصبحت ولله الحمد تدرك إدراكاً جازماً أن الإسلام دين لا يتجزأ، وأن أصوله وفروعه ومواقفه النظرية والتاريخية والجغرافية والثقافية والتربوية واحدة، وأن منهج الوحدة الفكري والتطبيقي هو الاتجاه السائد والمهيمن على الساحة الإسلامية، وإن وجدت جيوب ونزعات فئوية هزيلة تحاول تغذية الفارقة بين أتباع المذاهب، وإثارة النعرات المذهبية، والتورط في الاقتتال أو الاتهام، أو الانفعال المشوب بالعواطف الهوجاء، والذي قد ينجم عنه إما سفك بعض الدماء العزيزة، أو هدم أو إحراق بعض المواقع أو المساجد الإسلامية، وهذا الاتجاه الوعر المسالك والقاتم المظلم منشؤه: إما بعض آراء العلماء غير الناضجين، أو المواقف الزائغة لبعض العوام، أو التجاوب مع سموم ومساغي المستشرقين، وسياسات دول الشر والضلال والكفر من الغرب أو الشرق، لإضعاف بنية المسلمين. وتسهيل السيطرة على بلادهم وثرواتهم ومقدراتهم، وإبقائهم في حال ساخنة من البركان الساكن أحياناً والمتفجر أحياناً أخرى، لتمرير مخططات معسكر البغي والعدوان والاستعمار. وإنه لمع الأسف كانت ظاهرة التفرق والتباعد المذهبي والاتهام والمصنفات أو المؤلفات الساقطة أو المسمومة هي الرائجة أو الغالبة على الوسط الإسلامي ما قبل خمسين أو أربعين سنة، فتجد

منحى الهبوط في مزلة التكفير أو الطعن والدس، أو السب والشتم أو الإساءة لنجوم الإسلام في العهود الأولى التي لولا رجالاتها العظام المخلصون أهل التضحية والفداء، لما وجد الإسلام على الساحة الواقعية الكبرى أو الصغرى، ولا في المشرق أو المغرب أو الوسط.

وفي تقديرنا أن هذه الظاهرة قد أقل نجمها وانحسر ظلها، وحل محلها وعي مستنير في رحاب الصحو الإسلامية في الثلاثين سنة الماضية، وأدرك الخاصة من أهل العلم، وبعض أو أغلب العامة أن هذا الاتجاه خطير، بل وعديم النفع، ويسيء إلى العقيدة والعبادة والأخلاق الإسلامية، ثم إنه يهدد المصلحة الإسلامية العليا، ويجر الأمة الإسلامية كلها إلى الدمار والخراب وفقدان الوجود والذات، ويقطع أوصال المسلمين، ويزرع الفرقة والشتات، والتمزق والضياء في كل ما يعملون أو يخططون، وهو ما يطمح إليه الأعداء المجرمون الذين يعملون الآن لتفكيك لبنات الإسلام تبعاً، ويمزقون شمل الدول الإسلامية واحدة بعد الأخرى دون استثناء، أخذاً بسياسة الانفصال واستغلال بعض السلبات أو ألوان التخلف والقصور، ولا سيما تأليب الطوائف غير الإسلامية في بقاع وجودها، والتسلل أيضاً إلى الفئات الإسلامية لإثارة المشكلات والخلافات فيما بينها، عملاً بقاعدة: «فرق تسد» والفرقة ضعف وأيلولة للسقوط.

أما بلاد الشام ولا سيما سورية بالذات فإنها واعية لهذه المخططات الإجرامية الاستعمارية، ولقد كانت سورية على مر تاريخها الحديث ووجودها الآن أعمق نظراً وأكثر إدراكاً، وأبعد رؤية مستقبلية لقضية الوحدة الوطنية، وضرورة الحفاظ عليها، وتجاوز كل سلباتها وعنعاتها ومزالقها، حتى إن المواطن السوري منذ فجر الاستقلال والتخلص من الاستعمار الفرنسي في السابع عشر من نيسان (إبريل) عام ١٩٤٦م وإلى الآن لا يفكر بأية فوارق بين أتباع الأديان والمذاهب والطوائف، وهذه مفخرة لسورية الحديثة المتحررة والأبية.

فلا نجد مثلاً في سورية أي تمييز بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق والواجبات، ولا بين أتباع المذاهب من سنة أو شيعة، ونجد انمحاء آثار التفرقة وخلجاتها من كلا الفريقين. إن هذا النمو السياسي من القادة الحكماء، والحس الديني من الناس بمختلف فئاتهم، والانبعث الحضاري والمدني من جميع المواطنين، جعل سورية وكذا بقية بلاد الشام، ما عدا بعض المواقف المشبوهة الموالية للاستعمار في لبنان، في طليعة الدول العربية التي لا توجد فيها مشكلات طائفية أو مذهبية أو عنصرية.

وهذا الوعي السياسي نجد مثيلاً واضحاً له في جمهورية إيران الإسلامية بدءاً من نجاح الثورة الإسلامية بجهود الإمام الخميني رحمه الله.

ويقترن هذا الوعي السياسي بالوعي الديني والمصلحي والوطني والقومي من أجل صد العدوان الاستعماري والاستكباري من دول الغرب بزعامة أمريكا، فلقد تحولت الاتجاهات والنوايا العدوانية القديمة لهؤلاء المستعمرين إلى سلوكيات واقعية خطيرة بالزحف العسكري الرهيب على ديارنا، وإعلان الحرب الوحشية الضارية على بلاد المسلمين بدءاً من تسليط الصرب المتعصب

على البوسنة والهرسك وكوسوفو، والشيوعية الإلحادية في روسيا والصين على الجمهوريات والأقاليم الإسلامية كالشيشان، والسيخ، والهندوسية أو الهندوكية الحاقدة، في كشمير وغيرها، ثم تلاها تكتل قوى الغرب وعلى رأسهم بريطانيا الأفعى، وتحالف الصليبية المتطرفة في أمريكا مع الصهيونية، وشن حرب الإبادة في فلسطين وأفغانستان والعراق، وتهديد إيران وسورية، ثم بقية الدول العربية حتى الموالية لتلك الدول المعتدية.

لا يعني التقريب بحال من الأحوال صهر المذاهب الإسلامية المختلفة، وإنما الوصول إلى تقارب وجهات النظر المختلفة في الآراء الدينية، وتوحيد المواقف والأفكار والسلوكيات والمناهج، ليكون المسلمون صفاً واحداً أمام العدوان الخارجي من دول الكفر والشر، التي تتخذ من مظلة ما سموه بالإرهاب ذريعة لقتل وإبادة المسلمين في ديارهم، ونهب ثرواتهم، واستعبادهم غيرهم، والتسلط على مصادر النفط وبقية المعادن، والهيمنة على كافة الأنشطة الاقتصادية من خلال العولمة واتفاقية الجات أو التجارة الحرة، وتمكين شركاتهم الرأسمالية الكبرى من استنزاف خيرات الشعوب الأخرى ولا سيما المسلمين منهم لنهب ثرواتهم النفطية وغيرها.

وإن من أهم ظواهر مسيرة التقريب في بلاد الشام ما يأتي:

أ- تبادل الود وتفصيل أوجه التعاون بين علماء الأمة الإسلامية من سنة وشيعة، ودفن كل مظاهر التوتر والخلاف والتعصب المذهبي، وهذا واضح الآن.

ب - منع نشر أو طبع كل الكتب التي تسيء لأتباع المذهب الآخر، وعدم السماح بإلقاء أي حديث في وسائل الإعلام أو إلقاء بعض المحاضرات في المراكز والأندية الثقافية التي تمس أوضاع الخلاف، وهو اتجاه الدولة في سورية وغيرها من بلاد الشام.

ج - استنكار كل محاولات التضليل والتكفير التي توجه لبعض أتباع المذاهب، لمنع إثارة الفتن، وتخطئة الكاتبين في هذا اللون من التأليف وذلك ما نلمسه في كتاباتنا وغيرها، فنحن لا نقر اتهامات التكفير التي يطلقها شذاد المفتين من أهل السنة، كما لا نقر الحملة الظالمة في كتابات بعض الشيعة على أعيان الصحابة الكرام.

وكذلك منع كل ما يسيء للتاريخ الإسلامي، ويجدد شبح المنازعات، ويجدد الصراع بين المسلمين بسبب أحداث التاريخ القديم، مما يوجب علينا دفن كل تلك الآثار التي تحرض على الفرقة، أو تؤجج شعلة الفتنة، أو تضرم النار بيننا، وتنش بعض وقائع التاريخ التي تهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع، وهو اتجاه الفئة المتعصبة التي تسيء للإسلام.

د - التشجيع في مجال المقارنة العقدية والفقهية ولا سيما في صعيد الدراسات الجامعية التخصصية على منهج بيان آراء الآخرين بموضوعية مجردة واحترام وتقدير لها، وتبيان الأدلة والبراهين التي أدت لنشوء الرأي المخالف، وظهور القضايا بمظهرين مختلفين، وإشاعة روح الحوار البناء والنقد العلمي المجرد من غير تشنيع، ولا تجريح، ولا هجوم، لأن العالم المنصف بحق هو الذي يسمو فوق الخلافات، ولأن الإعذار في الاختلافات هو سمة المسلم

الناصح، وهو صاحب القلب الكبير الصافي والخالي من الحقد والبغضاء وحظوظ النفس الأمارة بالسوء والغيور على مستقبل الإسلام والأمة الإسلامية.

هـ - النشاط الثقافي المشترك بين كبار علماء السنة والشيعة في رمضان وغيره من المناسبات الإسلامية، على الصعيد الرسمي، كإلقاء بعض المحاضرات من فخامة الرئيس محمد خاتمي في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وإسهام نخبة متميزة من علماء السنة في أسابيع الوحدة الإسلامية المتكررة في كل عام في طهران، والنشاط الثقافي القوي للمستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق، مثل المسابقات القرآنية في رمضان، والمحاضرات العامة في مناسبات أئمة آل البيت، وإصدار المجلات ونشر البحوث المقارنة.

وكذلك علم الأصعدة الثقافية الأخرى غير الرسمية كالمحاضرات التي تلقى في مقام السيدة زينب بدمشق والجامعات و'أراكر الثقافية بدمشق من علماء الشيعة والسنة، وحضور أتباع الفئتين وهم جمهور غفير. وفي هذه المناسبة نقدر تقديراً عالياً نشاط مجمع التقريب في إيران، بعد مصر.

وتنعتقد ندوات هوية وحساسة مهمة في القضايا الفضائية بين علماء السنة والشيعة في سورية ولبنان تعالج قضايا الساعة وتبين تكامل الفريقين.

و- على مستوى الصعيد الشعبي: نجد تقارباً واضحاً وتفهماً جديداً بين أهل السنة والشيعة في أمور كثيرة منها:

التركيز على وحدة العقيدة بين الفريقين، وأن أصول الإيمان المقررة في القرآن والسنة النبوية متحدة قولاً وعملاً، وكذلك إعلان وحدة العبادة في أداء الصلوات المفروضة، بغض النظر عن الوسائل كالأذان وصيغته وأداء الجمعة والجماعة، وكيفيات الممارسة والأداء، لأن المهم تطبيق أركان الإسلام.

ومن هذه الظواهر المشاركة في تلقي الثقافة والعلوم المختلفة في كل من الحوزات العلمية في دمشق وطهران وتوابعها، ووجود جامعة المذاهب الإسلامية في طهران، وكذا تدريس أصول المذاهب المختلفة في كليات الحقوق من الجامعات السورية.

ويظهر الوفاق العملي بين أتباع السنة والشيعة في انعدام أي نزاع أو تصادم أو توتر بين الفريقين في بلاد الشام وكذا في إيران، بل وفي الاحترام المتبادل، ووجود الزواج القائم بين أهل السنة والشيعة دون إنكار من الجانبين.

ومن هذه الظواهر الإيجابية: وجود التعقل وبعد النظر في الابتعاد عن إثارة أسباب الاختلاف بين السنة والشيعة، وترك كل فريق على النهج الذي اختاره، واحترام مصادر الاجتهاد لدى كل فريق.

وحظر كل ألوان الاتهامات والطعون الموجهة للشيعة التي يروجها العوام وبعض المنتمين للعلم، والتركيز على بيان الوجهة الصحيحة فيها وتأويلها تأويلاً مقبولاً مثل ظاهرة عصمة آل

البيت (علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم) والأئمة الاثني عشر الذين هم غير أنبياء بمعنى الاستقامة التي تبعدهم عن التورط في كبائر الإثم، وكذلك مسألة الإمامة وأفضلية الإمام علي على بقية الخلفاء الراشدين بحسب تصور واعتقاد الشيعة، ومخالفة جماهير أهل السنة لهم في ذلك، علماً بأن القضية أصبحت في ذمة التاريخ، ولا جدوى ولا فائدة في عصرنا وغيره من إثارتها، أو تخطئة جمهور الصحابة أو اتهامهم بما يتنافى مع صريح القرآن.

ومنها أيضاً محاولة النيل أو الغض من شأن بعض أمهات المؤمنين لاسيما اللاتي نص القرآن الكريم صراحة على تبرئتهن وصونهن، أو التشنيع على بعض رواة الحديث. ومن هذه المثيرات قضية التقية وأنها لا تعني الكذب أو التآمر أو الخيانة، وإنما (التحفظ من إضرار الآخرين بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق في رأي من يتحلى بها) وبخاصة أن مبدأ التقية مع الأعداء مقرر مشروعيته والأخذ به في صريح القرآن الكريم في قوله سبحانه: (إلا أن تتقوا منهم فتاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) (آل عمران / ٢٨).

ومن الأمثلة الحساسة: زواج المتعة وضرورة فهمه على أساس اشتراط توافر سبعة شروط فيه عند الشيعة خلافاً لما يفعله عوام الفساق، وأن الشيعة ما يزالون يقولون ببقاء مشروعيته، خلافاً لأهل السنة الذين يعتقدون بنحو جازم نسخه وإبطاله، وإن كان على أصل الإباحة أو العفة قبل تحريره الصريح في القرآن والسنة.

ومنها قضية عودة المهدي المنتظر، وأنها ثابتة شرعاً مع اختلاف أهل السنة والشيعة في تحديد أوصافه ومقوماته وتاريخ ظهوره.

ومثل ذلك قضية البداء لله (عزوجل) الذي يعني عند الشيعة الإمامية الإظهار بعد الإخفاء، وليس الظهور بعد الخفاء، مع تنزيه الله تعالى عن النقص وعلم ما لم يكن يعلم به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لأن علم الله تعالى ثابت في الكليات والجزئيات والحاضر والمستقبل، لكن إظهاره يكون بحسب مقتضى الحكمة منه تبارك وتعالى.

ز- تفويض الحساب لله تعالى: على الرغم من وجود الاختلافات السياسية وبعض الاختلافات المذهبية الاعتقادية أو الفقهية، فإن أهم ما يريخ كل مسلم ومسلمة التسليم المطلق لله تعالى في محاسبة الخلاق في الدار الآخرة، فهو سبحانه كما قال: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الانبياء / ٤٧). فإن كان هناك خطأ عمدي فيحاسب أصحابه.

ويبني عليه أن على أهل السنة والشيعة قاطبة أن يفوضوا الأمر في الحساب على الأخطاء لله (عزوجل)، سواء ما يمس عدالة الصحابة أو الطعن ببعضهم أو قضية الخلافة أو الإمامة أو ما يتعلق بالقضايا الاجتهادية حيث يكون للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد، مادام المجتهد

يبدل أقصى جهده للوصول إلى الحق والصواب، ومادام ناضج العلم متمكناً من الاجتهاد، حسن النية، عدل السلوك تقياً لم يعرف عنه التورط في الزلات والأخطاء الفاحشة، حتى يكون صلاحه مساعداً له في توفيقه للحق والهدى والرشاد. ومبدأ أهل السنة هو: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نلطح بها السنننا، وأن ما حدث بين الصحابة هو لون من الاجتهاد، لأن الصحابة في رأينا عدول.

ج - محبة آل البيت: يشترك أهل السنة والشيعة في تعظيم آل البيت ومحبتهم ومودتهم، لقول الله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (الشورى / ٢٣). قال قتادة: قال المشركون: لعل محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية ليحثهم على مودته ورعاية قرابته. وورد في الأثر: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفياه»^(١). ولا تصح الصلاة المفروضة أو النافلة إلا بالصلاة والسلام على النبي وآله الأطهار.

وهذه بارقة أمل وأساس التقاء في تحقيق الوفاق بين أهل السنة والشيعة، وإن قصر الشيعة مفهوم آل البيت على أصحاب العباة (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) ووسع أهل السنة المجال وقالوا: الأصح أنهم من حرمت عليهم الزكاة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس^(٢)، ويدخل أمهات المؤمنين مع آل البيت، لقوله تعالى في الآية الواردة في شأنهم ومطلعها: (يا نساء النبي...) وأخرها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (الأحزاب / ٣٣).

ط - الإسهام بتدبيج المقالات والبحوث المقارنة في المجالات الإسلامية الشيعية والسنية في سوريا ولبنان لتقريب وجهات النظر، وتخفيف حدة العصبية والتشنجات المذهبية، والمطالبة للحوحة ببناء جسور التعاون والتسامح والحوار.

هذه نماذج من مسيرة التقريب بين المذاهب في سورية وغيرها من بلاد الشام، وكلها نماذج عملية تجعل الفوارق الاجتماعية بين أهل السنة والشيعة تكاد تكون معدومة.

استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية

١ - العمل على تعميم ثقافة الحوار واللقاء والتفاهم بين السنة والشيعة، وتخفيف منابع

التعصب بينهما، وإشاعة روح التسامح والتوادر، وحسن الظن، وشحن النفوس المؤمنة بأصالة الثقة والطمأنينة، وتجنب كل ما يؤدي للفرقة والكرهية، واتباع ما تقرره مصادر التشريع الإسلامي الأساسية.

(١) أخرجه صاحب الفردوس وابن النجار عن علي رضي الله عنه، لكنه كما ذكر السيوطي ضعيف، والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال.

(٢) سبل السلام ١/ ١٩٣.

وغيض النظر عن الموروثات العتيقة وما شحنت به كتب الفريقين، وتداولته الألسن، وسرى أثره إلى العوام والجهلة الذين يضحّمون الأمور في الغالب، ويتعاطون ممارسات مستقبحة وتصرفات شائنة تبعد كل فريق عن الآخر.

ومصاب الأمة هو في تصرف هؤلاء الجهلة والعوام، والتورط بالكلمات النابية، والإشارات الشائنة، حتى في أثناء تلقين الموتى، والتبرؤ حينئذ من الصحابة وسبهم والطعن فيهم.

كذلك فإن سطحية طلاب العلم من كلا الفريقين وتعجيل الحكم على الآخرين، وعدم التعمق في فهم آراء الآخرين، وتبادل الاتهامات والتكذيب، وعدم التماس الأعذار في تقدير مواقف الآخرين، كل هذا يؤدي لتجسيد الفرقة وتقوية الخلاف.

٢- أن تكون هناك مواقف عملية لعلماء التقريب ومكاتب وفروع في الأقطار والبلدان الإسلامية، لتعميم أفكار التقريب، وأن يكون هناك غرض للنظر عن الماضي بما له وما عليه، وضرورة وجود تنازلات فعلية بحيث تكون الأحكام الشرعية أقرب لروح الشريعة ومقاصدها العامة، وصون سمعة المسلمين من الإساءة والتلوث بأفكار مستهجنة، علماً بأنه لا توجد مشكلة من أهل السنة الذين يحترمون منطلقات الشيعة. ومن المفيد الإكثار من مؤتمرات التقريب في موضوعات مختارة ومفيدة كل عام والحوار فيها.

٣- إن مجلة التقريب بين المذاهب تحتاج لتوسيع الانتشار والتوزيع لها، وعقد نافذة من النقاش في مختلف المسائل، وتمكين المتحدث والناقد من حرية التعبير دون فرض وجهة نظر معينة، فلقد جربت التعامل مع محرري بعض المجلات الشيعية، فوجدتهم يرفضون كل رأي يخالف رأيهم أو مذهبهم أو توجههم، ويبادرون إلى تخطئة الكاتب، مما يحدث عقدة وتجايفاً وترك الإسهام في مقالات أو بحوث أخرى، بل إنه لا يعجبهم ما يقوله بعض المحاضرين مما يخالف رأيهم، فمنبر الكتابة والمحاضرة يتميز بأنه منبر حر.

٤- يجب تقديم كل ما يحقق ويحفظ وحدة الأمة ويصون عزتها وكرامتها، ويجند كل طاقاتها وإمكاناتها لرد العدوان، وزج الطاقات كلها من أجل قمع عدوان المعتدين المستكبرين من الكفرة والظالمين الذين عقدوا العزم على قتل المسلمين جماعة إثر جماعة، كما يحدث في كل مكان، ولا سيما في العراق وأفغانستان وغيرها.

ولابد من إمداد جنود المقاومة والدفاع عن الأوطان بكل ما هو ممكن من المال والسلاح والرجال والتوجيه والتخطيط والتعاون لحمايتهم من الشرور، وعدم انتشار أو انتقال البلاء المستطير للشعوب الإسلامية الأخرى شعباً بعد شعب، وإشعار الناس أن المسلمين أمة واحدة فعلاً، لا سنة ولا شيعة.

كما يجب التفريق بين العمليات الفدائية والعمليات الارهابية، في العراق، كذلك نبذ كل فتاوى التكفير من فريق لآخر.

٥- لأبد من إصدار ميثاق يمنع كل أوجه النشاط والدعوة إلى الانتقال من مذهب إلى آخر، على عكس ما نشاهده الآن من نشر مذهب الشيعة في القرى والأرياف والبلدان السورية، والاعتماد في ذلك في الدرجة الأولى على بذل الأموال والمكافآت المادية مقابل التشيع، وهذا يناقض أبسط وجوه التقريب والتقارب، وهو عكس ما نطمح إليه جميعاً من زرع المحبة والثقة، لا النفور والبغضاء، والا كانت الأوضاع ذات ظاهري وباطني، فليس الشيعة قلائل حتى يكثّر جمعهم، وليس أهل السنة أصحاب العدد الأوفر والأكثر يضرهم انتقال مئات من السنية إلى الشيعة. هذا ما أصرح به، والا كان كل عملنا ومنهجنا في فراغ، ونعمل في الخفاء خلافاً لما هو واقع في العمل والتطبيق.

وليكن الشعار الأساسي المصون ألا وهو: (إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ريكّم فاعبدون). (الأنبياء/ ٩٢) هو السائد نظرياً وعملياً، والحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام قبل وجود المذاهب والفرق وتشعب المسلمين إلى أحزاب وجماعات متنافرة.



لجنة الحوار - مؤتمر الغدير (محمد سعيد الطريحي - الدكتور السيد مصطفى جمال الدين -

الدكتور عبد الكريم اليافي - الدكتور عبد الكريم الأشتر) - لندن، تموز يوليو ١٩٩٠

صفحة من تاريخ حلب

سيف الدولة الحمداني وغزوات الصليبيين

الاستاذة بتول مشكين فام^(١)

هذه دراسة تاريخية لها مؤشرات هامة في حياة المسلمين وعظمة وعبرة في حياتهم. إنها تصوّر لنا المواقف الجهادية العظيمة لدولة الحمدانيين أمام الصليبيين، وأهم من ذلك تعطينا صورة رائعة عن وحدة المسلمين آنئذ تجاه الغزو الاجنبي. فقد وقف أهل السنة الى جانب هذه الدولة الشيعية، ووقف الخراسانيون العجم إلى جانب سيف الدولة العربي ليدافعوا معا عن حياض الاسلام. وهي دروس رائعة نحن اليوم أحوج ما نكون اليها في مواجهة التحديات.

العباسيون والبيزنطيون

لقد حلّ بالخلافة الاسلامية خلال العصر العباسي ضعف شديد، وانحلال، ومصائب، فانتهر البيزنطيون هذه الفرصة للاغارة على بلاد الدولة العباسية. ففي سنة ٢٣٨هـ أغار البيزنطيون على سواحل مصر، واستولوا على دمياط^(٢) وتّيس^(٣) وعاثوا فيهما. وفي سنة ٢٤١هـ أغاروا في عهد المتوكل على مدينة عين زربة^(٤) القريبة من المصيصة^(٥)، وأسروا آلافاً من المسلمين، وأرغموهم على اعتناق المسيحية^(٦). وكذلك أغار البيزنطيون على الاراضي الواقعة شمالي العراق حتى بلغوا أمّ^(٧)، وأسروا نحو عشرة آلاف من المسلمين، فثار المتوكل لينتقم من البيزنطيين، فاستولى على بعض بلادهم جنوبي آسيا الصغرى سنة ٢٤٤هـ^(٨).

وفي عهد المستعين غزا المسلمون بلاد الروم واستولوا على بعض الحصون البيزنطية، وفي

١- مدرسة جامعة في طهران.

٢- دمياط: ثغر من ثغور الاسلام وهي مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل. الحمدي، ياقوت، معجم البلدان ٤٧٢/٢.

٣- تّيس = بكسرتين وتشديد النون، وباء ساكنة والسين مهملة: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر بين القُرا ودمياط، والفرما في شرقها. (المصدر السابق ٥١/٢).

٤- عين زربة أو عين زُرّي: بلد بالثغر من نواحي المصيصة (معجم البلدان ١٧٧/٤).

٥- المصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين النطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. (معجم البلدان ١٤٥/٥).

٦- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الامم والملوك ٣١٧/٥ ط، بيروت، ١٩٨٨ م / ١٤٠٨ هـ.

٧- أمّ: أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً. بلد قديم حصين ركين، مبني بالحجارة السود مطلة على دجلة. (معجم البلدان ٥٦/١).

٨- الطبري ٣٢١/٥.

هذه المعركة استشهد اثنان^(١) من أكبر قوَّاد المسلمين، فأثار نبأ استشهادهما حماسة العامة ببغداد. واستطاعت الروح الدينية أن تجتذب جموعاً كثيفة من الامصار القريبة للجهاد^(٢).

ولما تولَّى المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) الخلافة تقلَّصت الدولة العباسية الى حدود الجزيرة والعراق، وتجدَّد النزاع بين المسلمين والروم، وكانت كفة الحرب لصالح البيزنطيين^(٣).

أما موقف البيزنطيين من أحمد بن طولون والاشيدين فكان موقفاً ليناً الى حدِّ ما، فانهم هادنوا أحمد بن طولون سنة ٢٦٥ هـ، وأهدوا اليه عدة مصاحف مع عدد من أسرى المسلمين^(٤). وحاول الامبراطور رومانوس أن يتودد الى الاخشيد ويمدحه ويكاتبه دون الخليفة على غير ما جرت به العادة ذلك الوقت^(٥).

وقد أتاح اشتغال العباسيين بالثورات الداخلية الفرصة للبيزنطيين للايغال في البلاد الاسلامية، فحاصروا قلمية^(٦) القريبة من طرسوس سنة ٢٧٠ هـ^(٧) وأغاروا سنة ٢٩٢ هـ على مرعش ونواحيها^(٨)، وقصدوا سنة ٣٠٣ هـ حصن منصور وسبوا من كان فيه، كما أوقعوا بجند المسلمين في طرسوس وعاثوا فساداً بمرعش^(٩).

ورغم صمود المسلمين أمام هجمات البيزنطيين، كان النصر في أغلب الاحيان من نصيب العدو. وقد وقف البيزنطيون على مبلغ الضعف الذي حلَّ بالدولة العباسية، ولذلك نراهم يفرضون أداء الخراج على المسلمين المرابطين بالثغور ويؤكد الامبراطور البيزنطي على ضعف المسلمين عند فرضه هذا الخراج بقوله^(١٠):

«إن فعلتم ذلك طائعين، والا قصدتكم، فقد صحَّ عندي ضعفكم».

ويرى الباحثون أن انتصار الروم على المسلمين في القرن الرابع، لم يكن نتيجة ضعف العباسيين فحسب، بل إنه نتيجة تحوُّل عند الروم، فانهم أعادوا النظر في انظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واهتموا بالجيش وأعادوا تنظيمه وتكميله.

١- هما عمر بن عبيد الله الاقطع، وعلي بن يحيى الارمني اللذان يقول فيهما الطبري (٣٥٧/٥): «كانا ذابين من انياب المسلمين، شديداً بأسهما، عظيماً غناؤهما عنهم في الثغور التي هما بهما». ويقول صاحب مروج الذهب (٢ / ٤٥): «انهما كانا من اهل الباس والنجدة والمكيدة في النصرانية، حتَّى أن الروم صوروا في كنائسهم عشرة من كبار قواد المسلمين، من بينهم عمر بن عبيد الله، وعلي بن يحيى الارمني».

٢- حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢٣٣/٣، ط مصر ١٩٥٥م.

٣- المصدر السابق ٣٣٣/٣.

٤- الطبري ٥٢٠/٥.

٥- الأندلسي، ابن سعيد، المغرب في حُلَى المغرب ١٦٧/١ ط مصر ١٩٥٣.

٦- قَلَمِيَّةٌ؛ كورة واسعة براسها من بلاد الروم قرب طرسوس. (معجم البلدان ٣٩٢/٤).

٧- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم: الكامل في التاريخ، ٤٠٦/٧ ط بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

٨- المصدر السابق ٥٣٧/٧.

٩- المصدر السابق ٩٥/٨، ٩٦/٨.

١٠- تجارب الامم / ١٤٦.

الصليبيون والحمدانيون

عصر سيف الدولة كان متزامناً مع حكم الاسرة المقدونية (٨٦٨ - ١٠٥٧ م) التي بلغت الامبراطورية البيزنطية ذروة العزة والقوة في عهدها. وقد توالى على عرش هذه الاسرة سلسلة من الحكام البارزين مثل نقفور فوقاس، ويوحنا تسيمكس، وباسيل الثاني وكانت لهؤلاء نفوس متحفزة، قوية الشكيمة، وكان يغلب عليهم جميعاً الميل للاستبداد والعنف، ويتصرفون في كثير من الاحيان دون رحمة أو اعتبار للحرمة، وكانوا الى ذلك قادة حرب ماهرين، مبرزين^(١).

أما عن الجيش الرومي فقد كان يربو عدده في الموقعة الواحدة على مائتي ألف محارب أحياناً، وهم بعد ذلك من أجناس مختلفة بين روس وبلغار وروم وصقلب وأرمن وخزر، فجيش البيزنطيين على حد قول المتنبي^(٢):

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا يُفْهَمُ الْحَدَاتُ إِلَّا التَّرَاجِمُ

واذا درسنا غزوات الصليبيين لبلاد المسلمين في منتصف القرن الرابع نلاحظ تجهيز قواتهم العجيبة، حيث كانت عدة قواتهم تناهز مائتي ألف رجل، منهم ثلاثون ألف رجل بالجواشن، وثلاثون ألفاً للهدم وإصلاح الطرق من الثلج، وأربعة آلاف بغل يحمل الحسك الحديد^(٣).

كان نقفور قبل توليه القيادة والملك قائداً عاماً للقوات البيزنطية البرية والبحرية في الجبهة الغربية، وقد نجح فيما اخفق فيه كثير من القواد السابقين حينما استطاع استعادة جزيرة كريت من يد المسلمين سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م^(٤). ونقفور هذا حارب سيف الدولة عشرين سنة.

أما برداس أخو نقفور فقد التقى بسيف الدولة في عدة معارك، وعلى رغم كثافة جيوشه، لم يحرز نصراً واحداً، بل كان يفقد في كل معركة جانباً كبيراً من جيشه وعدداً خطيراً من بطارقه - أي قواده - ثم اكتمل سوء حظه حينما التقى بسيف الدولة قرب مرعش سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م - وفي هذه المعركة جرح برداس في وجهه، ووقع ابنه قسطنطين أسيراً في يد سيف الدولة فضلاً عن أسرى آخرين من قواده.

وكانت هذه المعركة من أكبر ما مر على البيزنطيين من نكبات، فبعدها حزن برداس حزناً شديداً على أسر ولده، ودخل الدير مترهباً. وفي ذلك يقول المتنبي^(٥):

فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلِيٍّ تَرْهَبُ تَرْهَبُ الْأَمْلَاقُ مَثْنَى وَمَوْحِداً

ويقول أبو العباس أحمد بن محمد النامي، شاعر سيف الدولة الحمداني^(٦):

١- الشكعة، مصطفي، سيف الدولة الحمداني / ١١٢.

٢- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، ١٠٠/٣، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

٣- الكامل في التاريخ ٥٤١/٨.

٤- العرب والروم لغازيليف / ٥٨؛ الشكعة / ١١١.

٥- شرح ديوان المتنبي ٧/٢.

٦- كانار، ماريوس، نخب تاريخية وأدبية جامعة لآخبار الامير سيف الدولة الحمداني / ٣٧٧.

لكنهُ طلبَ الترهّبَ خيفةً ممنْ لَهُ تتقصرُ الأعمارُ
فمكّان قائم سيفه عكازه ومكان ما يتمنطقُ الزنارُ

نوايا الصليبيين وأهدافهم

إذا درسنا غزوات الروم لبلاد المسلمين في فترة حكم الحمدانيين، وأمعنا النظر فيها، نرى أن الحروب الصليبية يبدأ عهدها من هذه الفترة، لا من فترة صلاح الدين الأيوبي في منتصف القرن الخامس للهجرة، وكانت غاية الروم في تلك الفترتين واحدة، والهدف واحد، ولكن أسماء المهاجمين تبدلت، والبستهم تغيرت، وأسلحتهم تطوّرت، فان قواد الروم المتعصبين، منهم نقفور فوقاس كان يسعى الى احتلال بيت المقدس، وهي الفكرة نفسها التي قامت عليها الحروب الصليبية بعد ذلك بقرن ونصف من الزمان^(١). فما هو نسمعه سنة ٣٥٤ هـ، وهو على منابر طرسوس يقول لمن حوله: أين أنا؟ فقالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا ولكني على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم من ذلك^(٢).

وقد أخذ هذا القائد يمهّد لفكرته الصليبية في القسطنطينية نفسها حين كان يظهر في أعياد الفصح مرتدياً ملابس غربية مذهبة، منتعلاً نعلًا مذهباً تشبهاً بالسيد المسيح. وكان إذا خرج لحرب الحمدانيين حشد في مقدمة جيشه البطارقة والقساوسة، وحمل الجنود الصليبان الكبيرة ليعطي الحرب صبغة دينية مقدسة^(٣) وكان الهدف الوحيد هو الانتصار على المسلمين، والاستيلاء على بيت المقدس!

ولم يألِ العدو جهداً في تخريب مساجد المسلمين، وتدنيس مكانتها، وإبطائها بحوافر خيولهم، كما نلاحظ ذلك في حوادث سنة ٣٣٩ هـ بمدينة سروج، وحوادث سنة ٣٤١ هـ وسنة ٣٥١ هـ وحاولوا إرغام المسلمين على التنصر واعتناق المسيحية، ففي حادثة سقوط طرسوس سنة ٣٥٢ هـ طلبوا من كل الذين يرغبون الإقامة في طرسوس اعتناق النصرانية، والا فعليهم دفع الجزية.

١- وقد بقيت هذه الفكرة وراء كل حرب يشنها الغرب ضد الاسلام والمسلمين. على الصعيد العسكري رأينا قائدهم في عصرنا الحديث يحتل أرض فلسطين ويقول: الآن انتهت الحروب الصليبية. ولم تنته بعد مدامت في المسلمين روح تستهدف استعادة عزيمتهم وهذه الحرب تتواصل اليوم على شكل هجوم ثقافي، ففي شهر حزيران الماضي بدأت قناة تلفزيون الشرق الاوسط بالبث من القدس، بتقنيات حديثة تغطي منطقة واسعة من البلاد العربية وغرب إيران. وتستهدف القناة بث افكار مشهود يهوه وهي حركة نصرانية حديثة تنتظر عودة السيد المسيح الى اسرائيل. وتدور برامجها حول محور تشويه صورة المسلمين والدعوة الى النصرانية.

وهكذا يلتقي على أرض القدس كل أعداء الاسلام من اليهود والنصارى ليشكلوا جبهة عسكرية وإعلامية وثقافية لمحاربة المسلمين. فإين المسلمون؟ وإين لجان القدس من هذه الحرب الشرسة؟! (التحرير)

٢- ابن العديم، كمال الدين، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان ١٤٣/١ ط دمشق ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

٣- سيف الدولة الحمداني لمصطفى الشكعة / ١٤٠ .

موقف المسلمين من غزوات الصليبيين

تنبه المسلمون للخطر الصليبي المحدق بالثغور الاسلامية، فتجهزت في خدمة سيف الدولة من أهله جماعة كثيرة^(١). وبدأت النجديات والامدادات من مال ورجال ومعدات تتواكب على حلب من الامصار الاسلامية وبخاصة من خراسان^(٢)، فلقد سمعوا بما أوقعه القائد البيزنطي الصليبي بإخوانهم في طرسوس والمصيصة وما أعمل فيهم من قتل وتعذيب، وإرغامهم على اعتناق النصرانية، وتخریب المساجد، وحرق منابرها، وامتهانها بجعلها حظائر للخيل. كل ذلك نبه المسلمين على الخطر الجديد، فتوافدت الآلاف من الجنود المسلمين مجهزين بسلاحهم، بين فرسان ورجالة، وانضموا الى جيوش سيف الدولة العربية، وبدأوا يندفعون الى الثغور الاسلامية لتحريرها، والانطلاق خلف الجيوش الصليبية للتأثر منها.

وإذا رجعنا الى المصادر التاريخية نلاحظ أن الجيوش الخراسانية وصلت الى البلاد الشامية في وجبات عديدة وفي أخرج الظروف. فقد وصلت جموع منهم في سنة ٣٥٢ هـ يريدون جهاد الصليبيين^(٣). فالتقوا بسيف الدولة وكان مريضاً فطلب منهم الرجوع لشدة الغلاء والوباء في المصيصة وطرسوس فرجعوا^(٤).

وفي سنة ٣٥٣ هـ وصلت الى حلب جموع من القوات الخراسانية في نحو خمسة آلاف، وصاروا في ركب سيف الدولة فمضوا الى المصيصة للجهاد، ولكن وجدوا جيش الروم قد انصرف عنها، وتفرقت جموع الخراسانيين لشدة الغلاء في الثغور بحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا الى خراسان^(٥).

وفي سنة ٣٥٥ - ٣٥٦ هـ قدمت الجيوش الخراسانية للمرة الثالثة، فالتقاهم أبو المعالي ابن سيف الدولة، وبألف في إكرامهم بالأطعمة والعلوفات، ورئيسهم أبو بكر محمد بن عيسى. وفي هذه المرة غزت القوات الخراسانية مع لؤلؤ الجراحي من أنطاكية الى ناحية المصيصة، فالتقاهم ثلاثة آلاف فارس من الصليبيين، فنصر الله هذه القوات وقتلوا ألفاً من الجيوش الصليبية، وأسروا جماعة منهم وعادوا بالغنائم الى أنطاكية^(٦).

١- يقال «إن أخت سيف الدولة صعدت يوماً الى برج فاطمت على الميدان ورأت بالميدان من أهلها ما يقارب عشرين ألف فارس. فقالت: لا إله الا الله يوشك أن تقدم الساعة على آل حمدان». ابن شداد، عز الدين : الذخيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة القسم الاول من الجزء الثالث ص ٣١٠، ط دمشق ١٩٧٨.

٢- نعم من خراسان.. اقصى شرق العالم الاسلامي.. هذا هو مظهر الحياة في الامة: إذا اشتكى منه عضو... فإين نحن اليوم من هذه الحالة التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري؟ أحدث مثل هذا «التداعي» في عالمنا الاسلامي اليوم بعد عشرة قرون مضت على تلك الحياة الاسلامية؟ (التحرير).

٣- زبدة الحلب ١/١٤٢: ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/٣٣٥ ط مصر.

٤- زبدة الحلب ١/١٤٢.

٥- مسكويه، ابو علي احمد بن محمد، تجارب الامم ٦/٢٠، ط مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م.

٦- المصدر السابق ٦/٢٢٨، النجوم الزاهرة ٤/١٢.

وأخيراً يروى أن سيف الدولة بلغه أن بعض أسرى المسلمين عند الروم قالوا: «إن ثقل على الأمير دفع فدية الأسرى كاتبوا بهذا الأمر صاحب خراسان». ويروى أن سيف الدولة اتهم ابن عمه أبا فراس الحمداني بهذا القول، وقال: ومن أين يعرفه صاحب خراسان؟ فانشد أبو فراس قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة، ويشير إلى خراسان التي كانت آنذاك في عون الأمير الحمداني وصارت مطمح الأسرى ورجاءهم لأمر الفداء أيضاً، ويقول^(١):

فإن خراسان وإن أنكرت علّاي، فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدون أمن نقص جدّ أم من نقص أب

هذه الرواية أيضاً تبين موقف الإيرانيين من أمر الحروب الصليبية التي دارت رحاها بين سيف الدولة والبيزنطيين وتؤكد على رجاء الأسرى المسلمين لنيل مساعدات الخراسانيين الذين هبوا في العصر الحمداني لنجدة إخوانهم العرب من منطلق إسلامي بحت، وبغض النظر عن الحواجز الجغرافية والقومية والمذهبية.

غزوات سيف الدولة لبلاد الصليبيين

ندب سيف الدولة نفسه لمهمة عظيمة طالما هيأ نفسه لها منذ شبابه، وهي النهوض بعبء الحرب ضد الروم البيزنطيين. غزا خلال فترة حياته الجهادية الصليبيين أربعين مرة. يرى صاحب النجوم الزاهرة^(٢) أن أول مغازي سيف الدولة كانت سنة ٣٢٤هـ، سار فيها إلى آمد ليقابل جيوش الدمستق المتحركة نحو هذه المدينة وسميساط^(٣) فحاربه، ووقع له معه أمور حتى ملك الدمستق سميساط وأمن أهلها.

وفي سنة ٣٢٦هـ سجل سيف الدولة انتصاره الأول أمام حصن زياد، فدخله عنوة. ثم خرج منه يقاتل جيشاً كبيراً أنقذه الروم يضم مائتي ألف جندي. وأدركه الروم بين حصني زياد وسلام، واقتتل الطرفان، فدارت الدائرة على الروم وأسروا منهم سبعين بطريقاً بعد أن ولّى الجيش منهزماً^(٤). وفي سنة ٣٢٨هـ. خرج سيف الدولة من نصيبين^(٥) غازياً، فنزل منازل كرد يريد مدينة قاليقلا، وكان الروم قد بنوا حذاءها مدينة هفجيج، فلما علم الروم بمسيره، أخبروا هذه المدينة وهربوا، فرجع سيف الدولة إلى مدينة أرزن حتى ينحسر الثلج، ويتمكن الغزو في الربيع، فخرج إلى خلاط ودخل بلاد الروم، فجاءه ملك أرمينية وخزران، وهو ملك عظيم، يقال أنه لم يطأ بساط

١- ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق التونسي / ٢٤، ط سورية ١٤٠٨ / ١٩٨٧.

٢- النجوم الزاهرة ٢٥٨/٣.

٣- سُميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن. (معجم البلدان ٢٥٨/٣).

٤- الروم في سياستهم وحضارتهم / ٣١.

٥- نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وبينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام (معجم البلدان ٢٨٨/٥).

ملك قط، فاحسن اليه وخلع عليه، واستحلفه على الطاعة، فأعلن بقية عمال هذا الملك أيضا الطاعة والانقياد لسيف الدولة، ثم سار الى ابن طرنيق وأناخ على مدينة موش فخربها، وهدم حصونا كثيرة، وفتح قلاعاً منيعة ببلاد الروم، ووطئ منها مواطئ لم يطأها أحد من المسلمين قبله.

وبعد هذه الغزوة وصله كتاب ملك الروم، فأرسل اليه جواباً حاداً، وأنفذه اليه. فقال الملك لرسول سيف الدولة: «يكاتبني هذه المكاتبه كأنه قد نزل على قلونيه»^(١) استعظماً لذلك. فلما وصل ما قاله ملك الروم الى مسامع سيف الدولة عزم على فتح هذه المدينة (قلونيه)، وقال راداً على بعض أصحابه الذين استعظموا فتح هذه المدينة: «لست ألق عن قصد هذه المدينة، فاماً الظفر واما الشهادة. فسار حتى نزل عليها، وأحرق رساتيقها، وسلب ضياعها، وكتب الى الدمستق، ومنه الى الملك كتاباً من قلونيه، فاستعظم الروم هذا الفعل، وخافوه خوفاً عظيماً، لانه بلد ماوطنه أحد من المسلمين»^(٢).

غزوات سيف الدولة بين فترتي ٣٢٩ - ٣٥٦ هـ

في سنة ٣٣٠ هـ دخل الروم حلب، ونهبوا، وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة آلاف إنسان^(٣). وفي سنة ٣٣١ هـ غزا الروم ديار بكر، ودارا، وأرزن، ونصيبين، وسبوا من أهالي هذه المدن جماعة كثيرة^(٤).

ومن هذه السنة نفسها، التمس الروم من أهل الرها أن يدفعوا اليهم المنديل الذي يزعمون أنه يحمل صورة وجه المسيح إزاء فداء أسرى المسلمين^(٥). وفي سنة ٣٣٣ هـ انتهاز الصليبيون فرصة اشتغال سيف الدولة بحرب الاخشيديين بحلب، وشنوا هجوماً على بغراس ومرعش^(٦)، فسارع سيف الدولة والتقى بالصليبيين في جيش كبير، وأوقع بهم هزيمة نكراء، وغنم غنائم كثيرة، واستنقذ الاسرى من أيدي الروم، ثم بلغه أن مدينة للروم تهدم بعض سورها، فاغتنم سيف الدولة الفرصة، وبادر فأناخ عليها، وقتل وسبى، ولكن أصيب بعض جيشه^(٧).

١- قلونيه: بلد بالروم، بينه وبين قسطنطينية ستون بريداً (المصدر السابق ٣٩٣/٤).

٢- نخب تاريخية / ٧٤، نقلاً عن ابن ظافر.

٣- الكامل في التاريخ ٣٩٢/٨.

٤- نخب تاريخية / ٧٩ و ٨١.

٥- الكامل في التاريخ ٤٠٥/٨.

٦- مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، وبها ريش يعرف بالهارونية. (معجم البلدان ١٠٧/٥).

وبغراس: مدينة في سفح جبل، بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ، (المصدر السابق ٤٦٧/١).

٧- النجوم الزاهرة ٢٨٣/٣.

وفي سنة ٣٣٥هـ تمّ الفداء بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي أمير الثغور لسيف الدولة، وكان عدد الاسرى ٢٤٨٠ أسيراً من ذكرواثنى، وفضل للروم على المسلمين ٢٣٠ أسيراً لكثرة من معهم من الاسرى، فوفاهم ذلك سيف الدولة من ماله^(١).

وفي سنة ٣٣٦هـ استولى الروم على حصن برزويه، وهو أحد الحصون الحربية الهامة، فانطلق سيف الدولة الى هذا الحصن، وأطال حصاره، فافتهم لاوون بن برداس الفرصة وحاصر قلعة الحدث^(٢). ونجح كل من القائدين في مهمته. استرد سيف الدولة حصن برزويه سنة ٣٣٧هـ.

التقى سيف الدولة بالروم سنة ٣٣٧هـ، ولكنه انهزم، فأخذ الروم مرعش وأوقعوا بأهل طرسوس^(٣).

وفي سنة ٣٣٩هـ فتح سيف الدولة سمندو وخرشنة^(٤)، بعد أن وافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف رجل بقيادة ابي حصين قاضي سيف الدولة، وأخذت الجيوش الحمدانية زحفها نحو صارخة، وهي منطقة قريبة من العاصمة القسطنطينية، فانهمز الجيش البيزنطي، وعند الرجوع أخذ الروم الدرب على الجيوش المسلمة، فاستشهد عدد كبير من المسلمين، وأسروا الامراء والقضاة من الحمدانيين، ونجا سيف الدولة في عدد قليل، ووصل من سلم في أسوأ حال^(٥). فعرفت هذه الحرب بـ «غزوة المصيبة»^(٦). ويعد هذا الانكسار، أرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة^(٧)، فجمع جيوش الموصل والجزيرة والشام والاعراب ودخل بلاد الروم، فقتل وسبى كثيراً، وعاد الى حلب سالماً^(٨).

وفي سنة ٣٤١هـ أخذت الروم مدينة سروج^(٩)، فاستباحوها^(١٠)، وسبوا وغنموا وخربوا مساجدها، وانصرفوا فتبعهم سيف الدولة وظفر بهم^(١١).

وفي هذه السنة بنى سيف الدولة مرعش بعد أن خربها الروم سنة ٣٣٧هـ، فجاء الدمستق ليمنع من بنائها، فقصده سيف الدولة، فولّى هارباً، فتمّ سيف الدولة عمارتها^(١٢).

١- الكامل في التاريخ ٤٦٨/٨ .

٢- الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسُميساط ومرعش من الثغور، (معجم البلدان ٢/٢٢٧).

٣- الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢٥٧/١، ط حلب ١٣٤٢/١٩٢٣م.

٤- سمندو : بلد وسط بلاد الروم . (معجم البلدان ٣/٢٥٣). وخرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم، سمي خرشنة باسم عامره، وهو خرشنة بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح(ع). (معجم البلدان ٢/٣٥٩).

٥- تجارب الامم ١٢٥/٦ .

٦- الروم في سياستهم / ٣٢ .

٧- تجارب الامم ١٢٥/٦ .

٨- النجوم الزاهرة ٣/٣٠٥ .

٩- سروج : بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر (معجم البلدان ٣/٢١٦).

١٠- الحنبلي، ابن العماد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٣٥٨/٢ ط بيروت.

١١- الحلبي الغزي، كامل بن حسين، نهر الذهب في تاريخ حلب ٤٨/٣ ط حلب ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦م.

١٢- زبدة الحلبي ١٢٢/١ .

وفي سنة ٣٤٢ هـ غزا سيف الدولة ملطية وشاطئ الفرات. وظل الجيش الاسلامي يضرب في الروم باسطاً سلطانه على سمنين وحصن الران وغيرها من المواقع، فانتهز العدو هذه الفرصة، وأغار على بعض الاطراف الاسلامية، فبلغ سيف الدولة هذا الخبر، فاسرع الى دلوک^(١) وعبرها، فهزم العدو على نهر جيحان^(٢). وكانت معركة رهيبة جرح فيها القائد البيزنطي الخطير برداس فوكاس، وأسر فيها ابنه قسطنطين الذي ظل مكرماً عند سيف الدولة حتى مات^(٣). وكانت هذه الهزيمة شديدة الوقع على القائد الصليبي فلم يتحمل إهانتها، ولذلك دخل الدير مترهباً^(٤)، كما أشرنا الى ذلك آنفاً.

سار سيف الدولة سنة ٣٤٣ هـ نحو ثغر الحدث لبنائها بعد أن أخضعها الروم ولمدة ست سنوات متوالية، وأسرع سيف الدولة في وضع أساس الحصن. ولما علم برداس فوكاس بذلك حشد خمسين ألفاً من الروم والأرمن والصقلب والبلغار والخزر، والتحم الجيشان، وكان النصر في هذه المعركة حليف المسلمين، وقتل خلالها نحو ثلاثة آلاف من الصليبيين، فضلاً عن عدد ضخم من الأسرى من بطارقة وجنود، وفي مقدمتهم تودس الأعور، وصهر فوكاس، كما أسر حفيد الدمستق. وكانت هذه المعركة مريرة بالنسبة للطرفين، ولكنها كانت مشرفة للمسلمين، مهينة للصليبيين، لأن هزيمتهم مع ضخامة جيشهم كانت هزيمة نكراء.

وبعد ١١ شهراً من تاريخ هزيمة البيزنطيين عاود الجيش الصليبي الكرة لاسترداد الحدث، ولكن سيف الدولة صد هجماتهم، وأحرز نصراً مؤزراً على الجيش الصليبي^(٥). وفي محرم سنة ٣٤٤ هـ ورد على سيف الدولة فرسان طرسوس وأذنة والمصيصة ومعهم رسول ملك الروم في طلب الهدنة والفضاء^(٦).

وفي جمادى الاولى من هذه السنة نهض سيف الدولة الى الثغر لما ورد عليه من أن الدمستق وجيوش النصرانية قد نزلوا على حصن الحدث، ونصبوا عليه مكاييد، فسار سيف الدولة من حلب، فلما قرب من الحدث رحل العدو الى حصن زعبان^(٧).

وفي سنة ٣٤٥ هـ واصل جيش المسلمين زحفه مزوداً بالسفن والاطواف التي عبرت عليها الجيوش نهر أرسناس، فسقطت في أيديهم مدينة تل بطريق. وأسر في هذه المعركة القائد أبو العشائر

١- دلوک: بلدية من نواحي حلب بالعواصم. (معجم البلدان ٤٦١/٢).

٢- نهر جيحان نهر يخرج من بلاد الروم حتى ينتهي الى المصيصة ثم الى رستاق يُعرف بالملوان، (النصيبى، ابو القاسم ابن حوقل: صورة الارض/ ١٦٨ ط بيروت، لا. ت).

٣- نهر الذهب ٤٩/٣.

٤- زبدة الحلب ١٣٣/١.

٥- نخب تاريخية / ١٠٦ وما بعدها.

٦- نهر الذهب ٥٢/٣.

٧- نهر الذهب ٥٤/٣.

الحمداني وحمل الى القسطنطينية حيث مات بها^(١). ورغم ذلك واصل سيف الدولة الغزو وفتح عدة حصون، وبلغ خرشنة وصارخة. وانتهاز الصليبيون فرصة وجود سيف الدولة في بلادهم، فأرسلوا جيشاً عن طريق الاطراف الى ميافارقين، أنزل الرعب في قلوب الناس، وخرب ونهب وأحرق وسبى^(٢). وفي هذه السنة غلب الصليبيون على طرسوس، فقتلوا من أهلها ألفاً وثلاثمائة رجل وسبوا وحرّقوا قراها^(٣).

وفي سنة ٣٤٨ هـ مات قسطنطين بن لاون ملك الروم، وصير نقفور فوقاس دمستقاً (قائداً) على حرب المغرب، وأخاه ليون دمستقاً على حرب المشرق، فتجهز ليون الى نواحي طرسوس، وسبى، وقتل، وفتح حصن الهارونية القريبة من مرعش، وسار الى ديار بكر^(٤). وفي هذه السنة أيضاً ظفر الروم بسرية من المسلمين، وأسروا أميرها محمد بن ناصر الدولة، ثم أغاروا على الرها وحران^(٥)، فقتلوا وسبوا^(٦).

وفي سنة ٣٤٩ هـ جهّز سيف الدولة ثلاثين ألفاً، فسار بهم نحو خرشنة القريبة من ثغور الروم بعد أن فتح عدة حصون بيزنطية، وقد مكّنه البيزنطيون أن يتوغل في بلادهم، ومازالوا حتى طوّقه في ممر جبلي يدعى مغارة الكحل. ورغم كل ما بذله رجال سيف الدولة من الحنكة والبطولة ومقاومة العدو، فإن النصر لم يحالفهم هذه المرة، فخسر الأمير وأضاع جيشه كله، ونجا هو وثلاثمائة من خلّص رجاله بكثير من الجهد والمشقة^(٧). ومن الذين قتلوا في هذه المعركة القاضي أبو الحصين^(٨)، ومن الذين أسروا أبو فراس الحمداني^(٩).

وفي سنة ٣٥٠ هـ سار قفل عظيم من انطاكية الى طرسوس، ومعهم صاحب انطاكية، فخرج عليهم كمين للروم، فأخذ من كان فيها من المسلمين، وقتل كثيراً منهم، وأفلت صاحب انطاكية ويه جراحات^(١٠).

وفي شهر رمضان من هذه السنة دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين غازياً، وسبى ألفاً وغنم أموالاً^(١١).

١- نخب تاريخية / ١١٥ وما بعدها.

٢- الكامل في التاريخ ٥١٧/٨.

٣- شذرات الذهب ٣٦٩/٢.

٤- زبدة الحلب ١٢٩/١.

٥- حرّان : مدينة عظيمة مشهورة بنيتها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، (معجم البلدان ٣٢٥/٢).

٦- شذرات الذهب ٣٧٦/٢.

٧- تجارب الامم ١٨٠/٦ الروم في سياستهم / ٣٥.

٨- تجارب الامم ١٨٠/٦.

٩- سيف الدولة الحمداني للكياي / ٩٤.

١٠- الكامل في التاريخ ٥٣٦/٨.

١١- النجوم الزاهرة ٣٢٧/٣.

وفي هذه السنة نقل الملك رومانوس الى حرب المشرق نقفور فوقاس فسار اليه رشيق النسيمي أمير طرسوس في حمية من المسلمين، فبرز نقفور فقاتله، وانهزم رشيق، وقُتل من المسلمين زهاء تسعة آلاف رجل^(١).

وفي سنة ٣٥٠ - ٣٥١ هـ ورد الصليبيون عين زربة في مائة وستين ألفاً، فملكوا الجبل المطل على هذه المدينة، واستباحوا الناس العزل فيها، وهدموا منازلهم، وأخذوا مافيها من المتاع والاموال، وأحرقوا المسجد الجامع.

وفي هذا الاحتلال الشنيع تعرض بعض الأرمن لنساء المسلمين، فثارت غيرة الرجال وجروا السيوف، فاغتاط الدمستق منهم، وأمر بقتل الجميع، وكانوا أربعمائة رجل، وقتل النساء والصبيان، ولم يترك الا جارية حدثه، ومن يصلح أن يسترق^(٢).

خرج الدمستق من هذه المدينة ليعود اليها بعد عيد الفطر، وركن الى الهدنة في قيسارية^(٣). وبعدها اتجه نحو حلب ومعه جيش مؤلف من مائتي ألف محارب، فخرج اليهم سيف الدولة ليقابل هذا الجيش بأربعة آلاف من رجاله، ولما كان منهمكاً بالقتال شن نقفور هجوماً على حلب، ليستولي عليها وقد أمكن له ذلك؛ لأن بعض اللصوص انتهزوا الفرصة واعتدوا على الناس، ونهبوا أموالهم، فهال الأمر على أهالي المدينة، فانصرفوا لحماية بيوتهم، وصيانة حرمانهم، فلماً رأى الروم السور خالياً من الناس قصدوه وصعدوه وفتحوا الابواب ودخلوا حلب. واستباحوا - كعادتهم المألوفة - الناس فيها، وأعملوا السبي والحريق لمدة ستة أيام، ولم يرفعوا السيوف حتى تعبوا وسبوا من الصغار بضعة عشر ألف صبي وصبية، وأفسدوا تموين المدينة، وأحرقوا مسجدها، وخربوا قصر الحلبة، أجمل قصور حلب، ونهبوا كل ماكان فيه من سلاح وعتاد وحلي وحرير وديباج وأوان ذهبية^(٤).

لم يبق نقفور في حلب، بل تركها لاسباب مختلفة يذكرها المؤرخون. ولما رحل الروم عن حلب، عاد سيف الدولة اليها، وعمر ما خرب منها^(٥).

أثارت أحداث حلب المؤلة ضجة في العالم الاسلامي، فاجتمع المسلمون في بقاع شتى في المساجد. ففي الموصل أغلق أهلها الاسواق، واجتمعوا في المسجد الجامع ومضوا الى ناصر الدولة، فضمن لهم الغزو^(٦). ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الابواب وذهبوا الى باب الخلافة، ووبخوا الخليفة المطيع لله بكائنة حلب^(٧)، وطلبوا منه أن يخرج الى الغزو ويأخذ بثأر أهل حلب، فوكلهم الى معز الدولة، فألحوا عليه وقالوا: «لا نقنع الا بخروجك أنت، وأن تكتب الى سائر الآفاق، وتجمع الجيوش، والا فانهزل لنوأي غيرك»، فغاضه كلامهم. ثم وجه الى دار معز الدولة

١- زبدة الحلب ١/ ١٣٢ . ٢- نخب تاريخية / ١٣٩ .

٣- قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تُعد من اعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. (معجم البلدان ٤/ ٤٢١).

٤- تجارب الامم ٦/ ١٩٤ ؛ الكامل ٨/ ٥٤٠ .

٥- زبدة الحلب ١/ ١٤٥ . ٦- نخب تاريخية / ١٦٥ .

٧- حادثة عظيمة تستحق الوقوف عندها طويلاً. الجماهير تتجمع حول قصر الخليفة توبّخه لأنه لم يثار لأهل حلب. إنها تكشف عن روح جهادية وغير إسلامية مدهشة (التحرير).

فركب ومعه الاتراك، فصرفهم صرفاً قبيحاً^(١).

ثم جاءت الاخبار بموت طاغية الروم، وأن الخلف واقع بينهم في من يملكونه. فطمع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة، وأوقعوا بالروم، وانتصروا عليهم، وعادوا بغنائم لم ير مثلاً.

وبعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازياً، فسار الى حران، وعطف على ملطية، فمالأ يديه سبياً وغنائم ثم خرج الى آمد^(٢).

وفي سنة ٣٥٣ هـ سار الروم نحو مدينة أذنة القريبة من المصيصة، فاستنجد أهلها بأهل طرسوس، فجاءهم خمسة عشر ألفاً من فارس وراجل، فالتقوا واشتد القتال ودارت الدائرة على الصليبيين، وبعد قتال دام يومين أحاط الروم بالمسلمين واستأصلوهم^(٣).

وهرب أهل أذنة الى المصيصة، فحاصرها نقفور، ولكنه لم يقدر على فتح هذه المدينة لصمود المسلمين ودفاعهم عنها، وقلة الميرة عندهم. فانصرف بعد أن أحرق ما حولها^(٤).

وفي هذه الفترة الحرجة - كما قلنا سابقاً - تصل قوات كثيرة من خراسان لتجاهد في سبيل الله، وتنقذ بلاد الاسلام من دنس الصليبيين، فتقصد مع سيف الدولة المصيصة المحاصرة، ولكن عندما يصلون اليها يرون أن القوات الصليبية قد رحلت عن هذه المدينة فتتفرق جموعهم لعظم الغلاء والوباء.

أمّا طرسوس فقد نزل ملك الروم عليها سنة ٣٥٣ هـ، واشتد القتال بين الصليبيين وأهالي طرسوس، وأسر أهل طرسوس بطريقاً كبيراً من بطارقة الروم، وأخيراً اضطرت القوات الصليبية أن تترك طرسوس بعد محاصرة دامت ثلاثة أشهر لشدة الغلاء والوباء^(٥).

وبعد سنة قرر نقفور أن يقوم بحملته الكبرى للقضاء على هذه الامارة الفتية التي شغلت بيزنطية عشرين عاماً كاملاً. وكان أول عمل قام به أن انقضّ على المصيصة ففتحها عنوة بالسيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقي في المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان.

وإذ قضى نقفور على المصيصة اتجه الى طرسوس، فحاصرها حصاراً شديداً، فأذعن أهلها بالطاعة، وأخذ يشترط عليهم أن ينزح أهل طرسوس عن البلد، وأن لا يأخذوا معهم الا ما يستطيعون حمله، وأن تؤول جميع الدور والضياع الى الصليبيين، وأن يترك كل من أحب المقام في طرسوس دينه، وأن يعتنق النصرانية، والا يدفع جزية وهو على دينه^(٦).

فسار أهل طرسوس عنوة في البر والبحر، ومعهم من يحميمهم الى أنطاكية، ولقيهم أهل هذه

١- النجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٥.

٢- النجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٦.

٣- الكامل في التاريخ ٨/ ٥٥٢.

٤- نخب تاريخية / ١٦٥.

٥- المصدر السابق، زبدة الحلب ١/ ١٤١.

٦- تجارب الامم ٦/ ٢١٠ وما بعدها.

المدينة بالبكاء والنحيب، وكان في مقدمة الطرسوسيين رجل يُقرأ: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله..)^(١). ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلًا لدوابه، ونقل ماكان فيه من قناديل الى بلده، وأحرق المنبر وقُلْد البلد بطريقاً من بطارقتة في خمسة آلاف رجل، وقُلْد المصيصة بطريقاً آخر^(٢). وفي سنة ٣٥٤ - ٣٥٥ هـ ورد الخبر باجابه نقفور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة والفضاء. فاطلق سيف الدولة من كان من القواد، كما أطلق نقفور عيون رجال سيف الدولة، وكان بينهم ابو فراس ومحمد بن ناصر الدولة وغيرهم من رجاله وغلمانه^(٣). وفي سنة ٣٥٥ هـ سار طاغية الروم بجيوشه الى الشام، فعات وأفسد، وأقام به نحو خمسين يوماً، فبعث سيف الدولة يستنجد اخاه ناصر الدولة. فأعلن ناصر الدولة استعدادده لمساعدة سيف الدولة على أية حال.

وفي هذه السنة أصدد سيف الدولة الناس الى قلعة حلب، وشحنها وانجفل الناس وعظم الخطب، وأخلت نصيبين، ثم نزل طاغية الروم بجيوشه على منج، وأحرق الريض وتحرك منها الى وادي بطنان. وسار سيف الدولة متأخراً الى قنسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الصليبيين، فلم يتركوا لهم علوفة تخرج الا أوقعوا بها. وأخذ الصليبيون أربع ضياع بما حوت، فراسل سيف الدولة ملك الروم ويدل له مالاً يعطيه إياه في ثلاثة أقساط، فقال: لا أجيبه الا ان يعطيني نصف الشام، فان طريقي الى ناحية الموصل على الشام. فقال سيف الدولة: لا أعطيه ولا حجراً واحداً. ثم جالت القوات الصليبية بأعمال حلب، وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر ونزل طاغية الروم على أنطاكية يحاصرها ثمانية أيام ليلاً ونهاراً، ويدل الامان لاهلها فابوا إطاعتهم والانقياد اليهم، فتأجزهم الحرب من جوانبها، فحاربوه أشد حرب، وكان عسكره معوزاً الى العلوفة. وفي هذه السنة خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها، وحاصروها وقتلوا اهلها، فقتل منهم ثلاثمائة رجل، وأسر نحو اربعمائة أسير، ولم يمكنهم فتحها فانصرفوا الى دارا وقربوا من نصيبين خوفاً منهم^(٤).

وفي سنة ٣٥٢ هـ أصيب سيف الدولة بفالج في يده ورجله، وفي سنة ٣٥٦ هـ لبى نداء ربه. وكان قد أوصى بأن يوضع خده في لحده على لينة بقدر الكف جمعها مما علق بثيابه ودروعه وسلاحه من غبار غزواته للصليبيين. ونفذت وصيته^(٥).

وبذلك انقضت تلك الصفحات الطويلة من كفاح سيف الدولة الذي دوخ أكبر امبراطورية في زمانه. ولم يغمد سيف جهاده الى آخر لحظة من حياته.

١- نهر الذهب ٦٣/٣، والآية في سورة الحج (٣٩ - ٤٠).

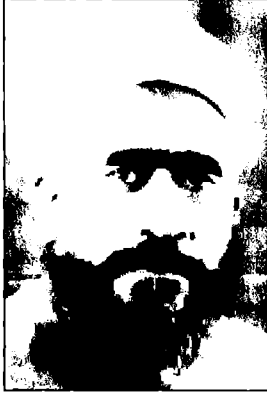
٢- تجارب الامم ٢١١/٦.

٣- التنوخي، الحسن بن علي: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ٢٨١/١ ط بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.

٤- الكامل في التاريخ ٥٧٢/٨. ٥- اعلام النبلاء ٢٧٨/١.

السيد محمد سعيد العرفي

(١٣١٤-١٣٧٥ هـ = ١٨٩٦-١٩٥٦ م)



تعاكسني الأيام فيما أرومه

إلى العرب إصلاحاً يجل ويعظم

العرفي

في مطلع القرن العشرين كان الجهل والققر يخيمان على وادي الفرات، من هذه البيئة وفي ظروف صعبة قاسية نبغ السيد محمد سعيد العرفي، فكان عالماً عاملاً مجاهداً مخلصاً، نذر نفسه لخدمة أمته العربية والإسلامية، فأعطى الكثير الكثير وترك بصماته واضحة على صفحات العلم والإصلاح.

ولد في مدينة دير الزور قاعدة محافظة الفرات يوم الاثنين ٤ رجب ١٣١٤ هـ الموافق ٢٢ تشرين الثاني ١٨٩٦ م، وتوفي فيها يوم الأربعاء ٨ شعبان ١٣٧٥ هـ الموافق ٢١ آذار ١٩٥٦ أثر مرض عضال.

حياته العملية،

قرأ القرآن الكريم في الكتاب، ثم حصل على شهادة المدرسة الرشدية بدير الزور وتشتمل على المرحلتين (الابتدائية والإعدادية).

أجازه العلامة الشيخ حسين الأزهري مفتي محافظة الفرات والجزيرة. والعلامة الشيخ بدر الدين الحسني محدث الشام، والعلامة الشيخ محمد السحيمي الشرقاوي شيخ الشافعية بمصر، والعلامة الشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر.

أنتخب عام ١٩٤٢ م عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وهبه الله ذكاء فطرياً حاداً وحافظة قوية جداً وسرعة القراءة ودقة الملاحظة وحضور البديهة، ما جعله عالي الثقافة واسع الإطلاع.

برع في علوم اللغة العربية والتفسير والحديث والفقه والأصول والسيرة والتاريخ مع معرفة بالعلوم العسكرية والعلوم الحديثة، وكان يتابع كل إنتاج ثقافي جديد.

كان خطيباً من الطراز الأول، ويقول الشعر، يجيد اللغة التركية ويلم باللغات الفارسية والهندية والفرنسية.

ترك مؤلفات - المطبوع منها: كتاب (سر انحلال الأمة العربية ووهن الإسلام - العبادات) وكتاب (هتلر والعرب المسلمون) وكتاب «المقالات الدينية»، ومحاضرة (اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية) ومحاضرة (بماذا يتقدم المسلمون) ومحاضرة (موجز الأخلاق المحمدية) ومحاضرة (الدين والحياة اليومية) وهذه الأخيرة ألقاها بكلية المعلمين ببغداد عام ١٩٥١ م نقلتها الإذاعة العراقية في حينها وإذا عتتها بعد ذلك عدة مرات.

أما آثاره المخطوطة: فهي الجزء الأول والثاني وقسم من الجزء الثالث من كتاب (شرح رياض الصالحين) وكتاب (سيرة خالد بن الوليد) والجزء الثاني من كتاب (المقالات الدينية) ومجموعة (الفتاوى التي أصدرها) ورواية (العصر المظلم) ومجموعة (محاضرات ومقالات ورسائل). وفقدت له مؤلفات مخطوطة منها: «تفسير القرآن الكريم» - مطول ومختصر و(الموسوعة الدينية) وكتاب (النقد الصريح لترجمة البخاري والصحيح).

وكتاب «تقمص الخوارج في المذاهب الإسلامية» وكتاب «وسائل الاستعداد ودسائس الأوربيين» وكتاب (تذكرة نائب) وكتاب (تاريخ دير الزور) وكتاب (ثروة النجاة) وكتاب (ترجمة العلامة الشيخ حسين الأزهرى) ورواية (البائس الشرقي) ورسالة (في الرد على أفتى بفكر الفلاسفة) ورسالة (في العروض) و (ديوان النحاس) وهو مجموعة قصائد أختارها لعدد من الشعراء.

وعندما كان بمصر قام بتأليف وتحقيق وتصحيح كثير من الكتب أو التعليق عليها ذكر قسما منها في بعض مؤلفاته وتحقيقاته والكثير منها لم يذكر اسمه عليها ولم نتمكن من حصرها وبيان عناوينها، وبعض مؤلفاته كتبها لأدباء ومؤرخين وضعوا أسمائهم عليها ونسبوها لأنفسهم، ويبدو أن معظم مطبوعات المطبعة المنيرة بالقاهرة كانت من إنتاجه، ومن هذه الكتب: كتاب (ترجمة البخاري)، وكتاب (منحة الديان على مختصر شعب الإيمان)، وتحقيق كتاب (صحيح البخاري بتعليق النووي) وكتاب (الكامل) وكتاب (النهاية) لابن الأثير وكتاب (المفصل لابن يعيش) وكتاب (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي). والتعليق على كتاب (الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر)، وكتاب (بستان العراقيين للنووي)، وتصحيح الجزء الرابع من كتاب (الروض النضير شرح المجموع الكبير)، وله تقرير حسن أو بالأصح مقدمة جميلة على الكتاب المذكور أعيد طبعها مع الجزء الأول من كتاب (المقالات الدينية).

وله مقالات ومناقشات ورسائل منشورة في المجالات والصحف السورية واللبنانية والمصرية والعراقية، وبذل جهوداً أثناء العهد الفيصلي لإنشاء المدارس وتعميمها في سورية.

عرفته منابر جوامع ومساجد ونوادي معظم البلاد العربية، وكانت بالخطب والدروس الخاصة والعامة التي يلقيها في دير الزور ودمشق وإنطاكية والقاهرة ملتقى العلماء والأدباء وطلبة العلم، إضافة إلى الجموع الغفيرة من الجماهير من مختلف طبقات الشعب، ما جعل لها الأثر الفعال في محاربة الجهل ونشر العلم وحر دعاة الجمود وأهل البدع والأهواء ودعاة الإلحاد والانحلال. وإن الكثير من المؤلفين والكتاب وطلبة الدراسات العليا يرجعون إليه ولا زالوا

يستشهدون بأرائه وأقواله. ولولا انشغاله بالسياسة وخدمة المصلحة العامة وقضاء حوائج الناس لكان إنتاجه العلمي أكثر مما هو عليه.

وقد كتب في المواضيع الهامة وركز على فكرة العروبة والإسلام وهاجم الشعوبيين والصهاينة والمبشرين، ونقد العقائد الفاسدة وحارب التعصب المذهبي ودعا إلى جمع شمل المسلمين وتحرير الفكر الإسلامي. وامتازت كتاباته وخطبه بالجرأة وبعد النظر والشمولية، مما جعله يسبق عصره.

اعتقله الفرنسيون مرتين وفي كل مرة كانوا يصادرون مكتبته الخاصة ومن ضمنها بعض مؤلفاته المخطوطة، وعند مرضه تسلط البعض على مكتبته الخاصة الضخمة فأضاعوا معظمها ومنها بعض مؤلفاته المخطوطة، وما تبقى من الكتب تقرر أن تكون نواة المكتبة عامة تلحق بالمسجد الجامع لمدينة دير الزور المعروف باسمه.

حياته السياسية:

ساهم بالثورة العربية الكبرى حيث كان يكلف بمهام خاصة عندما كان ضابطاً في الجيش التركي واستمر كذلك طوال وجود المغفور له الملك فيصل بن الحسين - فيصل الأول - في سورية. وعند دخول الإنكليز دير الزور تصدى لمحاربتهم وكان له دور فعال بالثورة التي قامت بدير الزور عام ١٩١٩ م تلك الثورة التي كان مقرر لها أن تكون بداية لثورات تشمل بلاد العراق والشام لإجبار الإنكليز والفرنسيين على أنصاف العرب وإعطاءهم حقوقهم لكن أحدهم أخبر الضابط البريطاني (شامير) بالمخطط.

وعندما استعمر الفرنسيون سورية حاربتهم بدون هوادة وكان المحرك للثورات التي قامت في وادي الفرات والتي كبدت الفرنسيين ألوف القتلى ومع الأسف فإن تلك الثورات لم يذكرها إلا القليل من المؤرخين، فنفاه الفرنسيون إلى إنطاكية عام ١٣٤٢ هـ ١٩٢٢ م وبقي فيها سنة واحدة عاد بعدها إلى دير الزور. فنفاه الفرنسيون مرة ثانية إلى إنطاكية في ١٠ محرم ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٤ م وبقي فيها ثلاث سنوات، وفي عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٦ م تمكن من مغادرة إنطاكية وبقي ملاحقاً يتردد بين حلب ودمشق وعمان والقدس إلى أن تمكن من دخول مصر في محرم ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٨ م فاستقر في القاهرة وبقي فيها إلى شهر محرم ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م ثم عاد إلى دير الزور بعد أن صدر عضو عنه، وكانت فترة نفيه وإبعاده أياماً قاسية جداً مادياً ومعنوياً وكان يعيش من عمله بالكتب عيشة الكفاف حيث رفض أن يقبض الراتب المخصص له من الحكومة السورية المستعمرة من فرنسا، كما رفض قبول الهدايا والمساعدات التي قدمت له من أصدقائه ومحبيه.

واستمر بمحاربة المستعمرين الفرنسيين فقاد الحركة الوطنية بمحافظتي الفرات والجزيرة من عام ١٩١٣ م.

انتخب عام ١٩٣٦ م نائباً عن مدينة دير الزور في المجلس النيابي السوري فكانت له مواقف وطنية مشرفة، وقد رفض الاشتراك في الحكم خلال فترة استعمار فرنسا لسورية وبعد الاستقلال اعتزل العمل السياسي.

عمل من أجل القضية الفلسطينية، وكان عضواً في مؤتمر مكة العربي عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م المنعقد من أجل فلسطين، وعضواً في مؤتمر بلودان المنعقد عام ١٩٣٧ م من أجل القضية الفلسطينية، وعضواً في المؤتمر البرلماني العالمي في القاهرة عام ١٩٣٨ م.

حياته الوظيفية:

بدأ حياته عاملاً بالنسيج على النول مع والده، ثم ضابطاً بالجيش التركي، عام ١٩١٨ م استلم نيابة المحكمة الشرعية بدير الزور، فمهامياً للخزينة فوكيلاً لمدير دير الزور، فمديراً للمعارف بالوكالة بدير الزور. وبعد عودته من المنفى مارس فترة من الزمن ثم عين المدرس الأول بدير الزور، وفي عام ١٩٣٣ م عين رئيساً للجنة أوقاف الفرات والجزيرة، وكان يقوم بأمانة الفتوى، وبعد وفاة أستاذه العلامة الشيخ حسين الأزهرى انتخب عام ١٩٣٩ م مفتياً لمحافظة الفرات والجزيرة ثم فصلت محافظة الجزيرة فبقي مفتياً لمحافظة الفرات حتى وفاته، وفي عام ١٩٥٠ م انتخب عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى في سورية ومن عام ١٩٥٢ حتى عام انتخب رئيساً لهذا المجلس، وكان رئيساً لمجلس أوقاف دير الزور حتى وفاته، وخطيباً للجامع الكبير بدير الزور الكائن في منطقة (الدير العتيق) ثم انتقل إلى الجامع الحميدي بعد أن وسعه.

أخلاقه وشمائله:

كان يتحلى بالأخلاق المحمدية ويحافظ على العادات الإسلامية تقياً ورعاً متواضعاً، يميل إلى الزهد والتقشف في مأكله وملبسه ومناحه. زاده الله بسطة في العلم والجسم. فكان يعمل دون كلل ولا ملل، أبي النفس كريماً وفيماً جريئاً شجاعاً كساه الله هيبه ووقاراً، وكان بعيداً عن التزمت حلو المعشر. يجيد السباحة وركوب الخيل، ويهوى الصيد. وهو من أمهر الرماة بالسدس والبارودة.

حياته الاجتماعية:

كان يعطف على الفقراء والمساكين ويرعى الأيتام والأرامل والمستضعفين ويقضي حوائج الناس ويحل مشاكلهم ويعمل على إصلاح ذات البين على المستوى الفردي والجماعي، وكان مرشداً وداعية للإصلاح أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر محباً للخير وللصلحة العامة، حراب الربا والمرايين ودعاة الجمود والانحلال والمروجين للعشائرية والتفرقة، واستطاع القضاء على الكثير من العادات الفاسدة والأخلاق الذميمة.

قام بإعمار العديد من المساجد والجوامع والمكتبات والمدارس والجمعيات الخيرية ودور الأيتام. زار معظم البلاد العربية، وله صداقات متينة مع الكثير من رجالات العالم العربي.

والإسلامي، وقد كتب عنه الكثير من المؤلفين والمؤرخين منهم: الأستاذ محمد كرد علي والأستاذ عمر رضا كحالة والأستاذ خير الدين الزركلي والأستاذ أدهم الجندي والأستاذ المحامي ظافر القاسمي والشيخ عبد اللطيف فرفور من سورية، والشيخ هاشم الدفتردار والشيخ محمد علي الزعبي والأستاذ نزار الزين من لبنان، والأستاذ تيسير ظبيان من الأردن، والشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والشيخ حسين البنا والأستاذ إبراهيم المصري من مصر، والسيد الأهدلي من اليمن.

أحبه كل من عرفه، وله محبة خاصة في قلوب أبناء الفرات والجزيرة وهم يقدرّون مواقفه وخدماته فعندما رأى أن مدينته بحاجة إليه ضحى بكل شيء ورفض المناصب العالية التي عرضت عليه في دمشق وبعض عواصم البلاد العربية وعاش في دير الزور فجعل لها شأناً وكياناً، مع أنه كان يردد دائماً (إن الحيتان الكبيرة لا تعيش في الأنهار الصغيرة وإنما تعيش في البحار والمحيطات، ومن الأيام المشهورة بدير الزور يوم عودته من منفاه عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م فقد وصلت طلائع المستقبلين إلى موقع (المالحة) الذي يبعد حوالي ١٥ كم جنوب دير الزور على طريق دمشق وأقيمت الحفلات الضخمة لتكريمه.

ويوم نعته الإذاعة السورية عصر الأربعاء ٨ شعبان ١٣٧٥ هـ ٢١ آذار ١٩٥٦ م أغلقت مدينة دير الزور يوم الخميس وشيعت الجنازة ومعها الجموع الغفيرة التي توافدت إلى دير الزور من أبناء مدن وقرى محافظتي الفرات والجزيرة وأبناء العشائر والحزن والأسى يعلو الجميع. ونعته الصحف والمجلات في سورية ولبنان.

أطلق اسمه في مدينة دير الزور على المسجد الجامع وعلى أحد الشوارع الرئيسية وعلى مدرسة ثانوية وعلى حديقة عامة.

رحم الله العلامة السيد محمد سعيد العرفي فقد دخل ميدان الجهاد وحيداً منذ مطلع شبابه وحارب على عدة جبهات بأن واحد، ومع قلة الإمكانيات والموارد وكثرة الأعداء انتصر بعون من الله في كل المعارك التي خاضها واستطاع وهو الفرد أن يهزم جموع البغي والضلال.

مؤلفاته المطبوعة:

٢. الكتب:

- ١- كتاب (سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين) أنهى تأليفه عندما كان منفياً في مصر - القاهرة ١٣٤٩-١٩٣٠ م كانت الطبعة الأولى منه بدمشق عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م وطبع منه خمسة آلاف نسخة بالطبعة الثانية بدمشق عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م نفذت جميع النسخ.
- ٢- كتاب (موجز سيرة خالد بن الوليد) كان محاضرة القاها في مصر - القاهرة عندما كان منفياً وذلك عام ١٣٤٩-١٩٣٠ م نشرت في حينها بمجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، ثم طبع الطبعة الأولى بدمشق عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م.

٣- كتاب (مبادئ الفقه الإسلامي - الجزء الأول - العبادات) ألفه بمدينةته ومسقط رأسه - دير الزور - يجري أحكام العبادات على المذاهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والزيدي والجعفري، بشكل وبترتيب سهل، مع إثبات كثير من أحكام المذهب الجعفري بأدلة من مذاهب السنة كأحكام الصلاة، وهي على خير العمل، والجمع بين الصلاتين، والخمس وغيرها. طبع الطبعة الأولى بدمشق عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م والطبعة الثانية بدمشق عام ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م عدد النسخ ألف نسخة والطبعة الثالثة بدمشق عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م عدد النسخ ثلاثة آلاف نسخة.

٤- كتاب «المقالات الأدبية»، ألفه عندما كان منفياً في مصر بالقاهرة عام ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م عرف فيه الفقه والفقيه، وذكر تدوين الفقه وشموله، أورد خلاصة عن المذاهب الأدبية - الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي - وعرف علم الأصول وذكر من ألف به، وطبعت معه مقدمة كان كتبها على كتاب (الروض النضير شرح المجموع الكبير) بها بحث جميل عن الخوارج وعن تسلطهم على علم الجرح والتعديل طبع الطبعة الأولى بدمشق ١٤٠٣-١٩٨٣ عدد النسخ ألف وخمسمائة نسخة.

٥- كتاب (هتلر والعرب المسلمون) ألفه بدير الزور بمدينةته ومسقط رأسه عام ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م وهو آخر كتبه، يحتوي على مقدمة واسعة وأسباب النجاح وأسباب الفشل مع مقارنة حالة الأمة الألمانية بالأمة العربية، وذكر بعض أعمال اليهود ومكائدهم، مع إيراده أفكاراً اجتماعية وسياسية وتاريخية جيدة.

طبع في دمشق عام ١٣٩٧. ١٩٧٧ م، وقد نفدت نسخة حيث كان عددها ستمائة نسخة فقط.

٢. المحاضرات المطبوعة:

- ١- محاضرة (بماذا يتقدم المسلمون) مع إلهاها عندما كان منفياً بمصر بالقاهرة عام ١٣٤٩-١٩٣٠، طبعت بدمشق عام ١٣٥٤ هـ ١٩٣٤ م وقام المرحوم الشيخ إبراهيم القطان قاضي القضاة بالأردن بسحب نسخ منها على التحرير ووزعها وذلك عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢- محاضرة (اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية) في مصر بالقاهرة عندما كان منفياً وذلك عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م نشرت حينها بمجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة.
- طبعت الطبعة الأولى في البصرة بالعراق عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٣٥ م وفي عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م طبعت على التحرير بدمشق، ثم طبعت في دمشق الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م وطبعتها المكتبة البزورية في دير الزور عام ١٤٠٣ هـ نفدت نسخها ونشرتها مجلة التمدن الإسلامي بدمشق عام ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
- ٣- محاضرة (موخر الأخلاق الحميدة) إلهاها في مدينةته ومسقط رأسه دير الزور ١٣١٠-١٩٣١ م طبعت عدة مرات الطبعة الأولى عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م بدمشق وآخر طبعة كانت في دمشق عام ١٤١٣ - ١٩٨٣ م ونفدت نسخها.

٣- المقالات المطبوعة - الموجودة:

- ١- مقال بعنوان (متى تنجح الأمة العربية) نشر بعددي من مجلة العرفان اللبنانية عام ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.
- ٢- مقال بعنوان (الأوبئة الاجتماعية) نشر بعدة أعداد من مجلة الفرات بدير الزور عام ١٩٣٨ م.
- ٣- مقال بعنوان (النهضة تريد نجاحاً واستقلالاً) نشر بعدة أعداد من مجلة الفرات بدير الزور عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٣٨ م.
- ٤- مقال بعنوان: (حول استفتاء الخلافة) وجواب المرحوم عليه. نشر في مجلة (الرابطة الإسلامية) عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٤٠ م.
- ٥- مقال بعنوان (التجدد الديني وعلماء الأمة) نشر في مجلة (الرابطة الإسلامية) عام ١٣٥٠ - ١٩٤٠ م.

وهناك العشرات من المقالات السياسية والدينية والاجتماعية والتاريخية موزعة في صحف مصر والعراق ولبنان وفلسطين وسورية تحتاج إلى من يجمعها.

٤- المؤلفات المخطوطة - الموجودة.

- ١- الجزء الأول والثاني وقسم من الجزء الثالث من كتاب (شرح رياض الصالحين) للنووي الذي جمع فيه أحاديث نبوية عددها ١٨٩٤ حديثاً وصل المرحوم بشرحه إلى باب الشفاعة فشرح ٢٤٣ حديثاً ويا حبذا لو كان أتمه فهو موسوعة لأبل دائرة معارف إسلامية. وإن عدد صفحات كل جزء مع الفهارس خمسمائة صفحة بن القطع الكبير إذا طبع بشكل جيد وتنسيق وترتيب حسن.
- يذكر متن الحديث وسنده وفق ما أورده المصنف. ثم يتناول طرق رواياته متناً وسنداً في كتب الحديث الأخرى. ويكتب ترجمة للطبعة الأولى من الرواة صحابة أو تابعين ويشرح المفردات اللغوية.

ثم يشرح الحديث شرحاً وافياً. ويستخرج من كل حديث الأحكام والعبر.

- ٢- كتاب (سيرة خالد بن الوليد).
- ٣- رواية (العصر المظلم) وهي مناقشة بين أستاذة وتلميذه.
- ٤- الجزء الثاني من كتاب (المقالات الدينية) وتحتوي على العلوم العربية - علم التاريخ.

٥- المقالات المخطوطة :

- ١- مقالة بعنوان واجبات المسلم للاشتراك بالمجتمع الحاضر.
- ٢- كلمة ألقى بمناسبة تخرج أول شباب من مدينة الزور من المعهد الزراعي الوطني في السلمية عام ١٣٥١-١٩٣٢ م تكلم فيها عن أهمية العلم وتعلم الزراعة وتنميته وأهمية الفلاح ودوره.

٣- كلمة أقيمت بمناسبة افتتاح نادي الفرات الأدبي بمدينة دير الزور عام ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م تحدث فيها عن فائدة القلم والأخلاق ولمحة عن تاريخ المنطقة وضرورة نشر الفضيلة وتقديم المصلحة العامة. هذا إضافة للكتب المطبوعة التي حققها أو صححها وعلق عليها وهي كثيرة منها ما ذكر اسمه عليه ومنها ما لم يذكر.

وإضافة إلى المخطوطات فإن بعض من مؤلفاته قد فقدت كما تقدم. اعتمدنا في ترجمة السيد العرفي على ما كتبه لنا ولده الأستاذ حيدر العرفي، وله ترجمة مختصرة في الأعلام للزركلي ١٤٤/٦ اعتمد فيها على المصادر التالية مجلة المجمع العلمي العربي ٣١/٣٩، ومن هو في سورية ٢٨٧/١ و ٤٩٨/٢، وسر انحلال الأمة العربية (مقدمته) وأعلام الأدب والفن ٣١/٢ وقد جاء فيها: راجع والمتداول في نسبة العرفي بضم العين ولكنه كان يصححها بالفتح. من العلماء له اشتغال بالأدب والتفسير والتاريخ. من أعضاء المجمع العلمي العربي، ومن رجال الحركة الوطنية.

ولد في دير الزور وتعلم بمدرستها الرشدية العثمانية. واستكمل دراسته بالأخذ عن علماء سورية والعراق ومصر وعمل مع أبيه في حياكة النسيج بالنول. ودخل في خدمة الجيش العثماني وتسلم وظيفة نيابة المحكمة الشرعية في بلده (١٩١٨) وكان خطيباً يجيد التركية ويلم بالفارسية والهندية. حارب البدع والطرق الصوفية. وتقلب في وظائف القضاء الشرعي، ومالية الفرات والجزيرة، والتدريس وشارك في النهضة الإصلاحية قبل الحرب العامة الأولى. وقاوم الاحتلال الفرنسي فنفي إلى أنطاكية مرتين. وأخرج من البلاد فقضى في مصر سبع سنوات. وعاد إلى دير الزور ١٩٣١ ومارس المحاماة الشرعية مدة. وانتخب عضواً في المجلس النيابي بسورية (١٩٣٦) وعين مديراً للمعارف في العهد الفرنسي بالجزيرة الفراتية، وعضواً في المجلس الإسلامي الأعلى بدمشق ١٩٥٠ ومضياً لمحافظة الفرات ١٩٣٩ إلى أن توفي.



القاضي حيدر العرفي
تجل العلامة محمد سعيد العرفي

وجيه بيضون

١٣١٩ - ١٣٨٩ هـ / ١٩٠١ - ١٩٦٩



هو ووجيه بن داود بن سليم بيضون^(١) ولد يوم الخميس قبل العصر في ١١ جمادى الأولى عام ١٣١٩ هـ الموافق ٢٥ آب ١٩٠١ م. وفي دفتر عائلته أنه من مواليد ١٨٩٩ وفيه تكبير في السن. وبينما كنت أبحث عن حياته الأولى وقعت على ترجمة حية له بقلمه نشرها في مجلة العرفان (تشرين الثاني عام ١٩٢٥ ص ٢٣٧) وهي تعطي لمحة عن حياته في الفترة التي عاصرت انتقاله من مطبعة الترقى حيث كان يعمل، إلى مطبعته التي أسسها بنفسه وهي (مطبعة ابن زيدون) كما تبين مدى براعته الكتابية وهو في سن ٢٤ سنة لا أكثر، يقول:

أنا حتى تجاوزت العقد الثاني من عمري منذ قليل.

ولدت من والد فقير أمي، ووالدة جاهلة مغمورة، فقدتها فقد حياة لا ممات، أي غابت عن نظري منذ كنت في المهدي فتياً، لأن ولدي مطلقاً، كما تطلق أكثر النساء المسلمات لأسباب ساذجة بسيطة تكاد لا تكون شيئاً مذكوراً.

دخلت المدرسة العلوية في دمشق، فتعلمت علومي الابتدائية في مدة ست سنوات، ثم دخلت لـ مدرسة العازرية المسيحية، فمكثت سنتين اثنتين فحسب، لأن الحرب اضطرتني كما اضطرت غيري للتحويل عن مناهل العلم إلى أماكن العمل، فقد دخلت المطابع وظللت فيها اثنتي عشرة سنة. ثم خار الله تعالى لي أن أؤسس مطبعة صغيرة دعوتها (مطبعة ابن زيدون) اشتغل فيها الآن بنفسي لنفسي وكنت فيما مضى من حياتي أتهب الفرص دائماً، فاستفيد من الكتاب.

والأدباء الذين يختلفون إلى المطابع، حتى استطعت أن أحرك القلم في يدي، وأن أسمع بعض الناس يقبوني بالكتاب الأديب. هذا ولي مؤلف مترجم (بالعبر) وعدة روايات ومقالات، منها المنشأ، ومنها المترجم عن اللغة الفرنسية التي خدمتها تحت ستار الليالي، إذا كنت أترجم

(١) طلبت من الصديق الدكتور لبب بيضون ترجمه والده فقدم لي مشكوراً هذه الترجمة نثبتها مع الإضافة والتصريف، وللفقيد ووجيه بيضون تراجم مختصرة في الأعلام للزركلي ١١٠/٨ وفي (من هو في سورية) ١٢٣/٥١ ووداد سكاكيني في مجلة الأديب: أكتوبر ١٩٧٠ وجريدة الأيام، بدمشق ٢٣ جمادى الثانية ١٣٨١ بقلم (مردش).

(الفلم) للمسارح، فأسأل عما أهله من يرميني به القدر، وأثبت ما أعمله مسروراً مفتطياً. فما هو إلا القليل حتى التفت إلى نفسي فإذا أنا أستطيع الترجمة على أهون سبيل.

(أقول) كانت حياة والدي رحمه الله مثال العصامية شأنه في ذلك شأن أكثر أبناء العائلة.. فقد كان أبوه داود يهتم كثيراً بالمظاهر، وكان مشهوراً بقمبازه الحريري وشالته الموشاة وطربوشه المكوي، حتى لقبوه في الحي (بالأغا). وساعده على ذلك أنه عمل قواصاً عند قنصل العجم، وكان يتقن اللغة الفارسية. وعندما كان يعمل في القنصلية كان يلبس ثياب القواص المقصبة ويمسك بيده العصا الخاصة ويركب العربة السوداء اللماعة، وكلما مر على جماعة من الشرطة والدرك كانوا يضربون له التحية. بعد هذه الحياة الفارهة والدنيا المقبلة، قلب الدهر له ظهر المجن فانحط به الحال إلى درجة الافتقار، ولم يكن من الذين يؤمنون بالمثل (خبي قرشك الأبيض ليومك الأسود). في هذه الفترة ولد ابنه وجيه، فوضعه في المدرسة العلوية أولاً، ثم في المدرسة العازرية ثانياً، حيث تعلم فيها إلى الصف الثامن، وبدت عليه علامات النجابة والذكاء. ورغم هذا التحصيل البسيط فقد استطاع فيما بعد بجهد الشخصي أن يصبح من أحد أنبه المتضلعين باللغة العربية واللغة الفرنسية.

وهو يروي لنا قصة لطيفة في تلك الفترة، وهي أنه أخذ في العازرية في صفه في كل مادة ٢٠/٢٠، وكان من عادة المدرسة أن يعطوا كل متفوق في كل مادة جائزة وهي كتاب، ويخبؤوا تلك الكتب إلى حفلة التخرج في نهاية العام، وفي آخر العام دعوا والده داود إلى حفلة توزيع الجلاءات، وطلبوا منه حمل الجوائز المخصصة لوجيه دون سواء فلم يقدر على حملها لثقلها ووفرتها، فاستدعى ابنه الأكبر حمدي كي يساعده في حملها.

ولشده نباهته واجتهاده وفقر والده أجرى له صاحب المدرسة وهو الأب عازوري وجبة طعام كل صباح على حساب المدرسة، وهي بيضة وكوب حليب. لكن الظروف التعيسة لم تواتيه، فإضافة لفقره جاءت الحرب العالمية الأولى ترزح بكلكلها، مما اضطر والده إلى إخراجه من المدرسة. وكان والده قد طلق أمه وتزوج بامرأة ثانية.

وفي يوم من الأيام طلب وجيه من والده القاضي رغيف خبز، فضربه أبوه الذي كان يعمل حائك نول، وقال له: أنا ملزم أن أطعم خالتك زوجة أبيك، لا أن أطعمك أنت. أذهب وأعمل. وكان عمره نحو ١٤ سنة. عند ذلك ترك بيت والده وتوجه إلى مطبعة الترقى في القيمرية ليعمل فيها، فبدأ عمله بتكنيس المطبعة ثم تدرب على صف الحروف والطباعة، حتى فاق أقرانه. وفي آخر هذه الفترة التي استمرت ١٢ سنة طبع أول كتاب له وهو (العبر) عام ١٩٢٤ وعمره ٢٣ سنة، وهو من مفاخر الكتب. وفي مقدمة هذا الكتاب (ص ١٤) يؤكد على أن ضعف الإنسان وفقره لا يمنعان من التقدم والسبق، إذا وجدت الإرادة القوية والتصميم الأكيد على بلوغ النجاح والفوز، وهو بذلك يحكي قصة نفسه حيث يقول:

أنا أمرؤ بائس ضعيف، ولكني أعتقد اعتقادي بالله، بأن البؤس والاعتلال لا يمنعان المرء - على شدة وطأتها وارهاقها - من طلوع أنجدة الفلاح والنجاح، وتسلق ذرى العز والعلواء. بل ربما كانا له خير عون على ذلك، فيفتحان دونه ما استغلق من قلوب القاسين، يخفضان من غلواء المتكبرين، ويستعطفان كل بخيل ذميم، ويبعثان في نفسه ذخيرة من عشق المجد لا تنفذ ولا تفنى، بل تزيد وتزكو، كلما رمى ببصره إلى من حوله، فرأى تقدمه وفوزه على ضعفه وفقره، ثم تأخرهم وخيبتهم على وثاقتهم ورفاهتهم، فلا يزال في جوه طائراً مصعداً، حتى يدرك من العلواء، ما أحب وشاء، فإن لم يكن كله، فمعظمه وجله.

وظل يعمل بجد ونشاط حتى جمع عدة ليرات عثمانية ذهباً، فاستأجر محلاً في حي الأمين (هو الآن الصيدلية المحسنية) واشترى آلة طباعة صغيرة وذلك عام ١٩٣٥. وكم كانت الظروف صعبة عليه فقد مضى عليه أول فتح المطبعة ستة أشهر لم ير فيها وجه زيون. لكنه صبر واحتمل، لأنه عرف أنه لن ينفعه في الوجود أحد غير نفسه وعمله واتكاله على الله. ثم بدأ عمله بالتزايد والازدهار فانتقل إلى مكان أكبر وزاد في آلاته وأدواته، حتى صارت مطبعته (ابن زيدون) من أكبر المطابع وأحسنها سمعة.

وفي حين كان أقرانه من أصحاب المطابع يستخدمون الطباعة للتجارة فحسب، كان يستخدمها وجيه للعلم والأدب والثقافة. فأصدر مجلة الإنسانية ثم مجلة كل جديد، ثم بدأ يطبع مؤلفاته الأدبية والاجتماعية. وظل مثابراً على الإخلاص لصنعتة ومهنته حتى أصبح نقيب الطباعين في دمشق.

وإضافة إلى عمله في الطباعة وانشغاله بالتأليف، لم يترك الجانب الآخر من الحياة وهو الواجب الإنساني والاجتماعي. فقد اجتمع إليه عدة شباب من المندفعين إلى عمل الخير وأسسوا جمعية لإغاثة المرضى والفقراء سموها (جمعية إغاثة المرضى الفقراء) وظل وجيه رئيساً لها حتى يوم وفاته، أي من عام ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٦٩ م. ولما أسست (جمعية المدرسة الیوسفية الإسلامية) كان عضواً عاملاً فيها.

وفي عام ١٩٥٤ نقل مطابعه من حي الأمين إلى دار فخري البارودي في القنوات، حيث أدخل عليها فنوناً جديدة من الطباعة ووسعها، حتى أصبحت من أرقى مطابع سورية في حينها.

من مؤلفاته المطبوعة:

١- العبر: كتاب يضم عدة مقالات أدبية واجتماعية وأخلاقية، تناقش أوضاع الناس في تلك الحقبة. وكان أسلوبه في هذا الكتاب - وهو أول كتاب يؤلفه - يشبه كثيراً أسلوب مصطفى لطفي المنفلوطي الذي كان يحبه، حتى لقب (بالمنفلوطي الصغير).

ولبيان شدة ولعه رحمه الله المنفلوطي قال في فاتحة كتابه المذكور (ص ٢٤): ومررت بالمنفلوطي فرايته الكاتب الأوحى الذي استطاع أن يمتلك عليّ عقلي ومشاعري، ذلك لأسباب كثيرة منها: أن الرجل صورة واضحة للفضيلة، لا فرق بينه وبين ما يخطه يراعه الساحر من بليغ الآيات والنظرات. ومنها أنه صاحب القدح المعلن في باب الوطنية وفي الفواعل والمراثي، فما قرا له قارئ شيئاً إلا استدمع واستعبر. ومنها أنه تحلى بميزتين اثنتين: أحدهما أنه يكتب للناس عامة لا لأناس بأعيانهم، وثانيهما أن كتابته كتابة شعرية وجدانية، لا تحتاج إلا إلى القافية والوزن، فتكون شعراً منظوماً مؤثراً.. لهذا عشقته، ولهذا زادت الناس به وبأدبه حباً.

٢- **عواطف ودموع**: وهو كتاب في رثاء الحاج يوسف بيضون منوهاً بحياته وأعماله ثم ما يتعلق بتأبينه ووفاته. ويظهر من تأليفه لهذا السفر أنه كان معجباً به وبمعاصمته وإنسانيته أي إعجاب. وقد طبع هذا الكتاب في عام ١٩٢٨ في مطبعة ابن زيدون بعد عام من وفاة الفقيد.

٣- **مجلة الإنسانية**: وهي مجلة شهرية أدبية فكرية، بدأ بإصدارها عام ١٩٣١ وعمره ثلاثون سنة. وكانت هذه المجلة من أرقى المجالات العربية في تلك الحقبة. وقد كتب لها أن تعيش سبع سنين، ثم توقفت بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية.

٤- **مجلة كل جديد**: وهي مجلة مصورة من مستوى المجالات المصرية، وقد بدأ صدورها عام ١٩٤٤ واستمرت أربع سنوات، وكانت تطبع على آلات الروتوغراف الراقية.

٥- **فن الحياة**: وهو مترجم من الفرنسية للكاتب أندريه موروا. وفيه عرض للحياة كفن يعيشه الإنسان. طبعه عام ١٩٤٨.

٦- **الشيوعية في الميزان**: وقد تعب كثيراً في تأليفه، واستحصل لذلك عشرات الكتب في هذا الموضوع. وكان سبب تأليفه أن أحدهم اتهمه بالشيوعية باعتبار أنه بدأ حياته من الفقر والعدم وكان من أعظم الكادحين، فرد عليه في هذا الكتاب، وفند مطالب الشيوعية، وأنه يؤمن بقيمة الجهد الفردي واحترام الكفاءات الذاتية وصيانة المكاسب الشخصية.

٧- **صراع مع الحياة**: أصدره عام ١٩٥٨ وهو يروي سيرة حياته الكفاحية بقلمه، وحق له أن يسميه بهذا الاسم لما كابده من صراع مرير وكفاح كبير حتى استطاع أن يشق طريقه في الحياة. معتمداً على نفسه وربه.

٨- **فن النجاح**: طبعه عام ١٩٦٢. وقد كان بعد إتقانه اللغة الفرنسية أن انتسب إلى معهد (بورغ) في باريس بالمراسلة للتدريب على خطط النجاح، ونجح فيه أي نجاح، ونال شهادة في علم النفس والحياة. وقد وضع هذه المعارف والعلوم في كتابه المذكور.

٩- **أناقول هـرانس**: وكان عنوان هذا الكتاب (الإسكندري الأخير)، طبعه عام ١٩٦٣. وهو ترجمة لحياة هذا الأديب والمفكر الفرنسي، الذي أعجب به وجيه، إذ أنه أول أديب تفتحت عليه عيناه حين تفتحت على الأدب الفرنسي.

وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ شفيق جبري الذي اعترف بأدب وجيه وعبقريته حيث قال في مطلع التقديم:

«ليس من الوفاء في شيء أن أتردد طرفة عين في تقديم هذا الكتاب، والسبب في ذلك أنني أرى في صاحبه ولعاً بالأدب لا يعد له ولع. فقد أخلص المحبة للأدب وعبد هذه الصناعة من أربعين سنة، حتى شغف بكل حسن من محاسنها، وتعلق قلبه بكل آية من آياتها، فلا يرضيه من هذه الصناعة إلا سمو آفاقها، ولا يروي غليله منها إلا التأنق في مظاهرها، فهو يحب منها كل ما يميزها وكل ما يرتفع بها من الأفق الأدنى إلى الأفق الأعلى. وخلاصة الأمر أنه يذوب في عبادة الأدب».

١٠- بين الصناديق: طبعه عام ١٩٦٣ وهو من أجل كتبه. موضوعه شرح الحياة التي عاشها وهو بين صناديق الحروف في المطبعة، وفيه مقدمة رائدة عن فن الطباعة في سورية، ثم ترجمة لحياة أربع وعشرين عالماً من اعلام الفكر في الشام مثل: أحمد كرد علي وأديب التقي و خليل مردم وزكي المحاسني وشفيق جبري وشكيب أرسلان وظافر القاسمي وفخري البارودي والماريات الثالث: ماري عجمي وماري زيادة وماري ببني. ثم العلامة السيد محسن الأمين ومحمد علي الحوماني ومعروف الأرنؤوط ومنير العجلاني ووداد سكاكيني ويوسف العيسى. وكلهم قد تعرف عليهم من خلال الطباعة.

١١- الصوت الخفي: طبعه عام ١٩٦٤، وهو مجموعة قصص هادفة بعضها مقتبس من أصل غير عربي كالفرنسية وغيرها، هي: قصة أديب - دمة أمل - البركار الذهبي - الأمير السعيد - الخرزة الزرقاء - العفو - يوم المحرم - الطفل - معرض الجمال - ذنب يغتفر - شيرين (عن الفارسية) - العصفورتان - الحلواء - تنطع فارس - أبوة العلم - مهرناز (عن الفارسية) - الأمانة الضمير - جائزة الحب.

١٢- صباح ومساء: وكان آخر كتاب طبعه رحمة الله من كتبه الكثيرة، وذلك عام ١٩٦٥. وفي هذا الكتاب يحاول وصف يوم كامل من حياته، من الصباح إلى المساء، وكأن كل يوم مسرح تمثل فيه الرواية الكبرى بفصولها المتعددة، ألا وهي رواية الحياة. وقد أبدع رحمه الله في إعطاء صورة كاملة عن حياته الكاملة من خلال يوم واحد من حياته، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا التقفها وصورها لنا.

ونعد من فصول هذا الكتاب: مع الصباح - مائدة الصباح - الأسرة - إلى السيارة - الأغا محمد - الإنسان والآلة - العمل والعمال - إرادة النجاح - في مدرسة الحياة - هدنة الظهيرة - صديقنا - الهاتف - من عصارة الأيام - حقيبة الليل - واجبنا نحو الآخرين - وطني الصغير (القرينة، الوالدان، الأبناء) - نهاية الشوط.

١٣- ربيب الرسول: وهو فصول هامة في حياة الإمام علي (عليه السلام)، ومثاليته الفذة النادرة.

أما كتبه غير المطبوعة فهي كثيرة نعد منها:

العبر (الجزء الثاني) - صراع مع الحياة (الجزء الثاني) - حصاد الفكر (أربعة أجزاء) وهو مجموعة مقالات نشرها خلال ثلاثين سنة من حياته في الصحف والمجلات - المذكرة اللغوية في المترادف والمتوارد.

وقد كان رحمه الله شاعراً وله ديوان شعر مخطوط، لكنه كان لا يرضى عن شعره في مقابل نثره الذي كان في سوية العقاد والرافعي، وكان يقول: أنا في الكتابة والنثر خير مني في النظم والشعر. وفي ذلك قال يوسف العيسى صاحب جريدة (الفباء) الدمشقية:

اثنان من الشباب أعجبت بهما على حداثة سنهما، هما (بدوي الجبل) في الشعر، و(وجيه بيضون) في النثر.

وهذه إحدى قصائده رحمه الله من وحي الحياة الاجتماعية، وهي تحكي قصة رجل متزوج مكرها فأحب على زوجته، وعشق فتاة لعبوا، وظن أن السعادة كلها في معاشرتها. لكن ما لبث أن فاق من سكرته وتذكر واجبه تجاه أسرته وزوجته الوفية، فوقع صريعاً بين الحب والواجب، ولكن انتصر على نفسه أخيراً بأن تمسك بحبل التوبة والتقوى والخوف من الله. يقول فيها:

الحب والواجب

وأب يئن كالثكلى حزينا
وهام بمن تعشقها جنونا
تظله فيهتصر الغصونا
بعيداً عن سهام العاذلينا
ولم يك قبل بالدنيا ضنينا
وفي الأعطاف كم ألقى يمينا
وكانت ساعة تسوى سنيها
هداك الله حسبك ما لقينا
وقد أذكيت في الأحشا أتونا
كذا يحيا جميع العاشقين
من الأوصاب ما يدري سكونا
فكان يود لو يلقي المنونا
وما داني حدود الأربعينا
وإن جن الظلام هوى طعينا
ويا للحب كم يعمي العيوننا
وفكر في حياة العاشقيننا

تأمل في حواشي الأفق حيناً
فتى ذاق المرارة في التصابي
تذكر جنة اللذات كانت
ويوماً فيه لاقي من تمنى
تناسى اليأس والأشجان طرا
وفي النهدين كم أجرى يسارا
وعل من الشفاء الشهد حلوا
وصاحت بعد أن ثملت هياما
فقد خلفت في الأضلاع داء
فقال وعينه بالدمع تجري:
ومثل بعد لأي ما دهاه
عواد طالما أوهمت قواه
ويات لفرط ما قاسى مسنا
وكالمذهب يقضي كل يوم
فيا للحب كم يببدو جميلا
تمثل كل شيء في هواه

فأبصر حبه يصفو ويعلو
يريد الحب ينعش منه روحا
ويؤله الشباب يفتوت هونا
تزوج من فتاة ليس تدري
زواج حاكمه الأهلون مكررا
وما علموا بأن الروح تأبى
وها هو كالأسير يعيش عيشا
وتولا من توله في هواها
فتاة من لطفها
يراه كلما اسودت حلة
وأن لانت تلذذ في هرما
هي المعبود والأمل المرجى
أفاق من الهواجس كالسكارى
فألغى حبه جرماً فظيلاً
وأن فراق أسرته ضلال
وحقق منه أن يختان زوجاً
وتطليق النساء بدون ذنب
فأرسل زفرة كالرعد تدوي
صراع ليس يهدأ بين عقل
أواجبه يفدي أم هواه
وهل يمضي شمالاً أم يمينا
وما يدري لسقطته مقبلاً

وقد أتمها ولده لبیب بیضون فقال:

يكابد ما يلاقي من شكوك
قيود كبلة فبات يشكو
ولكن هزه طرب وشوق
وحسب المرء إن عاناه خطب
فودع عشقه وأتى لزوج
فراخ الصبر والتقوى بديلاً

وحب الناس بالزلزلى قرينا
فيحيه حياة الخالدينا
وأن العمر يقضيه سجيناً
له حقاً عليها أو ديونا
لكي يبقى بأيديهم رهينا
إذا انتهت حياة الجامدينا
ذميماً يشتكى داء دفيناً
لكان اليوم بين الميتينا
وحسناً يستبي اللب الرصينا
رحاء ساطعاً يمحو الشجوناً
وإن سمعت ترقب، أن تلينا
فما يسطيع عنها ان يبيناً
على وضوح تبلج مستبيناً
وفي أحلامه الغدر الميناً
ولا يرضاه إلا الجاهلوناً
أميناً ثم يحتسب البنينا
غرور يمتطيه الأثموناً
وشاركما يثور الخائروناً
وقلب، والهوى يذكي الظنوناً
وفي الحالين يخشى أن يهونا
وفي الحالين لا يبقى أميناً
ولا يلغى على البلوى معيناً

وقد أضحى كأن به جنونا
ويطلب دون محنته المنونا
لتقوى الله رب العالمينا
تخاذ الصبر في الدنيا خدينا
يعانقها عناق المخلصينا
فروض الخلد مأوى التائبينا

وفاته:

توفي وجيه بيضون رحمه الله في ٨ رجب ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٠ أيلول ١٩٦٩ م عن عمر يقارب الثامنة والستين. وذلك إثر عملية جراحية لاستئصال البروستات، فبعد نجاح العملية في المستشفى الفرنسي، أعطوه دماً من زمرة مختلفة، فتوفى رحمه الله.

ومن توفيق الله أنه قبل وفاته بستة أشهر، وكان يقضي الصيف في الزبداني مع عائلته، قرر أن يشرع بالصلاة بعد أن تركها مدة من حياته، فاغتسل وتوضأ وبدأ بالصلاة، ولم يقطع صلاته منذ ذلك الوقت وحتى يوم وفاته، فختم له بخير، وتوفي من المصلين، وإنما الأمور بخواتيمها. وكانت وصيته وهو على فراش الموت أن قال: إن أكبر كنز تركته لكم أنني لم أكره أحداً في حياتي وليس لي في الحي عدو والكل يحبني. وكانت آخر كلماته وهو يحتضر: الصوم والصلاة. يقول ولده لبیب: «وأن أنس لا أنس تصرفه حين كان في المستشفى الفرنسي، فقد بعث بمبلغ من المال تبرعاً للميتم المسيحي التابع للمستشفى، فاستغربت الممرضات والمسؤولة من ذلك. فقال لها والدي: لا تستغربي فنحن المسلمين نعمل الخير بدافع إنساني ولوجه الله تعالى دون النظر إلى أي اعتبار آخر. وكان من نتيجة ذلك لما توفي وكان مسجى في بيته جاءت إحدى الراهبات ووقفت عند رأسه وتلت صلاة على روحه. وبعد وفاته جاء إلى المطبعة أحد أصدقائه وهو الأستاذ عبد القادر الكتبي وقال: هناك سرّاً يعرف أحد عن والدكم، وهو أنه كان قد أجرى معاشاً شهرياً لعشر عائلات فقيرة دون أن يعلم بها أحد غيري. لقد كان وجيه وجيهاً في الدنيا، وأرجو الله أن يكون وجيهاً في الآخرة».

الذي أعرفه أن (أل بيضون) الأسرة الدمشقية حالياً أنها تنحدر من نفس الأسرة اللبنانية العربية المعروفة بنفس الاسم وقد جاء جدهم الأكبر محمد بيضون من بنت جبيل إلى دمشق منذ القرن الثاني عشر الهجري واتخذها موطناً وبلغ عدد الأسرة كما جاء في إحصاء عام ١٩٦٧ م ما يقارب ٣٢٠ شخصاً والأسرة البيضوية من الأسر الجبلية التي ظهر فيها رجال أبرار وشخصيات فذة كالحاج يوسف بيضون مؤسس المدرسة اليوسفية وغيرها من المبرات الخيرية في دمشق الشام، والأستاذ رشيد بك بيضون وأبي طالب بيضون وزاهد بيضون وغيرهم.

وهناك خمسة آراء حول أصل عائلة (بيضون) التي تتوزع في سورية وبلاد الشام:

- ١- البعض يتصور أن أصل آل بيضون من الأناضول وديار بكر في تركيا، وكانوا يضعون على رأسهم قبعة تدعى بيضون من بيضة الملك، وقد اضطهدهم الأتراك فنزحوا إلى سورية ولبنان وفلسطين.
- ٢- والبعض يقول أن الأصل من الأندلس أو المغرب لوجود مقطع (ون) في أسمائهم، مثل: عبدون وزيدون وخلدون. وأصل الكلمة (باي دون) أي قبعة الباي وهو الملك، ثم هاجر أحدهم إلى بيت جبيل جنوب لبنان.
- ٣- والبعض يقول أن منشأهم الأول من الجزيرة العربية، سكنوا الحجاز في منطقة البياضة، وهم من العرب البيض بيض الله وجوههم بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم من الذين آمنوا بالنبي (ص) على مائة شرط وشرط.



اجتماع لعائلة آل بيضون الدمشقية في قاعة المدرسة اليوسفية (١٩٧١)

لبيب بيضون



من شعر لبيب بيضون

قال في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام:
أصبرن يا أخي فليس بعيداً
إن ترى الحق ظافراً مسعوداً
فالحياة الحياة في الصبر رديحاً
بعده العيش في الهناء مديداً
لا يغرنك في الليالي ظلام
أن بعد الظلام فجراً أكيدا
كم تبادت من قبل دولة عاد
وثمود بغت فبادت وجوداً

لذوي البأس تورث التجديدا	إن في محنة القيود حياة
إن يوم الخلاص ليس بعيداً	فاشحن العزم في مضاء شديد
فقريباً تحوز نصراً مجيداً	ليس بعد الحرمان إلا مضاز
إن أراد الحياة حراً سعيداً	مدية الحق للأبي سلاح
وتريص حتى تزيل القيودا	فإذا كنت مؤمناً فتماسك
يقذف الرعب في القلوب شديدا	وارتقب في النشور صرخة صور
يلزم العدل منصفاً وعنيدا	يعلن الحق لا هوادة فيه
يخضب الأفق بالدماء حديدا	ودم السيد الشهيد سوار
ولسبط الخلود عيداً مجيداً	هو جرح السماء ينزف دماً
تملأ الأرض والسما تغريدا	هذه زمرة الملائك تشدو
تحمل النعش مشعلاً مشهودا	وعلى قمة الجبال تعالت
يغمر الأرض بالسنا توريدا	لكاني به على الأفق شمس
ينبت الزهر في الرياض مديدا	وكانني به معين حياة
يملأ البيد والسهوب ورودا	ويعيد الحياة للقفر نباتاً

تلك يا صاح (قصة الحق) تحكي
كلما دار كوكب الدهر دوراً
وفي الامام الحسين عليه السلام أيضاً من قصيدة:
أنا مثقل من شدة النكبات
فلقد طعنت بأحمد ووصيه
وقتلته إذ (حسن) قضى مشهداً
ما ذنبهم في كل عصر قد غدوا
لم يدركوا أحقادهم فيما مضى
فاتوا ليشفوا غلهم من عترة
وقال في أبي الشهداء عليه السلام:
هات المواضي والأسنة هات
عجل لنصرة أحمد وربييه
الحق لا يبقى إذا لم تروه
أفلا ترى الإسلام أقفر روضه
ما زال منتصباً بأرض بلائه
ويرد جحفلهم ببارق سيفه
حتى استحال من الطعان لبانه
وقال أيضاً في رثائه عليه السلام:
يا من له في كل عين دمة
إن كان نعشك غاب في طي الثرى
قد كنت حراً في الحياة وبعدها
وقال بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
نور من العلياء قد طاف بالجوزاء
معطر الأنغام قد فاح بالإسلام
غنت له الغدران ملاحم الإيمان
صنعت إليه البيد كطائر غريد
هفت له الأفلاك والطير والأسماك
واستبشر المظلوم والعبد والمحروم
من خصه الرحمن بالحق والقرآن
يدعو إلى التوحيد بقوة التأييد
بالحب والغفران وشرعة الإحسان

عن إباء (الحسين) درساً تليدا
زاد في النفس جدة وخلودا
أي الجراح أعد في جنباتي
ويفاطم والأنجم الزهرات
(و حسين) إذ منعوه شط فرات
هدف الظُّبا وضحية الوليات
في بدر الكبرى وفي الغزوات
ما زال ذكرهم مع الصلوات
واكفف فلا جدوى من العبرات
وحسينه والعترة السادات
بيض الظُّبا من دافق الرقبات
حتى الحسين رواء بالمهجات
يلقى العدى بصواعق الضربات
ويقابل الغارات بالغارات
والدم ينزف عنه كالمصفاة
ويكل قلب لوعة وتوجع
فذكاء روحك في السما يتشعشع
أرسيت صرحاً للابا لا ينزع
وقال بمناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
كمقلة الفجر وغرة السحر
يختال كالبدري في روضة الزهر
وغنوه الشكر بلحنها البكر
قد بات بالشعر معلق الثغر
في السهل والنهر في البر والبحر
بمولد البشر ومنية العمر
من سالف الدهر وغابر العصر
بالسر والجهر موزر النصر
رسالة البر ودعوة الخير

من هو له كسرى من قبل أن يورى
وقيصر يسعى ضاقت به ذرعا
لا ذل بعد اليوم لا ظلم لا مظلوم
الحكم للجبار الواحد القهار

ولادة الأمير في رجب النور
خير الشهود وأكرم الأعياد
شهر به ولد العلي المرتضى
أزرى بنور البدر لما أن بدا
بوركت يا أمل الهداية والتقى
بوركت من أسد عرينك كعبة
هو من محمد نفسه وربيه
صنوان هذا للبرية منذر

قد بات في قبر مغيب الفكر
معاقل الكفر فهام في القفر
لا قيد للحر لا مهد للشر
منزل الذكر في ليلة القدر

رجب الذي فيه أضاء النادي
في خير أرض في أعز مهاد
يهدي الورى بسنانه الوقاد
بالمهد والميعاد والميلاد
للحق والتوحيد والأمجاد
فهما وربك علة الإيجاد
وأخوه حيدر للبرية هاد

١٢/٣/١٩٨٧ لبيب بيضون

وله في مدح سيد الأوصياء عليه السلام

دع الجدال ولا تسأل عن السبب
آل الرسول ومن في الناس غيرهم
باكورة المصطفى في روضهم زخرت
فأصبحوا في المعالي دوحة جمعة
في وجههم آية التوحيد مشرقة
لا ترج غيرهم في كل معضلة
إن غاب عنك بريق الحق في زمن
تبدل الحق تبديلاً وما برحوا
هم للنبوّة فجر موق أبدأ
صلى الأله عليهم حين طهرهم
هم الأمان من البلوى وحبهم
هاج المحيط فكل السفن غارقة
هم حجة الحكم أفضى الخلق قاطبة
في كل حكم لهم رأي ومعجزة
أصل الندى والأبأ والكل فرعهم
تاريخهم دوحة للحق باسقة
معادن العلم والتقوى وحسبهم
من فيضه قد أفاضت كل مكرمة

فدونك الحق آل البيت فاحتسب
حتى قطوف الهوى والعلم والأدب
بكل زوج بهيج اللون مرتقب
مآثر الحق والأمجاد والحسب
وفي الصدور معين غير منتصب
كي لا تعيش رهين الشك والريب
وجدت فيهم منار الحق لم يغب
رمز الحقيقة في الأزمان والحقب
وللرسالة نبع دائم الصيب
من كل رجس فجازوا عالي الرتب
حصن حصين يقي من أعظم الكرب
إلا سفينتهم طافت ولم تصب
يجلون غامض ما قد غاب في الحجب
وكل قولهم أي من الكتب
والصفح عندهم فرض ولم يجب
إن هزها سغب جادته بالرطب
صنوا النبي ويا ب العلم والأدب
وينتمي لعلاه كل منتسب

قلها مدوية بالحق صارخة
من لا يوالي علياً في عقيدته
هو العليّ على كل وليس له
هو الأمير وساقى الحوض منفرداً
أعداؤه شهدوا بالحق إذ عجزوا
وكيف ينكر فضل الفتى شهدت
قد حاولو كتمها دوماً وما علموا
وكيف يمكنهم طمساً لشمس ضحى
نهاية المنتهى فالكل يطلبه
وكل نابغة من بعده ظهرت

نصت بصحتها الآيات في الكتب
فلا وريك لا ينجو من العطب
نجم يطاوله في الأنجم الشهب
هو الإمام بلا شك وريب
أن ينكروا فضله في كل منقلب
به الأعادي على رغم من الكذب
أن المكارم ما إن تخفها تطب
تختال مشرقة مشبوبة اللهب
لنفسه نسباً في كل منتسب
كأساً قد ارتشفت من بحره الرحب

الدكتور محمد كاظم السيد حسين مكي

(١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م)

في مدينة النجف الأشرف بالعراق ولد الدكتور محمد كاظم، وذلك عام (١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م). ونشأ في تلك البيئة العلمية الأدبية في ظل أسرة علمية. فوالده المجتهد العلامة السيد حسين مكي العاملي الذي ينتهي بنسبه إلى الإمام الحسين (ع)، بفاصل خمسة وثلاثون جداً عن الإمام الحسين (ع)، أما مكي فهو الجد السادس عشر للدكتور محمد كاظم، وإلى ذلك الجد نسبت عائلتهم.

والسيد حسين مكي (والد الدكتور محمد كاظم) مرجع بلاد الشام الإمامي، منذ انتقاله إليها من النجف الأشرف عام (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) حتى وفاته عام (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٧ م). حيث لا تزال أديابه البيضاء واضحة جليلة فيما قام بها من نشاطات اجتماعية وثقافية في دمشق وضواحيها. وكان السيد حسين قبل انتقاله إلى الشام موفداً من قبل مرجع الطائفة - آنذاك - الإمام السيد محسن الحكيم إلى مدينة (الصويرة) في العراق حيث مكث فيها من سنة (١٩٤٧ م) حتى تاريخ انتقاله للشام.

لعل من أهم ما كان يميز عمل السيد حسين أن كل الناس في نظره سواسية كأسنان المشط في تقديم الرعاية والعناية بل لعل الشباب - عنده - أكثر حاجة للاهتمام بهم، ومحضهم الود، لما

يتمعون به من طيب الاستعداد، ووفرة الذكاء، والزاد الجامعي الدسم الوعي، وما فعل ذلك إلا نقضاً للمبدأ القائل بأن اهتمام رجل العلم يجب أن ينصب على الكهول والشيوخ لأنهم - في الغالب - أقرب إلى الإيمان. وهكذا استطاع ببعد نظره أن يمنح أولئك الشباب بكثير من الفطنة والكياسة وحسن الرعاية، عقيدة إيمان تحضنها ثقافة حياة واسعة المداير، أنجبت في عصرنا الحاضر أطباء ومحامين، ومهندسين وأساتذة جامعيين، وأصحاب حرف ومهن حرة يتمتعون بحمل المسؤوليتين: الدينية والزمنية. لقد ترك السيد حسين مكي بعد وفاته في دمشق أكثر من أربعين مؤلفاً ومخطوطاً في الفقه، والأصول، والتاريخ الإسلامي، وعلم الكلام والعقائد.

وكعادة غالبية الأسر العلمية فقد أرسل (محمد كاظم) للملة لتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، وذلك في المدينة التي ولد فيها (النجف الأشرف). وبعد افتتاح مشروع منتدى النشر، التحق بمدارسها سنة (١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م). وإذ ذاك كانت مدرسة منتدى النشر لصيقة بصحن الإمام علي (ع) قريباً من باب الصحن من جهة السوق الكبير.

بلغ السنة الخامسة الابتدائية وهو مازال بمدرسة منتدى النشر وذلك سنة (١٣٧٠ هـ / ١٩٤٩ م). عاد إلى لبنان ليتابع دراسته فيها، حيث نال الشهادة الابتدائية سنة (١٣٧٢ هـ / ١٩٥١ م)، ونال الشهادة المتوسطة سنة (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٤ م)، وشهادة دار المعلمين الابتدائية في بيروت سنة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٧ م).

وفور تخرجه من دار المعلمين، التحق بإحدى المدارس معلماً. وكان في أثناء ذلك يواصل تعليمه. إذ التحق بمعهد المعلمين العالي بالجامعة اللبنانية، وحصل على الإجازة في اللغة العربية وآدابها، وذلك سنة (١٣٨٢ هـ / ١٩٦١ م) على الإجازة في العلوم الاجتماعية، وفي سنة (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) حصل على الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة (السوريون) في باريس - فرنسا. أنجز الدكتور محمد كاظم مكي دراسات عديدة حصل بموجبها على الدكتوراه في الآداب - الفئة الأولى - من جامعة القديس يوسف - بيروت.

حياته العملية:

عمل معلماً ابتدائياً في لبنان سنة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٧ م) كما أسلفنا ذلك. عمل مدرساً في مدارس التعليم الثانوي في لبنان أيضاً حتى سنة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ م). انتقل إلى التفيتش المركزي مفتشاً تربوياً منذ سنة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ م) ومازال حتى الآن. تولى أعمالاً تربوية في جبل عامل - جنوبي لبنان، ومازال من تلك الأعمال:

١- رئاسة دائرة التربية الوطنية في الجنوب.

٢- رئاسة الوحدة التربوية (جنوبي لبنان).

٣- عضوية اللجنة التربوية.

وذلك بين سنة (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) وسنة (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

مارس التعليم الجامعي منذ العام (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ م) وحتى الآن، حيث مازال يمارس دوره في

التعليم الجامعي في كل من الكليات التالية:

- ١ - كلية التربية - الجامعة اللبنانية.
 - ٢ - كلية الآداب - الفرع الأول/ الجامعة اللبنانية - صيدا.
 - ٣ - كلية الآداب - الفرع الخامس/ الجامعة اللبنانية - صيدا.
 - ٤ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القديس يوسف - بيروت.
- يشرف على الدراسات العليا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القديس يوسف، وفي الفرع الخامس لكلية الآداب في الجامعة اللبنانية.

كتابات ومؤلفاته:

- للدكتور محمد كاظم مكي أكثر من عشرين مؤلفاً مدرسياً للمرحلتين: الابتدائية والمتوسطة. في موضوعات تشمل: اللغة العربية، الرياضيات، العلوم، التاريخ، الجغرافيا.
- وقد صدرت له سلسلة في التربية تحت عنوان (كيف نعلم) صدرت عن المكتب التجاري في بيروت. إذ صدر الجزء الأول من تلك السلسلة في سنة (١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م) بالمشاركة مع علي العبد الله وكامل سليمان.
- في سنة (١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م) صدرت له الطبعة الأولى من كتابه الأول تحت عنوان: (الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل) عن دار الأندلس في بيروت. وفي سنة (١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩ م) أصدر كتاباً عن (حجة الإسلام السيد حسين مكي في حياته ومماته).
- في سنة (١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م) نشرت له دار الزهراء ببيروت كتابين: الأول تحت عنوان (حضارة العصر العباسي) وهو مقرر للتدريس في السنة الثالثة بكلية الآداب بالجامعة اللبنانية. والثاني بعنوان (منطلق الحياة الثقافية في جبل عامل).

له كتب قيد الطبع منها:

- أدب التشيع في بلاد الشام خلال القرن الرابع الهجري، وضعه عام (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م).

له دراسات ومقالات نشرت في المجلات التالية:

- ١ - مجلة العرفان التي كان يصدرها المرحوم عارف الزين.
 - ٢ - المجلة التربوية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية - لبنان.
 - ٣ - مجلة نور الإسلام التي تصدرها مؤسسة الإمام الحسين في بيروت.
 - ٤ - مجلة الجنوب.
- شارك في مؤتمرات عديدة في لبنان، وعمان، وطهران. ذات طابع ثقافي وتربوي.
- يشرف على دراسات جامعية عديدة على مستوى الماجستير، والدبلوم، والدكتوراه في جامعتي القديس يوسف، والجامعة اليسوعية بلبنان.
- يقيم في قريته (حبوش) في جبل عامل بلبنان. «هذه الترجمة مما استفدناه من الصديق الأستاذ علي البهادلي في جمادى الأولى ١٤١١ هـ - كانون الأول ١٩٩٠ م».

أديب الزين

(١٩١٧ - ٢٠٠٩)

هو السيد أديب بن السيد محمد بن حسين الزين الموسوي ينتهي نسبه للسيد الشريف إبراهيم المجاب بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. أصله من لبنان وقد نزع جده السيد حسين مع أخوته السيد علي والسيد حسن والسيد عباس من منطقة (عديسة) في الجنوب اللبناني إلى دمشق بسبب بعض حوادث الأتراك هناك، وأما لقب الزين فقد عرفوا به منذ قريب وأول من عرف به منهم السيد إبراهيم ابن عم السيد حسين.

ولد في صيف سنة ١٩١٧ م بدمشق وبها تربى ونشأ، واشتغل في شبابه بمهن شتى واتجه منذ ذلك الحين إلى الخطابة الحسينية في المساجد وعكف على المطالعة والقراءة مدة طويلة لما تتطلبه تلك المهنة من سعة إطلاع ومعلومات، واستفاد كثيراً من مجالسة السيد محسن الأمين العاملي والسيد حسين آل مكي، واتصل ببعض العلماء مستفيداً من كلامهم ومحاضراتهم كالشيخ حبيب آل إبراهيم والسيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ محمد تقي آل صادق والشيخ محمد حسن آل صادق، والشيخ عبد الكريم الزنجاني الذي أقام عدة أشهر في الشام خلال سنة ١٩٣٧ م وسنة ١٩٥٣ م.

وهو متزوج وله من الأولاد محمد، عبد الفتاح وصديقنا السيد عبد الرزاق، وأديب الزين منذ العام ١٩٦٨ م اتجه إلى كتب الطب العربي القديم واكب على قراءة الكثير منها حتى تجمعت لديه ثروة لا بأس بها من المعلومات وأصبح طبيباً معروفاً في حي الأمين يقصده الكثير من الناس للمعالجة بالطب القديم وهو يعالج الكثير من الأمراض ومنها: قرحة العدة والتهابات، تقرحات الكولون والتهابات، البواسير، الروماتيزم، عرق النسا (الأنسر)، فقرات الظهر، التهابات المرارة والكلى وارتفاع الضغط وتصلب الشرايين والكوليسترول وسرطان الثدي والأمعاء والحنجرة والمثانة.. الخ وهذه الصنعة اليوم شغله الشاغل، وقد ترك الخطابة إلا نادراً، أما شعره فهو قليل كما أنه لا يحفل به ولا يجمعه وهذا بعض ما أنشده لي، منها قوله في أهل البيت عليهم السلام:

متنزهاً عن كل معتقد ردي
والشمس لا تبدو لعين الأرمـد
وبه كما فعل الأوائـل اقتدي

ديني كأهل البيت ديناً قيماً
ويشك في ذوي الجهالة والعمى
أنـي أحب محمداً فوق الـورى

وأحب آل محمد نفسي الفداء
هم باب حطة والسفينة والهدى
وهم الأمان لكل من تحت السما
فالقوم والفرقان فاعرف فضلهم
وكفى لهم شرفاً ومجداً خالداً
سنوا متابعة النبي ولم يكن
وقال مخمساً:

نعم جدنا المختار ليس أمية
ونحن ولادة الأمر لسنا رعية
وجدتنا الزهراء ليست سمية
(ملكنا فكان العفو منا سجية
ولما ملكتم سال بالدم ابطح)

أما نحن عن أهل الشقاوة والعمى
علام أبحتهم في الطنوف لنا دما
غدوننا عن الأسرى نعف ونصفح
ونحن أناس لم يك الشر شأننا
ولكننا نعضو ونكظم غيظنا
وكل إناء بالذي في ينضح)

وقال راثياً السيد رشيد آل مرتضى:

قل للذي فيما حواه تمردا
ما من يرجى في الزمان سلامة
من كان منهمكاً بأطماع الغنى
أن المنية قد أقام نذيرها
لكنما الأذان عنك تشاغل
«كتبت هذه الترجمة خلال مقابلي للمترجم له بمنزله بدمشق سنة ١٩٨٠»

وفاته:

زرت قبره في مقبرة السيدة زينب (ع)، وقد كتب على الشاهد أنه توفي يوم الثلاثاء ٢٠ شعبان ١٤٣٠ هـ، الموافق ١١ آب ٢٠٠٩ وعلى الشاهد أبيات لولده الأستاذ عبد الرزاق الزين يقول في مطلعها:

أبتي عرفتك في ولا آل الهدى
أبتي عزائي أن بيعك كله
كنت المنافح عن ولاهم دائماً
حاشاهم أن يتركوك بمحنة
فاهناً بحيدر ساقياً ومخلصاً
حصناً بوجه المرجفين منيعاً
في عترة المختار أحمد بيعاً
ولأمرهم لما نهوك مطيعاً
وولاك فيهم أن يقال أضياعاً
واهناً بطه ناصراً وشفيعاً

الدكتور أسعد الحكيم

(١٨٩٢-١٩٧٩ م)

الدكتور أسعد بن السيد أحمد الحكيم، طبيب نطاسي، وأديب فاضل، حاز على سمعة طيبة وشهرة نالها باستحقاق في الأوساط الأدبية والاجتماعية علاوة على انحداره من بيت علمي رفيع عرف بالعلم والأدب والوجاهة.

ولد سنة ١٨٩٢ بدمشق وبها نشأ نشأة عالية فتلقى علومه الابتدائية في مكاتب دمشق الأهلية وعلومه الثانوية في مدرسة العازرية بدمشق.

نال شهادة الدكتوراه في الطب من معهد الكلية الطبية الفرنسية في بيروت، وأكمل دراساته في الأمراض العصبية والنفسية في المستشفيات الجامعية بباريس.

خدم في الجيش العثماني طبيباً يوزباشياً مكلفاً طوال مدة الحرب العالمية الأولى من سنة ١٩١٤-١٩١٨ وفي عام ١٩٢٠ عين طبيباً للسجون في دمشق، وفي عام ١٩٢٣ طبيباً لمستشفى ابن سينا. وفي عام ١٩٤٠ أستاذاً في المعهد الصحي ومحاضراً في كلية الطب في الجامعة السورية، وفي عام ١٩٤٧ عين مديراً للشؤون الصحية في وزارة الصحة والإسعاف العام، وانتدب لتدريس الأمراض العقلية والأعمال السريرية المتعلقة بهما في كلية الطب في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٠. انتخب عام ١٩٢٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وهو ممن نال وسام الاستحقاق السوري.

في الحقل الأدبي له روايات وطنية تمثيلية وضعها ما بين ١٩٠٦ و ١٩١١ لإيقاظ الروح الاستقلالية العربية ومنها:

- ١- دفة الهندي.
- ٢- زهير الأندلسي.
- ٣- أسد القيراون.
- ٤- أذينة التدمري.

وله الكثير من المحاضرات والبحوث في تاريخ الطب العربي واللغة العربية والأخلاق العامة والمسكرات ألقاها في المجمع العلمي العربي، ومن بين كتبه الطبية كتاب في الطب النفسي وقد توفي رحمه الله يوم الأربعاء ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٩.

وهذه قطعة من نثره بعنوان (الشعر):

قال رحمه الله:

((الشعر شعور تبعته في النفس إحدى المؤثرات الطبيعية أو المعنوية فيثير ما سكن فيها من ميل وهوى وعاطفة وحب، فتتداعى لهذه الانفعال الذكريات، وتتوارد الأفكار والهواجس والخواطر، فيؤلف منها الخيال والوهم صوراً ومعاني مجردة تتمثل في عالم الوجدان فيكسوها النطق حلاً من اللفظ تصوغها السليقة عقوداً متناسقة القد. ذلك هو الشعر: روح وأداب وسليقة. عناصر ثلاثة في جوهر واحد إذا خلا من الروح كان نظماً وإذا عرى من السليقة صار نثراً، وإذا تجرد من هيولى الأدب كان أحياناً موسيقية تطرب القلب وتخلب اللب. أو هو المرأة التي تتجلى فيها نفسية المرء من حيث المدارك والعواطف والأخلاق والمبادئ والطباع والغرائز، ومن حيث الثقافة العلمية والأدبية والاجتماعية. ولما كانت هذه المواهب جميعها صنعة الوراثة والبيئة وكانت الوراثة وليدة العنصر، والبيئة معيار الرقي العلمي والمدني، أصبح من البديهي أن الشعر بمعناه العام أصدق سفر تدرس فيه حياة الأمم وتقاليدها وتطورها الفكري وروحها الاجتماعية ولغتها وحضارتها في كل دور من أدوارها التاريخية، وأنه خير عامل في حفظ اللغة ونقل آداب الأمة ومشخصاتها ومبادئها وعنعاتها من السلف إلى الخلف.

ونظرة في الشعر العربي في العصور السابقة واللاحقة لظهور الإسلام تثبت بداهة صحة هذا المبدأ الاجتماعي لما يظهر فيه مباشرة للعين الناضرة من فروق عظيمة في أسلوب النسيج والتصوير، تتلاءم تلاؤماً تاماً مع التباين الفكري والاجتماعي الذي يفصل كلاً من هذه العصور عن الآخر، وتوضح بكل جلاء ما يوجد بين تطور الأمة الفكري وتطور شعرها من الصلة النسبية الثابتة على أن هذه الحقيقة التي تكاد تكون قانوناً اجتماعياً عاماً بالنسبة للشعر عند الأمم الغربية وذلك لأن العرب تنكروا فيها بلباس السلف فنسجوا غير ما غزلوا، فهم بعد أن أضاعوا سلطانهم وذلوا للأعاجم فقدوا جل مميزاتهم وغدوا عالة على تراث السلف شأن الأجسام الموبوءة لا قدرة لها على الإنتاج، ففسدت لغتهم بما شابها من الدخيل والعجمة، واستحالت إلى لغة عامية غير معربة وغير صالحة للتدوين، ضيقة النطاق ليس فيها من اللفظ الخاص ما يحتاج إليه المتكلم للأعراب عن كل ما يقع تحت بصره، وباتت اللغة الفصحى أو هي لغة التأليف محصورة بين جدران المساجد والمدارس، وبضعة خاصة قليلة من الناس يتعلمونها بشق الأنفس كلفة أجنبية، لا ليتكلموا بها بل ليتفهموا بها أي القرآن الكريم وأحكام الدين وأخبار السلف. وليس من الصحيح، والحالة هذه، أن

يستدل بما ينظمه أحد رجال هذه الفئة الضئيلة ذات البيئة والتهذيب الخاص، على نفسية مجموع الأمة وثقافتها.

هذا، ولما كان باب الاجتهاد موصداً، والتقليد فرضاً محتوماً، والتقليد بأقوال السلف واجباً لا يسوغ الحياد عنه، انصرفت الأذهان عن التفكير والإبداع إلى تنميق صناعة النقل وحياسة الألفاظ، فجمدت القرائح وخمدت العزائم واضمحلت قوة الابتكار والاستقراء والنقد، واستمر القديم على قدمه، دستور هذه الأمة الاجتماعي والأدبي، إلى أوائل العصر الحاضر بل إلى يومنا هذا.

على أنه لا يسعنا عند ذكر مساوئ هذا الدور المظلم إلا أن نذكر له معها حسنة واحدة قد تفيض على تلك السيئات وهي حفظ اللغة، واللغة هي الأمة، وصيانتها والسير بها ألف سنة في مشرق الأرض ومغربنا بين حراب تلك الجيوش الجارة من العناصر الغربية المختلفة الرطانة والعجمة التي حكمتها، ثم الخروج بها في العصر العشرين صحيحة نقية لا يشوب ملاحظتها إلا ثوب قديم الزي تركته العصور عليها وقد لا يمضي ربح من الزمن حتى يتم لها خلعه.

وإذا كان للقرآن وحده الفضل كل الفضل في حفظ اللغة العربية وصونها مما أتى على مثيلاتها من اللغات السامية والآرية القديمة من الإهمال والإندثار فإن للشعر الحظ الأوفر في حفظ أخلاق الأمة ومبادئها وتقاليدها وعنعاتها المحمودة ونقلها من السلف إلى الخلف، وذلك لأن العرب أفرغوا في شعرهم كل ما سما في نفوسهم من عواطف نبيلة، وأفكار سامية، ومعادن دقيقة، وصور خيالية رائعة، وادعوه حكمهم وأوابدها وأمثالهم وشوارد لغتهم أو أبداعها، وأفصح الألفاظ وأبدع ضروب البيان، وامتّن التعابير وابلغها، وبكلمة واحدة، انصهر العرب في شعرهم فغدا مستودع قوة تقذف بموجاتها الإشعاعية في عالم النفوس الأخذة فتفعل فيها فعلها في الجهاز المرسل. ولا غرو فالشعر روحاني بطبيعته ومصدره، وما يصدر عن النفس يستهوي النفوس فينطبع في الأذهان عضواً وتسيل به الذاكرة على الألسنة عفواً. فهو والحالة هذه أشد عامل في بث الأفكار ونشوها وتطورها وتقويم الأخلاق وتهذيبها. ومما يجدر ذكره أن الشعر العربي أخذ يستعيز في هذه السنين الأخيرة ما كان فقدته من مكانته في عالم الأدب والاجتماع وقد دبّت فيه روح فعالة جديدة لا عهد له بها من قبل، وهي الروح السياسية والروائية. مما يعد مضخرة لشعراء هذا العصر ويبشر بمستقبل أدبي واجتماعي زاهر)).

علي محمد حسن

ولد: سنة ١٩٣٥ م



في مصيف الدريكيش - محافظة طرطوس الساحل ودرس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية عن والده (محمد حسن) ودرس المراحل (ابتدائي - إعدادي - ثانوي) في طرطوس والدريكيش خلال خمسة أعوام (١٢ سنة بـ ٥ سنين) وكانت آنذاك سنة ما بين (١٥-٢٠).

في عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ نال شهادة الثقافة العامة من كلية الآداب بجامعة دمشق ثم انتسب للكلية الحربية على أثر وفاة والده تخرج حاملاً شهادة بكالوريوس في العلوم العسكرية عام ١٩٥٨ ثم بكالوريوس في هندسة الميكانيك عام ١٩٦٢ من الكلية الفنية بالقاهرة.

ترقى في صفوف ضباط القوات المسلحة حتى رتبة العقيد الركن، حيث نال شهادة الدكتوراه في العلوم العسكرية عام ١٩٧١. نقل إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٧٤ وتابع بعدها دراسة التاريخ وبخاصة التاريخ الإسلامي.

وهو يُعد الآن رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي بعنوان (الحركات والطرق الباطنية في الإسلام). وهو عضو اتحاد الكتاب العرب منذ عام ١٩٧٤.

يكتب الشعر.. وله مجموعتان مطبوعتان، الأولى (باقة من الصبر والذهب) صدرت عن وزارة الثقافة عام ١٩٧٥، والثانية (كيف النار تختصر) صدرت عن اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٨٠ ومجموعة أخرى قيد الطبع (إلى حقيقة اغترابي).

تعرف بالعلامة المرجع آية الله السيد حسين مكي العاملي منذ عام ١٩٦٣ وكان له شرف الأخذ عنه كثيراً من الأمور والدروس والمراجع الفقهية والمواضيع الإسلامية وهو مقلد إياه. «هذه الترجمة كتبها لي المرحوم الأستاذ علي محمد حسن عام ١٩٨٠ م.

ومن شعره:

خمسون تدرج

تنأى الأماني.. ويمضي المتعب العمر
يفتش (الآين) هل من (أينها) خبر؟

كلاهما في البعيد المرهتجر
كلاهما ضيع الثاني وصاحبه

وهل يمر على رغم اللظى نسيم
ومرة تنتشى عبر (المتى) كبدي
كم ألقح الظن بالظن الذي نبضت
قفر هو الدرب إلا من تطلعننا
خمسون تدرج.. لو أن الرؤى عرفت
وذلك الأمس ما كانت حرائقه
فالطبيون وهيج الجرح رحلتهم
كأنما للأسى جئنا وجاء لنا
فيما؟ وفيه؟.. وقلها يا تصبرنا
توالد الخصب ألفاً في أضالعنا
تأتي.. تروح.. توالي كلها عجب
وأعجب العجب أن تبقى مشيئتنا
تفتن المكرب في ألوانه حلالاً
واستبدل الختل حالات بحالته
وكان في غير أهليه المدى عطرا
يطوف الوجد والنجوى تطوف به
وكم سعى بين أهداي وأوردتي
كأنه في جبين الصبح غرته
حيث الطريق إلى الأحباب تسلكها
تود لو أن بعدبها قد اتسعا
هي المعرف والتقدير منكشف
تضمهم رعشات العين إن حضروا
أحبتي يا بشريا ني وياصرتي
يا سامعين.. وهذا السمع ملككم
تعطر القيظ إمارة ذكركم
وزانت الأفق أنغام مـوردة
وعاود البسال أقمار الصبا نهرا
وضيعتي! والمواويل التي ورفت
بين الأعالي تحلت ألف قافية
وقصر الوصف عن واد يقال به:

فيرشف الحس ما قد يرشح الوطر
طال الهجير.. وطال المسلك الوعر
به حكايا الحكايا.. عل يزدهر
نحو المحال وإلا العتم والخطر
عمق العذابات كان النزف يختصر
تشوي الجذور ولا تستخلص العبر
منذ البداية حتى ينتهي السفر
فيما القضاء وفيه التوأم القدر
أغبرك الثلج! أم في غيرك الشرر؟
وما توالد إلا الهم والضرر..
هذي السنون الضنى بل هذه الصور
كما الطفولة لا يعتادها حذر
وما تغير لو في زيه الخضر
فبان والعاشقان السمع والبصر
حتام ينأى عن الأهل المدى العطر
وحول هذا الجوى كم طافت الذكر
سعي المجدين يستهدي به السحر
عند الشروق وحيث الطل والزهر
رؤيا الفؤاد ورؤيا العين والفكر
فهي المراكب والشيطان والجزر
واللامعرف والمعني مستتر
ويحتويهم خفوق القلب إن خطروا
ويا قضية عمر فاتته الظفر
ومبلسين التناسي حان مذكر
وابتل عند الضحي وأعشوشب الحجر
وازدان مثل صفاء الأنجم السمر
أنى تلتقت فالشلال ينهمر
تعود لي واللحون السمر والخضر
وفي السفوح تناهت دونها السير
ناي هوى من وراء الغيب أو وتر

ولوحة الحور مثل الأمس أقرؤها:
 ترمي.. تصيب حني الصدر تفتحه
 يرعى التوهج مستوراً ومنتشراً
 أحسه الآن نبضاً كل أنسجتي
 كم قد سعدنا.. وكم طار الشباب بنا
 وكم مشينا طريقاً عنبراً وندى
 تلك المدينة.. كم طفنا شوارعها
 وغيره؟ ليتني أقوى فأنشره
 هنا.. هنالك.. لا صمت ولا كلم
 لكي علي.. على بالي.. على فكري
 غال.. ولو أنني ألبسته ظلماً
 أهفو إليه.. إليها كلها.. وأنا
 أنا الحنين.. حكايا النار في كبدي
 أنا الوفاء مدى حالي.. مدى أثري
 ثبت على غير الدنيا وإن ظفرت
 وغير من حبهم راحي ومروحتي
 يبدي المايا.. ولكن لا ترى أحد
 تخيلوها سنى قاماتهم وذرى
 وأوهموا النفس أن الكبر غايتها
 فكيف يعطي صحيح المجتنى غلط
 كيف التقت عندها الأضداد واتحدت
 بلى.. إلى النجم شال العصر صبوته
 وراح كل هوى ترقى طرائفه
 عادت ربيعة أضغاناً على مضر
 أما المروءة.. فالغابيات تعرفها
 هاموا بخنائقهم زلفى وليتهم
 ولا ادعوه الهدى العلوي أوردة
 أقول: ليت.. وتلك (الليت) قد سخرت
 هم آدمنا الهذر أنفاساً فأدمنهم
 ماذا يريدون؟ سلها يا تمزقها
 تقبلوا النصل في الأحناء واستبقوا

(إن العيون التي في طرفها حور)
 يفر منها إليها، الخافق البطر
 ظل ظليل كعفو الله منتشر
 جداول.. نسيم.. طل.. شذى.. شجر
 وكم هبطنا.. فزانت واحتفى النهر
 كم التقانا.. وفي بستانه القمر؟
 وهذه كم بها قد راقنا السهر
 أو ليت.. ليت يقوى فينتشر
 يجلو العذابات لا سمع ولا نظر
 غال ولو أن قلبي كان ينصر
 فإنه في دمي كالنور مدخر
 كالبحر يمتد أمواجاً وينحسر
 ويبدد الريح في عيني والمطر
 من قال.. من قال لي من دونه أثر؟
 بمن أحب.. فغيري سامت الغير
 ينمق الزيف إياهم ويبتكر
 فيها سوى أنهم مروا.. أو انتظروا
 كذا بأغوارها قد خالت الحضر
 ما هم.. ما همهم لو شأهت الأطر
 ويعتلى قمة القمات منحدر؟
 وبدلت كيف من بنيانها الزهر؟
 لكن على ركنها قد ظلت العصر
 وحب أهل زمان الحب ينحدر
 ومثلها في هواها أختها مضر
 من ألوت الوجه ألوى نفسه القدر
 هاموا على السكت لا باهوا ولا افتخروا
 والنبض عند سواهم عينه الكفر
 من التمني.. ومنها يسخر السخر
 عبر التردي عبر الذلة الخور
 عند الأخيرة في بيروت ما الخبر؟
 سهم الجناة اعتذارات.. وما عذروا

وقبلوها يد الجاني، وحسبهم
 ويعد.. ماذا؟ مرارات الدنى شفتي
 واحرقته.. وهذا الجيل يكتبه
 أين الذهاب؟.. وأين اللالذهاب غداً
 يا باطن الغيب أدهى من تصورنا
 وله مخاطباً الشاعر أنيس الخياط وقد طال انقطاعه عنه:

أطلت الهجر لم ترجع إلينا
 تراك غدوت للندى عريساً
 أم أنك- والحياة كما تبدت
 تطوف بمقلتي وأنت تنأى
 وها أنا منذ حين يا عزيزي
 وددت الملتقى قبل ارتحالي
 غداً أمضي.. ويذكرني صحابي
 (المرحوم الأستاذ علي محمد حسن كان صديقاً رائعاً وهذا الجزء من ترجمته فيما استفدته
 منه في حياته في ثمانينات القرن العشرين)

السيد عارف الصوص

المتوفى عام ١٩٩٨



هو السيد عارف بن السيد رضا بن السيد محمد بن السيد
 مصطفى بن السيد علي بن أسير مصطفى بن السيد إبراهيم بن
 السيد أحمد بن السيد شعبان بن السيد أحمد بن السيد محمد
 بن السيد يونس بن السيد الجليل أحمد بن السيد الجليل السيد
 محمد بن السيد شرف الدين بن السيد شهاب الدين أحمد بن
 السيد عز الدين حسين ابن السيد حمدان بن السيد محمود بن
 السيد الفاضل بن السيد يحيى ابن السيد حويان بن السيد حسن
 بن السيد دياب بن السيد محمد بن السيد داود المعروف بابن
 الكلابية ابن شرف الدين بن موسى بن السيد المعظم عبد الله
 العالم المعروف بالبصرة بن السيد المعظم أبي الحسن موسى الملقب

بالجون بن السيد الجليل عبد الله المخص بن الجليل المعظم ابن محمد الحسن المثني ابن الأمام

الحسن السبط ابن الإمام المعظم علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت خير الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والدته: العلوية السيدة فاطمة بنت السيد صالح البريار شرفة ينتهي نسبها كذلك إلى الإمام السبط الشهيد الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

ولد في دمشق من والدين سيدين شريفيين يمتان بالنسب إلى عترة المصطفى. تلقى علومه الأولية في المدرسة العلوية بدمشق في حي الخراب - دخلة الشرفاء وقد أسسها المرحوم الطيب الذكر العلامة السيد محسن الأمين رحمه الله.

نشأ مسلماً أمامياً محافظاً محباً وموالياً لسادته وأجداده آل البيت النبوي المطهر. من أساتذته في الدراسة المرحوم الأستاذ أديب التقي البغدادي، والمرحوم السيد رشيد مرتضى. والمرحوم الشيخ أحمد صندوق - والأستاذ الشيخ علي الجمال وعمل في مهنة الطباعة، وأسس مطبعة اقتصر عليها في طباعة الكتب الدينية وخاصة بعض مؤلفات المرحوم السيد محسن الأمين، ولم يثبت عليه أنه طبع من الكتب التافهة والخلاعية والخرافية شيئا إذ أنه كان يفضل التعتيل عن العمل من أن يندس مطبعته بطباعة أمثال هذه الترهات.

تعشق الأدب والكتابة، وله كتابات في الصحف والمجلات منها ما يتعلق في الشؤون الدينية ومنها في مهاجمة الاستعمار الفرنسي واعتقل مراراً.

في أواخر العام ١٩٧٦ انهارت أربع طوابق من البناء الذي تشغل مطبعته الطابق تحت الأرضي منه وأصبح رهين الانقراض بين الموت والحياة. بضعة عشر ساعة. وفرج الله عنه ببركة آل البيت النبوي الطاهر (ع) وجهود السؤول وخرج من تحت الانقراض سالماً معافى لم يمس بسوء وذهب كل ما يملكه.

له بعض المؤلفات المخطوطة وقد دفنت تحت الانقراض أهمها كتاب: آيات من الذكر الحكيم ومريم بنت عمران والمسيح عيسى ابن مريم (ع).

له من الكتب المطبوعة: كلمات لأمر المؤمنين (ع) مع شرحها، وكتاب من هو العلوي. أما أشعاره فهي مجموعة في ديوان مخطوط وقد دفن تحت الانقراض في كارثة الأنهار. وهو خطيب في المنابر الحسينية، وفي المناسبات.

لا يكثر من الشعر إلا بمديح عزة المصطفى ومقل في غير ذلك.

ومن شعره الذي علق في ذاكرته:

نفس تَقْرَبُ أُنْهَا	يوم القيامة ناجية
بنبيها ووحىها	والسيدين وفاطمة
ويتسعة من ولدها	أرجو النجاة الدائمة

قال من أبيات يرثى بها والدته وقد توفيت في أواخر شهر رمضان ١٣٩٢ وعند بزوغ الفجر:

رحلت لله في شهر الصيام وقبيل العيد غيبها الحمام

ومنادي الصبح يعلن حي على
جاوزت مثنوى العقيلة زينب
أسأل عنك أزهير الرئي
أسأل الأطيّار عن ملهمتي
يا إلهي هبني الصبر على
رحمة الله على (فاطمة)

وقال مهنئاً في عرس:

لله عرسك يا صديقي أنه
فكانما المهدي يوم قيامه
وكانما السبط الشهيد تعود
عرس تضرّد بالمهابة والثناء
حسن لعمرى ما دراه فكل من

وقال مهنئاً لصديق آخر وهو شخصيته مرموقة:

(سعيد) نلت للأمل المرجى
غداة ظفرت فيمن تبتغيها
فأنت البدر أن البدر أهل
رفعت إليك تهتي واني
من المعروف والأدب دوماً
وعرسك سوف أمل أن أراها

وقال في بعض المتلونين الذين يلبسون لكل حال لبوسها:

ذهب الوفاء وأهله
لم يبق من صدق الولاء
قسماً برب العالمين
قسماً بخير المرسلين
قسماً بمن حصد الرؤوس
إن الحياة ذميمة
بئس الزمان وأهله
لعنت ثمود كلها
لم ينكروا فعل الشقي
سأقول قولاً صادقاً

فتعالى المجد يا قفص العظام
بارك الله بنأي ومقام
أسأل الأسحار والناس نيام
فأجابوا توارت في الغمام
جلل أسمى فؤادي والعظام
ابنة الأطهار من خير الأنام

طرباً يقوم له الوجود ويقعد
يدعو الأنام لما يسر ويسعد
من آل أحمد في الجفائن عود
ووجود رهط للوصي يمجّد
ضمّ النديّ صدى المشرة ينشد

وصانعك الهنا ثم السرور
وعنك البؤس ولى واليسر
إذا ما ضم نجماً لا يغور
لما أسديته نجوى فخور
ولا عجب فأنت لنا تصور
تسير وحولها تمشي بدور

مات الحياء مع الخجل
بدهرنا إلا الوشل
لا يعزى أو هبل
إذا تحقّى وانتعل
بيوم بدر والجمال
فاسمع لقولي لا تسل
بدلوا الشجاعة بالوجل
وواحد عقر الجمال
ولا بقول أو عمل
لا صرف لفظ مبتذل

عند المغارم يهرعون
وإذا المغارم أقبلت
قد صح فيهم قول من
(قومي رؤوس كلهم
وقال من قصيدة في العقيلة زينب (ع):

ولزينب الكبرى مقام باهر
هذي وفود الناس تلثم قبرها
عز حباه الله آل محمد
قوم أنار الله لحد قبورهم
فحبهم أرجو المفازة في غد
في روضة هي مركز الصلحاء
ويناد عنه معاشر اللؤماء
وأنجاب عنه سليلة الطلقاء
وقبور أعداهم دجى الظلماء
يوم القيامة أنهم شفعاي

وقال يمدح طيبة في مشفى وقد قامت بواجبها:

في مشافي الشام تلقى
هنالك يبرأ المرضى
وأفضل من يعالجنا
ملأئك كلها رحمة
بفضل عنوية الكلمة
ملاك اسمه (فطمه)

وعلى كل حال فإنه ليس من الشعراء ولا من الأدباء ولكنه متشبه بذوي الفضل منهم.
ولا يحق لي أن أكتب عن نفسي، فإن هذا الأمر قدومك لمصنف الكتاب الذي توسم في خبراً
وحشرنى في زمرة لكتاب. فله مخلص شكري واعتباري، ونزولاً عند رغبته تقدمت منه بهذه
القصاصات. وهذه الترجمة مما كتبه لي السيد عارف الصوفي في ٢٢ شهر رمضان المبارك ١٤٠١
- ٢٤ تموز ١٩٨١».

وفاته:

توفي بدمشق في يوم الجمعة، الثاني من شوال سنة ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٨/١/٣٠ قصدت قبره
في الروضة الزينية جنوبى دمشق وقد كتب على رخامة عنده ما يلي:
أوائل أسماء الذي ارتجيتهم
ثلاثة حاءات وأربع أعين
يخفف عني كل ما يتشد
وأربع ميمات وجيم موحد
وتفسير ذلك: استشفاع المرحوم بالأئمة الهداة (فالحاءات الثلاثة إشارة إلى الحسن السبط
- الحسين السبط - الحسن العسكري - وأربع أيمن) علي أمير المؤمنين وعلي زين العابدين وعلي
الرضا وعلي الهادي.

و(أربع ميمات) محمد الباقر - موسى الكاظم - محمد الجواد - محمد المهدي و(جيم
موحد) جعفر الصادق (سلام الله عليه وأنا لنا الله شفاعتهم بجدهم المصطفى (ص). ورحم
الله الفقيد والصدیق العزيز الأستاذ عارف الصوص وتغمده برحمته الواسعة).

عباس قاسم شرف

(١٩١٢ - ١٩٩٣)



مع متغيرات التاريخ الحديث وفي زمن الحرب العالمية الأولى ولد الشيخ عباس قاسم شرف عام ١٩١٢ من شهر رجب، وبعد عامين من ولادته ذهب والده الشيخ قاسم محمد شرف تلبية لدعوة الدولة العثمانية للاشتراك في الحرب العالمية الأولى، وفي ذلك الزمن القاسي حيث الجوع والتشرد والحرمان قامت والدته فاطمة علي أحمد مكان والده لرعايته مع شقيقته «رقية وزينب» وأخذت تعمل في الحقول لتأمين القوت اللازم لهذه العائلة الفقيرة بعد أن كانت من أميرات منطقة بعلبك «عائلة علي أحمد»، فقد كان ينتظر مع شقيقته وصول تلك الأم المكافحة من الحقول حاملة معها القوت اللازم لكل يوم عند غروب الشمس.

إن هذه الذكريات لم تكن لتمحى من ذاكرته وخاصة عندما كان يتناول هو وشقيقته ما جلبت لهم أهمهم وهي تنظر إليهم بعطف وفرح وحنان دون أن تكون هي قد تناولت بعد أي شيء مما جلبت معها. وكأنها هي التي تأكل.. طال غياب الوالد واستمر تعبها وعناءها وكفاحها خلال هذه الفترة العصبية، ووفاء منه لهذه الأم المجاهدة فقد احتفظ بعد وفاتها بنعلها التي طالما استعملتها أثناء عملها في الحقول لتدرا الجوع عن أطفالها، وكان كلما ضاقت به الأحوال أخرج ذلك النعل من صندوقها ذكراً قداسة تلك الأم وتضحيتها، وقد أوصى بوضع ذلك النعل الذي مضى عليه ثلاث وأربعون سنة تحت رأسه في قبره، معتبراً بحديث رسول الله «ص»: (الجنة تحت أقدام الأمهات) وقد نفذت وصيته، ضارباً المثل الأعلى في بر الوالدين وتقديسهما.

وأما أبوه الذي أقصته يد الحرب عن أولاده الخمسة: «محمد وفاطمة ورقية وعباس وزينب» فقد كان يتضرع إلى الله أن يعيده سالماً إلى سالمين، وكانت فرحته كبيرة حينما نقل إلى حدود العراق الشمالية، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وخرجت الدولة العثمانية منهزمة منها وتفككت عرى ذلك الجيش عادوا فرادى إلى أوطانهم، واغتنم فرصة وجوده قرب العتبات المقدسة فزار النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية متوسلاً إلى الله وبأهل بيت الرسول الله أن يرجعه إلى وطنه وأهله سالماً إلى سالمين، وقد استجاب سبحانه وتعالى لدعواه وعادة ماشياً على الأقدام وبعد أكثر من شهر وصل إلى بلده دمشق.

المدرسة العلوية وأثرها عليه:

لقد كان وعي ذلك الطفل المبكر حافزاً على أن يفهم ما يجري حوله من المتغيرات التي بدأت في دمشق بعدما نعمت بوجود العلامة السيد محسن الأمين، الذي جاء إلى دمشق معلناً الثورة على الأمية والجهل، متخذاً من حي الخراب «الأمين حالياً» مركز إشعاع لبث العلم بين الناس الذين كانوا يعيشون حياة الجهل المدقع، فما كان له إلا أن أنشأ المدرسة العلوية، ووجد الطفل عباس ضالته المنشودة في تلك المدرسة، وفي عام ١٩٢٠ انطلق من سفح جبل قاسيون سيراً على الأقدام وله من العمر ثمان سنوات في زمن كانت فيه الدولة العثمانية تتساقط ليحل محلها الاحتلال الإنكليزي تارة والانتداب الفرنسي أخرى، دافعه إلى ذلك التصميم للتعلم بأهداف العمل والمعرفة.

ويعجب الأساتذة الكبار بالطفل القادم من حي الصالحية ليصبح مفخرة أمام زملائه الذين كانت ظروفهم أكثر إيجابية من ظروفه، وتنهل عليه المكافآت والتشجيعات المعنوية على قدومه إلى المدرسة باكراً وعلى سرعة حفظه لدروس اللغة الفرنسية والعربية ولجراته على الخطابة والمناظرة.

ولا عجب ولا استغراب من تلك الجراءة والمعرفة وقد وضع أستاذه ومديره الشاعر والأديب: أديب التقي البغدادي، قدوة له، والذي كان آنذاك عضو مجمع اللغة العربية في دمشق. كان يرنو إليه كل صباح وهو يطرب لنشيد المدرسة الخالد، وتجمع عيناه لرؤية الأجيال المحبة للعلم تكبر يوماً بعد يوم، كان الطفل عباس يراقبه في حركاته وسكناته يستلهم منه الرجولة والمعرفة والأدب والشعر، ولأنه كان يراه قدوة للإنسان المحب كان ينظر إليه وهو يترنم وتدمع عيناه وتحشج حنجرته لقول الشاعر:

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر

ومرة ثانية تعصف أحداث الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ بالقطر السوري ويضطر والده أن يمنعه من الذهاب إلى المدرسة خوفاً عليه من تلك الأحداث، مع تكاثف الهموم المعاشية، والحاجة ليضم إليه معيلاً يساعده على هذه الحياة الشاقة، فيكتفي بإتمامه الصف الرابع ليدودع ذلك الصرح وهو الأول على صفه وله من العمر ثلاثة عشر ربيعاً، ولم تجد تدخلات المدير والأساتذة مع والده نفعا، حباً بذلك الطالب الشغوف، والنشيط، وتنتصر الظروف وينقلب من المدرسة ليحل محله صنعة جديدة عليه وهي مهنة الحياكة بالنول العربي، ووفاءً منه لذلك الصرح الشامخ والقلب الكبير كانت له أول قصيدة في حياته مدحاً لتلك المدرسة وقد جاء فيها:

رعاك الله من أم رؤوم	بفضلك قد علوت على الخصوم
وصرت أتبه في عز وفخر	بما قد نلت من شرف العلوم
أيا أماء لو عاينت قلبي	لأنيت الغموم على الهموم
بفضلك قد عرفت الله ربي	وأحمد والوصي أبا النجوم

وميزت الصحيح من السقيم
بفضل سماحة البطل الكريم^(١)

بفضلك قد عرفت أبي وأمي
لقد شادت دعائكم رجـال

من العلم إلى العمل

ومن خلال عمله «رحمه الله» كان يتابع تحصيله العلمي فهو يدخر ويوفر ما بقي من القروش ليشتري بها كتاب يعينه على متابعة دراسته وثقافته، كان يتخذ من خان النول معهداً ومنبراً للخطابة والأدب فيخلق فيه فارساً شجاعاً فيقول مشبهاً:

«السيف» عنان

«الشداة» سوط

«الزيركون» حصان^(٢)

«الدوس» ركاب

وبدأت السنون تطوى بتأقاف مع طيات النسيج على «المطواة» فالعقل حيران لما آل إليه مصيره فهو تائه في محيط الآلام، يبحث عن منارة ولو كانت في آخر الدنيا، لقد كان هدف النجف الأشرف، كان يطير قلبه إلى ذلك المكان الشريف، وقد أدهشنا بعزمه المضاء وأمله الطويل بعد الأعوام الستين، وفكر بإكمال دراسته بعد أن أوصل أسرته الكبيرة إلى حد يمكن أن تقوم وحدها بأعباء المعيشة، ولكن ظروف المرض منعه من ذلك...

ثم تتقلب الأحوال بحلوها ومرها، فالعمل بالنسيج لم يكن متصلاً وذلك تبعاً لأحداث البلاد غير المستقرة، وبالتالي فلا بد من تعلم صنعة الوالد وهي نحت الصخور اللازمة لأعمار البيوت المتسارع في الحارات الحديثة حول دمشق القديمة، وإن يكن فهي مهنة شاقة جداً ولكنها تناسب تلك الحياة الصعبة، ولم يدرك أن الصداقة التي تكونت بينه وبين الجبل كان لها الفضل الكبير على صفاء ذهنه ونقاء شخصيته وشحنه بالعزيمة لمقارعة الشدائد فيقول:

أحب إلي من غيد رداح

معانقة الصخور على ارتياح

وقلب الصخر من فوق البطاح

وتقسيم الصخور على انتظام

كثير المن بالقول الصراح

أحب إلي من نعمى لثيم

ولا عفت الصديق أخا الصلاح

وما بعدي عن الأحباب كره

إذا وافاه هم ذو براح

ولكن الجدير بكل حر

فإن البعد أشقى للجراح

فيجعل في الجبال له مقراً

ويبلغ سنه العشرون ربيعاً، ويقرر الزواج، ويقع الاختيار على مؤمنة من عائلة عاقل، فيتزوجها ليدخل السعادة على قلب والديه، وتعود الحياة لتطحنه بمأسيتها وتنزل بهم الطامة الكبرى فالأب المؤمن والذي كانت تستمد العائلة منه الإمداد الروحي والديني يفقد بصره إثر حادث انفجار لغم في جبل قاسيون أثناء العمل، ليقعد حبس الدار متفرغاً للعبادة والدعاء وقراءة مجالس أبي عبد الله الحسين «ع»، ويقع على كاهل الابن الوحيد مسؤولية إعالة الأسرة مع زوجته، فتشتد الهممة

(١) السيد محسن الأمين.

(٢) أجزاء النول العربي.

ويبقى الدافع ليغدو أكثر وأكثر من الماضي فينطلق بهيمته العالية سائراً بعون الله قائلاً:

سأقتحم الشدائد مهما كانت بعون الله ذي المن القدير

ثم يفقد «رحمه الله» أولاده الثلاثة الواحد تلو الآخر لعلّة مرضية، ليبقى لديه «هاني» الطفل الوحيد والمดلل لأبويه وجدّيه، وبعد فترة قصيرة تطال يد المنون زوجته، فيمسي أرملاً ويصبح هاني يتيم الأم، ثم يعاود الزواج مرة أخرى فيختار ابنة عمه التي لم تطل مسيرة حياتها عنده بسبب ظروفه القاهرة، وبقي على هذه الحال أربع سنوات يكابد مشاكله وحده، فالأب أعمى ومحتاج للرعاية، والأم صماء، والطفل يتيم، وهو أرمّل. فتوقد هذه المتاعب عنده جذوة الإيمان والتصميم، ومن خلال هذه الظروف الاجتماعية في الحي والمنزل، ينشد شعراً يعزي فيه نفسه ويرفع من معنوياته، ليؤكد حقيقة ثابتة أن نفساً عشقت محمداً وآل محمد، نفساً مشّت في درب الكفاح والجهاد، لا بد لها أن تنتصر وتعلو ويكون لها الصدر بين العالمين فيقول:

تبهى على الناس في عز وفي شرف للصدر أنت وللأنذال أعقاب
تبهى على الناس قد نلت العلى شمماً لا تيا سي ترسيبى فالدهر دولاب
واقصد إلهاً ودع جاء العباد فما يجديك إلا عظيم المن وهاب
لا تأخذني بذنب قد أتيت به فأنت ربي قريب العفو ثواب

لقد زحّت أعباء ضخمة على مسؤولية هذا الشاب الطالع، فالعمل ومشاكله وهموم الحي ورعايته، وأبيه وأمه وطفله وظروفه، لقد كان باراً لهؤلاء الثلاثة معاً في آن واحد. ولكنه حلق وضرب رقماً عالياً وقياسياً في بر الوالدين ورضاهما، ذلك ما يشهد به كل أهالي الحي أثناء حياته وبعد وفاته، كان يقضي وقت راحته ومطالعة إلى جانب أبيه الأعمى، يقرأ له مجالس العزاء والنوادر، يأخذه إلى الأماكن المقدسة مثل مقام السيدة زينب والسيدة رقية والسبايا «ع» ماشياً على الأقدام وهو يحدثه طوال الطريق بأشعار عن أهل البيت «ع»، كان لا يعصي لهم أمراً مهماً كبيراً أو صغيراً، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، كما كان لطفله نعم الأب والكفيل والراعي إلى جانب جده وجدته، ومن نوادره أن حفظه شعراً نظم له كي يفخر به فيقول:

أنا هاني بن عباس حليف الورد والأس
أوالي حيدر الكرار إمام الجن والناس
بنص المصطفى العدنان برغم الأنف والراس

ثم يلتجأ رحمه الله إلى الزهراء «ع» ليطلب مساعدتها في اختيار زوجة صالحة تعينه على تحمل جزء من مصاعب حياته، فتستجيب «ع» لطلبه ويختار زوجة من آل بلوق من حي الخراب «الأمين» فتساعده على بره والديه وتربية ابنه، وتساعده على تحصيل ما فاتته من العلم، فتحمس ابنه على دخول المدرسة المحسنية. حيث كان من المتفوقين على مستوى القطر آنذاك. وتكون له نعم الرفيق والسكن والأنس وخير مساعد على إكمال مسيرته الجهادية.

وفي تلك الأيام كان «رحمه الله» متنقلاً ما بين الجبل الأشم «مهنة أبيه» ذي الطبيعة الرائعة، وبين النول العنيد المهنة الصعبة التي كان يسميها أصحابها بالعمل الشاق أو المرض السقيم لما كان يحمله عاملها من أمراض جسمية واجتماعية، فماذا كان دوره «رحمه الله» من تلك الظروف السيئة؟ لم يكن «رحمه الله» متفجعاً أبداً وإنما كان يحاول من خلال أدبه وعلمه ووعيه أن يوصل أصوات هؤلاء الكادحين في مجتمعه إلى أذان العالم كله، عله يدرك ما يعانيه قلب ذلك العامل من ضنك العيش ومشقة العمل، إنها ولا شك نظرة اجتماعية ثاقبة وهو ما يسمى بين ألوان الأدب «بالأدب الإصلاحى الثورى» يقول من قصيدة يصف بها حالة الحائك المتعب، وقد نشرت هذه القصيدة في إحدى الصحف السورية عام ١٩٥٤ بعنوان «إذا أبدع الجوع»:

وحائك حاك برداً وهو عريان	الله أكبر كم في الكون حرمان
يمسي ويضحي لهيف القلب عن ظمأ	والماء يجري ومنه القلب عطشان
يطوي على الضر محتاراً بعيشته	والجسم خاو لفقد القوت غرثان
حاك القماش بخيط قد أعد له	يا ليت شعري ألبناء خيطان؟
يكسو سواه بروداً ليس يلبسها	تالله ما هكذا يقضيه وجدان
يا رائد الحق هلاً كنت مقتحماً	ليل البيوت وما تحويه جدران
تلقي رجلاً وأطفالاً معذبة	علائم البؤس أشكال وألوان
فحاربوا الفقر بالتشغيل والتمسوا	أجرأ وذخراً قرب الخير ريحان
وخلصوا الشعب من دهماء داهية	إن كان عندكم بر وإحسان

وقفه مع السيد محسن الأمين

من هذه العواصف العاتية ومن خلال تلك الأمواج القوية، وتحت تأثير الألام والأحزان تتبلور شخصية الشاب عباس الإسلامية الثائرة.

فأن يكون له والد قارئ حسيني، وأن تكون له والدته تذرف دموعها على الحسين، يعني أن يكون الشاب قارئاً حسينياً مفعماً بالحب الحسيني، فالموهبة التي منحها الله له والمناخ الذي عاش فيه، عبق الثورة الحسينية ووجود العلامة السيد محسن الأمين كل ذلك جعل منه قارئاً حسينياً عاشقاً لهذا اللواء والشرف الرفيع الذي يمنحه الله لخاصة أوليائه.

يحدثنا «رحمه الله» أنه كان له من العمر عشر سنوات فقط عندما تهاى له في البيت نور وصوت مسموع يقول له: «ارث الحسين» وكان هذا الطفل قد خلقه الله ليضع في قلبه حب أبي عبد الله الحسين وثورته الشريفة، يقول رحمه الله:

لي ثروة من أعظم الثروات	أعلو بها في أعظم الطبقات
إنني أتية على الزمان بمهنة	ارثي الحسين مولها من ذاتي
فوقفت نفسي للرياء يحثني	حزن لمحصور بأرض فلاة

إني فطرت على الرثاء وليتني
أقضي الحياة أجيد للعبرات
لولا رثائي للحسين ونعيه
كانت همومي أذنت بوفاتي

وجال في عالم الرثاء الرحب وحلق في ملكوته الرائع، وأصبح يطوف على زورق الحب الإلهي لآل محمد «ص» باحثاً عن ربّان يهدئ مسيرة هذه العواطف الجياشة والأنفاس الطاهرة ليصبها في محلها الطبيعي، وأخيراً حطت سفينة القارئ المولع أمام شاطئ السيد محسن الأمين لأنه رآه أباً عطوفاً وصدرًا رحباً يستوعب كل مشاكل الحياة والدين، تعرف عليه من بعيد، وصار يصلي في المسجد الذي يؤمه ويستلهم من حديثه وخطبه روح العالم المجاهد والفقيه، يحدثنا «رضوان الله عليه» أنه فكر ملياً قبل أن يذهب إلى البيت الذي يسكن فيه سماحة السيد وتردد مراراً في الذهاب فالسيد محسن صلب في مواقفه ذو هيبة كبيرة، كان يضع الشيء محله، طرق عليه الباب ودخل فرأى شيخاً متواضعاً جالساً في حديقة من أمهات الكتب والمراجع الضخمة، يضع نظارة سميكة للقراءة والمطالعة سلم عليه فرد السلام بصوت قوي قائلاً باللهجة العامية «شو بتريد» فقال الوالد «رحمه الله» بجرأة وثبات: «سيدنا طرّقنا كل الأبواب ولم يبق إلا بابك» قال السيد «والمطلوب» فرد الشاب: «أريد أن أقرأ عليك المجالس وتصصح لي» فقال السيد مستعجلاً «أقرأ تاشوف».

بدأ يقرأ والسيد يصغي إلى أن انتهى وجاء وقت الحكم على الشاب المبتدئ... قال السيد «عال... كل يوم تعال...» ثم خرج فرحاً من بيته وهو يتأمل في تعليم السيد له أصول الخطابة. ولكن ظروف العمل والحاجة الماسة كانت حائلاً بينه وبين اكتساب العلم واغتنام فرصة الجلوس مع هذا العالم الرباني الكبير وصار يتردد عليه في أوقات فراغه وأيام الجمع لكى يحصل على أكبر قدر ممكن من العلم مع مراعاة عمله وشؤون بيته، وفي ديوان الشيخ رحمه الله قصائد كبيرة وجميلة تحكي قصته مع سماحة السيد والعلاقة الأتوية المتبادلة بينهما، يقول في إحدى قصائده تحت عنوان «مدح السيد محسن الأمين»: «قلت أمدح مربي المربين ومعلم الأجيال من له الفضل الأكبر في التوجيه المجتهد الأكبر صاحب الأيادي البيضاء العلامة المقدس السيد محسن الأمين»:

قد طار قلبي في الفضاء ولم يزل
يسعى بأية بقعة أن ينزلا
حتى أسف بسرعة لما رأى
داراً بها حل الأمين ابن جلا
ناديته والدمع مني واكف
يا ذا الذي في حبه قلبي ابتلى
يا ابن الهداة العرب يا ابن محمد
يا كهف أبناء الزمان وموئلا
يا من به حلك الظلام قد انجلي
عباس أضناه بقاء سكوته
أينال غاية وصفكم... كلا ولا

ولما كان سماحة السيد مولعاً في الشعر بل من أشعر شعراء عصره، كان يستمد الشيخ «رحمه الله» شاعريته منه ومن الاحتكاك مع مؤلفاته التي طالما تشرف بالكتابة فيها والسهر على خدمة السيد ومساعدته بالتحقيق والبحث عن شخصيات وتراجم عظماء الرجال وخاصة موسوعته أعيان

الشيعة. وتبعاً لهذه الأحوال تدرج الشاب على الشعر وصار يطلع سماحة السيد على بعض أشعاره فينقحها له موجهاً بعباراته الرقيقة والجميلة «يا بابا يا شيخ عباس» يحدثنا «رحمه الله» عن قصة أبيات نقلها إلى مسامعه الشريفة قائلاً له «سيدنا أنا عندي بعض الأبيات بتسمعن» فرد السيد «قول تاشوف» فقال:

و طرحتها للسوم شبه العنبر	إني اقتنيت طرائفاً من كتبكم
ينفع ندائي صارخاً من مشتري	لكن سوء الحظ قارنها فلم
لا يشتري المعطور إلا العنبر	فحملت أعبائي جميعاً قائلاً

فضحك له السيد وقال «أحسنست أحسنست يا شيخ عباس والله عال ويتنظم شعر كمان».

وهكذا انطلق فقيدنا «رحمه الله» في ميدان الشعر وقراءة مجالس أبي عبد الله الحسين «ع»، تحفه عناية السيد ورعايته وصار يقرأ المجالس إضافة إلى عمله المعتاد في النول والجبل، وهكذا قرت عيون أبيه الشيخ وتنعمت؟ أسماعه بصوت ولده وطموحه، وصار يرفع رأسه عالياً كيف لا وابنه صار من خدام منابر سيد الشهداء «ع»، وجادت قريحة الشيخ وقاضت عاطفته اعترافاً بالجميل لأستاذه ومربيه ومعلمه فنظم الشعر وقرأه عليه فينهال عليه الثناء من سماحته تشجيعاً وتقديراً حيث كان يرد على البيت الجيد بعبارة «أحسنست»:

ونيل العز والشرف التقليد	صرفت العمر في طلب المعالي
بما أنفقت من عمر سعيد	جزاك الله عنا كل خير
وكان الجهل كالليل الجعود	أضأت الكون من علم وفضل
وثقت العقول من الجمود	وربيت الشباب وكل فند
وبعد الصيت أو جمع النقود	إذا افتخر الغبي برفع جاه
وحسبي أن أكون من العبيد	فإن بخدمة اليعسوب فخراً
أيا يوم اللقا يا يوم عيد	سرور القلب في لقاءك دوماً
فأنتم ظلة العاني الجهود	وما خاذ الذي يحوي ولاكم

ومن خلال هذا الاحتكاك مع شخصية السيد ومع ما كان يزوره من شخصيات علمية ودينية وعلمانية ازدادت ثقة الشيخ بنفسه وهو يرى قدوته يسهر الليالي ليحصل العلم ويعلمه، فهو يرى به شخصية فذة وبركة عظيمة لأهل دمشق ويتشجيع منه صار يقرأ مجالس العزاء في حي الإمام زين العابدين «ع»، سواء أكان في موسم العشر الأول من شهر محرم أو من خلال المجالس السيارة التي كان يقرأها على مدار السنة في بيوت الحي أو ما يتعداه إلى مجالس في أماكن أخرى وهكذا تعمقت في قلبه قراءة مجالس العزاء وصارت تملأ كل دقائق حياته بالإضافة إلى عمله في الجبل أو النول.

وفي يوم من الأيام الأخيرة لشهر ذي الحجة يأتيه طلب مستعجل من السيد الأمين رحمه الله، وينزل إليه ملبياً الأمر كالعادة ولكن هذه المرة أمر مختلف، فقد كان عنده وفد من أهالي بيروت يطلبون مساعدته في اختيار قارئ عزاء جيد، ولما كان لسماحة السيد نظرة ثاقبة في الشخص فقد

وجده أهلاً لتلك المهمة الصعبة، وهكذا وقع على شيخنا «رحمه الله» الاختيار وكانت نقطة التحول الكبيرة في تاريخ حياته، فقد انطلق من حي الإمام زين العابدين الحي الفقير والمتواضع، إلى ميدان كبير في بيروت حيث كان مجلس الحاج حسين الخنساء «رحمه الله» في الغبيري المجلس المركزي لمدينة بيروت.

وقد احتك في تلك الفترة «رحمه الله» مع معظم علماء وشخصيات القطر اللبناني من أرباب الدين ورجال السياسة والاجتماع. فخلق في مجالسه مستمداً قوته من ذلك الحضور الكبير والمتنوع من مختلف المذاهب والأديان والتوجهات الدينية والسياسية، لقد كانت الأيام العشرة التي يقضيها في لبنان تعود عليه بالفائدة الكبيرة والجمّة وتمنحه دفعاً معنوياً كبيراً لإكمال جهاده في حيه طوال العام من المحرم إلى المحرم.

يحدثنا «رحمه الله» عن قصة ذهابه الأول إلى بيروت وتترقرق الدمعة في عينيه لتذكر ذلك المشهد الأليم، فقد كان الشتاء قارصاً والعائلة الفقيرة لا تملك في ذلك الوقت إلا «المنقل النحاسي»، وما يحيوه من بعض الجمرات المغطاة بالصفوة، فبعد أن حزم أمتعته وكتبه قبل يدي أبويه وتوجه إلى الباب وقبل أن يخرج التفت فراي أبيه الأعمى وأمه الصماء وطفله اليتيم قد تحلقوا حول تلك الجمرات، عليهم يطفئوا بحرّها برد الشتاء القارص، وبدأت بعد ذلك رحلة الحنين إلى الأهل التي عذبتّه طوال فترة غيابه.

وأثناء تلك الفترة من الزمن حدثت معه بعض الأحداث المهمة فعلى الصعيد الديني كان له شرف القيام بإمامة مسجد الحي الذي تعاقبت عليه شخصيات كبيرة ومجاهدة أمثال الشيخ المؤسس «عبد الحميد شرارة، الحاج حسين عبيد، الشيخ محمد شرف»، «رحمهم الله»، وهكذا اتخذ من محراب ومنبر مسجد المحمدية الخندق القتالي الواسع لمواجهة الانحراف والجهل، كان يحدثنا بأنه دخل إلى المسجد وعمره ست سنوات بصحبة والده، وتعلق قلبه به حتى قام «رحمه الله» بإمامة المسجد حتى السنين الأخيرة من حياته.

وأما على الصعيد الاجتماعي، فقد طالت يد الموت الشخصيتين اللتين كانتا قلهمانه الصبر والإقدام وتحمل أعباء الكفاح والجهاد ففي عام ١٩٤٨ لبي والديه نداء ربهما، وتقبل قضاء الله وقدره وهو مرتاح الضمير راض عن نفسه، فهو لم يعص لهما أمراً في حياته، ضحى بالكثير مما يملك حتى رضيا عنه، كان مصداقاً لحديث النبي «ص» عندما سأله أعرابي: (من أبر من والدي قال «ص»: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبيك).

لقد غابت شمس الحنان والعطف، وانقض عرش الكبرياء والإمداد الروحي الذي كان يعينه على تحمل المصاعب بعد أن ضرب رقماً عالياً وعالياً جداً في رضا الوالدين حتى صار المثل الذي يحتذى به يقول في رثاء أمه:

تحت التراب قليته طال المدى
وشرت علأ بعدها كأس الشجي

مات الحنان لفقد أمي وانطوى
أم رؤوم قد فُجعت بموتها

يا أم من لي بالدعاء إذا اعتري
بعض الخطوب وأقبلت جمع العدي
يارب فارحمها وعرف بينها
والعترة الأطهار من آل الكسا
ثم كان مصداقاً لحديثه «ص»: (أنت ومالك لأبيك) فلم يدخر شيئاً من المال، أو وقت، أو
زوجة، أو أولاد، إلا وكان فداء لوالديه ومحبة في سبيل إرضائهم، وخاصة أبيه الذي قضى ثمانية
عشرة سنة الأخيرة من عمره وهو ضرير لا يرى أمامه، وأبى هذا الطود الشامخ والبنيان الراسخ،
الذي لم يطق فراقاً لفرينته العزيزة، بقاء بعد رحيلها، وبعد أشهر قليلة يرحل إلى مقره الأبدي
فيرثيه قائلاً:

زاد اللبيب بقلبي مذ مضى عضدي
والعقل أذهل والأحشاء تشتعل
يا دهر حسبك ما أبديت من محن
أمي مضت وأبي في إثرها عجل
لم يبق لي بعد ما ظعنوا مسامرة
من صاحب فعساه الجرح يندمل
ثم ينطلق «رحمه الله» ليعمق علاقته مع السيد محسن الأيمن أكثر مما مضى لأنه
أصبح بالنسبة له الأب والأستاذ والمحامي والكفيل، وصار يلاحقه من مكان إلى مكان يقتبس منه
خلاصة خبرته وعلمه وهو في أواخر عمره، ويشهد المرض كثيراً بصحة السيد «رحمه الله» ويتنقل
سماحته إلى المستشفى في بيروت لتلقي العلاج.

وفاة السيد محسن الأيمن عام ١٩٥٢

يحدثنا «رحمه الله» أنه ذهب في كوكب من شخصيات دمشق ليزور السيد في المشفى،
وتحلق الجميع حول سرير العلامة المريض وهو في آخر أيامه، فجال السيد بنظراته الضعيفة
المحزونة، على وجه كل شخص من الزوار ليتوقف عند وجه شيخنا الفقيد يقول له بلهجته المعتاد
«كيف حالك يا بابا يا شيخ عباس» ويكيا هنيهة عراف فيها أن ساعة الوداع قد حانت وقبل أن
ينصرف انحنى على يده الطاهرة مقبلاً لها سائلاً سماحته «مولاي هل تأمرني بشيء» فرد سماحته
متواضعاً «الدعاء يا شيخ عباس».

قفل الشيخ عائداً إلى دمشق والهموم تملأ قلبه، عاد إلى عمله المعتاد وكان الروح قد سلبت منه
وصار يعمل بجسمه لا بروحه، وبعد فترة جاء النبا الفاجع بقضاء الله وقدره ب وفاة سماحة السيد
الأيمن وكاد الحزن العميق أن يقتلع قلب الشيخ من جوفه عند تلقيه هذا النبا الأليم، فرثاه بقصيدة
ملؤها الفخر بشخصيته الفذة والأسف على رحيله من دار الدنيا، وقد نشرت في مجلة المحيط
البيروتيه العدد الخاص عن حياة السيد.... وفيها:

تضعض الكون واندكت رواسيه
وأعول الدين ينعى فقد حاميه
والأرض ترجف والأملاك في شغل
والعلم يذري دماء من مآقيه
لفقده الشمس قد غابت أشعتها
واظلم الأفق واسودت نواحيه
قل للبتيم وللمسكين أبك أسي
راح العماد الذي قد كنت تبغيه

يا حامل النعش رفقا فالقلوب هوت
يا ساكن اللحد هل من نظرة شبح
لو قد صببنا دماء من محاجرنا
لو كان يفدى بجمع الناس كلهم

هذا الطبيب الذي كنا نوافيه
تحية فؤاد الذي قد كنت تحييه
حزناً عليه لما كنا نكافيه
لكنه أول من يمضي ويفديه

ما بعد السيد محسن الأمين

وهكذا بقي شيخنا وحيداً فريداً (بعد رحيل السيد محسن وبعد رحيل والديه) أمام حياة صعبة وعمل شاق، ورغم هذه المحن والصعوبات فقد تابع «رحمه الله» مسيرته في التوجيه والتثقيف وجهاده ضد الجهل والتخلف كالطود الشامخ، يعالج هموم حيه «أسرته الكبيرة»، من خلال بحثه عن الصور السلبية والتي تؤدي إلى مشاق مؤثرة، ويبحثها من كل كلمته وشعره على أسماع المسؤولين، ليصار إلى معالجتها، ففي إحدى المناسبات تجمعت فيها مجموعة من الشخصيات السياسية ألقى «رحمه الله» قصيدة مصوراً فيها معاناة مجتمعه وحيه، وقد نشر ذلك المهرجان مع القصيدة في إحدى الصحف السورية عام ١٩٥٤ حيث يقول منها:

إني تعشقت العلى	والسن مني كان يافع
إلهام ربي ساقني	ما لي سواء لذاك دافع
العقل أذعن أنه	لا بد للإنسان صانع
يا للرجال قضية	قد أذهلت عقل المطالع
حي تضور أهله	ما بين حيران وضائع
وترى الصبي والفتى	ما بين نازلة وطالع
يتناوبون لنقل ماء الش	رب من شتى المواضع
فترى الوجوه تقشرت	من حرشمس كان سافع
أو إن أتى فصل الشتاء	تراهم زلق ولا ذق
لا يقدر المجهود نيل	رغيفه ما لم يصارع
لا يستطيع فقيرنا	قوت العيال بغير شافع
ويلاه ما هذا الزمان	الذل فيه صار نافع
تالله لا أرضى بذل	لا ولا للوغد خاضع

ثم تضغط الأحوال والهموم على فقيدنا «رحمه الله»، ويضيق صدره وتعصف رعود راشدات في سماء الحق فلا يجد «رحمه الله»، إلا آل البيت عليهم السلام ملجأً ومنقذاً لبث هذه الهموم حيث يقول مخاطباً لهم:

أعصوب القوم جمعاً فالنجا بكم	مالي سواكم لدى الشدات والخطر
وأظهروا الحقد نحوي فالضعيف غدا	صفر الأنامل من حام ومنتصر
أردد الطرف باللحظات نحوكم	أرجو الخلاص من السوات والكدر

بعض الشخصيات الإسلامية في شعر الفقيد الراحل

ومن الشخصيات الإسلامية التي تشرف «رحمه الله» بمعاصرتها والقيام على خدمتها ومدحها وورثائها العلامة المجتهد السيد حسين يوسف مكي العاملي، حيث كان «رحمه الله» يقرأ له مجالس العزاء التي يقيمها ويرافقه في بعض جولاته على المؤمنين ويستمد من سماحته العزم والتصميم على المسير في خط آل البيت يقول مادحاً له:

تقدت الهموم بغير فك	وصرت أسيرها في حبس ضنك
وما حل الوثاق سوى رئيس	حسين سيد من آل مكي
أيا نسل الأطائب دم طيباً	تداو قلوبنا من كل شك
وما هذي الحياة سوى بحور	وهل تنجو بها من غير فلك
وأنتم سفنها من حاد عنها	إلى قاع البحور غدا بهلك
فحبكم وأمركم سيجري	فهذا في الجنان وذا بدرك

ومن العلماء الذين مدحهم: الشيخ عبد الكريم الزنجاني رحمه الله وقد كتب في ديوانه ما يلي: وقلت أمدح الشيخ عبد الكريم الزنجاني الخطيب الكبير، وقد زار دمشق وخطب في الجامعة السورية والمسجد الأموي وجامع الدقاق، فأعجب به الناس ولا سيما في الجامعة حتى قال له رئيس الوزراء فارس الخوري: «يا أستاذ أسكرتني بغير مدام، أنت لست بعالم المسلمين بل أنت عالم العالم»، وقد قبل يده رئيس المجمع العلمي العربي محمد كرد علي فيقول شيخنا مادحاً له:

يا من به وجد العلاج لأمة	فلتبسم الأكوان وهي تصفق
يا من به كشف الستار لمظلم	وأبید شمل النزع وهو معانق
فليرفع الإسلام هامة رأسه	وليدرع ثوب البسالة أليق
يا ليت عمري لا يزال بقريكم	أبد الزمان وأن ذاك يصدق
الجود والإخلاص من أعمالكم	بحر العلوم بثغركم يتدفق
فاهناً فما للدين غيرك رافع	وافخر فما للعلم فوقك فائق

وقال مخاطباً لأستاذه في المدرسة العلوية وخادم المنبر الحسيني الشيخ علي الجمال «رحمه

الله»:

زهر الرياض بخده	ويريقه حلو الشهد
جم المحاسن والفضائل	والمناقب والمجد
الله يعلم أنني	لهوان لم أبرح عبد
أنتم غرستم في القديم	نصاحاً غرساً بيد

وقال «رضوان الله عليه» في قصيدة رثاء للعلامة المجاهد والخطيب السيد عبد الحسين شرف

الدين «رض»:

الدين يبكي كذاك العلم ملهوف
عبد الحسين لنا بعد الإمام غدا
فليبكه المنبر المرموق كان له
ولنبك من أسف حزنا وهل
إنا نعزي رسول الله أجمعنا
والطرس يرنو فهل للشمل تأليف
أبا رحيماً كما للناس غطريف
ليثا هصوراً بدا للخصم تخويف
يجديك يا عين بعد الجرح تذريف
بواحد الدهر بالإحسان موصوف

ومن شعره ما قاله بمناسبة انتصار الثورة الإسلامية في إيران على يد السيد الخميني «رض»
وقد أذيعت هذه القصيدة مراراً من إذاعة الجمهورية الإسلامية، كما نشرت في بعض المجلات والكتب.

نهضت نهوض جدك يا حفيد
رأي - الحق في قلب المنايا
بقم قميصك الذي يشهدك شيء
تشير إلى الجند من نفس الأمير
تقيم الحق وهو على أعور الج
فلا استغراب منكم إن نهضتم
وروح الله للإسلام أنتم
خميني إمامي عظيم
أصلد الصخر قلبك أم حيدر
فعنه لا تميل ولا تحيد
وإن كثرت أساطيل ركود
في نفسك قبلك الحق الأكيد
فيه حشدة المنافق والחסود
فهذا دأبكم ولكم تليد
بغير الروح جسم لا يفيد
قريشي عصامي رشيد

ومن قصيدة في مدح العلامة المجاهد آية الله السيد محمد حسين فضل الله هذه الأبيات:

ترك النبي وراءه ذريعة
هذا الخميني العظيم بيعرب
يا حارس الإسلام دمت له حمى
إسمان قد جمعاً بطهر واحد
في محكم التنزيل ذكرك وارد
دم سالماً ما لاح نجم في السما
فاقوا الأنعام سماحة ورشادا
فكلاهما للمشكلات أبادا
إذ قمت عنه محافظاً ذواذا
مني حسين قالها إذ نادى
في قوله فضل إلا له أشادا
أوقد بنى باني العلاء وشادا

زيارات الشيخ للأقطار الإسلامية

ومن الأحداث الهامة التي جرت في حياته زيارته لبعض الأقطار الإسلامية والمشاهد المقدسة،
يقول بعض الأبيات المناسبة لزيارته إلى القدس الشريف في عام ١٩٥٦:

وفي القدس المقدسة التقينا
وصلينا هنالك وابتهلنا
ونلنا الفوز بالحرم الشريف
لرب مبدع بر لطيف

وفي عام ١٩٧٥ تشرف بزيارة المشاهد المقدسة في العراق وإيران، فلكم طار قلبه حيناً إلى تلك
المشاهد الشريفة، وكم هاجت روحه شوقاً إلى قبور أولئك العظماء حتى أن الألوان وتقدس وتكتلت
عيناه «اللتان طالما ذرفت الدموع على غريب كربلاء وغريب خراسان» برؤية تلك الأماكن المقدسة.

وفي كربلاء وفي ساحة معركة أطف الخالدة يقف ليسترجع تاريخاً يعود إلى أكثر من ألف سنة ليمدح وقفة وقفها سيد الشهداء، هذه الوقفة التي ألهمت كل الأحرار في العالم من ذلك التاريخ وحتى زمننا الحاضر معنى الشجاعة والحق حيث يقول:

يا وقفة المجد التليد العالي	بك يقتدى يا مبعث الأبطال
أنت الأساس لكل من رام العلى	يحمي العلى بالسيف والعسل
بك يمتطي للمجد كل شمردل	يبغي الصعود إلى المكان العالي
يا وقفة هزت بموقفها الورى	معنى وصارت مضرب الأمثال
يا واقفاً كل الذئاب تحوطه	بأبي وأمي أنت من رئبال
لولاك يا عز الرجولة لم تصل	كيفية الإسلام للأجيال

ومن أجمل الأشياء في الدنيا أن يحقق الإنسان أمانيه وأحلامه، وإذا كانت أمنيته قراءة مجلس أبي عبد الله الحسين في كربلاء المقدسة وتحققت هذه الأمنية فإن صاحبها ولا شك قد فاز فوزاً عظيماً، يحدثنا «رحمه الله» أنه في خلال زيارته لكربلاء أصر على أن يقرأ مجلس الحسين في عرين الحسين، وبحمد الله فقد حقق الله أمنيته، فنصب منبراً وقرأ مجلس الحسين «ع» عند القبر الشريف، ويحدثنا أيضاً أنه إذا زرت قبر الحسين «ع» فلا بد من أن تمر على بواب أبي عبد الله الحسين وحامل لوائه وقائد عسكره وجيشه أبي الفضل العباس «ع»، فقد كان لفقيدنا «رحمه الله» علاقة مميزة بذلك الرجل الأشم الذي كان يحمل تلك الصفات العالية والتي لم يتوصل إليها إلا رجل مثل أبي الفضل يقول:

أنوح نوحى وهل بالنوح من ضرر	إن كان حقاً فكم بالطف من عبر
أبكي أبا الفضل يا رمز الإخاء ويا	شبل أوصي ويا سؤلي ومدخري
حامي الظعينة لا يرتاع من أحد	يوم الكريهة لا يخشى من البشر
يبكي الحسين على العباس منتدبا	يا صنو روحي قد انقضت لي ظهري
أما العقيلة تنعي وهي نادبة	يا نور عيني يا أنسي من الصفر
«عباس» يبكي على العباس منتحباً	طول الزمان وحتى آخر العمر

يحدثنا «رحمه الله» عن شوقه الكبير لرؤية قبر الإمام علي بن أبي طالب «ع» لما كان يكن له من العظمة والجلال والحب، وكان فضل الله عليه عظيماً أن حبه منه بأفضل الكبير لمشاهدة عرينه سلام الله عليه، وعندما وصل إلى ذلك الباب العالي قال له مخاطباً وقلبه مفعم بالشكر والامتنان الإلهي «حقاً إنك الأمير» وارتدى رحمه الله على عتبته المقدسة وقبلها مراراً ويمرغ وجهه ولحيته بتراب زوراه الكرام ثم دخل إليه زواره ورأى عليه جلال العظمة والكبرياء، وقبل انصرافه قال له مخاطباً «إن لك في قلبي مقاماً أعظم وأعظم» وقال مخاطباً:

أبا الحسنين يا سيف المنايا	فأنت خلقت للحرب العوان
وأنت لكل صنديد عنيد	وأنت المرتجى يوم الطعان

وجدلت الرجال بكل حرب
وقبرك شامخا يعلو فخارا
وحبك في القلوب له شعاع
وبعد أن أتم زيارته لباقي المشاهد المقدسة يشد رحاله باتجاه قبر الغريب غريب آل محمد «ص»
والذي وعد زواره بالشفاعة يوم الحشر الأكبر، تمر عليه الدقائق والثواني وقلبه يرتن من البعد إلى
ذلك المشهد المقدس وعيناه تذرفان الدمع شوقاً وفرحاً لرؤية ذلك الطود الشامخ حيث يقول:

قد زرت أعلام الأنعام جميعها
حتى أتيت غريبهم يا هل ترى
أنا الغريب وقد أعود لبلدة
يا قبر طوس قد أتيت بحاجة
لأرثينك ما حييت على ظهر منبر
من حبهيم يمشي سراعاً في الدم
أأعود ثانية فتحني أعظمي
أنت الغريب ولم تعد لتسمم
استعصى فحواها على كل عالم
وترتد مني الروح في جسم سالم
وتأخذ أنفاسي هبوب النسائم

الحج إلى بيت الله الحرام

وفي عام ١٩٧٧ يتشرف للمرة الثانية بالذهاب إلى حج بيت الله الحرام «وكالة عن أخيه محمد»
وزيارة قبر المصطفى محمد «ص» الرسول الأعظم الذي طالما مدحه وأثنى عليه وذكره في مجالسه،
ذك الرجل الذي له الفضل الأكبر على البشرية والإنسانية بتحمل أعباء تأدية الرسول التي خصه
الله بها حيث يقول:

ذكرى الرسول دواء داء الداء
كان الوجود يموج في هرج وفي
فمحمد أحيى الأنعام بهديه
فالدين جسم والفؤاد محمد
يا شرع أحمد أين أنت أما ترى
علماء شرع محمد سيروا على
وكذا ذووه ذخيرتي لبلائي
مرج وفي طغيانه وعناء
وبرأيه وذكائه ووفاء
والصنو ساعده على اللأواء
شعبا يتيه بقفرة وعراء
نهج الهدى دوماً على استعلاء

ومن قبر الرسول الأعظم محمد «ص» يتوجه رحمه الله إلى مقابر آل بيت النبوة في
البقيع ليجدها خراباً وفي تلك السنة أغلقت في وجه الزوار فقال:

شأن الحوادث يا أميمة ساري
لم يكف أعداء إلا له بما جنوا
حجبوا قبورهم عن الأبصار هل
هم في القلوب جمعهم لا في الثرى
ماذا جنى آل النبي عليهم
في كل جيل دائم التكرار
من ظلم أهل البيت في الأمصار
يخفى الضياء ترى عن الأبصار
فالقلب ملك الواحد القهار
لله ما لا قى بنو الكرار

وأينما يلتفت الزائر يتذكر تلك الشخصيات العالية صاحبة المجد الأول في التاريخ الإسلامي والذين خلق الله الدنيا ومن عليها من أجهم وحدهم، ومن الهوان على الله أن يترك قبر ریحانة رسول الله دون تشييد وبناء، وهو أحد السبطين، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وكأنه بقلب أبيه الكرار يتفطر الماء على ابنه المجتبى:

أذكي الفؤاد مصاب المرتضى وغدت	عيننا المحب تفيض الدمع غدراننا
شمت العدو وعاد الوغد في مرج	وأصبح الواسع البلعوم جذلاننا
يهدي إلى الأرض شكرانا لقائده	إذ سم من كان للمختار ریحانا
تركوا الإمام أبا الأطهار واتفقوا	من ابن آكلة الأكباد كفرانا

أما سيدة نساء العالمين «ع» فلم يكفها ما لاقته من غربة في حياتها بعد أبيها من أهل زمانها حتى يحجبوا عن محبيها وزوارها التبرك بتراب قبرها الطهور، فقد لاق «سلام الله عليها» ما لاقته من مصائب يتفطر لأجلها قلب المؤمن فيقول:

فقد النبي مصيبة دهماء	فجع الوصي وناحت الزهراء
ناحت قبلت الخدود بدمعها	فتذمرت من نومها الأعداء
تدع الديار وتستظل أراكة	حتى يجيء مع النحيب مساء
البيت ذا الأحزان يبني زوجها	كي تستظل بسقفه الحوراء
عاشت على غصص كريمة أحمد	حتى مضت ولها البكاء عزاء
بلغت مكانتها بأن رضاءها	يرضي الإله وللرضاء سواء

وهكذا يشد رحاله «رحمه الله» قاصداً دياره بعد هذه الجولات المتقطعة في هذا العالم الرحب، ليعود إلى حيه ومسقط رأسه، صاحب الفضل عليه، فيقعد متأملاً بعد هذه السنين من حياته ليعترف بفضلها الذي لم يؤده أحد بشكل كاف فبعدها بأن هناك شباب وأطفال يرتقب فيهم الخير إن شاء الله:

يا أيها الأم الرؤوم ترقبي	صوت الشباب وخير من لباك
تجدين أبطالا يدافع كلهم	عن مجدك عن أرضك وسماك
منذ الطفولة قد عشقت مرابعا	فهيا الأحبة من ربي مغناك
والجسم مني ذاب من حرق الجوى	والرأس شاب وكل ذاك فذاك
أتراني أقضي حقك في قولي	ما لم أشارك في أسى محناك
سبعين عاماً من حياتي قضيتها	لا زال ظلي في ظلال رباك
ناديت في جمع الشباب بصرخة	دوت فجئت ملبياً لنداك
وأهبت في جمع الشباب جميعهم	سرعان صاغي السمع قد لباك
فجرت أفكار الشباب بموقف	حتى يكون جنودك لحماك
إني أخاف عليك من كيد العدى	أن تصبحي كضريسة الفتاك

احتفالات وتأثيرها على الحي

لم يغفل أهالي الحي الكرام موالد الرسول الأكرم «ص» والأئمة «ع» حيث لم تمر مناسبة إلا وأقاموا لها الأفراح والاحتفالات، فتلقى كلمات الأساتذة والأدباء على مسامع المؤمنين لتحرضهم على الالتزام بالدين الحنيف، وكان له «رحمه الله» شرف المشاركة الفعالة بهذه المناسبات بتوجيه من سماحة العلامة المجتهد السيد حسين مكي، ويمر عليه عيد الغدير الأغر في كل عام حاملاً معه معنى الولاية والإمامة والتجديد لهذه النظرية العالية التي فرضها سيد البشر «ص» بأمر من الله عز وجل حيث استمد المسلمون الجعفريون الإماميون من هذه المناسبة روح المحافظة على الإسلام العزيز فهي المناسبة الأساس لهذا الدين الحنيف:

تمضي الدهور وتنقضي الأعوام	والحق يعلو وتنطق الأيام
هذا الغدير أتى يذكرنا بأن	فيه الخلافة للإمام تقام
يا يوم خم أنت عيد للورى	عن وصف فضلك تعجز الأقلام
يا يوم خم أنت أعظم موثق	هيات سبرك تبلغ الأفهام
فعليك يا يوم الولاية بهجة	تبقى ويبقى العز والإكرام
وعليك يا يوم الغدير تحية	وعليك يا يوم الولاء سلام

شعر الرثاء وأهميته في حياته

بعد هذه الجولة اللطيفة والتي كنت غيبضا طفيفا من فيض غزير، عبر فيها «رحمه الله» عن آلامه وآماله، وأحزانه وأشجانه، وأفراحه وذكرياته، نتوقف عند الغرض الرئيسي الذي وقف شاعرنا حياته من أجله والذي يخصه الله لخاصة أوليائه، ذلك اللون من الشعر الذي يقبض أجره من عند الله حسنات عظيمة يضيء الله بها درب المسيرة الدنيوية، وظلمة القبر الرهيبة، ويوم النشور العظيم، إنه باب الرثاء العام لآل البيت، ذلك الوسام العظيم الذي حمله «رحمه الله» فصار ديدنه الدائم، ففي الجبل رثاء، والعمل على النول رثاء، وفي البيت رثاء، وفي الرحلات رثاء، وفي الليل والنهار والمحراب رثاء، يستيقظ في الصباح ليتذكر أحلامه وإذا به وفي نومه يرثي الحسين «ع». وفي فراغه وشغله، حتى تحقق له القول المأثور «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء».

من جملة رثائه العام لآل البيت الرسالة «ع» رثاؤه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «ع». قوله:

صبيحة الغدر عم الكون مأساك	وخيم الحزن لا في أرض مغناك
بل أصبح الكون في هم وفي قلق	إذ صاح جبريل ينعى فوق أفلاك
ينعى الوصي أبا السبطين إن له	مدحاً له يوم أحد وسط معراك

ثم يأتي عيد الفطر على الأمة الإسلامية، ذلك اليوم الذي أمر به الصائم أن يفرح بإتمام الفرض ولكن أهل البيت لم يفرحوا بذلك العيد لأن سيدهم وزعيمهم قد قضى في تلك الأيام، ويعيش شاعرنا «رحمه الله» هم تلك المناسبة ليعلم الأحزان بدل الأفراح فيقول:

عيد الغيوم لفقداني أبا الحسن	عيد الكروب وعيد الهم والحزن
عيد تجلبب جلاب الأسى الدكن	عيد أطل على الدنيا بغاشية
حزناً على من له كالروح للبدن	عيد يمر على الإسلام في قلق
عند الوداع وقد لفوه بالكفن	يا عبد يا عبد لو أبصرت ما صنعوا
صوت النياح علا من داخل السكن	أبصرت يا عبد أهل البيت في أسف
هناك يا عبد عيد الفرض والسنن	لا عدت يا عبد إلا يوم قائمتنا

ولعقيلة بين هاشم مكانة خاصة عند شاعرنا «رحمه الله، فقد كان يقرأ لها المجالس الضخمة شارحاً صبرها الذي صبرته على المصائب العظيمة بفقد جهدت وأمها وأبيها وأخيها الحسن ثم أخيها الحسين عليهم السلام، ثم بعد تلك المصائب تتحمل أعباء السبي ورعاية الأم تلك المسؤولية التي تهون الرزايا لرزاها العظيم يقول رحمه الله:

إلى الآن يبقى ذكره ويدوم	لك الضخرياً فخر النساء بموقف
حقاً وصدقاً إنه لعظيم	لك موقف يوم الطفوف بني نوى
من حولها كل العيال تحوم	يا عمة الطف اليتيم وكعبة
كرب فإنني فيكم مرحوم	يا بنت سيدة النساء عباس في
لا يستزار معطل مهدوم	شيدت قبابكم وقبر عدوكم
نحو السيف فإنني فيكم مرحوم	أرجوكم يا آل طه نظرة
تحى العظام وإنها لرميم	إن مر ذكركم على قبري غدا

كم كان يذهب إلى زيارة قبرها الشريف في دمشق راثياً إياها بقوله:

ركب البراق إلى السماء وتعال	أم المصائب زينب يا بنت من
فاز الذي لأبيك حقاً وإلى	أم الفجائع زينب يا بنت من
كانت لربات الخدور مثالا	فخر النساء عقيلة من هاشم
ورفعت عن جسم الحسين نبالا	يوم وقفت على الحسين مضمخاً
عريان تكسوه الرياح رمالا	ناديت يا جداه سبطك عاطش
يا رب فأقبل فدونا ووصالا	وهنا رفت نحو السماء بنظرة
يا من رعت بعد الحسين عيالا	لله درك يا عظيمة أمة

وكما تشرفت أراضي دمشق بضريح العقيلة زينب فقد أزينت بضريح الطفل الشهيد رقية بنت الحسين «ع» والتي قضت نحبها بعد أن نال السبي منها ومن أخواتها ما نال، فكان يذهب إلى حي العمارة زائراً وراثياً فيقول:

رقية بضعة من آل طه	بها طابت غدت أرض الشام
--------------------	------------------------

بعد هذه القصائد الرفيعة، ننحني إجلالاً، ونطأ طئ الرأس احتراماً لقصائده المركزة في شعر الرثاء، نقف خاشعين أمام تلك القصائد التي حازت على الغالبية العظمى لقصائد الديوان،

ومنها هذه القصيدة الحسينية الثائرة، التي تعبر تعبيراً بالغاً عما كان يجول في خاطر وصدر شيخنا، كانت نفثة في بحر طامي، أراد من خلالها أن يصور تلك الواقعة الرهيبة بالصورة التي ألهمه الله إياها:

أدعوك ربي دعاء الواله السئم	يا رب مكة والأستار والحرم
وأذر الدموع على كرب البلا دفعا	وابك الحسين أبا النجيدات والهمم
وابك الذي مات عطشانا مصيبتة	قد عمت الخلق من عرب ومن عجم
لو أن دمع الوري من بعدما قتلوا	تجمعت أصبحت كالبحر ملتظم

شعارات الحسين «ع» ودورها في شخصية الشيخ

كان صوته «رحمه الله، يعلو في الحسينيات في بيروت، وحسينيات الحي، وفي السيدة زينب، والسيدة رقية، ومقام السبايا، وغيرها من الأماكن المقدسة، كان يعلو ليوضح للسامعين حقيقة تلك الثورة مردداً بصوته القوي المجلجل شعارات أبي عبد الله الحسين «هيهات منا الذلة» والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»، والله لا أرى الموت إلى سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

كان يقول: «هل سمعتم بزعيم أو قائد قد تكافتت عليه الذئاب من كل جانب، ثم يخطب في أصحابه في تلك الليلة الأخيرة، ليلة الوداع ليقول: (إني لا أرى أصحاباً أوفى ولا أبر من أصحابي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً...)» فيقول «رحمه الله»: «أي زعيم وأي رئيس هذا الذي يسمح لأصحابه بالذهاب في يوم لا يحسده عليه أحد... إنه ولا شك الحسين بن علي «ع» وبعد قتل أصحابه وأبنائه يقول مفتخراً في ساحة الميدان وحده أمام الظالمين:

أنا الحسين بن علي آليت ألا أنثني
ويقول من قصيدة أخرى:

مصيبة ودعت في القلب أشجانا	فالصبر بان وهذا الحزن قد بانا
إن الفؤاد كنيها من درى قدما	أن الحسين قضى بالطف عطشانا
في الليل أرثي وعند الصبح أذكره	ما دمت حياً أثير الكون أحزانا
أرثي النساء وأبكي ساعة اقتحموا	على الخدور وما شاهدن فرسانا
أرثي العليل وما لا قاه بعدئذ	الله أكبر ما قاسى وما عانى
تقدست كربلاء إذ أنها ضمنت	أجساد طهر بها تختال أزمانا

لقد كانت نظرته ثاقبة في عمق الثورة الحسينية، لم يكتف بتصوير مآسي العائلة الشهيذة وإنما تعداها إلى فهم أكبر من ذلك، فلولا وقوف أبي عبد الله الحسين تلك الوقفة في ذلك الزمن، لضاع الدين كله. كما يقول محمد إقبال: «الدين محمدي الوجود حسيني البقاء» يقول رحمه الله:

أحسين يا رمـز إلا بـاء	وفخر طـلاب الحـياة
ما زلت أرثي دائماً	ما دمت حيا للممات
أرثي فتبكي أسرتي	يبكيك أهلي مع بناتي
حتى وإنني لو فقدت	بكتك في قبري رفاتي
أبكيك يا بطل المـارك	يا حبيباً للأبـاة
يا ليتني يوم الطفوف	أكون من عدد الحماة
يلتاع قلبي من وقوفك	يا وحيداً في الفـلاة
لولا وقوفك في الطفوف	لما وقفنا بالصـلاة
لولا جهادك ما عرفنا	الدين من كيد الطفاة
أسقيك يا ساقـي العطاش	كأس ماء من حـياة

عاش «رحمه الله» كل لحظة من لحظات عاشوراء بما فيها من عبر ومآسي ومواقف يشيب لهولها الطفل الصغير، من تلك الصور والمآسي، عودة الجواد بعد فقدانه حامى الحمسية إلى النساء الحيارى:

بان الكفيل فبان الحزن والكمد	فخانني ثقتان الصبر والجلد
وأقبل الطرف ينعى الال يخبرهم	من أن فارسه أوصاله بدد
حام الجواد وأبدى صولة وأتى	نحو الخيام عليه السرج والعدد
مات الجواد بلطم الرأس منتحرا	من أجل صاحبه للروح يفتقد

وبما أنه «رحمه الله» كان يعشق آل بيت الرسالة فقد كان يجب كل من يتعلق بهم من صاحب أو عالم أو محب ومخلص، وخير من أحب وأخلص لآل البيت تلك الثقة الشريفة التي استشهدت في سبيل الولاية والعقيدة، وأكبر مثال على ذلك شهيد الولاية الخالد حجر بن عدي الكندي «رضوان الله عليه»، وأصحابه الذين غضب الله لقتلهم، وكرمهم بمعجزات ظهرت للعيان، فكيف لا يغضب كل حر لهذه الواقعة الرهيبة، يحدثنا «رحمه الله» أنه مر على قبر أحد الشهداء الذين قضوا في سبيل الوطن والكرامة وقرأ على ضريحه أبيات من الشعر ذات معنى كبير فبكى وقال أهذا الشهيد العظيم خير من «حجر» الذي تشرفت باحتواء جسده الشريف «عذراء» شرق دمشق فقال:

أخنى الزمان على حجر فشده	حتى قضى بحسام البغي منحورا
كأنه الشمس في شرق الشام غدت	توصي الحقيقة والإخلاص والنورا
سحابة المزن قد جاءت مطهرة	جسماً لحجر من الأحداث تطهيرا
كرامة الله للإنسان ترفعه	إذ فجر الماء حول الرأس تفجيرا
فقدم العنق لا يرتاب خاطره	شوقاً إلى الله حتى لم يقل زورا
وقدم الابن والأخوان كلهم	خوف البراءة لم يخشوا مباثرا ^(١)

(١) القصيدة منشورة في مجلة الموسم العددان (٣٧ - ٣٨) ضمن الملف الخاص بالشهيد حجر بن عدي الكندي رحمه الله تعالى.

كل هذه الأحداث والأشعار التي مرت علينا في تلك الوريقات، مرت على فقيدنا وهو بصحة جيدة لا يشكو إلا ذنوبه ولا يطلب إلا عفوريه الكريم ولكن الله إذا أحب عبداً زاد في بلاءه وامتحانه، وكان في تلك الفترة لا يألو جهداً في النصيح والتوجيه والقراءة مستغلاً منبر مسجد المحمدية من جهة ومن جهة أخرى المجالس السيارة في الحي ومناسبات العزاء وعشر المحرم، وكان لا يوفر وقتاً في إيصال الكلمة إلى أسماع المؤمنين، محاولاً أن يصل إلى مرحلة نكران الذات في سبيل الهدف السامي وهو أنه لماذا خلقنا الله؟ ولماذا خلقنا في هذه البلدة بالذات، كان يقول: «اعرف نفسك في أي مكان أنت، ينبغي عليك أن تنشر فضائلهم وتكون خير رسول لهم بين أناس لا يعرفون هذه الفضائل» كان يصدق في كل وقت ومكان منبهاً واعظاً لا يعرف صيفاً ولا شتاءً، ولا ليلاً ولا نهاراً، ولا أي شيء سوى رضى الله وطاعته ومحبته، كان ينظر في المرأة فيرى أن اللون الأبيض قد داهم شعره ولحيته الشريفة، فيقول «لقد مضت هذه الفترة من العمر ولم نفعل شيئاً يذكر، يجب أن يكون عملنا أكثر فعالية، لأننا سفراء آل محمد «ص» في كل عصر وزمان، نحن الممهّدون لدولة الإمام المنتظر «عج»، أنا لم أقل شيئاً، وإلى الآن، وإن شاء الله سوف يمنحني الله طول العمر والقوة كي أبلغ وأنشر فضائل آل محمد «ص»، ولكن الله إذا أحب عبداً زاد في بلائه وامتحانه، ففي عام ١٩٨٣ يصاب «رحمه الله» بشلل في نصفه الأيسر، ولكن عناية الله ورأفته، وعزيمة الشيخ وأصراره، ودعاء المؤمنين له، والعلاج، أدى إلى شفاؤه ورجوعه إلى ساحة العمل والجهد بعد فترة وجيزة من المرض، ووفاء منه لله ولمحمد وآل محمد «ص» الذين لم يتخلوا عنه أثناء مرضه يقول:

أن الأوان وحان وقت شفائي	حمدي لربي دائماً وثنائِي
شكري لربي ما حييت على المدى	إذ بَدَل الضراء بالسراء
يا عالم النجوى وأسرار الدنيا	يا خالق الأزواج والأشياء
يا راحم الشيخ الكبير لسنه	يا راحم المكشوف والصماء
يا رافع الرجل الوضع وهمه	مثل الجبال وكاشف الألواء

ويعود إلى ساحة العمل وعزمته أشد وأمضى من السابق، يحدوه في ذلك كبار الرجال العظماء الذين لا ترهبهم المواقف ولا تنهيه العواصف، وتعلو فيه الهمة ويزداد الوعي في صفوف المؤمنين ويكثر الإقبال على المساجد والحسينيات، فيزداد عطاء الشيخ ويتحمس لرؤية الشباب الطالع وهم يتجاوزون كل ملذات الدنيا ومغرياتهما ليلتفتوا إلى رضا الله وعبادته فتشتد علاقة الأب بأبنائه ويكبر الحب المتبادل بينهم ولأنه «رحمه الله» كان يبحث عن الفائدة الأكبر لهذا المجتمع وعدم إغفال النصف الثاني منه، حث المؤمنين على توسيع المسجد وبناء سقيفة بداخله كي يكبر عدد المصلين من الرجال والنساء وتتاح فرصة للنساء الحي وأطفاله للاستماع إلى مجالس الحسين التي كانت تقام في هذا المسجد.

ويتكافل أبناء الحي جميعهم ليقيموا هذا المشروع الرائد على مستوى الحي المتواضع، ولأنه كان داعياً دائماً إلى الاكتفاء الذاتي بكل أصنافه، كان البناء والمهندس والعامل من أبناء الحي،

كان ينظر إلى أن من يساهم في بناء هذا المسجد بجهد أو ماله أو خبرته سوف يحمي هذا المكان بدمه ودينه، يدخل إليه مرفوع الرأس يحافظ عليه أكثر من روحه.

وفي غمرة ذلك الحدث العظيم، تحدث مفاجأة مذهلة فكيف وأين ولماذا؟ اليوم: هو يوم من شتاء عام ١٩٨٩ المكان: في ضيافة الله مسجد المحمدية، الهدف: رفع أذان المغرب.

لقد وقع «رحمه الله» في ضيافة الله عند رفع أذان المغرب وفي مدخل المسجد، ليؤدي ذلك الحارث إلى كسري فخذه الأيمن، ويعود مرة أخرى ليقعد حبيس الفراش، ولأنه من الرجال الذين لا يستكينون للمرض ولا ترهبهم هذه المصاعب، يحول فراشه إلى منبر للوعظ والإرشاد ولتربية النفس وتأديبه بالدعاء والتسبيح وقراءة القرآن، وبقراءة مجالس أي عبد الله الحسين، ونظم الشعر في الحسين «ع»، ورغم المرض المقعد والحسم الضعيف كان «رحمه الله» ذا همة عالية ونفس لا تعرف القيود، كان يذهب إلى المناسبات الدينية من احتفالات ومآتم لآل بيت الرسالة «ع» وعلى رأسها مناسبة عاشوراء التي لم يقطعها إلا العام الأخير من حياته الشريفة، وقد جاء في شعره:

لولا رثائي للحسين ونعيه كانت همومي أذنت بوفاتي

وقد تميز شعره في تلك الفترة أكثر من الفترات السابقة وذلك نتيجة التفرد للأمور الروحية أكثر من أي وقت مضى، يقول من قصيدة له في رثاء الحسين «ع»:

وبنى المعالي للكماة ووحدا	شرع الطريق إلى الإباء وعبدا
وأزال أشواك الطريق ومهدا	وأنا دريسا للحياة براهيه
سنن الهدى فيأمرها أهل الضدا	وبنى بجنت الطف مدرسة على
حقاً له في كربلا أن يسجدا	منها تخرج كل أغلب ضيغم
أنت الذي سن الإباء وشيدا	ويقول يا سبط النبي محمد
فأبيت إلا أن تموت لتخلدا	أنت الذي أبى الخضوع لوغدهم
لا زلت عزاً للزمان وسيدا	يا أيها البطل الكبير بكربلا
ثم أخشعي هذا الحسين أبو النداء	فرؤوس كبار البرية طأطئي
فيه نواسي فاطماً ومحمدا	إن البكاء يحط من عثراتنا
ما لم تكن خط الحسين مؤيدا	ماذا يفيدك أن تنوح بمآتم

ويهل عليه محرم في كل عام، ولكن هذا العام كان مميزاً لأنه كان يذهب إلى مجلسه وهو مريض، كان يقسم أنه لن يقعه عن ذلك الفخر إلا الموت الذي لا بد منه.

لما أهل محرم	جاء المصاب الأعظم
يأبى الحسين مذلة	للضيم لا يستسلم
ورث إلا با عن جده	وأبيه ذاك الضيغم
والمجد أصبح عالياً	والقتل فيه سلم
قتل الحسين بكربلا	قتل النبي الأعظم

ومن قصيدة أخرى:

ونلت المجد والعلواء وحدي	بحبي للحسين بلغت قصدي
عظيم المرتقى بجميع جهدي	بعون الله قد أمضيت شوطاً
يرادفني على تعب وجهدي	ركبت الصعب مالي من معين
كثير المن بالأفضال فرد	سوى رب عظيم قد تعالى
مراكزهم محل الروح عندي	وأحاب له لهم ولأني

وبحمد الله تتحقق أمنية الشيخ «رحمه الله» بتوسيع المسجد وبناء تلك السدة ويغمر الفرح قلبه ويستمر في إقامة مجالس العزاء وتحضر النساء والأطفال والرجال ويتحقق هدف من أهداف حياته...

فيقول في ذلك شعر:

والخير والإحسان والعمال	قد شيدت أركانه أهل التقى
ما أن لهم في الساكنين مثال	أستاذنا عبد الحميد وصحبه
فمعلم ومشمر فعال	وأتى البنون فوسعوه بهمة



رباً عظيماً قد بنيت لأجله	يا مسجد الرحمن جنتك راجياً
يعضو إلا له لمن أقر بذنبه	يا رب إنني مذنب ومقصر

شعر الحكم والمواعظ

في نهاية هذا المطاف لا بد لنا أن نذكر شيئاً من الحكم والمواعظ التي مرت في بعض قصائده والتي اعصرت فيها خبرته وتجاربه ليقدمها بشكل جميل يقول:

نفس عليك وقيدتك ذنوب	يا حامل الأوزار حسبك ما جنت
وأراك يوماً عن هواك تؤوب	كم ذا نذرت وأنت لاه ضاحك
ماذا تنال وقد آتاك مشيب	إن كنت في شرخ الشبية معرضاً
فاسلك طريقاً نوره ملحوب	إن كنت ترجو عفو رب قادر
فألرب يصفح إذ يراك تتوب	وابك للذنوب كان أيام الصبا

ويقول:

لدى يوم المشيبة والشباب	أفادتني الإرادة كل شيء
فأغلى وزنه ثقل الذناب	وإن فقد الإرادة أي شخص

ويقول في مقدمة قصيدة:

هو منية الأعداء والحساد	إن الغباء يفت في الأعضاء
وهو السلاح لهم على الأضداد	وبه ينالون المآرب والمنى
يقضون كل منا لهم ومراد	إن الغباء مطية لنفاقهم

فإذا هما اجتماعاً فأى فساد

إن الفباء أخو النفاق وصنوه

ويقول:

به يمتاز في الملأ الكبير
فإن الصلف ممقوت حقير
ومن فقد الشعور له الشعر
مناد الموت مسكنك القبور
جنان الخلد تسكنهن حور
فإن العمر غايته الغرور

كمال المرء في الدنيا شعور
ومن قد الشعور فذاك صلف
شعور المرء في الدنيا حياة
تيقظ من منامك سوف يأتي
فإن قدمت من خير ستلقى
تزود في الحياة وأنت باق

وفاة زوجته في آذار عام ١٩٩٣

ويصل «رحمه الله» إلى قمة الامتحان الإلهي فبعد كل هذه المصاعب التي جرت عليه في جنب الله ومحبة أهل البيت «ع»، تحط سفينته عند شاطئ الآلام، إذ توفيت شريكة حياته التي تحملت عنه أعباء الأسرة الكبيرة، منذ أن ساعدته على إحراز رضا والديه الذي احتفظ به طيلة حياته، وكم كان حزنه كبيراً لأنه لم يستطع بسبب مرضه أن يتكفل بطبابتها ورعايتها، وكم كان حزيناً لأنه لم يشارك في تشييعها ودفنها في مقرها الأخير، ولكنه ظهر صابراً محتسباً لله تعالى، كان لنا خير واس وخير معز لفقدنا رحمها الله، وجاءت وفود أبناء الحي رافعة إليه العزاء لتجده وكأنه المعزي مستمداً صبره من صبر آل محمد إذ كان يقول: «إذا ما أصبت أو ابتليت فتذكر مصاب آل محمد «ص» تذكر مصاب الحسين «ع»، تهون مصيبتك عليك».

وجادت قريحته بقصيدة يرثيها فيها:

أدمى الفؤاد بسهمه ورماني
قد أشعل الأحشاء بالنيران
نزهوا بذكراك على الأزمان
مصحوبة بالعضو والرضوان

ذكراك يا أم الرجال شجاني
ذكراك طيف قد ألم بقلبنا
قد كان ذكرك بهجة لحياتنا
فعليك تهمني من إلهي رحمة

ومن قصيدة أخرى:

جنان خلد وقلبي اليوم مأواك
فالعين تشاق رؤياك وإياك
يوم الحساب فعند الحوض ألقاك
يجزيك ربي جزاء يوم أخراك
طول الحباة فمنها طرفي الباكي

ريحانة القلب أين اليوم مثواك
فأنت في القلب لا زلت ولم تزلي
إلى القيامة بعد اليوم فانتظري
كرمتني إذ حفظت الوالدين معي
تركت في القلب حسرات مجلجلة

ولم تطل فترة حياته «رحمه الله» بعدها، فقد عاش خمسة أشهر وعشرة أيام فقط، حيث حظ به المرض وأنشأ أظفاره بجسده المرهق، ورغم أزادته القوية ومصارعته لذلك المرض فقد انحنى تحت تأثيره الشديد، ولكنه ظل مواظباً على صلاته وأدعيته إلى أن حل به قضاء الله وقدره. وهكذا انقضت هذه الفترة من الزمن معلنة سقوط نجم من سماء المحبين لآل محمد، غفت

عيناه وبدل مسكنه ولكنه لم يغفو إلا بعد أن ترك له في هذه الدنيا محلاً في القلوب، وترك بصمة واضحة على جدار التاريخ الطويل وسيخلد ذكره من خلال أعماله وأشعاره وما ترك في ذهن كل إنسان عاصره أو رآه أو سمع به، وستبقى كتبه وشعره وأثاره خير شاهد على مسيرته الطويلة، سيبقى صوت يصرخ فينا في كل مكان وزمان، مستمعين إلى قوله وندائه رحمه الله حيث يقول:

شباب الحي قوموا من سبات	جميعاً وانهضوا قبل الفوات
وقوموا جمعكم كيأام فرد	ولموا شعثكم خوف الشتات
فإن عدونا قد جاء يسعى	بجيش الظالمين من العصاة
يريدون القضاء على تراث	ورثناه عن الصيد الكماة
فأصوات الجدود بنا تنادي	أفيقوا جمعكم فالموت أت
دماء الحر تغلي من نداهم	لأن صراخهم عمّ الجهات
نناديكم ونحن بلا لحوم	سوى عظم مجرد أو رفات
سقيناً الأرض طراً من دمانا	ويكفيكم بهذا من عظات
فهبوا للجهاد الا أضيخوا	جهاد النفس من شيم الهداة
ولو أنا صحنونا بعد موت	لكان حديثنا من مدهشات
استقينا هذه الترجمة من ولد المترجم له السيد حسام مع بعض التصرف.	



جمع من الأعلام يتوسطهم الإمام موسى الصدر في صحن السيدة زينب(ع)

محمد حسن الخياط



وله في مدح أهل البيت:
توجهت يا ربي بآل محمد
إليك فجز عن زلتي وخطيئتي
فما كان مني لم أكن متعمدا
بظلم بدا مني فسبب هفوتي
رجوتك بالهادي النبي وآله
ففرج بهم يا كاشف الكرب كريتي
فعفوك عن ذنبي شفاء لعلتي
ولطفك يا رحمن نبه غفلتي

إذا أنت لم تنظر إلي برحمة
إلهي بحق المصطفى ووصيه
إلهي بسبطي أحمد بتسعة
بأكرم مخلوقين صار توسلي
إلهي رجوتك منة وتكرماً
إلهي بالاسم العظيم وشأنه
إلهي بالعرش العظيم وما حدى
إلهي بالبيت العتيق وبالغيث
إلهي بالقرآن أصلح سريرتي
إلهي واختم لي بأمن وراحة
إلهي فاغفر لي ذنوبي جميعها
إلهي وانشرني على آل أحمد
توليتهم طفلاً رضعت لبانة
فليت إلهي حبههم وولاءهم
إلهي وزحزحني عن النار آمناً

عثرت ولا ألقى مقيلاً لعثرتي
ويضعته الزهراء خير وسيلتي
هم علة الأكوان بل هم أئمتي
لتفريج همي واستجابة دعوتي
بصفح جميل فيه تؤمن روعتي
بأسراره يا خير قاض لحاجتي
إلهي وبالكروسي تحسن حالتي
زمزم أرجو أن تعز استكانتي
إلهي فأنسني بتلقين حجتي
إلهي فحقق بذلك رغبتني
وكن بي رحيماً بعد دفني بحفرتي
مع الطيبين الطاهرين أئمتي
تجسد في روحي فأنسج لحمتي
بقلبي وتتم لي بذلك فرحتي
وعفوك عن ذنبي ومحو خطيئتي

إذا كل إنسان دعي بإمامه
لك الحمد يا مولاي سرا وجهرة
فصل على المختار طه وآله
وقال هذه القصيدة وهي من أوائل ما نظمها في الرد على السيد محمد كرد علي:
ما لي أراك «أبا طريف» هائماً
تعلو المنابر ذاكراً حسناتهم
ما إن جهدت لستر ما قد أحدثوا
الحق كالشمس المنيرة في الضحى
أغفلت قتل المؤمنين وإنما
سبط النبي المصطفى والأشتر
عمار وابن الحمق ثم خزيمه
قتلوا بسيف البغي ظلماً كلهم
مروان هذا قال أحمد إنه
ما كان يا خير الوري فأجابهم
اثنان مطرودان ملعونان قد
وكذا معاوية بن حرب وابنه
جاء الكتاب مصرحاً في
احذر لنفسك يا محمد لا تكن
قوم بغوه غوائلاً وتريصوا
حتى إذا نصر الإله محمداً
دخلوا بدين الله كرهاً بعدما
ما منهم إلا طليق فاجر
ما لي أراك مفاخراً في معشر
إن كنت تنكر عن يزيد بأنه
ماذا تقول بوقعة (الحرى) وما
من (مسلم)^(١) ذاك الزنيم وإنه
حرم النبي أباحه لرجاله
والله لو أن الجنان جميعها
لهربت منها راضياً بجهنم

سأدعى بفضل الله باسم أئمتي
لك الشكر قد بلغتني كل بغيتي
شفاعتهم يوم القيامة مماتي
ببني أمية أو بني مروان
تجزى المسيء بغاية الإحسان
في الدين من زور ومن بهتان
ما خلته يخفى على إنسان
بمديحك الباغين جن جناني
النخعي ثم الحارث الهمداني
حجر الذي هو معقل الإيمان
لم تبكهم تبكي على مروان
لما أتوه به رضيع لبان
وزغ ووالده أخ الشيطان
لعناً بأمر الواحد الديان
ورثا العداوة عن أبي سفيان
القاسطين بأنهم حطب إلى النيران
متحبياً ممن لأحمد ثاني
فيه الدوائر طيلة الأزمان
فالفتح في يوم التقى الجمعان
رغمت أنوفهم بكل هوان
أو ملحد أو آفن أو زاني
لعنوا الوصي بسائر البلدان
لم يرتكب قتل الحسين وهاني
لاقاه أهل السبق بالإيمان
أشقى البرية إن عدت الثاني
بعد الأمان وما وفى بأمان
تهدى لمن وإلى بني مروان
وجعلت فيها طعمة النيران

(١) هو مسلم بن عقبة المري أمير جيش يزيد في وقعة الحرة وقد ضرب الكعبة الشريفة بالمنجنيق.

آل النبي أئمتي وأحبتي
 أجر الرسالة ودعم وولاؤهم
 رب البرية خصهم بفضائل
 سل عنهم الأنعام والأعراف في
 الروم والشورى ومريم والضحى
 ويهل أتى ويسآية النجوى و
 في آل عمران واليهاهل منهم
 لو باهلوا المختار حل هلاكهم
 ويسورة النور أتى منها الهدى
 بيت لقد أذن الإله برفعه
 وبآخر الرعد التي شهدت بعلم المرتضى
 فهو الذي فيها شهادته غدت
 وكذاك آيات النساء شواهد
 النص بالطاعات فيها محكم
 بغدير خم قام أحمد معلناً
 فله الولاية صار يقوي هادياً
 بالنحل ثم بيونس ويطاطر
 خصم بنار لظى يفتت خالداً
 ويسورة القصص الإرادة قد قضت
 من الإله على الذين استضعفوا
 حتى يعيد الدين غصاً ناصحاً
 فيقيمها عدلاً وقسطاً بعدما
 أظهرت معتقدي وسر عقيدتي
 والله لولا أحمد ووصيه
 والتسعة الأطهار من أولادهم
 ما كانت الدنيا ولا كان الورى
 العروة الوثقى هم وكذلك هم
 أرجو بهم نيل الشفاعة في غد
 رب استجرت بهم وجنتك ثابلاً
 (غذيت طفلاً حبهم وولاهم
 من مؤمنين لقد أحباً أحمداً

وولاؤهم ديني وعقد جماني
 فرض أتى في محكم القرآن
 تتلى لهم بالسرو والإعلان
 هود وفي الأنفال والفرقان
 والعاديات وسورة الرحمن
 مائدة لقد جاءت شهود عيان
 أمر أتى يغني عن البرهان
 ولشبت النيران في نجران
 نور أتى من نوره نوران
 فوق المساجد فهو أعظم شان
 في سائر القرآن
 مقرونة بشهادة الرحمن
 تكفي لأهل الذوق والعرفان
 لأولي الأمور بسائر الأزمان
 حكمي وحكم المرتضى سيان
 من جار عنه باء بالخسران
 بالحج اختصموا بها خصمان
 وخصيمه في روضة وجنان
 بقيام مهدي بدور ثاني
 بظهوره في آخر الأزمان
 من كل زبغ ثابت الأركان
 ملئت بظلم جائر وهوان
 والحمد للخلاق حيث هداني
 والبضعة الزهراء والحسنان
 أمن الوجود وصفوة الرحمن
 كلا ولا فلك ولا القمران
 سفن النجاة ومعدن الإيمان
 يوم الحساب برغم أنف الشان
 يا رب زحزحتني عن النيران
 فرضعته مع خالص الألبان
 والصفوة الأخيار من عدنان

يا رب فاغفر لي الذنوب جميعها
مني الصلاة على النبي وآله
وقال في الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه:

الوجد أرقنسي وزاد هيامي
أتراه ينعشني بوصل أحبتي
ذاب الفؤاد صباية وتشوقاً
أيجوز في شرع الهوى أن لا أرى
ما حيلتي جرح العواذل مهجتي
زعموا بأني بالقوافي مولى
كلا ورب العرش أقسم صادقاً
ويمن سعى بين الصفا والمروة العظمى
وبآله خير الورى من بعده
شغفي بقائم آل بيت محمد
يشفي غليل المؤمنين بوثة
شم الأنوف كأنهم أسد الشرى
فمتى يدوي جبرئيل بصوته
هذا خليفة ريكم في بيته
مئة ثلاث وعشرة وثلاثة
في البيت يلتفون حول وليهم
يأتيهم فضل الإله بليلة
ويبايعون الله عند الركن ما
أهل البصائر والنهى أهل التقى
حكاًم أهل الأرض خيرة من مشى
لو أنهم مروا برضوى هدمت
وهناك تأتي عصابة طوسية
ميثاقهم إحياء دين محمد
أرجوك يا ربي أكون بقربهم
مولاي قد جحدوا وجودك أنهم
كذبوا فإنك قائم ومغيب
والله لا أنسى الحسين ولو مضى
تركوه مقطوع الوتين مضرجاً

ما خلت دهري مخلفاً أحلامي
بعد النوى وجود بالأنعام
والبعد أفنى الجسم بالإسقام
شخص الحبيب ولو بطيف منام
جهلوا حقيقة فكرتي ومرامي
ويضرب أوتار وشرب مدام
بالمشعرين وحرمة الأحرام
وجاء بدعوة الإسلام
سفن النجاة السادة الأعلام
كهف الرجاء ومنقذ الإسلام
في فتية بيض الوجوه كرام
يوم الطعان وسرعة الأقدام
صبحاً ويعلو فوق سور الشام
ووليكم وأمامكم وإمامي
يأتون سعياً تحت جنح ظلام
مثل الداراري حول بدر تمام
يشفي نفوسهم من الآثام
بين الحطيم وبين خير مقام
والصفوة المثلى من الأنعام
فوق البسيطة أعدل الحكام
وتدكدكت معه جبال سنام
تطوي الفلا للقاء خير إمام
وشعارهم عيش الورى بسلام
حتى أفوز ببيعتي ومرامي
قالوا به حلم من الأحلام
كالشمس إذ تسري بسحب غمام
دهر من الأحقاب والأعوام
والخد منه معفر برغام

ورجاله صرعى على وجه الثرى
لهفي على أطفاله ونسائه
ثارات بدر أدركوها منك
بردت حمية هاشم أم أنها
كلا ولكن القضاء محت
إني أراقب يومكم في لوعة
عجل بحقك إننا في فترة
أطلق عنان الخيل حتى ترتوي
حكم حسامك سيدي بطلاهم
لا تبقيين عليهم أبداً وخذ
وهلا شددت عليهم وسقيتهم
تجثت فيه أصولهم وفروعهم
حتى إذا هلك الضلال وأشرقت
وأتى المسيح يكسر الصليان في
والعدل عم الكون في أرجائه
والحق عاد لأهله من بعدما
البدء فيهم كان لا في غيرهم
من الإله علي إذ شاهده
ورأيت فجوة في المطاف تفرجت
ورنا إلي بطرفه فعفرته
وأردت أنطق بالكلام مسلماً
أيقنت إني قد ظفرت ببغيتي
يا سعد من نال الرضا في حكمه
فأنا السعيد بحبكم يوم اللقا
إني أجاهد باللسان عدوكم
وإذا أتيت لي النزال بصفكم
صلى الإله على النبي وآله
(وقال مادحاً الإمام علي عليه السلام):
وطنني العراق أحبه

وقلوبهم حرى لفرط أوام
تسبي إلى علق بأرض الشام
حقداً ولم يرعوا لهم بدمام
رضيت بما فعلت بنو الأعمام
يجري بأمر الله في إتمام
والوجد يذكي نارها بضرام
نخشي الضياع وما لنا من حامي
جرباً فقد سنمت من الأحجام
لا تقنعن منهم بالإسلام
منهم بفعل أثمهم بأثام
من سيفك البتار كأس حمام
(وبعض كل مثقف بالهام)
شمس الهدى وانجاب كل ظلام
الدنيا وينقض ببيعة الأصنام
والأرض قد ظهرت من الظلام
غصبوه دهرأ من بني الأرحام
وكذا الختام يكون مسك ختام
في البيت كان يطوف وهو أمامي^(١)
عني وشق لي الطريق أمامي
لما بدا كالبدربدر تمام
عقد اللسان ولم يحرك كلام
حقاً وإني قد رأيت إمامي
هذا لعمري أسعد الأيام
أرجو جميل الصفح والإكرام
في حقكم حتى أذوق حامي
أرجو بأن يرضيكم إقدامي
ما ناح قمري على الإكمام
وطن به نلت الأمل

(١) إشارة إلى رؤيته الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه، أثناء طوافه في بيت الله الحرام سنة ١٩٥٧ م.

إن حظي يوماً بالشئام
لا بد من إدراكه
أسعى إليه بكل ما
حتى إذا سمع الزمان
أدركته فأجابني
السوى بعطفه وقال
إني اتخذتك صاحباً
فأضأت الدنيا بوجهي
وظفقت أسعى في البسيطة
فرايت خير الأرض
وهبطت في جنب الغري
ودخلت في دار الحمى
حكّت الجنان بحسنها
حوت الجمال كأنها
نور الأمامة ساطع
فهو الذي يوماً غشى
نجف به خير الورى
ثاني الكسا من خمسة
صفو النبي وأية
هو خير أصحاب النبي
هو خير من صلى وصام
والشمس بعد أفولها
المرسلون جميعهم
فيه أجاب الله
وبجاءه نجت السفينة
وبنوره نار الخليل
وبسره عيسى نجاً
الدين قام بسيفه
في ليلة الفار التي
كان الوصي ملبياً
متوسداً بفراشه

جفا فحظي مقبيل
وإذا تحصن في جبل
أوتيت في دأب العمل
ولاح برأق الأمـل
لبيك قلت على عجل
السعد في ناديك حل
طول الحياة إلى الأجل
حيث وافاني زحل
من سهول أو جبل
أرض الرافدين بها أحل
أر الأجابة والأهل
والأمن في قلبي دخل
وزعت بساكنها الأجل
غيداء ترفل بالحلل
من نور قدس فيه حل
موسى الكليم على الجبل
لا أبتغي عنه جـول
سر الإله به اتصل
الله التي هي لم تزل
من الأواخر والأول
وقام ليلاً أو نفل
ردت عليه من الخجل
فيه إلى الله ابتهل
دعوة آدم لما فعل
من بلاء محتمل
خبت سلاماً في خـل
من صلب أحبار مذل
وببطشه الشرك اضمحل
فيها الذي قدماً قد رهل
أمر النبي بلا وجل
ليقيه من وقع الأسـل

حتى إذا كان الصباح
ورقى على متن النبي
وهو الذي في يوم بدر
أردى الوليد وعتبة
ضرياته في يوم أحد
واسى النبي وغيره
نطق الكتاب بفعلهم
ويوقعة الأحزاب عار
لما أتى عمرو ينادي
طلب البراز تحدياً
من كان يعرفني بليل
إنني أنا الضرغام في
قال النبي لصحبه
لم يستجب لتدائه
نسل الوصي مهرولاً
قد كان لولاه بجيش محمد
وطاً عليه بضربة
وكفى الإله المؤمنين بما
قال النبي مبشراً
اليوم نغزوهم ولا
أعمال كل العالمين
ويخبر لما أتى
فمشى إليه برأية
وزئيره ملأ الفضاضا
فانقض وهو يهزه
وأتى اليهود ومرحب
فهوى أبو حسن عليه
يوم له وعليهم دان
وبلاءه بحنين فرج
إذ فرّ جمع المسلمين
إلا الوصي وتسعة

سقى لأمهم الهبل
مكسراً يرجى هبل
كان أول من نزل
شدخاً بسيف لم يفل
للورى أضحت مثل
ولّى فراراً واعتزل
إذ تصعدون على الجبل
المسلمين بها غسل
ثاره يمشي الرمل
والمسلمون على وجل
إنني ذاك البطل
يوم النزال ولم أزل
من يكفني هذا الوغل
أحد وكل قد خمل
ثبت الجنان وما مطل
يبدو الخلل
أنست حوادثها الأول
أبو حسن فعل
قولاً تقربه المقل
يغزوننا فهم الأذل
أقل من ذاك العمل
والباب موصد كالجبل
الإيمان يهدر كالضحل
لما عليهم قد أطل
ودحاه ثم له عقل
شاكي السلاح على جمل
بضربة فيها الأجل
الزمان بهم دول
كرية كانت جلل
وجلهم فيه خذل
من هاشم فخر الأول

بثباته وجهاده
 ثبتوا بذاك اليوم حتى
 حتى إذا الدين استقام
 واستسلم الشرك البغيض
 حج النبي مودعاً
 هبط الأمين مبلغاً
 يوم الغدير غدا
 هذا علي المرتضى
 والله يشهد والملائك
 أمر الإله بأن يكون
 أخذ العهد له على
 أن النبي المصطفى
 فهو الصراط المستقيم
 مولى البرية كلها
 إن كنت فيه مكابراً
 هذا كتاب الله جاء
 بالسورة الكبرى^(٣) أتى
 إذ قال إبراهيم من
 العهد للأطهار لا
 والحمد والأحزاب
 في آل عمران النبي
 فغدا بها نفس النبي
 بالرعد خبر عنده
 وسورة الشورى البيان
 فيها المودة والولاء
 وبآية النجوى أجاب
 جاد الوصي بما لديه
 بالعاديات المرسلات بهل
 لما تصدق بالركوع
 في أي مائدة شفاء
 فيها البلاغ من الإله أتى
 ودعاهم لولائه

وجهوده الدين اعتدل
 المصطفى فيهم أدل
 وكلهم فيه دخل
 وذكره العاني خمل
 أم القرى لما ارتحل
 والركب لما يرتحل
 ينادي فيهم خير الرسل
 بولائه وحى نزل
 ليس في قولي دجل
 هو الوصي بلا جدل
 كل البرية في الأزل
 بسواه لا يرضى بدل
 وحيه خير العمل
 وسبيله خير السبل
 أو كنت لا تدري فسل
 مصداقاً وبه حفل
 النص الجلي بلا خلل
 ذريتي أرجو الأمل
 للظالمين بها محل
 والأعراف تنبئ من عقل
 به تباهل وابتهل
 المصطفى وله قبل
 علم الكتاب وما حصل
 بغير شك أو زلل
 وكل ما ينفي الزغل
 المصطفى وله وصل
 وغيره عنه غفل
 أتى ضرب المثل
 لسائل لما سأل
 للقلوب من العلل
 وأحمد قد فعل
 وجميعهم قالوا: أجل



محمد حسن الإخياط

فأنت خير من انتعل
ومنتهى كل الأمل
يوماً به تشفى العلل
يا صاحب الأمر الأجل
في الكون ليس له مثل
إن الفتح حل
بحماك إنا نستظل
فأنا المجيب لمن سأل
بولائهم ديني اكتمل
فهم الذخيرة والأمل
من حرنارتشتعل
ما ناح قمري وحل

ولدت بتقبيل أعتابه
بحق أخيك وأقرباه

قالوا: بخ لك يا علي
أنت الخليفة والإمام
لا بد لي من أن أرى
مالي لغيرك شاكياً
يا صاحب الجيش الذي
عجل بحقك يا ولي الله
عجل فدتك نفوسنا
يا سائلي عن مذهبي
حب النبي وآله
آتي الإله بحبهم
أرجو النجاة بهم غداً
صلى الإله عليهم
وقال:

حطت رحالي بباب النبي
وقلت له يا رسول الإله

إذا نزلت حادثات الزمان
وقال:

أقام النبي بيوم الغدير
أتاني الأمين بأمر الإله
فجمع من كان في حجه
بخم ينادي بتلك الجموع
علي ولي لكل العباد
ومن بعده الحسن المجتبي
وتسعة أسباط كل إمام
ولادة الأمور بكل العصور
أمام الزمان سمي النبي
يميت الضلال ويحيي الهدى
إذا قام في الأرض مهديها
وأجلى عن المؤمنين الكرب
فيا فرحة القلب عودي لنا

وقال متغزلاً:

يا من قطعت مودتي ورجائي
كم ليلة أرع النجوم وطرفي المرتاع
إنسان عيني ما عددتك ثانياً
إنسان عيني ريقك العذب الذي
فارحم فؤاداً ضل عن نهج الهوى
متطلباً منك الوصال تلهفاً
يا قاتلي بالهجر إنك ظالم
رحماك إنني قد جعلتك كعبتي
وجعلت مسكنك الفؤاد وإنما
فعليك أقسم بالوفاء وما حوى
جد لي بوصلك مثلما عودتني
وقال:

من صاحب الأخيار جل حياته
قد يظهر التقوى وتلك خديعة

أتيت إلى الله من بابه

فصرح بالقول عما يريد
وإن لم أبلغ ففيه الوعيد
وحطوا الرجال بحر شديد
على قربه للكتاب المجيد
وصي النبي بعهد أكيد
وبعد أخوه الحسين الشهيد
بأمر الإله العزيز الحميد
بكل زمان إمام شهيد
عناه الكتاب بركن شديد
وشرعة طه بدت من جديد
وأدرك ثار الحسين الشهيد
وأهلك أهل الضلال البعيد
لقد نلت ما أشتهي بلا مزيد

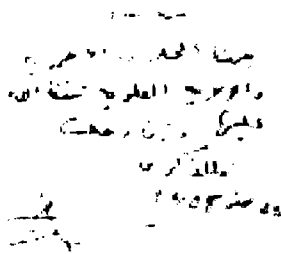
وجحدت حق أخوتي وصفائي
يكبوا في دجى الظلماء
عهد الصبا وتعللة البرحاء
هو أصل كل بليتتي ويلائي
يتلو النشيد بأدمع الخنساء
رحماك لست بصخرة صماء
مذ غبت عني بت في ظيما
فأجب بها عند الطواف دعائي
أخشى الحريق عليك من أحشائي
من عزة ومروءة وإباء
فبوصلك الميمون كان شفائي

وخلا من الأخلاق كيف يهدب
حماً تراه وفي الحقيقة ثعلب

هذا ما استفدناه من صديقنا المترجم له وكان قد استودعني مجموعة شعره ثم طلبها مني
وبلغني نعيه بعد مدة وأنا في دار الهجرة.. رحمه الله رحمة واسعة.

الغَانِمُ بالله محمد الخَيْر

(١٩٣٩ - ٢٠٠٠)



الشيخ الغانم بالله محمد بن الشيخ عبد الرحمن
بن الشيخ محمد بن الشيخ ديب الخير المنتهي نسبه إلى

الشيخ محمد الناسخ البغدادي.

ولد في ١٤ / ١٢ / ١٩٣٩ في برمانة المشائخ، وهي ضيعة قرب القدموس كانت تتبع بانياس

واليوم تتبع طرطوس.

أكمل في سورية الضرع العلمي ثم التحق بمدرسة هندسة القوات البحرية بأبي قير -
بالإسكندرية - جمهورية مصر العربية حوالي سنة ١٩٥٧. وبدلاً من أن يواصل خدمته في البحرية
بعد تخرجه، التحق بمدرسة للبوليتكنيك Polytechnik في جيكو سلوفاكيا فدرس هناك ٢.٢
اختصاصاً من هذا العلم، وفي سنة ١٩٦٥ غادر إلى السويد وافتتح مصنعاً للإلكترونيات، لصناعة
التقنية العالية، وتفرس في هذا الفن كثيراً حتى كان يدعى لإلقاء بحوث ومحاضرات في الكثير
من البلدان، ذكر منها (٩٦) محاضرة في كل من (أميركا، فرنسا، إنكلترا، بلجيكا، إيطاليا، اليابان،
الاتحاد السوفيتي، وغيرها..).

ونشط في مجال التبليغ الإسلامي فأسس المركز الإسلامي الأول في السويد (باستوكهولم)
سنة ١٩٦٩، وشارك في الكثير من الندوات الإسلامية محاضراً ومناقشاً منافحاً عن عقائد الإسلام
وحضارته وخاصة في السويد (في أوبسالا، أوستوكهولم، وغوتنبرج، وغيرها).
وشغل منصب القنصل الفخري للجمهورية العربية السورية في السويد منذ عام (١٩٨٥).

محمد أنيس الخياط



محمد أنيس بن حسين بن صادق بن جواد بن مصطفى الخياط، ولد في حي الأمين بدمشق سنة ١٩٤٢م وترعرع في أحضان الثانوية المحسنية حيث حصل على الشهادتين الابتدائية والإعدادية ثم حصل على الشهادة الثانوية العامة بالدراسة الحرة. عمل في حقل التعليم مدة (١٨) عاماً، حيث قدم استقالته بعدها واتجه لمزاولة الأعمال التجارية، كتب في جميع فنون الشعر، كما كتب القصة القصيرة والمسرحية، له أكثر من ستين قصيدة ومقطوعة غلب عليها الرثاء والشعر الوجداني، ونشر بعض نتائجه الأدبي في بعض الصحف المحلية.

نماذج من شعره:

رسالة إلى الحبيب الأعظم محمد (ص) :

فكيف أخاف أو أخشى عذاباً؟	حبيبي .. قد طرقت إليك باباً
معاذ الله، أو ألقى سراباً	وهل تسرى إلى نفسي ظنون
يصب الدمع، ينتحب انتحاباً	فلست ألفظ إذ يرجوك صب
تصد معذباً يرجو اقتراباً	ولا المعروف عنك، ولا عهدنا
وأطر وحشة القلب السحاب	فصل يا سيدي ضعفي وسقمي
وأمنح أجر من لبي وتابا	حبيب الله هل ألقى جواباً
ليوم الروع، أجتاز الصعاب	جعلت محبتي للآل ذخري
لآل المصطفى، نصاً كتاباً	وأجر رسالة المختار حب
ومحمود له الله استجاباً	محمد (ص) مائل الدنيا ضياء
صلاة قد زكت، تلقوا الثواب	فصلوا يا بني قومي عليه
على الحوض الشفاعة والشراب	مع الآل الكرام لكي تنالوا

مولد النور

ولد الرسول الأعظم محمد (ص) فاهتز إيوان كسرى، وخبت نار قيصر، وابتدأ الليل يتلاشى لتعود الشمس إلى أرض الجزيرة العربية، وتوسل شعاعها إلى العالم أجمع حاملة معها الخير والبركة والعطاء وها هو الأستاذ الخياط يبارك للأمة الإسلامية ميلاد حبيبها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

فعلا الوجود تلهف وتبسم
فتعانق البيت العتيق وزمزم
بل وأسجدي أبدا، لمن هو قادم
وأبطلت لما ولدت مزاعم
وخبت مع الميلاد نار تضرم
من شوقه، حبا يفيض فيسقم
كم قد عشقتك سيدي لو تعلم
أحظى بمطلقك، ما حبيت، وأنعم
ومنحتني عهداً به أتوسم
يا من باسمه قد توسل آدم
وكذا لعلائك، بايعوك وسلموا
يا سيدي: أنت الحبيب الأعظم
فليشهد الثقلان أني مفرم
بعضيم قدرك نستضيء ونلهم
أدركت أن القوم حولك قد عموا
ومفكراً في أمرهم تتألم
وسط الظلام على رؤى تتهدم
وغدوا قطيعاً من ذئاب تقضم
والحقد في أحشائهم يتضرم

وأدوا البنات، وفاخروا، من خشية الإملاق؟ ماذا هل سقوا؟ أو أطعموا؟

وتتركوا للمكرمات وهدموا
تنهى وتأمّر في العباد وتحكم
وكريم قوم عندهم، لا يكرم
سرقوا اليتيم، ضعيفهم لا يرحم
لم يستجب فهو الأصم الأكم

فجر أطل على قلوب تظلم
وأفاء ظلك أرض مكة باسقا
الله أكبر... يا بسيطة هللي
ولد الهدى. في يوم مولدك الشريف
واهتز إيوان لكسرى معلماً
إلا فؤادي قد تأجج ناره
سكناك قلبي، يا قالب حالم
وأنا المقيم في هواك فليتني
هلا أجبت توسلي وتضرعي
صلى الله عليك الله في عليائه
وأناك جبريل الأمين مسلماً
شرف لمثلي أن أقول مفاخراً
أني فطرت على محبة أحمد
يا من بعثت إلى الخلاق رحمة
لما اصطفاك الله من أنواره
فركنت للغار البعيد موحداً
ما بالهم يتخبطون بجهلهم
ما بالهم مزقاً، تشتت شملهم
يتسابقون إلى الرذيلة والأذى

سفكوا الدماء وبالفوا في غيهم
فالسيف يفصل، والعدام مليكة
غدر ومكر، والنضوس خبيثة
أكلوا الربا، وتزودوا من مير
عبدوا لها لم يفرج كريمهم

نحتوه من حجر فأمسى ربهـم
 ليل الجهالة قد أحاط بأمة
 ماذا؟ أتلك شريعة نرجو بها
 رسم السؤال على الشفاء مزجراً
 وأتى الجواب، ومن له الآك يا من
 ما كنت يا مختار إلا صادقاً
 وأصدع بما تؤمر، وأعرض عنهم
 أخبرت حيدرة الهصور وأنه
 وأخذت تدعوهم إلى الدين الحنيف
 يا أيها الناس اتقوا واستغفروا
 خلق الحياة وما بها في ستة
 لبوا نداء مؤذن في جمعكم
 أحيوا الفضيلة بينكم وتعاونوا
 وتقاربوا، وتسامحوا وتعاطفوا
 أعطوا الفقير وسائلاً من مالكم
 صوموا تصحوا حكمة من عالم
 وإذا دعيتم للجهاد فبادروا
 فأنا بعثت متمماً لمكارم الأخلاق
 والله فضلكم بعقل نير
 علموا بأنك مرسل لكنهم
 ظنوا بأن ضلالهم سيمدهم
 مصيبة عصفت بهم فاستنكروا
 لم يؤمنوا لكنهم خوف العنون
 كتعوا النفاق وأظهروا غير الذي
 لكن ريك يا محمد مظهر
 لن يبلغوك وإن تجمع شركهم
 كم من أباد جملة لك سيدي
 أودعت قلب الصادقين محبة
 ونشرت ألوية السلام قشبية
 يا أمة العرب الكرام لتهنئ
 يكفيك فخراً أن منك محمداً

تتلى له صلواتهم ويعظم
 وشريعة اللغابة فيها تبرم
 عيشاً كريماً أو بها نتسنم؟
 إثر السؤال مغاضباً يتلاطم
 قد حباك العلم من هو أعلم
 فاقراً وريك يا محمد أكرم
 فإله يمنحك الأمان، ويعصم
 نعم العظيم لكل أمر يعظم
 مبشراً، أن الإله سيرحم
 فإله رب بالسرائر يعلم
 ثم استوى في عرشه، لا يهرم
 وتسابقوا شطر العتيق ويعموا
 في البر والتقوى، فذاك المغنم
 وتحاببوا في الله ثم تراحموا
 قرضاً لكم يوم العطاء يقدم
 وتصدقوا، فالجوع مر علقم
 وإذا وقفتم للقضاء فأحكموا
 لا أقسو، ولا أتجهم
 فتفكروا فيما أقول، واسلموا
 قد كذبوك تعنتاً وتوهنوا
 خسنوا، فأنت مؤزر، وهم هم
 كيف اليتيم يسودهم ويعلم
 ورهبة كي يسلموا قد أسلموا
 في صدرهم، عل الرسالة تهزم
 أمراً له، وهو القوي الأقدم
 فإله يعلمهم وأن هم أوهموا
 يرنوا إليها المؤمنون، وتلثم
 فسموا ربوح لم تزل تبتسم
 تزهو بها كل الشعوب وتنعم
 جمعت لديك مفاخر ومكارم
 صلوا عليه مع الكرام وسلموا

(أمير المؤمنين عليه السلام)

مالي سواك من الأنام حبيب
فإليك تسعى المكرمات بأسرها
والى ملاك تحن كل فضيلة
حديث النفس؛

البحث عن الحقيقة أمر شاق، والوصول إليها مستحيلاً، إنما لا يختلف اثنان ولو بالشعور والوجدان، أن هنالك خالق مبدع أحاط بكل شيء علماً وانطلاقاً من هذا المبدأ تجود قريحة الشاعر الخياط بهذه القصيدة العرفانية:

روحا عشقت... نبذت ما هو فان
إغراء نحر، والجفون وسحراها
أين الملوك وكأس ليل حالم
ويعودني خوف، ووجد معذب
وعيون ليل لاحقت نظراتها
وحياة غدر، قهقهت لما رأت..
تيها مشيت، ولي ذنوب أثقلت
صحراء ذاتي، ضعت في أرجائها
ماذا بدأت، وكيف كنت، وما الذي
أنا العظيم وكنت ساكن حفرة
أم نطفة قد كنت في ظلم ثلاث
ومن الشهور تمام تسع أحصيت
من فجر الماء الزلال من الثرى
والريح باتت للزهور لواقحا
والأرض تعضي في مدار نظمت
وكذا الجبال فإنها أوتاد
مد وجزر، والهواء بنسبة
أو كان ناتج صدفة أم أن صانعه
أنا لست أدري... كيف يجحد عاقل
ولكم بحث عن الحقيقة أنني
عبثاً أحاول، كيف يرقى عاجز
هذا حديث النفس حين أهيم في

جيد الظيا وجمال وجه قان
عين المياه ومفاتيح الإنسان
أين الحصون وقسوة الجدران؟
مل البقاء، ومنيتي أكفاني
هفوات عبيد، أرقته أمان
موتا، ومن في الأرض يستبقان
جسدي، وصدع ما بها إيماني
ويهد نفسي مرجل العصيان
بعث الحياة بيارد الجثمان
في جوف أمي، ثديها غد أني
سايحاً، ومكثت في إذعان
فإذا أنا متكامل البنيان
فغدا نميرا، دائم الفيضان
سأقت غيوماً، ماؤها شرباني
حركاتها، وتظل في دوران
أرض، والجمال، وظلمة الأكوان
وضياء شمس كان بالحسبان
قديم عالم ذو شان
سر الوجود، ورفعته الريان
في الأرض نجم، والهوى أغراني
متن السماء، ودافعي شيطاني
واد سحيق هزة بركاني

وأعوذ الجأ لئلا تله وأرتجي
يارب.. إني قد أسأت.. وفعلتني
أنت العظيم بصحابة الغفران
أدمت فؤادي.. عذبت وجداني

وقال بعنوان (النور):

(نبته صحت فجأة، فوجدت نفسها في ظلام دامس بعد نهار مشمش طويل.. أخذت تتحسن ما حولها، تبحث عن جيرانها، رفاقها، وعن ذاتها... أنها تبحث عن شعاع من نور. ولا بد أن يندحر الظلام.... ويسطع النور).
الشمس... ودعت السماء
والأفق... يعتصر الضياء
والنبت... يحني رأسه... هجم المساء.
أخفى الظلام ظلاله.. فغدا غريب،
لا شمس، لا ماء، ولا حتى هواء.
مسكين ذاك النبت... هل حم القضاء؟
هو طيب، لم يعرف الأعداء لم يسق الدهاء
لا تتركوه مجندلاً بين الجراء
سيهزه خوف شديد... عندما يأتي الغراب
سيدويسه الوحش العنيد... ولن يرى إلا التراب
لا تتركوه... فإنه يخشى الظلام
حثوا الضياء، وشتتوا شمل الظلام
الريح تعصف، ما دهاها، لم تثور؟
هل تلك جلجلة الأفاعي، إذ تضر من النسور؟
أنا لا أرى إلا الظلام...
قد نام في الكهف، النسور
لا شك ذات الصوت من أهل القبور
ما بالكم لا تسمعون؟
أنا نبته فوق الصعيد
قد أستباح...
وقد يدنسني العبيد
الليل كبلني..
سأرضخ للوعيد
فليرشقوني بالحجارة

يوثقوني بالحديد
لكنني أنمو.. وأنمو من جديد
أنا لا أرى حولي فقد حل الظلام....
حثوا الضياء وشتتوا شمل الظلام
أنا لا أرى حولي ولكن قد سمعت بما يقال
سئمت، من المقل كما يئست من الرجال...
سرتم على غير الهدى...
سقتم فؤادي للردى...
أنتم زرعتم تربة الوادي، بأنات الصدى
أنتم قطعتم نسل أجدادي، وصوتاً قد شدا
فدفتهم طعم الجمال
ونبشتم قبر المحال
ورهبتم سير الجبال
فيا لا شباه الرجال
أنا لا أرى حولي... فقد حل الظلام
حثوا الضياء... وشتتوا شمل الظلام...
قولوا لماء النهر... جفت في حناياي الضلوع
ذنب الذي قد شاء لي... أحيا حياتي في الخنوع
كيف ارتضيت بالخضوع... ما بين أف واستياء؟
شقوا الجداول... ترو أوصال الرضيع
ماء زلالاً أو سيأكلني القطيع
عشباً ذليلاً عندها أبقى وضيع
لا أرى لون السماء...
ماذا يدور بجانبي...؟؟ ماذا يدور؟؟....
كم أنني في حاجة لشعاع نور؟؟...
مازلت أبحث في الظلام، ها قد سمعت فهل سينتبه النيام؟؟؟
هل ودعوا دفاء الخيام؟
فلا صغ أكثر عل في قربي حجور.
ها أنني أصغي، وأحتمل الرياح
ها أنني أصغي، سأصغي للصباح
يا خيبتني..
أنا لا أرى إلا سرايب الفضاء، قد لفها ليل الشقاء...

أنا لا أرى حولي فقد ساد الظلام، حثوا الضياء وشتتوا شمل الظلام.
 فلتظلم الدنيا كما شئت فإني أنتظر
 ولتحسبوا... أني مع الليل الطويل سأحتضر
 ولتسخروا... من وقفتي بين الحفر
 ولتهزؤوا... فأنا سأنتظر القمر
 في وحدتي.. في وحشتي.. لن تدفعوني للضجر. سأظل أنتظر القمر..
 فهو الرسول لدى الضياء
 ما هذه الدقات في قلبي الحزين؟ الخوف... لا، اليأس...؟ لا... ماذا تكون؟
 أني لا شعر عرشة الأمل الدفين.... قولوا جنون..
 لكنها بشرى لمن مل السكون... إني أرى، إني أرى
 إني أرى كل الرفاق... فلست وحدي في الطريق
 أخطاه قد سطع القمر.. وخبا مع النور النقيذ
 الآن فلتأت الوحوش... أم أنها تخشى الحريق؟؟
 أين الذئب ورعبها... أني أرى... أين الأفاعي والحفر؟
 أين الكلاب تؤمها... أني أرى... ما زلت أنتظر الخبر
 أين الغراب يقودها.. أني أرى.. فليات في ضوء القمر
 فلتسمع الدنيا النداء.... فأنتي بنت العطر
 هيهات تثنيني الوعيد.. وأن تحدى أو زار.
 النبت كان ولم يزل... سيظل حيا للأزل.
 رمز البقاء، وفيه آيات الغزل
 والشمس تحتضن الحياة، وتزرع الدنيا قبل
 والحب ليس سوى اخضرار...
 يحنو، فيبتسم الأمل.
 أخطاه لا تخشي الفناء، فأمامنا نهر غزير
 هيا أشربي منه الصفاء، وتعلمي منه العسير
 لا تجزعي أنا صفار، أنا خلقنا كي نسير
 لن تترقي ثوب الضجار، إلا بتحديد العصير
 والليل ولي لن يعود، حتى ولو أعطى الوعود
 ستدوسه جند الضياء بجحافل الصبح المنير
 النور.. وأنهزم المساء... يا فجر أهلا باللقاء
 يا فجر أهلا باللقاء....

وشعره الوجداني هذه القصيدة بعنوان (كفى اقرايه):

يا رية الحسن البهي، ومن رمتني بالجمار
 كفى اقرايه، خطوطه تنبيك عن سر احتضاري
 أو فانظري الفئجان، تلقى في التجاعيد اختصاري
 صمت أنا، هل تعرفين الصمت يا ذات السوار؟
 قد قلت لا تدوين، ظنك أنه قبر الحوار
 سأقرب الأشياء، أجعلها كأحلام الصغار
 ذاك البعيد أنا، وذاك الظل عريد في النهار
 والكأس تلثمه شفاه الغيد، تلهيه بنار
 وتراه يد، حك، لا يهاب أمام عاتية الشفار
 والكرمة العطشى، تجود به قلتها للثمار
 والعاشق الولهان، أفنى عمره في الانتظار
 ألف الوقوف مع الهجير، مناجياً شبح الديار
 والليل، ما الليل البهيم، ووحشة البيد القفار
 والريح تصفر، هل رأيت الريح في موج البحار
 تتلمس الأعماق، تقتلع الحياة من المحار
 والهدهد المسكين، ألقى بين أقوام تثار
 ونبي قوم عاش ألفاً، لم يجد غير أزوار
 لغز أنا، قولني عرفتك، أودعيني لأعتاري...

وغزلياته قوله:

لو كان يرأف، فليرحم ضحاياه	هذا الجمال... وما أحراره يرحمنا
والحسن بعد اله قد عبدناه	لا تكثر الضحك فينا.. أننا بشر
وما لسيد بعذران سألناه	نستعطف الحب بالأشواق نسأله
ذكرى اللقاء، وما كنا لنخشاه	فيم الصدود، وقد باتت تؤرقنا
ها قد رمتنا بسهم، فاشتبهناه	تلك المشيئة ويلي من حبالها
وما تجيء به الأقدار نرضاه	أنا رضىنا بحكم من معذبنا
يرجوا النجاة، وجد بالوصل مولاه	أرحم وأحسن لقلب بات محتضراً
ماذا دهاه؟ وكل طوع يمناه	ليلى تأفف، لما بت أرقبه
صبراً جميلاً، فيوما سوف ألقاه	أني ركنت إلى الآهات أسألها
أقطع الصمت، أحكي كيف أهواه	أنعق القول علي أن ظفرت به
أداعب الجفن، وأروى من ثناياه	أقبل الوجن، أغفو عند مبسمه

وأرشف الكأس، حتى أنثنى طرباً
وامتع النفس إذ أنسى عذاب لظى
واشعر الجسم يفتى في خلاياه
ولا أضلّ فناء بعد لقاءه

وله بعنوان: (رقصات في وادي عبقر)
الشوك البري الأصفر.. وبقايا الخوف على المعبر
والريح تزمجر كالمسحور، تثن، تنادي، تتحسر
ورمال الصحراء لهيب، ومن الألوان طفى الأصفر
والنوق تمر.. تدوس النوق.. تسابق في درب أغبر
عطشى.. والروع يسربلها، سكرى... بخطاها تتعثر
وتحديق، تبحث عن مأوى، عن ظل، عن شجر أخضر
فيدور الكون، ويفنى اللون، وترقص في وادي عبقر
كلمات ليس لها معنى، وتثور براكين وتسعر
والليل المجنون صراخ، يا ليل الشؤم ألا تضجراً؟
يا تلك الصحراء الحبلى، ودمائك تغلي، تتفجر
لُحقت زنى، وحملت قذى، فوليدك في يده الخنجر
يا بحر السم، نذوق السم، ونجرب نحوك ننتر
ونرى في موجك ملحمة، وشراعاً يهوى، يتكسر
وبقايا الطحلب طافية، وصخوراً كانت لا تقهر
وطيوراً شدتها جيف، فتكشر، تنقض، وتزار
وعروس البحر، تغنى اللحن، فيتبعها السمك الأكثر
فتفوص الشمس، بعقر البحر، ويهوى نسر يتحرر
ويسود ظلام ترهبه الشيطان، فترتاع وتحذر

وقال راثياً أبة الله السيد حسين مكي العاملي، ويذكر فيها بعض كتب الفقيه وآثاره:

أشرق.. فنجمك دائم الإيقاد
نسب رفيع قد سما بمحمد
من نحن لولا المصطفى ووصيه؟
فلطالما رسموا الطريق إلى العلا
يا سيدي عذراً.. فكيف سأهتدي
فلقد حباك الله من نعمائه
لا يدرك الفجر المبين وسحره
شمس الحقيقة أن تجلى نمرها
هيهات تمنح دفئها إلا لمن
وانشر ضيائك يا بن سبط الهادي
فرنت إليه جحافل الأمجاد
من نحن لولا سادة العباد؟
بدمائهم، بالنفس، بالأجساد
لعظيم قدرك في شتيت مرادي
شرف الجدود، وطاعة الأنناد
إلا الجواد بذكره الوقاد
بين الأنام لحاضر أو بادي
يسعى إليها بين سبع شداد

وأملأ رحاب الكون بالإرشاد
أملأ يداعب مهجة الأجساد
نهجت (سبيل هداية ورشاد)
المؤمنين بحكمة وسداد
للصالحين ومنهلاً للصادي
هبة الإله لسادة أنجاد
حذر الضياع، وكنت بالمرصاد
طلب الطريق جلية الأبعاد
شهدت وقوف السيد السجاد
عصفت بكل ضلالة وفساد
تهادت كالشعاع الهادي
لن تمحي بسفاهة وعناد
وهدى الضل في ربي ووهاد
أو قد غضرت لجاهل منقاد
بالصفح، بالاغضاء، بالإرشاد
ومن الفؤاد محبتي... وودادي

وليت الموت قلبك قد دعاني
لكنت اليوم تبكي مكاني
إذا جاء فما تغني الأماني
وهل أصبحت طيفاً في ثوان؟
وعدت لنا بثوب الأرجوان؟
فسرت ميمما دار الأمان
تراك بجانب رؤيا العيان
تخاطبني بفيض من حنان
تحدثني، فتسرى في كياني
وأن عطرتها، يا غصن بان
فقيداً، فاعتراني ما اعتراني
أقلب راحتني، مما دهاني
تشابكت الرؤى وسط الدخان
أذ مع الرياح، فعللاني
تخادعني لا مرة وأسعدني

خلق... فعلمك نفخة علوية
فلكم نثرت الدو في حصائها
وغرست في صحراء قومي نبتة
وأثرت به (الصباح للداعي) طريق
وجعلت (منهاج الصلاح) وسيلة
هي (عصمة) أجليت كامن سرها:
(وعقيدة) في القلب قد أودعتها
(وقواعد) أرسيتها لمفكر
(وأماكن) أرخت كيف بأرضها
نص من الرحمن جاء (بمتعة)
والعروة الوثقى قد ازدانت (بحاشية)
(والجمع في الصلوات) ورخصة خالق
يا بن الكرام.. وأنت موئل وحائر
أن قد صبرت على الزرايا حقبة
فلقد زرعت الطهر في أرجائها
لك كلما طلع الصباح تحيتي

وقال راثياً السيد كامل زلزلة:

ألا ليت المنادي قد تعاني
ولو أن النفوس فداء بعض
ولكن القضاء ووعد حق
أكامل هل سكنت القبر حقاً؟
وهل غادرتنا، وبلا وداع
أم أنك قد رايت العوثر بعثا
يخالطني الذهول بأن عيني
تعد الكف، تطؤها بشقوق
كأنك يا أنيس النفس نفسي
فحسبك أن زرعت الأرض حباً
قراتك، في الشوارع في سطور
أحملق في السطور فأهز رأسي
يدور الكون، لم أدرك لماذا
ألا يا صاحبي أرى بأني
أوهم ذاك؟ قولاً أن نفسي

أخبو الشعر، تحتبس القوافي
ويسكت كل صداح، وينبو
وأطرق باب من كانوا بيوم
فاطرق واجماً، من دهر لدهر
ولا الرومي ينتحب الليالي
ولا الخناء إذ ترثي أخاها
تصيب الجروح في صدري وترثي
أسأل هل يضم القبر ورضا
ووجه البدر هل يمسي دفيناً
وذاك الغيث هل يغدو حبساً
فأسمع في صدى الأحقاب صوتاً
هي الأقدار لا تنفك تعشى
مصير العزفي الدنيا فناء
ويجري الموت، والإنسان يغفو
ويصحوه إنما قد صار رهناً
فتنعوا الصالحات وقد روتها
وأعطت في سبيل الله طوعاً
هوان يوم تصطف البرايا
ودار الخلد للإنسان عقبى
عباد الله، هل منا لبيب
يحاسب نفسه فيا ليوم حر
وهل يغني المسافر غير زاد
فلا جلد الشجاع فدا بمنح
وطير الموت لا تنفك تهوى
ولو أن الزمان صفا لعبد
لكان صفاؤه للآل حقاً
ولكن الزمان وإن ترامى
عزاء المؤمنين وأن أمت
مصيبة كربلاء ودماء سبط
حسين أنت من تبكيك عيني
أعزيكم، ونفسي في فقيد
يطوف عليه ولدان ويسقى
فنعم عطاء رحمن رحيم

وينوي الحرف مكبوحاً يعاني؟
يراع لم يزل غض البنان؟
لسان الشعر يزخر بالبيان
ولا الزجارتقتنص المعاني
على أبنائه حر الجنان
وتشكو للزمان أسى الزمان
فقيداً قد رثاه الفرقدان
وهل تهوى النجم من العنان
ويفتوش التراب ككل فان
وكان الفوت للقلب المعاني
يذكر كل مخدوع وجان
وفي خطواتها ما قد شجاني
وتطوى الأرض ذا فضل وشان
ويمضي العمر شوطاً في الرهان
لما قد حاز يوم الامتحان
نفوس أدركت كيف التفاني
وسارت للعلا دون افتتان
لمن عبر الحياة على هوان
إذا أوفى، ويخلد في الجنان
إذا أمس يفكر في اتزان
وفي يده تلابيب الزمان
ليوم مثقل لاشك دان
من الأقدار، أو خوف الجبان
على الهامات من أنس وجان
وكان له حميماً كل أن
ومن بالقلب وإلى واللسان
صفياء، فهو موفور الطعان
زرايا، فوق وصف أو بيان
ورأس قد علا فوق السنان
وتبقى الجرح ينزف في جناتي
تترف له البشائر والتهاني
شراباً من يد الحور الحسان
وجود الله لا يعده ثان



عقيل محمد سعيد العرفي

مواليد دير الزور - سوريا - عام ١٩٤٥

مجاز من كلية الآداب قسم الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية جامعة دمشق العام الدراسي ١٩٦٩ م.
دبلوم تربية من كلية التربية جامعة دمشق العام الدراسي ١٩٧٠ م.

عمل مدرساً لمادتي التربية العامة وعلم النفس في دار المعلمين العامة بدير الزور سوريا .
بدأت حياتي الأدبية عضواً في اللجنة الثقافية التابعة لنقابة المعلمين بدير الزور أقام سلسلة من المحاضرات بالمركز الثقافي العربي في كل من الحسكة ودير الزور شارك في العديد من المهرجانات الأدبية المحلية .
كما شارك في الندوة الدولية لتاريخ دير الزور وآثارها التي انعقدت بدير الزور من ٢ وحتى ٦ تشرين الأول عام ١٩٨٣ بصفته محاضراً وعضواً في اللجنة العلمية للندوة وفي المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب الذي انعقد بدير الزور من ١٢ وحتى ١٤ نيسان ١٩٨٨ .
وشاركت في لجنة دراسة المشروع الجديد لتطوير واقع دور المعلمين في القطر عام ١٩٨٢ م كتب في جريدة الثورة السورية وجريدة الرأي العام الكويتية في مطلع الثمانينات نشر بعض قصائد الشعر والمقالات الدينية والنفسية والأبحاث التاريخية والتراثية في كل من المجالات التالية: الخفجي - الشراع - المجلة العربية - الثقافة الإسلامية - التراث العربي - الحوليات الأثرية - التراث العربي .
كتب للأطفال ونشر بعض القصص والأناشيد في مجلة سامر اللبنانية وسعد الكويتية ويراعم الإيمان ملحق مجلة الوعي الإسلامي التي تصدرها وزارة الأوقاف الكويتية .

في محراب سيد البشرية

محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ومن هدى دينك الوضاء تتقد
ما جئت فيه طوال الدهر اعتمد
مهما لهجت لساني اليوم منعقد
لما سررت وجدت الرسل قد سعدوا
كل الخصال وفاتوا الخلق مذ وجدوا
تبصر الناس من شرك له وطدوا
نصرته حين غر الكل وابتعدوا
ليث عليه ليوث الحرب تعتمد
بخير صحب لنصر الله قد شهدوا

كل القلوب على ذكراك تتحد
أنت النبي ملاذ الناس كلهم
رأيت آثاركم في الناس قاطبة
سريت من (مكة) والناس قد غفلوا
فأبصروك وفيهم أنت مذ ختموا
جاهدت في الله لا تخشى مكائدهم
ولللضعيف الذي قد سيم من رهق
وكنت قرما وفي يوم الطعان لهم
في يوم (بدر) تبدى الحق منتصراً

وقفت في (أحد) والقوم قد هربوا
تصول في فتية للموت قد وهبوا
لنصرة الدين كي يبقى بلا وهن
مشيت خطوك في عز وفي ثقة
وسار خلفك جيش الله تنصره
أنرت للخلف ديراً كنت رائدها
وأخلصوا بقلوب طهرت وبها
مذاق أقبلت خيلهم للروم غازية
وتابعت خطوها للشرك تحقه
أقمت كعبتك الكبرى لتجمعهم
آخيتهم في سبيل الله يجمعهم
فبشروا بنعيم الروض تسكنه

كالطود ما طاله قزم ولا وفدا
ما يملكون فداء الدين واتحدوا
صرحاً علياً عليه الخلق تستند
وسار خلفك إيمان ومعتقد
حماته وهم الأركان والعمد
فيها تأخى بدر الإيمان مذ سجدوا
سادوا البلاد وشادوا الدين واجتهدوا
نيران (كسرى) خبت والفرس قد هجدوا
من أجل دين به الأصحاب قد رعدوا
في كل عام حجيج الله أن وفدا
كتاب ربك ما زاغوا وما جحدوا
قلوبهم قر فيها الدين إذ حمدوا

من أجل فلسطين

حملوا الحجارة والبطولة خلفها
حملوا الحجارة شبيهم وشبابهم
يتسابقون لقهر جلف غاشم
ويسارعون إلى المنايا أمة
ليقر حق غاب في ردهاتهم
ليقر حق للجدود يصونه
شبل يدافع عن كرامة أمة
يتسابقون لقهر من جاس الحمى
يتسابقون ليشعلوا النار التي
تذكي النفوس لأجل أرض دنست
تذكي النفوس لأجل شعب فارس

وقلوب آلاف من الشهداء
بعزيمة ظهرت بكل جلاء
قد كان يمشي مشية الخيلاء
ليقر حق عاش في الإخفاء
بجزيل قول كاذب وعطاء
شبل يطول مقاصد العليا
غدت دماها صفوة الأبناء
ومضى يقتل باقي الأحياء
اضحت تهز معاقل الأعداء
وكرامة دبست من الدخلاء
شق الصفوف وجال في الأنحاء



هذي فلسطين فبارك ثورة
أعطت وأجزلت العطاء بفتية
روت تراب القدس مسرى (أحمد)
جادت بما جاد الألى مذ سطروا
فانظر إلى التاريخ نظرة مُمعن
وامسح جراح المتعبين وأعطهم
الثأر تدركه الكماة بعزمها
ما قاد خيل عشيرتي إلا الذي

من أرضها هبت بكل سخاء
روت تراب (القدس) خير دماء
مهد (المسيح) وصحبه النجباء
مجد العروبة ساطع الأضواء
يسمعك أصداً على أصداً
رمح الشجاع وخيله البلقاء
إن كان في بأس وفي إقواء
رضع اللبن بنخوة إباء

هذي فلسطين وهذا جرحها
غضبُ يُصبُّ على الدخيل لعلهُ
غضبُ تبدى من (بلاطة) ضوءه
هذي فلسطين وهذا شعبها
حي يعيش رجولة لم يثنها
حي يعيش بقلب من وهبوا له
مشت الخطوب واسرعت في مشيها
حبرون من عهد الحدود مدينتي
أرضي التي فيها توحدت القوى
كتب على أطواها بدمائها
من عهد (كنعان) فسل أحفاده
رسل المحبة والحضارة منذ بنوا
أهل (الجليل) أخوتي ويصخرهم
(وشكيم) من عهد قديم قد سخت

غضبُ يقض مضاجع الجبناء
يبق بلا حقد ولا أدماء
وسرى من البطحاء للعلباء
حي يعيش كرامة الكرماء
قتل الأوبة أو كثير شقاء
مهجاً تذلل معاقل الغرياء
لتزِيل ما أبقوا من البغضاء
مهد (الخليل) وأهله الحنفاء
عربية النزعات والأهواء
في كل يوم سيرة الشهداء
رسل البحار لأبعد الأمداء
في كل صقع شاهد لبنائي
رجم الغماة لفعلة رعناء
بنفوس أبناء وبالحصباء



مهما يُقال فتورتي عربية
هي ثورة العلماء أبدت علمها
هي ثورة الأدباء دوى صوتها
هي ثورة الشيخ الذي لم يثنه
حقد الجبان عليه حلت ذلة
منذ مرور التاريخ في أسفاره
مهما يُقال فتورتي عربية
آلاءها لغة بدت منطوقة
أفعالها ماض تبدى زاهياً
والأمر أن إقذف على هاماتهم
واركب جناح الطير واهبط عندهم
واحمل عصاتك لا تخفك جموعهم
فجر كما تهوى وقاوم من تشا
إن الشهادة للحياة طريقنا

رفعت إلى الجوزاء كل نداء
هي ثورة الأدباء والشعراء
هرج الرصاص وقوله البلغاء
حقد الذليل وقومه الضعفاء
منذ حصن الأسوار بالأشلاء
واقْتيد في سبي كسبي إماء
آلاءها الشهداء في الأحياء
أفعالها زادت على الأسماء
ومضارع يعطي بغير مرء
سيل الحجارة وارمهم بمضاء
ودع الرصاص مزغرداً بسماء
واضرب دعي رجولة نكراء
لا تخش من قهر ومن إفناء
سنسير في الإصباح والإمساء

«ألقيت في قاعة المركز الثقافي العربي بدير الزور مساء يوم الأربعاء المصادف ٢٧ - ١ -

١٩٨٨ م في مهرجان انتفاضة الحجارة الذي أقامه المركز الثقافي العربي بدير الزور تحت رعاية محافظ دير الزور السيد نديم عكاش وذلك تحية إلى فتيان فلسطين الشائرين من قلب فلسطين».

العلامة إقبال وقصيدة «غيضٌ من فيض»

طالعتُ سِفْرَكَ فَأَنْبَرَيْتُ مَمَجِّدًا
وَحَبَّرْتُ فِكْرَكَ جَذَّةً فِي جَذَّةٍ
وَوَجَدْتُ عُنْوَانَ الْحَقِيقَةِ بَادِيًا
فِي عِشْقٍ مِنْ مَنَحِ الْحَيَاةِ عُلُومِهِ
فَأَتَيْتُ مِنْ أَرْضِ الْفِرَاتِ وَخَافَقِي
قَبْلِي تَكْلِمَ شَاعِرٍ فِي شِعْرِهِ
فَأَتَيْتُ أَكْمَلَ مَا ابْتَدَأْتُ بِقَوْلِهِ
أَهْلُ الْعُلُومِ إِذَا التَّفَلُّسُ زَانَهُمُ



يَا سَيِّدَ الْعِشَاقِ عَفْوُكَ إِنِّي
يَا سَيِّدَ الْعِشَاقِ عَفْوُكَ إِنِّي
أَقْفُوا الْمَعْلَمَ فِي الْبَيَانِ وَنَاطِرِي
فَأَرَى الْيَقِينَ مَعَ الْحَقِيقَةِ ذَاتَهَا
فَضِيَاؤُهُ وَالْعِلْمُ قَدْ وَضَحَا مَعًا
مَنْ كَانَ يَعْجُدُ خَالِقًا لِكَيَانِهِ
لِلَّهِ نَفْسٌ أَنْشَدَتْ فِي حُبِّهِ



إِقْبَالَ يَا بَنَ الْعَرَبِ أَنْسَبَ الْأَلَى
تَعْطِي مِنَ الْقُرْآنِ حِكْمًا لَمْ يَزَلْ
يَا مِنْ حَوِيَتْ مِنَ اللِّغَاتِ مَجَامِعًا
مَنْ فَارَسَ قَدْ كُنْتُ تَقْبِسُ جَذْوَةً
حَكَمَ مِنَ الشَّرْقِ الْقَدِيمِ جَمْعَتَهَا
وَطَفَقَتْ تَمْنَحُ مَا احْتَوَيْتَ لِمَوْطِنٍ
يَا بَلْبِلَ الْأَفْنَانِ تَصْدَحُ مَنَشَدًا
خَلَدَتْ فِي سَفَرِ الْمَحَبَةِ مَا احْتَوَى
كُتُبَ وَأَشْعَارَ وَنَغْمَةٍ عَارِفٍ
سَكَبَ السَّلَافَةُ فِي الشِّفَاهِ وَلَمْ يَزَلْ
يَصْحُو لِيَشْرَبَ نَخْبَهُ مِنْ رَاحِهِ



إِقْبَالَ أَهْدَيْتَ الْعُلُومَ رَوَائِعًا
مَنْ فَيَضُهَا شَفَقَ الْعُلُومُ تَزُودَا

وَيَنْتِ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ مَنَائِرًا
دَافَعَتْ عَنْ أَرْضِ فَهَبَتْ ثَوْرَةً
يَا فِيلَسُوفًا زَانَ فِي أَفْكَارِهِ
أَنْتِ الرِّبِيعُ عَطَاءُ خَيْرِ دَائِمٍ
أَنْتِ الصَّفَاءُ إِذَا النُّفُوسُ تَعَلَّقَتْ
الذَّاتِ عِنْدَكَ ذَاتِ صَبٍ مَغْرَمٍ
أَحْيَيْتِ لِلْجِيلِ الْجَدِيدِ مَآثِرًا
آثَارُ قَوْلِكَ فِي الْمَحَافِلِ كُلِّهَا
فَخَرِ الرَّبَاعِيَّاتِ نَظْمَ مَعْلَمٍ



وَأَقَمْتَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ مَسَاجِدَا
شِعْوَاءُ لَاهِبَةٌ أَذَلَّتْ حَاقِدَا
كُنَّةُ الْوُجُودِ أَصَالَةٌ وَتَجَدُّدَا
أَعْطَى الْجَمَالَ تَوْثِيًّا وَتَوْقِدَا
بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا هَجَرْتَ مَبَاعِدَا
عَشَقَ الْإِلَهَ تَعْبِدَا وَتَحْمِدَا
أَمَسْتَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ أَوَابِدَا
وَبَيَّانُ شَعْرِكَ يَسْتَحِثُّ الْمُرِيدَا
أَهْدَى الْبَيَانَ رَوَائِعًا وَشَوَاهِدَا

إِقْبَالَ يَا بَنَ الْعَرَبِ رُوحَا لَمْ تَزَلْ
يَا بَنَ الْهِنُودِ تَدْلُلًا وَتَعَفُّفًا
«أَنْشُودَةُ الْمَاضِي» نَظَّمْتَ قَرِيبَةً
«أَسْرَارُ نَفْيِ الذَّاتِ» أَبَدْتَ نَفْيَهَا
وَمِنَ الْحِجَازِ أَتَيْتِ تَهْدِي تَحْفَةً
يَا عَاشِقَ الْبِنَجَابِ تَنْجِبُ دَائِمًا
يَقْضِي الْوَفَاءَ بِأَنْ يِقَامَ بِعَرْسِكُمْ
عَرْسَ نَجْلِ بِهِ الْكَرِيمُ وَحَقُّهُ
وَقِفَّةً عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ

وَشَيْتَ مِنْ حَسَنِ الْبَدِيعِ بَدِيعَا
مَا كُنْتَ أَوَّلَ شَاعِرٍ فِي نَفْسِهِ
النَّازِلَاتِ بِخَاطِرِي لَمْ تَنْمَحْ
وَالشَّعْرُ يَمْضِي وَالزَّمَانُ يَآثِرُهُ
وَالشَّمْسُ تَرْسُلُ كُلَّ يَوْمٍ نُورَهَا
أَبَدْتَ مُحَاسِنَهَا لِمَنْ عَشَقَ النُّوَى
وَأَرَى الْمُحَاسِنَ لِلْأَنْثَامِ جَمِيعَهَا
نَهْرُ الْجَمَالِ إِذَا مَشَى فِي خُطُوهِ
نَهْرُ حَيَاةِ اللَّهِ أَبْدَعَ مِنْظَرَ
جَمَعَ الْبُهَاءَ بِجَانِبِيهِ فَلَا أَرَى
فِي مَائِهِ الرِّقَاقَ وَرَقٌ إِنْ صَفَا
وَتَوَضَّحَتْ فِي بَطْنِهِ جُزُرٌ لَنَا
تَتَلَاوَعُ الْأَمْوَاجُ فِي جَنْبَاتِهَا
وَالطَّيْرُ يَمْضِي سَابِحًا فِي أَفْقِهِ
أَكْرَمَ بِنَهْرِهِ لِمَنْ تَارِيخُهُ

تَسْرِي إِذَا دَوَى الْأَذَانُ مُوَحِّدَا
مَا كُنْتَ فِي حَقِّ الْمَوَاطِنِ جَاحِدَا
«وَجَنَاحُ جَبْرِيلَ» بَنَظْمِكَ يَقْتَدِي
وَالشَّرْقُ فِيمَا قَلَّتْ كَانَ الْمُبْتَدَا
ضَمَّتْ مِنَ الْأَسْفَارِ سَفْرًا خَالِدَا
نَضَحَتْ فِرْقَانِ الْهَدَايَةِ وَالْهَدَى
عَرَسَ عَلَى حَقْبِ الزَّمَانِ مَمَجَّدَا
أَنْ يَحْتَنِي دَوْمًا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى

وَهَوَيْتِ فِي عَذَابِ الْقَرِيبِ صَرِيعَا
أَخْضَى الشَّجُونَ وَكَانَ قَبْلَ وَلُوعَا
وَالذَّاهِبَاتِ يَرْدُنَ مِنْهُ طُلُوعَا
مَسْمُوعُ قَوْلٍ بِسَبْقِ الْمَطْبُوعَا
رُغْمَ الظَّلَامِ تَزِيدُ فِيهِ سَطُوعَا
وَرَنْتِ إِلَيْهِ فَأَذْهَلْتَهُ خَشُوعَا
نَهْرُ الْفُرَاتِ بِمَا أَطَّلَ بَدِيعَا
خَلَّتِ الْخَرِيفُ بِضَفَّتِيهِ رَبِيعَا
إِنْ سَارَ مَتْنَدًا وَسَارَ سَرِيعَا
إِلَّا مُحِبًّا لِلْبُهَاءِ مَطِيعَا
وَأَرَى اللَّجِينَ بِوَجْهِهِ إِنْ مِيعَا
نَعَمَ الْمَلَادُ لِمَنْ أَرَادَ هَجُوعَا
تَضْفِي خَرِيرًا قَدْ بَدَا مَسْمُوعَا
فَوْقَ الْفُصُوفِ مُرْجِعًا تَرْجِيعَا
مَجْدُ أَطَّلَ عَلَى الزَّمَانِ رَفِيعَا

شمس الدين الفاشوشة

(٦٠٢ - ٧٠٠ هـ)

هو شمس الدين ابراهيم بن أبي بكر الجزري الكتبي المعروف بالفاشوشة، ولد سنة ٦٠٢ ودرس الأدب وأصبح من ذوي الفضائل واختص بمعرفة الكتب وبيعها، وكان متشيعاً، ومما ذكروا من نوادر تشيعه أن رجلاً جاء إليه ذات يوم فقال له: هل عندك كتاب «فضائل يزيد ابن معاوية». فقال له الفاشوشة: نعم. ودخل دكانه وطلع ومعه جراب، وأخذ يضرب الرجل بالجراب ويقول له: العجب كيف ماقلت: فضائل يزيد صلى الله عليه وسلم! فبقي قوله ملحاً من الملح البارعة على ممر العصور والدهور، وكان يتعاطى نظم الشعر ومن شعره:

وما ذكرتكم إلا وضعت يدي على حشاشة قلب قلما بردا

وما تذكرت أياً ما بكم سلفت الا تحدر من عيني مابردا

عمر شمس الدين الفاشوشة ثم توفي سنة «٧٠٠» الهجرية. وذكره لماء بردي يدل على أنه عاش بدمشق.

أبو اسحاق بن الفاشوشة

(المتوفى ٧٣٣ هـ)

هو أبو اسحاق ابراهيم بن شمس الدين الفاشوشة المقدم ذكره، كان كاتباً أيضاً ودرس العربية والأدب، ونظم الشعر ومن شعره في وصف الشمس:

قد أتى سيد

الفواكه في ثوب

ب نضار

والشهد منه يفور

يشبه

العاشق المقيم حالاً

أصفر اللون

قلبه مكسور

توفي أبو

اسحاق بن

الفاشوشة سنة

«٧٣٣» الهجرية.



قلعة حلب

مشهد رأس الحسين (ع)

ويقع اليوم في داخل الجامع الأموي، ضمن العقار المرقم (١٥٦) والمروي أنه فيه دفن رأس الحسين عليه السلام على ما حكى عن ابن أبي الدينا أنه دفن بباب الفراديس، وعن تاريخ البلاذري والواقدي أنه بدمشق بدار الإمارة ولكن المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن مدفنه بكربلاء مع جسده الشريف أو بالنجف فوق رأس أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ويوجد بهذا المشهد الذي بدمشق مكان يقال أنه مكان وضع الرأس الشريف ويوجد أيضاً مصلّى زين العابدين عليه السلام (أما الذي بمصر) فإن العلويين المصريين استخرجوا رأساً من عسقلان زعموا أنه رأس الحسين (ع) ودفنوه بمصر وله مشهد مزور معظم إلى اليوم ويقال أنهم أخذوه من باب الفراديس فدفنوه بعسقلان ثم نقلوه من عسقلان إلى مصر.

والثابت أن رأس الحسين عليه السلام قد صلب بمدينة دمشق ثلاث أيام^(١)

وقال الشاعر يذكر كلام الرأس الشريف بدمشق:

وتلا آية من الذكر أخرى	فوق أعواد أيكة غناء
وتلا في دمشق لا حول إلا	قط بالله مرجع الأشياء
أدخلوه على يزيد فضاغت	منه ريح بأطيب الأشداء
وتراءى كالصبر لحم بعير	حملوه عليه عند الغداء
وكثير من المواطنين فيها	سمعوا منه لهجة الفصحاء
لم يشابهه في التكلم إلا	رأس يحيى أمام أهل البغاء

قال عثمان مدوخ في العدل الشاهد، عمّد بعض العلماء إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع في هدمه ليجعله خزانة كتب فعثر على طاق في الجدار محكم السد بحجر كبير مكتوب عليه بالنقش ما فهموا منه أن هذا مشهد الإمام الحسين السبط، فرفعوا ذلك إلى والي الشام يومئذ فذهب ورأى ذلك بنفسه وأمرهم أن لا يحدثوا في هذا شيئاً ثم رفع إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان (تولى سنة ١٢٥٥ هـ وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ)

فصدر أمره العالي بكشف هذا المكان بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس فأحضروا إلى الشام ما أمر به السلطان وكشفوا هذا الحجر الذي عليه الكتابة فوجدوا فجوة خالية عن الدفن ويعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت ورفع ذلك إلى السلطان المذكور فصدر مرسومه العالي بأعمال طوق من القضة حول الحجر اهـ. هذا تاريخ العهد بظهور مشهد

(١)- راجع سير اعلام النبلاء ٢١٦/٣، مقتل الخوارزمي ٧٥/٢، تاريخ ابن كثير ٢٠٤/٨، تاريخ ابن عساكر الحديث ٢٩٦، وخطط المقرئ ٢٨٩/٢، الاتحاف بحب الاشراف ٢٣. الاشارات لابن الحوراني / ٢٥.

الحسين بباب الفراديس وذكر الفرضي في (النبذة اللطيفة في مزارات دمشق الشريفة) عند كلامه على المزارات المشهورة بالصحابة بدمشق ونواحيها، والمشهور منهم بترية باب الفراديس المسماة بمرج أبي الدحداح الآن (نسبة إلى صحابي ذكر فيمن دفن بدمشق من الصحابة وإليه نُسبت مقبرة أبي الدحداح شمال دمشق) مسجد سمي مسجد الرأس داخل باب الفراديس وفي أصل جدار محراب هذا المسجد داخل باب الفراديس وفي أصل جدار محراب هذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل محمود بن زنكي، على ما ذكر..

وغربي المحراب المذكور في الجدار مشهد الحسين، وقال: محمد عربي الصيادي في (الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية) ص ١٧، والجامع الأموي من شرقيه مسجد عمر بن الخطاب ومسجد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، ونقل الحصني في تاريخ دمشق عن الشهاب المنيني ج ١ ص ٤٠٥ نحو ما ذكر، قال: وقد جدد محمد المرادي وراء تلك الطاقة التي هي مشهد الحسين شرقي جامع بني أمية ضريحاً لاحترام مكان الرأس الكريم قال: وعن يمين الخارج منه مكان يسمى بمسجد السادات. ثم عمره بعد ذلك الوزير فؤاد باشا في سنة ١٢٧٧ هـ. وجعل الدار المجاورة له تكية. وقد قامت طائفة البهرة الاسماعيلية بتجديده في سني التسعينيات من القرن العشرين. وبهذه المناسبة نذكر المشاهد الأخرى المنسوبة للرأس الشريف ومنها:



مشهد عسقلان

ذكرنا فيما نقدم حلول الرأس الكريم بهذه البلدة على يد (إفتكين الشرايبي) وقد بني عليه، وما برج على ذلك حتى سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٨ م، فجدد بناءه وشيد عليه أمير الجيوش بدر الجمالي حين توليته أمانة دمشق للمرة الثانية من قبل المستنصر قبل أن يتولى الوزارة له بالقاهرة. ولم يتم هذا البناء فأتته ابنه الأفضل شاهنشاه في شعبان سنة ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م، لما خرج لمحاربة الثائرين في القدس. ثم ما برح به الرأس الكريم إلى أن كان من أمره ما سيذكر بعد هذا، وقد زار هذا المشهد علي بن أبي بكر المشهور بالسائح الهروي دفين مدرسته بحلب المتوفي سنة ٦١١ هـ - قال في (الإشارات إلى أماكن الزيارات) عند كلامه على عسقلان وبها مشهد الحسين رضي الله عنه، كان رأسه بها فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة في سنة ٥٤٨ هـ.

وزاره ابن بطوطة، قال: في رحلته بعد ذكر القدس ثم سافرت إلى ثغر عسقلان وبه المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سامي العلو فيه جب للماء، وعسقلان بلدة على البحر قريبة من غزة هاشم من أعمال فلسطين.

قال ياقوت في المعجم مجلد ٦، ص ١٧٤ هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين لم تزل عامرة حتى استولى عليها الأفرنج في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ وبقيت في أيديهم خمسا وثلاثين سنة إلى أن استنقذها صلاح الدين منهم في سنة ٥٨٣ هـ - قال وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وافتتحها أولاً معاوية في خلافة عمر ١ هـ. ملخصاً.

مشهد حلب

قال ابن زهرة الحسيني في (غاية الاختصار في أخبار البيوت العلوية المحفوظة من الغبار) ص ٥٨ في الكلام على ذيول اسحاق المؤمن بن جعفر الصادق بعد أن ترجم لحفيده الشريف حمزة المدفون بحلب قبره بحلب بسفح جبل جوشن عند مشهد الحسين ١ هـ. وذكر بعض الأخباريين أن للحسين مشهداً بمدينة مرو، لكن أشهر المشاهد اليوم هو مشهد القاهرة.

مشهد القاهرة

وقد بدأ ظهوره في جمادى الثانية سنة ٥٤٨ هـ أغسطس ١١٥٣ م في خلافة الفاتح الفاطمي. ووزارة الصالح طلائع بن رزيق (والقبة) الموجودة الآن من بقايا القصر الكبير الشرقي كانت تسمى بقبة الديلم أحد أبوابه (والديلم طائفة من الجند) و-طلائع المذكور- توفي يومى الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ (١٣ سبتمبر سنة ١١٦١) ويذكر من أمره أنه بعد قدوم الرأس الكريم إلى القاهرة أراد أن يبني مسجداً لدفنه فلم يتهيا له ذلك لما تقدمت الإشارة إليه. فلما دفن الرأس الكريم بالقصر أمر ببناء المسجد لأقامة الصلاة والشعائر الدينية فأكمل بناءه في سنة ٥٥٥ هـ - ١٦٠ م.

ويتبين من هذا أن الرأس لم يوضع فيه أصلاً كما توهم بعض المؤرخين بل عند وصوله وضع في القصر مباشرة وذلك بعد مكثه ببستان كافور الأخشيد فترة من الزمن من نفس اليوم: والبستان المذكور كان في المنطقة التي عرفت قديماً ببستان الكافوري التي تبدئ الآن من شارع الشعراي الجواني إلى المدرسة الباسطية وبيت البكري: ويقال أن المكان الذي وضع في الرأس الكريم محله الآن زاوية أبي يوسف الطيب خليفة المقام الأحمدى الباقية إلى اليوم وفي أول دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس دولة الأكراد الأيوبية أجرى أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري (المعروف بالزرزور) في هذا المشهد عمارة وجعل له مسجداً يتصل به، ويأشر ذلك ولده، ومن آثار هذه العمارة الباقية إلى هذا التاريخ المنارة الصغيرة القائمة فوق الباب الأخضر (باب الديلم) ولما وزر لصلاح الدين المذكور القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانى العسقلاني المتوفي سنة ٥٩٦ هـ. بني ميسأة وساقية بمؤخر المسجد المذكور وحبس عليهما وعلى المسجد أراضي كانت له بقرية (منية الأصبغ) التي عرفت في زمن الفاطميين بالخنديق، للحكاية المعروفة، وهي الآن عزية الدمرداش وقرية مسروح بن سندر الصحابي وملحقاتهما (تم) تجدد بعد ذلك في عهد الملك الظاهر بيبرس والناصر محمد ابن قلاوون والبناء الحالي من آثار المرحوم الخديوي اسماعيل.

الآثار النبوية المحفوظة بالمسجد الحسيني:

لهذه الآثار الشريفة أخبار تتسلسل في التواريخ وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن، وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم بينبع واستفاض أنها بقيت موروثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اشتراها في القرن الرابع أحد بني حنا بكسر الحاء المهمة وفتح النون المشددة - أحد الوزراء الأمثال المتوفي سنة ٧٠٧ هـ.

ونقلها إلى مصر وبني لها رباطاً على النيل عرف برباط الآثار وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي، وقد ذكر هذا الرباط المقرئ في خطه ج ٤ وابن دقماق في الانتصار وابن كثير في البداية والنهاية والقلقشندي في صبح الأعشى وابن أبياس في تاريخه والحلي في نور النبراس وأحمد المقرئ صاحب نفح الطيب كما ذكر في فتح المتعال المطبوع بالهند وابن بطوطة في الرحلة في آخرين.

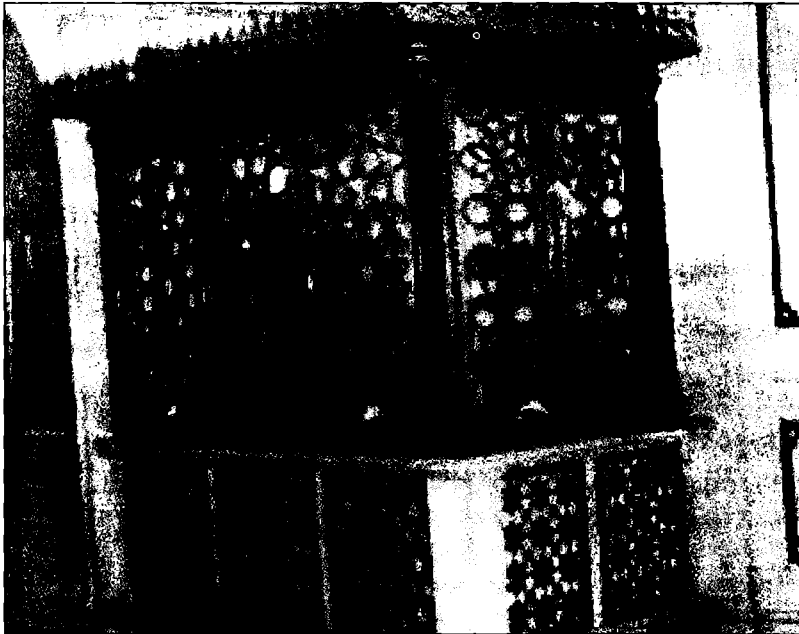
رباط الآثار

قال.. المقرئ ناقلًا عن ابن المتوج، هذا الرباط عمره صاحب تاج الدين محمد بن صاحب فخر محمد ولد صاحب بهاء الدين علي ابن حنا ومات قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق - قال - ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية - وفي أيام الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط -

ولم يزل هذا الرباط عامراً حتى تبدلت الدول فنقلت منه الآثار الشريفة وتغيرت معالمه بتجديد بنائه زمن ابراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١هـ، وعمره بعد ذلك في سنة ١٢٢٤هـ الخواجه محمود حسن بزرجان باشا على وضعه القديم وعمر بجواره قصراً بقي منه الآن بعض أطلال ماثلة - وأما المسجد فالراجح أنه على هذا البناء المذكور الباقي إلى اليوم.

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغوري

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري على المملكة المصرية سنة ٩٠٦هـ وقتل بمرج دابق شمالي حلب في قتال مع السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢هـ وهو الذي بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغوري عن يمين المار بشارع الغوري إلى باب زويلة وبنى أمامها عن يسار المار القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك وفقدت جثته تحت سنايك الخيل، فدفن في الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبة السلطان الأشرف طومان باي آخر ملوك الجراكسة بمصر الذي تولى بعده وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣هـ ودفن بها أيضاً على مافي ابن اياس - خوندخان تكن مستولدة السلطان الغوري المتوفاة سنة ٩٢٢هـ مع أولادها، ونقل على مبارك باشا في خططه عن ابن الطولوني أن السلطان الغوري بنى هذه القبة للآثار النبوية وللمصحف العثماني الذي أضافه إليها. والمصحف المذكور منسوب لذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل التي كانت بدرب ملوخية المعروف الآن بدرب القزازين وقد زالت هذه المدرسة

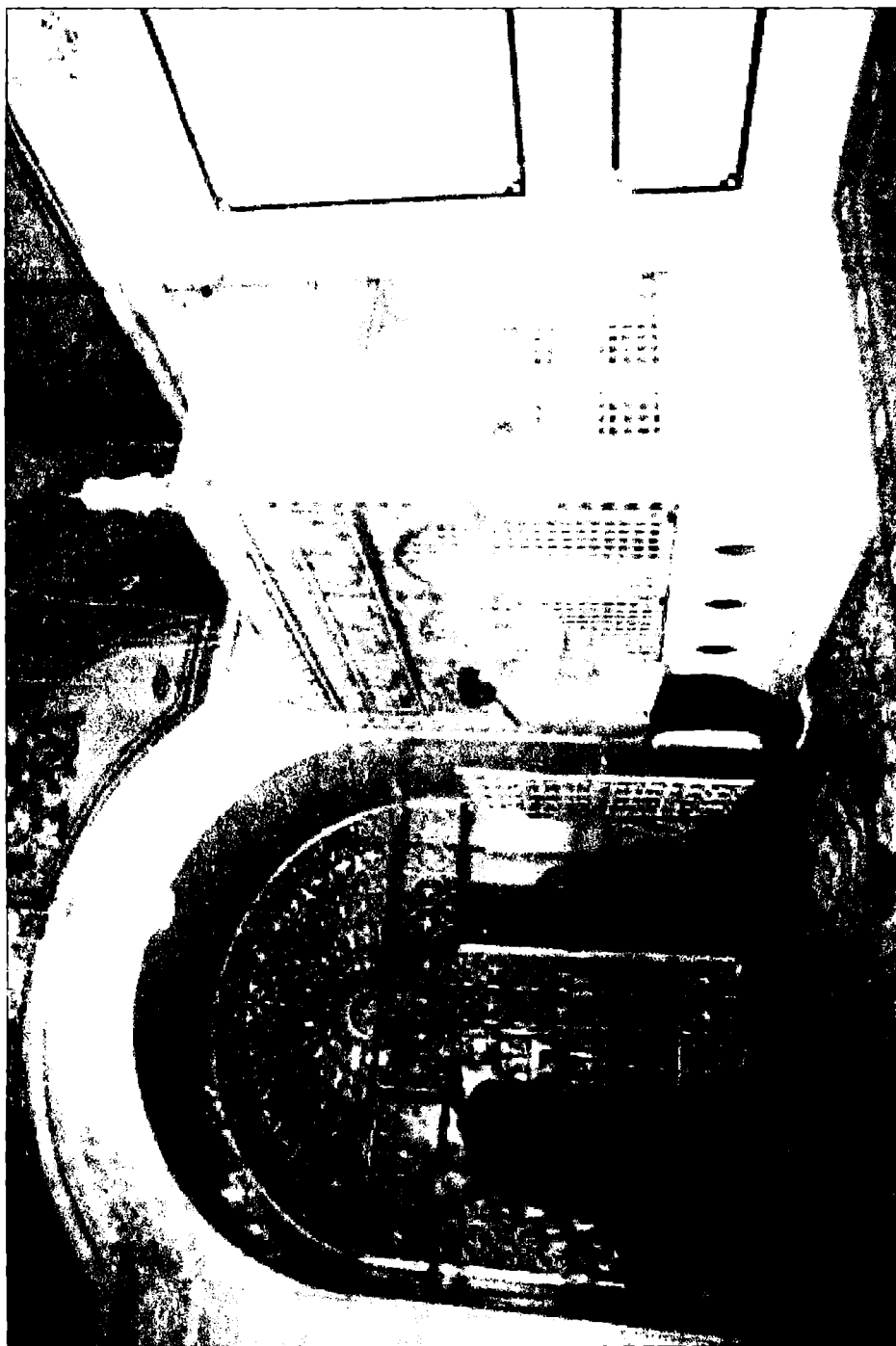


وعفا أثرها وكانت بها خزانة كتب عديمة النظير تفرق غالبها ولم يبق منها غير المصحف المكتوب بالخط الأول الكوفي - ويقال إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وما برحت هذه الآثار بهذه القبة من هذا التاريخ إلى سنة ١٢٧٥ نقلت منه إلى المسجد الزينبي ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ إلى ديوان الأوقاف - وفي سنة ١٣٠٥ نقلت إلى قصر عابدين ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني .

وممن ذكر هذا المشهد الشريف الرحالة الشهير جبير المتوفي ٦١٤ هـ اذ قال في رحلته : و في تابوت فضة مدقون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيظ يقصر الوصف عنه ولا يحيط الادراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمدة الكبار شمعاً أبيض ومنه ماهو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزء الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون، ولا يحق أدنى وصفه الواصفون، والمداخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، حيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، الاستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع، ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية الحديثة الصقل، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين داعين باكين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة التربة المقدسة، ومتضرعين بما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد، والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعا الله ببركة ذلك المشهد الكريم، وإنما وقع الإلماح بنبذة من صفته مستدلاً على ما وراء ذلك، إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجمله فما أظن في الوجود كله مصنوعاً أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه .

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنبياء الغربية، وإنما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته . فمنها: قبر ابن النبي صالح، وقبر روييل بن يعقوب بن إسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسيا امرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيظ، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبه البنيان، قد وكل بها قوم يسكنون



مشهد رأس الحسين - الجامع الأموي

فيها و يحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر، ثم ذكر تفصيل المشاهد.

وعقد الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي المتوفي ١١٧٢ في كتابه -الإتحاف بحب الأشراف- ص ٢٥- ٤٠ باباً في ذلك المشهد وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته وقال: والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية، والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والإعتقاد فيه خير السلام، وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسى الفداء لمشهد أسرارهِ	من دونها ستر النبوة مسبل
ورواق عز فيه أشرف بقعة	ظلت تحار لها العقول وتذهل
تغضى لبهجته النواظر هيبة	ويرد عنه طرفه المتأمل
حسدت مكانته النجوم فود لو	أمسى يجاوره السماك الأعزل
وسما علواً أن تقبل تربه	شفة فاضحى بالجباه يقبل

وقال في ذكر الكرامات: منها أن رجلاً يقال له: شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكف بصره وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: ياسيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ ولوعيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة أتوا إلى المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة معه جاؤا لزيارة السيد الحسين رضي الله عنه فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي رضي الله عنه: يا علي كحله. فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له: تقدم حتى اكحلك فتقدم فلوث المروود ووضع في عينه اليمنى فأحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمنى فصارت ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسطة التي تفرش في مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمد خان نصره الله فجدد بسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن. ثم ذكر كرامة أخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية، وقال بعد بيان اختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ثم ذكر عدة قصائد في مدح آل البيت الشريف ومن ذلك قصيدته التي مطلعها:

آل طه! ومن يقل آل طه مستجيراً بجاهكم لا يرد

أحوال السيدة رقية بنت الحسين (ع)

السيدة رقية بنت الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، كان عمرها أربع سنين وفي رواية خمس أو سبع سنين وقد توفيت في الخامس من صفر سنة ٦١ هـ، وهي من الفاطميات اللاتي شهدن واقعة كربلاء، والمروي أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد احتضنها وودعها مع بقية نسوة آل البيت الطاهر قبيل شهادته في الطف، وبعد رحيل سبايا آل البيت إلى دمشق، حُجزوا فيها وأدخل رأس الحسين عليه السلام عليهم ففزع النساء والأطفال لذلك وقد نقل الشيخ الصدوق رحمه الله أن يزيد بن معاوية أمر بنساء الحسين فحُبس مع الإمام زين العابدين علي بن الحسين في محبس لا يكتنهم من حر ولا قر، حتى تقشرت وجوههن، والمعروف أن السيدة رقية وافتها المنية في الموضع الذي كانت فيه مع نساء آل البيت، وفي رواية أنها استشهدت بعد أربعة أيام قضتها بالحزن والمرض والأسى، وقد استفاضت الروايات الواردة في كتب المقاتل والسيرة الحسينية على وجود طفلة ماتت في خربة الشام اثناء وجودها مع بقية سبايا آل البيت على زيارتها والعناية بقبرها منذ أقدم العصور، وقد بدا للبعض بنسبتها للإمام علي بن أبي طالب بدلاً من الحسين حيث كان للإمام علي (ع) أبنتان رقية الكبرى ورقية الصغرى وعلى هذا جرى قول السيد محسن الأمين في مزاره المسمى (مفتاح الجنات) حتى أنه أثبت ذلك في الزيارة التي أثبتها لها، وفي سنة ١٢٤٣ تجددت عمارة المشهد وكان الباذل على ذلك الميرزا علي أصغر خان وزير الصدارة في إيران أرخ السيد محسن الأمين تجديد الباب بأبيات حفرت في اعلاه وكانت مثبتة هناك رايتها وقرأتها مراراً لكنها قلعت بعد تحديث المشهد وكان الأولى أن تبقى أثراً من آثار المشهد يحتفظ بها فيما يهدى إليه من هدايا وآثار، والأبيات هي:

تمسك بالولاء لآل طه	بحبهم غداً في الحشر تسعد
وهذا باب حطة فادخلوه	وانتم ركع لله سجد
له ذو الرتبة العليا علي	وزير الصدر في ايران جدد
لأسنى بقعة طهرت وطابت	بأزكى خفرة ويخير مرقد
فزرها واستجر وأسأل فقيهاً	يُماط الذنب والحسنات تصعد
وقد أرختها تزهو سناء	بقبر رقية من آل أحمد

وارخ ذلك أيضاً الشاعر الشامي السيد داوود بن ابراهيم صندوق ١٣٢٣ هـ بقوله مادحاً السيدة

رقية.

لذ في رقية سر الله كعبته
وزر حماها فللزوار ان دخلوا
وهو الإمام علي خير منتجب
قد شاد للدين ركناً لا انهدام له
هذا هو النور نور الله اظهره
يلوح من حضرة قد قدست وسمت
مغنى لدرة قدس من بني مضر
من معشر باهت الأرض السماء بهم
هم آل بيت رسول الله من بهم
نثرت من آدمعي دراً بمأتمهم
صلى عليهم اله العرش ماغربت
مقامهم في العلى نادى مؤرخه

شمس بها انشق داجي الليل مظلمه
ولا أبيها نعم الخلد يدخله
صنو البني وسيف الله مخذمه
حبيل الاله صراط الله اقومه
بالطور قدماً لموسى اذ يكلمه
لها من الشرف العلوي اعظمه
تبغي الداراري من الآفاق تلثمه
والذكر بالنص فيهم جاء محكمه
تمت علينا من الرحمن أنعمه
في سلك حبل ولائي رحت انظمه
شمس الضحى ويدت في الأفق انجمه
(العرش ارجاء والكرسي معلمه)^(١)

١٣٢٣ هـ

والسؤال الذي يطرح الآن: لم لا تكون السيدة الطاهرة المدفونة في هذا المشهد الشريف هي السيدة رقية بنت الإمام علي (الكبرى أو الصغرى) وأخت الشهيد الحسين عليه السلام وانها قد توفيت أثناء السبي الهاشمي بدمشق وكان هذا هو موضع قبرها؟

ولعل الشهرة التي تسالم عليها الناس في الفترة المتأخرة قد اعتمدت على الرواية الشهيرة التي تداولتها العامة، والتي لخصها السيد مؤمن الشبلنجي المصري في كتابه نور الأبصار ص ٢٣٨ (المطبعة العثمانية) بمايلي، قال: «أخبرني بعض الشوام أن للسيدة رقية بنت الإمام علي كرم الله وجهه ضريحاً بدمشق الشام، وإن جدران قبرها كانت قد تغييت، فأرادوا اخراجها منه لتجديده فلم يجسر أحد أن يتزل من الهيبة، فحضر شخص من أهل البيت يدعى ابن السيد مرتضى، فنزل في قبرها، ووضع عليها ثوباً لفها به وأخرجها فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثني به ناقلاً عن أشياخه».

وتوحي الرواية بتسالم أهل الشام على نسبة القبر لابنة أمير المؤمنين عليه السلام، لكن القسم الثاني منها يثير اشتباهاً في عمر صاحبة القبر، لكون أمير المؤمنين عليه السلام قد استشهد قبل مايزيد على عشرين سنة من واقعة كربلاء فكيف تكون كريمته الهاشمية بهذا العمر! وعلى هذا جرى نسبة القبر للسيدة رقية بنت الحسين عليه السلام، والأولى أن لا نعتمد هذه الرواية لأنها قد تكون من اختراع بعض العامة، وأنا على مذهب السيد الأمين والأجيال التي

(١)- الموسم العدد ٤ ص ١٠٧٧ وقد أرخ بها تجديد عمارة قبرها عام (١٣٢٣ هـ) وهو يرى أنها بنت الإمام علي.

سبقته في نسبة المشهد للسيدة رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يزال في البحث والتتبع متسع نرجو أن نوفق أو يوفق لاغيرنا لاتمامه وفوق كل ذي علم عليم.

مقام وجامع السيدة رقية عليها السلام

يقع الجامع والمقام في جادة العمارة رقم ١٧٠ من المنطقة العقارية عمارة جوانية بمساحة ٢٤٥٥ م يدخل للجامع من باب حديث من الحجر الأسود المزري ووراء الباب بهو فيه بحرة ماء وبابان، الأول: للمسجد ولضريح السيدة وباب جانبي يؤدي لغرفة لخدام المقام، وفي المسجد نافذة قبلية تؤدي إلى دار جانب الجامع فيها قبر (الملك الكامل ناصر الدين محمد بن جمال الدين صاحب ساقان قنبر) وفي لوحه كتب عليها (دفن في هذا المشهد الحسيني بباب الفراديس يوم الأحد (٢٧) رمضان سنة ٧٠٨ هـ) وفي المسجد محراب ومنبر عاديان، وفيه ضريح السيدة قديم الطراز على شكل قباب الممالك وقد جددت ودهنت وللضريح اطار من نحاس مزخرف (وبجانب الضريح خزانة فيها صخرة قيل أن عليها موضع قدم الرسوم (صلى الله عليه وآله وسلم).

موقع المقام من سوق العمارة

اشار الشهابي في كتابه أسواق دمشق إلى هذا السوق الدمشقي التاريخي موضعاً موقع المقام منه ومما ذكره أن مقام السيدة رقية بنت الحسين في العمارة الجوانية بجوار المدخل الجنوبي لسوق العمارة، وفيه تابوت حديث ثمين من خشب الموزاييك المرصع بالعاج، وحوله قفص من النحاس المزخرف، شيد البناء والقبة في العهد الأيوبي، وجدد سنة (١١٢٥ هـ/١٧١٣ م)، كما جدد أيضاً سنة (١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م).

ويمتد السوق المغطى بساتر هرمي معدني محدث في حي العمارة الجوانية مخترباً (باب الفراديس) الأثري، من قرب مقام السيدة (رقية بنت الحسين) جنوباً إلى شارع الملك فيصل شمالاً، مع انحراف قليل نحو الجنوب الشرقي والشمال الغربي .

ورد ذكر سوق العمارة عند يوسف بن عبد الهادي مما يؤكد تواجده في العهد المملوكي، وربما كان أقدم من ذلك، وكانت منطقة باب الفراديس غنية بالأسواق في ذلك العهد (كسوق النحاسين، وسوق العلبيّة، وسوق الأدمية والحدور، وسوق الهوانية، وسوق داخل باب الفراديس، وسوق مزيلي الآثار، وسوق القبايقية).

أما المدخل الجنوبي لسوق العمارة المجاور لمقام السيدة رقية بنت الحسين، فإنه يغطيه ساتر هرمي معدني مجدّد، وقبيل هذا المدخل مثذنة جامع العمرية، الذي وصفه طلس بقوله: «مسجد حسن له صحن مفروش بالحجارة السوداء والبيضاء، فيه بركة مثمّنة يجري إليها ماء بانياس»، غير أنه لم يذكر تاريخ بنائه، ولا وجدت أنا أي نص كتابي أو لوحة تشير إلى ذلك.

وأضاف: يزدحم سوق العمارة دائماً بالمتسوقين والمارة من الجنسين، ولا عجب فهو ممر يتمتع بجمالية خاصة لكل عابر بين العمارتين البرانية والجوانية، ولكل زائر لباب الفراديس الأثري، ولقمام السيدة رقية، ويبدو بين قوسي الباب القديم والمجدد جزء من مئذنة مسجد السادات المجاهدية، وهو في الأصل (المدرسة المجاهدية البرانية) التي شيدها سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) الأمير الكبير مجاهد الدين أبي الفوارس بزّان بن يامين الجلاّلي الكردي، أحد مقدمي الجيوش بدمشق في العهد السلجوقي وعهد نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد، والمتوفي والمدفون في هذه المدرسة سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ويجوار بابها لوحة كتب عليها (مسجد السادات جدد بمساعي أهل الخير سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠-١٩٦١ م).^(١)

دفن رأس الملك الكامل الأيوبي في مشهد رقية

بعد أن احتل التتار مدينة بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين سنة (٦٥٦) بقيادة هولاكو، فدمروها وافنوا أكثر أهلها، ووجهوا جهودهم للاستيلاء على البلاد الأيوبية، فقصّدوا ميافارقين من بلاد الجزيرة، وملكها يومئذ الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فدافع عنها دفاع الأبطال، وحاصرها التتار نحو عامين، ثم تمكن التتار من الاستيلاء عليها سنة ٦٥٨، بعد أن استمات أهل المدينة في الدفاع عنها، حتى لم يبق منهم إلا سبعون رجلاً من الحامية، فقتلهم التتار، وقتلوا ملكها الكامل، وقطعوا رأسه، ووصلوا به إلى دمشق، وطاقوا به فيها بالمغاني والطبول، ثم وضعوا الرأس في شبكة، وعلقوه على باب الفراديس (باب العمارة) إلى أن استعاد المسلمون دمشق من يد التتار، فدفنوا الرأس في المشهد الذي في سوق العمارة المشهور (بالسيدة رقية).

وفي هذه الواقعة يقول شهاب الدين أبو شامة:

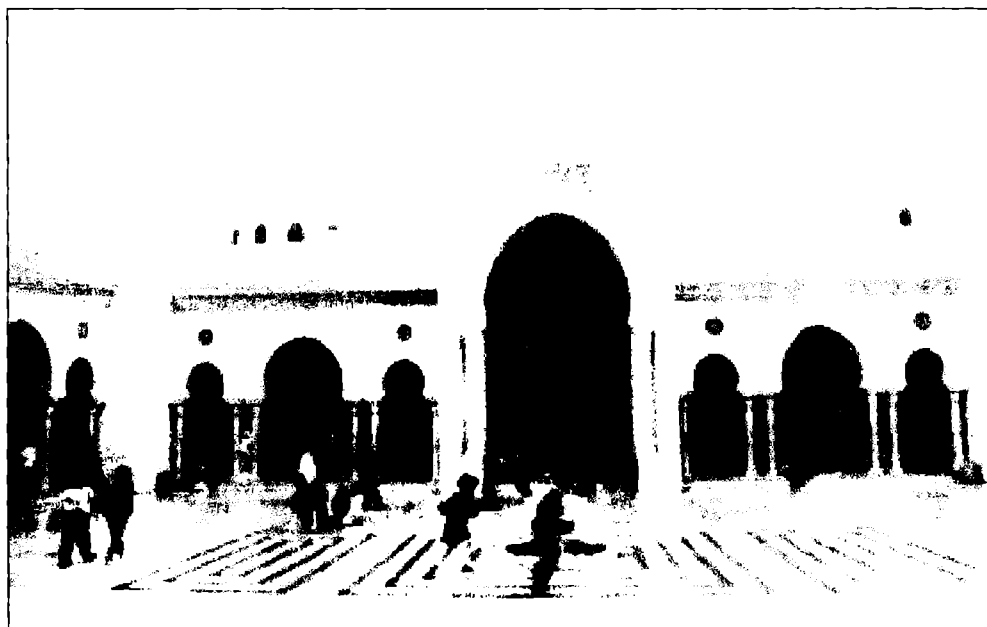
ابن غازي غزا وجاهد قوماً	أثخنوا في العراق والمشرقين
ظاهراً غائباً ومات شهيداً	بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه أن طيف بالرأس منه	فله أسوة برأس الحسين
وافق السبط في الشهادة والحمل	لقد حاز أجره مرتين
ثم واروا في مشهد الرأس ذلك	الرأس واستعجبوا من الحالين
وارتجوا أنه سيحيى لدى البعث	رفيق الحسين في الحسينين ^(٢)

(١)- اسواق دمشق / ٣٩٠، وما بعدها ١٩٩٠ م.

(٢)- محمد أحمد دهمان: ولاية دمشق في عهد المماليك ٤٨ - ٤٩ دار الفكر - دمشق ط٢ - ١٩٨٤ م.



مشهد السيدة رقية - دمشق



مشهد السيدة رقية - دمشق

السيدة رقية في موكب الشعر

لامير المنبر الحسيني الشيخ أحمد الوائلي:

في ربي قاسيون قبر صغير
 تربة هومت رقية فيها
 عندها من محمد وعلي
 والسمات المطيبات تراث
 يحمل العبرة الصريحة إن
 والضريح الذي يضم نسيجاً
 يطلب الورد عاطش الروح منه
 ويدرب العيون صرح تسامى
 روضة تأشب النظارة فيها
 إن أطلت شمس الصباح عليها
 وصخور تماوجت بالمرايا
 ويخط البلور والذهب الإبريز
 حفلت بالشموخ مبنى ومعنى
 إيه بنت الحسين يومك يسر
 المدى فيك بالخلود طويل
 والرقيم الذي على صرحك الشا
 أن يحيق الهوان بالأسر بالباغي
 وتروح القصور والترف الفاجر
 والعروش التي على البغي قامت
 أيدانك ظالم بسرير
 ممن اجتراح قد بدر واحد
 من رجيل دم الشهادة فيهم
 ولأسنان أمهم في لحوم
 فذريهم إلى الهوان مصيراً
 يا ابنة المتقين عاقبة الأبرار
 أنظري خربة أقيمت بها بالشام
 إنها عبرة على شفة التاريخ
 أنت فيها رمز وصرخة حق

فيه غصن من البتول نظير
 حضن الطهر رملها والحفير
 والحسين الشهيد شيء كثير
 يتجلى به البشير النذير
 الحق يبقى ويذهب التزوير
 علوياً بالاحترام جدير
 ويوت النبي نبع ندير
 الفن فيه وأبدع التعمير
 ويجلي أبهاء التنوير
 يتبارى بها السنا والعبير
 فكأن الشعاع فيها غدير
 ما عنه يعجز التصوير
 فالمزايا جنباً لجنب تشير
 وأمام الطفلة يوم عسير
 والمدى عند شائك قصير
 مخ فيه البيان والتفسير
 ويسمو كما يشاء الأسير
 والوشى لامعاً والحريير
 وجنود ومنبر وأمير
 وقد انحط للهوان السرير
 وتمادى شعاره الشرير
 ملأ قرقارة الشراب خمير
 ممن استشهدوا بأحد صير
 وليدم منك للخلود مصير
 عما ينالهم تبرير
 ترب فراشها وحصير
 يشتارها السميع البصير
 عند سمع الطفلة منها هدير

صاح فيها صوت الضمير وعدل
 سيطال الخراب أروقة الظلم
 وسيبدو للتائهين بأن الله
 أيها الشجنة التي أذبلتها
 فهي من زحمة القيود على الصدر
 طفلة يكمن الدهول بعينيها
 حملت قلبها الكسير على يتم
 إنها برعم وما اشتد منها
 لم يزل مثلها تهدده هذه الدنيا
 فإذا بالزمان يثقل كتفيها
 فهي جسم يدافع السوط بالكف
 بالوجدى وقد مررت عليها
 فبدى طيفها لعيني نضواً
 قد تعاورنّها ودرن عليها
 ويراها السرى فضي عودها الناحل
 تسأل الأمهات أين أبوها
 كن يومئذ منها بأن أباه
 غير أن الغياب طال عليها
 والحت تريده ذات يوم
 فأتوها بالرأس أذيل خديه
 فهوت فوقه وأغضت كما
 حضنت رأسه واسلمت الروح
 أيها الزائرون في ود ذي القربى
 هل لمحتهم شمائل الأم في البنت
 ماهو القبر بل شعائر قدس
 يكتب السعي في المسير إليها
 الثموتربها الطهور احتساباً
 وانظروا كيف يزدهي القبر فيها
 فلكم أوحشت قبور بأهلها

في الموازين لو أفاق الضمير
 ويجتاح صرحها التدمير
 في فعل ما يشاء قدير
 لوعة الأسر والفلا والهجير
 أنين شهيقها والزفير
 فيبدو بدمعها التعبير
 وقلب اليتيم قلب كسير
 عودها الغض والضؤاد الغرير
 والحلم والفراش الوثير
 بما قد ينوء منه ثبير
 وعين بدمعها تستجير
 وعلى القبر من أساهها سطور
 من سياط حدا بهن الغرور
 وهي من وقعها الأليم تدور
 وهن مبرح وضهور
 كيف أغضى وهو الشفيق الغيور
 غائب حان عوده والحضور
 والعشي امتدت بها والبكور
 فهو في قعر ذهنها محفور
 هجير ونحره منحور
 أغضى على دفء أمه عصفور
 وجفت كما تجف الزهور
 سمعتم فسعيكم مشكور
 فللضرع ما روته الجنود
 في محاريبها يطوف الشعور
 فهي آثار فضلها ماثور
 إن ترباً ضم الطهور طهور
 والتراتيل والشذى والنور
 وشعت بساكنيها قبور

للشاعر الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، وقد نقشت بعض الأبيات بالذهب الأبريز على ضريح السيدة رقية.

ينبيك كيف دم الشهادة يخلد
وشموخ دولتها لديه يسجد
حتى حجارة ركنه تتوقد
جثث الضحايا مجدها وتشيد
بأس الحديد وقام هذا العسجد
ترفاً على وضر القمامة يرقد
تلك الدماء يضوع فيها المشهد
فلت صوارمه ومال به الغد
تجتر أكباد الهدى وتعريد
للظالمين على الزمان يجدد
بجلال مفرقه النبي محمد
يندى ومن وضح الهدى يتورد
وهموم أفئدة الموالى حشد
بالشام قبر رقية يتجدد.

في الشام في مثنوى أمية مرقد
صرح من الإيمان زهو أمية
رقدت به بنت الحسين فأوشكت
كانت سبية دولة تبني على
حتى إذا دالت تساقط فوقها
هيا استفيقي يادمشق وأيقظي
وأريه كيف تربعت في عرشه
من راح يعدل ميل بدر أمسه
ستظل هند في جحيم ذلولها
ويظل مجدك يارقية عبدة
يدكو به عطر الأذان ويزدهي
ويكاد من وهج التلاوة صخره
وعليه اسراب الملائك حوم
وبه يطوف قم الخلود مؤرخاً

الخطيب الشيخ جعفر الهاللي:

وانظر لعاقبة الأبرار منقلباً
أيامه حيث ضحت في الورى صخباً
منها القلاع وقد مدت لها طنباً
للملك ما شئت من الملك ما جلتاً
أو كالسراب لألباب الورى خلباً
أو أن تحوز بها الأموال والنشبا
مبادئ تصنع التاريخ مكتسباً
منك الحياة وعشت الهم والتعبا
بالغوطتين تريك المنزل الخربا
وأن ما حاولوا قد عاد منقلباً
أيام عاشوا بدنيا دهرهم غرباً
لمجدهم حين يسمو عزة وأبا
روح يعطر من أرجائها التربا

قف عند خلق واستقرئ بها العجبا
واستنطق الزمن الماضي بما حدثت
كيف انطوت دولة كانت محصنة
للسعور فاساً وانفذ قد مضت خملاً
كأنما هي طيف مر منصرماً
فما السبيل لنيل المجد مملكة
وإنما المجد أن تبني الحياة بها
وإنما المجد بالتقوى وإن قصرت
سل عن أمية في دنيا مفاتنها
تريك أن ديار الظلم خاوية
وسل عن الأمل من أبناء حيدة
فها هو الدهر يحني هامه عظماً
في كل بقعة أرض من عبيرهم

كانت هنا طفلة في دار غريتها
وكان ثمة باغ عاد منتصراً
إذا به وهو لا قبور ولا أثر
وذي اليتيمة والأيام تنشرها
قبر بزواية مرت به عصر
ثوت رقية، فيه فاكتسى شرفاً
ومن لطفه نمتها في أرومتها
من قبل ألف ومثواها تقدسه
للعائدين على أعتابها زمر
حتى الملائك رهن عند حضرتها
هذا هو العز لا ملك له حشم
قف بالمساعي التي تسمو النفوس بها
تريك أن ثمار الحب ما برحت
وأن للخير ما زالت هنا همم
سعت لترفع هذا الصرح مرخصة
تريك من روعة التصميم هندسة
أنى أتجهت فروح الفن ماثلة
قد جددوه ضريحاً عز مفتخراً

وقال الشيخ جعفر الهاللي أيضاً:

قف عند باب رقية تتضرع
بنت الحسين سمت علا وجلالة
أبدأ تام ضريحها وجلالها

وللشيخ محمد جواد السهلاني:

هذا هو الصرح الممرد مرقد
سيظل مرقدتها مناراً للهدى
وترى الملائك خشعاً من حوله
هذي اليتيمة من سلالة حيدر
ما أمها ذو حاجة إلا انقضت
هذا هو الشرف العظيم مخلص
الله يرفع شأن آل محمد
أهديتها هذا الشعور لآلئاً

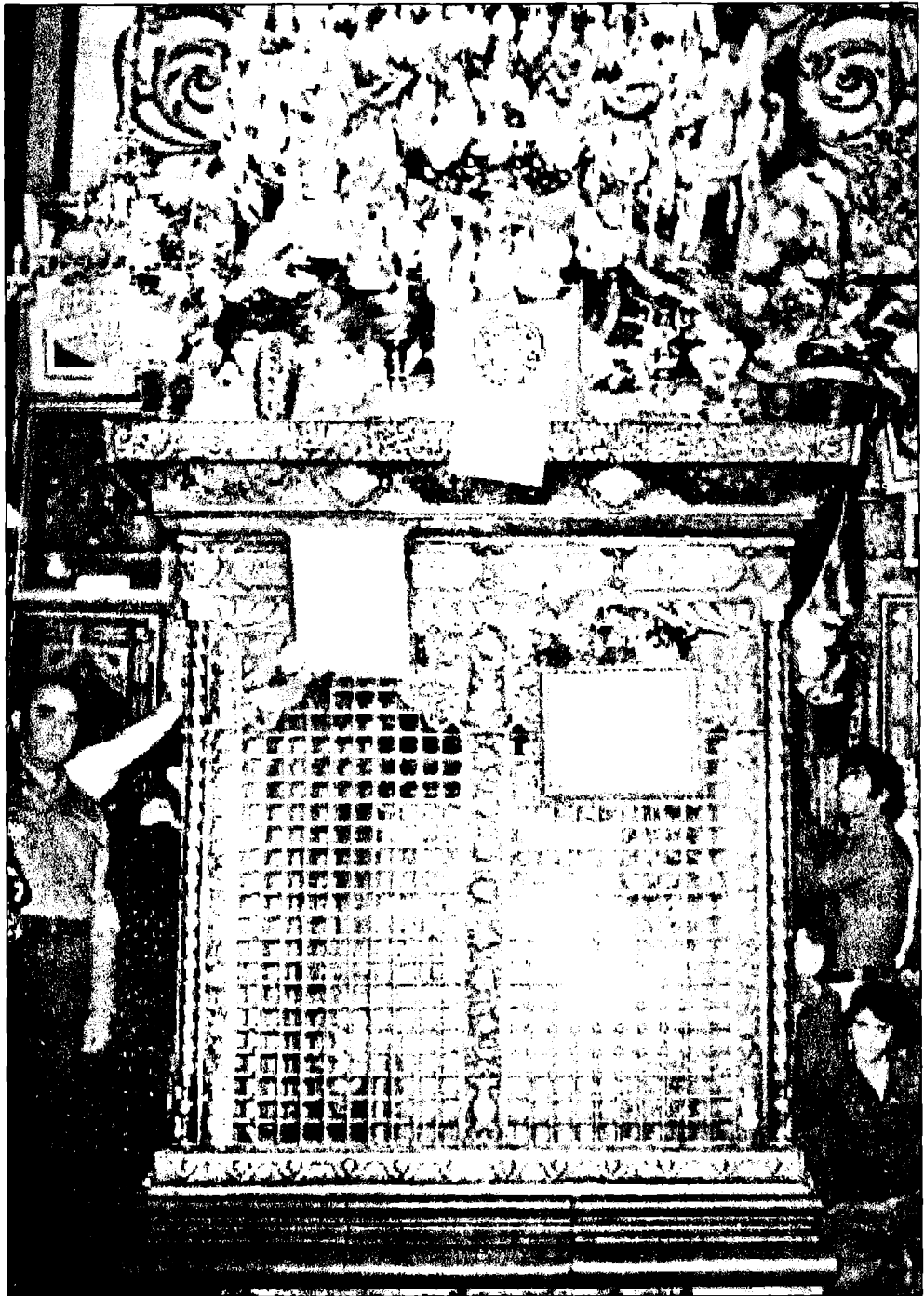
أسيرة زاد فيها الوجد واضطربا
بزعمه راح يثني عطفه طربا
بذكره وبه ناعي الفنا نعبا
ذكرأ حديثاً جميلاً طيباً عذبا
أضحى يناطح في عليائه الشها
غداة ضم الهدى والهدى والحسبا
أم ظهور فقد عزت بها نسباً
هذي الدنى غم من عادى ومن غصبا
من الأنام ترجي عندها الرغبا
يباركون بها من زار أو ندبا
هبت به الريح حتى صيرته هبا
جوداً تريك جميل الفعل مطلباً
تجنى وأن ضياء الحق ما غربا
ميمونة القصد ترجو الجنة طلباً
هذي الجهود تريك الصنعة العجا
قد أحكمته فأضحى كالسنا لها
يبدو بها المرمر اللماع منتصبا
فيه تزاحم تلك الفضة الذهباً

واقصد حماها فهو حصن أمنع
لجلالها هذي الخلائق خشع
ويها لواهب مجدها تستشفع

لرقية بنت الحسين الطاهرة
يهدي الذوات من النفوس الحائرة
كحجيج مكة في حشود زائرة
طابت أرومتها فأضحت نادرة
فهي الملاذ من الأمور الجائرة
بالرغم من كيد الطفافة الماكرة
ويعيش غيرهم حياة خاسرة
حتى أنال به ثواب الآخرة



صور من داخل المشهد الشريف للسيدة رقية



القفس الفضي القديم لمشهد السيدة رقية - دمشق

للأستاذ الدكتور أسعد علي:

ونخلة عذراء الهدى تتمايل
رقية تزجيهها لمن يتراسل
بأدم والوعي الحنون يواصل
تفتت زهرا فالطيوب رسائل
يقام بها الموتى وتزهو الذوايل
ففي أحد يحمي المزارع هاطل
نموت على الحسنى فموتي باطل
رقية روعي فالشروق جدائل
فأطوار موسيقى الحياة مراحل

على نية نطقي يفاوض صمته
الا ليت قومي يذكرون كرامة
رقية رمز لا يطوقها المدى
لتنتخب الموت الجميل نموه
يطور ما قالت رقية رقية
إذا جعفر طارت بكفيه مؤتة
وإن قيل في الدنيا نموت تجيبهم
عباءتي الأفلاك تغتمر الدجى
كذلك نحيا أو نموت لغاية

للخطيب السيد محمد مهدي السويج:

وهي ولهى مع الأسارى شجيه
فعلت فوق مستوى فيه حيه
فعلينا أنوارها النبويه
بضعة أحمدية علويه
مع أطفاله لشرح القضية
الله جارت عليه أميه
وسريعاً تم اللقاء بالنيه
فيه في غدوة وعشيه
عبر هذي الأجيال يهدي البريه
جدد العهد في قلوب زكيه
فبحق كانت تسمى رقيه

طفلة للحسين في الشام ماتت
كم أرادوا لها إماتة ذكر
فكان الزهراء فيها تجلت
وهي أيضاً عن فاطم لأبيها
ولها في رسالة السبط دور
في دنا التضحيات من دون دين
ويطيف المنام لاقت أباه
فغدا قبرها مزاراً يطوف الناس
ويرى عند قبرها الشريف سناء
كلما جدد البناء عليه
لم تزل ترتقي وتهوي عداها

للأستاذ اسماعيل خليل أبو صالح:

كيف نلت بها رفيع المقام
هي فرع من دوحة للكرام
سائلها لها أنحن باحترام
بدماء سقى عرى الإسلام
وفخاراً على جميع الأنعام

خبريني ياروضة في الشأم
طفلة لم تناهز الحلم لكن
من أبوها من جدها من أخوها
سائلها تجيبك أن أباه
وهي من جدها تسامى علواً

وأخوها ذاك الذي ميزته
فلماذا رقية الطهر ذاقته
أكذا الأجر والمودة في القربى
حكمة الله قد قضت أن يضام
ودليلي رقية أن تزرها
وحوالي ضريحها تجد الناس
ثم عرج على يزيد وشاهد
عظة المرء بين تلك وهذا

للأستاذ ابراهيم جواد الدمشقي:

لمن البكاء وحرقة العبرات
لمن الجموع تلاطمت أمواجهها
نظراتها حيرى وأكبدها لظى
لرقية بنت الحسين رنينها
بنت الإمام أخي الإمام ابن الإمام
لعظيمة ماجاوزت بعضاً من الأ
قد أشريت لبن الشهادة مترعاً
قد طهر الله الحكيم فؤادها
فرننت لرقدها الجموع تبثه
سكبت على القفص المذهب دمعها
وقفت بأرض الطف ترمق فيلقاً
جاؤوا يصدون الحسين وصحبه
شهدت بعينيها مصارع أهلها
منعوا ورود الماء وهو أمامهم
حزت رؤوسهم ورضت أضلع
رأت المشاهد لورأها ضيفم
لتضجرت منه الدماء تفجعاً
لكنها بنت الحسين وقلبها
فاقت أسود الغاب صبراً واحتوت

ثفتات من فرط ذاك القيام
في صباها أهوال فعل اللثام؟
لطحه يا أمة الأقزام؟
الحر لكن الخلد للمستضام
تجد التبر راسفاً بالرخام
قياماً أو ركعاً للسلام
كيف صار الخراب دار الطفام
كيف يسمو أو يهوي مثل الحطام

لمن العويل ورنّة الآهات
وتدافعت أفواجها سكرات
وقلوبها موقودة الجمرات
وأنينها المشفوع بالزفرات
أبي الأئمة سادة السادات
عوام أو بضعا من السنوات
صاف من النزعات والنزغات
من كل رجس من هوى الرغبات
أشجانها مشبوية اللفحات
وسقته من عبقاتها نضحات
سد الفضاء بكل باغ عات
ويروعون نساءه الخفرات
مستبسلين مشمرين كماء
قتلوا على ظمأ بشط فرات
وتوزعت مزقاً على الفلوات
صعب العريكة بالغ الفتكات
وقضى صريعاً خامد الحركات
قلب الحسين محصن الجنبات
سيل الكروب بعزمة وثبات

صبرت على البلوى وغالبت الأسى
حتى رأت الحسين مضرَجاً
والرأس حزت والجبين معضر
نادته يا أبتاه من ليتيمة
يا والدي لهفي عليك ممزقاً
أب يا أبي ما العيش بعدك سائغ
أنا يا أبي ما خفت بعدك كربة
عز الفراق علي يا ابنتي فما
خذني إليك أبي فلست قريرة
خذني إليك فما الوداع يروقني
وقد استجاب لها الإمام وضمها
أخذت إليها الرأس وهي تشكو
وتخاطب الرأس الشريف مروعة
بكت الصغيرة والإمام بحضنها
وغضت على الرأس المخضب بالدماء
فقضت شهيدة حزنها ومصابها
وقضى لها الله الخلود على المدى
تأتي الجموع لترتوي من كوثر
وتعود تحمل زمزماً في فكرها
والشام نعم الشام قد أنست بها
وتاهدت علي المقام مكرماً
وتبرأت من عصبة منبوذة
عاشت فساداً في البلاد وأظهرت
إن الملوك إذا استباحوا أمة
هذي فعال بني أمية في الوري
حتى يقوم بدوره سفيانها
فإليك يا بنت الحسين تحيتي

وعلت كوالدها على النكبات
بدم الشهادة طيب العبقات
والشيب خضب بالدماء الأرجات
من للنساء الرمل الشكلات
والقلب ساج ساكن النبضات
من عاش بعدك عاش كالأموات
أبداً ولا هببت الذي هوأت
معنى الحياة وانت أنت حياتي
بالعيش دونك فاستجب دعواتي
أبتاه لا أقوى على المأساة
بين الحنايا حاني اللمسات
وتكحل الأنظار بالنظرات
والقلب منها دائم الحرقات
ونلا النشيج فهيج الصرخات
مخنوقة الأنفاس والنبرات
بنت السنين الخمس كالومضات
بين الوري ويوارف الجنات
ثر العطاء مبارك الثمرات
وفؤادها يزكو مع السجادات
وتشوقت لليمن والبركات
وتحوطه بالحب والدعوات
خانت عهد الله والآيات
فيها الفواحش فعل شر طفاة
جعلوا أعزة أهلها نكرات
من عهد صخر عابد اللذات
ابن الطليق وصاحب الغدرات
وعليك حزني دائم العبرات

للدكتور لبيب وجيه بيضون:

حزتم فخاراً ليس تنسأه الأمم
تاج المعالي أنتم رمز الشيم
تعلو مآذنها على كل القمم
تلقي الضياء على البسيطة والشمم
ولقد أمض بها وأضناها السقم
ضجت لرؤياها تنوح من الألم
حتى رآته قطيع رأس كالعلم
منه ودمع العين يذرف كالديم
راحت بها لله تشكو من ظلم
يهمله حاشا فهو عدل إن حكم

يا آل طه المصطفى أهل الكرم
أنتم سراج الحق ما بين الورى
لاسيما بنت الحسين المجتبى
وقبابها مشهورة في جلق
في خربة وضعت تلوز بزينب
لما رأت رؤيا أبيها كامداً
طلبت أباه قيل: سافر مدة
آوته في حجر تقبل مبسماً
شهقت عليه شهقة فيها الأسى
سبحان ربي يمهل الطاغى ولا

للسيد عامر الحلو:

وبه عظات بالحقيقة تنطق
فعصفت فيما زوروا أو لفقوا
وإذا بقبرك فيه تزهو جلق
زام ويخترق المدى ويحلق
أبد الزمان على العوالم يخفق
رغم الصعاب وهولها يتعمق
ويدين فيها غربه والمشرق
نحر الحسين وفيضه المتدفق
بالطيبات وبالمفاخر يعبق
لما رزئت وغاب عنك المشفق
ورأيت والدك يحن ويشفق
والقلب من وقع الأسى يتحرق
نطق البكاء بها وكل المنطق
فحضنته والكل فيه أحدقوا
ولقد رحلت وأنت نبع مغدق

بدمشق قبرك يارقية يشرق
كنت أسيرة دولة مفرورة
وإذا بها عند النهاية عبدة
وإذا بمجدك وهو مجد محمد
تلك الحقيقة سوف يبقى نورها
ويظل هدي محمد طول المدى
والكون يخضع للرسالة خاشعاً
وهو الذي قد رامه في كربلا
ويظل صرحك يا رقية شامخاً
ولقد ذكرتك يارقية بالشجى
لما غفت عيناك من تعب السبا
ففرغت باكية عليه بلوعة
وعلا النحيب على الحسين بخربة
وأتوا برأس السبط في غسق الدجى
ورقدت رقدتك الأخيرة جنبه

نبتع الطفولة والبراءة والصبا
نبتع التقى نبتع الهداية والنهى
ويظل قبرك يا رقية كعبة

السيد حسين بحر العلوم:

لهف نفسي لزنب وهي تكلى
كم رأت في خرابة الشام أحزاناً
رأت الذل والهوان وقيد
ورأت ما يمرض من ألم اليتيم
طفلة بنت أربع أو ثلاث
فلذة من فؤاد أحمد يجري
هي بنت الحسين لم تعرف اليتيم
ألفت حجره وثيراً من المهد
لم تزل تسأل الأرامل والأيتام
وغفت عينها لتهجع بلواها
وإذا بالكرى طيوف حبالى
رأت الوالد العطوف بعينيها
وانبرت تشتكي له الذل واليتيم
واستفاقت من غفوة الضيم تبكي
يا أبى، يا أبى، أريد أبى
فاستجاشت عواطف الشكل بالحد
وتعالى البكاء واستشرت الأهات
فاستفز الصراخ نوم يزيد
قال: ماذا جرى لعائلة الأسر
قيل بنت الحسين في حلم النوم
فأفاقت تريد شخص أبيها
قال: ذا رأسه حملوه إليها
فأتوها به فأهوت عليه
وانحنت فوقه تقبل فاه

نبتع يظل على المدى يتدفق
نبتع أصيل في الأكارم معرق
للزائرين به تطوف وتحقق

يلتظي قلبها دموعاً وأها
تسيخ الجبال من بلواها
الأسر، فازداد حزنها وشجاها
مصاباً يعز عن أن يضاهى
يشهق العطر من عبير شذاها
من علي وفاطم رباها
ولم تدر كيف تنعى أباه
وكان الشغوف إذ يرعاها
عنه، ولم تحصل منهاها
وتنسى مصابها وأساها
بالمأسي وليتها لن تراها
فهبت مذعورة من رؤاها
فتذوي القلوب من شكواها
وتنادي ولا يجاب نداها
-الآن- فقد كان لي ظلالاً وجاها
زن ضجيجا من أرضها لسمها
والنوع في النفس جواها
وهو في قصره فأبدى انتباها
ألم ينسها الكرى شجواها
رأته، فاشتط منها نهاها
فهي لم تقتنع بغير منهاها
فعسى تستعيز عنه عساها
بانعطاف أضاع منها هداها
وهو من عطفه يقبل فاه

وتناديه: يا أبي أي سيف
يا أبي من تراه خضب منك
يا أبي من للأرامل والأيتام
يا أبي أين غبت عنا، فقد
يا أبي عز أن نراك ترى
واستجاشت بها العواطف حرى
ثم سرعان ما استكانت على
فإذا بالصاب يضري فيبدي
حلم وانطوى وأجهش تاريخ

الشيخ صادق بن الشيخ جعفر الهلالي:

قبس شع في الشام بهياً
هي بنت الحسين وابنة طه
هي من جدها علي تسامت
راح يهضو الفؤاد من كل فج
فهنيئاً لتربة الشام فخراً
تحضن الطهر تزدهي بشذاها
شتموا جدها الوصي لدهر
أين منهم (يزيد) أين أبوه
قد أطاحت تلك الفعال بذكراه
وإذا الأل رحمة الله في الأرض
يا ابنة الطاهرين فيك استضاءت
وضعوك بخربة كالأسارى
وعلي السجاد في لوعة الحزن
لم يراعوا كرامة لرسول الله
هو يوم بيوم بدر أفاضوا
ورثوه حقداً قديماً على الإسلام
فبسيف الإسلام أوترهم كفراً
فاشتروها دنيا بآخرة الله

جد منك الأوداج حتى براها
الشيب بالدم، من ترى أشقاها
يعنى بها، ومن يرعاها
ضاقحت رحاب الصدور من لؤاها
الأيتام حسرى، والعز فضل رداها
يفطر الصخر من شجى نجواها
رأس أبيها تبثه شكواها
جثة بزها الحمام رواها
وظلت ماساتها تنعاهها

يوم وارى الثرى رفاة رقىا
فاح منها عطر الولاء نديا
في مقام يزهبه علويا
عارفاً حقها محباً تقيا
علوياً طالت بذاك الثريا
فتعم الدهور عطراً زكيا
فغدا الفعل منهم مخزيا
أين تلك القصور لم تك شيا
وأفنت عهداً مضى مطويا
وياب يهدي الصراط السويا
هذه الأرض بالسناء زهيا
واستضاموا مقامك المرضيا
ومن حوله النساء بكيا
فيه ولم يراعوا الوصيا
فيه حقداً لدى النفوس غويا
واستهدفوا هناك الوصيا
بأمر من النبي جلياً
وضنوا بها البقاء الهنيا

ثم ضاعت دنياهم في سراب
 وإذا بابنة الحسين تحدث
 يا ابنة الأكرمين يا صرخة الحق
 مهجة المرتضى ونفس حسين
 أيتموها وفي السبا روعوها
 فرأت في المنام وهي تناجي
 فأفاقت مذعورة القلب تدعو
 وتعالى البكاء من شدة الحزن
 قال يا قوم ذاك رأس أبيها
 عانقته ولا تزال تناغيه
 من لنا بعدك الحما يا حمانا
 ثم فاضت وفارقت روحها الدنيا
 إيه يا طفلة الحسين ونوراً
 في مقام أعزه الله فيها
 وضريح لم رقد الطهر يعلو
 فغدى صرخة يضح بياناً
 هذه مهجة لآل علي
 فأنحنت دونها عروش بغاة
 فإذا بالأسير يكتسح الظلم
 هكذا آل أحمد وعلي
 لأصلاة دون الصلاة عليهم
 تلك دنيا فيها أعزهم الله
 آل مروان كم بنيتم عروشاً
 وحلمتم إن الأمور إذا ما
 قد بنيتم عهداً بظلم أولي الأمر
 نهجكم كله على الحق بغي
 ونسيتم يوم المعاد الذي فيه
 تدعوها خلافة ولأنتم
 مادهاء فيكم ولكنه الغدر

ثم ضاعوا فما نرى حريباً
 يوم وافت بصرحها مبنياً
 تعالت على الزمان دويماً
 من هوى في الطفوف نجماً زهياً
 حين راحت تطوي المفاوز طياً
 لأبيها الحسين قلباً حفياً
 عمتي شمت والدي المرضياً
 وراح الصدى يهز الدعياً
 قدموه لها لتسلو ملياً
 وترجو حنانه الأبويماً
 ورجانا وقد فقدنا الحمياً
 وعاد المصاب خطباً جلياً
 شع في هذه الریوع مضياً
 يبعث اللطف بكرة وعشياً
 شرفاً قبرها بدا ذهبياً
 تعلن الحق كالسنا جلياً
 ينشر الدهر فضلها النبويماً
 وغدا الذكر منهم منسياً
 يجلي ستاره المغشياً
 زاحموا الدهر واستضافوا الثريا
 وكفاهم بذاك فخراً علياً
 ولقاهم الرضا أخروياً
 وملكتهم دنيا وحكماً شهياً
 حزتموها قد فزتموا دنيوياً
 ولكنه اغتدى مفضياً
 وانحرف جاز الصراط السويماً
 عذاب للظالمين صلياً
 طلقاء لم تحظ من ذاك شياً
 ولولاه ما استقمتم ملياً

قد كسبتم دنيا وعشتم هواها
قد آتتكم عواقب السوء فيما
فانظروها بجنبكم ترقد الأبرار

السيد سلمان هادي آل طعمة:

ضريحك إكليل من الزهر موزق
ملائكة الرحمن تهبط حوله
شممت به عطر الربى متضوعاً
إليه غدا الملهوف مختلج الرؤى
كريمة سبط المصطفى ما أجلها
أرومتها طابت كحسن خصالها
إلى ذروة العز انتمت وتسابقت
وأيدها الباري بكل فضيلة
كأن الدجى ينشق عن سحر وجهها
أطلي على الدنيا كشمس منيرة
أطلي فهذا الكون يشدو صباية
وبوحي بأيات الجلال فإننا
فيا جذوة في النفس يحلو أوارها
ويا قبساً من نور أحمد يزدهي
نشأت على حب الحسين وفضله
وإنك أهل للخلود وشأوه
وحبك هذا ساكن القلب والحشا
شعائر قدس تملأ الأرض رحمة
وأي مزار صار للناس ملجأ
يتيمة أرض الشام ألف تحية

حيث أغضبتكم الإله العليا
قد جنيتكم منها ضلالاً وغيا
تسمو بعزها أبدياً

به العشق من كل الجوالب محقق
تسبح في أرجائه وتحلق
كأن الصبا من روضه الخلد يعبق
وعيناه بالدمع الهتون ترقرق
لها ينحني المجد الأثيل ويخفق
لديها غدا العاني يحب ويومق
ومن راحتها بان فضل مطوق
وخير محل بالعلو وهو يغدق
كما يطلع البدر المنير ويشرق
لها بقلوب المخلصين تعلق
لمجدك مهتاجا ويهفو ويرمق
عطاشى إلى بحر المنى يتدفق
وكل محب نحوها يتشوق
بطيب فعال عبر طيفك يطرق
وحزت من الجاه الذي لا يصدق
فذاك هو المجد العظيم الموفق
سيبقى مناراً للهدى يتألق
مدى العمر تزهو للبرايا وتبرق
إليه التجى الراجي وفاض التصدق
إليك وقلبي بالمودة ينطق



مشهد السيدة رقية - منظر جوي

وللشيخ عباس بن أحمد الرئيس الدرازي مع تخميسها للشيخ حسن عبد الله البحراني القيسي:

رقية يا نبعة السيد شملت ضريحك ذاك الندي
فقلت وطوقته باليد (تبارك في الدهر من مرقد
تزين بالدر والعسجد)

فبرء المصابين من بعضه ونيل الأمان في أرضه
ضريح علا النور من روضه (وسال على الشام من ومضه
شعاع تعالى على الفرقد)

فبورك قبر علا بالضيأ تضمن من سيد الأنبيأ
سليته دخبه الأصفيا فأمرع ذاك الحمى بالحيا
أما آن للناس أن تهدي

وقاع الجنان قد احتله أرى الخير في تربيته كله
فلو لام ذو غفلة قل له فما القبر لولا الذي حله
سوى حفرة من صنيع اليد
فقل للذي حوله سلما بقبر رقية برء العمى
متى شمتة قل بدمع همى فله قبر يفوق السما
بمن فيه بالفضل والسؤود

فقل للذي لهم ينتهي وشام ثراها العظيم البهي
فهذي الذي قبرها يزدهي رقية بنت الحسين الشهيد
وبضعة خير الوري أحمد

رقية من زارها واعتنى إليها فقد نال أقصى المنى
فكم من سناها يشع السنا لها شرف الأصل بين الأنام
إذا ذكر الفخر في المحتد

شفاء المصابين في تربها فكم جرعت من شجى كربها
ومما دهاها ومما بها ثوت وهي ثكلى وفي قلبها
لهيب من الحزن لم يبرد

فيالك قلب لها مدنف فمن لجواها ومن يسعف
تحن وأدمعها ذرف أسى لأبيها غداة الطوفوف
صريعاً على لم يلحد

رآته طريحاً بحر الوهاد تدوس عدايه الخيول الجياد
 وقد لبست من أساه الحداد فليله تكلى بعين الفؤاد
 رأت فادح الخطب في مشهد
 يذوب لها شجنأ كل حي فقد فقدت كل حمام وحي
 ولما كوى قلبها الحزن كي رأت في الهجير أباهما الحسين
 يموت وأحشاه لم تبرد
 رآته بقلب لها حائم ودمع على خدها ساجم
 رهين المنية كالنائم ومن حوله من بني هاشم
 نجوم ببرد الدما ترتدي
 ومذ بينها حال داعي النوى وبين حماها لحتى اكتوى
 حشاها وبالحزن لما التوى فغصت بأحزانها والجوى
 يحز الحشاشة كالبرد
 فمن مثلها فاقد قد رأى أباه صريعاً وعنه نأى
 فأنت بأهات لن تطفئاً وماتت أسى وهي قرحى الفؤاد
 بقلب لفقد أبيها صدى
 خليلي يا من بكثبانها علا لكما نور أوطانها
 إذا شئت ما نيل إحسانها قضا نسال القبر عن شأنها
 وصوت بعينيك أو صعد
 وقف في ربي ريعها المزهري وقل يا جفون العيون امطري
 وهلل بها وبها كبر واصغ بسمعك عند الضريح
 تجد أنه الواله المكمد
 ستلقى مقاماً به المرعب يلوذ ونعماه لاتنضب
 وتلقى حمى رزه يكرب وصوتاً يقطع قلب الصبور
 ولو كان في قسوة الجلمد
 وتلقى مآسي بها تشكل ودمع العيون لها يهمل
 وحزنأ به ناره تشعل وآهات وجد تذيب القلو
 ب أما أن يا عين أن تجمد
 وعدد ورد لدى قامها شجى كالحمام بأسجاعها
 وأجر الدموع بإهماعها لحزن له بين أضلاعها
 هدير بصوت شجى مرعد
 هدير النوائب في صولها تهد الرواسي في طولها

هدير حلى السحب في سيلها (أذاب الجنادل من حولها
 كذوب الرصاص على الموقد)
 فالله مشهد ذاك الثرى ومثوى رقية خير الورى
 أقول ودمعي بخدي جرى (فيا بدرُ تم حواه التراب
 ويدر على الأرض لم يعهد)
 فيا من علامجدها الأعظم على كل مجد ونال السمو
 فيا مينة رزءها مؤلم (ويا زهرة أذبلتها السمو
 ومنها المنية بالمرصد)
 حللت بأعلا ذرى رفعة وباركت ترب ثرى رقعة
 أقول وقلبي في لوعة (هينئاً لك النوم في بقعة
 سمت به فوق هام السهى فاصعد)
 أقول وقلبي من رزئكم يذوب التياغاً ومن حزنكم
 ألا فاسهدي فالنعيم لكم (ونامي وما النوم من شأنكم
 وفي الخلد لافي الضريح ارقدي)
 فيا ابن الأكارم من معشر علا مجدهم بولا حيدر
 إذا شئت سعدك في المحشر (فطف حول هذا الضريح الشريف
 حنين الفؤاد بمد اليد)
 ويا من لطرق المعالي سعى إذا شئت أن يستجاب الدعا
 بقبر رقية لذ مسرعاً (وقل أنت واسطتي في المع
 د فلولاكم المرء لم يسعد)



مشهد السيدة رقية
 - القفص القديم

السيدتان سكينه وأم كلثوم بمقبرة باب الصغير بدمشق



في مقبرة باب الصغير مشهد يحمل المحضر ١١٦٣، وفيه قبران ينزل اليهما بدرج (احدهما) منسوب إلى سكيينة بنت الحسين عليه السلام وعليه تابوت من خشب قديم محفور عليه أيضاً آيات من القرآن بخط كوفي مشجر كالذي على القبر المنسوب لفاطمة الصغرى (والثاني) منسوب إلى زينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، أما سكيينة فالذي ذكره المؤرخون أنها توفيت بالمدينة المنورة في إمارة مروان بن الحكم وصلى عليه أخوها زين العابدين عليه السلام، وأما زينب الصغرى المكناة بأُم كلثوم فالمنسوب إليها هو المشهد الموجود بقرية راوية المعروفة بقبر الست - على قول للسيد محسن الأمين وذكر لأمير المؤمنين عليه السلام ابنة أخرى من غير فاطمة عليها السلام واسمها زينب الصغرى لكن لم يذكروا انها تكنى بأُم كلثوم والله أعلم بحقيقة الحال.

زرتهما سنة ١٩٧٧ وجاء في الشاهد الرخامي عندها مايلي:

«هذا مقام السيدة سكيينة كريمة الإمام الحسين شهيد كربلاء عليهما السلام ومقام السيدة زينب الملقبة بأُم كلثوم كريمة الإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام».

تشيدت هذه المقامات المقدسة بمساعي السيد سليم افندي بن السيد حسين افندي مرتضى قائم مقام مراقد أهل البيت عليهم السلام سنة ١٣٣٠هـ.

قبة السيدة سكيينة: كتب بداخلها (الله محمد علي فاطمة) ثم هذه الآيات القرآنية «بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار- انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً- سلام قولاً من رب رحيم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين -سلام على طه والياسين (كذا) سلام على نوح في العالمين- سلام على ابراهيم - سلام على موسى وهارون - سلام هي حتى مطلع الفجر».

وتحت ذلك شريط كتابي وردت فيه اسماء الائمة الاثنى عشر عليهم السلام في نقوش جميلة مؤطرة بالمرايا المزخرفة.

وكتب أسفل الجدار «جدد ترميم وترخيم ودهان هذا المقام المبارك الحاج أحمد حبيب الباكستاني والحاج قاسم غازي باشراف المتولي السيد حسني مرتضى سنة ١٣٧٤هـ»، وفي الروضة البهية / ٣٩، أن لأهل الطريقة القلندرية زاوية لصيقة بمزار السيدة سكيينة.

قبة أثرية مثمنة الشكل (خلف مسجد السيدة سكيينة)

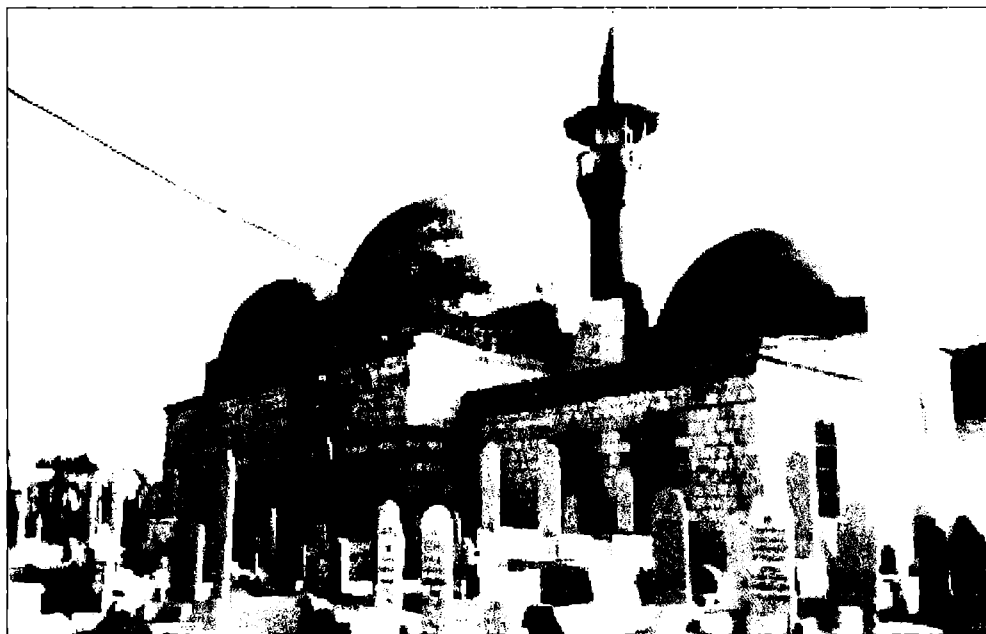
وتقع هذه القبة خلف مسجد السيدة سكيينة وبنائها من حجر والقبة من أجر حسنة البناء ويضمونها ثلاثة قبور للأتراك. وقد جرى دفن في تلك القبور لعائلة النحلاوي وعائلة فارس من عائلات دمشق المعروفة.

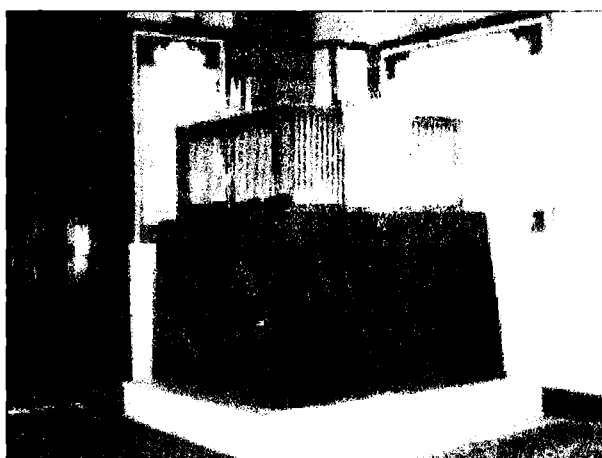
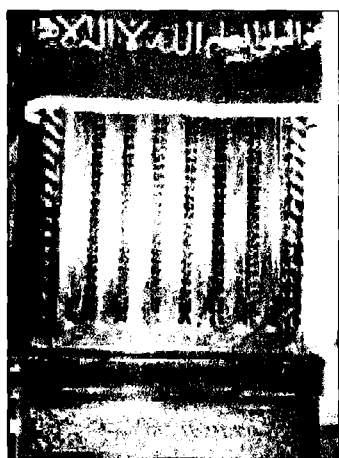
تعقيب:

جاء في مجلة العرفان المجلد ١٧/ص ٢٤٩ هذا التعقيب بقلم السيد سليم مرتضى من دمشق وفيه:

«لقد تصفحت المجلد السادس عشر للجزء الثالث من مجلتكم الغراء المؤرخ في غرة جمادى الأولى سنة ٣٤٧ فوق نظري على كلمة جاءت حشواً في البحث عن الشيعة الاسماعيلية بصفحة ٢٥٦ وعليه ارجو درج كلمتي هذه بحروفها ولكم مزيد الشكر: قال الكاتب اتفق المؤرخون بأن السيدة سكينه بنت الإمام الحسين بن علي عليهم السلام توفيت بالمدينة المنورة وصلى عليها آخوها زين العابدين عليه السلام فمن أين أتى بكلمة الاتفاق ولماذا لم يستند على ذكر واحد منهم على الأقل على أن هذه كتب التواريخ ترجح دفنها في مقبرة باب الصغير بدمشق باتفاق جملة من المؤرخين ومنهم صاحب كتاب زيارات الشام ذكرها في تاريخه المختصر المسمى الاشارات إلى أماكن الزيارات بصفحة ١٦ سطر ٤ مستنداً إلى كتاب الزيارات للهروي وذكرها أيضاً جملة من المؤرخين ومنهم الفاضل السيد أديب تقي الدين في الجزء الثاني (كذا) ويؤيدهم وجود البراهين من آثارها الطاهرة منها كتابة اسمها بالحروف الكوفية على تابوتها الخشبي المؤرخ انشاؤه سنة ٤٣٧ والموجود الآن على مرقدتها الشريف ويعد من الآثار القديمة القيمة ومنها وجود البراءات القديمة المشعرة باسمها خاصة وباسماء جملة من آل البيت والمحفوطة لدينا ومنها اصدار القرارات الإدارية في العهد العثماني لتشييد مراقدهم التي دام تحقيقها سبع سنوات ونتيجتها صحة وجودهم بأسمائهم اتفاقاً ومنهم المشار إليها ومنها وبراهين كثيرة» انتهى.







ستي سكيئة

ذكر المؤرخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشهيد بابن الحمصي (٨٤١-٩٣٤هـ) قال: «ستي سكيئة بنت الحسين رضي الله عنه مدفونة بباب الصغير بالغزالية»^(١).

مدينة داريا

داريا مدينة عربية قديمة، من المدن التي أنشأتها السلالة العربية قبل الإسلام، ومنها «دمشق» بدليل عروية اسم «داريا» جمع دار، أو مجمع الدور أو من التنزيرة. وأما اسم «داريا» فقد قالوا أنه سرياني، والمعروف أن السريانية هي الأرامية الأخيرة قبل الإسلام، ونلاحظ قريبا الشديد من الفاظ اللغة العربية الأخيرة ولا يستبعد أن تكون صيغة منها عربية صرفة: فداريا وزمنها «فعليا» باعتبار أن أصلها «دوريا» ثم قلبت الواو ألفا. وذكر سيبويه في كتابه أمثلة مسموعة لها الوزن مثل «قلها» و «مرحيا» و «برديا» وهي مشتقة من «الدار» والياء التانيث، وزيدت هذه الزوائد للدلالة على التأثير، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وقد ورد أن داريا في الجاهلية كانت مجمعاً لدور آل جفنة الغسانيين ومنازلهم، وذكرها حسان بن ثابت، في قصيدة يرثي فيها الملك الغساسنة في الشام فقال:

لمن الدار أوحشت بمعان بين شاطئ اليرموك فالخمان
فالقريات من بلاس فداري فسكّاء فالقصور الدواني

هذا، والنسبة إلى داريا «داراني» وهو من شواذ النسب وكان القياس أن يقال في النسبة اليها «داروي».

ومن أشهر مشاهير من سكن داريا: التابعي المخضرم أبو مسلم الخولاني، الذي شهد عصر النبي (ص)، وكان قد ارتحل من اليمن إلى المدينة، فلم يوفق إلى رؤيته (ص)، فقد اسلم الروح في ذلك العام، وعاش في ظل خلافتي أبي بكر وعمر، وتجهز غازياً نحو الشام، وبقي ملازماً للجهاد حتى وافاه أجله، وله في داريا قبر مشهور في حي بني خولان.

ما زال بنو خولان، بهذا الاسم- يسكنون في المناطق المحيطة بالقبر وعندهم شجرة نسب يتوارثونها مودعة في مقام جدهم أبي مسلم، وكان يقال «من أراد العلم، فلينزّل بداريا بين عنس وخولان» و«عنس» قبيلة يمنية جاوزت خولان في سكنى داريا. وتروى لأبي مسلم الخولاني، كرامات، تشبه معجزات الانبياء، ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، والله اعلم بحقيقتها.

ومن مشاهير من سكن داريا وتوفي بها ابو سليمان الداراني المتوفي سنة ٢١٥هـ وهو عبد

(١) حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ٧٧/٣ (المكتبة العصرية - صيدا ١٩٩٩) والغزالية المذكورة هنا ربما إشارة للمدرسة

الغزالية انظر الدارس في أخبار المدارس ٣١٣/١.

وعن سكيئة انظر تاريخ الإسلام للذهبي الفترة (١٠١ - ١٢٠ هـ) ص ٣٧١ - ٣٧٢ رقم ٤٠٩

الرحمن بن أحمد العنسي، الزاهد الصوفي المشهور، من كبار المتصوفين الزاهدين في زمانه، وله قبر ومقام في الناحية الغربية من داريا، حيث مساكن قبيلة عنس في بداية الفتح الإسلامي.

مكانتها العلمية

ومع تعاقب القرون لم تخل داريا من نوابغ العلماء، ومن طلبة العلم، وحتى العصر التركي الذي شهد تخلفاً عن ركب العلم، كان أهل داريا منكبين على الدراسة بصورة كانت نادرة في الريف العربي وسجل لنا عبد الغني النابلسي ظاهرة انتشار العلم في داريا، في كتابه «الرحلة القدسية» سنة ١١٠١هـ/١٦٤١م وكان قد مر بداريا في طريقه إلى فلسطين فقال: «ثم ذهبنا إلى قرية داريا، فزرنا قبر ابي سليمان الداراني، وقبر ابي مسلم الخولاني، وزرنا قبر بلال الحبشي المؤذن، عند ضريح ابن مسلم ثم بتنا تلك الليلة في قرية داريا، وحضر عندنا من أهل القرية جماعة يحفظون القرآن، وجماعة يطالعون في تفسير «الجلالين»، فعلمنا أن هذا الأمر من أنعام الله عليهم، حيث جعل منهم دون غيرهم من أهل القرى في مثل هذا الزمان، قصد الخير الجسيم والا لعمري، كم خرج فيما مضى من قرية داريا عالم عامل محقق كامل، ولكن الاشتغال بأمور الفلايح أقعد همم أهل القرى عن تحصيل الكمالات في هذا الزمان المتقتضي لظلم الحكام وإلى الله المشتكى عنهم في دفع هذه المصائب والآثام... حتى رأينا غالب من يعرف القراءة منهم معه تفسير الجلالين، وإذا سألته عن آية أجابك منه بما تقر به العين، وكنا كلما رأينا واحداً منهم معه كتاب نعرف أنه ذلك التفسير...»

وقد أزيل الستار في السنوات الأخيرة عن قبر في داريا مكتوب عليه اسم سكيئة بنت علي، يظن بعض الناس أن صاحبة القبر من آل البيت (ع)، ولكنها ليست سكيئة بنت الحسين، لأن الأخيرة، مدفونة في المدينة المنورة باتفاق المؤرخين، وكنت قد زرت هذا القبر وأائل التسعينات من القرن العشرين ولم يكن هناك ما يميزه عن سائر القبور العادية ولا يوجد عليه أثر أو كتابة تدل على ما فيه، وقد دلّني عليه شخص مسكنه قريب منه اسمه أحمد لطيفي أبو عبدو، ويعد سنين قليلة شيدت عليه عمارة ضخمة.

ونعود إلى داريا التي، نشأت في الإسلام بوصفها قرية من قرى الغوطة ولكنها كانت «أم القرى» وأعظمها شأنًا وأعلاها مكانة من الناحية العلمية، نشأت داريا، وكأنها جامعة: اساتذتها وطلابها من أهلها، ومن مناطق بلاد الشام كافة... ولذلك نقل ابن عساكر في تاريخ دمشق، قول من قال: من أراد العلم فلينزل بداريا ولذلك أيضاً ألف ابن عساكر كتاب «روايات ساكني داريا، في ستة اجزاء وقال العمادي في كتابه «الروضة الريا» وقد رأيت مؤلفاً مفرداً في أسماء المحدثين بداريا. ورأينا جزءاً في الأحاديث التي رويت عند ضريح ابي مسلم الخولاني... وهذا كله يدل على كثرة العلماء في داريا، وكثرة العلماء الذين كانوا يقصدونها لسماع العلم من أهلها. ولهذا افردت مصنفاً لتاريخ داريا، وذكر من سكن فيها ومن تخرج في جامعها وخرج منها لحاجة الناس إلى علمه. ومن المؤلفات التي وصلتنا، كتاب «تاريخ داريا» من تأليف القاضي عبد الجبار

الخولاني الداراني، وقد عني بتحقيقه ونشره الشيخ سعيد الافغاني، ونشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٠م، ووصلنا كتاب «الروضة الريا فيمن دفن بداريا» من تأليف مفتي الشام الشيخ عبد الرحمن العمادي، وعني بتحقيقه ونشره، المحقق عبده علي الكوشك الداراني، وبذلك استحققت داريا، أن تكون «أم القرى» في الماضي وهي كذلك اليوم سنة (٢٠٠٠م) حيث عاد إليها مجدها العلمي، ونبغ فيها العلماء والفقهاء والمحدثون والأطباء الحاذقون، واشتهرت بعض أسر داريا بالتفوق في فنون المعرفة والتصنيف: رجالها ونساؤها وأشهرها أسرة أسد الدارانية، ورأسها الأديب الفقيه المحدث الشيخ حسين بن سليم أسد الداراني، صاحب التصنيفات والتحقيقات^(١). وكتب العلامة المحقق السيد أحمد الحسيني الاشكوري كتيباً تحت عنوان «السيدة سكيانة بنت علي عليه السلام» اقتطفنا منه هذه النبذة الموجزة:

السيدة سكيانة في التاريخ

ورد اسم السيدة سكيانة بنت علي عليه السلام في سند حديث من فضائل الزهراء عليها السلام وممن حديث طويل آخر يصف فيه الامام أمير المؤمنين عليه السلام وفاة الزهراء وكفنها ودفنها، نذكرهما بالفاظهما فيما يلي:

١- عن الحسين بن ابراهيم القمي، عن علي بن محمد العسكري، عن صعصعة بن ناجية، عن زيد بن موسى، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عمه زيد بن علي، عن أبيه، عن سكيانة وزينب ابنتي علي عليه السلام عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة خلقت حورية في صورة أنسية، وأن بنات الأنبياء لا يحضن^(٢).

٢- قال علي عليه السلام في حديث طويل: فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أم كلثوم يا زينب ياسكين يافضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة^(٣). ترى في هذين الحديثين بصراحة أن سكيانة هي بنت أمير المؤمنين عليه السلام، بل في الحديث الثاني ورد اسمها من جملة بنات الزهراء عليها السلام اللواتي دعاهن أبوهن لوداع جثمان أمهن في لحظاتها الأخيرة. ولكن لم يرد اسمها في كتب الأنساب ضمن عد أولاد علي عليه السلام، كما لم يرد اسمها في كتب الرجال ورواة الحديث، وكما لم يرد في إهمال الوفاة من أسماء الرواة أسماؤهم في سلسلة الأسانيد ولم يعنونوا عند الرجاليين.

ونقل سماحة السيد أحمد الواحدي أنه سمع في سنة ١٣٧٧ من العالم المحقق الكبير الحاج ميرزا ابو الفضل الزاهدي القمي أنه كان يؤكد على وجود السيدة سكيانة هذه بالرغم من إهمال التاريخ لذكرها، وكان ذلك بمحضر المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي في بيته بقم.

(١) نبذة اقتطعت من تحقيق عن داريا اعده السيد محسن محمد حسن شراب ونشر في النور العدد ١١٣ سنة ٢٠٠٠م.

(٢) بحار الأنوار ١١٢/٨١ عن دلائل الإمامة ص ٥٢.

(٣) بحار الأنوار ١٧٩/٤٣.

إن السيد البروجردى كان يمتاز بتبحره في علم الرجال ومعرفة الاسانيد بالاضافة إلى مكانته العالية في العلوم الدينية وموقعه المعروف من الفقاهاة، ولم يكن من المسوغ للشيخ الزاهدي أن يرقى المنبر بحضرته ويجازف في القول.

قبر السيدة في داريا

«داريا» ناحية في الغوطة الغربية من دمشق. تبعد عن مقام السيدة زينب عشر كيلو مترات تقريباً، وهي مدينة كبيرة أهلة بالسكان، ينسب إليها كثير من الصلحاء والمحدثين والعلماء تجد ذكر بعضهم في التواريخ المذكورة لهذه المدينة. قررت الدولة أن تشق شارعا جديداً في بعض جهات المدينة، وكان يعترضه قبر باسم السيدة سكيبة بنت علي عليه السلام. وهو قبر معروف عند اهالي المنطقة يتبركون به ويزورونه ويتوسلون به إلى الله تعالى في حوائجهم.

وقد منع العميد علي زيود محافظ ريف دمشق من محو أثر هذا القبر كرامة لأهل البيت عليهم السلام، ثم أخبر سماحة السيد الواحدي - حفظه الله - بذلك. فاهتم مؤقتاً ببناء غرفة على القبر حتى يتسنى في فرصة مؤاتية بناء يناسب مقام هذه السيدة الجليلة. وقد شكلت لجنة رسمية في ١٤١٢/٥/١ الموافقة ١٤١١/١١/١١. وذلك للإشراف على أعمال المقام، وأحصاؤها كبار علماء ووجهاء داريا ودمشق، وقد هاتوا خطة واسعة لاستكمال ما يحتاج استملاكه من الأراضي والدور لاشادة مقام واسع فيها.

إن التعرف على قبر بنت علي عليه السلام والأشهاد بسناده والسعي في بناءه بالتسليم المناسب لهذه القرية الطاهرة، أعلاء لكلمة الله تعالى في رقبته وتفاخ به الذين يؤمنون بالقرآن الكريم، وفيه ثواب عظيم وأجر جليل. (هذا ما اقتضاه المجلس السعيد - لجنة استكمال المقام - الشافعي).

مشهد الرؤوس

يُدخل إلى هذا المشهد

حجري رسم حديثاً مع بحرة صغيرة إلى قدامه. يسارية فيها عدد من الأشجار التي أصبحت مثلاً قبور لقيم المقامات السابقين، وهم قبر السيدة المرتضى وقبر حسين المرتضى بن سليم وقبر رضا بن سليم المرتضى وقد شيد في الجهة الشرقية على النساء مع موضعاً وغرفة، ويبقى جناح حالياً من اسمنت وفي منتصف البناء بحرة حجرية قطعة واحدة يقال أنها (ملامسة أهل الكهف) وهي من الحجر الأسود. ويحتوي الضريح ستة عشر شهيداً من آل البيت. وفيها محراب من الحجر المزي والمقام بشكل عام جيد ومن المقامات الممتازة في تلك المقبرة.

ويتبع هذا المحضر المرقم (١١٦٤) سوقة - مقابل مقبرة باب الصغير - (ستي فاطمة) من الجهة الشرقية.

وقد جاء في رخامة بيضاء باعلاء مايلي:

«وفتية من بني عدنان ما نظرت عين الغزالة أعلى منهم حسبا
من كل جسم بوجه الأرض مطرح وكل رأس برأس الرمح قد نصبا

هذه مقام رؤوس الشهداء الستة عشر رأساً من أهل العبا الذين استشهدوا يوم طف كريلاً مع الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام تشيد هذا المقام المقدس بمساعي السيد سليم افندي بن السيد حسين مرتضى قائم مقام مراقد أهل البيت عليهم السلام في شوال ٥١٣٣٠هـ.

وكتبت أسماء الشهداء (ع) على الباب البرونزية للمقام مؤرخة با ذي القعدة ١٣٣٠ هـ مع نقوش نباتية جميلة. بالإضافة الى «أسماء الله - محمد - علي - فاطمة - وبعدها شريط كتابي بأسماء الأئمة الاثني عشر مع زخرفة حائطية نباتية وعلى الضريح شباك من الحديد رفعت فوقه القناديل والثريات».

وكتب داخل القبة مايلي:

«جدد هذه القبة جعفر محمد وشركاه من افريقيا بمساعي الحاج مهدي البهبهاني والمتولي السيد سليم مرتضى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م».

«زيارة المشهد المنسوب إلى رؤوس الشهداء بمقبرة باب الصغير بدمشق»^(١)

وقد كان على باب هذا المشهد صخرة مكتوب عليها هذا مدفن رأس علي بن الحسين الأكبر ورأس العباس بن علي بن أبي طالب ورأس حبيب بن مظاهر. ثم جددت عمارة هذا المشهد وتلفت تلك الصخرة وكتب على باب المشهد وعلى الصندوق الذي داخل المشهد أسماء رؤوس جميع شهداء كربلاء وليس لذلك صحة سوى الرؤوس الثلاثة الشريفة المقدم ذكرها ووجودها في ذلك المكان غير بعيد لأن العادة قاضية بأن رؤوس القتلى بعد نقلها والطواف بها في البلاد للتشفي واظهار الغلبة تدفن في المقابر حيث لا يبقى غرض يتعلق بها وهذه الرؤوس الشريفة جيء بها إلى الشام بغير شك فالعادة قاضية بانها دفنت بعد ذلك في مقبرة المسلمين ولكن لم يوجد أثر في المقبرة لغير تلك الرؤوس الثلاثة ووقع الخلاف في رأس الحسين عليه السلام فيناسب أن تزور أصحاب هذه الرؤوس الثلاثة في ذلك المشهد بهذه الزيارة:

السلام على سيدنا ومولانا رسول الله محمد بن عبد الله السلام على سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب السلام على الحسن بن علي السبط الشهيد السلام على الحسين

(١) هناك ملاحظة مهمة ذكرها السائح الهروي في الزيارات ١٣ ونقلها عنه ابن الحوراني ٧٧ - ٧٨ وهي كون مقبرة باب الصغير قد حُرثت وزرعت مقدار مائة عام.. قلت: ولهذا هناك اختلاف في تسمية عدد من القبور فيها.

بن علي سيد الشهداء ورحمه الله وبركاته السلام على علي بن الحسين الأكبر أول شهيد بكريلاء من أهل بيت النبوة أشبه الناس خلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين (ع) قمر بني هاشم وصاحب ثواء الحسين عليه السلام السلام على حبيب بن مظاهر الاسدي الصابر المجاهد في سبيل الله ورحمة الله وبركاته السلام عليكم يا أنصار دين الله السلام عليكم يا أنصار رسول الله السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله الحسين السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار لاجعله الله آخر العهد من زيارتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما القبور المجاورة لمشهد الرؤوس فأولهما للسيد رضا بن سليم مرتضى مشيد مقامات أهل البيت عليه السلام المتوفى في ٥ رمضان سنة ١٣٧١ وقد كتب عليه مايلي:

مرقد ضم (الرضا بن المرتضى)	طاوول النجم سناءً وسنا
علم من أهل بيت ودهم	جاء في التنزيل أجر المصطفى
شع نور الوحي من أبياتهم	فسموا قدراً وكانوا محتداً
طهروا من كل رجس ففدوا	لبني الدنيا مصابيح الهدى
بالرضا قد بشر الخلد زها	ارخو (يمناً ونوراً ورضاً)

وثانيهما قبر كتب على شاهده مايلي:

«هذا مرقد المغفور له السيد حسني بن السيد سليم مرتضى قيم ومشيد مقامات أهل البيت عليه السلام توفي في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٨٣ هـ الموافق ١٩ أيلول سنة ١٩٦٣».

ضريح بقرب الآل والشهيدا الصحب	توارى به (حسني) تسامى على الشهب
سليل رسول الله في آل مرتضى	ونجل سليم الشهم والماجد الندب
فجاورهم حياً وميتاً رجاء أن	يفوز بجنات النعيم على القرب
وعظم لله الجليل شعائراً	فتعظيمها بين الوري من تقى القلب
سيضطر في يوم الحساب بعفوه	فارخ (به يحظى ولطف من الرب)

وثالثهما قبر كتب على رخامته «هذا قبر المرحوم السيد سليم أفندي بن السيد حسين مرتضى قائم مقام مرقد أهل البيت عليهم السلام والساعي لتشييدها توفي أول ربيع سنة ١٣٤٩ هـ».

طبيب الغفران والعضو العميم	حي لحداً حله الشهم الفخيم
تحفة الاشراف نجل المرتضى	بضعة الهادي إلى النهج القديم
بدر فضل قد توارى في الثرى	لم يزل حزني عليه مستديم

مقام فضة جارية الرسول (ص)

يدخل إلى مقامها عن طريق مقام السيدة فاطمة والسيدة سكينه، ويقع في منتصف المقبرة حيث يصل إليه بين القبور القائمة هناك في مقابر باب الصغير، يروى أن فضة كانت من أبناء ملوك الهند، وقيل أنها من نبلأ الحبشة وفضليات الأفريقيات المهاجرات إلى الحجار لخدمة الرسول (ص) إذ جاءت مع من جاء من الأفارقة التي أسلموا ورافقوا سيدنا جعفر الطيار بعد عودته من الحبشة إلى الحجاز، وكانت تخدم الرسول (ص) ثم اختصت بخدمة أبنته الحوراء سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وفيها يقول الإمام علي بن أبي طالب «اللهم بارك لنا في فضتنا، والبروي أنها خدمت السيدة زينب عليها السلام ورافقتها أسيرة من كربلاء إلى الكوفة وأقامت معها حيثما هاجرت أو استقرت لحين وفاتها.

(معجم البلدان ٢/ ٤٦٨، الإشارات للهروي ١٣، سفينة البحار ١/ ١٨٠، مشاهد العترة / ٨٤، وقد العترة للسابقي ٢٣٤ - ٢٣٨ وللسابقي رسالة عنها باللغة الأوردية طبعت في باكستان بمؤسسة إمامية مشن (الاهور) وانظر أيضا الدر المنتور لزينب فواز ٢/ ٤٤٠).

مقام السيدة فاطمة الصغرى

ويضع في مقبرة باب الصغير وقد جاء في الشاهد مايلي:

«... هذه السيدة فاطمة الصغرة كريمة سيد الشهداء الإمام الحسين شهيد كربلاء عليها السلام
تشييد هذا المقام ١٣٢٠ هـ»

مقام السيدة فاطمة بنت أحمد بنت أحمد بن الحسين السبطي توفي سنة ٤٣٩ هـ ١٠٤٧ م

يا أيها النبي رسول الله صليكم

فرض من الله بالقرآن نزلت

كذلك في مقامكم التماس

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

من لم يعمل عليكم

عليك يا بنت رسول الله السلام عليك يا بنت نبي الله السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين السلام عليك يا بنت فاطمة سيدة نساء العالمين السلام عليك يا بنت الحسين الشهيد المظلوم ورحمة الله وبركاته لعن الله أمة ظلمتكم ولعن الله أمة قتلتكم واستحلت منكم المحارم وانتهكت في قتلكم حرمة الإسلام فيآلتينا كنا معكم فننفض فوزاً عظيماً.

قلت: ويوجد عندها قبر آخر في الطابق السفلي غير معروف الاسم.

جامع ومقام السادات - الزينية - مسجد أقصاب:

يقع هذا العقار في منطقة مسجد أقصاب بالمحضر رقم ٢٠٦ / قسم (١ و ٣) ويحتوي هذا العقار على جامع وغرفة تحتوي على أضرحة الصحابة يدخل إلى الجامع من الباب الرئيسي وينزل إلى المصلى الذي فيه غرفة بالجهة الغربية من الجامع والتي بها مقامات الصحابة وهم (سبعة). وقد كتب على باب الغرفة لوحة ضريح أقصاب السادات (هذا مرقد سبعة من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم) وهم: عمير بن عدي الكندي - شريك بن شداد الخضرمي - حنفي بن فسيل الشيباني - كدام بن حسان الغزي - قبيصة بن صبيعة العبسي - محرز بن شهاب السعدي - عبد الرحمن بن حسان الغزي (رضي الله عنهم) وصحن الجامع واسع - له أروقة من جهاته الثلاث والجهة الرابعة الحرم الواسع الذي فيه محراب جميل جداً ومنبر خشبي فاخر.

كما أن للجامع منارة قديمة من الحجر الأبيض، علماً أن هذا الجامع كان يسمى بمسجد الرؤوس أو مسجد أقصاب ويسمى أيضاً بالقصب (أو مز القصب).

جاء في كتاب الروضة البهية لمحمد عز الدين عربي كاتب الصيادي الشافعي ص ٨٨ «من الناس من يزعم أنهم دفنوا في مسجد الأقصاب، ومنهم من يزعم أنهم في باب الشرقي، والصحيح أنهم مدفونون في قرية عدرا^(١) رضي الله عنهم أمين وبهم، كالمسعودي وهو مستفيض متواتر عند أهل دمشق.

وورد ذكر مسجد الاقصاب المؤرخ أن طولون خمس أحداث سنة ٩٠٥ هـ.^(٢)

والصوفي الشهير الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣ هـ.^(٣)

في زيارة حجر بن عدي

عن كتاب بحار الأنوار يستحب زيارة كل من يعلم فضله وعلو شأنه ومرقده ورمسه من أفاضل صحابة النبي (ص) فمن الصحابة حجر بن عدي الكندي المقتول بعددراء قرية بدمشق على أربعة

(١) عدرا: قرية شرقي دمشق تبعد عنها ١٧ كم واشتهرت بالمرج الذي يحيط بها المعروف بمرج راهط ثم عرف بمرج عدرا وفي هذا المرج كانت معركة فاصلة بين الضحاك بن قيس وبين مروان بن الحكم قتل فيها الضحاك وتشتت جمعه.

(٢) الروضة البهية: محمد عز الدين عربي كاتب ص ١٠٣.

(٣) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ص ١٥ (القاهرة - الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٦٨) وفيه أنه زار مسجد الاقصاب وفيه أقصاب سوق جماعة من الصحابة والدعاء عندهم مستحباب... الخ.

فراسخ منها إلى جهة الشرق قتله معاوية على حب علي عليه السلام وقتل معه ستة حملهم اليه زياد من الكوفة إلى الشام وكانوا ثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً فقتل منهم ستة أو سبعة في قرية عذراء حين امتنعوا أن يتبرؤوا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودفنوا فيها وتشفع أصحاب معاوية في ستة منهم فأطلقهم وقال لواحد ما تقول في علي قال أقول فيه مثل قولك، قال أتبرأ من دين علي الذي يدين الله به فسكت فتشفع فيه بعضهم فنفاه إلى الموصل وقال لآخر ما تقول في علي فقال أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً والآخرين بالحق والقائمين بالقسط، فرده إلى زياد وأمره أن يقتله شرقتله فدفنه حياً (وفي بعض الروايات) أنه قتل معهم ابن لحجر طلب أبوه أن يقتل قبله فقبل لحجر تعجلت الثكل فقال خفت أن يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي عليه السلام فلا تجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين (وقال المرزباني) كان حجر بن عدي بن الأديب الكندي رحمة الله عليه وفد على النبي (ص) وشهد القادسية وهو الذي فتح مرج عذراء وشهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين وهو من العباد الثقات المعروفين روى عن النبي (ص) قال السيد محسن الأمين «وقد زرنا قبر حجر وأصحابه رضي الله عنهم سنة ١٣٥١.

فوجدناهم مدفونين في ضريح واحد وعليهم قبة بنيان محكم تظهر عليه آثار القدم في جانب مسجد واسع فيه منارة عظيمة قديمة وقبتهم التي فيها قبرهم الشريف مهمة مهجورة قد نسجت عليها العناكب وتراكمت فيها الأتربة وزيارتها متروكة عند أهل هذه البلاد ولو كانت منسوبة لأحد المتصوفين أو من تدعى لهم الولاية وخوارق العادات والجذبة أو كانوا من المجانين لكانت معظمة مخدومة مزورة ورأينا مكان صخرة كانت على باب القبة وقلعت وبقي محلها ظاهراً ولا شك أنه كانت عليه كتابة كما أخبرنا بذلك بعض أهل القرية وأرونا صخرة مطروحة في أرض القبة مكتوبة بخط قديم لاتاريخ فيها وهذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم سكان هذا الضريح أصحاب رسول الله (ص) حجر بن عدي حامل راية رسول الله (ص) وصيفي بن نسيك الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكدام بن حبان ومحرز بن شهاب السعدي وشريك بن شداد الحضرمي فهؤلاء ستة (وقال المرزباني) انه كان من جملة المقتولين عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي. ويوجد في مدينة دمشق في محلة تسمى (مز القصب) جامع يسمى جامع السادات ومسجد الأقصاب في مدخله ضريح عليه صندوق معلق على أحد جوانبه لوحة حفر عليها ماصورته:

هذا مرقد سبعة من أصحاب رسول الله (ص) حجر بن عدي الكندي وصيفي بن ابي شكر الشيباني وكدام بن حبان المعبدي وشريك بن شداد الحضرمي وقبيصة العبسي ومحرز بن شهاب التميمي وثمامة بن عبد الله الزبيدي رضي الله عنهم سنة ١٢٦٢ هـ.

ولا يعلم أحد ما هو أصل هذا المسجد المسمى مسجد السادات نسبة اليهم ولا أصل هذا الضريح ولم يذكر مؤرخ من المؤرخين انهم دفنوا بدمشق بل كلهم قالوا انهم دفنوا بمرج عذراء

وكيف الجمع بين وجود ضريح لهم بعدزاء وآخر بدمشق ويدور على السنة العوام حديث لا يصح التعويل عليه وهو أن هذا مدفن اقصابهم والله أعلم بحقيقة حالهم ولا بأس بزيارتهم في كلا الموضوعين فالثواب مرجو بكليهما انشاء الله وإن كانت زيارتهم في عذراء أولى ثم إن ما وجد في كلتا الكتابتين من أنهم كنهم من ائصحابه لم نتحققه في غير حجر بن عدي كما يظهر من مراجعة الكتب المعدة لذلك كالاستيعاب والاصابة وغيرهما فتقول في زيارتهم: السلام عليكم أيها الشهداء الصابرون السلام عليكم أيها الاتقياء الصالحون صبرتم على عظيم البلاء حتى قتلتم في حب سيد الاوصياء وفزتم بالدرجات العلى مع الانبياء والمرسلين والشهداء والصديقين فما أعظم مقامكم وأجل رتبكم صبرتم على حد السيوف وشرف الحتوف ولم تبرزوا من ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ضعفت ولا هنتم وأترتم الدار الباقية على الدار الفائية حتى قتلتم صبرا في سبيل الله ونصرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صابرين محتسبين غير ناكلين ولا خائفين فلعن الله من قتلكم وظلمكم واستحل منكم المحارم وضاعف عليهم العذاب الأليم السلام عليكم يا أنصار الله السلام عليكم يا أنصار رسول الله (ص) السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأنصار الإسلام السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار رزقنا الله مرافقتكم مع الأبرار في جوار النبي المختار مع الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم والاسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

حجر بن عدي الكندي:

ملف خاص عن الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي ظهر في موسوعة الموسم، العددان ٣٧ - ٣٨ (سنة ١٩٩٨ م - ١٤١٩ هـ) تضمن المواضيع التالية:

❖ حجر بن عدي شهيد الرأي للأستاذ محمد رجب البيومي.

❖ الدم المقاتل - للشيخ أحمد الوائلي.

❖ رمز الاخلاص للشيخ عباس قاسم شرف.

❖ الشهيد المدفون بأغلالة - الدكتور أحمد الشرياصي.

❖ مصرع البطولة - الشيخ ابراهيم سعود (حلبكو).

❖ زيارة حجر - السيد محمد حسن الجاللي.

❖ رمز البطولة والولاء - الشيخ محمد جواد السهلاني.

تاريخ مشهد الإمام الحسين في حلب

السيد حسين يوسف مكي العاطلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد، ان من افضل القرى واكمل السعادات وارفع الدرجات في الدنيا والآخرة. بعد طاعة الله تعالى ورسوله واوليائه. ان يشغل الإنسان أوقاته في خدمة أهل البيت الطاهرين وذريتهم، ويبدل جهده في تعظيمهم وتعظيم شعائهم ورفع شأنهم وأظهار فضائلهم ومناقبتهم وان يشيد قبورهم ومشاهدهم لتكون ملاذ الزائر وملجأ القاصد، وذكرى لهم عليهم السلام، ولتكون سبباً لتعرف ماتلزم معرفته من مكانتهم ومآثرهم التي تبعت على التمسك بالدين وعلى اظهار المودة التي امر الله تعالى بها. ولتكون هذه المشاهد محط رحال طلاب العلم والتفقه في الدين، حيث تعقد حلقاته في جوار مشاهدهم. وقد ساعدني الحظ فكنت ممن وفق للتشرف بالمساهمة في العمل في اعادة بناء مشهد الإمام الحسين ومسجده الموجود في حلب في جبل الجوشن الواقع غربي حلب وقد كان سابقاً في خارج عماراتها واصبح الآن في داخل المعمور منها، اذ قد اتسع البناء خارج سورها الذي كان سابقاً حتى وصل إلى هذا المشهد وتجاوزه، كما يراها الوافد إلى حلب الآن ويطلع على تاريخها.

وقد كان هذا المشهد الشريف قبل خروج الاتراك من حلب معموراً يقصده الزائرون وتقام فيه ذكرى الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرم. ثم هدم وأصبح خراباً حين دخول الفرنسيين إلى البلاد السورية، وسنذكر أسباب الإتهام فيما يأتي من البحث.

وبعد أن تهدم بناء المشهد المذكور وبقي خراباً من عام ١٣٣٧ هـ إلى أواخر عام ١٣٧٩ اتبعت في نفوس الغيارى من المؤمنين على أهل البيت الطاهرين وآثارهم التي هي مظهراً من مظاهر التعظيم والتقديس لهم، فكرة اعادة بناء هذا المشهد، فكان ممن فكر في ذلك متألماً إلى ما آل إليه أمر هذا المشهد من الخراب، الأستاذ عبد الرحمن الكيالي وزير التربية سابقاً ودعا إلى ذلك - كما يظهر من كتابه «أضواء وآراء» الذي ذكر فيه أثار الحمدانيين، وتاريخ بناء المشهد وما جرى عليه من الحوادث.

ودعا أهل الغيرة إلى إعادة بنائه تعظيماً لشأن البيت، وكان يصرح ان من أهم ما يهتمناه في الحياة أن يعود هذا المشهد إلى ما كان عليه من العمران وكذلك كان يتمنى ذلك غيره من سنة وشيعة. وطالما كانوا يتحدثون عن هذه الأمنية، وهل يقبض الله تعالى من أهل الخير من يعمل على تحقيقها؟

وقد ساق التوفيق فضيلة الشيخ ابراهيم الضرير من قرية نُبُل وهي على بعد ٢٢ كيلو متر من حلب من جهة الشمال إلى السعي في تحصيل الترخيص القانوني في إعادة البناء من وزارة الشؤون الاجتماعية ومديرية الآثار ومديرية الأوقاف وقد حصل على ذلك.

ولما كان المشروع كبيراً ومن الضخامة على جانب ويحتاج إلى أموال طائلة وهو لا يستطيع أن يقوم به، فراجعني في ذلك يطلب المساعدة والمؤازرة وراجعت بدوري سيدنا الإمام آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى للطائفة الشيعية السيد محسن الحكيم وعرضت له أمر هذا المشروع الضخم وأهميته، فرحب سيدنا بالفكرة وأبدى استعداداً للمؤازرة والتأييد. وارجع الأمر إلي للقيام بهذا المشروع الضخم الجبار وإعادة بنائه كما كان، فقممت بالأمر متحملاً المصاعب والمتاعب بادل كل الجهد في سبيله مؤملاً اندفاع المؤمنين للمساهمة بالمال، وقد وفق الله تعالى المحسن الوجيه الحاج عبد الرزاق مرجان^(١) إلى المساهمة في بناء هذا المشهد فتبرع على التدرج بمبلغ كبير بلغ حتى الآن زهاء المائة ألف ليرة سورية وكان هو الدعامة الكبيرة التي قام عليها هذا المشهد. على أن معونة أهل الخير ومساعدتهم لم تنقطع عنا في سبيل المساهمة والمشاركة في إعادة بناء هذا المشهد الشريف. فجزاه الله وجميع المؤمنين الذين آزرنا وساعدونا في سبيل بنائه خيراً.

كما أنني لا أنسى الكرام من أهالي نُبُل، الذين بذلوا جهوداً كريمة وساعدوا وآزرنا المشروع واخص منهم بالذكر فضيلة الشيخ ابراهيم الضرير رئيس جمعية الأعمار والإحسان، فانه جعل نفسه وقفاً على إعادة بنائه. وقد عهدت إليه امر رعاية البناء فصرف أوقاته في سبيله وتعهده، فكان مثال الهمة والإخلاص فجزاه الله واخوانه النبلاء الذين جاهدوا معه في سبيل هذا المشروع خيراً وعوضهم عن جهودهم عظيم الأجر والثواب، كما أنني لا أنسى من ساعدنا وآزرنا من أهل لفوعة من الدعاء والشكر وحفظ الله تعالى وجود سيدنا الإمام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم الذي تبنى المشروع وشجع على الخدمة فيه.

وقد انقضى على مشروعتنا في إعادة هذا المشهد الشريف قرابة سبعة أعوام وأتينا نرف البشرية إلى المؤمنين بأن المشهد قد عاد ولله الحمد إلى ما كان عليه سابقاً من العمران بنحو رائع وشكل باهر تتجلى فيه الضخامة والعظمة الملائمة لمقام من بني لاجله وعلى حبه عليه الصلاة والسلام. وأنا نضرع إلى الله أن يتقبل من هذا الجهد القليل وأن يجعله من المودة في القريى التي

(١) أحد كبار المحسنين والوجهاء العراقيين في عصرهم، انظر ترجمته المفصلة في موسوعة الموسم الجزآن ٨٩ - ٨٠ .

ندب إليها وحث عليها مودة النبي طه وآله صلى الله عليه وآله وسلم، التي تقرينا من الله زلفى ونعطى لأجلها الكرامة والمنزلة ببركة النبي العظيم وآله الكرام الطيبين.

كما نرجو منه تعالى أن يتفضل على كل من عمل معنا في إيجاد هذا المشهد واستمراره قديماً وحديثاً من سنة وشيعة بالعضو المغفرة والرضوان والتوفيق لما يرضيه أنه أكرم من سئل وأجود من أعطى وأرحم من استرحم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

خروج السبايا من الكوفة إلى الشام

بعد أن قتل الحسين (ع) وساروا برأسه الشريف ورؤوس أهله وأصحابه الكرام الطيبين، وبأهله وقتيانه وصبياناه سبايا إلى الكوفة بعث ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (ع) ومن معه وأن عياله في الكوفة، ينتظر أمره فيهم، فعاد إليه الجواب بحملهم إليه والرؤوس معه.^(١)

فأمر ابن زياد زجر بن قيس، وأبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن ظبيان في جماعة من الكوفة أن يحملوا رأس الحسين (ع) ورؤوس من قتل معه إلى يزيد^(٢) وسرح في أثرهم علي بن الحسين (ع) مغلولاً يديه إلى عنقه وعياله معه على حال تقشعر لها الأبدان^(٣) وتضطرب لها النفوس اسى وحزناً، قال الخوارزمي في وصف خروجهم إلى الشام.

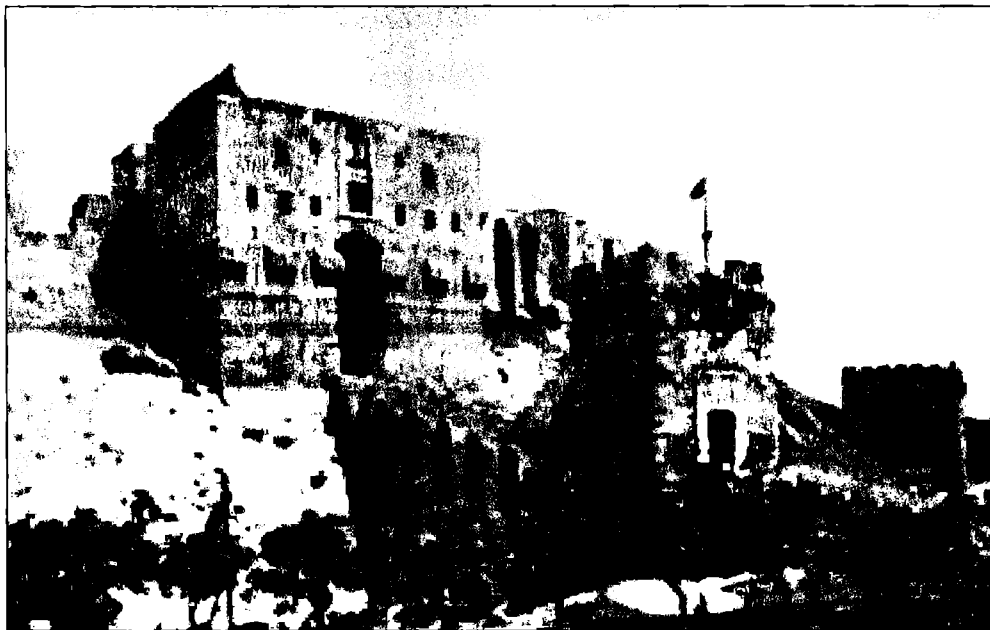
ثم دعا عبيد الله بن زياد زجر بن قيس واعطاه رأس الحسين ورؤوس اخوته وأهل بيته وشيعته ودعا بعلي بن الحسين فحملة وحمل عماته واخوانه وجميع نسائه معه إلى يزيد فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكوفة إلى الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تساق الترك والديلم^(٤) وهذا الطريق نفسه كان قد سلكه علي (ع) إلى حرب صفين وسلكه جيش معاوية إلى حرب الحسن (ع) أيضاً لأن جيشه وصل إلى مسكن وهي المعسكر الذي اتخذته الإمام الحسن لمواجهة جيش معاوية وفيها التقى الجيشان. وتقع مسكن هذه في الحدود الشمالية للعراق بين بغداد وسامراء، وتبعد عن بغداد بسبعين

(١) مقتل الحسين أو حديث كربلاء ناقلاً له عن اللهوف ص ٩٥ و ٩٧

(٢) نقل هذا في مقتل الحسين (ع) أو حديث كربلاء عن الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ وفي البحار نقله عن غير الطبري، ونقله العلامة المكرم عن ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤ وعن البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨١ وذكر الخوارزمي وغيره نحو هذا الكلام فراجع مقتل الحسين (ع) للمكرم ص ٤٤١.

(٣) الاصابة ج ٣ ص ٤٨٩ بترجمة مرت نقل هذا عن العلامة المكرم في كتابه مقتل الحسين (ع) ص ٤٤٢.

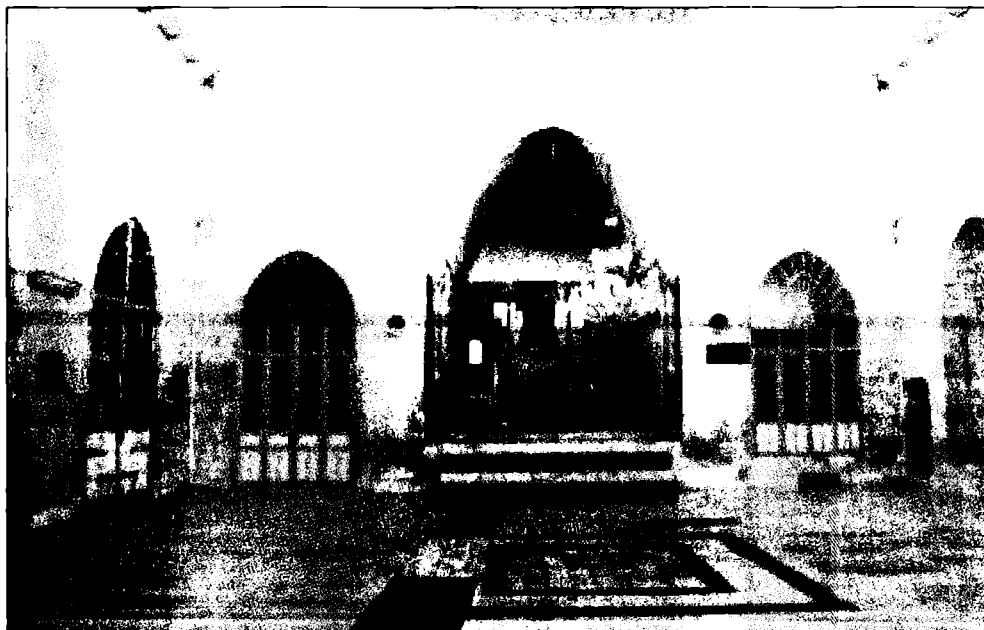
(٤) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٥٥ ج ٢ طبع مطبعة الزهراء - النجف سنة ١٣٦٧ هـ والخوارزمي هذا هو أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي اخطب خوارزم المتوفي سنة ٥٦٨ هـ وهو وإن لم يذكر الطريق الذي سلكوه بالرؤوس والسبايا إلا أن قوله من بلد إلى بلد ومنزل إلى منزل يقتضي أن يكونوا قد سلكوا الطريق إلى الموصل. ثم إلى حلب لأنه على الظاهر هو الطريق الذي كان يسلك إلى الشام إذا أريد المرور على البلدان إذ لم يكن هناك طريق عامرة غيره تؤدي إلى حلب فحماء فحمص، وترى على بلدان عامرة أهلة، ويكون فيها الماء.



قلعة حلب

مدخل المزار





مشهد حلب



كيلومتراً، (راجع كتاب صلح الحسن للعلامة الشيخ راضي آل ياسين ص ١٠٣ إلى ص ١٠٧) ومن المعلوم أن جيش معاوية كان من دمشق إلى حلب إلى الموصل إلى مسكن.

وقال صاحب مقتل الحسين (ع) أو حديث كربلاء، وكان معهم شمر بن ذي الجوشن ومخضر - أو مجضر - ابن ثعلبة العائدي وشيث بن ربيعي وعمرو بن الحجاج وأمرهم اي - ابن زياد - أن يلحقوا الرؤس ويشهروهم في كل بلد يأتونها^(١) فجدوا السير حتى لحقوا بهم في بعض المنازل وقد بعث كل من يزيد وابن زياد رسولا إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة^(٢) يبشره بقتل الحسين. فلما وصله الخبر أمر الرسول اليه أن ينادي بقتله فنأدى - قال رسول ابن زياد: لما دخلت على عمرو بن سعيد قال: ما وراءك؟ قلت مايسر الأمير قتل الحسين بن علي فقال: اخرج فنأدي بقتله فنأديت، فلم أسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي (ع) حين سمعوا النداء بقتله فدخلت على عمرو بن سعيد فلما رأني تبسم إلي ضاحكاً ثم تمثل بقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي.

عَجَّتْ نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرب

ثم قال عمرو بن سعيد: هذه واعية بواعية عثمان، ثم صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم بقتل الحسين (ع) مظهرًا شماتته وعدوانه ويغضه لأهل البيت عليهم السلام.

فكان يزيد وابن زياد وعمال يزيد يهدفون إلى نشر خبر قتل الحسين (ع) في الآفاق ليعلموا الناس بقتله حتى لا يبقى لأصحاب الحسين (ع) أمل بمقاومة يزيد لأن الحسين كان أملهم وقد قُتل وقد رأى اذ أمر ابن زياد بارسال الرؤس والسبايا إلى الشام وشهرهم في كل بلد، أن من أبلغ أنواع الأخبار بقتل الحسين لتقطع الآمال منه وليشفي قلبه منه وليستتب له أمر الملك ويصفو له الجو وتستوي له الأمور بلا منازع. أن يرى رأس الحسين يطاف به في البلاد وأن ترى نساؤه وصبيانها سبوا يسار بهم في البلاد ويشهر أمرهم في كل مكان يأتونها ولذا سلكوا بهم الطريق العامر بالبلاد الأهلة بالسكان وهو الطريق من الكوفة إلى الموصل ثم إلى حلب فحماة فحمص فدمشق ويشير ابن اشهر اشوب^(٣) في كتابه. مناقب آل ابي طالب، إلى أنهم سلكوا هذا الطريق قال: وهو في مقام تعداد مناقب الحسين (ع) ورأسه الشريف قال: ومن مناقبه (ع) ماظهر من

(١) هذه العبارة نقلها العلامة المقم في مقتل الحسين ثم ص ٤٤٢ عن منتخب الطريحي.

(٢) كان رسول يزيد محزب بن مسعود الكلبي، وكان رسول ابن زياد عبد الملك بن ابي الحرث السلمي - راجع البحار المجلد العاشر ص ٢٢٢ طبع إيران.

(٣) هو رشيد الدين أبو جعفر محمد بن شهر اشوب السروي المازندراني شيخ مشايخ الإمامية صاحب كتاب المناقب والمعالم وغيرهما وكفى في فضله اذعان فحول اعلام السنة بجلالة قدره وعلو مقامه وحكي عن الصفدي أنه قال: في ترجمته، إنه حفظ أكثر القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة وكان يرحل إليه من البلاد ثم تقدم في علم القرآن، والغريب والنحو، ووعظ على المنبر في أيام المقتدى ببغداد فأعجبه وخلع عليه وكان يهي المنظر حسن الوجه والشبيبة صدوق اللهجة مليح المحاورة واسع العلم كثير الخشوع والتهدج لا يكون إلا على وضوء اثني عليه ابن طي في تاريخه ثناء كثيراً توفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة =

المشاهد التي يقال لها مشهد الرأس من كربلاء إلى عسقلان وما بينهما في الموصل وتصيبين.^(١) وحماء وحمص ودمشق وغير ذلك. فكلامه هذا يدل على أن لرأس الحسين (ع) في كل مذكوره من البلاد مشهد.

وصول السبايا والرؤوس إلى حلب

ذكرنا أنفأ أن الطريق العام الذي كان يمر السالك فيه على مدن مشهورة عامرة وأهلة وينتهي منها إلى دمشق هو طريق الكوفة فالموصل ثم إلى نصيبين ثم إلى حلب فحماء وحمص، وقد أوضحنا أن هدف يزيد من جلب السبايا إلى دمشق والرؤوس معهم والمرور بهم على هذه البلاد هو أن يشتهر في الآفاق قتل الحسين (ع) حتى يستتب الأمر ويصفو له الجو. وكانت حلب من جملة البلدان التي مروا عليها بأهل البيت (ع) مع الرؤوس ونزلوا في خارجها في سفح جبل الجوشن.^(٢) وانما سمي بالجوشن لأن شمر بن ذي الجوشن كان في جملة من أمره ابن زياد أن يلحق بالرؤوس ويشهرهم في كل بلد.

ونفسية الشمر القاسية وفضائله وخباثته لعنه الله تعالى، حيث تولى بنفسه قتل الحسين (ع) تستدعي أن يكون هو المتولي أمر الرؤوس الشريفة وشهرهم في البلاد. وأن يكون هو المتولي

= وعن بلغة الفيروز آبادي أنه عاش مائة سنة إلا عشرة أشهر وقال: غيره هو عند الشيعة كالخطيب البغدادي لاهل السنة في تصانيفهم وتعليقات الحديث ورجاله ومراسيله ومتفقه ومتفرقة. وقبره في خارج حلب على جبل الجوشن عند مشهد السقط، هذا ملخص مذكوره المحدث الكبير انبجانة الشيخ عباس القمي رحمه الله في ترجمته في ج ١ من كتابه سفينة البحار ص ٧٢٦ طبع حجر في إيران.

وقد ترجم له الشيخ راعب الطباخ الحلي في كتابه «علام النبلاء» ج ٤ الطبعة الأولى في المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٣ في ص ٣٠١ و ٣٠٤ ترجمة واسعة وأثنى عليه ثناء جيداً ونقل أن أبي طي ذكر ترجمته في تاريخه وذكر مؤلفاته ومكانته العلمية الواسعة وذكر أنه دفن بجبل الجوشن عند مشهد الحسين (ع) على عكس ما ذكره القمي، من أنه دفن عند مشهد السقط.

وذكر الشيخ راعب المذكور ج ٤ أيضاً ص ٢٣١: أحمد بن مبر الطرابنسي الشيعي المتوفي ٥٤٨ الوارد ذكره في أمل الآمل ص ٣٥ طبع النجف سنة ١٣٨٥ وذكر أنه دفن عند مشهد الحسين ثم في حلب.

(١) في مجمع البحرين في مادة - عسقلان قرية بساحل الشام. وفي الصحيح هي عروس الشام. وأما نصيبين: فقال اليعقوبي في كتابه البلدان طبع النجف في المطبعة الحيدرية سنة ١٣٧٧ الطبعة الثانية، هي مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات «الساتين» ولها نهر عظيم يقال له نهر الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهله قوم من ربيعة من بني تغلب افتتحها غنم عياض الغنمي «عياض بن غنم الفهري» في خلافة عمر سنة ثمان عشرة. وهذا يتفق مع ما عني معجم البلدان أنها مدينة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وعليها سور وهي كثيرة المياه وستجار جبل في الجزيرة بين سورية والعراق يسكنه اليزيديين وقيل هي على الحدود التركية وهي الآن قرية تابعة لقضاء القامشلي وبالقرب منها قلعة مازدين. وقيل أنها داخلية في الأراضي التركية فعلاً بعد أن كانت من الأراضي السورية وأنها قرية كبيرة أو مدينة.

(٢) الجوشن - كما في مجمع البحرين في مادة جش - هو الدرع. واسم رجل - وجوشن الليل صدره ووسطه، وفي القاموس: الجوشن: الصدر والدرع. قال وذو الجوشن شرحبيل بن قرط الاعور الصحابي لأنه أول عربي لبسه أو لأنه كان نائياً الصدر أو لأن كسرى أعطاه جوشاً.

قيادة السير بأهل البيت عليهم السلام إلى دمشق. فإن ما لحقهم من الأذى في الطريق ومن عدم الرحمة بهم، وجعلهم على الاقتاب بلا غطاء ولا وطاء. وحملهم للإمام زين العابدين وهو مريض وعليل مغلوله يديه إلى عنقه أن ما لحقهم من ذلك كله يليق بالشمر وابن زياد واتباعهما أن يصدر عنهم ما صدر لأن تلك النفوس التي لم يخامرها شيء من الإيمان ولم تعرف معنى للرحمة، أتى لها أن تعيش في أجواء الحق والفضيلة والعطف الإنساني.

وإذا كان الشمر هو المتولي لقيادة السير بالسبايا إلى دمشق وشهرهم في البلاد كان من الواضح وهو زعيم هذه المظلمة والأفعال القاسية الشنيعة أن يسمى ذلك الجبل باسم أبيه حتى يبقى هذا الاسم معلناً بفسقه وفجوره وسوء أعماله وفضاعتها ومعبراً عن خبث ذاته وكفره إلى الأبد.

وقد أشار المؤرخ يحيى بن أبي طي في تاريخه إلى أن الجبل إنما سمي بالجوشن بسببه. قال: فيما نقله عن صاحب «اندر المنتخب في تاريخ مملكة حلب»: «فأنا نروي عن آبائنا أن هذا المكان يسمى بالجوشن لأن شمر بن ذي الجوشن عليه اللعنة نزل عليه بالروؤوس، وسنذكر هذا عنه أيضاً فيما سيأتي في أسباب بناء مشهد الحسين (ع) ومشهد المحسن (ع) الذي نراه من وضع المشهدين الشريفين وما بينهما من المسافة التي تزيد على مائتي متر، وما تستفيد مما قيل في تاريخ بنائهما، يدل على أن محل وضع الروؤوس ونزول الرجال الحاملين لها هو محل مشهد الحسين (ع). وإن محل مشهد السقط محسن (ع) هو المحل الذي انزلوا فيه نساء الحسين (ع) وبناته وأخوته وصبيانته.

ولا يدري على وجه التأكيد أن الإمام زين العابدين (ع) المريض العليل كان مع جماعة الرجال حاملي الروؤوس، أم أنهم انزلوه مع عماته وأخواته يتسلين به ويمرضه ويعالجن جرحه الذي كان في عنقه من أثر القيود التي غل بها، فهذا ما لم يشير إليه التاريخ فيما رأيته من الكتب. ومهما يكن من أمر فنزول القوم في هذي المكانين أمر لاشك فيه، وقد بقي فيها قبل الارتحال آثاران شاء الله تعالى أن يبقيا لمصالح. فأحد الأثرين نقطة من دم الحسين سقطت من الرأس الشريف على حجر كان الرأس قد وضع عليه، وشاء الله أن تبقى آثار تلك النقطة الزكية من الدم فتكون سبباً لبناء هذا المشهد الشريف المذكور بالظلم لآل البيت (ع)، والاعتداء عليهم، والداعي إلى التمسك بهم. وثاني الأثرين قبر السقط الذي اسقطته أمه زوجة الحسين (ع) ^(١) وهو المحسن ابن الحسين فدفن في محل مشهده الآن، وقد بقي هذان الأثران بعد ارتحال السبايا والروؤوس معهم في ذاكرة الناس في حلب يتحدثون عنهما يعرفهما ويعرف تاريخهما الكبير والصغير كما يشير إلى هذا ما تقدم ذكره قريباً وقول ابن أبي طي «فأنا نروي عن آبائنا أن هذا المكان الخ، وهكذا تواتت الأيام والأعوام عليهما وتاريخهما في الأفواه وفي ذاكرة الناس من شيعة وغيرهم. ويؤكد

(١) ولا ندري من هي من زوجات الحسين التي اسقطت جنينها هنا فإن كتب التاريخ لم تذكر اسمها أبداً.

استمرار تاريخهما ظهور الكرامات التي تدعو لزيادة التعلق بهما وتأثير حادثتهما على النفوس. وقد شاء الله تعالى أن يظهر أمر هذين الأثرين للوجود وأن تكون تلك الكرامات التي بانَتْ لهذين المشهدين الأثر في نفس سيف الدولة مما دعاه إلى تشييد مشهد لكل منهما.

وكيف يمكن أن ينسى الناس أمر هذين الأثرين مهما طالت الأيام والأعوام وأسبابهما والفاجرة الأليمة بالحسين وبأهل بيته عليهم السلام التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً. تتعلق بالنبي (ص) - فالحسين هو سبط النبي وحبّبه، ومحبة الرسول (ص) له ولأخيه الحسن عليهما السلام مما شاع بين المسلمين ويعرفه الكبير والصغير. فيكف لا يكون لهذه الفاجعة أثرها البالغ في نفوسهم ولا يكون النكير شديداً على بني أمية وعلى أفعالهم الشنيعة وكيف لا يقدر المسلمون تلك الآثار الطاهرة التي تخص أهل البيت.

وكيف لا يتسابق الناس إلى تقديس تلك القطرة من الدم والحفاظ عليها وتبقى رمزاً عندهم للجهاد في سبيل الله والحق ومثالاً للإباء والتضحية ومذكراً لهم على مر الدهور والأعوام بما فعله الظالمون من بني أمية بأهل البيت.

وكيف ينسى الناس أمر هذين الأثرين وما جرى على أهل البيت (ع) وقصة جبل النحاس المائل إلى الآن في محل مشهد السقط محسن وما حواليه والذي بطل عمله فلم يصلح لأن يعمل منه النحاس بسبب دعاء زينب الكبرى أخت الحسين (ع) على أهله إذ فرحوا بالسبي فدعت عليهم زينب ففسد المعدن من ذلك اليوم هذا على رواية صاحب «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب». عن ابن أبي طي.

وفي رواية ياقوت الحموي في معجم البلدان أن التي دعت عليهم هي زوجة الحسين (ع) إذ طلبت من الصانع في جبل الجوشن الذي كان يحمل منه النحاس الأحمر خبزاً وماءً فشتموها ومنعوها فدعت عليهم. وسنأتي على ذكر هاتين الروايتين.

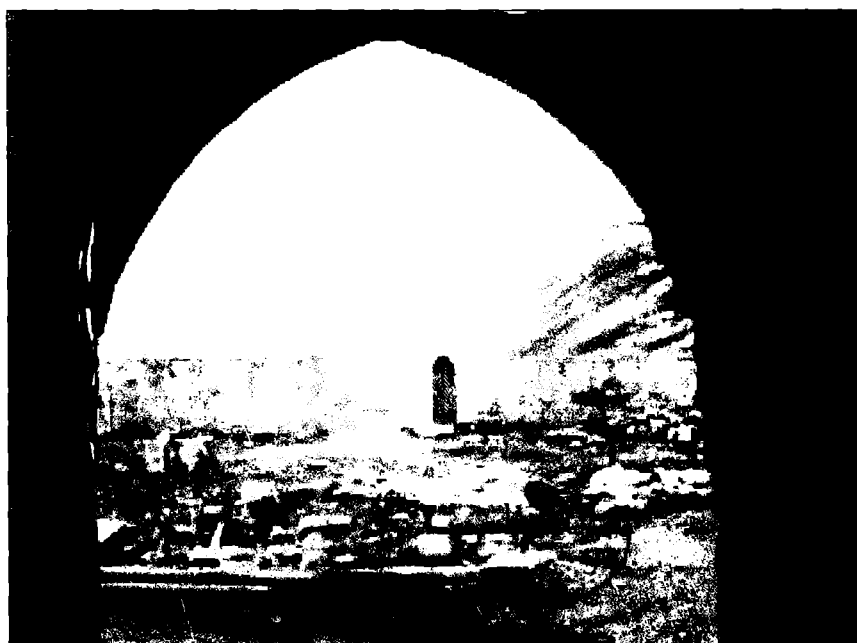
إن قصة هذا المعدن الذي بطل عمل النحاس فيه بسبب من ذكرنا لا تنسى بل تبقى على الدوام يتحدث بها الناس جيلاً بعد جيل فهي كرامة من الكرامات التي ظهرت لأهل البيت عليهم السلام المظلومين والتي أراد الله تعالى أن تكون من الأسباب التي يعرف الناس بها مظلوميتهم ويحيا بها ذكركم ويرفع بها مقامهم. ولذا انعطف الملوك والأمراء والصلحاء على بناء مشهد الحسين والمحسن عليهما الصلاة والسلام بدافع الحب والمودة لأل البيت، والغيرة الدينية وتعظيماً لمكانتهم من رسول الله صلعم.

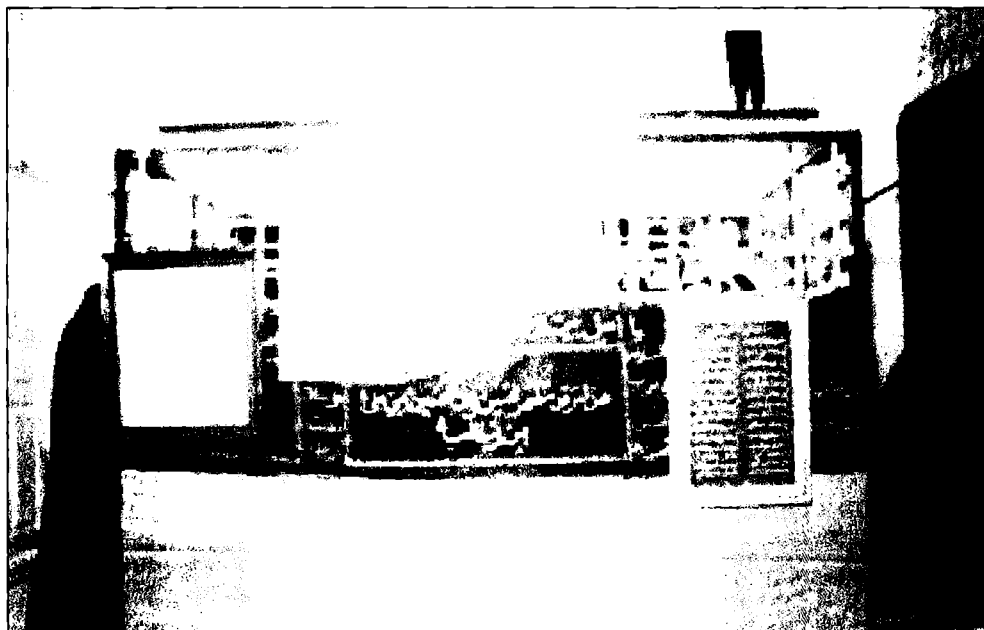
بناء مشهد الحسين عليه السلام

الثابت تاريخياً وكما هو المعروف والمشهور بين الناس أن سيف الدولة الحمداني أمير حلب - هو الذي قام ببناء مشهد الحسين (ع) ومشهد السقط محسن.

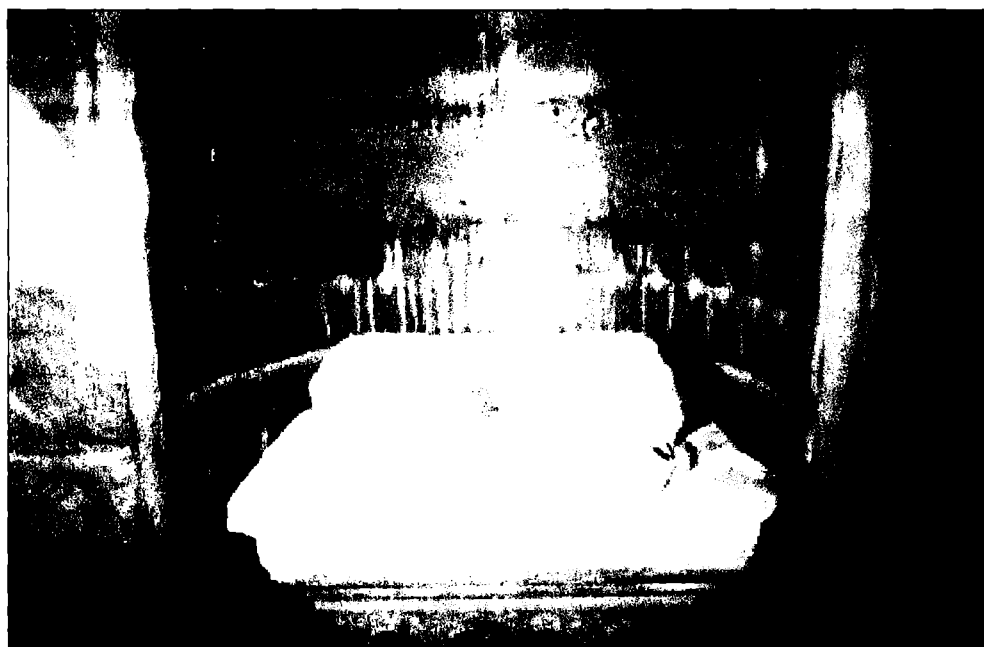


مشهد حلب





مشهد حلب



وليس فيما بين أيدينا من المصادر التاريخية والتي تتعرض لتاريخ هذين المشهدين ما يثبت أو يشير إلى وجود بناء سابق على بناء سيف الدولة وحتى أرباب المقاتل الذين يتعرضون لذكر واقعة الطف تفصيلاً ويذكرون حوادثها المتقدمة عليها وما تأخر عنها لم يذكروا شيئاً من ذلك. وإليك ما يذكركه المؤرخون وما ثبت عنهم لمدينة حلب ذات الآثار القديمة قال الأستاذ العلامة المعاصر عبد الرحمن الكيالي في كتابه «أضواء وآراء»^(١) بعد أن ذكر أن شمرأ لعنه الله قتل الحسين (ع) وأرسل بن زياد معه الرأس الشريف ومعه سبايا الحسين (ع) إلى الشام.

لما وصلوا - أي من أمر بحمل الرؤوس والسبايا إلى دمشق «وإلى حلب وضعوا الرأس على حجر وهم مخيمين في الجبل الواقع غربي حلب والذي يسمى بالجوشن باسم القاتل شمر بن ذى الجوشن، فقطرت منه قطرة دم على الحجر حفظه أهله إلى أن فتح سيف الدولة حلب وبقية بلاد الشام - فشيد بناء المشهد المسمى بمشهد الحسين (ع) مقاماً له وذكرى للقطرة الغالية التي قطرت على الحجر - ووضع الحجر فيه».

وشيد بجانبه نحو الجنوب وعلى مقربة منه مشهد آخر لضريح الإمام محسن وهو طرح بنت^(٢) الإمام الحسين (ع) اثناء وجود السبايا في حلب.

وبناء سيف الدولة رحمه الله تعالى لهذين المشهدين معروف وشائع في حلب الآن بين الشيوخ والشبان، فمشهد الحسين (ع) في موقعه الآن في وسط حلب، ومشهد المحسن في جنوبه، وإنه كانت تقام ذكرى الحسين (ع) في يوم عاشوراء كما سيمر عليك ذكرى ذلك.

وقد ذكره ذلك المؤرخون لهذين المشهدين، قال: الشيخ كامل الغزي في تاريخه^(٣) «نهر الذهب في تاريخ حلب» ناقلاً عن تاريخ يحيى بن أبي طي^(٤) في سبب بناء سيف الدولة لمشهد الحسين (ع). وأما مشهد الحسين (ع) فيعرف بمشهد النقطة وهو في سفح جبل الجوشن، قال: وعن يحيى بن أبي طي في تاريخه أن راعياً يسمى عبد الله، يسكن في درب المغاربة كان يخرج كل يوم يرعى غنمه فاتفق أن نام يوماً بعد صلاة الظهر في المكان الذي بني فيه المشهد فرأى رجلاً أخرج

(١) الجزء الثاني ص ٦٣ طبع مطبعة الضاد في حلب.

(٢) الصحيح زوجة الإمام (ع) إذ لم يعرف أن التي اسقطت كانت من بنات الحسين (ع) ولأن كلامه هذا كان مخالفاً لما تقدمه من المؤرخين. فإن ياقوت الحموي في معجمه ويحيى بن أبي طي فيما نقل عنه والبحاث القمي «في نفس المهموم» عبروا بزوجه بدل ابنته فلعل ما ذكره الأستاذ الكيالي وقع سهواً.

(٣) مجلد ٢ ص ٢٨٠ طبع المطبعة المارونية بحلب.

(٤) هو يحيى بن حميد الشهير بابن أبي طي أبا الله الكبرى في العلوم والفنون والآداب والشعر والتاريخ ومعرفة أخبار الصحابة والعرب وغير ذلك، ومن آثاره البديعة أخبار الشعراء الشيعة مرتب على الحروف الهجائية. وله عدة كتب أخرى منها كتاب مناقب الأئمة الاثني عشر، توفي سنة ستمائة وثلاثين، هذه ترجمة ملخصة عن ترجمة الشيخ راغب الطباخ الحلبي له في كتابه اعلام النبلاء ص ٣٧٨ طبع المطبعة العلمية في حلب سنة ١٣٤٣ هـ. وقال الزركلي في كتابه الاعلام الطبعة الثانية سنة ١٣٧٦ في الجزء التاسع ص ١٧٥ هو يحيى بن حميدة ابن ظاهر بن علي بن عبد الله الغساني الحلبي الشهير بابن أبي طي النجار وهو عالم بالأدب مؤرخ شيعي من أهل حلب مات في آخر الكهولة سنة ١٣٠ وترجم له ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ج ٦ ص ٢٦٣، وقال كان بارعاً في الفقه على مذهب الأمامية.

نصفه من شقيف الجبل المطل على المكان ومدَّ يده إلى أسفل الوادي واخذ عنزاً. فقال له: يامولاي لأي شيء اخذت العنز وليست لك فقال: قل لأهل حلب يعمروا في هذا المكان مشهداً.. ويسموه مشهد الحسين (ع).

فقال أنهم لا يرجعون إلى قول، فقال قل لهم يحضروا هناك ورمى بالعنز من يده إلى المكان الذي أشار إليه فاستيقظ الراعي فرأى العنز قد غاصت قوائمها في المكان فجذبها فظهر الماء من المكان، فدخل حلب ووقف على باب الجامع القبلي وحدث بما رأى، فخرج جماعة من أهل البلد إلى المكان الذي ظهرت فيه العين وهو في غاية الصلابة بحيث لا تعمل فيه المعاول وكان فيه معدن النحاس قديماً فخطوا فيه المشهد المذكور.

ثم قال الغزي، قال ابن أبي طي: ومقتضى هذه الحكاية - أي حكاية الراعي أن هذا المكان هو المشهد المعروف بمشهد النقطة وهو قبلي المشهد بمشهد الحسين (ع) وهو إلى الخراب أقرب وأما مشهد الحسين (ع) فهو عامر أهل مسكون.

قلت: الظاهر من كلام ابن أبي طي، أنه كان يوجد مشهذان - في شمالي حلب مشهد السقط، الأول مشهد النقطة، والثاني مشهد الحسين (ع) وكل منهما معروف بين الناس باسمه الخاص، وإن مشهد النقطة أقرب إلى الخراب.

ومقتضى أنه معروف وأنه إلى الخراب أقرب أن يكون قد مضى على بنائه مدة طويلة ومقتضى كونه أثراً ينسب إلى شخصية عظيمة عزيزة وغالية على النبي أن يكون البناء من الأحكام والضخامة ما يجعله ذا قوة ودوام واستمراره ليطول بقاءه مع الزمن فيناسب ذلك أن يكون عروض الخراب عليه بعد أكثر من مائة عام كما هو شأن أمثاله من البناء الضخم الذي يطول بقاءه عامراً.

وهذا يقتضي أن يكون قد بني في أيام سيف الدولة إذ لم يكن كما افاده الاستاذ الكيالي في كتابه أضواء وآراء^(١) ولا مانع من أن يكون هناك مشهد آخر سمي بمشهد الحسين (ع) قد بني بعد قصة الراعي المتقدم ذكره ثم توالى العمارات عليه وعلى مشهد النقطة كما سنذكره. وأضيفت إليه إضافات لحاجة الزوار والمسافرين والقراء فصار المشهذان مشهداً واحداً لا يتميز أحدهما عن الآخر كما عليه المشهد اليوم وصار يطلق عليه مشهد النقطة ومشهد الحسين وعلى ما ذكرنا من التوجيه لا يرد قول الشيخ كامل الغزي في تاريخه نهر الذهب (الجزء الثاني ص ٢٨٢) إن مشهد النقطة لا أثر له إذا كان يريد أن لم يوجد أصلاً. لأن مشهد النقطة كان قبل بناء مشهد الحسين كما ذكرنا.

وقد ذكر الغزي في نهر الذهب^(٢) السبب في بناء مشهد النقطة قال: (في الجزء الثالث): وفي سنة ٦١ هـ قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء واحتز رأسه الشريف شمر ابن ذي

(١) الجزء الثاني ص ٧٦

(٢) الجزء الثالث ص ٢٣ طبع المطبعة المارونية في حلب.

الجوشن وسار به ويمن معه من آل الحسين إلى يزيد بدمشق فمر بطريقه على حلب ونزل عند الجبل غربي حلب ووضع على صخرة من صخراته فقطرت منه قطرة دم عمر على أثرها مشهد عرف بمشهد النقطة وقد المعنا إلى ذلك في الكلام على المشهد من باب الآثار.

وفي الجزء الثاني ص ٢٨٢ قال: إن سبب بناء مشهد النقطة هو أن الرأس لما وصلوا به إلى هذا الجبل وضعوه على الأرض فقطرت منه قطرة فوق صخرة بني عليها الحلبيون هذا المشهد وسمي مشهد النقطة ولعل هذه الصخرة نقلت من هذا المشهد بعد خرابه إلى محراب مشهد الحسين (ع) فبنى عليها.

ومقتضى كلامه هذا أن بناء مشهد النقطة كان متقدماً على بناء مشهد الحسين (ع) بمدة طويلة جداً، كما أن مقتضاه أن الصخرة التي وقعت عليها قطرة الدم الزكي، كان المحتمل فيها أنها نقلت إلى مشهد الحسين ثم وضعت في محرابه، بل من المقطوع به أن الصخرة نقلت إلى مشهد الحسين (ع) وبنى المشهد المعروف باسم النقطة واسم الحسين (ع) لأجلها. لأنها موضع أثر عظيم هو قطرة الدم الغالية التي دعت أهل الدين والمرؤة والغيرة والحمية أن يشيدوا عليها ذلك المشهد تكريماً وتعظيماً وتقديساً لصاحبها وحزناً عليه، لتبقى إلى الأبد تذكر المسلمين بنهضة الحسين عليه السلام غضباً للحق ونقمة على الظلم والظفیان وانتصاراً للدين الشريف. وقد بقيت هذه الصخرة إلى يومنا هذا تذكرنا بالمأساة العظيمة والفاجعة الأليمة التي أوقعها يزيد بسبط النبي الأعظم وذريته وعياله وأولاده وأطفاله ونسائه وأصحابه الكرام الذين بذلوا مهجهم رخيصة في سبيل الدين واعلاء كلمه الحق.

وهذه الصخرة نقلت بعد خراب المشهد في عام ١٣٣٧ هـ إلى مشهد المحسن (ع) ولا تزال موجودة فيه. وقد وقع خطأ فيما نقله الاستاذ الكيالي في كتابه «أضواء وآراء» الجزء الثاني ص ٧٨ من عبارة ابن أبي طي التي ذكرها الغزي ونقلناها عنه آنفاً ونعيد نقلها ليتبين مورد الخطأ.

قال: قال ابن أبي طي «وبمقتضى هذه الحكاية يكون هذا المكان هو المشهد المشهور بمشهد النقطة وهو قبلي المشهد المعروف بمشهد الإمام محسن وهو إلى الخراب أقرب، وأما مشهد الحسين فهو عامر أهل مسكون».

ومورد الخطأ: أنه ذكر بدل الإمام الحسين - كما نقله الغزي - الإمام محسن مع أن الشمر واتباعه نزلوا بالرووس في المكان الذي فيه مشهد الحسين (ع) الآن كما اشرنا إليه آنفاً. ولعل الذي دعاه إلى هذا التصحيف هو أن عبارة ابن أبي طي تدل على أن مشهد النقطة يقع قبلي مشهد الحسين (ع). ويظهر من تاريخ الشيخ كامل الغزي انه ليس بين مشهد الحسين (ع) ومشهد المحسن مشهد. ولكن يؤخذ عليه أيضاً أنه لا يوجد في قبلي مشهد المحسن (ع) مشهد للنقطة.

توالي العمارات على المشهد بعد سيف الدولة

قال ابن أبي طي فيما نقل عنه بعد قوله أنفاً: «فهو عامر أهل مسكون»، وتولى عمارته الحاج أبو النصر ابن الطباخ وكان ذلك في أيام الملك الصالح^(١) ابن الملك العادل نور الدين^(٢) وكان الأمير محمود بن الختلاو إذ ذاك شحنة حلب^(٣) فساعدهم في بنائه ولما شرعوا في البناء جاء الحائط قصيراً فلم يرض بذلك الشيخ إبراهيم بن شداد، وعلاه من ماله.

وتعاضد الناس في البناء فكان كل أهل حرفة يفرض على نفسه عمل يوم، وفرض أهل الأسواق عليهم دراهم تصرف في المؤمن والكلف، وبنى الأيوان الذي في صدره الحاج أبو غانم بن سويق من ماله فجاء قصيراً، فهدمه الرئيس صفي الدين ابن طارو بن علي النابلسي ورفع بناءه وانتهت عمارته سنة ٥٨٥ هـ. والظاهر من العبارة التي نقلناها بطولها هو أن ابن الطباخ هو الذي تولى عمارة مشهد الحسين في أيام الملك الصالح وساعده من ذكر فيها بمعونة بقية الناس على بنائه، وإن عمارة المشهد انتهت في أيام الملك الصالح.

وأما الأيوان الواقع في شرقي المشهد فبناؤه كان متأخراً عن بناء المشهد، وبناؤه ثانياً من قبل الرئيس صفي الدين دام إلى التاريخ المذكور، ولما ملك الملك الظاهر غازي^(٤) حلب أهتم به ووقف عليه رحى تعرف بالكاملية. وفوض النظر فيه إلى نقيب الأشراف الإمام شمس الدين بن أبي علي الحسين. والقاضي بهاء الدين بن أبي محمد الحسن بن إبراهيم ابن الخشاب.

ولما ملك ولده العزيز استأذنه القاضي بهاء الدين في ابتناء حرم إلى جانبه وبيوت يأوي إليها من انقطع إلى هذا المشهد، فأذن له، فشرع في بنائه، واستولى التتار على حلب قبل أن يتم، ودخلوا إلى هذا المشهد ونهبوا ما كان الناس قد وضعوا عليه من الستور والبسط والفرش، والأواني النحاس، والقناديل الذهب، والفضة والشمع، وكان شيئاً كثيراً، وشعثوا بناءه ونقضوا أبوابه.

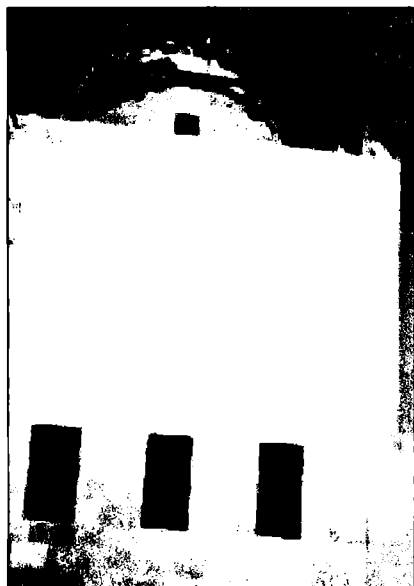
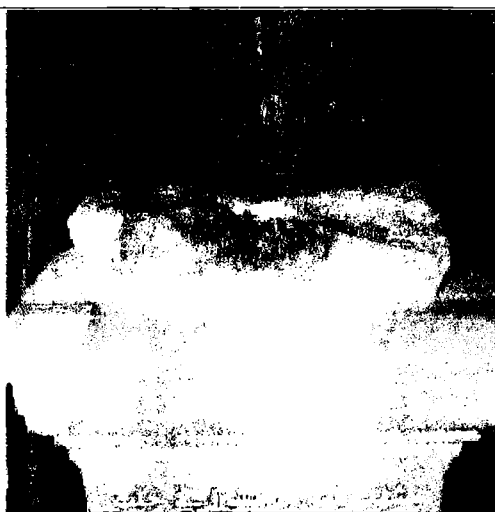
(١) تولى ملك حلب بعد وفاة أبيه نور الدين محمود زنكي وهو لم يبلغ الحلم، وكانت وفاة أبيه نور الدين المذكور سنة ٥٦٩ هـ، وفي سنة ٥٧٧ هـ توفي الملك الصالح المذكور راجع «نهر الذهب» للشيخ كامل الغزي ص ٩٨ و ١٠٢ ج ٣ - فتكون مدة ملكه ثمانين سنوات.

(٢) نور الدين هذا هو الذي منع في حوادث سنة ٥٤٣ هـ، من قول: حي على خير العمل في الأذان في حلب، ومنع من أن يقال: محمد وعلي خير البشر، راجع تاريخ «نهر الذهب» للشيخ كامل الغزي ج ٣ ص ٥٧ وص ٩١ و ١٠٠ - وترجمة حمزة أبي المكارم بن زهرة مذكورة في كتاب اعلام النبلاء للشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي، ج ٤ ص ٢٨٥ - طبع المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٣ هـ.

وكانت حي على خير العمل يقولها الشيعة من ابتداء سنة ٣٦٩ في زمان سعد الدولة ابن سيف الدولة أو في زمان أبيه سيف الدولة سنة ٣٤٧ وبقيت تقال إلى زمان نور الدين سنة ٥٤٣ هـ. وقد عادت الشيعة إلى قول: حي على خير العمل في زمان الملك الصالح لأنهم اشتروا عليه أن يعودوا إليها وإلى غيرها في مقابل أن ينصروه على أعدائه راجع ما ذكرنا من ص ١٠٠ من تاريخ نهر الذهب.

(٣) الشحنة: على الظاهر، القاء بالشؤون وصاحب الشوكة المطاع.

(٤) الملك الظاهر المذكور هو ابن صلاح الدين الأيوبي، ملك حلب بعد وفاة أبيه صلاح الدين. وكانت وفاة أبيه في سنة ٥٨٩ هـ راجع تاريخ نهر الذهب ج ٣ ص ٣٠٧.



مشهد حلب

ولما ملك الظاهر جدد ذلك ورممه وبهذا انتهى كلام ابن ابي طي الذي نقله عنه في نهر الذهب. والمكتوب على صدر ايوان المشهد «أي مشهد الحسين» بسم الله الرحمن الرحيم: امر بعمل هذا الديوان المبارك العبد الضعيف إلى رحمته ابو غانم بن ابي الفضل عيسى البزاز الحلبي رحمه الله، في شهور سنة ٥٧٩هـ، والظاهر ان بناء الايوان كان بعد الفراغ من بناء المشهد. فيكون الايوان من الاضافات الحادثة بعد بنائه، لأن عمارة المشهد ثانياً -أي بعد عمارة- سيف الدولة له كانت في زمان الملك الصالح بن نور الدين محمود زنكي، وكانت وفاة الملك المذكور سنة ٥٧٧هـ.

وقال ابن ابي طي ان الذي بنى هو ابو غانم المذكور وعبارته المحكية في نهر الذهب هي هذه «وينى الايوان الذي في صدره الحاج أبو غانم سويق».

وكان آخر بناء عرض عليه هو البناء الذي قمنا به، وقد بذلنا الجهد للحفاظ على أن يكون على الشكل الذي كان عليه حتى أيام الحرب العالمية، حفاظاً على أثريته حيث أنه يعتبر من الآثار التاريخية المهمة وقد ساعدتنا في ذلك وزارة التربية والتعليم ووزارة الشؤون والأوقاف. وقدّموا لنا كافة التسهيلات لذلك وهو الآن يطل على حلب من على تلك الرابية بينائه الشامخ وهندسته الرائعة.

مشهد المحسن وسبب بناء سيف الدولة وماتوالى عليه من البناء

قال في نهر الذهب: ^(١) فأما مشهد محسن فيعرف بمشهد الدكة ^(٢) ومشهد الطرح، وهو غربي حلب سمي بهذا لأن سيف الدولة حمدان كان له دكة على الجبل المطل على موضع المشهد يجلس عليها لينظر حلبه السباق فأنها كانت تقام بين يديه هناك.

وعن تاريخ ابن ابي طي ان مشهد الدكة ظهر في سنة ٣٥١ وان سبب ظهوره هو أن سيف الدولة كان في إحدى مناظره التي بداره خارج المدينة فرأى نوراً ينزل على مكان المشهد، وتكرر ذلك فركب بنفسه إلى ذلك المكان وحضره فوجد حجراً عليه كتابه: «هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)» فجمع سيف الدولة العلويين وسألهم، هل كان للحسين (ع) ولد اسمه المحسن، فقال بعضهم ما بلغنا ذلك، وأنا بلغنا أن فاطمة كانت حاملاً فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بطنك محسن، فلما كان يوم البيعة هجموا على بيتها لاخراج علي إلى البيعة فأحدثت، وفي صحة هذا نظر ^(٣) وقال بعضهم (أي بعض العلويين) أن سبي نساء الحسين

(١) ج ٢ ص ٢٧٨ و ٢٨٩.

(٢) الدكة الرابية أو الجبل الذليل، والدكة بفتح الدال ما استوى من الرمل أو بناء مسلح أعلاه للجلوس يوضع عليه الكرسي (القاموس).

(٣) أي في صحة أنه لم يبلغه أن للحسين ولداً اسمه المحسن فإن العلويين لا يخفى عليهم ذلك، وإذا أريد النظر في صحة أن فاطمة عليها السلام ولداً اسمه المحسن اسقطته بعد هجوم القوم عليها لاخراج علي عليه السلام إلى البيعة فلا مجال للموافقة على هذا التنظر والأشكال لأن ما نقل من الهجوم عليها وعلى دارها واسقاطها للمحسن (ع) صحيح وثابت بشكل لا مجال للشك فيه. ولا اظن أن مثل هذا التنظر صدر من ابن ابي طي لأنه عالم بالتاريخ وآية فيه وهو شيعي على ما ذكره في ترجمته بل المظنون أن التنظر صور من غيره ممن نقل كلامه عن تاريخه.

لما مروا بهن على هذا المكان طرحت بعض نسائه هذا الولد، فأنا ذرؤى عن آبائنا ان هذا المكان سمي بجوشن لان شمر بن ذى الجوشن نزل عليه بالسبي والرؤوس، وكان معدناً يستخرج منه الصفر، وان أهل المعدن فرحوا فدعت عليهم زينب (ع) ^(١) بنت الحسين ففسد ذلك المعدن، فقال ابن ابي طي: (ولحقت هذا المشهد وهو عليه باب صغير وحجر أسود تحت قنطرته مكتوب عليه بخط أهل الكوفة كتابة عريضة: عمر هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله وقربة اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وذكر التاريخ المتقدم (أي تاريخ بنائه وهو سنة ٣٥١ هـ).

ثم قال (أي ابن ابي طي) وفي أيام بني مرداس بني المصنع الشمالي من المشهد (أي بني بئر أو مخزن للماء) ثم بني قسيم الدولة اقا سنقر سنة ٥٨٢ في ظاهره قبلي المشهد مصنعا للماء وكتب عليه اسمه، وبني الحائط القبلي وكان قد وقع ووقف عليه رعى جندبات وعمل للضريح طوقاً وعرائش من الفضة وجعل عليه غشاء. ثم بنى نور الدين في صحته صهريجاً وميضأة فيها بيوت كثيرة ينتفع بها المقيمون فيه. وهدم الرئيس صفي الدين طارو بن علي النابلسي رئيس حلب المعروف بابن الطريرة بابه الذي بناه سيف الدولة ورفعه وحسنه، ولما مات ولي الدين أبو القاسم علي رئيس حلب وهو ابن أخي صفي الدين المتقدم ذكره، دفن إلى جانب المصنع ونقض أيضاً باب المصنع الذي عليه اسم قسيم الدولة وبناه وكتب عليه اسمه وذلك في سنة ٦١٤ هـ.

ثم في أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين يوسف وقع الحائط الشمالي فأمر ببنائه، وفي أيام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر وقع الحائط القبلي فأمر ببنائه وعمل الروشن الدائر بقاعة الصحن، ولما ملك التتار حلب قصدوا هذا المشهد ونهبوا ما كان فيه من الأواني والبسط، وخربوا الضريح والجدار ونقضوا الأبواب، فلما ملك السلطان الظاهر حلب أمر باصلاح المشهد ورممه وجعل فيه اماماً وقيماً ومؤذناً.

هذا ما نقله الشيخ كامل الغزي في تاريخه (نهر الذهب) حول بناء مشهد المحسن (ع) وسبب بنائه وما توالى عليه من البناء والعمارة.

وقال الحموي في كتاب معجم البلدان ^(١)

وجوشن جبل مطل على حلب في غربها في سفحه مقابر ومشاهد للشيعة، وقد أكثر شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور بن المسلم بن أبي الخرجني النحوي الحلبي من قصيدة:

عسى مورد من سفح جوشن نافع فاني إلى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن تحوم عليه للحقيقة برهان

(١) الصحيح زينب اخت الحسين (ع).

(٢) ج ٣ ص ١٧٢ و ١٧٣ مادة (جوشن) مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤، الحموي المذكور يقال له الرومي البغدادي توفي سنة ٦٢٦ هـ.

ثم قال: «جوشن جبل في غربي حلب ومنه كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه، ويقال انه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضي الله عنه، ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً، فاسقطت هناك فطلبت من الصانع في ذلك الجبل خبزاً أو ماء فشتموها ومنعوها فدعت عليهم فمن الآن من عمل فيه لايربح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط، ويسمى مشهد الدكة، والسقط يسمى محسن بن الحسين رضي الله عنه».

وقال في اثناء كلامه على تاريخ حلب ص ٣١٤ ج ٣ ايضاً:

«وعند باب الجنان مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رؤي فيه في النوم، وفي داخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا أنه خط علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي غربي البلد في سفح جبل الجوشن قبر المحسن ابن الحسين يزعمون^(١) انه سقط لماجيء بالنسبي من العراق ليحمل إلى دمشق أو طفل كان معهم بحلب فدفن هنالك، وبالقرب منه مشهد مليح العمارة تعصب الحلبيون وينوه أحكم بناء وانقضوا عليه أموالاً يزعمون أنهم رأوا علياً رضي الله عنه في المنام في ذلك المكان».

وقال المحدث البحاثة الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه نفس المهموم: «اعلم ان في قرب حلب مشهد يسمى بمشهد السقط على جبل الجوشن بالفتح ثم السكون والشين المعجمة والتون، وهو جبل مطل على حلب في غربه مقابر ومشاهد للشيعه منها مقبرة ابن شهر اشوب صاحب المناقب، ومنها مقبرة احمد بن منير العاملي المذكور ترجمته في أمل الأمل^(٢).

سبب انهدام مشهد الحسين

قال الاستاذ الكيالي^(٣) «ان مشهد الإمام الحسين (ع) في وضعه الحاضر مهدوم وخراب، وقد كنت ازوره قبل الحرب العامة، وكان عامراً وكنا نقصده ايام عاشوراء للتبرك، وفي غير ايام عاشوراء للنزهة في جواره، وكانت آثاره الهندسية داعية للاعجاب يقصده أهل الشيعة والسنة، ويقصده الأجانب من علماء الآثار والتاريخ لتدوين ما فيه وما في الشهباء من كتابات وآثار ومبان قديمة لها أهميتها في تاريخ حلب خاصة، وفي تاريخ البلاد الشامية عامة».

ثم ذكر الاستاذ الكيالي سبب انهدام هذا المشهد الشريف وزمانه ولكنه ذكر ذلك مختصراً. ونحن نذكر عبارة معاصره الشيخ كامل الغزي في «نهر الذهب» فإنها مفصلة لسبب الإنهدام. قال الشيخ كامل^(٤)، «وفي أيام الحرب العامة استعمل مستودعاً للذخائر الحربية النارية واستمر على ذلك إلى أواخر سنة ١٣٣٧هـ، وذلك حين خروج الانكليز من حلب ودخول الفرنسيين

(١) قوله هذا يناهض قوله في عبارته الأولى جازماً فيها بوجود السقط، وأنه يسمى المحسن بن الحسين (ع).

(٢) أحمد بن منير العاملي اشرنا إلى ترجمته وترجمة ابن شهر اشوب في فصل بناء مشهد الحسين (ع).

(٣) كتاب أضواء واره ص ٨٣ المطبوع في اوائل شروعا باعادة بناء المشهد أو قبل الشروع به بقليل.

(٤) كتاب نهر الذهب ج ٢ ص ٢٨٣.

اليها، وكان الحرس الذين يحرسونه من قبل الانلكيز قد انصرفوا عنه فهجم عليه جماعة من رعاا الناس وغوغائهم ونهبوا ما فيه من الذخائر والسلاح.

وبينما كان بعض اولئك الفوغاء يعالج قنبلة لاستخراج ما فيها من البارود اذ اورت ناراً فلم يشعر إلا وقد انضجرت وسرت منها النار بأسرع من لمح البصر إلى غيرها من الاعتاد النارية المتفرقة، فانضجرت جميعها كانهجار بركان عظيم سمع له دوي عن بعد ساعات، وشعرنا ونحن في منازلنا بحلب كأن الأرض قد تزلزت مصحوبة بدوي كهزيم الرعد القاصف، وقد تهدم بنبان هذا المشهد كله سوى قليل منه، وتطايرت انقاضه في الهواء وسقط بعضها على من فيه من الدعار والشطار فهلكوا عن آخرهم، ويقدر عددهم بثلاثين إنساناً على أقل تقدير، اخرج بعضهم من تحت الردم أمواتاً وترك الباقون فيه خشية أن يفاجئ غيرهم انفجار مابقي من الذخائر النارية.

وقد زرت هذا المشهد قبل الشروع في إعادة بنائه، فوجدته كأنه جبل من انقاض قد ترامى بعضها على بعض، ولم يبق منه الانفجار شيئاً سوى بعض الجدران المهدمة والقباب الممزقة والاحجار المبعثرة وسوى بقايا من جدران القاعة الشمالية الغربية العالية ودھليزها المصدع، والغرفة المجاورة لها من طرف شرقها، سوى المطبخ والحمام وبيوت الخلاء الواقعة في الشمال الشرقي من المشهد.

في كرامات رأس الحسين الشريف

لما نقل الرأس الشريف إلى الكوفة ظهرت له كرامات وكذلك في اثناء الطريق لما سير بالسبائا والرؤوس إلى دمشق ظهرت له كرامات، فمن كراماته بعد أن ذهب به عمر بن سعد وأصحابه إلى الكوفة لابن زياد لعنه الله تعالى ما رواه المفيد في ارشاده قال: فلما اصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسين (ع) فدير به في سكك الكوفة «كلها» وقبائلها، فروى عن زيد ابن ارقم انه قال: لما مر به علي وهو على رمح وأنا في غرفة لي فلما حاذاني سمعته يقرأ: «ام حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً» وقف والله شعري علي وناديت رأسك يا ابن رسول الله أعجب وأعجب»^(١).

ومن كراماته ما ذكره ابن حجر الهيتمي في صواعقه قال: ولما قتلوه (أي الحسين) بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتب سطراً بدم.

اترجو امة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس^(٢) واخرجه منصور بن عماد، وذكر غيره ان هذا البيت وجد بحجر قبل

(١) وروى هذه الكرامة في البحار الجزء العاشر ص ٢٢٢ طبع حجري عن المفيد.

(٢) الصواعق ص ١١٩ طبع المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٠٨.

مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثمائة سنة وأنه مكتوب في كنيسة في أرض الروم ولا يدري من كتبه. ^(١)

وروى قصة هذه الكرامة أيضاً في كتابه مناقب آل أبي طالب ^(٢) عن دلائل النبوة عن أبي بكر البيهقي بالاسناد إلى أبي قبيل وامالي أبي عبد الله النيسابوري أيضاً؛ أنه لما قتل الحسين (ع) واحتز رأسه قعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ ويتحيون بالرأس فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطرًا بالدم:

اترجو أمة قتلت حسيناً
قال: فهريوا وتركوا الرأس ثم رجعوا.

وفي كتاب ابن بطة أنهم وجدوا ذلك مكتوباً في كنيسة، وقال انس ابن مالك احتضر رجل من أهل نجران حفرة فوجد فيها لوح من ذهب مكتوب فيه هذا البيت وبعده:

فقد قدموا عليه بحكم جور
ستلقى يا يزيد غداً عذاباً
فخالف حكمهم حكم الكتاب
من الرحمن يالك من عذاب

فسألناهم منذ كم هذا في كنيستكم؟ فقالوا قبل أن يبعث نبيكم بثلاثمائة عام، ومن كراماته ما ذكره بن حجر الهيثمي قال: «ولما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا وضعوه على رمح وحرسوه فراه راهب في دير فسأل عنه، فعرّفوه به فقال: بئس القوم أنتم هل لكم من عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة، قالوا نعم، فأخذه وغسله وطيبه ووضعوه على فخذه وقعد يبكي إلى الصبح ثم اسلم لأنه رأى نوراً ساطعاً إلى عنان السماء من الرأس ثم خرج من الدير ومافيه وصار يحترم أهل البيت. وكان مع هؤلاء الحرس دنائير أخذوها من عسكر الحسين (ع) ففتحوا أكياسها يقتسمونها فأروها خوفاً وعلى أحد جانبي كل منها «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»، وعلى الآخر «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» ^(٣) ونظير هذه الكرامة ما رواه علي بن شهر اشوب رحمه الله ^(٤) عن النطنزي في الخصائص ^(٥) لما جاؤوا برأس الحسين (ع) ونزلوا منزلاً يقال له قنسرين ^(٦) أطلع راهب من

(١) وفي تاريخ القرمانى ص ١٠٨ وصلوا إلى دير في الطريق فنزلوا فيه ليقبلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدران هذا البيت. وفي الخطط المقرزية ج ٢ ص ٢٨٥ كتب هذا قديماً ولا يدري من قائله، وقد ذكر هذا في أكثر من مصدر من المصادر التاريخية المهمة، ذكره في مجمع الزوائد لابن حجر ج ٦ ص ١٩٩ وكذلك ذكره في الإصابة ج ٣ ص ٤٨٩، وفي الخصائص للسيوطي ج ٢ ص ١٢٢ وفي تاريخ ابن عساكر ذكره أيضاً في الجزء الرابع ص ٣٤٢ والصواعق المحرقة ص ١١٦ - والكواكب الدرية ج ١ ص ٥٧، والاتحاف بحب الاشراف ص ٢٣ وفي اللهوف ذكره ابن طاووس ص ٩٨ ونسبه إلى تاريخ بغداد لابن النجار. وفي منبر الاحزان لابن نما ص ٥٣ حضروا في بلاد الروم حفرة قبل ان يبعث النبي بثلاثمائة سنة فاصابوا حجراً مكتوب عليه بالخط المسند هذا البيت والمسند كلام اولاد شيت.

(٢) مناقب آل طالب الجزء الثالث ص ٢١٨

(٣) الصواعق لابن خنجر ص ١٢٢.

(٤) المناقب لابن شهر اشوب الجزء الثالث ص ٢١٧.

(٥) هو كتاب الخصائص العلوية لأبي عبيد الله محمد بن أحمد النطنزي، أحد علماء أخواننا السنة الذين روى عنهم بن شهر اشوب، ذكره في أول الجزء الأول من كتاب المناقب الذي نقلنا عنه هذه الكرامة في جملة طرق العامة التي يعتمد عليها فيما يرويه في كتابه ونظن هذه، بلدة بين قم واصفهان، كما في القاموس.

(٦) قنسرين: تقع جنوبي حلب تبعد عنها مقدار ٢٥ كيلومتراً وهي في طريق الذهاب من حلب إلى حمص الشام وكانت في ذلك الزمان بلدة عظيمة، ولم يبق منها إلا الآن سوى اطلال تشير إلى موضعها السابق. وقد اقيم مكانها قرية اسمها العيس. هكذا اخبرنا المطلعون على وضع قنسرين.

صومعته إلى رأس فرأى نوراً يخرج من فيه ويصعد إلى السماء فاتأههم العشرة آلاف درهم وأخذ الرأس وأدخله صومعته، فسمع صوتاً ولم ير شخصاً قال: طوبى لك، طوبى لمن عرف حرمة، فرفع الراهب رأسه وقال يارب بحق عيسى تأمر هذا الرأس بالتكلم معي، فتكلم الرأس وقال: ياراهب أي شيء تريد؟ قال: من أنت، قال: أنا ابن محمد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء «وأنا المقتول بكربلاء، وأنا المظلوم، أنا العطشان، فسكت فوضع الراهب وجهه على وجهه فقال ارفع وجهي عن وجهك حتى تقول أنا شفيعك يوم القيامة، فتكلم الرأس فقال: ارجع إلى دين جدي محمد (ص) فقال الراهب: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله، فقبل الشفاعة، فلما أصبحوا أخذوا منه الرأس فلما بلغوا الوادي نظروا الدراهم قد صارت حجارة، وقد ذكرت للرأس الشريف كرامات أخرى ذكرها ابن شهر آشوب في مناقبه وصاحب البحار وغيرهما من الشيعة والسنة، واكتفينا منها بما ذكرناه للدلالة على مناقب الرأس وكراماته، والله ولي التوفيق.

المقابر الموجودة حول المشهد

كانت توجد حول المشهد مقابر عديدة والظاهر أنهم اتخذوا هذا المكان مدفناً تبركاً باسم الحسين الذي شرف رأسه الشريف هذه البقعة وتبركت بتلك القطرة من الدم الزكي التي سقطت هناك. وقد اندرست تلك المقابر ولم يبق منها سوى مقابر بني زهرة الذين كانوا نقباء الاشراف. وقد ذكر اسماءهم الشيخ راغب الطباخ في كتابه اعلام النبلاء. وتقع قبورهم في سفح جبل الجوشن جنوبي مشهد الحسين (ع) ولكن الزمان أفنى معالم هذه القبور ولم يبق منها سوى آثار غير واضحة ولا تتميز منها قبورهم. وقبر ابن شهر اشهب موجود في هذه المقابر. وكذلك قبر أحمد ابن منير العاملي، إلا أننا لم نقدر أن نميزها. والذي لا يزال له الأثر من القبور هو قبر الشريف حمزة ابن المكارم الفقيه الأصولي المتكلم، المتولد سنة ٥١١هـ، والمتوفي في سنة ٥٨٥هـ، وقد عبت به ايدي الزمان فأل إلى الخراب وبقيت له آثار، وعلى قبره صخرة كتب عليها اسمه وانتسابه إلى الإمام الصادق (ع) مع تاريخ وفاته وكانت مقبرته مع مقابر بني زهرة مردومة فاكشفها سنة ١٢٩٧هـ جميل باشا واحاطها بجدران حفظاً لها.

أما الكتابة التي وجدت على أطراف قبر أبي المكارم وهي بالخط الكوفي المزهر فهذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذه تربة الشريف الأوحد الطاهر ركن الدين ابن أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الحسين بن اسحاق بن جعفر الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأئمة الطاهرين. وكانت وفاته سنة خمس وثمانين وخمسمائة رضي الله عنه^(١).

وعشيرة بني الكواكب في حلب تنتسب إلى بني زهرة، وحول المشهد قبور أخرى مندرسة وقد عثرنا على ترب مفخورة نقش على بعضها اسم الحسين (ع) مما يدل على أن هذه القبور كانت للشيعة، ونرجو أن يوفقنا الله للكشف عن أحوال هذه القبور والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) نقلنا هذا من كتاب أضواء وآراء للاستاذ عبد الرحمن الكيالي صفحة ٩٥ و ٩٦.

تذييل:

وهذا ما كتبه الشيخ محمد حرز الدين في كتابه مراقد المعارف ٢/ ٢٩٨ - ٣٠٣:

محسن السقط

مشهور بأنه ابن الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. مرقده في «جبل جوشن» جنب مدينة حلب غرباً في سورية، ويُعرف بـ «مشهد السقط»^(١) ذكر المؤرخون أن هذا المشهد شيده الأمير أبو الحسن علي سيف الدولة الحمداني في سنة ٣٥١هـ أيام حكومة آل حمدان في الشام، وكان سيف الدولة شيعياً وكذا آل حمدان اشتهروا بالولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وورد أن محسن السقط هو الذي اسقطته بعض^(٢) نساء الحسين عليه السلام المسببات - بعد حادثة الطف كربلاء الدامية سنة ٦١هـ - من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام، وقد اسقطت حملها لما رأين النسوة من الجفاء والسير الحثيث والضرب المبرح من أجلاف أهل الكوفة وأولاد البغايا.

(١)- جاء في كتاب «أضواء وآراء» للدكتور عبد الرحمن الكيالي ط حلب ٢: ٨٧: إن هذا المشهد يحوي ضريح الطرح محسن بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب (ع) ويعرف بمشهد الدكة، ومشهد الطرح، وهو عامر وواقع غربي حلب وبين مشهد النقطة ٣٠٠ متر، وسمي بمشهد الدكة لأن سيف الدولة ابن حمدان كانت له دكة على الجبل المطل على موضع المشهد يجلس عليها لينظر إلى حالة السباق. ويقول الشيخ كامل الغزي في تاريخه عن ابن الفوطي: أن مشهد الدكة ظهر في عام ٣٥١هـ، وإن سبب ظهوره هو أن سيف الدولة كان في إحدى مناظره التي يداره خارج المدينة فرأى نوراً ينزل على مكان المشهد وتكرر ذلك فركب بنفسه إلى ذلك المكان وحضر ووجد حجراً عليه كتابة هذا نصها: (هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب) فجمع سيف الدولة العلويين وسألهم هل كان للحسين ولد اسمه المحسن فقال بعضهم: ما بلقنا ذلك، وإنما بلغنا أن فاطمة كانت حاملاً فقال: لها النبي (ص) «في بطنك محسن»، فلما كان يوم البيعة هجموا على بيتها لأخراج علي للبيعة فأحدثت.

وقال: البعض الآخر أن بعض سبي نساء الحسين هي التي طرحته لما مروا بهن على هذا المكان المسمى بالجوشن (لأن شمر ذي الجوشن نزل عليه بالسبي والرؤوس) فقال: سيف الدولة هذا الموضع قد أذن الله لي بإعمارهم فأنا أعمره على اسم أهل البيت (ع).

قال يحيى ابن أبي طي المتوفى سنة ٦٣٠هـ في تاريخه: ولحققت هذا المشهد وعليه باب صغير وحجر اسود تحت قنطرته مكتوب عليها بخط أهل الكوفة كتابة عريضة مانصها:

«عمر هذا المكان المشهد المبارك ابتغاء لوجه الله وقرية اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان سنة ٣٥١هـ».

وفي أيام بني مرداس بني المصنع الشمالي للماء، وبني الحائط القبلي، وعمل للضريح طوقاً وعرائس من فضة وجعل عليها غشاء، وبني نور الدين في صحنه صهريجاً وميضاة فيها بيوت كثيرة ينتفع بها المقيمون فيه، وهدم الرئيس صفى الدين طاروق بن علي التابلسي ورئيس حلب المعروف بابن طريرة بابه الذي بناه سيف الدولة وحسنه.

(٢)- قال شيخنا المؤلف رحمه الله -في هامشه على «مراسد الاطلاع، على مادة (آرل) بالمذ وكسر الراء ثم لام قرية من ازينق حلب بها مشهد يزار ويعرف بمشهد الرحم. قلت الظاهر انه اسم مصدر من الرحمة، أو الرحم القرابة، ولعله المحل الذي اسقطت فيه زوجة الحسين الشهيد عليه السلام مع السبي الذي امر بحمله ابن زياد إلى الشام، فمروا بطريقهم بما يسامت حلب فاسقطت ولداً سماه علي بن الحسين بالمحسن لأنه يشبه المحسن سقط الزهراء سلام الله عليها بين الحائط والباب، والمشهد الآن عامر مشيد يزار (محمد حسين حرز الدين).

وبالقرب منه «مشهد النقطة»^(١) في سفح جبل جوشن أيضاً، وسمي بمشهد النقطة المعروف والمشهور في تلك البقاع أنه لما وصل سبي عيال الحسين (ع) إلى هذا الجبل بات فيه الكوفيون وحَمَلَة الرؤوس مع السبايا، وقد وضعوا رأس الحسين (ع) على حجر مرتفع فقطرت منه قطرة دم زكي عنى ذلك الحجر، فكانت القطرة موضع أعجاب واهتمام، فحفظها أهل ذلك القصر حتى فتح سيف الدولة الحمداني الشام، واعلموه بموضع قطرة الدم الزكي فبنى عليها بناية أثرية مهمة.

وقد أصبح مشهد السقط مدفناً لوجوه الشيعة ومشاهير علمائها هناك منهم العالم السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني صاحب كتاب «الغنية» مقتدى الشيعة في حنب ومفتيها الأوحى المتوفى سنة ٥٨٥هـ، والشيخ أبو جعفر محمد بن عني بن شهر اشوب انسروي المازندراني صاحب كتاب «المناقب» ويعد من مشاهير علماء الشيعة الإمامية هناك المتوفى في حلب سنة ٥٨٨هـ على الاصح، والشاعر الشهير ابن منير الطرابلسي الشيعي المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

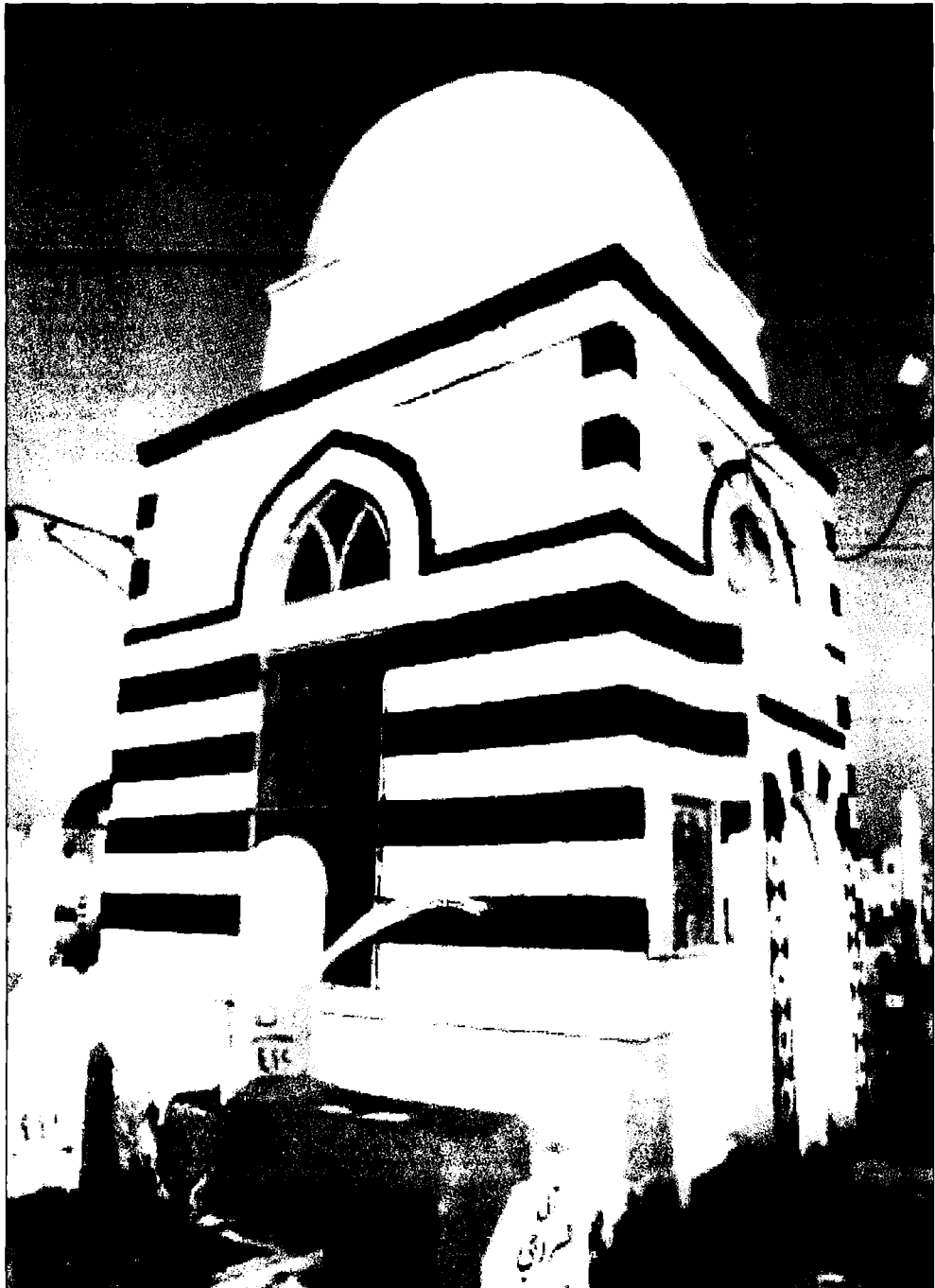
(١) قال الدكتور الكياني: أن عسكر ابن زياد لما اوصلو سبايا الإمام الحسين (ع) إلى حلب وضعوا رأس سيد الشهداء (ع) على حجر حفظه اهله إلى أن فتح سيف الدولة حلب وبقيت بلاد الشام فشيء بناء المشهد المسمى بمشهد الحسين مقاماً له وذكرى للقطعة الغالية على الحجر، ووضع الحجر فيه

وفي سنة ١٣٠٢هـ جددت في مشهد الحسين (ع) الحية الشمالية من الضبية، وبعد بضع سنين هدى السلطان عبد الحميد ستارا حريراً مزركشاً بآيات قرآنية وضع على الحراب. وفرضت أرض قبليته بالطنافس الجميلة وجدد ترخيم أرض انصحن ورتب له أمام ومؤذن وخدام وموظفون يقرؤن كل يوم أجزاء شريفة، وفي جبهة ايوان هذا المشهد مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد المصطفى، وعني المرتضى، وفاطمة الزهراء، وتحسن المجتبي، والحسين الشهيد، وعلي زين العابدين ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، ومولانا محمد بن الحسن القائم بأمر الله تعالى».

وعلى نجفة الباب الداخلي المؤدي إلى الصحن: «بسم الله الرحمن الرحيم عمر مشهد مولانا الحسين بن عني بن أبي طالب عليهما السلام في أيام دولة الملك الظاهر العالم العادل سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلطين ابي المظفر الغازي بن الملك الناصر يوسف ابن أيوب ناصر امير المؤمنين سنة ٥٧٢هـ».

وفي عام ١٣٣٧ حين دخول الفرنسيين إلى حلب هجم على المشهد جماعة من رعاا الناس وغوغائهم ونهبوا ما فيه من الذخائر والسلاح، وبينما كانوا يعالجون قنبلة لاستخراج ما فيها من البارود (وكان المشهد قد وضع فيه الاتراك الذخائر الحربية النارية بكثرة من ديناميت وبارود). وإذا أورت نارا وانفجرت وسرت منها النار إلى الاعتاد الموجودة المتفجرة فانفجرت جميعها انفجار بركان عظيم وزلزلت الأرض وتهدم بنيان المشهد كله سوى قليل منه «اضواء وآراء» ٢: ٦٣.

وانظر أيضاً كتاب المحسن السبط مولود ام سقط تأليف العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان ص ٦٠٧ - ٦١١ (ط١، ١٤٢٧هـ) منشورات مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف.



مقام فاطمة الصغرى

من مقامات آل البيت والصحابية والصالحين في الشام



مقام حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رض):

وقد شيد سنة ١٣٣٠هـ، وصاحبته السيدة حميدة هي التي واساها الإمام الحسين بمصاب أبيها عليه السلام، وفي ذلك يقول السيد مهدي الأعرجي:

لهف نفسي لصريع قد هوى	موثق الاكتاف من قصر الإمارة
حرّ أحشائي على طفلة	أذ رأّت من عمها السبط انكساره
فغدّت تسأله عنه وفي	قلبها الحزن أسى أضرم ناره
فأنثنى السبط لها يعلمها	عنه بالتلويح منه والاشارة
وغدا يمسح منها رأسها	وهي في اليتّم لها أجلى إشارة

وفيما كتبته لي السيدة نورة الشعلان (أم علي) في ١٩٩٢/١١/٢٣ أن هناك من ينسب القبر إلى حميدة بنت حبيب بن مظاهر الأسدي الصحابي المعروف الذي استشهد مع الامام الحسين عليه السلام.

مقام عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام)

ويقع في مقبرة باب الصغير، وعبد الله هو الذي لقب بالافطح وممن أشار إلى قبره بدمشق السيد عبد الرزاق كمونة في مشاهد العترة الطاهرة ص ٣٠. زرنه سنة ١٩٧٧ وقد كتب على حائطه مايلي.
(شيد مقام سيدنا عبد الله بن سيدنا جعفر الصادق في عهد المتولي السيد كامل بن العلامة السيد أحمد البغال المشهور بالامام ١٣٣٠هـ).

مقام عبد الله بن الإمام الباقر عليه السلام

في مقبرة باب الصغير وأمه وأم أخيه الإمام الصادق عليه السلام هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض).

مقام الشيخ قاسم بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛
يقع العقار بالمحضر رقم (٤٢٢) العزه بمساحة (١٧) م وهذا العقار يقع خلف الطريق العام من جهة الجنوب بطريق فرعي يسمى باسم (حارة الشيخ قاسم) نسبة لسيدنا القاسم ابن الإمام الحسن بن الإمام علي. وكان الطريق الموجود به المقام يسمى قديماً (طريق الحمام). والمقام موجود ضمن فسحه سماوية مكشوفة.

ولدى الاطلاع على اللوحة الرخامية الموجودة فوق باب المقام الحديدي المغلق وجد فيها أن بناء المقام تم تجديده من قبل المحسن أحمد صالح شعبان عام ١٣٨٥هـ وأن المقام يحوي قبرين هما لسيدنا محمد بن سيدنا الإمام الحسن بن الإمام علي (رضي الله عنه) وولده سيدنا القاسم.

مقام السيدة بسمه

ويقع في (عين الخضر) وتنسب صاحبه إلى آل البيت عليهم السلام.

مقام ليلى

يقع في قصر حجاج في السويقة وضمن منزل وقف، وفي حالة جيدة، وتنسب السيدة ليلى إلى آل البيت عليهم السلام.

مقام السيدة ميمونة

السيدة ميمونة بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام مما رأيته عام ١٩٧٧.

ضريح السيدة حفصة زوجة الرسول (ص)

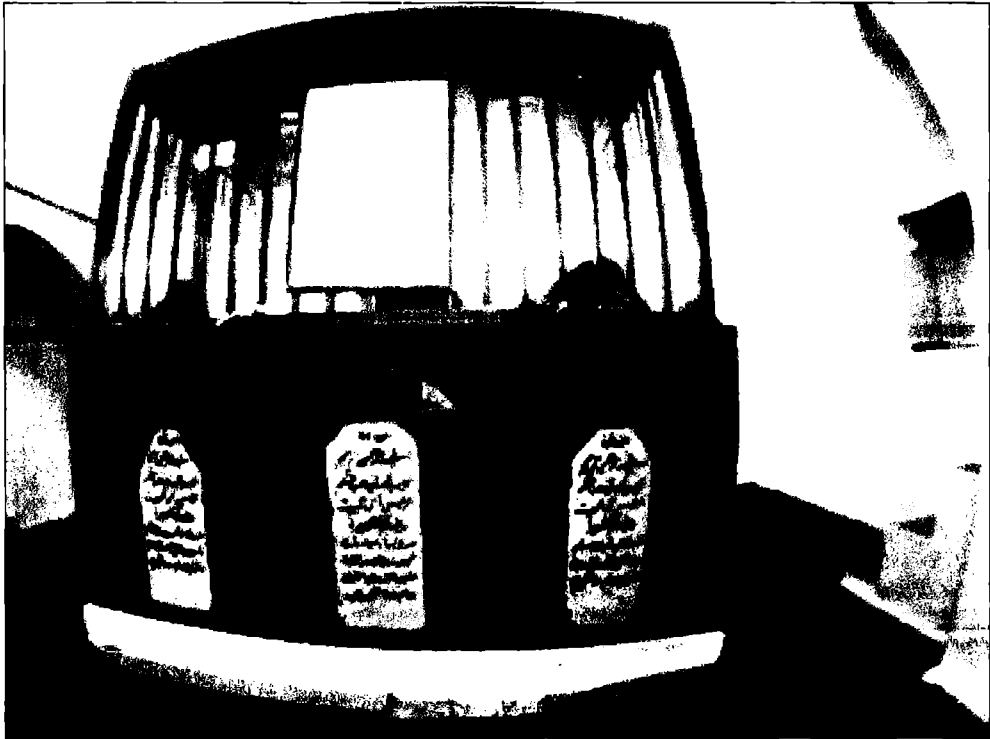
يدخل إلى مقبرة باب الصغير من الباب الشمالي طريق بين التريتين ويطريق الجراح بالمحضر رقم (٢٤٠) شاغور براني. يقع الضريح داخل المقبرة على بُعد عن الباب المذكور (١٥) م يوجد حول المقام قبور كثيرة والمقام هو عبارة عن قبة بناؤها من حجر وأجر ضمنها المقام وتوجد لوحة حجرية قديمة جانب الضريح.

مقام السيدة أسماء (زوجة جعفر الطيار)

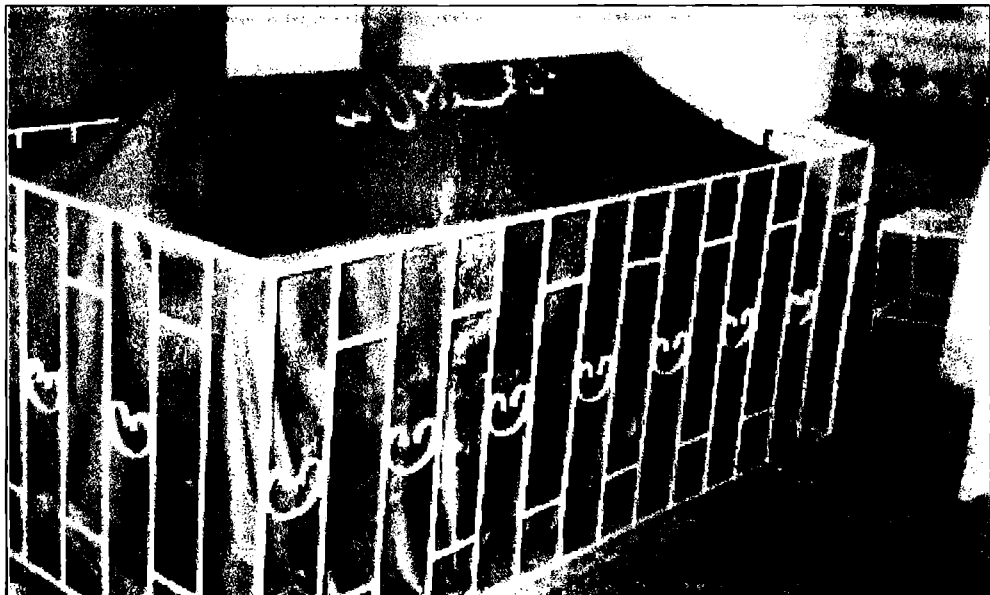
يدخل إلى المقام عن طريق مسجد السيدة سكيئة وأم كلثوم بين القبور القائمة بينهم بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة، وهذا المقام بحالة حسنة عموماً.

مقام عبد الله بن جعفر الطيار (رضي الله عنه)

يدخل إلى المقام عن طريق مسجد السيدة سكيئة بين القبور القائمة بينهم ويقع بين مقام السيدة أسماء والسيدة فاطمة الصغرى بالعقار رقم (١١٦٣) دمشق سويقة.



مقامات (حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب - أسماء بنت عميس - أم الحسن)



مقام أم حبيبة وأم سلمة (زوجات الرسول (ص))

يقع المقام ضمن مقبرة باب الصغيرة (ستي فاطمة) بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة بالجهة الغربية - قرب الطريق - بجانب المظلة - وهو عبارة عن غرفة فيها ضريحين لزوجتي الرسول (ص) أم سلمة وأم حبيبة. وفي زيارتي للمقام عام ١٩٧٧ وجدت الكتابة التالية: «ضريح السيدة أم سلمة جدده السلطان الغازي عبد الحميد خان ١٣٢٧ هـ».

مقام عبد الله بن الإمام زين العابدين عليه السلام

يقع ضمن ساحة سماوية يدخل إليها من باب مقبرة باب الصغير الذي فيه المظلة. بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة، وهو عبارة عن ساحة سماوية فيها بحرة ماء وشقة قديمة وبعض الأشجار في ساحة المقام ويدخل إلى المقام الذي فيه الضريح المؤلف من قبة ومحراب قديم والمقام بشكل عام جيد جداً، وهو من أحسن المقامات بناء وموقعاً.

مشهد علي زين العابدين

في جامع دمشق، اشار لذلك الدميري في حياة الحيوان ١٢٧/١.

مقام الشيخ محمد أبي الصفاير (ابن الحنفية)

يقع هذا المقام بالعقار رقم (٥٨٩) من المنطقة العقارية في المزه وبمساحة (٧) م حسب القيد العقاري وبمساحة فعلية (١٢) ٢م وهو ضمن دخله واسعة وبارزة على الطريق بكامل المساحة المنوه عنها، وقد قرأنا لوحة على باب المقام كتب فيها (هذا الضريح الصحابي الجليل الشيخ محمد أبي الصفاير ابن الحنفية بن الإمام علي رضي الله عنه) وبناء الغرفة من اسمنت مسلح وبلوك ومدهونة بالدهان الأزرق.

جاء في وفيات الأعيان ١٨٧/٤: أبو هاشم محمد بن الحنفية، حضرته الوفاة في الشام سنة ثمان وتسعين للهجرة ولا عقب له فاوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة نحوه (ومحمد هذا هو صاحب الدعوة العباسية فيما بعد).

مقام وجامع أبي ذر الغفاري

ينسب لسيدنا أبي ذر جندب بن جنادة يقع هذا العقار في طريق القراونة على بعد (١٥٠) م من باب الشاغور وهو المحضر (٣٨١) شاغور براني ويدخل إلى المقام من باب المسجد مباشرة، وهو يضم غرفة صغيرة فيها قبران، وللغرفة نافذة على الطريق العام. وبناء الغرفة من تراب وخشب والقبران هما:

الأول: للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)

الثاني: للشيخ محمد زعزور، والمقام لم يلحظ أثناء تخطيط الطريق، وقد تم الاعتراض على الطريق المخطط، وبقي المقام كما هو.

والمؤكد أن قبر أبي ذر رضي الله عنه في الريدة توفي بها سنة ٣٢-٣٣ هـ (٦٥٣م)^(١) على طريق العراق، وقد كتب لنا الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي مقالة نشرناها في (الموسم) عن قبره (رض) ولأبي ذر زيارة خاصة وردت في كتب الزيارات أولها:

السلام عليك يا أبا ذر الغفاري السلام عليك يا صاحب رسول الله (ص) ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا من قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر السلام عليك يا من نطق بالحق ولم يخف في الله لومة لائم ولا ظلم ظالم آتيتك زائراً شاكراً لبلائك في الإسلام... الخ.

مقام وجامع المقداد بن الأسود الكندي (ببيلا)

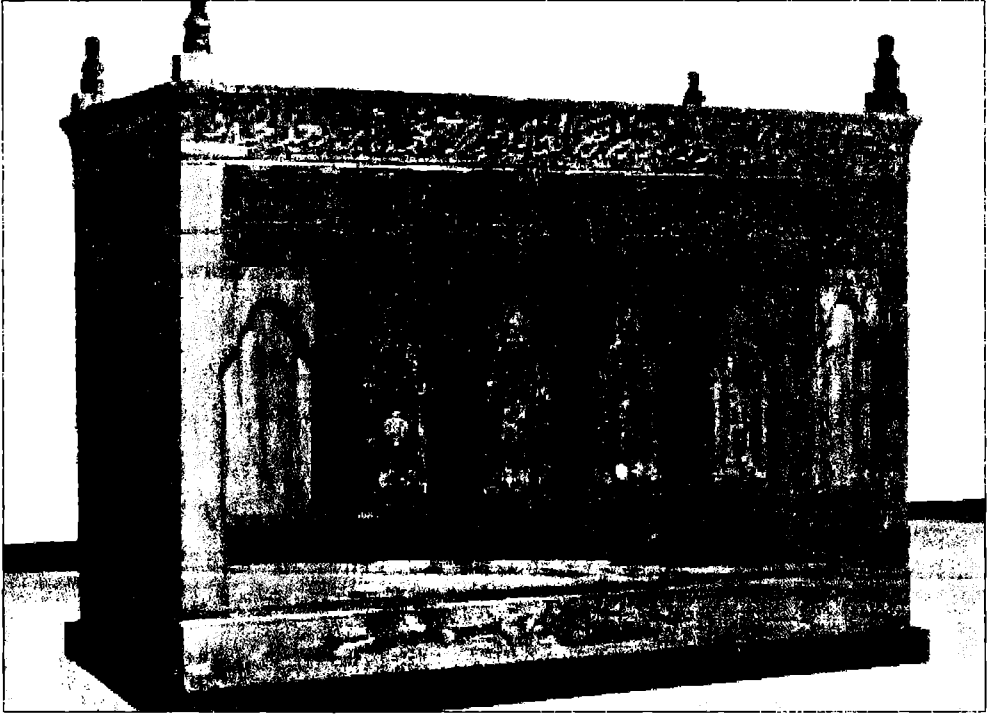
يقع المقام ضمن جامع حديث البناء بالجهة الشرقية من المسجد المسمى باسم (المقداد بن الاسود الكندي) والمقام بالعقار رقم (١٨٨) في بلدة ببيلا (ويتألف المقام من ساحة سماوية - جانب غرفة المقام فيها بحرة ماء وغرفة المقام بمساحة (١٦م) (٢) ويناؤه من اسمنت وبلوك وشباك وياب حديديين على مساحة الجامع السماوية والقبر تم تجديده وعليه ثوب قماش أخضر مطرز وبعض كتابات قرآنية وخلف المقام يوجد محلات تجارية على الطريق العام. وبالجهة الجنوبية، حرم الجامع الواسع.

والمقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد أو أبو عمرو، صحابي من الأبطال، وهنا مقامه إذ أن المعروف أنه كان بالمدينة وعلى مقربة منها توفي فحمل إلى المدينة ودفن فيها.

وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وفي الحديث «أن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي، والمقداد وأبو ذر وسلمان». وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهراني الكندي ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام، فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له: «المقداد بن الأسود» إلى أن نزلت آية «أدعوهم لأبائهم» فعاد يتسمى «المقداد بن عمرو» وشهد بدرأ وغيرها^(٣)، وفي ناحية (سيدي المقداد) الآن عدد كبير من أتباع آل البيت (ع) ممن يهتمون بمركد سيدنا المقداد، ولهم في الناحية مسجد المصطفى أيضاً إمامة الشيخ أدهم الببلاوي الخطيب، قيل لي أنه أتبع المذهب الإمامي منذ حين.

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٠/١.

(٢) الإصابة ت ٨١٨٥، وتهذيب التهذيب ٢٨٥/١. صفة الصفوة ١٦٧/١. حلية الأولياء ١٧٢/١ الأعلام ٢٨٢/٧.



تابوت خالد بن الوليد

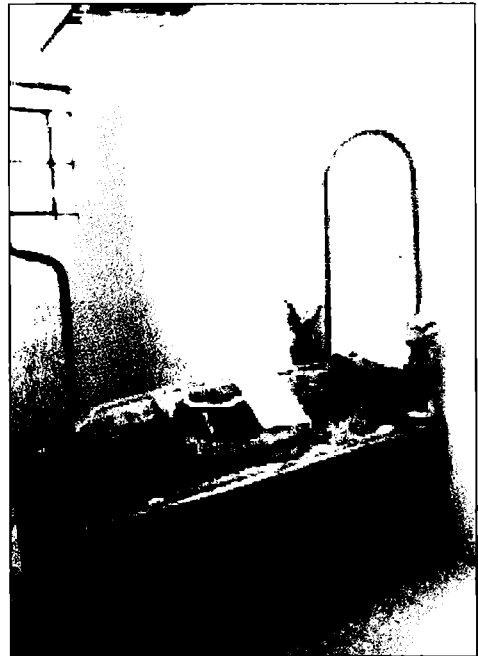




مشهد السيدة فاضة جارية فاطمة الزهراء (ع) - باب الصغير



مقام الرؤوس - باب الصغير



مقام السيدة سكينة في داريا

مشهد عمار بن ياسر (٥٧ ق هـ = ٣٧ هـ / ٥٦٧ - ٦٥٧ م) في الرقة^(١)

عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطاني أبو اليقظان صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهريه، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان، وكان النبي (ص) يلقبه «الطيب المطيب» وفي الحديث «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدهما» وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام (بناه في المدينة، وسماه قباء) وولاه عمر الكوفة، فأقام بها زمناً وعزله عنها، وشهد الجمل وصفين مع علي وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة، له ٦٢ حديثاً.^(٢)

كان عمار رضي الله عنه فقيهاً فاضلاً زاهداً مجاهداً فارساً موالياً للنبي الأكرم ولوصيه وخليفته من بعده علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام، قال رسول الله (ص) في فضل عمار عدة احاديث لثباته على الدين الحنيف والمبدأ والعقيدة منها قوله (ص): «بشريا أبا اليقظان فإنك أخو علي في ديانته، ومن أفاضل أهل ولايته، ومن المقتولين في محبته، تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرايك من الدنيا ضياح من لبن».

وقوله (ص) فيه: «انه ملاً إيماناً حتى اخمص قدميه، وأن من عاداه عاداه الله، ومن ابغضه ابغضه الله، وان الجنة مشتاقه إليه».

وقوله (ص): «أن عماراً ملاً إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه». أورد رسول الله (ص) هذا الحديث بعد أن عذبه المشركون وأبوه ياسر وامه سمية وقتل أبوه وامه وتخلص هو من القتل بأن أعطاهم مايرومونه بلسانه لأبقلبه، جاء عمار إلى النبي (ص) مسرعاً يبكي فقال (ص): ما وراءك؟

قال عمار: شر يارسول الله ماتركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله (ص) يمسح على عينيه ويقول له: «ان عادوا لك فعُدْ لهم» ثم نزلت هذه الآية الكريمة فيه «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

روي أن عثمان مراً بعمار بن ياسر يوم الخندق المشهور وهو يحضر وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كُمه على انفه عن الغبار وهو يمشي، فانشأ عمار يقول:

لايستوي من يبني المساجداً	يظل فيها راكعاً وساجداً
كمن يمر بالغبار حائداً	يعرض عنها جاحداً معانداً

فالتفت إليه عثمان قائلاً: يا بن السوداء إياي تعني؟

(١) الرقة: الرقة، يفتح الراء مدينة وحاضرة معروفة على شاطئ الفرات في شمالي سورية بين مدينتي حلب ودير الزور، لم تنزل فيها بعض الآثار التي تدل على الحضارة المزدهرة فيها ومنها سور الرافقة، وبوابة بغداد في زاويته الجنوبية الشرقية، وقناطر الجامع الكبير، وقصر البنات.

(٢) الإعلام ٣٦/٥ وللشيخ عبد الله السبتي مصنف في سيرته، انظر تفصيل حياته أيضاً في الاستيعاب، بهامش الاصابة ٢/ ٤٦٩، والاصابة: ت ٥٧٠٦، والطبري ٢١/٦ وحيلة الاولياء ١٣٩/١ وصفة الصفوة ١٧٥/١. مرآة المعارف ١٠٠/٢ وما بعدها.

ثم أتى رسول الله (ص) وقال: لم ندخل عليك لتسب اعراضنا فقال له رسول الله (ص) «قد اقلتك اسلامك» فانزل الله عز وجل قوله: «يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم» ومما ورد في فضل عمار ماجاء في «بشارة المصطفى» انه قال: الشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري باسناده عن ابراهيم بن علقمة والأسود عن أبي أيوب الانصاري قال أبو أيوب: فاني أقسم لكم بالله عزوجل لقد كان رسول الله (ص) معي في هذا البيت الذي أنتم معي فيه وما في البيت غير رسول الله (ص) وعلي جالس عن يمينه وأنا جالس عن يساره وأنس ابن مالك قائم بين يديه، اذ حرك الباب فقال رسول الله (ص): يا أنس انظر من بالباب فخرج أنس فنظر فاذا هو عمار بن ياسر فقال رسول الله (ص): افتح لعمار الطيب فدخل عمار وسلم على رسول الله ورحب به ثم قال له: «يا عمار انه سيكون بعدي في أمتي هنا حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني» يعني علي بن أبي طالب (ع) «فاذا سلك الناس كلهم وادياً فاسلك وادي علي بن أبي طالب واخل الناس، يا عمار أن علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك علي ردى».

وروي عن عمار بن ياسر انه قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب (ع) رفيقين في غزوة العشيرة فقال لي (ع) هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون؟ فنظرنا اليهم ساعة ثم غشنا النوم فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما هبنا إلا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقدمه فجلسنا وقد تربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله (ص) لعلي: «يا أبا تراب» (لما عليه من التراب) ألا أخبركم بأشقى الناس؟ بلى يا رسول الله قال: «احمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله (ص) يده على رأسه- حتى يبتل منها هذه» ووضع يده على لحيته.

حضر عمار وقعة الجمل بالبصرة وكان من الذابين عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع)، وعندما قُتل أصحاب الجمل جماعة من أصحاب علي قام اليهم عمار بن ياسر ووقف فيهم خطيباً بين الصفيين قائلاً: «أيها الناس ما أنصفتكم نبيكم حيث أبرزتم عقيلته للسبوف إلى آخر ما قال»، ثم دنا عمار من موضعها وهي على جمل في هودجها فناداها إلى ماذا تدعينني؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال: قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم أنشأ عمار يقول:

فمترك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

وأخذ أصحاب الجمل يرشقونه بالنبال حتى زال عن موضعه، فقال عمار لأمير المؤمنين ماذا تنتظري يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب؟

وجاء في «كتاب الآثار في النصوص على الأئمة الأثني عشر» عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده عمار قال: كنت مع رسول الله (ص) في بعض غزواته وقد قتل علي

اصحابه الأثوية وفرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي، وقتل شيبه بن نافع، أتيت إلى رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله أن علياً (ع) قد جاهد في الله حق جهاده فقال النبي (ص): لأنه مني وأنا منه، ووارث علمي، وقاضي ديني ومنجز وعدي، والخليفة بعدي، ولولاه لم يعرف المؤمن المحض بعدي، حريه حربي وحربي حرب الله، وسلمه سلمي وسلمي سلم الله، إلا أنه أبو سبطي، والأئمة بعدي من صلبه، يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين ومنهم مهدي هذه الأمة. فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا المهدي؟

قال: «يا عمار أن الله تبارك وتعالى عهد إلي أنه يخرج من صلب الحسين أئمة تسعة والتاسع من ولده يغيب عنهم، وذلك قوله عز وجل: «قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين». تكون له غيبة طويلة يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون، فإذا كان في آخر الزمان يخرج فيملاً الدنيا قسماً وعدلاً، ويقاقل على التأويل كما قاتل على التنزيل، وهو سمي واشبه الناس بي، يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان كذلك فاتبع علياً وحزبه فانه مع الحق والحق معه، يا عمار إنك ستقاتل مع علي صنفين الناكثين والقاسطين ثم تقتلك الفئة الباغية». قلت يا رسول الله اليس ذل على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم علي رضا الله ورضاي، ويكون آخر زادك شربة من لبن تشربه.

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين (ع) وقال له: يا أخا رسول الله أتأذن لي في القتال؟ قال: مهلاً رحمك الله، فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله، فأعاده ثالثاً عندئذ بكى أمير المؤمنين (ع) فنظر إليه عمار وقال: يا أمير المؤمنين أنه اليوم الذي وصفه لي رسول الله فنزل أمير المؤمنين عن بغلته وعانق عماراً وودعه، ثم قال: «يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله وعن نبيك خيراً، فنعم الأخ كنت، ونعم الصاحب كنت» ثم بكى وبكى عمار وبرز عمار إلى القتال...^(١) وسيأتي تفصيل الحديث عن سيدنا عمار وجهاده ومآثره ومشهده لاحقاً.

مقام صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب بن شاذي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ)

يقع المقام ملصقاً للجامع الأموي من الجهة الشمالية بالعقار رقم (١٤٤) باب البريد بدمشق، وبمساحة (٦٠٣) م^٢ والمقام عليه قبة جميلة وقد قيل أن (صلاح الدين الأيوبي) عندما توفي سنة (٥٨٩ هـ) بنى ولده العزيز عثمان مدرسة ونقل والده إليها وأقام فبة بجوار المدرسة حيث يوجد الآن قبر صلاح الدين فيها.

كما يوجد قبور لآل الحسين وذرائعهم في حديقة المقام ويعرف صلاح الدين بالملك الناصر وهو أحد الملوك المشهورين، وحقق له أعظم انتصار في وقعة (حطين) ثم افتتح القدس سنة ٥٨٣ هـ وأخباره مبسوبة في كثير من الكتب. وكانت ولادته بالعراق (تكريت)

(١) قال السعودي: فتوسط عمار القوم واشتكت عليه الأسنة فقتله أبو العادية العاملي وأبو حواء السكسي، واختلفا في صلبه فاحتكما إلى عبد الله ابن عمرو بن العاص فقال لهما: أخرجنا عني، فاني سمعت رسول الله (ص) وقال: رسول الله (ص) «ويغت قريش بعمار، مالي ولعمار» يدعوهم إلى الجنة ويدعوونه إلى النار، وكان قتله عند المساء وله من العمر ٩٣ سنة، وقبره بصفين «مروج الذهب» ٢: ٣٦٣.

ووفاته بدمشق وهو كردي الأصل وعمه أسد الدين شيركوه الذي قرّبه (العاظم) آخر خلفاء الفاطميين وقلده الوزارة، لكن صلاح الدين انتزع منه السلطة وحمل الناس على التسنن وعقيدة الأشعرية^(١).

مقام أبي هريرة

يقع هذا العقار في أول مدخل سوق الحميدية بدمشق من الجهة الجنوبية، وهو بالعقار رقم (٢٦) بالمنطقة العقارية شاغور جواني والمقام عبارة عن قبة بالزاوية الشرقية فيه ضريح من الخشب ولوحة تقول أن المدفون هو الصحابي الجليل أبي هريرة (رضي الله عنه). المصلى عادي ومظلم نظراً لوقوعه في ذلك المكان (سوق الحميدية) بحيث أنه لا يوجد نوافذ تدخل إليه الشمس ويعتقد أن هذا المكان كان قبلاً زاوية حيث يوجد لوحة على بابه تقول (جددت هذه الزاوية سنة ١٣١٠ هـ) والله أعلم.

مقام وجامع السادات في مدحت باشا (مقام الصحابي معاذ بن جبل):

يقع المقام والجامع في أول طريق سوق مدحت باشا من الجهة الجنوبية وبالعقار رقم (٢٣٩) من المنطقة العقارية شاغور جواني وبمساحة (٤٨٨ م^٢) وقيل أن الجامع كان قديماً يسمى بمسجد المسلمون ثم تهدمه فجدهه (بني القوتلي).

ويقوم هذا الجامع على مدخل من الحجر المزي اللطيف وحرم واسع بناؤه من أحجار وله قناطر ضخمة أيضاً ومن تحتها رواقان عظيمان والمحراب من رخام والقبة من رخام أما في الحائط الشرقي من الحرم الموضاً وفي الجهة الغربية توجد غرفة واسعة لها باب وشباك مطلان على الحرم ويوجد ضمن هذه الغرفة مقام الصحابي الجليل (معاذ بن جبل) من رخام حديث. مع الإشارة لوجود جامع ومقام للسادات أيضاً في منطقة مسجد الأقباص قرب العمارة بدمشق محضر (٢٠٦) قمس (١ و ٢)

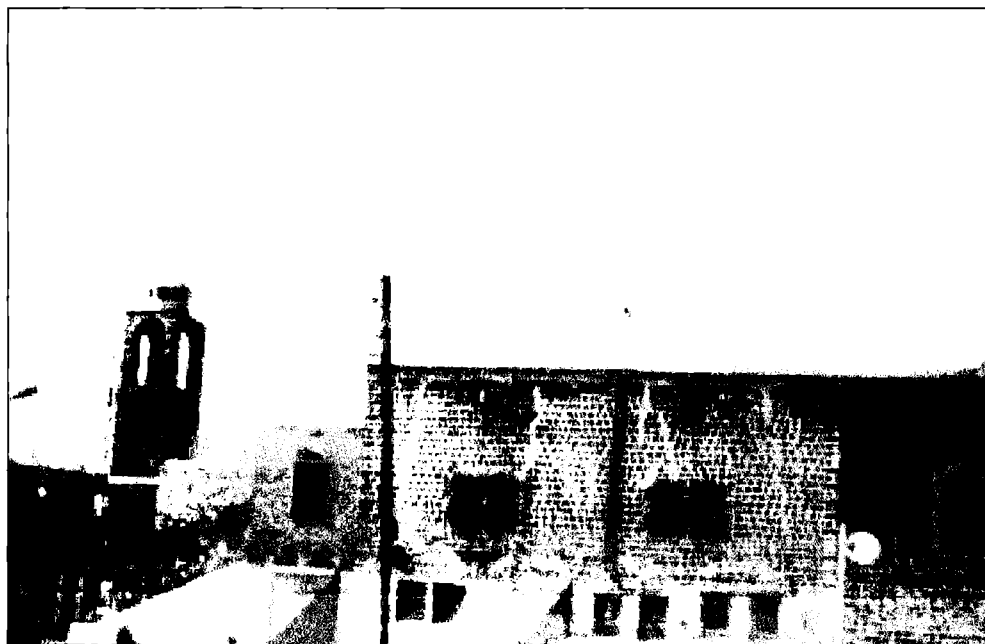
مقام عاتكة بنت معاوية

ويقع في قبر عاتكة ضمن منزل وقف في حالة جيدة والمنطقة كلها باسم: (قبر عاتكة) جاء في الروضة البهية ص ٢٢ «عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان أمر ببناء قصر لها ودفنت فيه ثم تحول القصر إلى قبر وقسمت المحلة بأسم قبر عاتكة، وهو مجاور محلة الشويكة قرب قبر زيد بن ثابت».

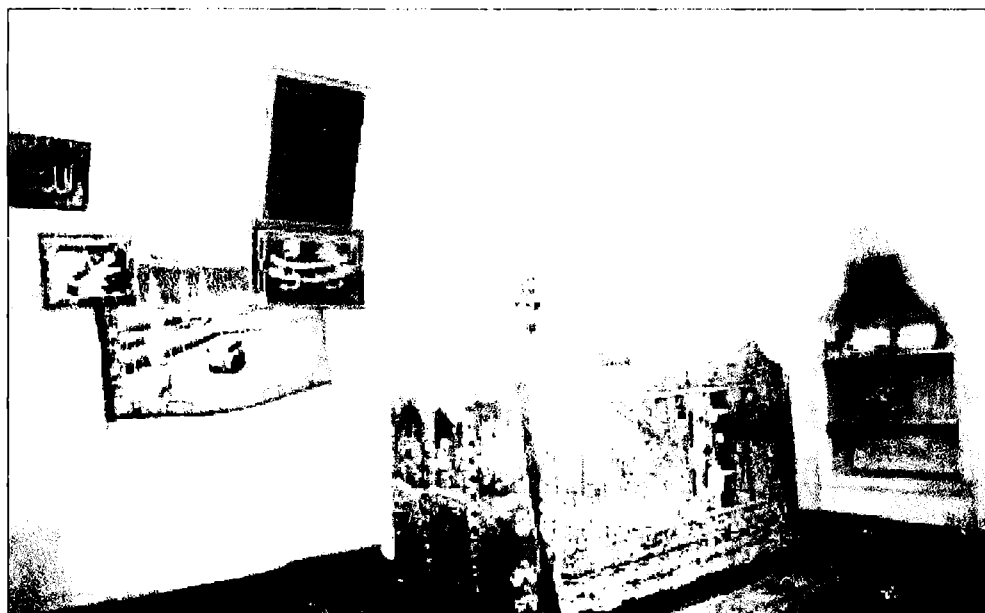
مقام الصحابي صهيب الرومي: يقع في الميدان - ضمن جامع صهيب الرومي.

مقام الشيخ حسن الجباوي: ويقع في السويقة في حالة جيدة ويقوم في خدمته آل السعدي.

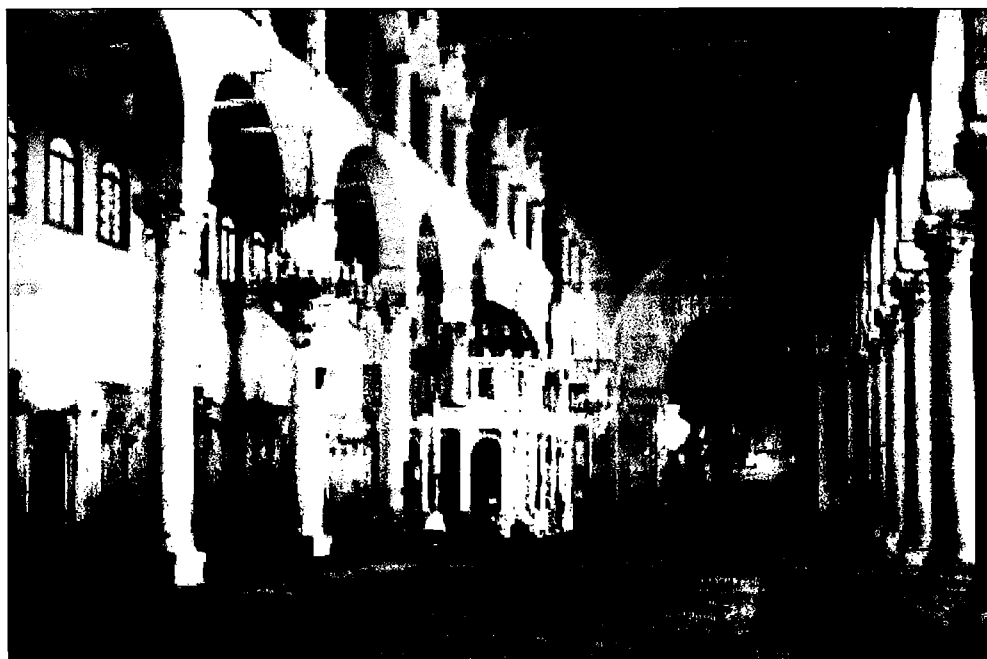
(١) انظر الاعلام ٨ / ٢٢٠ ، عبد الله العلوي: تقرير سياسي منظوم / ٨٦ (القاهرة ١٩٦١)، جريدة الدستور المصرية العدد الصادر ١٦ / ١٠ / ١٩٩٦ ، مجلة العرفان، المجلد ٥٥ (العددان ١ - ٢) ص ٥ - ٩.



مسجد ومشهد كعب الأحيار - حمص



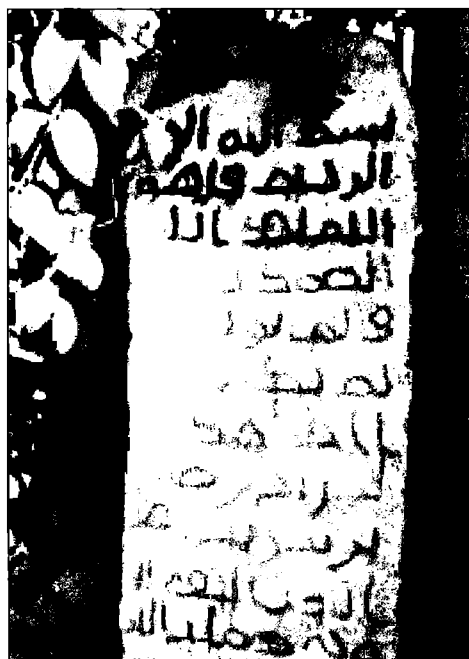
من مقامات آل البيت - مصياف



مقام النبي يحيى (يوحنا المعمدان) عليه السلام وسط الجامع الأموي



مقام أصحاب الكهف



شاهد أثري - حمص



مقام المقداد الكندي (رض)



مقام عبدالله بن جعفر الطيار (رض)



مقام السيدة فاطمة الصغرى (ع)



مقام السيدة أسماء زوجة جعفر الطيار (رض)

زاوية السعدية مكان وجود شعرات الرسول الأكرم (ص)

وتقع هذه الزاوية في منطقة العمارة من دمشق القديمة ويقوم بالإشراف على هذه الزاوية (آل السعدية) الذين يحتفظون حسب العرف والتبعية الدينية ببعض شعرات طاهرات من شعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) محفوظة ضمن كره زجاجية، ويقوم آل السعدية باظهار هذا الأثر الكريم من رسول الله سنوياً يوم السابع والعشرين من رمضان التي تصادف ليلة القدر وتظهر هذه الشعرات أيضاً بمناسبة (ليلة المعراج) ويזור هذه الزاوية التي أبدل اسمها مؤخراً إلى الزاوية التوحيدية كبار القوم وعلى رأسهم وزير الأوقاف.

مقام عبد الرحمن بن عوف

يقع هذا العقار بالمحضر رقم (١٩٨٣) المزة ومقابل المقام (قبة عبد الرحمن السجف) ويمر الطريق العام (أوتوستراد) من جانب المقام مباشرة كذلك طريق فرعي يؤدي إلى المزة وكفرسوسة بساتين ويحتوي المقام على غرفة سماوية بناؤه من حجر قديم مشوه وكتابات مشوهة كذلك، وخلف المقام توجد عدة قبور يعتقد أن تكون لأهل المحلة.

مقام وجامع مدرسة نور الدين الشهيد

يقع العقار في أول سوق الخياطين بدمشق من الجهة الشمالية للسوق بالعقار رقم (٦٤٥) من المنطقة العقارية شاغور جواني، ويحتوي هذا العقار على باب ضخمة من الحجر ومدخل مسقوف بجانبه الأيسر قبة وغرفة ضريح (نور الدين الشهيد محمود زنكي) والتي جددت حديثاً مع القبر والقبة، وللغرفة شبك على الطريق العام وصحن الجامع واسع فيه بحره ماء مستديرة كبيرة ومنها موضاً بالجهة الغربية وغرفة بجانبها واسعة لها بابان الأول من صحن الجامع والثاني من الحرم ومستعملة هذه الغرفة من قبل لجنة وجمعية اسعاف المؤذنين بدمشق وكان هذا المسجد مكاناً تقام فيه (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل الشيخ محمد الهاشمي (رحمه الله) وجماعته.

مقام الصحابي عباس بن مرداس في جامع السنجدار

يقع المقام ضمن جامع السنجدار بالعقار رقم (١١٢١) من المنطقة العقارية بحصة وسنجدار بمساحة (٤٨٤) م^٢ وكان الجامع يسمى بجامع الحشر ويدخل إلى الجامع من باب عريض له لوحة حجرية (١٢٣٦) هـ فوق وبجانبه شبك مظل على غرفة واسعة حيث يقع بها قبور أربعة. الأول: قبر الصحابي عباس بن مرداس (حامل لواء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) (السنجد). الثاني: قبر لأحد الأمراء المماليك (وقد قيل أن اسمه أرغون شاه). الثالث: (خفاف بن ندبه).

الرابع: (هوروق بن دقار) وفي الغرفة هذه أيضاً محراب حجري بجانبه باب وشباك مطلان على الحرم حيث الموضاً وثم الحرم الواسع القديم.

مقام بلال الحبشي (... - ٢٠ هـ / - ٦٤١ م)

يقع هذا المقام ضمن حديقة الجامع الذي شُيّد حديثاً وهو بالعقار رقم (٥١٧) شاغور بساتين والمقام عبارة عن قبة مرممة مجدداً وفيها قبر من حجر يقال أنه: «سيدنا بلال الحبشي» حيث توجد ثلاث لوحات حجرية جانب المقام القديمة، يذكر فيها أن صاحب القبر، هو بلال بن رباح مؤذن الرسول، جرى تجديد كل لوحة وتم المحافظة على المقام مؤخراً من قبل لجنة بناء المسجد حيث قد بني له جدران حجرية وقضبان حديدية حوله.

ويُعدّ بلال (رض) من الموالين لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والمعروف أنه مدفون بدمشق بمقبرة باب الصغير وقبره هناك مشيّد ومشهور، هاجر إليها منفياً بعد وفاة رسول الله (ص) ولم يبايع لأحد وكان الخليفة الصديق قد أعتقه وطلبه أن يؤذن له فقال لا أوذن لأحد بعد رسول الله (ص) وروي في سكناه الشام وموته بها خبر ليس هذا موضع ذكره ونصّ زيارته على الوجه التالي: «السلام عليك يا صاحب رسول الله (ص) ومؤذنه السلام عليك يا خيرة الصالحين السلام عليك يا من كانت سيّنه عند الله شيئاً أشهد أنك أمنت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وواليت أهل بيته عليهم السلام ونصحت له ولهم في السر والعلن ومضيت على منهاج رسول الله (ص) لم تغير ولم تبدل فرفع الله في الآخرة درجاتك وأعلى مقامك وحشرك الله مع محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين في أعلى عليين وحشرنا الله معكم ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

حياة بلال رضي الله عنه: بلال بن رباح الحبشي أبو عبد الله، مؤذن رسول الله (ص) وخازنه على بيت المال من مولدي السراة، وأحد السابقين للإسلام، وكان شديد السمرة، نحيفاً طويلاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف. وقد أورد ابن هشام في سيرته الشيء الكثير عن تعذيب بلال، نورد منه مايلي:

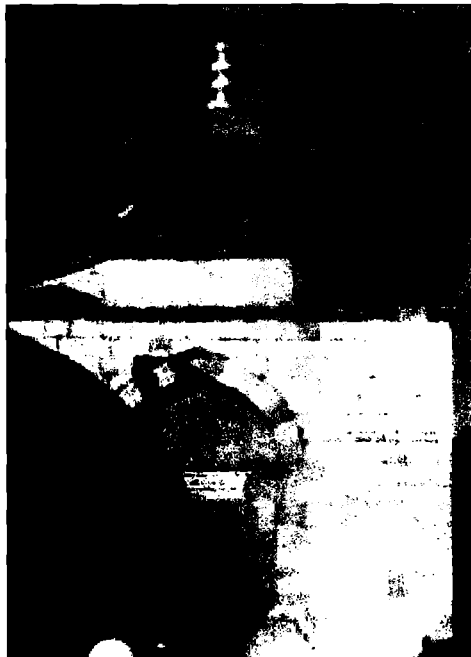
«كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب ويقول أحد أحد، فيقول ورقة أحد أحد والله يا بلال. ثم يقبل على أمية ابن خلف، ومن يصنع ذلك به من جمع. فيقول أحاف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حناناً».

وقد روى: «أن بلالاً إذا اشتد عليه العذاب يقول: أحد أحد» وكان أمية بن خلف يجيع بلالاً ويعطشه ويضعه على ظهره في الرمضاء ويضع على صدره الأثقال ويقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تعبد اللات والعزة... فيجيبه بلال: أحد .. أحد.

ومر أبو بكر ببلال وهو يعذب في بني جمح، وكانت دار أبي بكر في جمح، فرقّ لحاله، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى!! فقال أبو بكر: أفعل!! وقيل أنه اشتراه بسبع أواق ثم اعتقه، وكان له خازناً، وقيل أن الرسول هو الذي اعتق بلالاً وعامر بن فهيرة.



مقام المقداد بن الأسود الكندي بعد تجديده



مقام السيدة فضة (رض)



مقام وحشي وثوبان (حمص)

الهجرة إلى المدينة

وهاجر بلال إلى المدينة مع من هاجر من المسلمين لما أمرهم النبي بذلك. وأغلب المهاجرين الأولين كانوا من المستضعفين الذين تركوا أموالهم وأهليهم في مكة، وهربوا بأنفسهم خوفاً. ولما وصل النبي إلى المدينة وأخى بين المهاجرين والأنصار «أخى بينه وبين أبي رويحة وهو عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي.. ولما أخى الرسول بين المهاجرين أنفسهم أخى بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب». وقد جاء في سيرة ابن هشام «أن عمر بن الخطاب لما دُون الدواوين بالشام، وكان بلال قد خرج إلى الشام مجاهداً، قال عمر لبلال: إلى من تجعل ديوانك يا بلال؟ قال مع أبي رويحة لا أفارقه أبداً للأخوة التي كان الرسول «ص» قد عقد بيني وبينه، وضم ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم».

ومرض بلال أثر وصوله إلى المدينة كما مرض بعض الصحابة ومنهم أبو بكر. وقد روى عن عائشة أنها قالت لما هاجر الرسول إلى المدينة مرض المسلمون بها فكان ممن اشتد بهم المرض أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة، فكان أبو بكر يقول في مرضه:

كل امرئ مصيِّح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفتح وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل^(١)

قال: فأخبر النبي «ص» بذلك فقال: اللهم طيب لنا المدينة، كما طيبت لنا مكة وبارك في مدها وصاعها. ولقد رافق بلال النبي في مكة، وكان الرفيق المؤنس والمطيع له.

روى عن أنس بن مالك أنه قال: قال النبي: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أتت علي ثلاثون، من بين يوم وليلة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد، ألا شيء يوارى ابطل بلال». وجاء في تفسير هذه الحديث أن بلالا كان رفيق النبي في هروبه من مكة خائفاً وقد رافق بلال النبي في المدينة وشاركه في معظم المشاهد والغزوات. ولقد روى أن بلالا النبي شهد بداراً واحد وسائر المشاهد مع النبي. وأول موقعة شارك فيها بلال هي موقعة بدر، ويقال بأنه هو الذي حث المسلمين على قتل أمية بن خلف معذبه سابقاً فلما رآه اسيراً لدى عبد الرحمن ابن عوف، أخذ يصيح بأعلى صوته: رأس الكفر أمية بن خلف، لانجوت أن نجا. وأخذ يكررها عدة مرات حتى اجتمع عليهم المسلمون، وقيل أن الذي قتل أمية بن خلف هو خبيب بن اساف. وقيل أن خبيبا وبلالا اشتركا في قتله..

(١) إذخر وجليل: نباتان، وشامة وطفيل: جيلان

وقد روى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «يرحم الله بلالاً لقد أذهب أدرعي وفجعني بأسيري». ورافق بلال النبي «ص» عام الفتح (فتح مكة) ولما فتحت مكة ودخلها النبي أمر بتهديم الأصنام والأوثان ثم أمر بلالاً بأن يصعد ويؤذن على ظهر الكعبة. وقد هال الأمر سادات قريش الذين كانوا على رؤوس الجبال، وقالوا ما قالوا في بلال.. وقال بعضهم: ما لهذا الغراب الأسود ينطق على ظهر الكعبة. فنزل الوحي بقوله تعالى: «يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم».

أول المؤذنين في الإسلام

ولقد أكبر النبي بلالاً فجعله مؤذنه الأول، وكان بلال جهوري الصوت ونديه. وقد جاء في الكثير من الروايات عن بدء استعمال الأذان، ان النبي لما جاء المدينة كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بهم بغير دعوة. وقد اقترح بعض الصحابة ان تنصب راية لتدل المسلمين على مواقيت الصلاة. واقترح بعضهم استعمال البوق، فاستعمل، ثم كرهه النبي لاستعمال اليهود اياه. ثم استعمل الناقوس.

وبينما هم كذلك، اذ رأى عبد الله بن زيد في منامه شخصاً علّمه الأذان: فأخبر النبي (ص) بذلك فقال النبي «أنها لرؤيا حق ان شاء الله» وأمره ان يلقيها على بلال ليؤذن بها لأنه أندى صوتاً. وقد روى عن امرأة من بني النجار أنها قالت: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه الضجر كل غداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت فينتظر الفجر، فإذا راه تمطى ثم قال: اللهم أني احمدك، وأستعينك على قريش، ان يقيموا على دينك. قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة.

وقد روى الواقدي كما روى البلاذري أن بلالاً مؤذن الرسول كان يقف بباب الرسول ويقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته... حي على الصلاة.. حي على الفلاح... الصلاة يارسول الله.. ثم يقف بالباب ينتظر الرسول حتى يأذن له بالإقامة للصلاة.

وروى أن بلالاً إذا أذن كان يضع أصبعه في أذنيه. ومن جملة المؤذنين الذين شاركوا بلالاً في تلك الفترة ابن أم مكتوم، وأبو محذورة الذي كان يؤذن في مكة. وقيل أن الخليفة عثمان كان يؤذن في الجامع أمام منبر النبي «ص». ومن المؤذنين الآخرين سعد القرظ الذي أذن للخليفين أبي بكر وعمر... وكان بلال يقضي الليل ساهراً متعبداً ينتظر طلوع الفجر حتى يؤذن لصلاة الصبح وقد قضى بقية حياته على هذه الحال، إلا ليلة نام فيها ولم يؤذن للرسول حتى ارتفع حاجب الشمس، وقد بقي بلال مؤذن الرسول طيلة حياته.

وروى الواقدي «بأن بلالاً لم يؤذن لأحد بعد النبي (ص)، وقال: لما توفي رسول الله (ص) أذن

بلال والرسول لم يقبر بعد، فكان إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، انتحب الناس في المسجد. فلما دفن: قال أبو بكر أذن، فقال: إن كنت أنما اعتقتني لله فخلتني، ومن اعتقتني له، فقال له ما اعتقتك إلا الله، فقال فأني لا أؤذن بعد رسول الله، فقال: فاني لا أؤذن بعد رسول الله، قال: فذاك إليك، فأقام حتى خرجت بعوث الشام فصار معهم.

وروي أيضاً أن الخليفة عمر بن الخطاب لما قدم الشام سأل بلالاً أن يؤذن وقال له: انما كرهت الآذان بالمدينة، فأذن ها هنا، فأذن، فبكى الناس عامة يومهم لذكر الرسول (ص).

وقد توفي بلال في دمشق بسبب تفشي الطاعون هناك «طاعون عمواس» سنة ٢٠ هـ وقيل سنة ١٨ هـ وقيل سنة ٢١ هـ ولقد مات بسبب هذا الوباء الكثير من الصحابة، ومنهم أبو عبيدة الجراح. ودفن بلال في مقبرة دمشق عند الباب الصغير. وهو ابن ثلاث وستين، وقيل ابن السبعين. ولكن الراجح انه توفي وهو ابن ثلاث وستين، لأنه كان ترب الخليفة أبي بكر.^(١)

مقام النبي يحيى بن زكريا

ويقع ضمن حرم الجامع الأموي الكبير بدمشق وهو بالعقار رقم (١٥٦) باب البريد والنبي يحيى عليه السلام قتل شهيداً وأخذ رأسه ووضع في طست وقدم لأعدائه، ذكره النووي في تهذيب الاسماء.

وقد روي في أحداث بناء جامع دمشق انه وجدت مغارة تحت الأرض فيها صندوق وفي الصندوق سبط يحتوي على رأس يحيى بن زكريا، ومنذ ذلك الحين شيدت عليه القبة التي تزينه إلى اليوم في داخل (الجامع الأموي).

مقام سيدنا ابراهيم الخليل (برزة)

المقام عبارة (شق في الجبل على شكل مغارة صغيرة) ويدخل للمقام هذا من الطريق العام إلى جادة تسمى زقاق المقام ويقع المقام بالعقار رقم (٢٧٧٩) برزة البلد ويمساحة تقدر (٤٧٠) ٢م حسب القيد العقاري وعند الدخول إلى مكان المقام، يوجد دار يقيم خادم المقام بها (السيد مصطفى الترك) ومن الدار ينتقل عبر فسحة الدار السماوية إلى المصلى والمقام حيث يدخل إلى المصلى المسقوف وهو بمساحة (٩٠) ٢م فيها ثلاث أقواس حجرية معقودة على أربعة أعمدة حجرية ويصعد عبر المصلى إلى سدة خشبية بمساحة (٢٠) ٢م وفيها شق الذي قيل أن سيدنا ابراهيم الخليل قد ولد به. والعقار بشكل كامل بحاجة عاجلة لإقامه سور يحمي باقي أجزاء العقار. كما أن للمقام والدار حديقة خارجية مهمة، وقد جرى البناء جانبها وفوق الجبل وفوق الشق المذكور، وإن مياه تلك الأبنية تسقط على المقام والمصلى.

(١) الاعلام ٧٣ طبقات ابن سعد ١٦٩/٣ صفة الصفوة ١٧١/١، حلية الاولياء ١٤٧/١ مجلة العربي العدد ٧٤، يناير ١٩٦٥ مقال السيد عبد الصاحب جمال الدين.

مقام سيدنا الخضر (برزة)

المقام عبارة عن غرفة حديثة البناء وقد بنيت من اسمنت وحديد ويلوك بعد أن تهدمت وهو بالعقار رقم (٣٢٧٣) برزة البلد وبمساحة (٣٣) ٢م جادة الخضر. ويوجد في تلك الغرفة محراب ترابي بسيط وأرض الغرفة مفروشة باسمنت (عدسة) ولا يوجد شيء غير نافذة تطل على الطريق وباب حديدي. وفي الفضائل البهية «رؤي الخضر في الجانب الشرقي القبلي من مسجد دمشق بقرب المنارة الشرقية».

مقام النبي هابيل (عليه السلام)

يقع هذا المقام في مفرق طريق الزيداني المتفرع من طريق بيروت الدولي والمقام بحالة جيدة وتوجد لجنة لبناء مسجد حديث فوق المقام بإشراف وزارة الأوقاف ويزار هذا المقام باستمرار.

مقام الصحابي (أبي الدرداء):

اسمه عويمر وقيل عامر بن زيد الخزرجي الأنصاري. يقع المقام ضمن قلعة دمشق المشهورة، والضريح بحالة جيدة ضمن المسجد الموجود في القلعة الواقعة بدمشق جانب سوق الحميدية على اليسار. ذكره ابن الحوراني ص ٣١ وص ٤٥.

مقام الستة الحفظه للقرآن

يقع المقام في منطقة الميسات بجانب النهر وضمن حديقة وهو بحالة جيدة وله أناره ليليه ونظافة مستمرة وهو تحت إشراف وزارة الأوقاف.

مقام ست جابية

يقع في سوق الصوف في باب الجابية بدمشق وهو بحالة جيدة

جامع ومقام أبي كعب الأنصاري

يقع العقار عند مفرق طريق الغوطة القديم والطبالة في باب شرقي وهو العقار رقم (٢٤) شاغور بساتين، الجامع عبارة عن قبتين ينزل اليها ست درجات عن الطريق العام، حيث القبة الأولى التي هي المصلى، والقبة الثانية فيها قبر الصحابي أبي كعب والمصلى له محراب حجري قديم، وقد لوحظ أثناء التنظيم تقطع جزء منه بحيث أصبح على الطريق مباشرة.

مقام ضرار بن الأزور

يقع العقار على الطريق العام بين طريق توسيع باب شرقي وجامع الشيخ رسلان من جهة الشرق وهو بالمحضر (٩٢٦) باب توما والعقار عبارة عن جامع قيد البناء حالياً أما المقام فهو يقع

(تحت الطريق العام) أسفل الرصيف بحوالي (٦) م عمق، وهو مكشوف إلى فسحة سماوية التي تقابلها حرم الجامع الذي يجري بناؤه حالياً ولكن ببطء شديد.

مقام خولة بنت الأزور وشرحبيل بن حسنة

يدخل إلى الحديقة القائمة على حافة نهر بردى الكائنة جانب سور باب توما بدمشق والتي نقل إليها رفات الصحابين من المكان السابق لهما وهو على الطريق جانب المقبرة والسور، وقد بني القبران من اسمنت مسلح على حلته مساحة (٣٠) م^٢ يصعد إليها بارتفاع (٨٠) سم. في الاشارات ص ٨٥ «قبر خولة وشرحبيل بن حسنة وضرار» في ظاهر دمشق خارج باب شرقي على جانبي الطريق».

مقام الصحابي سعد بن عباد

يقع المقام في حي البثينة الكائن في المليحة القريبة من دمشق، ويقوم مشروع من قبل الأوقاف لتوسيع بناء المسجد المقام على المقام وانشاء مجمع إسلامي كامل. اشار له ابن الحوراني في الإشارات ١٣٨ - ١٤١، وحكى مناماً في اثباته ونقل عن ابن عساكر ان قبر سعد بن عباد يحتمل انه نقل إلى هذا الموضع من حوران.

مقام دحية بن خليفة الكلبي

يقع العقار ضمن مقبرة المزة رقم (١١٤٧) من المنطقة العقارية المزة، ويدخل إلى المقام من الباب الشمالي عبر القبور القائمة إلى منتصف المقبرة تقريباً وبالجهة الشمالية الشرقية تماماً، تم تجديد وبناء غرفة المقام من أسمنت مسلح وبلوك وبمساحة (٦٠) م^٢، بضمنها القبر المذكور، وحول القبر أماكن لجلوس الزوار في الأعياد والمناسبات الدينية. ذكره ابن الحوراني في الإشارات ١٢٤ نقلاً عن الحافظ ابن ناصر الدين الحنبلي قال وهو الذي كان جبريل يأتي النبي (ص) في صورته.

مقام وجامع ومدرسة أهل الكهف:

يقع مقام أهل الكهف في دمشق - جبل قاسيون - بمنطقة أبو جرش العقارية بالعقار رقم (٢٦٩٩) وهذا العقار واقع ضمن العقار رقم (١٥٤٩) أبو جرش أملاك وحقوق المرور للعقار الوقفي مقام أهل الكهف، ويتألف ممايلي:

يدخل إلى العقار من الطريق الفرعي الذي حوله دور منشأة عليه وقد تم بناء مدرسة وجامع وفرن على أرض المقام ومقسمه عدة أقسام وهي:

أولاً- فرن تحت (مغارة المقام) لبيع الخبز.

ثانياً- مدرسة مستعملة حالياً كمهاجع للطلاب ومطعم في الطابق الثاني والثالث.

ثالثاً- في الطابق الثاني مصلى وغرف وساحة مسقوفة وغرفة المقام حيث يتم تجديد المكان عند بناء المجمع ويوجد قسم كبير فارغ حالياً من البناء وعبارة عن ساحة ويوجد دارين بين تلك الساحة ومجمع المقام الحالي. وقد علمنا أن هذه المساحة الكبيرة سيقوم المشرفون ببناء جامع واسع عليها وسيجري فتح باب بين المجمع الذي فيه المقام والجامع المنوي بناؤه.

مقام الأربعين

يقع في جبل قاسيون الصالحية ويوجد ضمنه مصلى يتسع إلى أربعين مصلي، وحالة المقام جيدة، تم بناؤه من لجنة أهل الخير في الصالحية.

مقام النبي حزقيل (داريا)

يقع العقار في منطقة داريا الشرقية بالعقار رقم (٣٣٤) وبمساحة (٤٢٨)م^٢ وهو عبارة عن جامع ومقام وقد تم تجديد بناء الجامع، والمقام ضمن فسحة سماوية فيها ثمانية قبور لآل الخطيب وآل مطر وقبر نبي الله حزقيل ضمن قبة بنيت حديثاً فوق القبر بناؤها من أسمنت مسلح وبمساحة (٢٠)م^٢ وجدران المقبرة بناؤها من لبن ولهذا المقام مدخل خاص جانب باب الجامع على الطريق العام ومساحة المقبرة الحالية (١٠٠)م^٢.

مقام وجامع أبي مسلم الخولاني

اسمه عبد الله بن ثوب وأصله من اليمن وضريحه مشهور، يزار ويقع ضمن العقار في منطقة داريا الشرقية رقم (٢٥٥) وبمساحة (٥٧٩)م^٢ في شارع يسمى بشارع الخولاني. يدخل أولاً إلى الجامع وفوقه لوحة كتب عليها اسم جامع ومقام عبد الله بن ثوب أبي مسلم الخولاني المتوفي سنة (٦١) هـ ومن الباب إلى صحن الجامع الذي يحتوي على حرم المسجد ويقع في الجهة الشرقية وقد جدد حديثاً، وفي الجهة الغربية قبتان، الأولى مجددة بمساحة (٢٥) متر مربع فيها قبر كتب عليه مايلي:

(يا أرحم الراحمين هذا قبر سيدنا عبد الله بن ثوب أبا مسلم الخولاني، قدس الله سره) والقبر بناؤه من أسمنت وحجر وعليه قماش أخضر مطرز. والقبة الثانية قديمة جداً وواسعة بمساحة (٤٠)م^٢ وهذه القبة بحاجة إلى ترميم وبين القبتان ثلاث قبور في الجهة الغربية من القبتان، القبر الأول: مجدّد بمواد كلسية وكتب على اللوحة الحجرية مايلي:

(هذا قبر الصحابي الجليل أبو ثعلبة الخشني «رضي الله عنه»).

وكتب على القبر اللوحة الحجرية التالية:

(مقام التابعي الجليل ابن سعد المحاربي «قدس الله سره»)

وكتب على القبر الثالث

(هذا قبر الشيخ سليم بن رشيد الخولاني - المتوفي عام ٢١٣٤ هـ)
والجامع بشكل عام بناؤه جيد وقد جدد عام ١٩٦٢ ولكن القبة لاتزال قديمة. (انظر ابن
الحوارني ص ١٢٥ وما بعدها).

قبر معاوية الصغير (رض)

يقع القبر بالمنطقة العقارية - مآذنه الشحم - وبالعقار رقم (٥٨١) والمقام يدخل إليه من
مصلى صغير بمساحة حالياً تقدر (٦٠) م^٢. وقد قيل أن هذا العقار كان زاوية ومصلى واسع أما
الآن فهو كما ذكرنا مصلى وبه قبر عليه تابوت خشبي وتوت من قماش، وهو منسوب لمعاوية
الصغير بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان.

وهذا الرجل الصالح هو أول حاكم أموي أراد أن يعيد الأمر لأهل البيت، جاء في تاريخ
الطبري ٥٣٠/٥ (طبعة دار المعارف) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم):

أمر معاوية بن يزيد بعد ولايته، فنودي بالشام: الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
«أما بعد، فأني نظرت في أمركم، فضعفت عنه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب،
رحمة الله عليه، حين فزع إليه أبو بكر، فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر،
فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاخاروا له من أحببتهم». ثم دخل منزله، ولم يخرج إلى الناس،
وتغيب حتى مات، فقال بعض الناس: دس إليه فسقي سمًا، وقال بعضهم: طعن». وفي كتاب
الإمامة والسياسة لابن قتيبة نص آخر لهذه الاستقالة، إذ جاء فيه (١٣/٢):

«لما مات يزيد بن معاوية، استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثمانين سنة،
فلبث والياً شهرين وليالي محجوباً لا يرى، ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس، فحمد الله وأثنى
عليه، ثم قال: أيها الناس أني نظرت بعدكم فيما صار إلي من أمركم، وقلدته من ولايتكم، فوجدت
ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي: أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني، وأحقهم بذلك،
وأقوى على ما قلدته، فاخاروا مني إحدى خصلتين: أما أن أخرج منها، واستخلف عليكم من أراه
رضاً ومقنعاً، ولكم الله علي أن لا ألوكم نصحاً في الدين والدنيا، وأما أن تختاروا لأنفسكم،
وتخرجوني منها». قال: فانف الناس من قوله، وأبوا من ذلك، وخافت بنو أمية أن تزول الخلافة
منهم، فقالوا: ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين، ونستخير الله فأملنا».

«قال معاوية: لكم ذلك، وعجلوا علي».

«قال: فلم يلبث بعدها أياماً حتى طعن، فدخلوا عليه فقالوا: استخلف على الناس من تراه
لهم رضا. فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟ والله، لا أتزودها، ما سعدت بحلاوتها، فكيف أشقى
بمرارتها». ووصفه الخوارزمي بأنه: كان باراً فاضلاً، قال: وهو ولي عهد أبيه، خطب الناس فقال:
أيها الناس، ما أنا بالراغب في التأمير عليكم ولا بالأمن من شركم، وإن جدي معاوية نازع من كان

أولى به في قرابته وقدمه، أعظم المهاجرين قدراً، ابن عم نبيكم وزوج ابنته ومنها بقية النبيين وسلالة خاتم النبيين، فركب منه جدي ماتعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى نزلت به منيته فتجاوز الله عنه ثم تقلد أمره أبي وكان غير خليق للخلافة فقلّت مدته وانقطعت آثاره وصار حليف حفرتة وأعماله، ولقد أنسانا الحزن له الحزن عليه، فيا ليت شعري هل أقيلت عثراته وهل أعطي أمنيته، أم عوقب بإسائته فإننا لله وإنا إليه راجعون، ثم صرت أنا ثالث القوم والساخط فيما أرى أكثر من الراضي، وماكنت لأحتمل أاثامكم والقي الله بتبعاتكم فشأنكم بأمركم.

فقال مروان: يا أبا ليلى سنة عمرية، فقال يامروان تخدعني عن ديني، أثنتي برجال كرجال عمر اجعل الأمر بينهم شوري، والله لئن كانت الخلافة مغنماً فلقد أصابنا منها حظ، وإن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم نزل، فقالت له أمه: يا بني ليتك كنت حيطة في خرقه، فقال: وأنا وددت ذلك يا أماه، أما علمت أن الله تعالى ناراً يعذب بها من عصاه واخذ غير حقه، فعاش أربعين يوماً مات بعدها، وقيل له: اعهد إلى من أحببت فإننا له سامعون مطيعون، فقال: اتزود مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها، وكان له مؤدب يميل إلى علي فظن ذلك آل أبي سفيان انه دعاه إلى هذه الخطبة، فأخذه بعد موته (أي بعد معاوية) فدفنوه حياً، يقول الدميري في حياة الحيوان:

إن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته هذا ولقنته آياه وصددته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده وحملته على ما وسمننا به من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال، فقال: والله ما فعلت ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي، فلم يقبلوا منه ذلك وأخذه ودفنوه حياً حتى مات.

لقد كانت خلافة معاوية بن يزيد ووفاته عام ٦٤ للهجرة.

وفي يقيني أن استقالة معاوية الثاني حادث فريد في التاريخ الإنساني كله، بأسبابه الموجبة، فقد عرفنا استقالات الملوك ورؤساء في التاريخ القديم والحديث تخللها الاكراه المادي أو المعنوي، أما أن خليفة أو ملكاً أو رئيساً استقال لأن في أمته من هو خير منه، فأمر قد انفردنا به من بين سائر الأمم، وقد دفع معاوية الثاني حياته ثمناً له، أو ثمناً لتقاه، وخوفه من الله.

قلت: ومن أحفاد معاوية الصغير الشاعر الشهير المعروف بالاببيوردي وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الاموي المعاوي، المتوفي باصبهان (إيران) في ٢٠ ربيع الأول سنة ٥٠٧، واصله من قرية كوفن وهي قرية من قرى أبيورد بين (نسا) و (أبيورد).

ومن شعره قوله يفخر بجده معاوية الثاني:

يامن يساجلني وليس بمدرک	شأوي وأين له جلالة منصبی
لاتتعبن فدون ما أمّلته	خرط القتادة وامتطاء الكوكب

المجد يعلم أينما خيرُ أباً
جدي معاوية الاغر سمت به
وورثته شرفاً رفعت مناره
فأسأله تعلم أي ذي حسب أبي
جرثومة من طينها بغض النبي
فبنو أمية يفخرون به وبني

وكان يُعدّ في الشيعة، شأنه شأن صاحب الاغاني الذي ينتهي نسبه إلى يزيد ومن الامويين
عدد من الشيعة لهم ذكر في كتب التاريخ والأدب ومن أمثال ما ذكرنا: مروان بن محمد السروجي
الأوي وهو صاحب هذه الأبيات:

يابني هاشم بن عبد مناف
انتم صفوة الاله ومنكم
وعلي وحمزة أسد الله
فلئن كنت من أمية إني
إنني معكم بكل مكان
جعفر ذو الجناح والطيران
وينت النبي والحسنان
لبيريء منها إلى الرحمن

ومنهم الشاعر الأموي عبد الله بن عمرو الذي خصّه بالذكر الاصبهاني بقوله:
ابو عدي الأموي شاعر بني أمية وهو عبد الله ابن عمرو بن عدي بن ربيعة بن عبد العزي بن
عبد شمس كان يكره مايجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبّه
على المتأبر ويظهر الانكار لذلك فشهد عليه قوم من بني أمية ذلك وانكروا عليه ونهوه عنه فلم
ينتهي فنضوه من مكة إلى المدينة فقال في ذلك.

شردوا بي عند امتداحي علياً
فَوَرَّبِي لا أبرح الدهر حتى
وبنيه لحب أحمد إنني
حب دين لا حب دنيا وشر
صاغني الله في الذؤابة منهم
عدوياً خالي صريحاً وجدي
فسواء علي لست أبالي
وراوا ذاك في داء دويّا
تمتلي مهجتي بحبي عليا
كنت أحببتهم لحبي النبيا
الحب حباً يكون دنياويا
لازنيماً ولا سنيذاً دعيا
عبد شمس وهاشم أبويا
عشماً دعيت أم هاشميا

مقام عبد الملك بن مروان (وزوجته):

يقع المقام في منتصف مقبرة باب الصغير (ستي فاطمة) من الجهة الجنوبية الغربية
بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة. وهو عبارة عن سور من بلوك ضمنه أحجار قديمة وكبيرة على
شكل قبرين ولوحات حجرية قد شوّهت وليس للمقام غير ذلك علماً أنه على عمق (٣) متر من
الأرض بالمقبرة.

مقام معاوية بن أبي سفيان:

يقع المقام بالجهة الجنوبية الغربية لمقبرة باب الصغير بدمشق من المحضر رقم (١١٦٣)

سويقة قرب مقام عبد الملك، وهو عبارة عن غرفة بناؤها من لبن وخشب ويقيم حفار المقبرة فيها وهي شبه متهدمة بحالة سيئة جداً، وضمن الغرفة قبر مشوه وعليه لوحة قديمة تثبت اسم صاحب القبر وبجانبه قبر الشيخ سعيد الحبال وبجانب الغرفة من الجهة الجنوبية قبور عليها لوحات حجرية لم نستطع قراءتها وقد قال حفار المقبرة أن هذه القبور وتبلغ إحدى عشر قبراً لوزراء معاوية^٩، وقد جرى ترميم هذه القبور بمواد حديثة ويوجد بين تلك القبور قبور للعامة علماً أن قبر معاوية مسجل ضمن الأبنية التاريخية لمدينة دمشق لدى مديرية الآثار في دمشق. وكانت وفاته بعد مرضه في دمشق مقر خلافته (في حينه) وذلك ليلة الخميس / ٢٢ / رجب سنة (٦٠) للهجرة وكان قد بلغ من العمر (٨٢) عاماً وصلى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر لذلك اليوم في المسجد الأموي الكبير ثم نقل جثمانه إلى مقبرة باب الصغير ودفن فيها. قال ابن طولون في كتابه بهجة الأنام رواية عن ابن تيمية وغيره: أن قبر معاوية في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الإمارة الخضراء وهو الذي تسميه العامة قبر هود، أما معاوية الذي خارج باب الصغير فإنه أبو ليلى معاوية بن يزيد بن معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً وكان فيه عفة وزهد ودين، قاله ابن الحوراني في الاشارات ص ٤٨-٤٩^(١).

زاوية أبو الشامات

وتقع في دمشق - منطقة القنوات - وهي زاوية قريبة من باب الجابية، وقد دفن بها العلامة الشيخ محمود أبو الشامات.

مقام الشيخ محي الدين بن عربي

يقع المقام ضمن مسجد الشيخ محي الدين بن عربي في منطقة الصالحية بدمشق - منطقة شيخ محي الدين - يُنزل إلى الضريح بدرج لعمق حوالي ثلاثة أمتار تحت مستوى أرضيه المسجد، ويوجد بجانب المقام قبر الشيخ أمين الخربوطلي، كما أن الأمير عبد القادر الجزائري كان قد دفن بجواره حين وفاته بدمشق بعد أن نفي إليها من قبل السلطات الفرنسية عقب قيادته للثورة الجزائرية الأولى، وقد تم نقل رفاته فيما بعد من مقام الشيخ محي الدين إلى مدينة الجزائر بطائرة خاصة وبمساعي الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال وباحتفال وطني مهيب. ومحي الدين ابن عربي واحد من أشهر المتكلمين في الإسلام وهو محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو بكر الحانمي الطائي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ - ١١٦٥ - ١٢٤٠ م) ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى أشبيلية

(١) انظر مجلة المجمع العربي بدمشق المجلد (١٩)، ص ٤٣٤ - ٤٤١. ٥٦٥ وما بعدها. وفي الروضة البهية ص ١١٧٤ أن قبر معاوية في قصر الإمارة الخضراء وهو الذي تسميه العامة قبر هود.

وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ومصر يقول الذهبي عنه «كان قدوة القائلين بوحدة الوجود، له نحو أربعمئة كتاب ورسالة»، ومن أشهر كتبه: الفتوحات المكية، ومفاتيح الغيب، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار... الخ.^(١)

مقام الرفاعي - داريا

يقع المقام ضمن مقبرة داريا الكبرى وهو بالعقار رقم (٨٠) داريا القبليّة ومساحة المقبرة (٢٦١٣٠)م^٢. وقد استمكت لصالح أبنية التعليم ما مساحته (١٥.٠٠٠)م^٢، والمقام يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المقبرة على حدود المدرسة القائمة حالياً وفي النية تجديد هذا المقام حسب المخطط التنظيمي وضمن الاستملاك المقرر، والمقام عبارة عن غرفة مساحتها (١٦)م^٢ وفيها أربعة قبور واضحة معالمها. وقد تهدم أحد الجدران فيها بسبب أعمال الحفر والتوسيع للطريق المراد فتحه.

مقام وجامع أبو سليمان الديрани:

يقع المقام ضمن جامع الديрани وهو بالعقار رقم (٨٩٩) داريا القبليّة ومساحة للعقار (٥٨٩)م^٢ والذي كان عبارة عن مقبرة وقف المقام وفيها قبور خاصة حوالي (٥٠) قبراً وهم لآل البيرقدار والنقطة والخولاني وغيرهم وهي تشكل مساحة العقار مع المقام الذي تم توسيعه سنة (١٩٧٥) مجدداً وبني عليه قبة عالية مع مصلى صغير مساحة (١٢٠)م^٢ وفي هذه القبة قبور عدد ثلاثة كمايلي:

القبر الأول: كتب على اللوحة الحجرية مانصه:

(هذا قبر الإمام عبد الرحمن بن عطية العنسي من اليمن) والملقب بأبي سليمان الديрани، توفي سنة (٢١٥ هـ) رضي الله عنه.

القبر الثاني: كتب على اللوحة الحجرية مانصه:

(هذا قبر زوجة الإمام الشيخ عبد الرحمن بن عطية العنسي).

القبر الثالث: كتب على اللوحة الحجرية مانصه:

(هذا قبر أحمد بن أبي الحوراني).

وفي الجهة الجنوبية من المقام تم بناء مسجد واسع جداً منتهي من كافة الأعمال العمرانية وتبلغ مساحته مع الحدائق حوالي (٢٠٠)م^٢ تقريباً. وقد علمنا أن بناء هذا المسجد يعود إلى عام (١٩٧١).

(١) انظر ميزان الاعتدال ١٠٨/٣، نفع الطبيب ٤٠٤/١، دائرة المعارف الإسلامية ٢٣١/١.

مقام الشيخ محمد الشيباني:

يقع في بلدة الجديدة من محافظة ريف دمشق وهو في حالة جيدة، تم تجديده من قبل قيم المقام الشيخ ابراهيم الشعار الشيباني، له وقف بستان ودار عربي، يقع المقام ضمن البستان محاط بشجر الجوز والزيتون، عاش في القلمون وتوفي بوادي بردى ودفن حيث مقامه بعام ٦٢٥ هجرية. وكان عالماً زاهداً.

مقام السلطان أبي يزيد البسطامي

يقع في قرية قرحته بني على طريق مقبرة نجها وانه في حالة جيدة تم بناؤه من قبل أهل الخير ويزار للتبرك. وفي الاشارات ١٣٧ أنه يقع في قرية البجدلية.

قبة عبد الرحمن السجف

يقع هذا العقار بالمحضر رقم (١٩٨٢) المزة ويمر من جانبه الطريق (اوتوستراد) ويوجد طريق فرعي يؤدي إلى بساتين المزة وكفرسوسة، ويقابل هذا العقار من جهة الشرق مقام الصحابي عبد الرحمن بن عوف وعدد من القبور والقبة بحاجة ماسة للتجديد.

مقام طلحت بن الزبير

يقع المقام بدمشق - شارع بغداد - جانب مقبرة الدحداح - والمزار بحالة جيدة وعنده زاوية للصوفية.

جامع ومقام الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق:

يقع العقار في منطقة أبي جرش العقارية بالمحضر رقم (٣٤٦٢) بمساحة (١٤٤١) م^٢ وقد كان بالمحضر السابق رقم (١٣٠٠) لكن أثناء التنظيم في تلك المنطقة، جرى ابدال الرقم فقط وأصبح للمحافظة، والجامع يقع مقابل مقبرة الدحداح مباشرة ويدخل أولاً إلى الجامع من الطريق العام حيث الحرم المسقوف وفيه مقام الشيخ الكبير والصحابي الجليل سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) هذا ماكتب على التابوت الخشبي والمقام يشغل مساحة (٦) م^٢ علماً ويقع القبر في سرداب ينزل اليه بعمق (١٥٠) سم عن سطح الحرم وهو بالجهة الشمالية الغربية من حرم المسجد وفوق المقام سُدّة بنصف مساحة الحرم والمسجد تم بناؤه حديثاً وقد اضيفت له بعض الملحقات من جانبي الطريق العام وذلك لتوسيع الحرم.

وفيه توجد قبة أثرية قديمة خارج بناء الجامع وتستعمل من قبل جمعية التعاون الخيرية وفيها مكتب وغرفة ضمنها بعض القبور.

جامع ومقام الثقفي

يقع هذا العقار في منطقة باب توما (قصاع) موقعاً والمنطقة العقارية (عمارة أقصاب) بالمحضر رقم (٤٣٢) بمساحة (٤٤١.٦٠) م وهو عبارة عن جامع بناؤه من حجر فيه مقام الصحابي الجليل عثمان الثقفي، ويتألف الجامع من واجهة حجرية سوداء وبيضاء ذات زخارف ومعرضات بدیعة ويدخل إلى بهو فيه غرف بها ضريح الصحابي المذكور وغرفة بجانبه مخصصة للوضوء وحرم واسع له محراب جميل ومزخرف وفوقه آيات قرآنية بخط مملوكي وقد جدد المسجد عام ١٩٧٣م ويقال أن باني المسجد هو (خليل الطوغانى وكان رأس النوبة بدمشق في دار السعادة عام ٨١٥) هجرية.

مقام الشيخ ابراهيم (المزة)

يقع المقام ضمن العقار بالمحضر رقم (٧٤١) المزة البلد وضمن المنطقة القديمة في حارة الشيخ، وقد تم تجديد بناء الجدران حيث كانت من تراب وخشب وأصبحت اسمنت مسلح وبلوك والقبر من تراب عادي جداً، ولا يوجد أي لوحة تبين اسم صاحب القبر ولكن أهل الحي يقولون أنه الشيخ ابراهيم (عالم جليل وهو من الاولياء). وأيضاً جدد الباب حيث أصبح من حديد، وقيل أن أهل الحي سيقومون ببناء سقف للمقام ومساحة هذا العقار تبلغ (٥٠) م حسب القيد العقاري.

مقام الشيخ سعد

يقع مقام الشيخ سعد بالمزة والجادة التي يقع بها المقام مسماة باسمه (جادة الشيخ سعد) وهي جادة معروفة بالمزة وتحتوي عشرات المحلات التجارية، ويقال أن المقام يعود لأحد أحفاد الشيخ سعد.

مقام الشيخ ثابت - المزة

يقع هذا العقار بالمحضر رقم (١١) المزة البلد بمساحة (٦٠) م وضمن المنطقة القديمة على الطريق العام بناؤه من بلوك وأسمنت، لا توجد أي لوحة تبين اسم صاحب القبر، وقيل أنه عالم جليل من الأولياء.

مقام الشرفاء - المزة

يقع هذا العقار بالمحضر رقم (٦٩٤) المزة البلد بمساحة (١٦) متر مربع وضمن المنطقة القديمة في حارة الشرفاء وهو عبارة عن غرفة فيها قبر يدعى الشرفاء.

مقام الشيخ محمد أبو النور - كفرسوسة

يقع هذا العقار بالمحضر رقم (٨٧٧) كفرسوسة وهو عبارة عن مصلى ومقام بجانبه محراب

وبناؤه من تراب وخشب ويمر طريق عام من جانبه بحيث أنه قد أصبح هذا ضمن الطريق حالياً. وبمساحة (٦٠)م^٢.

مقام ومصلى الشيخ عبد الرحمن سراج

يقع العقار عند دوار وعقدة كفرسوسة بالمحضر رقم (٣٨٤) قنوات بساتين وبمساحة (٢٤٩)م^٢ حسب القيد العقاري، والواقع الحالي تبلغ مساحته (٢١٠)م^٢، والمصلى هو عبارة عن غرفة فيها غرفة ثانية لها قبة وتحتها قبر الشيخ سراج وبناء هذين العقارين من أسمنت مسلح وبلوك ويحتوي على محراب وشباك عاديان، وقد تم ملاحظة هذا العقار أثناء اجراء تخطيط وتنظيم منطقة كفرسوسة. ومنح العقار وجيبه لبناء جامع عليها باسم العلامة الشيخ عبد الكريم الرفاعي.

مقام الشيخ أحمد العسالي (القدم)

تم بناء العقار عام (١٠٤٥هـ) ويقع هذا العقار في منطقة القدم العسالي بالمحضر رقم (٦٣٦) قدم وبمساحة (٤٤٩٧)م^٢ على الطريق العام وخلف المقام سكة القطار وأوصاف المقام مايلي:
هو عبارة عن جامع بناؤه من حجر وطنين تراب له مدخل مسقوف وفسحة سماوية فيها أشجار وقبة في وسط الفسحة فيها قبور عدد (٧) وقبر الشيخ أحمد العسالي وتابوته من خشب ومغطى بثوب أخضر مطرز وفيها محراب حجري وفيه حجر كبير قيل أن عليه (علامة أو أثر قدم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم») لذلك سميت المنطقة باسم (القدم) تيمناً بأثر النبي (صلى الله عليه وسلم) والجامع مؤلف من سبعة غرف للسكن في صحن الجامع وفوقهم أربع غرف ومشرقة وكل هذه الغرف لهذا العقار مدون ضمن المباني التاريخية لمدينة دمشق بالقرار رقم (٢٠٧/٢٨) تاريخ ١٩٧٧/١١ الصادر عن وزارة الثقافة الارشاد القومي. وإن الشيخ أحمد الحريري العسالي - شيخ الطريقة الخلوية بالشام قد توفي عام (١٠٤٨هـ) وجانبه قبر الواقف والي دمشق كوجك أحمد باشا وقبور لبعض ذويه ومن الجدير بالذكر أننا سمعنا من المجاورين للسيدة رقية (عمارة جوانية) عن وجود خزانة بجانب الضريح فيها صخرة قيل أن عليها موضع قدم الرسول (ص).

مقام ابن عساكر

مؤرخ دمشق المشهور، ويقع في مدخل مقبرة باب الصغير في جانب المسلخ البلدي القديم، ضمن قبر مسور بسياج حديدي وفي وسطه ساحة صغيرة.

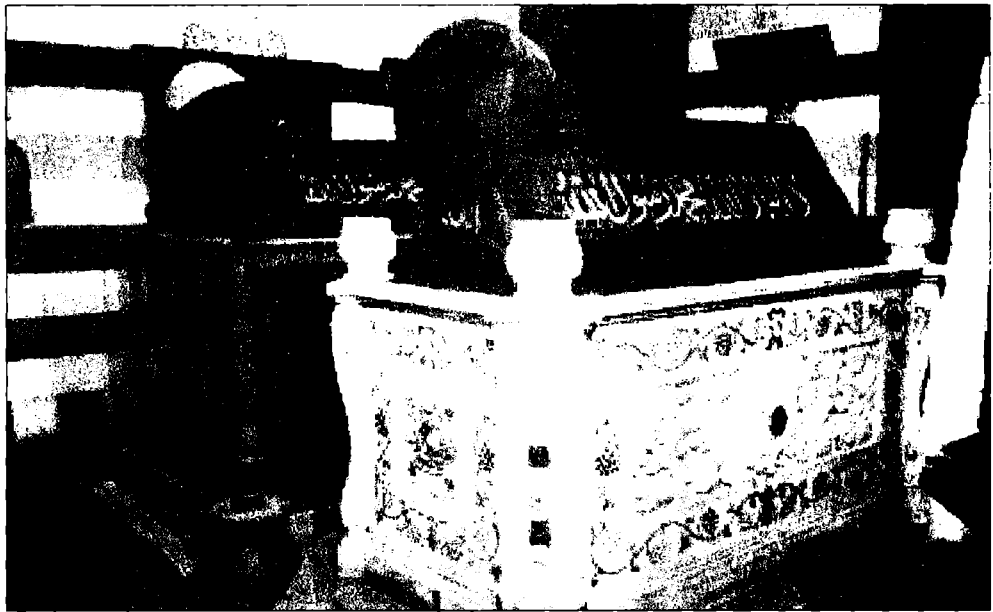
مقام الشيخ أبو البيان نبأ بن محمد محفوظ القرشي شيخ الطائفة البيانية المتوفي ٥٥١هـ: ويقع في مقبرة باب الصغير.

مقام أولاد عبد القادر الجيلاني

في مقبرة باب الصغير إلى جانب مقام الشيخ ابراهيم الغلاييني في العقار المرقم (١١٦٣) سوقية. وقد نقلت الرفاة من السوقية.



مقام رؤوس الشهداء - باب الصغير



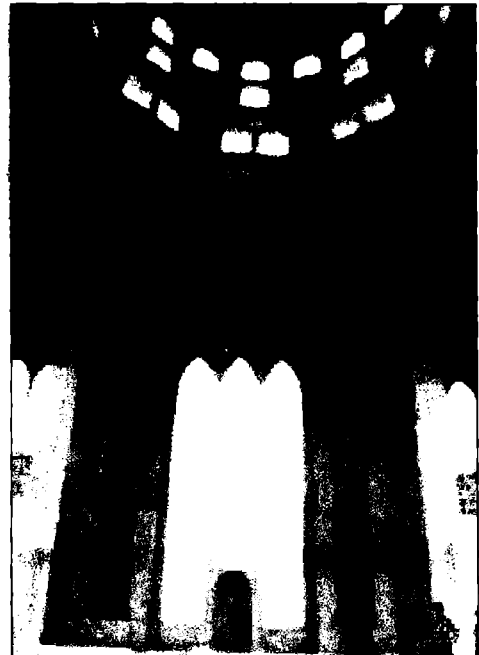
مقام صلاح الدين الأيوبي



مقام زين العابدين بجانب مقام رؤوس الشهداء - باب الصغير



مقام كعب الأحبار



مقام عمار بن ياسر

مقام الفارابي

الفيلسوف المعروف ومقامه في مقبرة باب الصغير بجانب مقام السيدة حفصة، ضمن العقار (شاغور، براني، محضر ٢٤٠)

مقام قاضي الحاجات

ويقع في مقبرة باب مصر في الميدان.

زاوية الشيخ أبو طوق

وتقع في ميدان وهي وقف إلى آل أبي طوق وتقام فيها الحضرات والذكر لله تعالى اسبوعياً، وهي مسجلة باسم زاوية الشيخ أبي الفلوس.

مقام المهدي لسيدينا عيسى (ع)

ويقع في منطقة الربوة بالقرب من مساكن آل الشعار ضمن مغارة أثرية.

جامع ومقام الشيخ موسى الرفاعي

ويقع في منطقة الأكراد (شمدين) جانب إدارة البريد في جادة ركن الدين.

جامع ومقام الشيخ حسن الراعي (حامي الحما)

ويقع في مدينة قطنا.

مقام ومسجد الشيخ سعد الدين الجبائي الشيباني

ويقع في بلدة (جبا) القريبة من مدينة القنيطرة والتي تبعد عن دمشق ٢٥٥ كم وفي العادة أن يزوره الناس للاستشفاء وخاصة مرضى الحالات النفسية.

مقام أبي مرثد الفنوي

ويقع بين بلدة السيدة زينب وحجيرة. وقيل اسمه حصين بن كناز من حصين (من قيس بن عيلان).

مقام مدرك بن زياد الغزاري

ومقامه في حجيرة قرب بلدة السيدة زينب وعند مسجد واسع مشيد حديثاً.

مقام أبي موسى الأشعري

ويقع في الفوطة الشرقية بين الحجيرة وبلدة السيدة زينب.

مقام خالد بن الوليد

ويقع في حمص، وقد دفن إلى جانبه ولده (سليمان) ويزار خاصة في الأعياد.

مقام حرملة بن الوليد

ويقال أنه شقيق خالد بن الوليد، ومقامه في بلدة جوبر ضمن مسجد حرملة.

قبر ضياء الدين

ضياء الدين بن أبي الحسن علي بن عقيل الشافعي امام مشهد زين العابدين.

قبر السلطان بيبرس

الظاهر بيبرس وقبره معروف بالمدرسة الظاهرية بجانب المكتبة الظاهرية المعروفة بدمشق.

مقام وزاوية أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:

يقع العقار في أول مدخل من منطقة القنوات من الجهة الغربية بالمنطقة العقارية قنوات جادة بالمحضر رقم ٢/ وبمساحة ٥٠/٣٥١م، والعقار عباره عن زارية قديمة بناؤها من حجر ولها صحن مفروش بالحجارة الرخامية الحمراء القديمة وفيها بركة ماء مربعة الشكل وليوان بالجهة الجنوبية جانب المقام وكان للمقام قبتان شرقية وغربية وقد تهدمت الآن ولم يبق غير المقام المكشوف وهو بحاجة إلى ترميم. علماً أن الزاوية كلها مشغلة من قبل (محلات لتصنيع الأحذية كمشغل لهم) وأوصاف القبر الحالية هي ضريح في منتصف الغرفة التي مساحتها (١٦) ٢م سماوية فيها شجرة تين مهملة والقبر عليه بعض الكتابات المشوهة وتوجد ثلاث لوحات حجرية مفككة ورخامية كتب عليها اسم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي وتاريخ التجديد للوحة. علماً أن شكل القبر على نمط قبور المماليك، وسيأتي لاحقاً التعريف المفصل بقبر عمر وسيرته (رض).

مقام وجامع سيدي خمار

يقع العقار في منطقة القنوات شارع خالد بن الوليد بين فوج الاطفاء والمطبعة الرسمية ضمن بناء حديث فيه محلات تجارية ومكاتب والجامع والمقام رقم (٧٠١) قنوات جادة بمساحة البناء كاملاً (٦٣١) ٢م وقد كان سابقاً ضمن مقبرة قديمة فيها المقام والآن سجل رفات الصحابي إلى الحرم الداخلي بالجامع واسم الصحابي حسب ماهو مدون في كتاب «ثمار المقاصد في تاريخ المساجد» (ذي الخمار الخشبي أو محمد ذو الخمار البخاشي).

جامع زيد بن ثابت الانصاري

يقع العقار في امتداد شارع خالد بن الوليد (موقف الضحامة) ضمن العقار رقم (٤٣٨) من المنطقة العقارية باب سريجة والعقار عبارة عن جامع بناؤه حديث من الحجر الممتاز. وكان الشيخ محمد سعيد كوكي - خطيب وامام المسجد قد أفاد بتاريخ ١٩٩٢/٨/١ بأنه لا يوجد في هذا المسجد ضريح أو مقام للصحابي (زيد بن ثابت الأنصاري) وأن ضريح هذا الصحابي موجود في المدينة المنورة ، حيث دفن في مقبرة البقيع.

أما سبب تسمية هذا المسجد باسمه فيقال أنه كان يعيش في الشام ويقوم بتعليم القرآن الكريم في هذا المكان الذي بني فيما بعد عليه مسجداً وسمي (تيمناً) باسم مسجد زيد بن ثابت الأنصاري.

زاوية الأسد

وتقع في زقاق الأسد بالصالحية ويوجد في هذه الزاوية ثلاث قبور لم يعرف أصحابها وكان عدد من رجال الدين يقومون بالنوبات فيها.

زاوية بني تغلب الشيباني

وتقع في طلعة التغالبة بالصالحية بدمشق، قرب محلات بوز الجدي المعروفة ويضم المقام قبور لكل من الشيخ عبد الكريم الشيباني، والشيخ عيسى التغلبي الشيباني وولده الشيخ علي التغلبي الشيباني، والشيخ رضا التغلبي (الذي بقي ٦٠ سنة إماماً للمسجد الأموي) وتوفي عن عمر (١١٧) سنة وقد دفن في هذه الزاوية.

- الشاعر المعروف بالأخطل الصغير (غياث بن غوث التغلبي)
- الشيخ أحمد التغلبي الشيباني، الذي كان يختص بخدمة (المحمل) لدى انطلاقه من منطقة القدم خارج دمشق، وهو الذي كان يطعم الجمل الذي يحمل المحمل إلى الحجاز (اللقمة المشهورة المؤلفة من اللوز والعسل).

- مؤرخ موسوعة الشام الجليل ومؤلف كتاب الروضتين (أبو شامة)
- الشيخ برهان الدين بن حسين التغلبي الشيباني - إمام مسجد الحنابلة في الصالحية لمدة (٤٠) سنة المتوفي عام ١٢٢٨ هـ.

- الشيخ يونس بن الشيخ عبد الكريم التغلبي.
- الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الكريم التغلبي.
- الشيخ محمد التغلبي الشيباني مواليد عام ١٨٨٣ هـ والمتوفي عام ١٩٨٠ م والذي تم إعادته رفاته إلى الزاوية من مقبرة الشيخ إبراهيم.
- الشيخ معروف التغلبي الشيباني.
- الشيخ محي الدين بن أحمد التغلبي.
- الشيخ درويش بن محمد التغلبي.
- الشيخ عبد الرحمن بن علي التغلبي.

مقام نبي الله ذي الكفل

تقع مقبرة نبي الله ذي الكفل والمقام في الصالحية - ذي الكفل والمنطقة باسم صاحب المقام (ذي الكفل) قال الصيادي الشافعي «قبر نبي الله ذي الكفل بن نبي الله أيوب في سفح قاسيون وقبره يزار وعليه بناء وعنده الجلالة والهيبة ما يحقق وجوده هناك.. «الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ص ٨٩». والمقام في حي الأكراد في الصالحية.

وحي الصالحية يتوسط الأحياء الشمالية الغربية في العاصمة دمشق التي تشتمل على أحياء الصالحية والأكراد والمهاجرين وهو من سكن هذا الحي لاجئون فلسطينيون يرأسهم كبير قرية حمايل (قرية في جبل نابلس بفلسطين باقون). وفقهها الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، ثم تتابعت الهجرة بعد ذلك ثم انهم اتخذوا مساكنهم في سفح قاسيون على مقربة من نهر يزيد فبنوا لهم داراً هناك دعيت بدير الحنابلة ثم شرعوا ببناء أول مدرسة في الجبل وهي المعروفة بالعمرية التي كانت في عزلة تامة عن المدينة ولم يكن آنذاك سوى دير مسيحي هو دير الحوراني وما يزال موضعه إلى اليوم يسمى بـ (حارة الدير). والمحقق لدينا بأن ذي الكفل هو (حزقيال) فإن قبره المشهور هو في بابل بمنطقة (الكفل) انظر كتابنا (النبي حزقيال: سيرته ومشهده في بابل) دمشق ١٩٨١، واعيد نشره في الموسم العددان الثاني والثالث من سنة ١٩٨٩.

دير الراهب بحيرا في بصرى

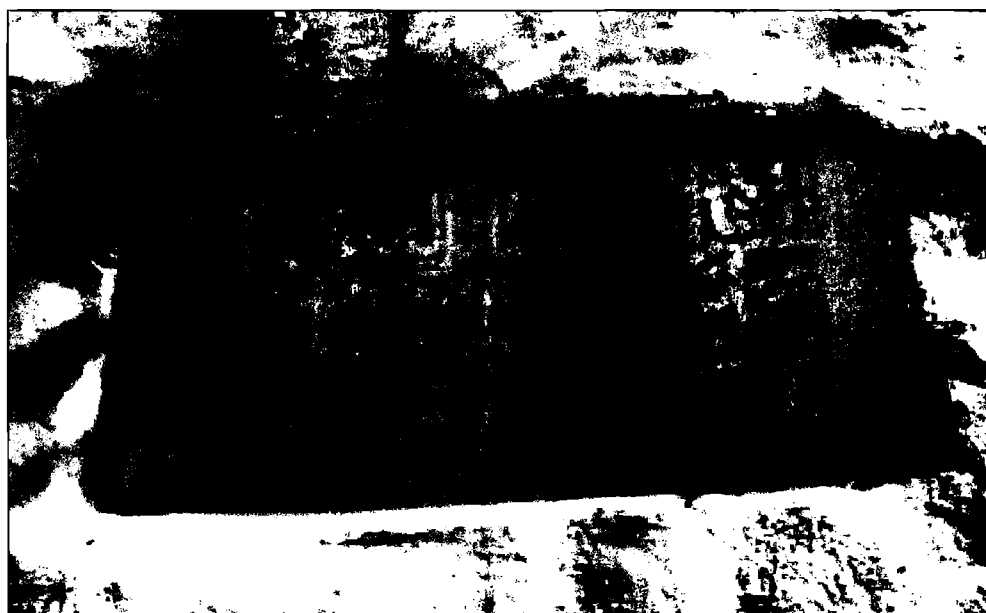
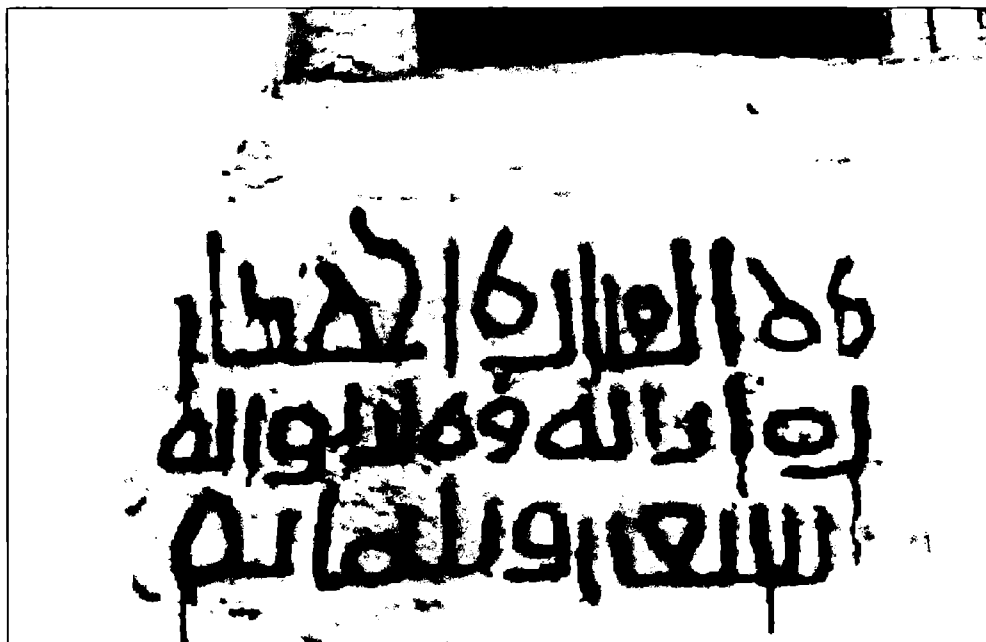
ويقع في بصرى من محافظة حوران في مكان يدعى «غار الراهب بحيرا» ويسكن في بصرى مجموعة من الإمامية يعتد بها. وبصرى من أقدم قرى حوران وأشهرها تطل على سهل خصب فسيح يحيط بها من كل جانب وتخرقه بعض الأودية المنحدرة من مرتفعات جبل العرب وهذه الأودية هي وادي الزبيدي، وادي الرقيق، وادي الزعتر، وادي العميق، ولقد حفرت في بصرى على مدى عصور مختلفة بضع برك للاستفادة من مياه الوديان الموسمية. وتضم القرية الآثار القبطية والآثار اليونانية وأبرزها القلعة التي تحوي المدرج الروماني المؤلف من ثلاث طوابق والتي تتسع لـ ١٤ ألف مشاهد والمدرج يستعمل للحفلات التي تقام سنوياً لمدة شهر. وتعد بصرى ١٤ ألف نسمة ترتبط بدرعا بخط حديدي أسس عام ١٩٠٨ بالإضافة إلى وسائل النقل الحديثة التي تصل بصرى بدمشق وبمركز المحافظة.

مقام ابن جمرة

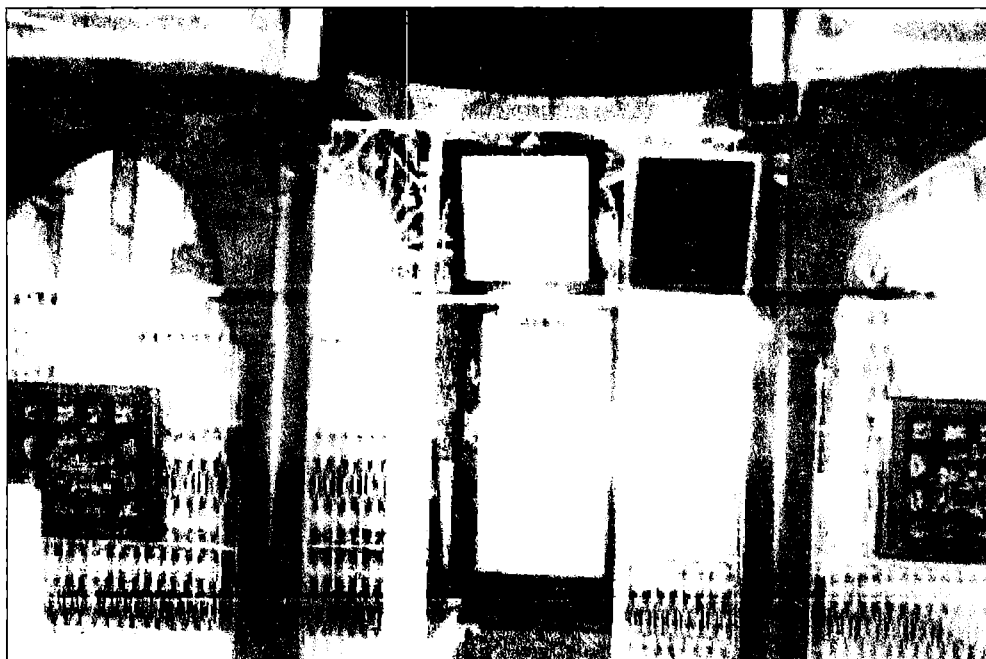
وابن جمرة أحد أحفاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويقع في حلب بالقرب من قلعتها وسوق الزرب، ولد صاحب المقام سنة ٥٥٥ هـ واستشهد سنة ٦٤٠ هـ خلال جهاده ضد الصليبيين، وقد شيد بناء المقام لأول مرة بأمر من الظاهر بيبرس سنة ٥٩٠ هـ.

مقام النبي زكريا

ويقع في داخل الجامع الكبير في حلب، وفي القسم الشمالي لحرايه في مقصورة من البناء، وفيها ضريح اقيم على تابوت خشبي مغطى بقماش خضراء.



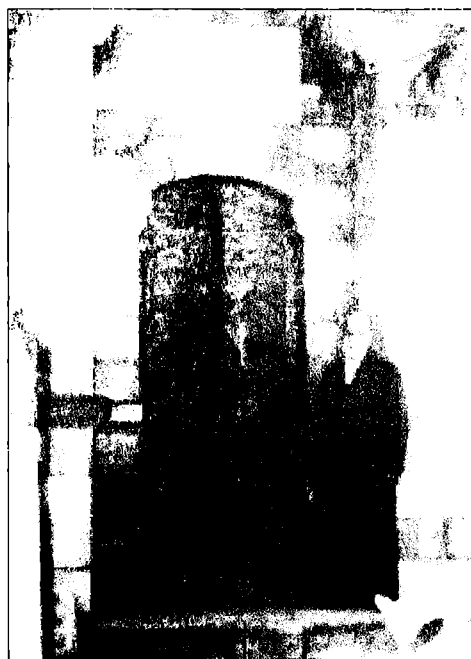
كتابات على شواهد قبور (حمص)



مقام السيدة زينب (ع) - صورة من أربعينات القرن العشرين



مقام معاوية بن يزيد بن معاوية



بوابة مقام رؤوس الشهداء - مقبرة باب الصغير



أحد أروقة مقام السيدة زينب (ع)



مقام عبدالله بن جعفر الطيار



مقام بلال الحبشي

قبر السهروردي

وهو الحكيم يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المولود سنة ٥٤٩ هـ في مدينة سهرورد حالياً تتبع محافظة زنجان في إيران).

قتل سنة ٥٨٧ هـ، ومقبرته داخل جامع السهروردي شمال غرب ساحة باب الضرح في حلب.

قبر ابن شهر آشوب

ويقع على بُعد عشرين متراً جنوب مشهد الإمام الحسين بحلب ومساحة المقبرة نحو ٢٥ متراً مربعاً، وابن شهر آشوب أحد كبار علماء الشيعة في عصره وهو صاحب كتاب (المناقب) وفي مقبرته جمع من قبور علماء آل زهرة السادة العلماء الاجلاء في حلب وعليها شواهد تاريخية قيمة بحاجة إلى العناية بها وتمتد مقبرة بني زهرة القريبة من قبر ابن شهر آشوب لتشمل رفاة جمهرة من اعلام الدين والأدب ومن هؤلاء: ابن الصلاح الحلبي، وأحمد بن حسين الاسحاقى، وبهاء الدين بن زهرة الحلبي، والشاعر ابن منير الطرابلسي، وأبو المكارم حمزة بن زهرة الحلبي صاحب كتاب غنية النزوع المتوفى ٥٨٥ هـ.

جامع مبرك الناقة في بصرى

ويسمى أيضاً (جامع المبرك) ويقع في بصرى على بعد نحو ٣٠٠ م من كنيسة الراهب بحيرا الذي قابل رسول الله (ص)، ويقال بأن ناقة الرسول (ص) قد بركت في هذا المحل وسمى (مبرك الناقة) نسبة إلى ذلك.

زاوية عرودك،

وتقع في جادة عرودك صالحية دمشق وفيها مقام (أبو بكر العرودكي) شيخ إحدى الطرق الصوفية. وتقام فيها كل يوم اثنين ثوبه وذكر الله تعالى يحضرها جمع غفير من المريدين. قال ابن الحوراني / ١٠٨ «من أهل المحبة والتوحيد، عظيم الشأن، قبره ظاهر يزار وتبرك به».

مقام القبيسي،

ويقع هذا المقام في طلعت زقاق المحكمة بالصالحية - قرب بيت المطعم ويحتوي على قبرين لصالحين من عباد الله، ومقام القبيسي موجود بين منزل آل البيرقदार ومنزل السيد حسن.

مقام الأولياء (١) :

أوجادة الأولياء وفي المقام عدد من قبور أولياء الله، وهذه الجادة مدخلها من جادة بئر التوتة وظاهر القبور ووجود المقام والتحويلة يدل على أنها قبور أولياء فعلاً.

مقام الأولياء (٢) :

يوجد في جادة بين المدارس بالصالحية وضمن مدرسة المرحوم حسن المدرع، قبور عدد من لأولياء.

مقبرة العصافيري :

توجد مقبرة العصافيري - بالصالحية وتحوي أضرحة اولاد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

مقام الشيخ عيسى :

يوجد مقام الولي الشيخ عيسى في زقاق المحكمة بالصالحية وهو قريب الشيخ محمد خادم رجال الأربعين (رحمه الله).

مقام الشيخ عبيد :

ويقع مقام الشيخ عبيد ضمن مشتل الربوة جانب جسر تشرين التابع لمحافظة دمشق وصفته الدينية (ولي الله) الشيخ عبيد.

مقام ابراهيم الدسوقي :

ويقع في دمشق - شارع البدوي (شاغور) ضمن مقام الشيخ أحمد البدوي وزاويته.

زاوية الشيخ محمد التغلبي الشيباني :

تقع هذه الزاوية في قرية حلبون باسم (زاوية الشيخ محمد التغلبي الشيباني) ولهذه الزاوية وقفه أرض. وضريح هذا الشيخ في جديدة الشيباني.

زاوية الشيخ بكر :

وتقع زاوية وقبر الشيخ في قرية دمر القريبة من دمشق.

مقام الأكراد الأيوبية :

وتقع في حي الأكراد بدمشق ضمن مقبرة الأكراد والبناء من التراب والخشب القديم.

مقام الشيخ شمعون :

كان مقام هذا الشيخ في بستان بمنطقة الشاغور وتم نقل رفات الشيخ شمعون إلى مقبرة باب الصغير وثبت فيها.

مقام أبو الفضل الشيباني الموصلية:

كان مقام هذا الشيخ في منطقة باب مصلى - شارع ابن عساكر، ولكن تم نقل رفاتة إلى مقبرة باب الصغير أيضاً وثبت فيها.

مقام الشهداء:

يقع ضمن مسجد الشهداء، بدمشق - صالحيه - وهو مسجد من النوع القديم يعلو عدة درجات عن الطريق العام.

مقام الشيخ عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)

يقع المقام والضريح ضمن المسجد المسمى باسمه بالقرب من مقام ومسجد الشيخ محي الدين بن عربي، بدمشق - صالحيه - منطقة (الشيخ محي الدين) وتقام في المسجد مساء كل جمعة (الأذكار) والحضرة ويوزع بعض المحسنين بهذه المناسبة المواد الغذائية والساكر على الفقراء والمعوزين. وقيل بأن أحد السلاطين العثمانيين قد جلب الحاجز الخشبي الذي كان على الحجرة النبوية الشريفة في المدينة المنورة إلى مقام الشيخ عبد الغني النابلسي. (انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ / ٢٧١ - ٢٧٣)

ضريح أويس القرني

يدخل إلى مقبرة باب الصغير من الباب الغربي عن طريق الميدان مقابل جامع الصابونية، هو بالمحضر رقم (٢٤٠) شاغور براني، يقع الضريح مقابل الباب المذكور ويشغل مساحة (٢٠)م وجد بجانب الضريح من الداخل قبور لآل شعيب وحول الضريح من الخارج قبور لعامة الناس والمعروف أن قبره في الرقة حيث استشهد هناك مع جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكرناه في موضعه في كتابنا هذا «معالم الشام وأعلامها».

ضريح محمد بن عبد الله (ابن القيم الجوزية)

يدخل إلى مقبرة باب الصغير من الباب الغربي مقابل جامع الصابونية - بالمحضر رقم (٢٤٣) شاغور براني. يقع الضريح عند مدخل الباب مباشرة من الجهة الشمالية ويشغل مساحة (٧٠)م وقد حول الضريح منذ فترة قريبة إلى قبرين نقل لأحدهما رفات زوجة إحدى أفراد آل البكري.

قبر فتیان الأسدي

وهو الأديب العالم فتیان بن علي الأسدي الشاغوري نسبة إلى بلاد الشاغور التي تشتمل على عدة قرى بين عكا وطبريا توفي بدمشق سنة ٦١٥ هـ ودفن في تربة الباب الصغير.

ضريح الشيخ محمد البهلول:

يدخل إليه من الطريق العام مقابل جامع الصابونية مباشرة من الجهة الشرقية وفوق الباب لوحة حجرية مذكور عليها اسم الشيخ وهو بالمحضر رقم (٢٣٩) شاغور براني يشغل مساحة (٧٢)م تقريباً وهو عبارة عن مدفن فيه ضريح الشيخ المذكور وقبور لآل الدسوقي والخياط وملص.

مقام الجراح وعثمان الحسيني:

يدخل إلى المقبرة عن طريق الجراح مقابل الجامع الأثري القديم (الجراح) وهي تقع بالمحضر رقم (١٤٥) شاغور براني تحتوي هذه المقبرة على قبرين وتوجد لوحة حجرية فوق الباب كتب عليها (مرقد السيد الجراح والسيد عثمان الحسيني).

مقام الشيخ محمد أبو شعر ومقبرته:

يدخل إلى المقبرة عن طريق الجراح بعد المدخل الشمالي للمقبرة الأولى ويقع المقام والمقبرة على العقار رقم (١٧٥) شاغور براني. وهي بمساحة (٧٧٠)م بضمنها قبر الشيخ محمد أبو شعر والشيخ تقي الدين أبو شعر وعائلتهم. وقد جرى تجديد وترميم المقبرة حديثاً.

جامع ومقام الشيخ بدر الدين الحسيني:

يقع المقام ضمن الجامع المذكور اعلاه بالمحضر رقم (١١٦٤) موقف بين مقبرة الشاغور وبين مقبرة باب الصغير الكبرى (ستي فاطمة) هذا المقام ضمن الحرم وبجانبه قبران أحدهما لابنه الشيخ تاج الدين الحسيني الذي كان يشغل منصب رئيس الجمهورية السورية (في حينه).

قبر محمد اليماني

وهو منسوب إلى محمد بن أبي حذيفة اليماني. وقد رأيت في طريقي إلى الأردن على طريق درعا. ويقع في قرية عالقين التي تبعد نحو ٣٠ كم جنوب دمشق على يسار الذهاب إلى درعا. كان مبعوثاً مع محمد بن أبي بكر إلى مصر من قبل الإمام علي عليه السلام حيث تولى محمد بن أبي بكر ولاية مصر، وتولى محمد بن أبي حذيفة خراجها ولما استولى الأمويون على مصر قتلوا محمد بن أبي بكر وسبق محمد بن أبي حذيفة إلى دمشق ليرى منه معاوية رأيه، فسُجن، ثم فر من سجنه وطارده الجند فقتلوه في موضع قبره (المنسوب إليه) حيث مكانه في «عالقين».

مقام أبان بن عثمان

يقع المقام ضمن مقبرة باب الصغير (ستي فاطمة) بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة بالجهة الجنوبية من منتصف المقبرة، وهو عبارة عن قبة بضمنها القبر، وقد جرى كسر الباب وبعض أحجار المقام الأثري وهي بحاجة إلى ترميم لإعادتها كما كانت. وقيل أن المشرفين على مقامات أهل البيت قد أبدلوا الباب حفاظاً على المقام كذلك النوافذ والقبة القديمة بحالة وسط من البناء.

مقام عبد الله ابن مكتوم (مؤذن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم).

يقع المقام ضمن مقبرة باب الصغير (ستي فاطمة) بالمحضر رقم (١١٦٣) سويقة بالجهة الشرقية على الطريق مقابل مرآب مؤسسة الفيحة بجانب المظلة، وهو عبارة عن غرفة بضمنها قبر عبد الله بن مكتوم والقبر عادي ويقع بجانب الغرفة التي فيها القبر غرفة بدون سقف فيها قبران أحدهما للشيخ زين العابدين التونسي. وقبر العارف بالله علي بن عثمان المفدى.

مقام سهل ابن الحنظلية الانصاري

يقع في مقبرة باب الصغير (وهو سهل بن الربيع بن عمرو) وتوفي بالشام أول حكم معاوية.

مدفن الشيخ ابراهيم الغلاييني

يقع هذا المدفن (محضر ١١٦٣) سويقة) ضمن مقبرة باب الصغير (ستي فاطمة) ويدخل إليه من الطريق العام من باب حديدي إلى فسحة سماوية فيها قبر الشيخ عبد الكريم الأوي والشيخ ابراهيم الغلاييني والشيخ مصطفى السباعي والشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ محمد الخطيب والمرحوم أبو رشيد وغيرهم، وهذا المدفن بحالة جيدة، .

زاوية ومقام الشيخ أحمد البدوي

يقع العقار في منطقة الشاغور البراني - طريق البدوي بالعقار رقم (٢٢٤) شاغور براني، وهو بمساحة حالياً (٢٦٠)م والزاوية عبارة عن غرفة واسعة مسقوفة، وفي منتصفها قوسان حجريان محمولان على عمود حجري، وفي صدر الزاوية ضريحين للشيخ أحمد البدوي والشيخ بهاء الدين الرفاعي، وله واجهة حجرية قديمة عليها بعض الكتابات وشباك على الطريق العام جانب باب الزاوية.

مقام وجامع الشيخ أحمد السروجي

يقع هذا العقار قرب باب الشاغور بين مفرق الفراونة والمزاز وهو بالمحضر رقم (٣٥٩) شاغور براني، يدخل إلى المقام من باب بجانبه شباك مطل على مقام الشيخ أحمد السروجي والمقام محاط بسور خشبي يحفظه. وخلف السور هذا حرم الجامع الذي له مدخل جانب مدخل المقام وبه محراب مدهون وموضاً وفسحة سماوية فيها مرحاض وغرفة صغيرة، وللجامع سدة قرب سور المقام والجامع جيد البناء.

مقام وجامع الشيخ رسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري

المعروف بالدمشقي المتوفي عام (٥٤٠) هجرية.

كان من الزهاد العباد، يقع العقار في المحضر (٩٢٩) باب توما وهو خلف المقبرة، وعند مفرق عقدة الشيخ رسلان، والجامع عبارة عن ثلاث أقسام:

القسم الأول: يتألف من مسجد كبير تمت إشادته حديثاً.

القسم الثاني: أثرية قديمة وتسمى تربة الأمير حسن (انثأ من الأمير بدر الدين حسن سنة ٨١٤) هـ، وهي مستعملة كمقر للجنة مقامات أضرحة الصحابة وبناء المساجد.

القسم الثالث: يتألف من حرم مسقوف واسع وغرفة فيها قبة تحتها ضريح الشيخ رسلان وضريح الشيخ أحمد بن محمد بن غنيم الحارون من علماء دمشق (١٣١٥ - ١٣٨٢ هـ)، وبين الحرم وقبة الضريح ممر به قبر (الشيخ الزفرور) يوجد خلف قبة المقام المقبرة الكبرى، زرنه يوم الجمعة ٣ شباط ٢٠٠٧ م.

وممن دفن في نفس التربة: خادمه: الشيخ أبو المجد، والشيخ عبد العزيز السندي والشيخ نجم الدين بن إسرائيل، قاله في الاشارات / ٨٨.

مقام الشيخ صالح بن عبد القادر الجيلاني:

عبارة عن دار مؤجرة للسيد إبراهيم بغدادي (خادم جامع المولوية) تقع الدار بالعقار رقم (٩٢٧) باب توما يدخل إلى الدار من طريق باب نرقى إلى جادة بالجهة الشرقية تسمى جادة الأعاطلة، الدار بناؤها من لبن وخشب وتراب ويقع المقام ضمن مساحة الدار الخلفية بغرفة بسيطة بناؤها من تراب وخشب، وضريح الشيخ في وسط الأخرى وعند باب الغرفة قبرين: الأول مجهول بناؤه من لبن والثاني: الشيخ محمد عبد المعطي بن الشيخ ياسين المتوفي عام ١٣٢٠ هـ وقد دفن أيضاً ولده حسين عبد المعطي سنة (١٣٥٠) هـ وفيها قبر الشيخ ضبيان، وقد قيل أنه نقل رفات الشيخ من مكان آخر، وتقع غرفة المقام قرب ضفة النهر.

مقام الشيخ عثمان

يقع هذا المقام بقرية برزة شمال مدينة دمشق وهو بالعقار رقم (٢٨٦٥) برزة بالبلد جادة الطلاحون وبمساحة (٢٥) م وبناؤه من لبن وخشب وله باب صغير وشباك يطل على المقام عبارة عن غرفة مسقوفة ويقوم بعض أهالي الحي بخدمة المقام.

زاوية ومقام الشيخ محمد الرحبي - المزة:

يقع العقار في منطقة المزة البلد القديمة وهو بالعقار رقم (٩٠١) المزة عبارة عن زاوية كانت تستعمل للعبادة ولها واجهة حجرية قديمة أخذت في الانقراض بسبب الإهمال الواقع عليها وهي بمساحة (٢٤٢) م حسب القيد العقاري ولوحظ وجود سكان في تلك الزاوية وهي مقسمة إلى قسمين: الأول: يقيم فيه السيد صبحي تباب وأولاده.

الثاني: رجل وزوجته.

مقام الزهراء في النبك

مقام فاطمة الزهراء عليها السلام ويقع في مدينة النبك (بين حمص ودمشق) زاره النابلسي وذكره في رحلته الحقيقة والمجاز/ ١٠٢.

مشهد الإمام علي في حلب

أولاهما: عند باب الجنان، الذي جدد قانسوه الغوري سنة ٩٢٠هـ، والمشهد ملاصق للباب، شيد سنة ٥٢٢هـ، بعد رؤيا كانت فيها كرامة للإمام عليه السلام، وكان المكان الذي شيد فيه المشهد تفوح منه رائحة المسك ويتطيب به الناس، هدم سنة ١٣١٠هـ - ١٨٩١م وزالت آثاره. أما ثانيهما: ففي مسجد غوث داخل باب العراق، شيد أتابك زنكي لرؤيا أخرى دلت على بركات الإمام عليه السلام، وكان في موضعه حجر عليه كتابه ذكروا أنه خط علي بن أبي طالب (الزيارات للهروي/ع) يتبرك به وقد شيد ذلك سنة ٥٣٦هـ، وجده الملك الظاهر كما يظهر من الكتابة التي حفظ صورتها لنا أرنست هرزفيلد إذ جاء فيها «جدد هذا المسجد في أيام مولانا الملك الظاهر خلد الله ملكه بتولي الفقير إلى رحمة الله الحاج حسين بن ابراهيم رحمه الله» وقد هدم المشهد في أواخر العهد العثماني سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣م وشيد محله دار الحكومة.

مشهد الإمام عليه السلام خارج حلب

وفي خارج حلب مشهذان منسوبان له عليه السلام أولاهما: في قربيا بمحلة الضوضو بين مدينة حلب وقرية النيرب بناه عماد الدين آق سنقر، قسيم الدولة، صاحب حلب، وما يزال قائلاً للعيان. وثانيهما: على الشاطئ الغربي لنهر قويق، الذي هو نهر حلب ويعرف بمشهد علي عليه السلام.

مشاهد حماه

جامع الحسين

وقد يسمى جامع الحسين حيث يروى أن الرأس الشريف قد وضع فيه أثناء موكب السبايا، ويقع الجامع بين حي الباشورة والمدينة، تحت القلعة من الجنوب مما يلي خندقها، بالقرب من باب العدة قديماً. وورد في وصف الجامع بأنه يتألف من صحن مركزي ورواقين من الشرق والشمال وحرَم في الجنوب، يقوم الحرم على إستطالته، مؤلفاً ثلاث بلاطات، تعلو إثنين منهما قبتان كبيرتان حجماً، ومختلفتان شكلاً وفي الجانب الغربي قبوان معقودان. وقوام القبة الشرقية منهما هيكل من الضلوع، ارتكزت على قاعدة مربعة، وكُسيت من فوقها بالبناء وسقفت من الأعلى بالقرميد.

أما القبة الغربية أمام المحراب، وهي الأكثر قدماً، فإنها أقيمت على قاعدة مربعة، ذات أكتاف

بالجانبين على شكل قوسين. وتتصل القاعدة برقبة القبة المستديرة بمقرنصات مقوسة وهندسية وفي وجهتها الشمالية باب واحد. وأما الجانب الغربي من الحرم سقف على شكل قوسين متقاطعين. ويوجد على الجامع ثلاثة كتابات أثرية.

١ - الكتابة الأولى فوق المدخل الرئيسي للمسجد، وهي مكتوبة بخط كوفي بارز نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بعمارة هذا المسجد المبارك بعد هدمه في الزلزلة الجارية سنة إثنين وخمسين وخمسة مائة مولانا الملك العادل المجاهد نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي».

٢ - الكتابة الثانية بالخط النسخي تقابل الكتابة الأولى في الجانب الشمالي من المدخل الخارجي على لوح رخامي، نصها: «جدد المشهد الشهير برأس الحسين الشهير نزهة أبصار أحمد أغا المعروف بابن الشرايدار منشئ الخير من سلالة أنصار ١٠٢٣/هـ».

٣ - الكتابة الثالثة في وجهة القبة الشرقية ظاهر الحرم ونصها: «أنشأ هذه القبة المباركة الفقير إلى الله تعالى محمود بن الحكيم الراجي عفو ربه بتاريخ سنة خمسة وأربعين وثمانمائة»^(١). وقد جاء في رحلة عبد الغني النابلسي أثناء زيارته لحماه مايلي: «زرنا في الطريق مكاناً عليه قبة لطيفة في أرض هناك سهلة، يقال أن تحت تلك القبة رأس الحسن والحسين»^(٢).

مقام زين العابدين

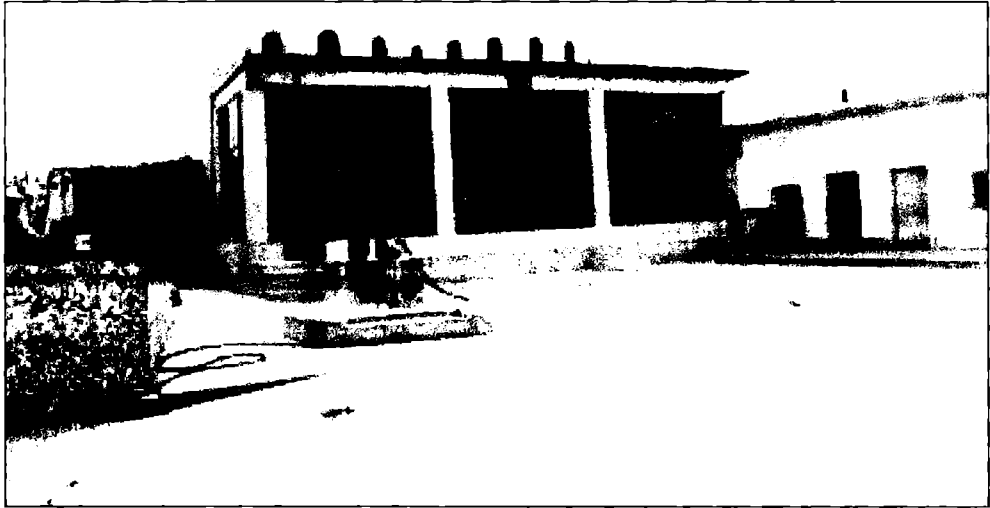
وعلى الجبل الشمالي - أحد الجبلين المعروفين بقرون حماة^(٣) - يوجد مقام زين العابدين (عليه السلام) يتقدمه رواق، وتحيط به غرف لإيواء الزوار، ويتألف بناؤه من فنانين يتصلان معاً، مبنيان بحجارة كلسية، تعلوهما قبتان من حطة واحدة بنيتا من القرميد وارتكزتا على زوايا ركنية والقبة الغربية أكبر حجماً من الشرقية، وكلاهما ذات عنق وشمسيات على المحيط، وتتقدم القبتين باحة مكشوفة مرصوفة ببلاط بازلتي. تحتوي على ثلاثة خزانات للماء مع سبيلين كبيرين أيضاً.

وللمقام مدخلان يطلان على الباحة، الرئيسي منهما على اليمين من الغرب، تعلوه قنطرة كبيرة، من تحتها مصطبتان على الجانبين للجلوس بارتفاع نصف متر، ذات طراز مملوكي متأخر، وفوق الباب ساكف من حجر كلسي كبير برز فيه سطران ينصان على تاريخ البناء واسم الباني «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة المسجد المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر

(١) الحقيقة والمجاز ص ١٦٣، نقلاً عن هاشم عثمان: مشاهد ومزارات آل البيت ٩٢.

(٢) الشيخ أحمد الصابوني - تاريخ حماة ص ١٨٥ .

(٣) قرون حماة ثلثان متقابلتان، جبل يشرف عليها ونهرها العاصي - ياقوت الحموي . معجم البلدان.



مزار زين العابدين (ع) - حمّاه



الطريحي مع جمع من المؤمنين - حمّاه

قايتباي خَلَدَ الله تعالى ملكه على الأبد، بزمان صاين الدين إبراهيم القيتباني أحد الأمراء في حلب سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة.

وكان الملك الأشرف قايتباي عندما زار حماة سنة ٨٨٢ هـ - ١٤٧٧ م. رسم بألف دينار لعمارة مقام السيد زين العابدين والد السيدة نفيسة بالقرب من حماة على يد إبراهيم بن القيشاني أحد أمراء حلب^(١). ويأعلى الساكف كتابة أخرى ضمن خاتم دائري نصها: «أبو النصر قايتباي عز مولانا السلطان الملك الأشرف، عز نصره». ويعلو الختم رمز بارز للإمام على شكل منجرة من حجر بازليتي يتدلى من تحت سقف قنطرة المدخل وعلى يمين المدخل كتابة أخرى تنص: «رحمة الله على الساعي بتكليس هذا المقام المبارك وعلى والديه آمين». والمقام قسمان:

الغربي منهما على شكل حرم بوجهته الجنوبية محراب للصلاة تزينه زخارف تتألف من مثلثات طولانية ثمانية. ويجانبني المحراب كتيبتان صغيرتان يماثلهما في الوجهة الشمالية المقابلة على طرفي المدخل، ويستر الوجهات قماش أخضر وأحمر، وفي الوجهة الشرقية كتب: «سعى في إيوان الشمالي الأمير كنعان بن عساف المدرج».

أما القسم الشرقي فهو يضم قبراً محدثاً بالوسط مستور الجوانب ببلاط حديث من الأسمنت ومسجى بقمماش أخضر.

جرت على المقام بعض الإصلاحات في عام ٩٨٥ هـ، حيث جرت عمارة الباب البراني، مع ترميم حائط الحوش القبلي، وعمارة حائط الشرقي من جديد، والشمال والحوش الغربي وتكليس الرواق البراني داخلاً وخارجاً، وتكليس قبة المسجد من الداخل، وترميم قبة المقام، وتحجير أرض المسجد والرواق وتلييس سطوح الإسطبل مع ثلاث خشبات جديدة، وتكليس الأبواب الثلاثة المعدة لجمع ماء المطر، مع دبش أرضيتهم وتكليس المصنع الفوقاني، ودبش أرضيته^(٢).

أوقف بعض أثرياء حماة لهذا المقام العديد من الأوقاف الشرعية منها ثمان فدادين بقرية كضر حين ضاحية حماة من الجنوب الغربي جرى استئجارها من قبل الحاج جعفر بن عبد الله بن محمد جرجومة. وكان يصرف من غلة الوقف لبعض سدنة المقام وهما الشيخان محمود وعلوان ولدا خليل ولطعام الواردين وفرش المقام بالحصر وتنويره.

ورد ذكر مقام الحسين وزين العابدين (عليه السلام) في القصيدة القسطونية التي نظمها، المرحوم نوري باشا الكيلاني، وتحدث فيها عن الترب والمقامات بحماة، ومطلعها:

دار السعادة هذه وحماها	فالدار أين غدت وأين حماها
ويتاج فخري من له ختم العبا	عن جده أسنى الخلائق جاها

(١) القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف ص ٢٧٨.

(٢) الاستاذ كامل شحادة - الترب ومقامات الزيارة في حماة - الحوليات الأثرية المجلد (٢٥) عام ١٩٧٥، ص ١٦٢.

أعني الحسين وذاك موضع رأسه
قسماً لحتى الآن مسك عابق
ومقام زين العابدين وقد غدا
وللشاعر الشيخ عبد اللطيف ابراهيم هذه الأبيات التي أهداها إلى هذا المقام الذي يسميه
(تشريفة الإمام زين العابدين).

ياسمياً لجده ابن ابي طالب
نسباً من محمد وعلي
لك في القلب منزل علوى
وبأبائك العظام وأبنائك
وابن الحسين ثاني بنيه
شرفاً تفخر العروبة فيه
خيرة الاصفياء من ساكنيه
أرجو بلوغ ما ارتجيه

حمص

يكثر الإمامية في عدد من قرى حمص، وتعود أصولهم إلى حلب وقد هاجروا بعد عصر
الاضطهاد الذي تعرضوا له بعد افول شمس الدولة الحمدانية، ومن هذه القرى، المخرم الفوقاني،
أم العمدة، أم التين، أبو دالي، مريغان، تل أعز، أم السرح الجنوبي، أم السرح الشمالي، أم جامع، باب
الهوى، دوير الغري، دوير الشرقي، جب الجرج، المسعودية، خلفه، أبو خلفه الشمالي، أبو خلفه
الجنوبي، العثمانية، البويضة، نوى، السنكري الشمالي، السنكري الجنوبي، أبو خشبة، الحراكي،
تل شنان، مكسر الحصان.

وفي مدينة حمص، للإمامية عدة مساجد منها مسجد الزهراء الذي أرخه الشيخ عبد
اللطيف ابراهيم بقوله:

رفعت قواعد مسجد الزهراء
تقضى به الصلوات في أوقاتها
لازال يعمر بالعبادة والتقوى
وبناؤه الزاكي يؤرخ دائماً
للمؤمنين على هدى وولاء
مزدانة بتلاوة ودعاء
عبر العصور بلاونى ورياء
تزكو الصلاة بمسجد الزهراء

١٣٩٤

وللشاعر نفسه في تاريخ مأذنة جامع الإمام الصادق عليه السلام بحمص على نفقة السيد
توفيق حبيب (من قرية طرير):

لله مأذنة للجامع ارتفعت
لما اطلت على الارحاء زاهية
يدعو مؤذنها لله من عبدا
ارخت «شيدت بتوفيق الحبيب هدى»

١٣٨٥ هـ

وله أيضاً مؤرخاً مسجد الإمام الصادق عليه السلام في قرية دير حباش وذلك سنة ١٣٨٦ هـ:

ومسجد يعزى إلى جعفر	الصادق المصدق الأطهر
بناه أهل البر أهل التقى	وجاهدوا في العمل المثمر
لكي ينالوا الفوز من ربهم	في الحشر يوم الفزع الأكبر
ولسعدوا فيما بنوه وفي	تاريخه «حازوا رضى جعفر»

ومن مشاهد حمص:

مشهد الإمام عليه السلام وفيه عمود يرى فيه موضع أصبعه.

وبها مقام جعفر الطيار بمحلة باب الدريب.

وقبور لأولاد جعفر الطيار، وقبر قنبر خادم أمير المؤمنين عليه السلام وقيل قنبر قتله الحجاج

وابنه وميثماً الثمار بالكوفة، ومشهد أبي الدرداء وأبي ذو وثوبان^(١).

قال ابن بطوطة: ويخرج (حمص) قبر خالد بن الوليد وعليه زاوية ومسجد، وعلى القبر

كسوة سوداء.

مزارات اللادقية

مزار بني هاشم شرق بلدة القرداحة، ومقام الغيداق من أعمام النبي (ص) وهو قرب قرية

جوبة برغال، ومقام جعفر الطيار على قمة جبل ظاهرة على طريق اللادقية - البسيط.

مشاهد بالس

وهذه البلدة من توابع منبج فيها:

مشهد الإمام علي عليه السلام على جبل الخزام، ومشهد الطرح، وينسب للحسن ابن الإمام

عليه السلام، ومشهد الحجر الذي يقال إنه وضع عليه رأس الحسين عليه السلام، ذكر الأمير

مزيد الأسدي بالس في شعر فقال:

ولما قطعنا جسر بالس عرجت صدور ركابي نحوها غير محجم

نصيبين

وفي نصيبين مشهد كف الإمام علي في مسجد باب الروم، ومشهد زين العابدين، ومشهد

رأس الحسين في سوق النشابين، ومسجد النقطة، يقال إنه نطق من دم الرأس الشريف نقطة

هناك، قاله ابن شداد في الاعلاق الخطيرة.

مشهد عين الوردة

«عين الوردة» هو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم وكان أحد رؤسائهم يومئذ رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس بن جهال بن بدا بن فتيان. وبها مشهد سليمان بن صرد بن الجون أبو مطرف الخزاعي الصحابي، أمير التوابين استشهد سنة ٦٥ هـ في «عين الوردة» بالجزيرة بين العراق والشام. كان سليمان الخزاعي فاضلاً خيراً متعبداً ممن شاهد النبي (ص) وصحبه وكان شيعياً، أقام في الكوفة في أول تمصيرها سنة ١٧ هـ، وبنى بها داراً في حي خزاعة، وكان له فيها شأن وقدر وشرف بين قومه وأحلافهم. صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من رجاله في حرب صفين وهو الذي قتل حوشب ذا ظليم حينما بارزه بصفين، وصاحب من بعده الإمام الحسن السبط (ع) وصار من خلص أصحابه وأنصاره.^(١)

الحميمة (موضع وفاة الإمام الباقر)

ورد أن الإمام محمد الباقر عليه السلام قد توفي بالحميمة ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع^(٢) واجماع الشيعة على أنه دفن بالمدينة، وقد توهم البعض في أنه دفن بالحميمة (وهي اليوم ضمن أراضي الأردن) والواقع أن موضع وفاته بالحميمة وأما مدفنه فالبقيع بلا خلاف.

بعلبك

على باب البلد من الشمال قبر مالك الاشتر التخي (رض) والصحيح أنه بالمدينة، وبها قبر حفصة زوجة النبي (ص) والصحيح أنها أم حفص أخت معاذ بن جبل فان حفصة ماتت بالمدينة، وبها دير الياس النبي (ع) وبهذا الدير كان محبوساً ويقلعتها مشهد ابراهيم الخليل (ع)^(٣)

الكرك

وبها قبر نوح (ع) وقبر جبلة ابنة نوح بقرية يقال لها عرجموش وقبر شيث بن نوح قرب شيث بجبل أبي قبيس والصحيح أن الذي بجبل أبي قبيس هو شيث بن آدم (ع)^(٤).

مشهد الحسن في باب الفراديس

قال الهروي أن مشهد الحسن هو باب الفراديس وفيه قبر محمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق. قال: ورأيت على الضريح مكتوباً ماهذه صورته: رواه القاضي الخطيب أبو الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن أبي الحديد، والفقهاء أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين، قالوا: أخبرنا أبو الحسن بن ماسار

(٢) وفيات الأعيان ٤٥٠/١

(٤) المصدر السابق/ ١٠.

(١) مرآة المعارف ٣٦٩/١.

(٣) الزيارات للهروي/ ٩.

والشيخ أبو القاسم الحسين بن علي بن أحمد بن الحسين وغيرهما - أخبروا عن الشيخ أبي الحسن بن ماسا العدل - إنه رأى النبي (ص) (عند) القبة الخرية التي بها الشريف العابد وهو يقول «من أراد زيارتي ولم يستطع فليزر الضريح» ولدي محمد بن عبد الله المذكور،^(١) وممن أشار إلى هذا المشهد محمد عز الدين عربي كاتب الصيادي قال أنه بظاهر المدينة عند مشهد الخضر.^(٢) وذكر جده الحسن ضمن قبور دمشق.^(٣)

مشاهد سلمية ومصيف

سلمية ومصيف قرب حمص، ومن المدن التاريخية العريقة في سورية، بهما عدد من المشاهد لقبور ودعاة الأئمة الاسماعيلية منهم الإمام رضي الدين عبد الله المتوفى سنة ٢٨٩ هـ والمخاطب محلياً باسم الإمام اسماعيل، ومقام الإمام أحمد الوفي، والكيا محمد راشد الدين سنان، وغيرها وقد كتبنا وصورنا أكثر تلك المشاهد «انظر مجلة الموسم: العددان ٢٦-٢٧ ص ١٢٨ - ١٤١ سنة ١٩٩٦ م». وفي مصيف قبر الإمام أحمد الوفي عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام المتوفى بمصيف سنة ٢١٢ هـ. وفي المنطقة قبور متفرقة للدعاة الفاطميين.

مشهد مزيد الأسدي

الأمير مزيد بن دبيس الأسدي، المولود بالحلة (العراق) سنة (٥٣٣ - ١١٤٠ م) وقدم إلى مصيف سنة (٥٦٣ - ١١٧٠ م) ومات فيها سنة (٥٩٢ - ١١٩٩ م) ودفن في جبل القاهر الواقع على بعد خمسة أميال إلى الناحية الغربية من مدينة مصيف، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالإمام النزارى الاسماعيلي محمد بن الحسن المعروف بسنان راشد الدين (٥٣٠ - ٥٨٨ هـ) المدفون هو الآخر في جبل القاهر وعلى مقربة من ضريح الإمام الوفي أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ولأخير ينسب البعض موسوعة رسائل إخوان الضفاء.

إن هجرة الأمير الأسدي المزيدي إلى ديار الاسماعيلية كانت بسبب أواصر الصلة المذهبية الشيعية والسياسية الفاطمية فقد ربطتهما روابط الأخوة منذ عهد الإمام المستنصر بالله خليفة مصر الفاطمي، وقد حظي سنان راشد الدين بمديح مزيد الأسدي.

وليس من الواضح في إنه قد تحول من الاعتقاد الإمامي الشيعي إلى الاعتقاد الاسماعيلي والمعتقد إنه كان يعيش الجو العام للحميمية الشيعية التي تجمع كافة طوائف الشيعة بالولاء لآل البيت (ع)، لكنه كان يتبرأ من الغلاة كما في قصيدته التي مطلعها:

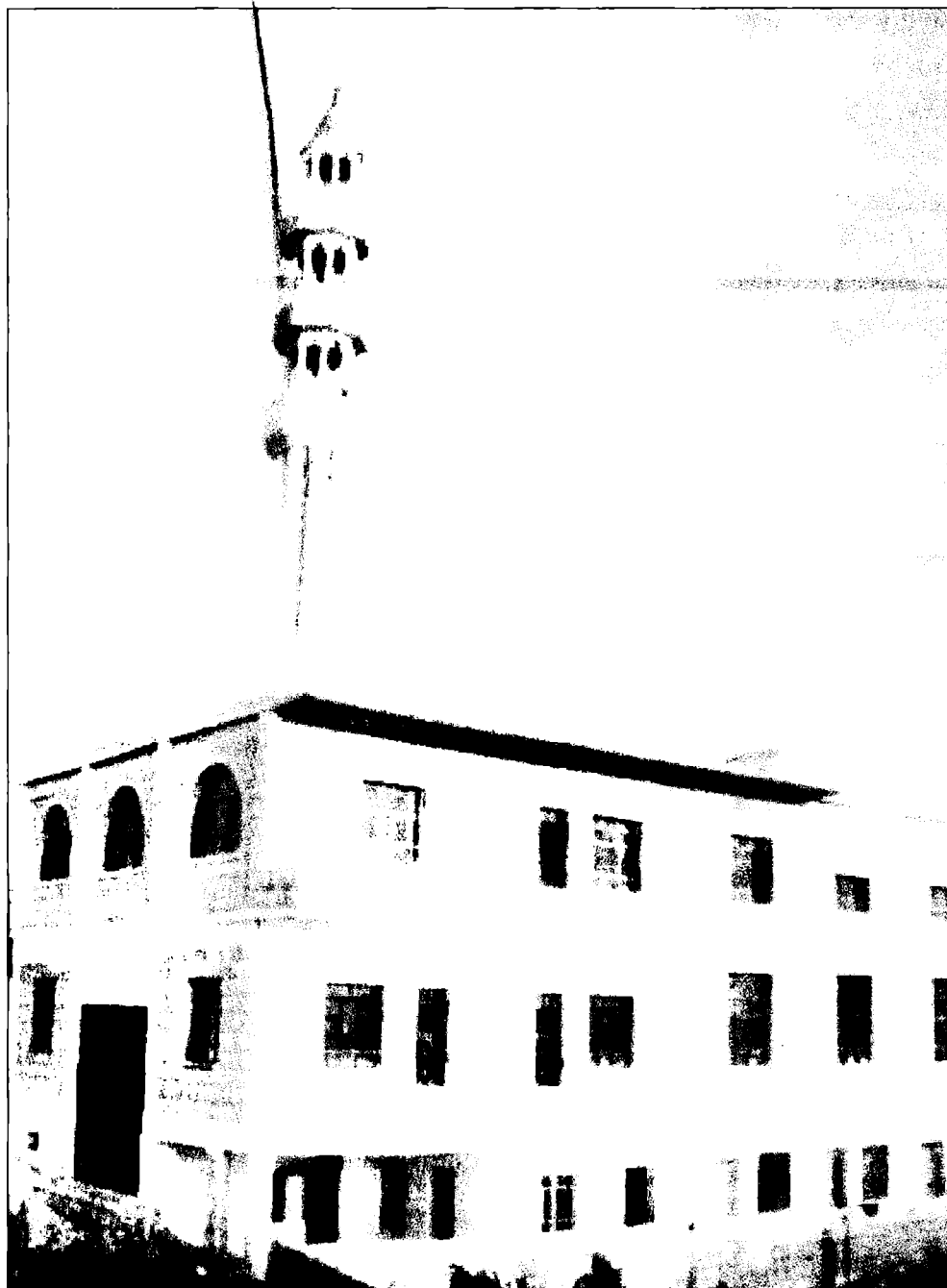
اليك ذريني والجوى لاتقدمي فما أنت لي دار الإقامة فاعلمي

حيث يصف أهل تل اعفر بالغلو في علي والاعتقاد بعبد الرحمن بن ملجم الاعتقادات الشائع قديماً بين الغلاة بكونه فصل الناسوت عن اللاهوت بقتله علياً عليه السلام فاسمعه قائلاً:

(١) المصدر السابق / ١٤.

(٢) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية. ٧٠/.

(٣) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية ص ٦٩.



مسجد الإمام الحسين (ع) - صافيتا

فدينهم دين اللعين أبين ملجم
سوى دلو بنر نازل قعر مظلم

لهم المكارم في غدر والجود
والسادة الغر الكرام الصيد
قدماً وقد عبرت سواء عبید
بأخيه (حيدر) وهو عنه ينزود
والدين من آبائهم وجدود
فيه، فأمن كافر وحجود
ومحا الوصي الشرك وهو مشيد
قد زانه التقديس والتمجيد
بلغ فما دون البلاغ محيد
بانت من الحقد العظيم كمود
وبهامه ببهامه معقود
مولى أشاد بفضله المعبود

ولم يك لي في «تل أعصر» منزلاً
ولم ألق في «سجار» من يلتقي به
والأمير مزید هو القائل من قصيدة:
وأمدح هُديت بني النبي فإنهم
السابقون المدركون بسبقهم
نظر المهيمن في الخلائق نظرة
ما اختار (أحمد) واصطفاه وخصه
من معشر سبقت إلى طلب الهدى
وحبا أخاه بذی الفقار وقوة
فبنى الرسول الدين وهو مهدم
وأقام في يوم الغدير وصيه
وأناه جبرائيل عن رب السما
فبدا بجمعهم وحين تجمعوا
أخذ النبي يد الوصي منادياً
من كنت مولاه فهذا حيدر

قبر كعب الاحبار في حمص

زرتة في حي باب الدريب سنة ١٩٨٠ وحواله جامع كبير، والقبر مما أشار له الهروي في الزيارات، وكعب الاحبار يهودي سابق توفي سنة ٣٢٢هـ/٦٥٢م، له ذكر في كتب التراجم ومنها صفة الصفوة (٤/ ١٧٦) وفيه نسب إليه القول بمايلي «مؤمن عالم أشد على ابليس وجنوده من مائة ألف مؤمن عابد لأن الله يعصمهم به من الحرام»، ولابد أن نشير إلى أن كعب الاحبار هذا قد كان من البكائين ولعله نقل عن دينه القديم قوله: «لأن ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي، احب إلي من أن اتصدق بوزني ذهباً.. والذي نفس كعب بيده مابكى عبد من خشية الله حتى تقع قطرة من دموعه على الأرض فتسمه النار أبداً» وقصة أيوب تحتل ركناً مهماً من الأدب الاسرائيلي القديم وهي سنين من البكاء المرولعل تشابه الظروف يورث ردود فعل متشابهة، وهو مادفع كعب الاحبار إلى ذلك.

وكعب الاحبار اسمه كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو اسحاق ويعد في التابعين، وكان في اليمن أحد احبار اليهود وأسلم أيام ابي بكر، وخرج إلى الشام فتوفي ب حمص عن مئة وأربع سنين (راجع بعض أخباره في الاصابة ت ٧٤٩٨ وحلية الأولياء ٣٦٤/٥ ثم ٣٠٦، وتذكرة الحفاظ ٤٩/١).

وقد لاتبرا ساحته لروايته الكثير من الاسرائيليات بالنسبة إلى الذين لاينسجمون مع تلك الافكار ويرون في بعضها أفكاراً هدامة تسيء إلى الدين الإسلامي، وتحتاج المسألة إلى مزيد من التدقيق والنظر قبل إلقاء الكلام على عواهنه.

من مزارات الساحل السوري

- مزار الشيخ أحمد بن جبلة الغساني صاحب رسالة «المسائل العشر» في الفلسفة، ويقع في قرية قرفيس، ولعله يعود إلى القرن الخامس أو السادس الهجري.
- مزار الشيخ غريب في قرية بلكنيات
- مزار الشيخ غريب في حريصون «بحيرة نبع السن»
- مزار الشيخ ابراهيم في قرية بلبشراح
- مزار الشيخ عيد في قرية كفر دبيل
- مزار الشيخ موسى في قرية القلائع
- مزار الشيخ محمد الريحاني في قرية ريحانه متور
- مزار الشيخ سلمان رواس في قرية رواس
- مزار الشيخ ابراهيم تلبو في قرية الفتيح
- مزار الشيخ بدر المعادية في القلائع
- مزار الشيخ سليمان الأحمد على طريق القرداحة.
- مزار الولي الصالح ابراهيم بن أدهم في جبلة (ذكره ابن بطوطة في رحلته / ٩٧ بيروت ١٩٩٢)

مقبرة باب توما

هي أول مقبرة للمسلمين في دمشق فقد روى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز وغيره أن المسلمين - حينما دخلوا دمشق - بدأوا القتال من ناحية باب توما والباب الشرقي، فقتل ناس من المسلمين فدفنوا في مقبرة باب توما، فهي أول مقبرة للمسلمين بدمشق.

مشاهد معرة مصرين

بلدة معرة مصرين تقع على بعد نحو ١٢ كم ٢ عن مركز محافظة ادلب وفيها للامامية مشهدان.

١- مسجد الزيارة.

٢- مشهد أمير المؤمنين، ويرعاه أفراد من أسرة آل رجال الذين ترجع أصولهم الى بيروت، وفي المشهد صخرة قديمة مع مزولة شمسية لمعرفة أوقات الصلاة، يشرف على المشهد الحاج جميل رجال ولديه ورقة بالاشراف عليه موقعة من الإمام السيد محسن الحكيم.

مزارات جبل عامل ومشاهدها

(مشهد يوشع بن نون) وصي موسى بن عمران فوق الحولة عليه قبة شاهقة كان يجتمع فيه الالوف من الزوار من العاملين في مواسم الزيارات لاسيما نصف شعبان ويكثر فيها الدبك والصفق من النساء والرجال واطلاق البنادق والضرب على الجوز والشباب وغير ذلك من أنواع اللهو والبعض يشغل بالعبادة من الدعاء والزيارة والصلاة وذكر الله تعالى، هذا قبل الحاقه بفلسطين وبعده انقطع ذلك.

- (مشهد محبيب) قريب منه يقال أن فيه قبر بنيامين بن يعقوب عليهما السلام وعليه قبة.
- (مشهد النبي منذر) خربة في ميس محاط بحائط قصير من جوانبه الأربعة ويحتمل أن

يكون هناك قبر لعالم أو عبد صالح أما نبي فلا. - (مشهد منذر) في مركبا له أوقاف وعليه قبة وفي ميس محل يسمونه النبي منذر كما تقدم. - (مشهد العويذي) فوق كفر كلا على جبل عال والمعروف أن فيه قبر الشيخ محمد العودي تلميذ الشهيد الثاني. - (مشهد حزقيل) قرب قرية دبين في مرجعيون يزوره الدروز ويعظمونه. - (مشهد بنات يعقوب) في شقراء قبليها وسط جبانة قديمة له محراب وهو خراب لا يعلم ماهو. - (مشهد شيث) في برغشيت أوبرعشيد خراب لا يعلم ماهو. - (مشهد جمال الحسن) في حدائثا والظاهر أنه قبر عالم أو عبد صالح أو حاكم، عليه قبة. - (مشهد الصباح) في جوبا له أوقاف وعليه قبة وكان أهل القرية لا يعظمونه كثيراً فاتفق إنه في أيام العصابات بعد الاحتلال الفرنسي جاء صادق الحمزة بعصابته إلى جوبا يوم السوق فنظر أحد رفاقه قبة الصباح فتكلم بكلام فيه إهانة لصاحبها وأراد إطلاق بندقيته عليها ثم دخل بعض البيوت ليتغذى ووضع البندقية بين يديه فعلق ثوبه بها فجذبه فثارت فقتلته فاعتقد أهل القرية. إن هذه كرامة لصاحب المشهد فبالغوا في تعظيمه. - (مشهد محمد نوف) في البازورية بساحل صور. - (مشهد المعشوق) بقرب صور عليه قبة ويجانبه قبر عباس المحمد حاكم صور من آل علي الصغير وعليه قبة أيضاً. - (مشهد شمع) في الشعب بساحل صور يقال أن فيه قبر شمعون الصفا. - (مشهد ساري) في ساحل صيدا قرب عدلون لا يعلم ماهو عليه قبة. - (مشهد النبي قاسم) هكذا يسميه العامة قريب صور إلى الشمال بجانب نهر الليطاني عليه قبة صغيرة يظن أنه أحد اجداد آل علي الصغير ويحتمل كونه عالماً أو صالحاً وليس في الأنبياء من اسمه قاسم. - (مشهد صافي) على جبل عال قريب جبج عليه قبة. - (مشهد سجد) على جبل عال من قمم جبل الريحان عليه قبة يؤمه اليهود للزيارة من الأماكن الدانية والقاصية في فصل الربيع ولذلك يقال إنه من ولد يعقوب. - (مشهد علي الطاهر) في بلاد الشقيف عليه قبة. - (مشهد أبو الركاب) أو الركب قريباً من عرمتا عليه قبة. - (مشهد هارون) في خرطوم من ساحل صيدا منسوب لهارون أخي موسى عليهما السلام تزوره اليهود. - (مشهد ابو الروح) في صيدا وهو صحابي. - (مشهد الخضر) في ساحل صيدا على شاطئ البحر مقابل الصرْفند. - (مشهد مار الياس) قرب صيدا فوق قرية الحارة. - (مشهد فارس البطاح) في الدوير من عمل الشقيف. - (مشهد النبي جليل) في الشرقية من عمل الشقيف. - (مشهد تميم) قرب الدوير من عمل الشقيف. - (مشهد نون) في مشغرا كان عليه قبة ولما جدده أحد المهاجرين في اميركا هدمت القبة وسقف بالقرميد. - (مشهد مري) في مشغرا. - (مشهد يحيى) في حنويه. - (مشهد صالحيم) في عرب صالحيم. - (مشهد محمد الباقر) في عين قانا وهو من علماء جبل عامل. - (مشهد ادريس) في الغازية. - (مشهد النبي عازر) قرب عارور من عمل جزين. - (مشهد شحور) يأتي ذكره في شحور. - (مشهد رويل) قرب قرية طيربيخا في الشعب في مزرعة تسمى مزرعة النبي. - (مشهد ناصر بو نصير) في الخيام.



مسجد الإمام علي عليه السلام بدمشق
يعد من مساجد الإمامية الكبرى في دمشق، ويقع في محلة الأمين، المعروفة باسم الخراب «ويعرف حالياً بالأمين»، ولعله تسمى بالخراب لما تعرض له من التهديم خلال حملة المغول على دمشق في القرن ١٤م، ومن الزلزال الذي أصاب دمشق وغيرها من المدن سنة ١٧٥٩م.

وتحاذي محلة الخراب القيمرية والقوس الروماني وباب شرقي امتداداً إلى باب توما، ويسكن تلك الانحاء طوائف مختلفة فيهم الشيعة والمسيحية واليهود ومعلوم أن بعض الاحياء ومنها حي الخراب الذي أسس من قرون كان المواطنون فيه وخاصة من ابناء الاقليات الدينية يتعاضدون فيما بينهم ليتساندوا ويتأزروا في المصائب والازمات مثلما كان

يحدث في العهد المملوكي والعثماني، ومثل هذا يقال فيمن سكن الجزماتية وزقاق الحشاشة في الميدان وزقاق التيامنة قديماً. وبالقرب من باب توما هناك حي الجورة وفيه للشيعة مسجد باسم الإمام الصادق عليه السلام. أما مسجد الإمام علي في حي الأمين فقد شُيّد بجهود جمهرة من التجار والصلحاء وقد تم ذلك عام ١٣٨٩هـ وكان ممن أرخ لانتهاه تشييده الصديق الشاعر أحمد علي حسن بقوله مهناً الإمام السيد حسين مكي العاملي:

بناها بحب المرتضى خير أواه
حسين بن مكي ذو الوجاهة والجاه
بهدي وإيمان وتقوى من الله
بقرآنه ان المساجد لله

حسينية بالذكر تزهو وتذكر
كريماً بأحرار المصلين يعمر
مآثر تاريخ (بمجدك تذكر)

حسينية في خير حي وجامعاً
أمين على حي الأمين مبارك
به الشيعة الغراء تلقى إمامها
تمسك التاريخ «مد جد وحيه»
وقال الشيخ عبد اللطيف ابراهيم:
بنيت على التقوى حسين بن يوسف
وباسم الإمام المرتضى شدت مسجداً
فحيثك في (حي الأمين) بد (خلق)

وممن أرخه الحاج محمد حسني صندوق، وحسين عبد الوهاب، ونقل لي المرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الخيرانه بذل جهوداً مخلصه في سبيل استحصال الموافقة على تشييده رحمه الله وجميع العاملين للخير والهداية، وتوليته بيد إمام الشيعة الأكبر بدمشق العلامة السيد حسين مكي العاملي.

مسجد الإمام الصادق عليه السلام في اللاذقية

ويقع في حي الرمل الشمالي، انجزته الجمعية الجعفرية باللاذقية سنة (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٨ م) وعن يمين وشمال الباب، لجهة الداخل لوحتان رخاميتان تحمل كل منهما تاريخ بناء الجامع. نقش على اللوحة اليمنى الأبيات التالية:

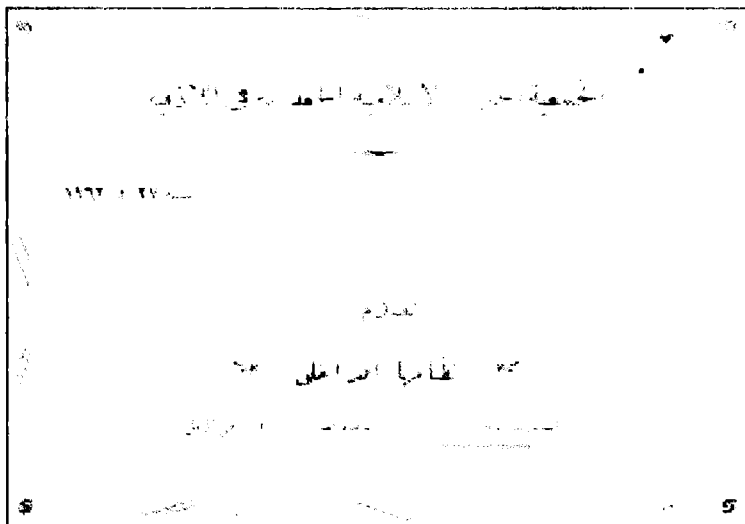
فأذن بدين الله فيه وكبر	لك الخير هذا مسجد طاب مهده
ويطفو عليه اليم من فيض (حيدر)	يرف عليه الطيب من آل (أحمد)
إمام الهدى وابن الأئمة (جعفر)	يباركة التشريف باسم ابن فاطم
من الرجس معصوم الفؤاد مطهر	يحف به أتباع كل مبرء
وأي ثواب فات مجهود خير	بناه بناء الخير زلفى لريهم
حميداً ومن ينصر به الله ينصر	ومن يقرض التاريخ عرفاً يوفه

شيد في ١٣٨٦ هـ

وعلى اللوحة الشمالية نقشت هذه الأبيات:

وشدناه للبر العميم وللهدى	رفعناه في هذي الجوانب مسجداً
على الساحل الزاهي مناراً ومورداً	رفعناه من آلاء طه وحيدر
فله ما أبهى وأنقى وأمجداً	وزانت محياه شمائل جعفر
ويجنون بالفاني الثواب المؤبداً	هنيئاً لأهل الخير يعطون فانياً
سيلقون في التاريخ ذلك أخلداً	وطوبى لهم نالوا الخلود وأنهم

شيد في عام ١٣٨٦ هـ



وثائق

النظام الداخلي

للجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية بالأدقية

رقم مرسوم ٤٧٩١، تاريخ ٢٧/٩/٦٢٢٩

الفصل الأول

اسم الجمعية ومقرها وغرضها

مادة ١ - تأسس في مدينة الأدقية جمعية باسم : الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية وتتأهل نشاط الجمعية عاصمة للأدقية.

مادة ٢ - المقررات الجمعية ما يأتي :

أ - نشر ثقافة الأدقية وتناصرة القضية .

ب - تشييد وترميم المساجد والمدارس الدينية والعلمية والسياسية.

ج - توفير التعليم الديني في مدارس الطويريين على مدعهم الجعفري

د - مساعدة الفقراء وتعليم الطلاب مهوياً بما يحسن مكانة الجمعية .

هـ - فكرة التآزر بين الطوائف الإسلامية وإزالة أسباب التفرقة السياسية .

مادة ٣ - لا يجوز لهذه الجمعية ان تتدخل في الامور السياسية

والعقائد الدينية .

و - وتتميز الجمعية باسم الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية

سم - وتسمى الجمعية (الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية)

تكملة هذه المراسم والقرارات (مجلس)

مادة ٤ - تتألف الجمعية من أعضاء دائمين وأعضاء مؤقتين

واعضاء شرف .

الاعضاء الدائمين : الذين يقومون بدفع الاشتراكات الدورية ويسمحون

مديراً بأعمال على تحقيق المراسم الجمعية

الاعضاء المؤقتون : هم الذين يقومون بدفع التبرعات والهبات ونحوها.

اعضاء الشرف : هم الذين يقدمون خدمات مادية ومعنوية ويتشرفون

بشكارة محترمة لدى الشعب ، ويصبح هذا المنصب بقرار من مجلس الإدارة .

مادة ٥ - يتألف في عضو الجمعية :

أ - الأركان محروماً من مباشرة حقوقه السياسية .

ب - الذين يكون حسن السلك والسلوك .

ج - ان يكون قد قبل شهادة نظام الجمعية .

د - ان يقدم طلباً للانضمام الى الجمعية مرفقاً برسم الانضمام (ذكر)

وهو اسمه وعمل القامته ومهنته وطريقة دفعه ورسم الاشتراك

مادة ٦ - تكون مدة العضوية في الحالات الآتية :

أ - اذا انضمت العضو ما لم يكن قد تعهد بالخلاء مدة معينة

ب - اذا فقد شروطاً من شروط العضوية .

ج - الفصل .

د - التوفيق .

هـ - اذا انقضى من تصديق رسم الاشتراك مدة ستة اشهر

و - يكون له اذلال صفة العضوية بقرار من مجلس الادارة .

ز - يكون اذلال صفة العضوية بقرار من مجلس الادارة .

مادة ٧ - يقضى العضو في احدى الحالتين الآتيتين .

أ - اذا لم يخلص شأه من الحق الجمعية سراً جدياً مالياً او ادبياً

ب - اذا انقضى احدى هذه الاجهزة لغيره من شخص .

مادة ٨ - يبلغ العضو في كل خمس الادارة بقرار من مجلسه العضوية

عنه وذلك خلال مدة حصة عشر يوماً من تاريخ صدور هذا القرار .
 مادة ٩ - يجوز اعادة حصة العضوية الى الأعضاء الذين زكيت عنهم هذه الحصة استند دعمهم رسوم الاشتراك في سنة اذا ادوا الرسوم المستحقة عليهم خلال السنة التالية .
 مادة ١٥ - لا يجوز لعقد أو لمن زكيت حصة العضوية حقه له أو لورثة العضو التي استقراد رسم الانتخاب أو رسوم الاشتراك والقياد أو التبرعات التي قدمها الجمعية وليس له حق في أموال الجمعية إلا بالتكدير المحض صندوق الاعلان للزيادة وصندوق المنشآت في حال وجوده .

الفصل الثالث

الجمعية العمومية

مادة ١٦ - تناف الجمعية العمومية من جميع الأعضاء العاملين الذين قاموا بالتزامات التولية عليهم وفقاً لنظام الجمعية وعرض على مجلسهم فيها مدة سنة على الأقل .
 مادة ١٧ - يجب دعوة الجمعية العمومية مرة كل سنة خلال الثلاث أشهر لاداء السنة المالية للجمعية ، ويجوز دعوتهم لاجتماعات غير عادية كلما اقتضت مصلحة الجمعية ذلك .

مادة ١٨ - تعقد اجتماعات الجمعية العمومية في مقر الجمعية بدعوة وجهائها مجلس الإدارة الى جميع الأعضاء الذين يحق لهم الحضور ، وذلك قبل انعقاد خمسة عشر يوماً ،
 ويرفق بالدعوة جدول أعمال الاجتماع وتلحق في مقر الجمعية ومندوباتها صورة عن الدعوة وجدول الأعمال وقائمة باسماء الأعضاء المدعوين كما تجوز مدرية الشؤون الاجتماعية والعلمية عن الاجتماع قبل مواعده بجمعية

عشر يوماً مع صورة عن جدول الأعمال .
 مادة ١٩ - يجوز لعشر الأعضاء الذين يحق لهم حضور اجتماعات الجمعية العمومية أو ثلثين منهم ان يطالبوا كتابة الى مجلس الإدارة بدعوة الجمعية العمومية للاعداد على ان يسبقوا في طلبهم الترخيص من ذلك ، فبالإضافة يستعجب المجلس لهذا الطلب خلال مدة عشر يوماً جاز لهم توقيصه الدعوة مباشرة الى أعضاء الجمعية .

مادة ٢٥ - يحق للعضو ان ينيب عنه كتابية عضواً آخر ينسب في اجتماع الجمعية العمومية ولا يجوز لمعضف أو لمن ينوب عن أكثر من عضو واحد .

مادة ٢٦ - يرأس الجمعية العمومية رئيس مجلس الإدارة أو نائبه في حال غيابة ، ويرأسها نائبه كعضو مجلس الإدارة سنة اذا غاب نائب الرئيس .

مادة ٢٧ - يعقد اجتماع الجمعية العمومية قانونياً اذا بلغ عدده الأعضاء الحاضرين أكثر من نصف مجموع الأعضاء المدعوين ، ولذا لم يتوقف هذا العنصر لعدم الحضور العمومية لاجتماع من يقعد بعد عطفي عشر يوم على الأقل من تاريخ الاجتماع الأول ، ويعتبر الاجتماع الثاني قانونياً مهما بلغ بعدد الأعضاء الحاضرين .

مادة ٢٨ - لا يجوز للجمعية العمومية ان تبحث الا في الامور المدرجة في جدول الأعمال .

مادة ٢٩ - تصدر الجمعية العمومية في اجتماع السوي في الامور الالائية :
 أ - التصديق على الحساب الختامي لسنة المالية المنسية ،

- ب - تقرير مراقب الحسابات
 - ج - اقرار مشروع الميزانية العامة المالية الجديدة
 - د - تقرير مجلس الإدارة عن اعمال الجمعية وحالتها خلال العام المنصرم.
 - هـ - انتخاب اعضاء مجلس الادارة بدلا من الذين انتهت مدة عضويتهم او وائل صفة العضوية عنهم .
 - و - تعيين مراقب حسابات من غير اعضاء الجمعية .
 - ز - تحديد اجور النقل ونفقات الانتقال التي يتحملها اعضاء الجمعية خلال قيامهم بشؤونها .
 - ح - وكل ما يبرره مجلس الادارة في الامور الاخرى .
- مادة ٢٠ - تتخذ قرارات الجمعية بالاكثرية السببية للاعضاء الحاضرين والمشتغلين وتصدر قرارات الجمعية العمومية بالاغلبية المطلقة لاجزاء الجمعية فيما يتعلق بتعديل النظام وبداخلية ثلثي اعضاء الجمعية في الحالات الآتية:
- ٢ - تعديل نظام الجمعية فيما يتعلق بقرضها .
 - ب - حل الجمعية .
 - ج - عزل اعضاء مجلس الادارة .
 - د - اتحاد الجمعية بشروعها او انفصالها فيها .
- مادة ٢١ - لا يجوز لعضو الجمعية الاشتراك في التصويت اذا كان موضوع القرار المروض ايرام اتفاق معه او رفع دعوى بدينه او انتهاجا دعوى بينه وبين الجمعية وكلما كانت له مصلحة شخصية في القرار المطروح فيما عدا انتخاب مجلس الجمعية .
- مادة ٢٢ - تدون قرارات الجمعية في سجل محاضر الاجتماعات ويوقع

عليها من قبل الرئيس وامين السر ويذكر في محضر الاجتماع اسماء اعضاء الجمعية الذين يحق لهم الحضور واسماء اعضاء الحاضرين والمشتغلين كما يذكر فيه اسم الرئيس وامين السر والقرارات المتخذة وعدد الامور التي حازت عليها .

الفصل الرابع

مجلس الادارة

- مادة ٢٣ - يدير الجمعية مجلس اداري مؤلف من ثلاثة عشر عضوا يختارهم الجمعية العمومية من بين اعضائها لمدة ثلاث سنوات ويجوز تجديد انتخاب اعضاء مجلس الادارة الذين انتهت مدة عضويتهم
- مادة ٢٤ - يشترط في عضو مجلس الادارة
- أ - ان يكون متقناً بحقوقه المدنية والسياسية.
 - ب - ان يكون موقفا في مصلحة اعمال الجمعية ، او له مصلحة جديرة في هذه المصلحة .
 - ح - ان يكون على درجة من التعليم والثقافة ومحدد بقرار من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل
- مادة ٢٥ - لا يجوز لعضو مجلس ادارة الجمعية الصلي الجمعية بأجرها.
- مادة ٢٦ - يحق لعضو مجلس الادارة استرداد نفقات الاشتغال ونفقاتها من النفقات التي تنظم في شؤون الجمعية ومدة النظام الذي تقرره الجمعية العمومية
- مادة ٢٧ - على الادارة بتات الجمعية اعداد القوائم فيما لها من حقوق وما عليها من واجبات .

- مادة ٢٨ - إذا شتر سكان امد الاعضاء في مجلس الادارة فلذا المجلس ان يعين من بين الاعضاء الخارجين على اكثر الاصوات بعسد الاعضاء المنتخبين في آخر اجتماع الجمعية من يشغل المكان الشاغر بصورة مؤقتة ريثما تنتقد الجمعية العمومية وتنتخب من يتم الددة الباقية لسبقه
- مادة ٢٩ - اذا انسحب اكثر من نصف اعضاء مجلس الادارة تدعى الجمعية العمومية من قبل الاعضاء الباقين لانتخاب اعضاء يحلوت محل الاعضاء النسخين .
- مادة ٣٠ - كل عضو في مجلس الادارة القطع من اجتماعات هذا المجلس ثلاث مرات متتالية بدورته عند مشروع جبرز اخباره متسبياً .
- مادة ٣١ - يقوم المجلس الادارة بإدارة شؤون الجمعية كما يقوم بصورة خاصة بالأمور الآتية :
- (أ) - اعداد التقرير السنوي عن نشاط الجمعية .
- (ب) - وضع مشروع الموازنة السنوية للجمعية والحسابات المسمى السنة المالية التالية .
- (ج) - مراجعة تقرير مراقب الحسابات .
- (د) - اعداد الاظلة المالية والادارية التي يسو بموجبها العمل في الجمعية .
- (هـ) - تعيين الموظفين اللازمين للجمعية لدر النظر في تأديهم وفصلهم
- مادة ٣٢ - يستمع مجلس الادارة مرة واحدة في كل شهر على الاقل للنظر في شؤون الجمعية ويختبر الاجتهاد قانونياً مهما يبلغ عسدد الاعضاء المجتمعين وتنتخذ القرارات بالاغلبية المطلقة للماضين واذا تساوت الاصوات يرجح الرأي الذي في جانبه الرئيس .
- مادة ٣٣ - ينتخب مجلس الادارة من بين اعضاءه في اول اجتماع له بعد اجتماع الجمعية العمومية رؤساء ونائباً للرئيس واميناً للرئيس ولأميناً للصندوق .

- مادة ٣٤ - رئيس الجمعية بمنزلة امام القضاء ولي علاقتهما مع الجمهور والدوائر الرسمية وهو آمر الصوف في جميع نقضات الجمعية .
- مادة ٣٥ - نائب الرئيس يقوم بجمام الرئيس اثناء غيابة ويحسكل عمل بنبده اليه .
- مادة ٣٦ - يقوم امين الصندوق بما يلي :
- (أ) - تدوين محاضر اجتماعات الجمعية العمومية ومجلس الادارة والتوقيع عليها منه ومن رئيس الجمعية .
- (ب) - تحرير الدعوة لاجتماعات الجمعية العمومية ومجلس الادارة .
- (ج) - تحرير جمع مراسلات الجمعية واستلام المخابرات الواردة اليها
- (د) - حفظ اخبارات وسجلات الجمعية ولتخاتها في مقر الجمعية .
- (هـ) - مراقبة تنفيذ قرارات مجلس الادارة .
- مادة ٣٧ - يقوم امين الصندوق بما يلي :
- (أ) - جميع الرسوم والاشراف على جبايتها واستلام المبالغ التي تؤد الى الجمعية بموجب وصولات غنومة بخاتم الجمعية وموقعة منه وابداع تلك المبالغ في الصوف المقول من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل .
- (ب) - بتأدية النفقات بموجب امر صرف موقع منه ومن الرئيس لوثاياه .
- (ج) - سحب المبالغ من المصرف بالاستراك مع آمر الصوف .
- (د) - بتقليد قرارات مجلس الادارة المالية ، ولقدام حساباً شهرياً للمجلس .
- يحفظ المخاتر والمستندات المالية في مقر الجمعية .

الفصل الخامس

مالية الجمعية

- مادة ٣٨ - تتألف ايرادات الجمعية من :

- ١ - رسوم الانتساب .
- ٢ - رسوم الاشتراكات .
- ٣ - التبعات والمبات .
- ٤ - الوصايا والأوقاف .
- ٥ - المولد الأخرى التي يوافق عليها مجلس الإدارة .

مادة ٣٩ - يحدد رسم الانتساب مبلغ قدره ليرة سورية كحد أدنى وعشر ليرات كحد أقصى ورسم الاشتراك السنوي بست ليرات سورية كحد أدنى وستين ليرة سورية كحد أقصى يؤدي سنوياً أو على أقساط شهرية أو موسمية بناء على طلب العضو . وعليه أن يقوم بتسديده قبل نهاية السنة المالية . وإذا كان انتسابه إلى الجمعية خلال السنة المالية فلا يؤدي من رسم الاشتراك إلا ما يبدل الدة الباقية على السنة .

مادة ٤٠ - تبدأ السنة المالية للجمعية في أول تموز وتنتهي في آخر تموز من السنة التالية .

مادة ٤١ - على الجمعية أن تودع أموالها في المصرف الذي يقرره مجلس الإدارة والقبول من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . ولا يجوز لأحد المندوب أن يحتفظ لديه أكثر من مبلغ القليلة سورية للنفقات الترتيبية .

مادة ٤٢ - لا يجوز سحب أي مبلغ من أموال الجمعية المودعة في المصرف إلا بناء على قرار من مجلس الإدارة .

مادة ٤٣ - لا يصرف أي مبلغ من أموال الجمعية إلا بموجب أمر صرف موقع من قبل رئيس الجمعية ولعين المندوبين .

مادة ٤٤ - لا يجوز اتفاق أموال الجمعية إلا على سبل تحقق انفرادها .

الفصل السادس

طوبح الجمعية

مادة ٤٥ - لجمعية أن تنشئ فروعاً لها ولا يكون لهذه الفروع

الشخصية الاعتبارية المستقلة إلا إذا تم شهرها .

مادة ٤٦ - يخضع كل فرع من فروع الجمعية في تأليفه وسير أعماله لاحكام هذا النظام ولا يجوز للفرع تعديل نظامه فيما يتعلق بالسياسة العامة والتوجيه الجغرافية للجمعية .

مادة ٤٧ - على كل فرع أن يرسل للجمعية نسخة من نظامه وقائمة بأسماء أعضاء مجلس إدارته وتقاريره سنوياً من نشاطه وحالته المالية .

مادة ٤٨ - يجب أن يعقد الاجتماع السنوي للجمعية السنوية للفرع قبل موعد اجتماع الجمعية السنوية بحدّة شهر على الأقل ، وذلك متى يستمكن مجلس إدارة الجمعية من بحث أعمال الفرع في تقريره السنوي .

مادة ٤٩ - عند حل أي فرع من فروع الجمعية تقوّل أمواله إلى الجمعية .

الفصل السابع

حل الجمعية

مادة ٥٠ - لمجلس الإدارة إذا تبين له أن الجمعية أصبحت عاجزة عن تحقيق انفرادها لأن يدعو الجمعية السنوية للاجتماع للنظر في أمر حل الجمعية . ولا يجوز حل الجمعية إلا بقرار تصدده الجمعية السنوية بأغلبية ثلثي أعضائها على الأقل .

مادة ٥١ - تعين الجمعية السنوية بحدّة صدور قرار حل الجمعية بقوم بمسح حقوق الجمعية والوفاء بالتزاماتها .

مادة ٥٢ - تنفق أموال الجمعية بحدّة حلها على المؤسسات التي قامت الجمعية بإنشائها ضمن منطقتها أو على إحدى الجمعيات الخيرية التي تحددها قرار الحل .

الجمعية الخيرية الخيرية في اللاذقية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسات بأسماء المهجوعين لجامع الأمام السائق في سمي الزوال في اللاذقية
الذين بلغت تبرعاتهم الخمس ليرات فما فوق

١٠٠٠ ليرة	المهندس السيد حسين يوسف مكلي	١٠٠٠ ليرة	عبدان الحبيب ، العقيد حشمت كمال ، حسن ، عدنان ، رضى مرقس ،
٤٧٣ ليرة	السيد محمود الخطيب	١٠٠ ليرة	كل من السادة : ابراهيم حال ، احمد علي حليم ، استاغليل
٤٠٠ ليرة	الهندس السيد معين عمران	حسن يوسف ، احمد عبد الجبار ، ابراهيم النجار ، احمد رزوق ، الهادي	نوفى مرون ، الرئيس المتقاعد جميل شيبان ، مودت فاسم ، جريد براهيم
٣٥٥ ليرة	كل من السادة المقدمه حافظ الاسد ، الشريف ريش	عبدان الحبيب ، العقيد حشمت كمال ، حسن ، عدنان ، رضى مرقس ،	محمد شريفي ، العقيد سعاد كمال ، شعبان ابو ليلى ، شعبان خضر الشامي
٢٠٠ ليرة	العايدين ، عبد الله عايدين	شعبان شيبان ، صالح صالح ، الدكتور صلاح الاحمد ، علي هسكري ،	علي كامل حبيب ، الحاج عزيز احمد مرمي ، القاضي عبد الرحمن استاغليل
١٥٠ ليرة	كل من السادة : احمد بونس ، احمد محمد ركك ، العقيد	القاضي عادل شعبان ، العقيد علي حاد ، فخر الدين حليل ، الشيخ فضل	فخه ، فؤاد مرمي ، الهادي فؤاد جبار ، مرمي شيخ يوسف ، الشيخ
١٢٥ ليرة	ابراهيم بونس ، العقيد حسن الحبيب ، رشيد يوسف ،	محمد مرمي ، مالك علي جبار ، الهادي منير عبد الله ، الدكتور منير مهنا	محمد رشيد سليمان ، الهادي محمد حوده ، محمد غريب الحبيب ،
١١٠ ليرة	العبيد محمد مهنا ، الهادي يوسف قلا ،	محمد علي حلو .	٨٥ ليرة
١٠٨٤٥ ليرة	كل من السادة : ابراهيم مرونش ، ابراهيم صبح .	السيد عبد الله صالح متاح	

٧٥ ليرة كل من السيدين حامد حسن ، محمد خليل سليمان
٦٥ ليرة السيد عبد الله الخريف
٦٠ ليرة كل من السيدين زين لايقة ومحمد الشيخ احمد .
٥٦ ليرة السيد رجب قصري
٥٥ ليرة يوسف صابك
٥٢ ليرة السيد احمد ابراهيم علي
٥٠ ليرة كل من السادة : ابراهيم محمد ابراهيم ، احمد عبد الرحمن
حسين ، اديب منها ، احمد النبي ديب ، ابراهيم اسماعيل ، انجلي احمد
عمران ، احمد ابراهيم عبد الله ، احمد يوسف عرس ، احمد غانم الجبر ،
الذكورة جمانة الاحمد ، جهاد وضوان ، النقيب جابر علي اديب ،
القدم حكمت شريف ، الدكتور حسن الحسن ، الدكتور حسن قدور
الرائد حافظ اصلاص ، الازلام حسن خليل ، حسن الخياط ، حسن غانم
جملر ، خضر علي قسم ، داود يوسف ، رمضان الشاعر ، النقيب سبل
حسن ، العقيد سليمان محمود ، مقادير ، الشيخ سليمان مصطفى ، النقيب
شبان قشور ، الهامي صلاح عبد المطلب ، صديق الكنج ، الدكتور
عدنان عجمي الدين ، علي الشيلات ، علي الفروة ، القاضي عبد اللطيف
القائم ، عادل رشيد سليمان ، النقيب فهدان مصري ، فؤاد ديوب ،
الدكتور كمال غالي ، الشيخ كامل صالح ، الشيخ محمد قايوسف ، محمود
البرنس ، محمود خزام ، مصطفى محمد ، النقيب مصطفى عمران ،
الدكتور محمود ديوب ، الهامي محمد زغبني ، محمد السوسي ، منها حبيب
النقيب محمد منها ، المساعد الاول محمود الغني ، العقيد محمد الناعم ، الرائد
مدهت شريف ، النقيب نظير الاخرس ، الشريف هاشم الفضل ، النقيب

وهيب الناعم ، الدكتور وهيب الناعم ، يوسف سليمان ديوب ، يوسف
شاهين ، يحيى الشاعر ، العقيد يحيى الهاشمي ، المقدم ياسين ياسين ،
٥٠ ليرة السيد مسعود صلاب
٤٠ ليرة السادة : علي خضر ، نظير شبان مكي ، ديب ضاهر
٢٥ ليرة كل من السادة : حمد سلامة ، اسمايل بركات ، الرائد
خيلن الحذام ، محمود القصير ، محمد علي قاسم
٣٠ ليرة القاضي الشيخ ياسين الحمد ، القاضي اسمايل حسين ، انجلي
محمد علي ناصر ، ابراهيم علي احمد ، ابراهيم جبر ، شبان مخلوف ،
سليم يوسف شعير ، صلاح رجب دوي ، يحيى جريفة ، عبد الله الشابط ،
محمد سليم ، مديوب جلعود ، الدكتور نديم شومان ، اسمايل بركات .
٢٧ ليرة السيد ابراهيم صابك
٢٦ ليرة شيخ السكندر
٢٥ ليرة كل من سادة : الزوب اسحق زامي ، احمد ابراهيم
الزوب احمد عبود ، الدكتور ابراهيم مسعود ، ابراهيم حسن ، ام
صافي ربحان ، الازلام امين نعمان ، اسعد محمد عبد الله ، احمد عمران
ابراهيم الشامة ، ليس احمد خير بك ، ابراهيم فوزي ، احمد علي منها ،
اسعد صقر ، الصدي احمد اسعد مهنسا ، ابراهيم ربحان ، هجفت
احمد ، جسابر علي محمد ، جيسار سبي ، النقيب حسن صقر ،
حسن الشاعر ، حسن هادي ، حسن ياسين حسن ، خليل مهان
حبيب ، رشيد ناصر ، رمضان سليمان ، سليمان هيف ، سليم قوسحي ،
شريف رحال ، القاضي صالح القادر ، الرائد صالح الملكيم ، صلاح

شعرو ، ظاهر ربيع ، عبدو علي الهوكة ، علي عبد الحادي ، علي خليل زين الدين ، علي وجب ، علي ابراهيم ابو خازم ، المهندس علي عثمان ، عبد الحميد اسير ، علي يوسف نهان ، عباس عبد الرحمن ، الملازم عيسى سلب ، عدنان محمود علي ، علي حسين ، غسان احمد ، غسان مصري ، فوزي الياسي . كامل نهان . محمد بركات ، محمد سليمان خياض محمد يوسف شيخ يوسف . لادكتور محمد براهيم . محمد يوسف اللدار الالد عبد مطو . محمود اشقر . محمد علي صالح . محمد احمد عثمان محمد بركات السمود . محمود سعيد . الهامي محمود بركات السمود . محمد حسن عيسى . المهندس محمد اليونس . منير رشيد سليمان (محسن) محمد محسن . محمد علي صالح حسن . مصطفى الاسعد . الدكتور محمد رشه . نظير خير بك . نامو شعرو . نصر لايه . الزائد وفيق بركات يحيي السومسي ، بدر مرادش . بونس معلا . يوسف سليمان . ٢١ ليرة السيد صلاح الحرة ٢٠ ليرة كل من السادة : ابراهيم منون . ابراهيم سلطان احمد يحيي بلدي . احمد علي مسكوني . احمد عبد الشيخ . ابراهيم الحلو . ابراهيم حسن فاسم . ابن حافظ الكرودي . سليمان موسى . سليم علي عطل كامل الاحد . عازف ديب . علي الحلو . عيسى داوود بونس . علي زينه . عيسى جلود . فارس الهوكة . الشيخ كامل حسنام . محمد سليمان يوسف . محمد محمود ، بيمين دياب . صلاح مناع . نصر شكر حدان . نصر دبول . ١٨ ليرة السيد محمد الفرف

١٨ ليرة الشيخ علي عبد الرحمن (كسكارو)

١٧ ليرة كل من السادة : ابراهيم الشيخ ، احمد سالم ، علي المو علي شريبا . ١٦ ليرة كل من السادة : سليمان ابراهيم ، عزيز الجودي ١٥ ليرة السيد محمد اسماجيل ١٥ ليرة كل من السادة : احمد ديو ، اسماجيل علوش ، لمعد علي صقر ، احمد ديو الهوكة ، احمد خزام ، لمعد ابراهيم حسن ، الدكتور جورج غنوم ، جلال حيدر ، حافظ سليمان ، حسن العبيدي ، رفيع صالحه ، سليم بركات ، شفيق شمير ، شفيق عثمان صالح فارس ، ظاهر الوزه ، علي احمد سعيد ، عبد الكريم قديمه ، عزيز نعمان ، علي محمود ، علي خليل دويلات ، قاسم قبلا ، كامل صبح ، محمد علي المسلمي ، محمد خير بك ، محمود اسماجيل ، ميهوب سعيد ، الحاج محمد سلطان ، محسن اسماجيل ، يحيي حسن : محمود محمود ، محمود سليمان ابراهيم ، محمد السيد ، نديم جبور ، نصر شيان ، بونس حسن خليل يوسف حبيب . الدكتور جورج غنوم ١٤ ليرة السيد اسد قاسم ١٣ ليرة كل من السادة : حسن ديب بسه ، حسن ونوس ، محمد يوسف . ١٧ ليرة السيد ابراهيم نر خناش . ١٣ ليرة السيد محمد سليمان داوود ١١ ليرة كل من السادة : ابو عماد الدين كركيم ، جميل غانم ، سليم علي حسن ، عبد الله بريد ، يوسف قرقبال ، كامل لاردا .

١٠ ليوات كل من السادة : أدب علوم . اسعد هفا . ابراهيم
 نيم . ابراهيم قسوم . احمد يوسف ، ابراهيم ميهوب . آدم الصراف .
 احمد سليمان خطاب . احمد علي قرقاز . القسدي آصف السليم .
 ابراهيم سليمان مرعي . احمد قلب . ابراهيم جد اللطيف هلي . حرم
 اسعد الاسعد . المساعد الاول ابراهيم غريب . احمد السوسي . ابو عبد
 نعامه . اسكتدو مرشد . ابراهيم طر اللين . احمد الصوا . ابراهيم
 محمد علي . ابراهيم محمد . احمد الطابور . احمد مكنا . اساميل شيا .
 ابراهيم الحلو . توفيق حبيب . ثابت غرة . جميل صوبح . جميل اسمايل
 حسن سعيد جملر . حبيب همود . حافظ لبراهيم . حسن مقر . حافظ
 الحريطيل . حسن جيدر . حسدو دواي . حسن خر ماشو . حسن
 الشمة . اللازم حسين المي . حسن حلاق . حسن موقل . حسن جيدر
 حبيب شعبان . حبيب عجة . حسن ابراهيم اسعد . حسن يوسف جيدر .
 حسن عجب . حبيب محمد ديب . حسن عباس حمزة صالح . حكمت
 قلعمة . جيدر جلود . خالد ماميش . خالد رويدي . ديب اسعد حسن .
 رشيد موقل . راسم غرة . دزيرية عي الدين . دؤنف سالم . رشيد
 بلال . زيدان محمد اسمايل . زينب صالحة . زيدان . عبد بركات .
 فكريا ابراهيم غرة . سعيد شاهين . سليمان برهوم . سليمان درويش .
 سليمان اسعد اسمايل . سليمان ابراهيم . سلمان مرفج . سلمان بطوب .
 سلمان الهرة . سليمان حسن . سليمان شربيا . سليمان بونس الجودي .
 سليمان مطور . سليم حداد . سليمان علي قاسم . سليمان عجز .
 الدكتور سليمان بنعلي . شبلان محمود . شعبان بونس شبلان العجوري
 شفيق محمد . شاهين شاهين . صالح وجب . صالح علي محمد . صالح

حليم . صالح حبيب . صقر منها . صافي جيدر . عزيز علي . اللازم
 علي خضور . علي جد الرحمن . عيس اسمايل . علي مسعود علي . علي
 الحاطوم . علي رسلان . علي اسعد ديب . هلال دواي . عزيز دواي .
 هاروف قصورت . عزيز كركاك . عيسى شربة . عبد الجاثون حسين .
 علي رياض . عارف اسمايل ، عطائمية ، عابرييل (من ط . ظهير مقرر)
 عزيز الشيخة . عزيز شعور . عطالقة . عطاليف . علي حداد .
 عزيز فنان . عبد الجيد طربوش . عبد الحيد علي عخل . علي عيس
 الجودي . عبد الكريم نجسم الدين . علي احمد . علي عباس .
 عبد الجيد ميهوب . عبد الرحمن خضر . هداد حليم . علي حسن
 سليمان . علي زلط . علي منصور . علي جنوب . عسبة الكرم
 شاة . عبد الهوزر الشمة . علي داود . عبد الله جلود . غانم
 سعيد . غريب حسن . فائق وعية . فهم مناع . فهم بركات . فجر
 مولا . كامل روجية كامل رجب . كامل عزيز . كمال اسمايل . كامل
 الاكاف . كمال كنجو . كامل جلود . محمود احمد . محمود صالح .
 محمود خضور . محمد صاف . محمود أحمد نصر . محمود رجب
 عرمي . محمد منها . محمد نوري كنجو . محمد قاسم . محمد نعامه .
 (حسن) . محمد علي السودي . القسدي محمود فسروز . محمد
 عبد الرحيم . الشيخ محمد حامد . محمد عديو . محمد بونس تاهو .
 محمد سليمان حسن . معزز القرقوني . محسن ابراهيم . معطى
 كنان . معزز غانم . محمد رشيد . محمد صالح . محمد كامل . ملهم
 ملهم . محمد فارس احمد . محسن جود غانم . محمد القوي . ماجد عيس .

محمد ومفان . محمد قتي الزاقي . محمد دبوب . . محمد علول . محمد
 النفوري . نصر جيدر . نديم خمسين . نديم حمدان . يوسف شاكر .
 يوسف علي خفزة . يوسف عبد القادر . يوسف عبد الرحمن . يوسف
 عيسى . يوسف صالح علي . يوسف ماضل . ياسين نصر خليل .
 ٩ ليوان . كل من السيدين سعيد شريك . وصالح علي شيان .
 ٨ ليوان . السيد احمد الشكركوني .
 ٧ ليوان . علي من اللدة : ابراهيم صالح . احمد نقيب علوم .
 اهل احسان . حسن يوسف . جيسو محمود . حسن
 علوم . خالد العلوي . سليم محمد . محمد علي سليمان . محمد حمدان
 يركات . يونس علوم .
 ٦ ليوان . كل من الادة : احمد سلمان . جميل سعد الدين . جيب
 فخير اوي . سليم شبان . شفاة نيرة . عبد الكريم يونس محمد .
 عزيز صالح . محمد يونس حمدان . محمد فرجيلي . محمد عطية . ماجد بدور .
 ٥ ليوان . كل من الادة : احمد ابراهيم سينا . احمد كامل . احمد
 فضل ناصر . ابراهيم احمد . اسماعيل عبد القادر . ابراهيم
 حسن . ام سلم محمود بيرو . احمد درباس . ادب الحولي . احمد
 جيدر . احمد انوس . احمد دسرخي . احمد علي سليمان . احمد
 عيب . احمد رجب . آدم جيو . ابراهيم دلية . ابراهيم ملا . احمد
 العفة . احمد عباس . محمد احمد حسون . اسماعيل بكداش . احمد
 علي ديب . احمد حسن . احمد ابراهيم . احمد عرووس . ابراهيم
 ميهوب . اسماعيل علف . ابراهيم اشقر . ابراهيم خليل . ابراهيم
 السكندر . ابراهيم عبد اللطيف شريف . ابراهيم سليمان مراد . احمد
 ميهوب . احمد سليمان ابراهيم . ابراهيم شير بك . احمد الكياص .
 ابراهيم برهبي . احمد خنوف . احمد معطي السيد . ابراهيم

العبرة . ابراهيم محمد جيدر . ابراهيم كيبو . احمد علوم . ام ادب
 علوم . بديع ابراهيم . بديع بلال . بديع مزيق . بديع صقر . ابراهيم
 مروة . بدر غره . توفيق علوة . توفيق حاتم . توفيق صبح . توفيق
 عيب . جورجيت مادرو . جميل رسلان . جميل دلمان . جابر نعمان .
 جودن خير بك . حسن خنوف . حسن بدو . حكمت اسماعيل . حسين
 قسوم . حمدان علي ديب . حاتم فتة . حسن كروم . حافظ حوبا .
 حامد يوسف . حسن نجم السيد . حسن ملا . حامد سليمان . حكمت
 مهران . حامد ابراهيم العكش . حسن لايقة . حسن الشامي . حسن
 سعيد شريك . حمدان محمود . حسن الحامد . حسن ملا . حمادة
 عيسى . حسن ابراهيم . حسين ناصر . حسن تيناوي . حافظ سلامة .
 حسن محمد . خليل شبان . خليل عثمان . خليل امون . خضر علي .
 خديجة محمد مرفع . خالد مجبور . خضر محمد عباس . درويش النفوري
 داوود ابراهيم . رشيد حمدان . رشاد حسن . زيدان اسماعيل . سلمان
 حبيب اوزك . . سليمان عيسى . سليمان زناط . سليمان دلية . سيف
 الدين الثريا . سليمان انطلي . سليمان برهم . سليمان عيسى . سلمان
 ابراهيم . سلمان محمود . سليمان داوود . سليمان شاهين . سليمان
 ابراهيم . سعيد حسن . سيد احمد . سليمان شاهين . سليم السيد .
 سلمان ارفع . سليمان سويدان . سليم شربا . سالم الذكر . سليم جيب .
 سليمان شعور . سليمان عساف . شريف كامل غرة . شريف عيسى صالح .
 شبان محمد . شفيق عابدين . شفاة الجبلي . شفاة قلات . شفيق
 الوزي . صبي غالية . صديق معروف . صالح خنوف . صالح درويش
 حافي عباس . صبي النقيب . صالح كيو . صالح مناع . صالح محمد
 حسن . طارق ابو هلال . فاخر الراج . علي رستم . علي حمدان .

عبد الطيف صبح . علي الحداد . علي يوسف صالح . عبد العزيز حسن .
عبد الله سليمان قاسم . علي ثرواف . عيسى سعيد نغان . علي حمزة .
عيسى جبيرة . علي خضرة . عز الدين يوسف . علي كامل . عزيز
خبر بك . علي شيان . علي كامل . علي الحسن . عزيز مرعي .
عبد الرحمن عبد الحادي . عز الدين جوني . علي علوم . عزيز سليمان .
علي ملا . عارف اسد شيا . علي محمود عمران . عيسى محمد
مخلوف . علي جبر . علي جيت . عبد الكوكريم نمان . علي عيسى
البردي . عزيزة مدرة . علي اسلان . علي حروفش . عساير سيل
(عن ط . علي عبد الرحمن) علي اسمايل . عبد الرحمن منصور . علي
سليمان . عيسى خليل . علي تلوم . عبد يوسف . عيسى محمد سليمان
علي محمود الشيخ . عزيز الكوكسا . عبد الله محمود سلمان . علي احمد
عبد الله . علي محمد مداد . علي محمد بونس . علي عمران . مدنان
مخلوف . علي صالح . عارف حبيب . عبد الطيف مرعي . عدنان
سلامه . علي ذيرقون . علي زهان . علي بلال . عزيز زينة . علي
كامل جديد . علي محمد جهج . عمر باطر . عبد الله اخراكي .
عبد الرحمن سلطان . علي حاج سلطان . عبد القادر ياسين . الحاج عمر
سلطان . علي سليمان عبيدة . عبد الرؤوف الرسلان . عيسى لياريد .
علي يوسف . علي جليكو . عزيز دوغام . فائز كرمو . غازي عثمان
غزال محمد سلطان . فكري نذاف . فوزي ويبي . فارس شهابي .
كامل حوجي . كامل ثرويش . كامل ياسين . كامل سلطان . محمد علي
احمد . محمد سيد . محمد علي كريم . محمد ادريس . محمد بركات .
محمد بدور . محمد معروف زينة . محمد يوسف محمد . محمد
مستوف . محمد كامل حليبة . محمد خير بك . محمد الدن . محمد
مخلوف . محمد الجدي . محمد اسمايل . محمد بونس . محمد العلمي

محمد الاسطة . ماجد اسطة . محمد صالح . محمد احمد . محمد اسد
ديب . محمد يوسف ثرواف . محمد كحلة . محمد بردكان . محمد سلمان
سمايل . ماجد ميني . محمود الشايط . محمد شيخ محمود . محمد ديب
من . محمود عيسى . محمد علي حبيب . محمد اسمايل سلطانة . محمد
ابراهيم احمد . محسن علي مهبوب . مهنا محمد . محمد محمود حسن .
محمد عباس عبد الرحمن . مطيع جبارة . محمود ديب . محمد رزوق .
محمد عمران . محمد حسن ملا . محمود احمد . محمد علي احمد . محمود
ديبول . محمد سليمان . محمود سقور . محمود مستوفش ميكايل تيسية
محمد محمود كليل . محمود سليمان . محمد نوافل . مصطفى مود . محمد
حارم . محمد محرز قائم . محمد علي داود . محرز عبد محمد اسمايل
شما . مصطفى الداضي . محمد عدنان البرشي . محمد فايز . موسى
شمة . محي الدين الادالي . محمود ذخري . محمد الطوجة . مصطفى
ابو عبيب . محمد محمود اسد . مصطفى ابراهيم . محمد اسد قاسم .
محمد الهبة . محمد الشاعر . نجيب رشيد . نور الدين يوسف . نصر
كامل . نصر منصور . نصر الاضي . نجيب النسر . نديم ناصر . نديم
منوج . نصر خضرة . نور الدين الدن . نجم الدين ليم . نديم محمد
حرجيل . نديم طاهر ثريا . نديم لعيد علي . نور الدين فقة . نسيب
الجلاب . زده ماري . هاشم محمود . ناضي حاتم . وحيد كنجو . وجيه
حدان . يوسف خليل . يوسف اديب . يوسف علوش . يوسف صقر .
ياسين حريا . يوسف شاكر . يوسف احمد الناعم . ياسين ثريا . ياسين
حجابوي . بونس بلال . يوسف سليم . يوسف حروفش . بونس علي .
يوسف سلطان . يحيى حاج عمر فاروق . ياسين حشه . يوسف قكوح .
يوسف عبدو . بونس صالح . يوسف خليل
9٦٤ / ٣٧ / ٣٧

قبر السيد المكزون السنجاري

(٨٨٢ - ٩٣٨ هـ - ١١٨٧ - ١٢٤٠ م)



الأمير عز الدين الحسن بن يوسف المكزون السنجاري، أحد الأمراء المجاهدين، والعلماء الأفذاذ، سليل الأسرة المكزونية التي كانت لها إمارة الموصل وسنجار التي ساست بسنجان سنة ٣٨٦ هـ، وينحدر بأجداده إلى الأمير زيد أمير جرجان وطبرستان سنة ٩٨ - ١٠٠ هـ. من أحفاد المهلب بن أبي صفرة الأزدي.

جاء إلى الشام ليدفع عنها شرور بعض المعتدين وذلك سنة ٦١٧ هـ فحارب مع من أقبل معه من قبائل العراق آنذاك، وقد قيل أنه أقبل بخمسين ألف مقاتل، استطاع بحكمته وحنكته وشجاعته أن يفرض السلام ويدعو إلى الألفة والوفاء، ثم انصرف بكل نشاطه إلى العلوم وانشغل بها انشغالاً صده

عن سبيل الدنيا ولمذاقتها حتى عد في الزهاد الفقراء الذين يستسقى بهم ويلوذ بهم اللائدون المستغيثون، وكان من أمر انصرافه أن ظهرت له كتب واثار ومنظومات وأشعار، لعب بها الدهر ودار، وهي بحاجة اليوم إلى من يعيد إليها رونقها ويزيل عنها رنقها، ويظهرها خالية مما ران عليها من الاضافات، ويجلي اكسير السعادات، وكان ممن تشرف بزيارة النجف الاشرف في العراق قبيل شهرته في الآفاق ولاندري إذا كانت تلك الزيارة لمحض التشرف بحضرة الإمام الاقدس أم عكوف في حوزتها على مدارس العلم وتلقيه هذا مالم نتوصل إليه، ولعلنا نفترض ذلك أخذاً من مدارك الأمير السنجاري وسعة معارفه وخوضه في علوم شتى لكننا لانجزم بذلك مالم نرى قرينة من التاريخ تثبت، ورأي يدعم.

معرفة الله والمكزون السنجاري

هذا عنوان كتاب من أمتع الكتب وأعمقها في تاريخ الدراسات الفلسفية والأدبية، ألفه الدكتور اسعد أحمد علي، وهو بالاساس رسالة قدمت لمعهد الآداب الشرقية (الجامعة اليسوعية) للحصول على درجة الدكتوراه باشراف المستشرق الفرنسي الدكتور الأب ميشال الار، وقد سبق للعلامة اسعد علي أن نال لقب (الدكتور) في الآداب كذلك (قسم الأدب العربي) عن رسالته الموسومة بـ

«فن المنتجب العاني وعرفانه، من جامعة طهران سنة ١٩٦٧م، وفي كلا الرسالتين جهد عظيم أبرز فيه المؤلف (المكزون والمنتجب) معاً إلى عالم الدنيا فأحياهما بعد موت واطهر أفكارهما بعد أن كادت تحتضر من الجهل المطبق بحقيهما وفضلهما على العلم والمعرفة، ولو تصفحت وتعمقت فيما عرضه (أسعد علي) من الدراسة الشائقة في الأسلوب والمنهج والنتائج التي توصل إليها أو قل وفق إليها لرأيت شيئاً عجباً يذكرك بالالهامات الالهية والاشراقات الربانية التي أمدته لمعرفة المطلق فانتفض عابراً جسور المعرفة من الغيب إلى الوجود، بلغه الله سعادة الدارين فيما قدم وخدم، ويورك في شروقه المتجددة، وتفتحات حبه المتألفة.

وإلى كتاب (معرفة الله والمكزون السنجاري) اشير إلى من أراد الاستزادة عن فلسفته وحياته، ولوراجعنا البحث الذي دونه (أسعد علي) والذي سماه: عصر المكزون أو المكزون في عصره لرأينا فيه تفصيلات مثيرة عن حياته، وبيئته، وعصره، على أن المكزون قد أهتم به الكثيرون ممن سبقوا أسعد علي أو عاصروه أو من جاءوا من بعده، ويكفي الإشارة إلى ماكتبه العلامة الأكبر الشيخ سليمان الأحمد، والشيخ يونس حسن رمضان رحمهما الله تعالى، ولا بد لطالب معرفته وميتقى دراسته أن يطلع على الجميع.

أما شعره فيغلب عليه الطابع الصوفي والفلسفي ومن ذلك قوله:

لولا سنا من رية الخدر بدا	لم يلق حادي المدلجين الرشدا
ولا اهتدى إلى حماها حائر	بكشفها في سترها، لولا النداء
دعت، قلباًها السميع، وانثنى	عنها الأصم مستجيباً للصدى
وأوهم الناس هوى في قصدها	حتى أضل قومه، وما هدى
علت، فأدناها كمال لطفها	من عبدها، حتى بدت كما بدا
تحير العالم في جمالها	وأصبح العشاق فيها قددا
«فواقف، عند «مثال، ظلها	ودتائه، أضحى لسلمى ملحدا
ودعارف، «يثبت، من ذواتها	«بمحوه، «ما، للعيان أشهدا
واحدة الحسن التي أمسيت في	حبي لها بين البرايا أوحدا
وصرت فيها «أمة، ياتم بي	كل محب، راح فيها، أوغدا
صبا إليّ «الصابئون، اذ راوا	طرفي لنجم الحسن فيها رصدا
واتخذ «المجوس، قلبي قبلة	لما رأوا للنار فيه موقدا
ولم أزل متسعاً، مسبعا	مخمسا، مثلثا، موحددا
وبي اقتدى في الحب من ثنى، ومن	ثلث، أو أسلم، أو تهودا
و «شيعا الحق، ارتضوا بسنتي	واتخذوني في الغرام مشهدا

و «الحنفاء» تابعوني، اذ رأو
والحكماء العارفون، صوبوا
وظنني «مجسداً» في نعتها
وما درى بأنني لذاتها
فلا أرى في الكون شخصاً واحداً
لأن داري لم تنزل «دائرة»
ما ورد الصادي زلال موردي
ولا اقتدى بي في هواها حائر
فإن أكن عيْدُ هواها، فبهِ

وله أيضاً:

للغيب قلبي في هواكم مشهد
ماعن شريعته لصادٍ مصدر
فيه توحدت القلوب على الهوى
في ظل «ظاهرة» ثووا، فمغور
و «مجدد» معنى الهوى «بعيانه»
ومكابر أحساسه في أنه
فيريك باطل ما ادعاه، بجحده
ومحجب بالاسم عن معنى الهوى
لايستضيء بنور حكمة عالم
تمسكون من الحياة بظاهر
لم يفرقوا بين المسمي، واسمه
فارغب إلى دار تخطأها الشقا
«بالهند» قبته، وفي «أتراكها»
ويصين أهل الصين منزل غيبها
ثم يصب عنها الصائبون ولم يهد
وبها النصارى قدسوا، ويذكرها
أنا في هواها مشهد ومغيب
ومنزّه، ومشبه، وموحد

ني في اتباع رسلها مجتهدا
رأيي برفع «الوصف» عنها والبدا
بصورة -غراغتدا مجسدا
أمسيت من «صفاتهما» مجردا
يهوى هوى، الا ولي فيه اقتدا
تجمع من «ضل السبيل» واهتدى
من عينه، الا انتفى عنه الصدا
الا وأضحى هادياً إلى الهدى
رحلت لأرياب الغرام سيدا

كل البرية مطلق ومقيد
اذ ما لبادٍ في سواه مورد
وتعددت أهواؤهم، فتعددوا
في قصد «باطنه» وآخر منجد
وعم على «غيب» الشهادة يشهد
وسواه من أضداده متوحد
لمقال من للقول منه يجحد!!
العذري، في تيه العمى يتردد
للكابين عن الصراط مقلد
عن قصد باطنه عموا، وتبلدوا
ولغير رسم الاسم لم يتعبدوا
ولأهلها فيها النعيم السرمد
بئر، وقصر في العلاء مشيد
للشاهدين على الشهادة مشهد
الا اليها في الهدى «المتهود»
الانصار في جنح الظلام تهجدوا
فاعجب لكوني واصف ومجرد
ومعدّد، ومقرب، ومبعد

ومكلف، ومرفه، ومبصر
ومفوض، والجبر غير مجاهد
متفلسف، متصوف، متسنن

ومن شعره

قالوا: الجماعة.. قلت آل محمد
ويهم على توحيده في عصبة الإسلام
أفغيرهم أبغي السبيل إلى الهدى
وقال:

أبو طالب كفل المصطفى
وأنفق في نصره ماله
وأظهر في الشعر تصديقه
وذا كافر وابن حرب به
وقال:

قول الاله جل في كتابه
أنا الولي ورسولي والذي
فخصه منه بوصف لم يكن
فأوجب الله له ولاية
وله أنس الله وحشته:

قوم بهم شفع الاله رسوله
أيروم في الإسلام حظاً من عدا
لا والهدى لم يهد من ناداهم
وقال:

شرفي وعزي انكم
واليكم فقري به
وعليكم حُسن اتكالي صار
وبكم وجدت على خصو
وقال:

وما ساءني جهل العمي برتبتي
ولا ضرني شرب الحميم لمنكري

ومبصر، ومقلد، ومقلد
عندي، لأن عيانه لا يجحد
متشيع، ذو رغبة، متزهّد

قوم بهم شفع الله رسوله
إذ جحدوا أقام دليله
وهم الذين بهم أبان سبيله

وجاهد عنه وجافى المجافي
واصفاه من وده كل صاف
وعن قوله لم يمت ذا انحراف
غدا مؤمناً ذا عمى غير خاف

على على جاء نصاً قاطعاً
أتى الزكاة في الصلاة راكعاً
بغيره فيما رووه واقعاً
على الذي للذكر اضحى تابعاً

وكتابة بهم الرسول لقد شفع
أبوابهم والى معاديهم رجع؟
يوماً ولاضل الذي لهم اتبع

دون الورى شرفي وعزي
نلت الغنى عن كل كنز
من أعداى حرزي
مي قدرة من غير عجز

ومشهد أرباب البصائر مشهدي
ومن سلسبيل الخلد في الخلد موردي

قبره:

المشهور أنه دفن في كفرسوسة (بدمشق) لكن التحقيق الذي كتبه الصديق الأستاذ حامد حسن يُظهر خلاف ذلك، وفيما يلي نص كلامه رحمه الله:

كل المصادر التي ذكرت ولادته وشيئاً عنه تقول: أنه دفن في قرية كفرسوسة بقرب دمشق، ولكننا نعلم -من قوله نفسه- إنه عاد إلى مدينة سنجار سنة ٦٢٠ هـ وظل هناك حتى سنة ٦٢٧ هـ فهل ترك سنجار، واستوطن دمشق؟ وأين قضى أحد عشر عاماً من عمره، إذا صحّت وفاته عام ٦٣٨.

يقول الطويل ويوافقه عبد الله بن المرتضى المؤرخ الاسماعيلي وصاحب كتاب «الفلك الدوار» أنه بعد غزواته، اعتزل الامارة، وتزهد، وسلك طريق التصوف، كشيخه محي الدين بن عربي. أما اعتزاله الحكم والامارة، وزهده وتصوفه، فلا خلاف عليه ولا نقاش به، لكن الخلاف في قولهما: إن شيخه هو محي الدين بن العربي!! فهل كان ابن عربي شيخه حقاً؟ وهل تتلمذ عليه؟ ومتى؟

من المرجح أن تكون معاصرة المكزون لمحي الدين بن العربي، وسلوكه طريق التصوف الذي كان ابن عربي يسلكه، وكان ابن عربي يعتبر شيخ المتصوفة آنذاك هما اللذان ربطا بين خيال المؤرخين، وبين هذه التلمذة، ونحن نعلم أن شيخ المكزون ومؤديه، يدعى «عبد السلام» ولقد ذكره في شعره، واعترف بعلمه وأدبه، وفضله عليه. وإذا رجعنا إلى النازم الفكري، والعقائدي بين المكزون، وبين ابن عربي، وجدناهما يختلفان كل الاختلاف في المسائل الصوفية، والعقائدية ولكل منهما آراء وأفكار تناقض الآخر، وخاصة في أهم مسائل الفكر الصوفي، كالصفات ووحدة الوجود. فالمكزون لا يقول بوحدة الوجود التي يقول بها ابن عربي وغيره من المتصوفة، ولا يقول بالحلول الذي قال به الحلاج، ولا بالاتحاد والوحدة اللتين قال بهما ابن الفارض، وابن عربي والفارض متفقان في كل ذلك، لأن آراءهما في تلك المسائل واحدة، ولقد طلب -كما يقول الرواة- ابن عربي -وهو دمشق- من ابن الفارض -وهو بمصر- أن يأذن له بشرح قصيدته المسماة «نظم السلوك»، والتي تجمع كل خصائصه الفكرية والعقائدية، فأجاب ابن الفارض لا داعي لذلك، فإن كتابك «الفتوحات المكية» هو شرح لها. والمكزون يرد على ابن الفارض رداً محكماً مفحماً، ويرميه بالمين والكذب، وادعاء الحب، والجمع بين النقااض كما أوضحنا ذلك في محله. وابن عربي يدافع عن الحلاج، ويبرر قوله «أنا الحق»، والمكزون يحمل على الحلاج، وأشياعه من الحلوليين حملة شعواء، وينكر عليه قوله «أنا الحق». وعلى هذا لا يكون ابن عربي شيخه، ولا تلقى عنه شيئاً من أسرار القوم وطريقتهم.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، أن المكزون حارب -فيمن حارب- الأكراد، وقهر زعيمهم

«خمارتكين، كما يقول صاحب مختصر العرب- وجلاهم، واحتل أماكنهم، وأسكنها أشياعه، ومكّن لهم منها، فكيف رجع، واستوطن دمشق، ومات فيها، في حين كان أمراء دمشق من الأيوبيين الاكراد، الذين قهر المكزون أبناء قومهم؟ وعلى هذا لم يبق لدينا أي دليل يشير إلى أن المكزون استوطنوا دمشق، وصحب ابن عربي، ومات ودفن فيها.

هناك في قرية كفرسوسة الكائنة في الغرب الجنوبي من مدينة دمشق مقام يدعى «السنجاري»، فهل تحتم أن يكون المقام المذكور هو قبره؟

والسنجاريون كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال: السنجاري المتكلم أحمد بن إبراهيم، والسنجاري أبو السعادات أسعد بن يحيى، والسنجاري عبد الله بن علي، السنجاري الفقيه علي بن تاج الدين، والسنجاري السمرقندي محمد بن عبد الرحمن، والسنجاري السكاكيني محمد بن عبد القادر، والسنجاري قوام الدين محمد بن محمد، والسنجاري ركن الدين محمود بن الحسين، والسنجاري شمس الدين محمد بن المبارك. وأشار ياقوت الحموي إلى أن سنجار أنجبت عدداً كبيراً من العلماء والأدباء والشعراء نذكر بعضاً منهم في كتابه معجم البلدان.

قلنا أن هناك قبراً يدعى «السنجاري» في قرية كفرسوسة، يُقدّسه الأهليون ويتبركون به، ولا يحلفون به كذباً، وكان موقعه أمام باب جامع القرية المعروف بالجامع الكبير العمري، الكائن في منتصف القرية من الجهة الشمالية ضمن حديقة صغيرة، وإلى جانبه قبران آخران، وبين القبر وباب الجامع تقع «بحيرة» ماء، كما يسمونها، وهي بركة معدة للغسل والوضوء.

وفي عام ١٩٢٨ ضاق جامع القرية بالمصلين، فأجمع رأي أهل البلدة على توسيعه، واضطروا إلى إزالة القبور الثلاثة وبينها قبر «السنجاري». واشترى رجل من القرية يدعى «محمد زكي بقله، بعض الحجارة لاستخدامها في بناء بيته، وبينها «شاهدة» قبر «السنجاري» فاحتفظ بها، ولم تزل في حوزته حتى اليوم.

ويظهر أن القبر هذا قد جدد بناؤه في ١٢ جمادى عام ١٢٧٩ هـ كما تشير «الشاهدة»، المشار إليها، وعليها بعد البسملة، وتاريخ تجديد القبر بيتان من الشعر. والبيتان ضعيفان معنى وتركيباً وعروضاً، وليليهما: هذا مقام محمد السنجاري قدس سره. وخلافاً لما جاء في كتب التاريخ عن قبر الأمير حسن المكزون وما سادعقول الكثيرون من المهتمين بهذا الشأن، فإن القبر التاريخي هذا ليس قبر الأمير حسن المكزون قطعاً، وإنما هو قبر شمس الدين محمد بن المبارك السنجاري المتوفي سنة ٦٥٤ أي بعد وفاة الأمير حسن المكزون بستة عشر عاماً بدليل ما جاء في تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، لأبي شامة الدمشقي، في حوادث سنة ٦٥٤ وفي الصفحة ١٩٤ وهو كمايلي:

«وفي يوم الخميس تاسع ذي الحجة - وهو يوم عرفة - توفي شمس الدين محمد بن المبارك السنجاري، وذكر من صفاته أنه كان رجلاً سخيّاً قاضياً، سمع معي - أي مع المؤلف - كثيراً من كتب الحديث، وغيرها لما أسمعت ولدي محمداً رحمه الله، ثم سافر إلى مصر، وحج الحرمين سنين كثيرة، ثم قدم دمشق وأقام بها نحو عامين وتوفي».

فتاريخ الوفاة بين المكزون، وشمس الدين محمد بن المبارك متقارب، واللقبان أيضاً متقاربان فالمكزون يلقب بحسام الدين وسيف الدين، وابن المبارك يلقب بشمس الدين، والنسبة لكليهما هي «السنجاري».

وإذا كان تقارب تاريخ الوفاة، وتشابه اللقبين، والكنية الواحدة، قد قادت المؤرخين إلى عدم التمييز بين أيهما المدفون في كفرسوسة، فإن هناك أيضاً تشابه آخر يقودنا إلى الاشتباه، وعدم التثبت، وذلك حاصل من تقارب اسمي قريتين، وكلاهما مركب من اسمين.

هناك قرية تدعى كفرتوتة بالتاء المثناة الفوقية المضمومة، والتاء المثناة المفتوحة، بينهما واو ساكنة، فتاء معقودة، وهي شبيهة بكفرسوسة، باللفظ والكتابة والتصحيف، وتقع بين دارا^(١) ورأس العين.

كفرتوتة، أو كفرتوثا، بضم التاء المثناة من فوقها، وسكون الواو، وتاء مثناة، قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، بينها وبين دارا خمسة فراسخ، وتقع بين دارا، ورأس العين، ينسب إليها جماعة من أهل العلم.

ومن المعروف أن بلدة سنجار تقع قريبة من هذه المواقع في الجزيرة، فهل كل هذه «الموافقات» تجيز لنا أن نفترض أن قبر المكزون في كفرتوتة، لقربها من سنجار، وإن التشابه الذي ذكرناه بين الأسماء، والكنى، والقريتين، اختلط في مفهوم المؤرخين، فكان حسام الدين المكزون السنجاري في زعمهم هو المدفون في كفرسوسة، لاشمس الدين السنجاري، أو ضاع عليهم اسم كفرسوسة، اسم كفرتوتة. إنه مجرد افتراض!!

وفي أحد أعداد مجلة «العرفان» التي كان يصدرها في صيدا - لبنان - أحمد عارف الزين، سؤال موجه إلى رئاسة تحرير المجلة المذكورة عن «قبر» الأمير حسن المكزون، ولقد أجاب عليه العلامة الأب انتستاس الكرمللي بقوله: هناك قرية عراقية - قريبة من سنجار - تسمى «معمرلا» وأهلها يكتمون عقائدهم، وفيها مزار يدعى الشيخ «حسن» وأهلها لا يحلفون به، أي لا يكذبون إذا حلفوا باسمه.

(١) دارا بلد في لحف جبل بين نصيبين وماردين، بناها الاسكندر المكدوني، في الموضع الذي تغلب فيه على دارا بن قباد الفارسي، حيث قتله، وتزوج ابنته وبنى المدينة وسماها باسمه.

مشهد عمر بن عبد العزيز في المعرة

نسبه وولادته:

لا خلاف بين النسابين وكتاب السير في أن عمر بن عبد العزيز قد كان أموياً^(١) من جهة أبيه، وكان عدوياً من جهة أمه فهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عدى. تزوج ثلاث نسوة وهن: لميس بنت علي، فاطمة بنت عبد الملك، وأم عثمان بنت شعيب وأنجب ثلاثة عشر ذكراً وثلاث بنات غير أن هؤلاء الأبناء جميعاً لم يكونوا من نسله الحرائر. وإنما كان بعضهم كذلك، وكان البعض الآخر وهو الأكثر من (أمهات أولاد) ومهما يكن من شيء فإن المؤرخين قد اختلفوا في مكان ولادة عمر. أهو مصر^(٢) أم المدينة.^(٣) وفي زمانه أهو التاسع والخمسون من الهجرة أم هو العام المكمل للستين أم الحادي والستون أم العام الذي يليه أو الذي يليه، والذي ينعم النظر في هذه الأقوال كافة يتبين له أن ولادته قد كانت في المدينة، لأن أباه لم تسند إليه ولاية مصر إلا في العام الخامس والستين للهجرة. أما زمن الولادة فهو العام الحادي والستون وهو العام الذي استشهد فيه الحسين بن علي -عليه السلام. وقد تضاربت الأقوال في نشأته -رضي الله عنه- فقيل: إنها كانت في المدينة، وقيل: إنها كانت في مصر، ومن الرواة من لا يقر هذا ولا ذاك ويرى أنها كانت في الشام، ولا تعارض عندي بين هذه الأقوال، فإن عمر قد بقى في المدينة بعد ولادته زماناً في حجر خاله عبد الله بن عمر بن الخطاب. وبعد رحيل أمه ليلى بنت عاصم إلى زوجها عبد العزيز بن مروان في مصر وبعد فترة غير طويلة ذهب عمر إلى مصر للسلام عليه، فأقام عنده ماشاء الله أن يقيم، ثم أرسل إلى الشام، حيث قسبة ملك آبائه وأجداده بني أمية، ولما أراد أبوه العودة به إلى مصر، قال له: يا أبت أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك؟ قال: وما هو؟ قال: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء وأتأدب بأدائهم، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة وأرسل معه الخدام^(٤) وجاء في إحدى الروايات أن عبد الملك خصص له راتباً شهرياً قدره ألف دينار.^(٥)

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى (ط بيروت) ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م، ٣٣٠/٥، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) مشاهير علماء الامصار (ط القاهرة) ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٩ م ص ١٨٧.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ ص ٣٢٢، تحقيق اكرم ضياء العمري (ط بيروت) ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م.

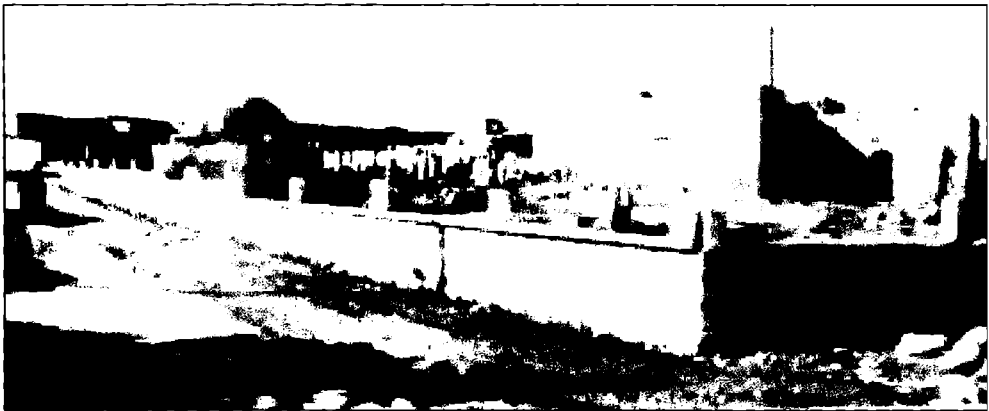
(٣) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز / ص ٢٠ (ط دمشق) ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م ص ١٩ - ٢٠.

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية - مكتبة المعارف ج ٩ / ١٩٢.

(٥) عبد الرحمن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز (ط المؤيد) ١٣٣١ م ص ٢٠ - ٢١ مصر.



ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز (رض)



ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز (رض) وبجانبه قبة الشيخ منصور

أما حياته العلمية:

فقد كان عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ذا ذكاء حاد وذهن متوقد فلم يكد يلقى عصاه في المدينة حتى أتم حفظ القرآن وهو طفل ناعم الأظفار، ثم راح يختلف إلى علماء قريش ويدع شبابها، وقد كانت المدينة آنذاك مجمع العلماء وملتقى الفقهاء ومهوى الأدباء والشعراء، فأكبّ على كل فريق ينهل من علمه ويغترف من ثقافته حتى بلغ المدى وأدرك الغاية، وقد اختار له أبوه صالح بن كيسان^(١) وهو أحد أئمة الحديث في عصره وفوض إليه أمر تأديبه وتهذيبه وكان نعم المعين له على تحقيق المهمة التي وضعها على عاتقه.

تأخر عمر يوماً عن الصلاة في الجماعة فقال له صالح بن كيسان: ما الذي أخرجك؟ قال: كانت مرجلتي تسكن شعري! قال له: تقدم ذلك على الصلاة! وكتب إلى أبيه في مصر فبعث إليه رسولاً، فلم يكلمه حتى حلق رأسه. وكان عمر شديد الطاعة لمن يجلس إليهم من العلماء. سمع عبيد الله بن عبد الله - وكان أحد أساتذة عمر - أنه يعيب علي بن أبي طالب^(٢) فسأل عنه، فعلم أنه يصلي، فانتظره حتى فرغ، وقال له: يا عمر، متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم؟ ففهمها عمر وقال: معذرة إلى الله ثم إليك والله لا أعود.

قال الرواة: فما سمع بعد ذلك يذكر علماً إلا بخير، ولم يكن صالح بن كيسان ولا عبيد الله بن عبد الله هما اللذان كانا يجلس إليهما عمر في المدينة فقد كان يجلس إلى فقهاء السبعة وهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله، وخارجة بن زيد، وسلمان بن يسار، والقاسم بن محمد وغيرهم كثير ومنهم على سبيل المثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن جعفر، والسائب بن يزيد، وأنس بن مالك، ويوسف بن عبد الله. ومن كان هؤلاء هم بعض أساتذته كان جديراً أن يجلس على أريكة العلم ويأخذ صولجان المعرفة. ويكون بين أقرانه كالشمس بين الكواكب. وهذا هو ما كان فقد حذق عمر علوم اللغة وعلوم الدين وقرض الشعر وعرف أيام العرب وشهد له مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما ممن انتهت إليهم الصدارة في الفقه والإمامة في العلم على كرا الدهور ومر العصور.

قال عمر: لقد رايتني وأنا في المدينة غلاماً من الغلمان، ثم تأقت نفسي إلى العلم إلى العربية فالشعر فأصبحت منه حاجتي^(٣) وكان يقال له «أشج بني أمية»، وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام فدخل على أمه فضمته إليها وعدلت آياه ولا مته، إذ لم يجعل معه حاضناً، فقال لها عبد العزيز «اسكتي يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بني أمية».

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ ورقة ١٣٢..

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية - ١٩٣/٩.

(٣) عبد الرحمن الجوزي - سيرة عمر بن عبد العزيز - ١٣٣١ م ط. مصر.

وقيل كان ابن عمر يقول: «يأليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً؟»

وُلِيَ المدينة سنة ٨٧ هـ... ثم إن الوليد بن عبد الملك ضم إليه بعد ذلك مكة والطائف فأصبح عمر بذلك أميراً على الحجاز كله.. وولى الخلافة سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠١ هـ على أن عمر في عنفوان شبابه لم ينس نصيبه من حياة الترف في حدود الاستمتاع الحلال المشروع حتى إذا حمل أعباء الخلافة نفّض يده من الدنيا جملة.. تقول كتب التاريخ في هذا الصدد (ذكروا أن عمر كان أعظم أموى ترفها، فلا يمر في طريق ولا يجلس في مكان إلا عرف برائحته، وكان يمشي مشية تسمى العمرية كان الجوّاري يتعلمونها من حسناتها وتبخرتها فيها، وقد ترك كل شيء كان فيه لما استخلف غير مشيته فإنه لم يستطع تركها.. قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر أعوده فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة «اغسلوا ثياب أمير المسلمين»، فقالت نفل، ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت ألم أمركم أن تغسلوا قميصه؟ فقالت: والله ماله غيره. كل هذا يصور لنا بجلاء أنه لم ينس نصيبه من الدنيا في شرخ صباه فلما أن ولى الخلافة خرج عن جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع.

خلافة عمر

بُويع له في دابق وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين. (أيلول ٧١٧) وهو اليوم الذي توفي فيه سليمان بن عبد الملك. فلما فرغ من دفن ابن عمه سار إلى المسجد وسار معه الناس، فصعد المنبر فقال خطبة الخلافة.

(أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته، كفاه الله أمر دنياه، واصلحوا سرائركم، يصلح الله الله الكريم علانيتكم، واكثروا ذكر الموت، واحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات وإن امرء ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت. وإن هذه الأمة لم تختلف في ربه، ولا في نبيها، ولا في كتابها، إنما اختلفوا في الدينار والدرهم، واني والله لا اعطي احد باطلاً ولا امنع احد حقاً). ثم رفع رأسه حتى أسمع الناس فقال:

(أيها الناس! من اطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، اطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم).

يقول الاستاذ عارف النكدي معلقاً على ذلك:

هذه الخطبة، كانت العهد الذي قطعه عمر بن عبد العزيز للأمة على نفسه وإذا نحن وازنا بين هذه الخطبة وخطب العرش اليوم، يلقيها رئيس الدولة يوم تلقي اليه الأمور بمقاليدها، أو عند مفتتح المجالس النيابية، نرى انهما تتفقان بدءاً وتختلفان عوداً. تتفقان في شرح حال الدولة، وفي السياسة التي يراد انتهاجها..

رأى عمر أن الدين قد ضعف على القلوب سلطانه. وأن هذه الأمة مازالت مختلفة النفوس. متشتة القلوب. لم تقم لها قائمة. ولا اجتمعت لها كلمة، ولا نهضت بها تربية إلا عن طريق هذا الدين. وكل جماعة لا بد لها من عقيدة جامعة، تنتظم شملها، وتوحد قواها، سواء أكانت هذه العقيدة دينية، أو وطنية، أو غيرهما. والا انتثر العقد وتفرقت الأمة بددا.

ولم يكن في ذلك العصر من جامعة أقوى من جامعة الدين، لذلك كان أول ما بدأ به عمر، أن حرك في قلوب رعيته هذا الشعور، فذكرها بالله، وباليوم الآخر، وصور لها الموت ماثلاً أمام أعينها، ليهون عليها شأن الحياة، فتكون أسرع إلى مايندبها إليه، وأبعد عن الظلم والعدوان، والرجوع إلى الجاهلية الأولى، ثم إنه بسط الخلاف الذي منيت به هذه الأمة، فوصفه أصدق وصف، في أوجز لفظ (أمة لم تختلف في ربها، ولا في نبيها، ولا في كتابها وإنما اختلفت في الدينار والدرهم).

وعاهد من ولي أمرهم كافة: مسلمهم وذمهم ومعاهدهم - مؤكداً عهده بالله- أن يسير بهم سيرة عدل مطلق، فلا يعطي أحداً باطلاً، ولا يمنع أحداً حقاً، ثم إنه رأى أن ينبه الأمة إلى حقوقها على أميرها، وأنه إذا كان للأمير على رعيته حق الطاعة، فلها عليه أن لا تكون هذه الطاعة مطلقة عمياء، في شهواته وهوائه، ولكنها طاعة مقيدة بطاعة الله، وبما جاء في كتاب الله، وبذلك رجع عمر بن عبد العزيز من ذات نفسه، عن الملك العضوض، إلى الخلافة الأولى وعلى تعبير اليوم، من الملك المطلق، إلى الحكم الدستوري.

تناول عمر في خطبته هذه السياسة الدينية، والسياسة الشرعية، والسياسة المدنية، ولم يتعرض للسياسة الخارجية، لأنه لم يكن يوم انتهى الأمر إليه من سياسة خارجية غير سياسة الفتح، وعمر لم يكن له هم بالفتح.

من هذين الوجهين، وصف الحالة التي كانت وسط السياسة التي تنتهج -وهما المقدمة- اشبهت الخطبة السياسية العمرية، الخطب السياسية العصرية. ومن حيث التنفيذ والعمل - وهما النتيجة- اختلفتا.

فالخطبة السياسية اليوم، تسمعها فتسمع الشعر المرقص، يوحى الإخاء الصديق، والمساواة الحق. والعدل المطلق، وحقوق المستضعفين في الأرض، فيخيل إليك أن لا ظلم ولا عدوان، ولا فتح ولا استعمار، وإن الراعي خادم الرعية، بل عاشقها الموته، من أجلها يعيش، وفي سبيلها يموت، وتنتظر إلى العمل! فترى مايقطع قلبك حزاة والمأ: استعباد محكم، ومحابة بحتة، وظلم ممرح، وعدوان بين، وحقوق المستضعف سلم يصعد بها السياسي إلى أغراضه ثم يرمي بها الأرض يحطمها، والأمة تموت وهي جماعة، ليعيش القوي وهو فرد وكم في سوادها من هو خير منه. لسان عذب كله رحمة، ويد فراسة كلها عذاب. كما قال اخو بني عامر.

وكننت كذباح العصافير دائماً وعيناه من وجد عليهن تهمل

فلا تنظري ليلي إلى العين وانظري إلى الكف ماذا بالعصا فير تفعل

أما عمر فقد ألزم نفسه العمل بما قال. فلم يعدل عن منهاجه الذي رسم قيد شعرة. ذلك أنه كان يتكلم بقلبه لا بلسانه.

رأى أن الناس قد تركوا خوف الله، فأنصرفوا إلى الدنيا ونسوا الآخرة، فأمرهم بتقوى الله، والعمل للأخرة وذكر الموت، والاستعداد له، وكان أسرعهم إلى ما أمر به، ورأهم وهمهم المال يقتتلون فيه ولا يباليون بأي وجه كسبوه، فعنى على الأمة أن تختلف في الدينار والدرهم، وكان أزهدهم فيهما، وأكثرهم احتقاراً لهما، وأنصرفاً عنهما، وعاهد الله أن لا يعطي أحداً باطلاً، ولا يمنع أحداً حقاً، ففقدى خلافته كلها وما يستطيع امرؤ مهما جهد نفسه أن يؤاخذ به بحق إعطاه غير مستحق. ورأى قومه من أمة قد خرجوا بالخلافة عن سننها الشرعي خروجاً بيئاً، واستأثروا بها مادة ومعنى، استثنائاً هاج من قريش والعرب الاحقاد، وحرك في نفوسهم الاطماع، فكثرت الراغبون فيها على ماسبق أن أشرنا اليه. وانقسمت الأمة بانقسامهم إلى شيع تقاتل وتطاحن. وفي ذلك تقطع الارحام وتمزق شمل الإسلام. وكان الداعون إلى أنفسهم يرون في اثره الأمويين بمال الأمة حجة للغضب لله.

قال الهيثم في فتنة ابن الزبير: ثم أن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد: زوجة عبد الله بن عمر. فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ولرسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار، من اثره معاوية وابنه وأهله بالضيء وسألها مسألته ان يبايعه. فلما قدمت له عشاء، ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده. وأثنت عليه، وقالت: ما يدعو إلا إلى طاعة الله، وأكثرت القول في ذلك فقال لها: أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحج عليهن الشهب فابن الزبير ما يريد غيرهن وإذا كان في قول عبد الله بن عمر، في حق ابن الزبير (أنه ما يريد غير البغلات الشهب) شيء من الغلو اقتضاه حوار زوجته، فضيه دليل ايضاً على ما كان في النفوس من التطلع إلى خلافة كان يتمتع صاحبها بما يستهوي القلوب فتندفع رجالات قريش إلى التحاسد فيها، والتغري عليها. فيقتتلون، وتراق دماء هذه الأمة في الدينار والدرهم، وفي مثل البغلات الشهب.. ولعل الطماح اليها كان يكون أقل. فيكون الخطب فيها على الأمة أهون، لو ان الخليفة الأموي كان يكبح من جماح شهواته بعض الشيء، فلا يسرف في الأبهة إسرافاً يثير طماعة رجالات العرب، ومطامح ابناء عمومته من سائر قريش. وعهدهم بالمساواة قريب ولعلك تدرك مبلغ تهافت الناس على الحكم. وطماعيتهم فيه.

إذا أنت نظرت في يومنا هذا إلى الأحزاب نبذ أكثرها المبادئ العامة، فانقلبت أحزاباً وصولية^(١) تقاتل وتكالب على الأمر، في كل أمة وقطر، وابتشع ما يكون ذلك وازراه، في الشعوب المستضعفة،

(١) وصولي تعريب (Arriviste) وهو الرجل لا هم له إلا الوصول إلى مطعمه مهما كلفه الأمر. تطلق هذه اللفظة على الذين يحصرون مسعاهم في الوصول إلى الحكم.

في بلادنا، حيث ترى المتزعمين يتراهم متهاككين على مناصب الرئاسة، وعروش الملك، ليقوموا بأمر ليس لهم منه إلا اسمه، والا التوقيع يؤمرون به فيمضون فيه، غير مترددين ولا متسائلين، والا التيجان ينقلون بها رؤوساً حناها الذل، وإلا المراكب والسيارات يحملون عليها جسوما ناء بنفوسها التحكم فيها وهم على هذا مستمسكون بكراسيهم صاغرين عانتين. والناس من حولهم على مايرونهم فيه من مذلة ومسكنة يسابقونهم على منصب لا يطمع فيه رجل كرمت نفسه عليه. كل ذلك من أجل مظهر خداع، ظاهرة العظمة وباطنه العذاب.

متى عرفت ذلك واعتبرت فيما تراه اليوم من طمع الناس في هذا الملك الهزيل الفارغ، عذرت الألى تطالوا إلى تلك الخلافة الجبارة، يجمع صاحبها إلى جلال المظهر، سلطاناً ضخماً، وبدأ مطلقة، وقوة لا غالب لها ولا دافع.

فَطَنَ عمر بن عبد العزيز لهذا الأمر، لذلك - ولما وقر في نفسه من خوف الله، ومن كره المباهاة - وقد أصبح الأمر كله إليه ومن معرفته أنه راعي هذه الأمة المسؤول عنها، خادم لها، لا يحل له أن يتعاضم عليها، ويبتز أموالها في أشيائه وحاجاته - أعرض عن زخارف الحياة وأبهة الخلافة منذ أول ساعة أفضت فيها إليه.

فهو لما فرغ من دفن سليمان، أتوه بمراكب الخلافة البراذين والخيول والبغال ولكل دابة سائس. فقال: ما هذا؟ قالوا: مراكب الخلافة، فقال دابتي اوثق لي، فركب بغلته وصرفت تلك الدواب. وجاء صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحرية، فقال: له تنح عني مالي ولك إنما أنا رجل من المسلمين. ثم أنه أقبل سائراً، فقيل له: أمتزل الخلافة، فقال: فيه عيال أبي ايوب - يعني سليمان - وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا. فاقام بمنزله حتى فرغوه بعد قال رجاء: فلما كان مساء ذلك اليوم (يوم البيعة) قال لي: يارجاء ادع لي كاتباً، فدعوته وقد رأيت منه كل ماسرني، صنع ما صنع في المراكب وفي منزل سليمان، فقلت: كيف يصنع الآن بالكتابة اضع نسخاً أم ماذا؟ قال: فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً، من فيه إلى يد الكاتب. بغير نسخة فأملأ احسن إملاء وابلغه وأوجزه. وأمر بذلك الكتاب فنسخ وسير إلى كل بلد. وهذا هو الكتاب.

أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله. أنعم عليه ثم قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدي. أن كان، وإن الذي ولاني الله من ذلك ليس علي بهين، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج، واعتقاد أموال، كان في الذي اعطاني من ذلك، ما قد بلغ أفضل ما بلغ بأحد من خلقه، وأنا أخاف في ما ابتليت به حساباً شديداً، ومسألة غليظة، إلا ما عافى الله ورحم. وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك. فلما تحول إلى دار الخلافة، أمر بالاستور فهتكت، وبالثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت. وأمر ببيعها وبعث بمراكب الخلافة إلى امصار الشام يبيعونها فيها. وقال: يكفيني بغلتي هذه الشبهاء. وأدخل اثمان

ذلك كله في بيت المال وقال للناس.

من صحبنا فليصحبنا بخمس. وإلا فلا يقرينا:

١- يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها.

٢- ويعيننا على الخير بجهد.

٣- ويدلنا من الخير على ما نهتدي - وفي رواية: ويدلني من العدل على ما لا اهتدي له.

٤- ولا يفتابن أحداً.

٥- ولا يعترض فيما لا يعنيه.

فانقش الخطباء والشعراء. وثبت عنده الزهاد والفقهاء.

وقال لحرسه: أن بي عنكم لغنى، كفي بالقدر حاجزاً، وبالأجل حارساً ولا أحرملك عن مراتبكم فيجري لكم سنة من بعدي. من أقام منكم فله عشرة دنائير. ومن شاء فليلحق بأهله. فكان له ثلاثمائة شرطي وثلاثمائة حرسى وبعد أن فرغ من شؤون هذه. التفت إلى أدواء هذه الأمة الثلاثة وكانت قد تمشت في مفاصل الدولة فبدأ، الضعف يدب إليها، بفعل الداء لأفعل السنين. فجعل عمر يعالج هذه الأمراض معالجة السياسي الحكيم والرجل الفطن اللبيب.

برنامج الإصلاح

وناحية أخرى تميز بها عمر عن باقي خلفاء بني أمية، فما إن تولى خلافة المسلمين حتى جد في تنفيذ برنامج الإصلاح، ولقد كان له من زهده ومناصرة العلماء له وموادة أهل بيته: زوجه فاطمة وابنه عبد الملك وأخيه سهل ومولاه مزاحم أقوى عون على ما أراد، بدأ بمنصب الخلافة ممثلاً فيه فجرده من كل مظاهر الأبهة ورده إلى بساطته القديمة... ثم إنه أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها... فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يد سليمان وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة.. وكان يرد المظالم إلى أهلها بغير البيعة القاطعة، وكان يكتفي باليسير فإذا عرف وجه مظلمة ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البيعة لما يعرف من ظلم الولاة قبله للناس، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.. يقول ابن الأثير: (١)

ولما رجع عمر من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مفتماً فسأله: فقال. ليس أحد من أمة محمد في شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أودي إليه حقه من غير طلب منه. وقالت فاطمة امرأته: دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجري على لحيته فقلت أحدث شيء؟ فقال: إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعمري (٢)

(١) ابن الأثير ٥، ٦، ص ٢٩.

(٢) - المصدر نفسه ص ٣١.

والمظلوم والمقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذوي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله، فخشيت أن لاتثبت حجتي عند الخصومة فرحمت نفسي فبكيت، وقال عبد الملك^(١) لأبيه عمر: يا أمير المؤمنين ماتقول لربك إذا أتيتك وقد تركت حقاً لم تحيه وباطلاً لم تمته؟ فقال يا بني: إن أجدادك قد دعوا الناس عن الحق... فانتهدت الأمور إلى وقد أقبل شرها وأدبر خيرها. ولكن أليس حسناً وجميلاً أن لاتطلع الشمس عليّ في يوم إلا أحييت فيه حقاً وأميت فيه باطلاً حتى يأتيني الموت أنا على ذلك، لهذا كله^(٢) أغنى عمر الناس جميعاً إلا نفسه وأهله، فلم ير ولي قوم أعف عن ماله من، ولم ير أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المنهدم منه ومن أهل بيته، ولقد أراح عمر الناس ولكنه أععب نفسه، فكان حركة دائمة يعمل ليل نهار حتى ذهبت نضرته واحترق جسمه.

من أقواله وأفعاله

وفي نثر الدرر للأبي مجموعة من نوادره اخترنا منها مايلي:
ومن ذلك قوله: «من أحب الأمور إلى الله عزوجل الاقتصاد في الجدة^(٣) والعفو في القدرة والرفق في الولاية».

وقد خرج يوم الجمعة إلى الصلاة وقد ابطأ، فقال: أيها الناس: إنما بطأني عنكم أن قميصي هذا كان يرقع -أو كان يغسل- ولا والله ما املك غيره.

وعرضت عليه جارية وأراد شراءها ولم يحضر تمام الثمن، فقال له الرجل: أنا أوخرتك إلى العطاء، فقال: لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة.

وقال عمر يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين عليه السلام، من أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالوا: أنتم، فقال: كلا! أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه، ولم يحب أن يكون من أحد.

وقال: لو جاءت كل أمة بخبيثتها وجئنا بالحجاج لزدنا عليهم. قيل: أول من اتشد المنابر في المساجد للآذان عمر بن عبد العزيز، وإن أول من دعى له على المنابر عبد الملك.

وكان عمر يقول: إن أقواماً لزموا سلطانهم بغير ما يحق الله عليهم، فأكلوا بخلاقهم^(٤) وعاشوا بالسنتهم، وخلصوا الأمة بالمكر والخديعة والخيانة، وكل ذلك في النار، ألا فلا يصحبنا

(١) المصدر نفسه ص ٣١.

(٢) صور من التاريخ الإسلامي.. عبد الحميد بك العبادي ص ١٧٣

(٣) الجدة: كثرة المال.

(٤) بخلاقهم: يحظهم ونصيبهم من الدين. اللسان: خلق.

(٥) هو خالد بن عبد الله القسري؛ ولي الكوفة وقد ولد سنة ٦٦ هـ وقتل بيد يوسف الثقفي سنة ١٢٦ هـ (شذرات الذهب

من أولئك أحد ولا سيما خالد بن عبد الله^(١) وعبد الله بن الأهمم فإنهما رجلان لسان، وإن بعض البيان يشبه السحر، فمن صحبتنا بخمس خصال، فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ودلنا على ما لانهدي إليه من العدل، وأعاننا على الخير، وسكت عما لا يعنيه، وأدى الأمانة التي حملها منا ومن عامة المسلمين فحيهلاً^(٢) ومن كان على غير ذلك ففي غير حل من صحبتنا والدخول علينا^(٣) وأتى يقوم أخذوا على شراب وفيهم شيخ، فظننه شاهداً، فقال له: بم تشهد؟ فقال: لست شاهداً ولكني مبتلى، فرق له عمر، وقال: يا شيخ، لو كنتم حين اجتمعتم على شرائكم قلتم: اللهم تولنا ولا تولنا غيرك لم يعلم بكم أحد.

ودخل على عبد الملك وهو صبي، فقال له: كيف نفقتك في عيالك؟ فقال عمر: حسنة بين سيئتين. فقال لمن حوله: أخذه من قول الله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً»^(٤).

وكتب عمر إلى عدى بن أرطاة في شيء بلغه عنه: إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت. وقال: لو كنت في قتلة الحسين وأمرت بدخول الجنة ما فعلت، حياء أن تقع عليّ عين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وشتمه رجل فقال: لولا يوم القيامة لأجبتك.

وأهدى إليه تفاح لبناني، وكان قد اشتهاه، فردّه، فقيل له: قد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأكل الهدية، فقال: ياعمرو بن المهاجر^(٥) إن الهدية كانت لرسول الله هدية، ولنا رشوة.

قصته على مولى علي

وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أنه سمع عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، روى ابن الجوزي، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدثني عمر بن مورك قال: كنت بالشام، وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس، قال: فتقدمت إليه، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من قرش، قال: من أي قرش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني هاشم؟ فسكت، فقال: من أي بني هاشم؟ فقلت: مولى علي بن أبي طالب، قال: فوضع يده على صدره وقال لي: أيا مولى علي بن أبي طالب، حدثني عدة أنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثم قال: يا مزاحم، كم تعطي أمثاله؟ قال: مائة درهم أو مائتي درهم. فقال: أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) حيهلاً: أي فليبدأ به.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٩٦

(٣) سورة الفرقان: ٦٧. وقواماً: عدلاً، القرطبي ١٣: ٧٤.

(٤) عمرو بن مهاجر بن دينار: من الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام. توفي سنة ١٤٠ هـ. النجوم الزاهرة: ٣٣٩.

وقد روى هذه القصة أبو نعيم فقال عن يزيد بن عمر بن مورك، قال: حدثنا عمر بن شبيه قال: حدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدثني يزيد بن عمر بن مورك بهذا الحديث.

إلا أنه قال: مر علي وزاد في هذا عشرة دنائير، فقال: يعطي ستين ديناراً، ثم قال: إلحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتي نظراءك. وقد رواه الدار قطني فقال فيه: زريق مولى علي عليه السلام.

قال: حدثنا مخلد بن أيوب النصيب، قال: حدثنا مخلد بن الحسن عن هشام قال: وقد زريق مولى علي بن أبي طالب، عليه السلام، على عمر بن عبد العزيز، وكان قد حفظ القرآن والفرائض، فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة، وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لي ديون، قال عمر: ولم يرحمك الله من أي الناس أنت؟ قال: رجل من موالي بني هاشم، فقال: مولى من؟ فقال له: رجل من المسلمين. فقال له عمر: إليك أسألك -صاح به- أتكتمني من أنت؟ فقال سرّاً أنا مولى علي بن أبي طالب عليه السلام -وكانت بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم - فبكى عمر حتى جرت دموعه إلى الأرض، ثم قال: وأنا مولى علي، أتكتمني ولاء علي؟ حدثني سعيد بن المسيب، عن سعد ابن أبي وقاص، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١)

قصيدة كثير في مدح عمر:

قال أبو الفرج بن الجوزي: قد كانت الشعراء تمدحه في إمارته، فلما ولي الخلافة لم يؤثر ذلك، فربما أنشدوه وهو كاره، وممن كان يمدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، فمن ذلك قوله:

تبين آيات الهدى بالتكلم
فعلت، فأمسى راضياً كل مسلم
على كل لبس، فارق الحق، مظلم
وأعرضت عما كان قبل التقدم
بريئاً، ولم تتبع سجية مجرم
تراءى لك الدنيا، بكف ومعصم
وتبسم عن مثل الجمان المنظم
سقتك مدوفاً من سمّام وعلقم
ومن بحرهما في زاخر الموج مفعم

تكلمت بالحق المبين، وإنما
وصدقت موعود الذي قلت بالذي
وأظهرت نور الحق فاشتد ضوءه
وعاقبت فيما قد تقدمت قبله
وليت فلم تشتم علياً ولم تخف
وقد لبست لبس الملوك ثيابها
وتومض أحياناً بعين مريضة
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما
وقد كنت من أجبالها في ممنع

(١) ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد. تحقيق نعيم زرزور، ص ٤٣ - ٢٤ بيروت - دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

قال: وعن (خالد بن يزيد بن جعونة) قال: كان لا يقوم أحد من بني أمية إلا سبَّ علياً، رضي الله عنه، فلم يسبه عمر بن عبد العزيز، فقال كثير عزة:

وليت فلم تشتم علياً، ولم تخف بريناً، ولم تتبع سجية مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت، فأضحى راضياً كل مسلم
قال أبو الفرج رحمه الله: وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضي رحمه الله:
أنت نزهتنا عن السب والشتم فلو يمكن الجزاء جزيتك

قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي في عمر بن عبد العزيز:

هو المرء لا يبدي الأسى في مصيبة ولا فرحاً يوماً إذا النفس سرت
قليل الألياء، حافظ ليمنيه وإن بددت منه الألية برت
شعر جرير في عمر:
ومن قول جرير فيه:

إليك رحلت يا عمر بن ليلي
تعود صالح الأعمال، إنني
إلى الفاروق تنسب، يا ابن ليلي
فما كعب بن مامة، وابن سعدى
على ثقة أزورك واعتمادا
رأيت المرء يلزم ما استعدا
ومروان الذي رفع العمادا
بأكرم منك يا عمر الجواد^(١)

طرف من سيرة ابن عبد العزيز بن الجود والاقتصاد

ولقد كانت من صفات عمر النبيلة جوده وكرمه ولكنه كان في ذلك عادلاً وحكيماً كما أثبت ذلك الشيخ أحمد الشرياصي في مقال له حول شخصية عمر ومما جاء فيه:

قد يعجب المطالع في سيرة الخليفة الخامس والإمام العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حينما يرى أخباراً كثيراً تدل على وجوده وكرمه وسخائه، وأخباراً كثيراً تدل على اقتصاده وتقديره وتشده، وربما عز على المطالع أن يهضم هذه الأخبار التي تبدو كالتناقضة، أو ربما عز عليه أن يعللها ويوفق بينها.

وربما تعجل فوصف الخليفة العادل بأنه من أصحاب الشخصية المزدوجة على النحو المعروف في القصة المشهورة: «دكتور جيكل ومستر هايد»، حيث نرى صاحبها رحيماً غاية الرحمة حيناً، وقاسياً غاية القسوة حيناً آخر.

ولكن المتابع لسيرته المتمعن في أخباره يستطيع أن يجمع بين هذه الأنباء في نظام، دون أن يجد خلالها تناقضاً، ودون أن يجد في شخصية عمر ازدواجاً أو تعقداً، فهو قبل الخلافة كان مترفاً متلافاً، سمحاً جواداً، يذيل ثيابه، ويسرف في عطره، ويدخل في طيبه القرنفل والعنبر

(١) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز.

بكثرة، وتأتيه جبة الخبز الغالية الثمن الرقيقة الحاشية الناعمة الملمس فيعدها خشنة، ويتسع طعام داره حتى يقول: «لقد رأيته وكنا لو ضافني أهل قرية لوجدت مايعمهم».

وكان أثناء ذلك -كما يحدث التاريخ- من أعطر الناس والبسهم وأخيلهم في مشيته، يعرفه الناس برائحته الطيبة من بعيد، ويتنافسون على غسل ثيابهم في الماء الذي غسلت فيه ثيابه، ويحاول الجوّاري تقليده في مشيته ذات الخيلاء، ويجلب له التجار بدائع الثياب من هنا وهناك. وهو يفعل ذلك لأنه شاب، ولأنه يملك ذات نفسه ولايسأل عن غيره، ولأنه في وسط ثري غنى قادر، فجده خليفة، وعمه خليفة، وزوجته بنت خليفة، والمال من حوله كثير وفير... وحسبك في تبيان جوده وسخائه قوله: «ما أعطيت أحداً مالاً إلا وأنا أستقله، وإنني لأستحي من الله عزوجل أن أسأله الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل!»

ثم نرى عمر بن عبد العزيز في الخلافة، فإذا هو يشدد على نفسه، ويضيق في أمر ذاته، وإذا نحن نراه وقد طبق نظام الاقتصاد والتقتير على نفسه بعنف لا مثيل له: لبس الصوف بعد الحرير، واستلان الخشن من الصوف، وقد كان قبل الخلافة يستحسن الناعم من الحرير، وأكثر من أكل العدس حتى قال خادمه يوماً متضايقاً: «كل يوم عدس؟»، وأكل الثوم المسلوق بالزيت والملح، ولبس المرقع البالي، وصار عنده -وهو الخليفة- قميص واحد، يتسخ فينزعه ليغسل وينتظره حتى يجف، ويوقد الشمعة من بيت المال لينظر على شؤون المسلمين، فإذا انتهى من ذلك وانتقل إلى شأنه أبى أن يستضيء بها وأطفالها، وهزل هزلاً شديداً حتى استبان أضراره، وقد كان من قبل سميناً تغيب حجرة إزاره في طيات بطنه.

ويقول له بعض الناس: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعطاك، فلو لبست؟ فيخفض رأسه ملياً ثم يقول: «إن أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة».

وإنما يفعل عمر ذلك، لأنه قد صار خليفة على المسلمين، وأصبح راعياً لهم مسؤولاً عنهم، فانقضى ذلك الفراغ، وذهبت تلك الحرية أو السعة في الوقت والرغبة، وولى عهد الانطلاق في رحاب الترف والدعة، وأقبل عهد التبعة، والواجب والاهتمام لأمر الأمة والسهر من أجل الرعية... ولقد خب عمر رضي الله عنه وعب، ولكل شيء نهاية، وتطلعت عينه إلى الكثير من أمور الحياة فما استعصت عليه أمنية، فلم يبق إلا التطلع إلى الخلود الدائم والمجد الصحيح، إلى أداء الواجب وابتغاء رضوان الله.

ويترجم عمر عن ذلك التغيير فيقول: «كانت لي نفس تواقة، فكنت لا أنال شيئاً إلا تاقّت إلى ما هو أعظم منه، فلما بلغت نفسي الغاية تاقّت إلى الآخرة»!

والرجل المشتاق إلى الآخرة لا يهتم للدنيا ولا يحرص عليها، بل يضر منها ويتباعد عنها، ولو كان بالأمس مقبلاً عليها أخذاً منها.

ولكن تشدد عمر على نفسه لم يتجاوزه إلى غيره، فبينما نراه أخذاً نفسه وأسرته بكل شدة وقسوة، فارضاً على بيته التقشف المثالي والزهد البالغ، نراه يرفق بالرية ويوسع لها ويحمل إليها حقوقها في أمانة وإحسان، وإذا كنا نراه في بعض الأحيان يراجع أو يحاسب أو يعاقب على إسراف، أو يلوم على إفراط، أو يدعو إلى اعتدال، فلم يكن ذلك بخلاً ولا شحاً، ولم يكن إعتاتاً أو إرهاقاً، ولكنها شرعة القصد التي دعا إليها الإسلام في الغنى والفقر، وأسلوب العدل الذي حُبب فيه عند الرضى والغضب، وطريقة الاقتصاد التي يكثر بها القليل ويدوم الكثير.

ومن الخير أن نفرق هنا بين الاقتصاد والبخل، فالاقتصاد حكمة وتدبير وتوفير، والبخل كزازة وشح وتقتير، والاقتصاد عدل وإنصاف، والبخل ظلم واعتساف، والاقتصاد توسط وإعداد، والبخل كنز وسوء اعتقاد، ويظهر الاقتصاد بصورة أوضح إذا لم يكن في مالك، بل في مال غيرك، لأن مال الغير لا يثير رغبة في حفظه، فإذا حفظت عليه مع ذلك ظهر الدليل على الحكمة والإخلاص، ويظهر معنى الاقتصاد أكثر وضوحاً من ذي قبل، ويختفي معنى الشح حينئذ، إذا كان المرء في ماله كريماً جواداً، وفي مال الناس مقتصداً مدبراً، وكذلك كان عمر رضي الله عنه، وثمة شيء آخر، لو كان هذا الاقتصاد ظاهراً في شأن عمر وحياته منذ نشأته لكان ظن الظانين به السوء بحال، ولأمكن أن يقال إن هذا بخل أو ازدواج شخصية، ولكن عمر كان كريماً معطاء قبل الخلافة، وكان كريماً معطاء بعد الخلافة، بل كان كريماً معطاء طيلة حياته، وإذا كان قد تشدد فإنما تشدد على نفسه وأهله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، وإذا كان قد حاسب على إسراف فذلك هو التأديب الواجب والحرص على مال الله ومال المسلمين، وإذا كان قد دعا إلى تدبير أو اقتصاد فإنما هو حسن الرعاية ودقة الولاية، وليس المسؤول عن نفسه كالمسؤول عن الأمة بأسرها، وقديماً صور جده الفاروق عظم هذه التبعة حين قال: لو عثرت دابة علي شط الفرات لخشيت أن أسأل عنها، لم لم أمهد لها الطريق؟ وحين اعتبر نفسه مسؤولاً عن الحبل يضيع في الفلاة!! إذن لم يكن ابن عبد العزيز باخلاً ولا شاحاً، بل كان عادلاً قاصداً، والقصد هو استقامة الطريق - كما تقول العربية - ومنه الاقتصاد، والاقتصاد المحمود ما كان بين طرفي الأفراد والتفريط، «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً».

والاقتدار المعجب في الشخص العظيم هو أن يجمع بين صفتين يراها عامة الناس.

اهتمامه بالعلم والعلماء:

ورد أن عمر بن عبد العزيز قال لسليمان بن عبد الملك: «صحبت أباءك فما رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا، ماتوا تركوها أقدر ما كانوا عليها».

وإذا كان عمر قد قسا على نفسه وصدها عما كان معتاداً لها قبل خلافته، فقد استبان كرمه ورافته بجماعة المسلمين، إذ يحدث ضميرة عن الوليد بن راشد فيقول: «زاد عمر الناس في أعطياتهم عشرة عشرة، العربى والمولى سواء».

فهذه الزيادة السمحة هنا على المسلمين عريهم ومواليهم، مع ذلك التشديد البين هناك على نفسه وأهله، مما ينادي بأن عمر لم يتغير في سماحته وكرمه، بل بقى على أريحيته وجوده، وانضم إلى ذلك شعور عميق عنده بالتبعية التي أقيت على عاتقه، وإحساس قوى بتلك العقبة الكؤود التي لا يتخطاها المسلم إلى جنة ربه إلا بالصدق والإخلاص وحسن الجهاد: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم وإن الله مع المحسنين».

وها هو ذا عمر رضي الله عنه يمضي في سنته الخيرة البارة، فيواصل إعطاءه لمستقي الإعطاء من العاملين والفقهاء، ونراه يكتب إلى واليه على حمص قائلاً: «انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار، يستعينون بها على ما هم عليه، من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابي هذا، وإن خبر البر عاجله، والسلام عليك».

رضوان الله على ابن عبد العزيز، لقد صدق، فخير الخير عاجله، ولا يقول هذا إلا أريحي نبيل، ولا يهدي إلى مثل ذلك الصنيع إلا كريم مطبوع.

ويكتب إلى والي حمص أيضاً يحرضه على مساعدة العلماء ومعاونة القارئ والمحدثين حتى يتفرغوا لقراءتهم وعلمهم، وحتى لا تشغلهم مطالب حياتهم عن رسالتهم، فيقول له: «مرُّ لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لنلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وماحملوا من الأحاديث، ولعل ذلك الصنيع من أقدم السنن المشكورة في التاريخ، التي تعمل على تهئية الجو الصالح لطلاب العلم والمعرفة».

ولقد بعث عمر يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يققها الناس في البدو، وأجرى عليهما رزقاً، فقبل يزيد العطاء ورفضه الحارث، فكتب عمر يقول: «إنا لانعلم بما صنع يزيد بأساً، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يمجد الأشعري».

ومعنى هذا أن المال يعطى لمستحقه وعند الحاجة إليه، فإذا أراد المرء أن يجعل عمله تطوعاً لاقتداره على شؤون حياته من جهة أخرى فيها ونعمت، وكفى الله بيت مال المسلمين مثونة تذهب بلا غرض وطلب؟

وفاته ومدفنه

وقد شاء الله ألا يعمر هذا الخليفة الصالح طويلاً فقد اشتكى لهلال رجب من السنة الحادية بعد المائة من الهجرة ولقى ربه بعد عشرين يوماً من بدء مرضه، وله من العمر تسع وثلاثون سنة وأشهر، وقد سمع عند موته وهو يتلو قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾، وقد سئل رضي الله عنه أن يوصي بأهله من يرعاهم ويقوم على أمرهم فتلا قوله تعالى: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾. وسألته امراته فاطمة بنت عبد الملك عن سبب مرضه فنذكر أنه الخوف من الله والخشية من

عذابه ولم ينس رضي الله عنه رعيته وهو في سكرات الموت: فقد كتب إلى ولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن عبد الملك يقول «سلام عليك، أما بعد فأني لا أراني إلا لما بى ولا أرى الأمر إلا سيفضى إليك، والله الله في أمة محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك وتقضى إلى من لا يعذرك، والسلام عليكم».

أما موضع مدفنه وقبره فهو في المعرة من بلاد الشام، وقد نشرت المديرية العامة للآثار والمتاحف تحقيقاً حول موضع قبره من قلم السيد كامل شحادة، واخترنا منه ما يخص مدفنه فقد أحاط بالموضوع من جميع جهاته ومما جاء فيه:

ثمة اجماع لا يدع مجالاً للشك، بأن قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، في قرية دير الشرقي الحالية ضاحية معرة النعمان من الجنوب الشرقي قليلاً على مسافة ٤/ كم، وهي التي كانت من قبل دير النقيرة، أو قرية النقيرة، أو دير سمعان كما سنذكره بعد تحديد مثنوى عمر فيها، استناداً إلى الروايات التاريخية المتسلسلة فالمسعودي المتوفي ٣٤٥ هـ - ٩٥٧ م. كان أول من ذكر وفاة عمر، ودفنه في قرية دير سمعان التابعة إلى حمص، وجوار قنسرين، وهي تتبع معرة النعمان من ترتيب جند حمص قديماً، وأوضح من ذلك ذكر قنسرين معها، باعتبارها مركز جند مماثل لها أيضاً، والمعرة بموقعها تكون الطرف الشمالي لمنطقة جند حمص، وهي تجاوز منطقة قنسرين الجند الأخرى من الجهة الجنوبية.

ويتبعه البكري (المتوفي ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) فيقول: «إن عمر توفي في خناصره ودفن في دير سمعان من أرض المعرة».

وياقوت في معجمه (المتوفي ٦٢٢ هـ - ١٢٢٩ م). وإن تردد في بادئ الأمر فإنه قال: «أن قبر عمر بن عبد العزيز في دير النقيرة على مرتفع بالقرب من المعرة، وقال في مكان آخر أيضاً: إن قبر في دير مران على مرتفع قرب المعرة».

ونقل ابن شداد (المتوفي سنة ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) عن ابن العديم (٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م) قوله: أن عمر عمر موجود في دير سمعان، وهي القرية القريبة من المعرة، وإنها تعرف بـ «دير النقيرة، وبالقرب من قبر الخليفة، قبر الشيخ «أبي زكريا يحيى بن منصور».

وإن تأييد ما سبق نراه في رواية المؤرخ الكبير، «ابن واصل» (٦٩٧ هـ - ١٢٩٨ م) لدولة بني أيوب وهو القريب عهداً منها يذكر أقدم تعيين لمكان قبر عمر بن عبد العزيز في قرية «دير النقيرة»، ويضيف لذلك، إن صلاح الدين مربها في عام (٥٨٤ هـ - ١١٨٨ م) وهو في طريقه إلى حلب وزار قبر عمر بن عبد العزيز في القرية بالذات، كما أنه زار فيها الشيخ المتصوف. «يحيى أبا زكريا المغربي بجواره».

وإن ثلاثة مؤرخين من العصر الأيوبي، أولهم (الهروي) (٦١١ هـ - ١٢١٤ م) يذكرون في تعدادهم الأماكن التي تزار في منطقة حلب، ويعدون في طليعتها قبر ابن عبد العزيز في دير النقيرة - دير سمعان بقرية النقيرة، وهذه الرواية لهما أكثر انتشاراً.

أما مؤرخو العصر المملوكي، فهم يجمعون على أن قبر عمر بجانب المعرة، فالقلقشندي قال عنه: إنه في دير سمعان، وخليل الظاهري قال: في دير مران، والعمري قال: في النقيرة، وابن بطوطة يحدده على فرسخ من معرة النعمان.

ويوضح «ابن الشحنة» أكثر من ذلك، حيث يقول بأنه في دير سمعان المعروف بدير النقيرة، نسبة للقرية التي هو فيها وهو «النقيرة» - على وزن كبيرة- وإن بجانب قبر عمر قبر الشيخ أبي زكريا يحيى بن منصور الذي يقيم بمسجده، وهو على قيد الحياة، يعبد الله حتى أدركه الأجل سنة (٦٠٠ هـ) وأردف قوله بأن الشيخ أبا زكريا، قد كان حياً حين زيارة صلاح الدين لقبر عمر بن عبد العزيز سنة (٥٨٤ هـ) بعد عودته من معركة حطين.

ويؤكد ما سلف قول الذهبي في (التبر والحوادث) وفاة عمر وقبره في دير سمعان من أرض المعرة، وكذلك «السمعاني» قوله: إنه في دير سمعان من سواد المعرة.

أما أبو الفداء في تاريخه «المختصر في أخبار البشر» زاد الأمر ايضاحاً بقوله: إن دير سمعان هو المعروف بدير النقيرة من عمل معرة النعمان، وفيه قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان موته بالسم.

وأما ابن الوردي في الذيل على المختصر يضيف قوله: بأنه قرأ إلى ابن المذهب المعري، ما كتبه عن دير سمعان وأنه زار قبر أمير المؤمنين عمر مراراً، بالدير قرب المعرة، ووجد عن قبره كتاباً يتضمن شمائله الحسنة وسيرته الجميلة.

موقع دير سمعان في النقيرة من خلال المصادر التاريخية والأثرية:

أربعة مواقع اشتهرت فيها أديرتها، المنسوبة إلى القديس سمعان العمودي (٣٨٩ - ٤٥٦ م) وفي طبيعتها الدير القائم على قمة جبل للشمال من قرية (درة عزة) غربي حلب ب(٤٥) كم، وهو يتألف من مجموعة أوابد أثرية مختلفة الغاية، فضلاً عن كنيسة كبرى مئمنة الشكل، تتوسطها منسكة عمودية، كان يعبد عليها القديس المذكور من قبل البناء، وهي مفضرة فن النحت العمراني السوري في العهد البيزنطي، وينسب الجبل بكامله هناك إلى سمعان، ونسب مركز المنطقة إلى جبل سمعان، فيقال: جبل سمعان، ومنطقة جبل سمعان والموقع الثاني كائن بضاحية المعرة من الجنوب، وفيه ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد كانت وفاته فيه وبه تمر الطريق القديمة بين خناصر وحلب من جهة، وبين دمشق ومرورا بحماة وحمص من جهة أخرى، هذا فضلاً عن تسمية رئيس دير النقيرة باسم سمعان، وهو من اتباع القديس سمعان العمودي وناشر مذهبه، وقد عاش فترة طويلة، وظهرت مكارمه للناس حتى أخذوا يطلقون على الدير دير سمعان، وكان ذلك في بداية العصر الإسلامي.

وإنه يشير إلى هذا الموقع نص أثري باليونانية، منقوش على حجر بازلتي تاريخه (٥٤٦م) قام بنشره السيد تشالنكو في كتابه بالفرنسية: «القرى الأثرية في سورية الشمالية»، وأشار إليه أيضاً المؤرخ البيزنطي، «بروكوبيوس»، وإلى وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز هنا في دير سمعان قرب معرة النعمان. ولقد أثبتته كتاب مخطوط لأحد رهبان الدين بالسريانية، موجود في خزانة المتحف البريطاني تحت رقم AD ١٤٦٢٩ وحدد موقعه بالنص التالي:

«أنا القسيس سرجيس، ورئيس دير النقيرة الكائن في كورة أفامية، وقعت هذه الرسالة راضياً لكل ما ذكر أعلاه وذلك في ٢٩ ايلول سنة ٨٨٦ يونانية، الموافقة لسنة ٥٨٥م.

وفي نص سرياني ثالث: إنه في سنة /١٠٣١/ يونانية الموافقة لسنة /٧٢٠م/ مات عمر بن عبد العزيز في كورة أفامية في دير النقيرة.

وكان الدير مقاماً بقرية «النقيرة» التي تتبع في حينها كورة أفامية، ولذا كان ينسب الدير للقرية أحياناً، ويذكر في غير مرجع باسم دير النقيرة. وعرف الدير هنا باليونانية باسم «نيكرتاي» وهو أصل سرياني، نقيرتا، ذكرته بذلك إحدى الوثائق التاريخية والشخصية التاريخية معاً، التي قامت ببناؤه، وهو «أغابيتوس». كما جاء في الحوليات الأثرية السورية ج٣ ص ١٢٢ لجانين ودومينيك سورديل.

وفي الاعلاق الخطيرة ج١ ص ٥٨ قسم ١ لابن شداد، تأكيد وجود دير سمعان بجانب المعرة وهو معروف بدير النقيرة نسبة كما سبق للقرية الحاوية على الدير، وفيها قبر الشيخ أبي زكريا. أما موقع بناء دير سمعان من القرية، فهو في الجانب العربي من بيوتها على مسافة /٣٠٠/ متراً بحيث تتوضع أطلاله على مساحة طولها ٢٠٠ × ١٠٠ متراً يحوطه جدار سور، من ثلاثة كلينات من حجارة كلسية كبيرة الحجم جداً ويسمى حالياً عند سكان القرية «الحير» أو حير بيت الشيخ، نسبة للعائلة مالكة الموقع، تغشيه أشجار الكروم، ويرتفع جداره عن سوية ماحوله من الأرض نحو المتر والمترين، وقد جرت فيه تحريات أثرية، واكتشفت فسيفساء حجرية ملونة ومصورة نقلت إلى دمشق. أما بناء ضريح الخليفة عمر، وقبة الشيخ أبي زكريا، فهما يقعان بطرف بيوت القرية من الغرب، وتجاه موقع الدير سابقاً، وهذا ما تجمع عليه وتتألى المصادر التاريخية والأثرية على ذكره. وأما بناء «دير مران» الذي رددت ذكره مصادر تاريخية كثيرة كما هو في «مراسد الاطلاع» لابن عبد الحق ١٣٠٨م. ص ٤٢٠ / طبعة ليدن سنة ١٨٥٢م، والظاهري في «كشف الممالك طبعة رافاني، Ravanni في باريس ١٨٩٤ / ص ٤٩ ومعجم البلدان لياقوت وغيرهم، فإنه يجاور بالتأكيد دير سمعان من الغرب على مسافة ٣/ كم. وأطلاله المتناثرة تغطي مساحة كبيرة من قمة مرتفع عال جداً من أحجار كلسية كبيرة الحجم جداً وهو يشرف فعلاً على مدينة «كفر طاب التاريخية، باراضي خانشيخون، وبينهما سهول ممتدة وفسيحة إنما وقوعه هنا بقرية مجاورة للقرية الأولى

نقيرة، وتسمى القرية الأخيرة هذه قرية «دير الغربي»، بينما سميت القرية الأولى حالياً «دير الشرقي»، وهما تتبعان معرة النعمان، وضاحيتها من الجنوب على مسافة ٤ كم.

وعلى هذا كانت نسبة القريتين للديرين فيهما، قرية دير الشرقي وتحتوي على دير سمعان من الشرق ونحن بصدها، وقرية دير الغربي، وتحتوي على دير مران ضمن أراضيها من الغرب، ونجد محتملاً جداً أن هذه التسمية قد وقعت متأخرة، ولربما كان ذلك حوالي قرن من الزمن، بدليل ما عثرنا عليه من نصوص أثرية مخطوطة تزيد عن سبعة نصوص، تضمنتها سجلات محكمة حماة الشرعية - المحفوظة حالياً في مديرية الوثائق والمخطوطات بدمشق وأرقامها التالية:

السجل /٢/ صحيفة /٧٥٥/ سنة ٩٥٣ هـ. والسجل /٤/ ص ١٥٢ سنة ٩٥٧ هـ. والسجل /١٩/ صحيفة /٢٦/ سنة ٩٨٥ هـ. والسجل /١٩/ ص ٢٦٨ سنة ٩٨٦ هـ. السجل /٢١/ ص ٦٦ سنة ٩٨٩ هـ. السجل /٢٥/ ص ١٩ و ٣٨ سنة ٩٩٧ هـ. السجل /٣٩/ ص ٣٦٨ سنة ١٠١٠ هـ.

وتلخص النص الأول ببيع وشراء ثلاثة أرياع الضدان من أصل أربعين فدناً شائعة في قرية النقيرة من عمل المعرة الشرقي الجنوبي، وهي غراس زيتون وفستق في موقع البرج - الحير - غربي القرية مضافاً إليها ثلاثة قراريط من أصل أربعة وعشرون قيراطاً، من البلدونة المعدة لعصر الزيتون بالقرية، وذلك بثمن قدره ألفا درهم حلبى من شخص من آل العبيسي من حماة، لبعض سكان القرية. جرى ذلك أمام القاضي الشرعي بحماة، باعتبار أن القرية تابعة لمعرة النعمان، وذلك في ذي القعدة من عام ٩٥٣ هـ. وفي النصوص الستة الأخرى مواضيع مختلفة، وإضافة كلمة «دير» إلى «النقيرة»، فجاءت بذلك من قرية دير النقيرة، وأحياناً دير سمعان والنقيرة معاً، وهي جديرة بالاطلاع.

أما الموقع الثالث لدير سمعان فهو بالقرب من انطاكية جنوب السويدية على البحر، ومنه يصعد إلى جبل الأقرع، وأما الموقع الرابع في غوطة دمشق.

لقد ذكر ابن جبير، في رحلته أنه مر بالمعرة سنة ٥٨٠ هـ. وأنه رأى بضاحيتها قبر أمير المؤمنين عمر بدون خدم له، أو زاوية عليه، مع أنه كان أحد الأماكن التي تزار في القرنين الخامس والسادس الهجريين. وأبو فراس بن أبي فرج البزاعي، لم يذكر شيئاً عن البناء حينما مر به ورأى الخراب قد حل بدير سمعان القريب منه، واكتفى بوصف حاله قوله:

يادير سمعان قل ايئن سمعان	واين بانوك خبرني متى بانوا
واين سكانك اليوم الأولى سلفوا	قد أصبحوا وهم في الترب سكان
أصبحت قفرا خراباً مثل ما خربوا	بالموت ثم انقضى عمرو وعمران
وقفت أسأله جاء ليخبرني	هيهات من صامت بالنطق تبيان
أجابني بلسان الحال: أنهم	كانوا ويكفيك قولي أنهم كانوا

على أن الرواية الوحيدة التي أشارت إلى البناء الحاوي على قبر عمر هي للشيخ راغب الطباخ بمؤلفه، اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨ نقلاً عن جريدة الفرات التي كانت تصدر باللغتين العربية والتركية في عددها /١١٣٠/ المؤرخ في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ مانصه:

(من أخبار المعرة، أنه رمم فيها المسجد الكائن في قبرة دير الشرقي في قضاء المعرة، المدفون فيه عمر بن عبد العزيز (رض.) وجمعت المصاريف من ذوي الغيرة والحمية).

ومع أن هذه الرواية لم تأت على تاريخ البناء أو الباني أصلاً فإنه لمن المحتمل جداً أنه يعود إلى ما قبل ذلك بقرون، ولربما قد شيد في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، إذا ما استدللنا ذلك من مسقطه ذي الأربعة أيوانات متعامدة، وهو نوع من البناء في أواخر العصر الأيوبي، بوقت كان له أثر من قبل في آشور حول القرن الأول الميلادي، ووجد في العصر الطولوني بمنازل القسطنطينية. واتخذ هذا النوع في المدارس غالباً، إذ جعل الأيوان تجاه القبلة الأكثر حجماً، وخصص للصلاة، وكان طلاب المذاهب الأربعة يحتمعون فيه، ولكل منهم أيوانه، أو أن طلاب المذهب الواحد يشغلون أكثر من أيوان في حال كثرة عددهم.

وفي العصر الأيوبي أدى الاهتمام المتزايد بالمدفن إلى إظهاره عن بقية ماسواه من أجل استقبال أعداد كبيرة من الناس، للترحم على المتوفى، وهذا ما دعا إلى إلحاق مسكن بالمدفن، سواء للاستراحة أو للخدم فيه. وانتشر أيضاً استعمال القبة أيضاً فوق القبر، اجتهداً بأن تصور السماء بالقبة، واعتماداً على بعض التفسيرات الخاصة بآيات من القرآن:

(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدير الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) سورة الرعد ١٣ و ٢. (خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الأرض رواسي أن تميد بكم، ويث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم) سورة لقمان ٣ و ١٠.

هذا مع العلم بأن استعمال القبة موجود من قبل الإسلام كما نراه في قبر «بيزوس» في قرية الرويحة منطقة أريحا.

وبغيرها، وأن بناء الضريح لم يسلم إلينا على الوضع الذي جرى ترميمه عليه، وإنما طرأ عليه تعديل فيما بعد بدافع الحاجة المحلية، لاقامة الشعائر الدينية فيه، وبشكل يتلاءم، ووفود الزائرين الذين يؤمنون المكان تبركاً، وبخاصة في فصل الربيع، حيث تكثر زواره.

وقضى التعديل عليه بشطر أيوان مدخله من الشمال إلى قسمين، غربي يأوي إليه خادمه أو المضطر للمبيت سابقاً من الزوار حينما كانت وسائل النقل على الدواب.

والقسم الآخر بقي معبراً للداخل، وأحدث فيه بئر ماء للأرواء، كما ألحق فيه من بعد غرفتان صغيرتان أمام الأيوان المعدل، وكتب على ساكف مدخل الغرفة الداخلية ثلاثة أسطر

نافرة، بخط نسخي، البسمة وآية قرآنية، دونما أن يتضح اسم الباني والتاريخ فيها ونصها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد.

٢- الله من آمن بالله واليوم الآخر، أمر بعمارة هذا.

٣- المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى علي بن رجب.

هذا وفي جانب الصحن المكشوف بين الأواوين يتوضع قبر عمر بن عبد العزيز ببساطة مظهر، واسند على جانبه الغربي حجر عليه ثلاثة أسطر نافرة غير مقروءة، بينما في الجانب الغربي شاهدة قبر أخرى كتب عليها (توفي في ربيع من سنة أربعة وسبعين وثمانمائة). وأنها منقولة من خارج المكان أو ربما كانت لأحد قبرين صغيرين هما بالقرب منه.

وشيد البناء من حجر كلسي ممزوج بالطين والكلس، وزخرفت الأواوين بأعلاها بشرارييف على المحيط وهو ماشاع طرازه وانتشر بكثرة في العصر المملوكي. وهي تذكرنا بشبهها بشرارييف كل من الجوامع، يوشع بن نون بالمعرة، والكبير في دمشق وحماة وحلب.

وتتميز النوافذ الغربية في البناء بأبوابها الحجرية الثابتة وتشبيكاتها الزخرفية والهندسية. ولقد أثرت العوامل الطبيعية في البناء فتداعت أجزاء كبيرة منه، وساءت حاله، مما حدا بالمديرية العامة للأثار والمتاحف، لأن تسارع لترميمه بشكل لائق، وأصبح الآن بحالة حسنة جداً عاد إليه رونقه.

مقام الشيخ يحيى أبي زكريا

وهو يجاور مبنى الضريح من الشرق، ذو شكل مربع، ضلعه نحو ٤٧٠ سم، يقوم على سبعة مداميك لارتفاع يقارب الثلاثة أمتار، تعلوها قبة مستديرة بحجم نصف كروي، وله مدخل يتجه للشمال، ونافذة تطل للغرب ويتصدره محراب بوجهته الجنوبية، وأنه قد شيد من الحجر الكلسي المتقن الصنع جداً، والحجم الكبير، ورفي البناء إلى العهد البيزنطي المتأخر.



مقام حجر بن عدي الكندي (عدرا)

تحقيق حول (دير سمعان)

وأخيراً فهذا تحقيق حول دير سمعان المشهور بموت عمر منه، وهو لأحد أفاضل الشام من النصارى وهو الأستاذ حبيب زيات^(١) وملخص رأيه الذي يراه بكون مدفن عمر بن عبد العزيز لم يتجاوز دمشق وضواحيها، ومما قاله..

اشتهر هذا الدير بموت عمر بن عبد العزيز فيه ولكن اشتد الخلاف في موقعه وتعددت الأقوال والظنون في تعيين المكان الذي اعتل الخليفة الأموي فيه فروى الطبري^(٢) وتابعه ابن الأثير^(٣) أنه قضى نحبه في خنصرة وأضاف صاحب كتاب البدء والتاريخ أنه لما مرض فيها «دخل عليه بعض بني أمية فرآه على فراش ليف تحته وسادة من آدم مسجى كاسف اللون»^(٤) وهذا الوصف هو أحد الأخبار الموضوعة لإطراء زهد الخليفة وفقره وتقواه.

وفي طبقات ابن سعد أن وفاته كانت بخنصرة ودفنه في دير سمعان^(٥) وهذا الوصف هو أحد الأخبار الموضوعة لإطراء زهد الخليفة وفقره وتقواه.

وفي طبقات ابن سعد أن وفاته كانت بخنصرة ودفنه في دير سمعان^(٦) ولم يقل أين كان الدير وورد مثل ذلك في سيرة عمر لابن الجوزي ص ٢٨٦. وفي كتاب العيون والحدائق أنه توفي بخنصرة ودفن بدير سمعان من أرض المعرة ٣: ٦٣ وعرف ابن حوقل خنصرة بأنها «حصن يحاذي قنسرين إلى ناحية البادية وعلى شفيرها وسيفها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز، وممن ذهب أيضاً إلى أن وفاة عمر كانت بخنصرة أبو الفداء وابن الوردي^(٧) وآخرون من المؤرخين.

وحكى في ضد ذلك ابن واضح اليعقوبي أن عمر بن عبد العزيز «خرج إلى دمشق فنزل دار أبيه التي كانت إلى جانب المسجد^(٨) وأقام عشرين يوماً وكثر عليه الناس فارتحل إلى مدينة حمص راجعاً يريد أن ينزلها فلما صار إلى أوائل حمص اعتل فمال إلى موضع يعرف بدير سمعان فنزله ويقال بل ارتحل إليه قاصداً يريد نزوله بسبب قطعة أرض كان ورثها عن أمه فيه»^(٩).

واقترع المسعودي على هذا الرأي ونص على أن دير سمعان كان من أعمال حمص ممايلي قنسرين وأن قبر عمر كان في أيامه (سنة ٣٣٢-٩٤٤) إلى هذه الغاية معظماً يغشاه كثير من الناس

(١) ظهرت في (المشرق) كانون الثاني - آذار ١٩٤٩ ضمن بحثه (أديار دمشق ويرها في الإسلام).

(٢) تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية القاهرة ٨: ١٢٧

(٣) الكامل لأبن الأثير، القاهرة سنة ١٣٠١ ج ٥: ٢٧

(٤) كتاب البدء والتاريخ، طبعة هوار ٤٧: ٤٧

(٥) طبقات ابن سعد، طبعة اروية ٥: ٢٠١

(٦) كتاب صورة الأرض الطبعة الثانية القسم الأول ١٧٩

(٧) المختصر في أخبار البشر ١: ٢١٢ وتتممة المختصر ١: ١٨١.

(٨) دار عبد العزيز بن مروان بدمشق هي «هذه الخانقاه الملاصقة للجامع المعروفة بالشميساطية، تهذيب الاسماء واللغات للنووي طبعة اروية ٣٩٣).

(٩) تاريخ اليعقوبي طبعة ليدن ٢: ٢٦٨ - ٢٧٠.

من الحاضرة والبادية ولم يعرض لنبيه في ما سلف من الزمان كما عرض لقبور غيره من بني أمية»^(١) وروى ابن عساكر «إن عمر بن عبد العزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب (سنة ١٠١-٧٢٠) بدير سمعان من أرض حمص^(٢) وعنه أخذ شمس الدين الذهبي^(٣) والنووي^(٤) وغيرهما من النقلة والرواة وتردد ابن الجوزي بين خناصرة كما تقدم وحمص بدير سمعان وأشاروا إلى أن قبره هناك مشهور بزار ويتبرك به.

ورجح دفنه في حمص من المتأخرين الشيخ عبد الغني النابلسي وحكى في رحلته الحقيقة والمجاز «أنه زار القبر وهو في مسافة ميل من بلدة حمص قال: وأشرفنا عليه فوجدناه متهدم الجدران من الجهات الأربع في وطأة من الأرض ولم نجد هناك قبراً ولا شيئاً يدل على أنه كان هناك قبر معلوم بل قيل لنا هذا مكان دير سمعان وآثاره تدل عليه ولوامع الأنوار تشرق لديه... وهو مشهور عند أهل حمص أنه مدفون في ذلك الدير»^(٥)

وكانت صحة القبر في حمص مشكوكاً فيها في أيام صلاح الدين الأيوبي ولما مر بحلب سنة ٥٨٤-١١٨٨ وتوجه منها قاصداً معرة النعمان أحب فيه زيارة الشيخ الزاهد أبي زكريا المغربي وعنده مشهد يقال أنه لعمر بن عبد العزيز معتبر بزيارة الحي والميت ثم قفل راجعاً وبعد أن اجتاز حماة وقلعتها «أصبح راحلاً ولم يبق بحمص»^(٦) وأعرض عن القبر المنسوب فيها للخليفة الأموي وهو ما يدل على أن هذه النسبة كانت قد ضعفت في زمانه ولذلك لم يحفل بها.

وهذا المشهد الذي أثر صلاح الدين التبرك به كان في ضواحي معرة النعمان في دير يقال له النقيرة زعموا أن عمر بن عبد العزيز كان مدفوناً فيه لاعتقادهم أن دير سمعان هو اسم مدفون الخليفة حيثما كان من الأمكنة وقد دافع غير واحد عن صحة مدفون عمر في النقيرة وفي طليعتهم شهاب الدين العمري الدمشقي وتصحف اسم النقيرة في كتابه مسالك الأبصار وروي فيه «البقرة»^(٧)

وتقدمه في هذا الوهم القاضي جمال الدين بن واصل ووافقه عليه ابن الوردي والياضي وابن الشحنة. قال صاحب مراصد الاطلاع: «قبر عمر بن عبد العزيز في قرية تعرف بالنقيرة وكان موضعه ديراً فخرّب وسألت بعض أهل المعرة عنه فقالوا الذي فيه قبر عمر بن عبد العزيز يعرف بدير النقيرة ودير سمعان دير آخر قريب منا ولعل الدير الذي بالنقيرة قد كان يسمى دير

(١) مروج الذهب طبعة باريس: ٤١٦-٤١٧ والتنبية والإشراف طبعة لندن ٣١٦

(٢) تاريخه المخطوط في دار الكتب الظاهرية (رقم ٢٣ تاريخ ١٢٠: ١٢١ - ١٢١)

(٣) دول الإسلام طبعة حيدرآباد ١: ٥٢

(٤) تهذيب الأسماء واللغات طبعة أروية ٣٩٣

(٥) دار الكتب الظاهرية (٥٥ أدب) ص ٥

(٦) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة ٢: ١٣٤

(٧) مسالك الأبصار الجزء الأول المطبوع ٣٥٢

سمعان»^(١) ومن الرحالين الذين زاروا قبر النقيرة الشيخ علي بن أبي بكر الهروي مؤلف كتاب الزيارات قال: دير النقيرة من بلد المعرة به قبر عمر بن عبد العزيز وقبر الشيخ أبي زكريا المغربي من كبار الصالحين وقيل قبره بدير سماعيل والمشهور هذا»^(٢).

ثم مر من بعده ابن بطوطة بمعرة النعمان وقال: بخارجها على فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية له ولا خديم له وسبب ذلك أنه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم ولعن متبغضهم ويبغضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي»^(٣).

وقد تعددت في انحاء الشام الأديار المتسمة باسم سماعيل واشتهر معظمها في جوار حلب وانطاكية ودمشق وحمص والمعرة ولذلك حار المؤرخون في تعيين مدفن عمر في احدها واجمعوا كلهم انه لم يكن في انطاكية في الجبل المعروف قديماً بالجبل العجيب وانفرد كاتب ترجمة عمر في معجم الموسوعات الإسلامية بالظن خطأ أن الخليفة دفن في نواحي حلب^(٤) اي بين جبل علم والجبل الأعلى في الدير المعروف اليوم بسمعان العمودي الغني باطلاله ودمنه العجيبة.

وقد اطلنا البحث في ما تناولته اليد من الآثار النصرانية الباقية فلم نقف على أقل إشارة إلى دير سماعيل بجوار حمص ولا ندري متى حل الخراب به وتحولت بقعته إلى شبه قرية اشتهرت بالنسبة إليه كاشتهار غيرها من بقاع الأديار ومن أجلها صرح النووي أن دير سماعيل كان «قرية قريبة من حمص» وهي التي وجدها النابلسي خاوية خالية ليس فيها أثر للدير أو للقبر.

وفي ضد ذلك أسعدنا الحظ بالعثور على ذكر لدير سماعيل في النقيرة وجدناه في كتاب للشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الزعيم بخط قلمه في تاريخ انطاكية المحفوظ عندنا وقد وصف فيه سماعيل مرة «بالقديس الناسك وانه كان أولاً في الجبل الأوسط ثم انتقل إلى معرة النعمان ويدعى سماعيل النقيري صاحب الجبل الأوسط، ثم نعتة مرة أخرى «بالبار سماعيل المسمى بالعتيق» ولما أرخ تذكاره في اليوم السادس والعشرين من كانون الثاني قال «أنه منذ صباه أثر العيشة الفقيرة واحبها وسكن في مغارة صغيرة.. وذهب إلى الجبل ودخل في باطن المغارة التي اختفى فيها موسى قديماً. ثم عاد راجعاً من الجبل وعمر وديرين». وهذا القول يؤيد شهادة صاحب مراصد الاطلاع إنه كان في النقيرة ديران باسم سماعيل اشتهر الواحد وعفى الدهر على الآخر وجهل مكانه.

(١) مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع طبعة اروية ٤٣٢

(٢) كتاب الزيارات في مجموع (رقم ١٠ تصوف) في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

(٣) رحلته طبعة باريس ١: ١٤٥، وفي طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ ص ٨٧، والعجب من ابن بطوطة أن يقول أن الرافضة تبغضه لتعظيمه علياً، وهذا خلاف الواقع ذلك أن التعظيم لملي عليه السلام يستوجب المدح والثناء وهذا ما عليه عموم الشيعة في موقفهم الايجابي من عمر بن عبد العزيز وترحمهم عليه وعلى سلفه معاوية بن يزيد بن معاوية إذ كانوا من عارفي حق أهل البيت بخلاف بقية رجال بني أمية.

(٤) Encyclopedie de i'Islam p. 1046

ومما تقدم يتبين جلياً تعدد الأديار السمعانية في الديار السورية وفيه حجة كافية لعذر كل خطأ في تعيين الدير الحقيقي الذي في أرضه كان قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز ومن أجله اضطربت أقوال المؤرخين وتناقضت آراؤهم في النص على موضع واحد وقد كان يكفي أحدهم أن يقع على اسم دير لسمعان ليعتقد أنه كان مدفن عمر حيثما وجد من البلاد دون أقل بحث عن موقعه أو انتقاد وقد أجمع الرواة على أن هذا الاسم هو اسم اللحد الذي اختاره عمر بنفسه ليكون مثوى له وموقداً وابتاع هو مكانه من أصحاب الدير ونقدم ثمنه على اختلافهم في تقدير هذا الثمن اختلافاً تعمداً فيه النقص والمبالغة إلى حد السخف ليوهموا زهد الخليفة الخارق الحد وفقره المدقع حتى زعم صاحب كتاب العيون والحدائق أنه اشترى قبره بدينارين وعجز عن أدائها فدفع اليهم ديناراً وقميصاً^(١) وكان ابن سعد استحياً أن ينقل في طبقاته مثل هذا الهزل والتهويل فروى أن الثمن كان عشرة دنانير^(٢) وأبلغه ابن عساكر إلى ثلاثين ديناراً قال ثم دعا بالدنانير فوضعها بيد النصراني^(٣) ومن راجع نصوص الروايات القديمة التي نقلها أبو الفرج الاصبهاني والخالديان في كتاب الديارات وأخذها عنهما لاشك البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان يعلم حق العلم أن دير سماعيل مدفن عمر كان دون أقل ريب «بنواحي دمشق في موضع نزه ويساتين محدقة به وعنده قصور ودور»^(٤) ويساتين لبني أمية^(٥) بالقرب من الغوطة على قطعة من الجبل يطل عليها^(٦) وهو وصف ينطبق على جبل قاسيون ولكن يتعذر الاهتداء منه إلى مكان الدير والضبط لقلة احتفال الرواة والمؤرخين بالأجمال بالتخطيط والتحديد وقد بقيت لنا لحسن الحظ شهادة بلدية تعين على الدلالة على موقعه بوجه التقريب نقلها لنا ابن طولون أحد علماء دمشق في المئة العاشرة في كتابه «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» في أثناء كلامه على المدرستين المعظمية والعزيزية وكان بناء الأولى سنة ٦٢١ - ٤٢٢١ والثانية سنة ٦٣٥ - ١٢٣٧ قال: شمالي هاتين المدرستين حوش عظيم بحيطان عالية يقال أنه دير سماعيل كان، وله باب يفتح إلى الشرق ودخله عدة قبور معظمة^(٧)

وفي موضع التربة المعظمية في قاسيون كان في قول غير واحد من المؤرخين دير مران المشهور كما سيجيء في الكلام عليه فكان الديران اذن متجاورين وربما وقع الاشتباه والخلط بينهما كما يدل على ذلك قول الزبير ان معاوية وجه يزيداً ابنه لغزو الروم فاقام يزيد بدير سماعيل^(٨) بدلاً من دير مران في أشهر الروايات.

(١) كتاب العيون والحدائق. ليدن ٣: ٦٣

(٢) طبقات ابن سعد طبعة أروية ٢٩٩

(٣) تاريخ ابن عساكر المخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلد السابع الورقة ١١٨.

(٤) معجم البلدان طبعة أروية ٢: ٦٧١ - ٦٧٢

(٥) معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة ١٩٤٧ ج ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦

(٦) مسالك الابصار للعمري ١: ٢٥١ - ٢٥٣

(٧) القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية تحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان ١٣٣

(٨) معجم ما استعجم للبكري ٢: ٥٨٥ - ٥٨٦ وتاريخ ابن عساكر في الظاهرية ١٨: ١٩٨ و ١٩: ٣٠٩

ويجب أن يكون الخراب قد أسرع إلى دير سمعان بدمشق قبل منتصف القرن الثاني للهجرة لأن صالح بن علي العباسي «حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد أحداً يخبره حتى دلّ على راهب فسأل عنه فقال: «أقبر الصديق تريدون؟ وهو في تلك المزرعة»^(١) كذا دون أقل ذكر لمكانها ويستدل من قول المسعودي بوجود دير سمعان في أعمال حمص أن خبر موت عمر في غير دمشق كان قديماً سبق القرن الثالث وأن مكانه في قاسيون كان قد تنوسي وزال ذكره من كل علم وأثر حتى زعم البصري في كتابه فضائل الشام أنه «دفن بالبواب الصغير من مقابر دمشق وهناك ضريح مشهور إنه قبره»^(٢).

ولاحاجة إلى التنبيه على غرابة هذا القول ولم نجد من تابعه عليه بين كل من أرخ دمشق. وقد انكر شهاب الدين العمري وجود دير سمعان بقاسيون وزعم أنه «ليس يسمع بدمشق لهذا الدير نابسة ولا يعرف لمكانه في القوطة خضراء ولا يابسة، وعنده أن الدير هو في قرية تعرف بالبقرة (النقيرة) من قبلي معرة النعمان وبه قبر عمر بن عبد العزيز لا ينكر»^(٣) وفاته أن ياقوت نفى قبله نفياً باتاً وجود القبر في النقيرة وجزم ببقائه بين قومه في حاضرة الأمويين، ومن العجيب أن يجهل العمري ما علمه بلديه ابن طولون بعده بقرنين ويقدم على تخطئة أبي الفرج الاصبهاني والخالدي لقولهما بقدم دير سمعان بدمشق.

وربما استعظم من ليست له مشاركة في تاريخ الأديار دفن خليفة اموي في دير نصراني والحقيقة أن اسم دير سمعان كان يطلق ليس على منزل الرهبان فقط بل على كل ما احاط به وجاوره من الدور والقصور والجنان والمزارع كما كانت تعرف بقعة دير مران بنفس الاسم دون تمييز ومن احدى قطع الأرض التي كانت تحدد بدير سمعان وكانت جارية في ملك الرهبان اشترى عمر محل قبره كما سبق ويظهر أنه كان له دار في بقعة دير سمعان مجاورة لهذه الأرض فاختر أن يدفن فيها ليكون غير بعيد عن منزله وقد شهد خصي اسود كان له بوجود هذه الدار وقال: «دخلت على عمر بن عبد العزيز في يوم شات في داره بدير سمعان فألفيته قاعداً في زاوية الدار في الشمس»^(٤) ولا تخفى قيمة هذه الشهادة التي حفظها لنا أنس بن مالك.

ومن عرف دير سمعان من الشعراء جرير دخله يوم عيد فرأى النساء والصبيان يقبلون الصلب ويسجدون لها فقال:

رأيت بدير سمعان صليبا	تقبله الشواذن والظباء
تعظمه القسوس وتحتويه	فترشفه ويخنقها البكاء
فقلت مه هل غير عود	تملكه اعوجاج واستواء ^(٥)

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٩

(٢) الحقيقة والمجاز لعبد الغني النابلسي دار الكتب الظاهرية بدمشق (٥٥ ادب) الورقة ٣٠

(٣) مسالك الابصار ٢٥١ - ٢٥٣

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابي محمد عبد الله بن عبد الحكم ١٦٣

(٥) مسالك الابصار ٢٥١ - ٢٥٣

ولا يخفى ظرف هذه الأبيات ولعله دخل الدير في إحدى زياراته باب الضراديس حين كان يؤرقه فيه صوت الدجاج وضرب النواقيس، ومن بعده مر بدير سمعان أبو فراس بن أبي الضرج البراعي وأحزنه ما رآه عليه من الخراب فقال يخاطبه في ظن ياقوت والارجح عندنا انه كان يعني دير سمعان بالقرب من حلب:

يا دير سمعان قل لي أين سمعان	واين بانوك خبرني متى بانوا
واين سكانك اليوم الألى سلفوا	قد اصبحوا وهم في الترب سكان
اصبحت قفراً خراباً مثل ما خربوا	بالموت ثم انقضى عمر وعمران
وقفت اسأله جهلاً ليخبرني	هيهات من صامت بالنطق تبيان
اجابني بلسان الحال أنهم	كانوا ويكفيك قولي أنهم كانوا ^(١)

ولم نستطع أن نعرف إلى أي سمعان كان ينتسب دير قاسيون إلى سمعان الحلبي المشهور بالعمودي أم إلى سمعان الانطاكي ولانذكر أنه مربنا قط في تاريخ الأديار وقبور الخلفاء ماسبق مثاله من الخبط والتخليط في تعريف مدفن عمر بن عبد العزيز وموقع دير سمعان وزاد في الطين بلة مائشاً على تتابع الأزمان من الاسماء وأخبار القصاص في كل ماتناول القبر والدير من الصلات والجوار كالخبر الذي نقله صاحب كتاب مراصد الأطلاع أن «دير مران على الجبل المشرف على كفر طالع قرب المعرة وبه قبر عمر بن عبد العزيز مشهور بزاربه»^(٢) وفي هذه النغمة الجديدة ايماء ظاهر إلى أن دير سمعان الدمشقي كان في جوار دير مران في قاسيون أي في جبل الصالحية اليوم وأن سائر الأديار المنسوبة لسمعان في حمص وخناصرة والنقيرة ليس توهم وجود القبر فيها إلا صدى لوجوده في دير سمعان بدمشق.

سيرة عمر بن عبد العزيز لجرجي زيدان

وقد كتبها ونشرها في هلاله في سنته العاشرة (١٩٠١م) ونحن ذاكروها للتوثيق ولما اشتملت عليه من الفائدة والاختصار: ولد سنة ٦٠هـ وتولى الخلافة سنة ٩٩هـ توفي سنة ١٠١هـ هو سابع خلفاء بني أمية ولم يتول الخلافة إلا سنتين وبضعة أشهر ولكنه عمل أعمالاً تدل على عظمته ومنزلته من الصلاح والنزاهة والعدل حتى سماه الفرمانى «ال خليفة الصالح خامس الخلفاء الراشدين» وشبهه غيره بالخليفة عمر بن الخطاب فسماهما «العمرين»
نسبه:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فيكون عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الشهير عمه، وإما أمه فهي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فهو حفيد مروان من جهة أبيه وابن حفيدة عمر بن الخطاب من جهة أمه، ويغلب في الولد أن يرث أخلاق أمه ثم أن يرث أخلاق أبيه،

(١) معجم البلدان ٢: ٦٧٣

(٢) مراصد الاطلاع ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠

فإذا صح ذلك كانت فضائل عمر بن عبد العزيز مكتسبة من أمه، على أن أباه عبد العزيز كان أيضاً من محبي الصلاح وهو إنما أراد التزوج بنسل عمر بن الخطاب لاعتقاده الصلاح في ذلك البيت. وقد خاف بعض بني أمية عاقبة تلك المزاوجة، وكان خوفهم في محله.

تاريخ قبل الخلافة:

ولد عمر في حلوان قرب القاهرة سنة ٦٠ هـ وهي السنة التي مات فيها معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية، وتولى عبد العزيز إمارة مصر وله فيها مآثر مذكورة. ونشأ عمر في حجر والديه ورضع حب عمر بن الخطاب من اللبن وشب وهو يسمع مناقبه وأخلاقه وأخبار زهده وصلاحه، فأصبح مغرمًا بتلك الخصال ميالاً إلى الاقتداء بها.

وتثقف عمر وتعلم علوم تلك الأيام واتفق له وهو صبي أنه دخل اصطبل أبيه فضربه فرس على وجهه فشج رأسه فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول «لئن كنت أشج بني أمية أنك لسعيد، وسمي الأشج من ذلك الحين».

شب عمر وأبوه لم يل الخلافة وإنما وليها عمه عبد الملك وأبنا عمه الوليد وسليمان وانتقلت من سليمان إليه بالمبايعة كما سيجيء، وكان عمر قبل تلك المبايعة يبالغ في التمتع ويفرط في الاختيال في المشية ويكثر من الطيب في اثوابه حتى أن بعضهم كان يعطي الغسال الدراهم الكثيرة ليغسل ثيابه في اثر ثياب عمر من كثرة الطيب.

الخلافة في الإسلام:

كانت الحكومة على عهد الخلفاء الراشدين من أفضل أنواع الحكومات أن لم تكن أفضلها كلها، وذلك أن الخليفة كان يتولى الأمر بالانتخاب فهي من هذا القبيل شوروي و لكنه متى تولاهما أصبح مطلق التصرف فيها، فلما أفضت الخلافة إلى بني أمية جعلوا مقرهم الشام وفيها الروم فاستخدموا بعضاً منهم في قضاء مصالحهم واتخذوا شيئاً من تمدنهم سنة الله في خلقه، وأول من فعل ذلك معاوية فإنه اتخذ السرير وأنشأ الشرطة واتخذ الحاجب وغيره، وكان في جملة ما أحدثه في الإسلام المبايعة لولده ولكنه لم يجسر على ذلك إلا بعد المشورة، وقد جراه على هذه البدعة بعض الدهاة من أنصاره فأصبحت الخلافة الإسلامية وراثية من ذلك الحين وللخليفة أن يوصي لمن أراد من أهله قبل موته.

خلافته:

فلما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك كان لابن عمه عمر بن عبد العزيز منزلة كبرى عنده لما رآه من تعقله ودرايته وصدق نيته، وكان سليمان عاقلاً فلما أحس بدنو الأجل نادى رجاء بن حيان وهو شيخ جليل من كندة كان عالماً ويجالس خلفاء بني أمية وهم يعتقدون فيه التعقل والإخلاص ويحترمونه فلما مثل رجاء بين يدي سليمان استشاره سليمان في ولاية العهد فقال رجال «الأمر لمولاي» قال «أبايع أيوب ابني» فقال له: «أنه لم يبلغ بعد» قال سليمان: «وابني داود» فقال: «هو غائب في القسطنطينية وانت لاتدري أحي هو أم ميت» قال: «فمن» قال: «أريك يا أمير المؤمنين» قال: «فما ترى في عمر» فقال «اعلمه والله فاضلاً خيراً» فقال له: «ان وليته ولم أول أحداً من ولد عبد الملك لتكون فتنة ولا يتركونه» فكتب له بالخلافة وجعلها من

بعده لآخيه يزيد بن عبد الملك وامر رجاء بن حياء ان يجمع اهل بيته ويذهب بكتابه اليهم فذهب وامرهم ان يبايعوا من فيه والكتاب مختوم ففعلوا .

ثم دخلوا على سليمان والكتاب بيده فقال: «هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا وبايعوا، ففعلوا قال رجاء بن حياء - فجاءني عمر بن عبد العزيز فقال: «يا رجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا أخشى أن يكون قد اسند الي من الأمر شيئاً فإن كان فاعلمني استعفه» فقال رجاء: «والله لا أخبرك بحرف واحد» فمضى. قال: وجاءني هشام فقال: «لي بك حرمة وعندي شكر فاعلمني» فقلت لا والله لا أخبرك بحرف، فانصرف هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول: «فالى من؟» فلما مات سليمان جددت البيعة فبايعوا والكتاب مختوم. ثم قرأ رجاء الكتاب فلما ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام «والله لا تنبايعه» فقال رجاء «والله اذن اضرب عنقك قم فبايع» فقام يجرجليه ويسترجع اذ خرج عنه هذا الأمر وعمر يسترجع اذ وقع فيه.

وبويع عمر ولقب بالمعصوم بالله وهو يومئذ في دابق قرب حلب فجاءه بمراكب الخلافة وهي أفراس مسرجة سروجاً خاصة لركوب الخلفاء وجاءت الشرطة بالحرب لتسير امامه على عادة بني امية في مواكبهم وقيل له هذه مراكب الخلافة. فقال «مالي ولها نحوها عني وقرىوا لي دابتي فجاءه ببغلته فركبها وهو يقول «إنما انا رجل من المسلمين» أراد بذلك أن يكون قدوة بالزهد. وما زال سائراً حتى أتى دمشق وسار تواراً إلى المسجد وهو الجامع الأموي فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم القى خطاباً يكتب بماء الذهب من قوله فيه «لاكتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم. اني والله لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير من أحدكم ولكنني اثقلكم حملاً. واني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه ولا طلبه ولا مشورة واني قد حلت عناقكم من بيعتي فاختراروا لانفسكم غيري» قال ذلك لما راه من رغبة ابن عمه هشام في الخلافة، فصاح الناس صيحة واحدة «قد اخترناك يا امير المؤمنين» ثم قال «ايها الناس من اطاع الله تعالى وجبت طاعته ومن عصا الله عز وجل فلا طاعة له، فاطيعوني ما اطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم» ثم قال: «أوصيكم بتقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله خلف فاعملوا لاخرتكم فانه من عمل لاخرته كفاه الله امر دنياه، واصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم واكثروا ذكر الموت واحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم، وان امرأ لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أباً حياً لمفرق في الموت».

ثم نزل ودخل دار الخلافة وكانت يومئذ بباب الخضراء وكان الخلفاء قبله قد زينوها بالاستور المزركشة والبسط الثمينة. فأراد عمر العمل بمثل عمل سميّه ابن الخطاب فأمر بالاستور فهتكت وبالبسط فرفعت. وأمر ببيع ذلك فبيع وادخل وادخل اثمانه في بيت المال. ولم يقم في دار الخلافة وانما اقام بداره شمالي جامع دمشق بمكان عرف بعدئذ بخانقاه الشميصانية وهو مسكن الصالحين. وكانت امراته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وكان عندها جواهر ورثتها من ابيها فقال لها: «اختراري اما أن ترددي حليكي إلى بيت المال وإما أن تأذني لي بفرأقك فأني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد» قالت «لا بل اختارك عليه وعلى اضعافه» فأمر به فحمل إلى بيت المال، ثم عاد

إلى نفسه فنزع ما كان عليه من الاثواب الثمينة ولبس كساء من صوف وازاراً وهجر ما كان اسلافه بنوامية يتوخونه من مظاهر الملك وابهته ونشبه بالخلفاء الراشدين وخصوصاً عمر بن الخطاب، ولكنه تجاوز زهد عمر لأن ابن الخطاب كان يجري على نفسه من بيت المال درهمين في اليوم وأما ابن عبد العزيز فلم يأخذ من بيت المال شيئاً ولا أجرى على نفسه درهماً وقيل له لماذا لا تأخذ شيئاً وقد كان ابن الخطاب يأخذ درهمين في اليوم فقال: «ان ابن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يغنيني».

وكان في نيته أن يسترجع كل ما وضع بنو مروان ايديهم عليه من الأموال ويجعله في بيت المال ولكنه خاف الفتنة اذا استعجل في ذلك، على انه لم يكتف عزمه عنهم فقال لهم مرة «ادوا ما في ايديكم من حقوق الناس ولا تلجوني الى ما اكره فما حملكم علي ماتكروهن».

فلم يجيبه أحد. فقال «اجيبوني» فقال رجل منهم «والله لانخرج من أموالنا التي صارت الينا من آبائنا فنفقر ابناءنا ونكفر آباءنا حتى تزايل رؤوسنا» فقال عمر: «أما والله لولا خوفي أن تسعينوا علي بمن اطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم عاجلاً ولكني أخاف الفتنة، ولئن ابقاني الله لأردن إلى كل ذي حق حقه ان شاء الله، وكان عمر اذا نظر إلى بعض بني امية قال: «أني أرى رقاباً سترد إلى أربابها» ولما مات عمر قعد سلمة بن عبد الملك على قبره فقال: «أما والله ما امتنت الرق حتى رأيت هذا القبر».

ابطال لعن علي:

ما برح بنو امية من يوم تولوا الخلافة وهم يفرضون على رعاياهم لعن علي بن ابي طالب كما بينا ذلك في أماكن أخرى، وكان بنو هاشم ومن قال بقولهم يكرهون ذلك اللعن ولكنهم لم يكونوا يستطيعون ابطاله وكان عمر بن عبد العزيز ممن يكرهونه ايضاً لأنه كان يحترم بني هاشم كثيراً جداً ولعله اقتبس ذلك من امه أو هو اقتبس من أبيه لأن أباه كان يحترمهم قبله ولابد من تأثير امرأته حفيدة ابن الخطاب عليه في ذلك، ولأريب أن بني امية لم يكونوا يجهلون أن سب بني هاشم وهم أهل بيت النبي امر منكرو ولكنهم كانوا يفعلون ذلك لئلا يقوى حزب اولئك عليهم.

ومن ادلة ذلك ان عبد العزيز والد عمر صاحب الترجمة خطب مرة حتى اذا وصل إلى ذكر علي تتعنت فأدرك ابنه عمر ذلك فيه فسأله عن السبب فقال له: «يا بني اعلم أن العوام لو عرفوا من علي بن ابي طالب ما تعرفه نحن لتفرقوا عنا إلى ولده، وشب عمر على احترام آل علي وبائع في ذلك حتى كان يقول لأحدهم اذا كانت له حاجة وجاء بابيه ليقيضيها له «اذا كانت لك حاجة ارفع بها الينا فوالله أنني لا أستحي من الله أن يراك على بابي».

ومن جملة فضائله الماثورة ابطال لعن علي، لكنه خاف الفتنة اذا بطله بغته فاحتال في ذلك حيلة لطيفة، فخلا بصعلوك من صعاليك العرب وأمره ان يجيء إليه غداً حين يكون عمر جالساً بين أظهر الناس ويخطب اليه ابنته، وقال له اني سأقول كذا وكذا وانت تقول كذا كذا ولا تخف فإن فيه مصلحة، فجاء الرجل من الغد في مثل الوقت الذي أمره عمر أن يأتيه فيه فقال: «يا أمير المؤمنين أن لي إليك حاجة، قال: «وما حاجتك، قال: «أنا رجل فقير أيم وانت

خليفة عادل تكفي مؤن الناس وتقضي حوائج الخلق فأني اخطب إليك ابنتك» فهم الناس بزجره وايداه فمنعهم/عمر عن ذلك وقال للرجل «أنت فقير وأنا خليفة فلاكفاءة بيننا» قال الرجل: «لئ كنت خليفة فلست بأكبر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولئن كنت صعلوكاً سيء الحال فلست بأسوأ من علي بن أبي طالب فانكم تلعنوته على المنابر وقد زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنتكم» فصاح عمر وقال: «يا أيها الناس الزمني هذا الرجل لأقدر على جوابه فأجيبوه» فلما لم يجيبه أحد أمر عمر برفع اللعن وتركه وجعل مكان اللعن «أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وكان لابطال اللعن تأثير عظيم في العالم الاسلامي فساء أناساً وسر آخرين.

وكان ممن سرهم ذلك كثير عزة الشاعر المشهور فمدحة بقصيدة ذكر فيها بعض خصاله منها:

وُلِيتَ فلم تشتم علياً ولم تخف	برياً ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي	اتيت فامسى راضياً كل مسلم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها	ولاحت لك الدنيا بوجه ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة	وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فاعرضت عنها مشمئزاً كأنها	سقتك مدوفاً عن سمام وعلقم

ثم حول انتباهه إلى ردا المظالم وهي ماكان يغتصبه بنو أمية من أموال الناس وارزاقهم وصمم على تنفيذ عزمه فيها فأرسل مناديه أن ينادي «الا من كانت له مظلمة فليرفعها» فكان في جملة من جاءه رجل ذمي من أهل حمص فقال «يا أمير المؤمنين أسألك كتابك» قال: «وماذاك» قال: «ان العباس بن الوليد اغتصبني ارضي» والعباس جالس فقال عمر: «ما تقول يا عباس» قال: «أن أمير المؤمنين الوليد اقطعني أياها وهذا كتابه» فقال: «ما تقول يا ذمي» قال: «يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عزوجل» فقال: «كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد فاردد عليه ارضه يا عباس» فرده عليه. ثم جعل لايدع شيئاً مما كان في يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة.

واجمع الناس على حبه لتقواه وعدله وزهده وكرم اخلاقه وكانوا قد ملوا من استئثار بني أمية وتأسفوا على الخلفاء الراشدين، فلما راوا عمر سائراً على سيرة هؤلاء جعلوه خامسهم واحبوه واكرموه، حتى الخوارج فقد كانوا لا يزالون يناوئون الخلفاء فلما سمعوا سيرة ابن عبد العزيز وما رد من المظالم قالوا «ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل».

مقتل عمر على يد الأمويين:

على أن ذلك لم يرق لأهله لطمعهم في الخلافة وخصوصاً بعد أن نزع ما في أيديهم من الأموال وغير ماكان عليه آباؤهم من البذخ والاستبداد وتحققوا انه اذا طال حكمه فالأمر صائر إلى غيرهم وربما إلى اعدائهم من بني هاشم فعولوا على قتله ولم يروا خيراً من أن يغتالوه بالسهم، ويقال أن ابن عمه يزيد بن عبد الملك الملقب بخليع بني أمية هو الذي تولى ذلك فهدس إلى خادم كان يخدم عمر سماً وأوصاه ان يسقيه اياه. فتمكن الخادم من ذلك والخليفة بأرض

حمص، فوضع السم على ظفر ابهامه فعطش الخليفة مرة واستسقاها فغمس الخادم ابهامه بالماء ثم سقاها فمرض مرضه الذي مات فيه.

ويقال انه لما اشتد مرضه جاءه مسلمة بن عبد الملك فقال: «يا أمير المؤمنين أنك قطعت افواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ولا بد لهم من شيء يصلحهم فلو أوصيت بهم إلي أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله، فقال عمر: «اجلسوني» فاجلسوه فقال: «الحمد لله.. ابا الله تخوفني يامسلمة؟ أما ما ذكرت أني فطمت افواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة فأني لم أمنعهم حقاً هو لهم ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم، وإما ما سألت من الوصاية إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وإنما بنو عمر أحد رجلين إما رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب وأما رجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه، ثم قال: «ادعوا لي بني فدعوه» وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال: «بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم.. يابني اني قد تركتكم من الله بخير. انكم لا تمرن على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله.. يابني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار، قوموا يابني عصمكم الله ورزقكم..» ولما اشتد به المرض كان بقرب دير سمعان بجهات حمص فبعث إلى صاحب الدير فاشترى منه موضع قبره بأربعين درهماً ومات في اليوم التاسع من مرضه ودفن هناك سنة ١٠١ هـ فرثاه الشعراء، ومن قول الشريف الرضي في ذلك

يا ابن عبد العزيز لوبكت العين فتى من أمية لبكيتك
أنت نزهتنا عن السب والشتم فلو كنت مجزياً لجزيتك
غير أني أقول أنك قد طببت وإن لم يطب ولم يزك بيتك

صفاته ومناقبه:

كان أبيض رقيق الوجه مليحاً جميلاً مهيباً نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين بجبهته أثر شجة قد ذكرنا سببها، وكان عالماً زاهداً عابداً تقياً ورعاً، وكان لكثرة ورعه يخلو بنفسه ويبيكي بكاء مراراً. وكان يكثر الصلاة وكان الناس في خلافته إذا التقوا سأل بعضهم بعضاً ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تقوم من الشهر، وكان الخلفاء ينقشون على خواتمهم آية أو عبارة يجعلونها شعار ضمائرهم.

فكان نقش خاتم عمر «عمر يؤمن بالله مخلصاً» وكان عفيفاً وخصوصاً بعد أن ولي الخلافة فقد قالت امراته فاطمة بنت عبد الملك «والله ما اغتسل عمر عن جنابة ولا حلم منذ ولي هذا الأمر- كان نهاره في أشغال الناس ورد المظالم وليله في عبادة ربه» ولو تدبرت سيرة هذا الرجل العظيم لرأيت فضائله ترجع إلى صدق تدينه ووثيق اعتقاده بالله واليوم الآخر، ومن كان صادق الاعتقاد في ذلك فإنه لا يعمل إلا حسناً.

قبر الشاعر المعري في معرة النعمان

من المعلوم أن قبر الشاعر المعري كان وما يزال معروفاً بمدينة معرة النعمان، وهو شاعر وفيلسوف قل نظيره في التاريخ العربي والإسلامي، واسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ / ٩٧٣ - ١٠٥٧ م) ولد ومات في معرة النعمان، أصيب بالجذري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت علم كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره المائل اليوم في معرة النعمان، ٨٤ شاعراً يرثونه، وكان غزير التأليف أيضاً بالاضافة إلى قرضه الشعر، ومن طباعه انه كان يحرم ايلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكان يلبس الخشن من الثياب، أما شعره فتلاثة أقسام: سقط الزند، وضوء الزند، ولزوم ما لا يلزم أو اللزوميات، من تصانيعه: عبث الوليد، ورسالة الملائكة، وشرح ديوان المتنبي، وملقى السبيل وغير ذلك.^(١)



وللاحاطة بموضوع قبره (رضي الله عنه) فقد اعتمدنا على عدد ممن كتب عنه واستوفى جميع المطالب التي نحن بصدددها وفي البداية نحن نذكر ما دونه سامي الكيالي (عام ١٩٣٧) حول قرية المعري وقبره ودونك ما ذكره:

كثيراً ما تتميز المدن بأسماء الموهوبين من الرجال، شعراء كانوا أو قواداً أو أدباء أو فلاسفة. فلولا نابليون لما ذكرت جزيرة سنت هيلين مثلاً، تلك الصخرة النائية، الجاثمة وسط الاوقيانوس والتي تبعد ستة آلاف ميل عن أوروبا، ولولا أبو العلاء لما ذكرت المعرة هذا الذكر الضخم الذي استفاض على أقلام الأدباء والشعراء والمؤرخين، وهي - كقرية كبيرة - لا تختلف عن الكثير من تلك المعرات الضاربة في هذه البادية بين حلب وحماه وما إليها، ولا يميزها عن غيرها إلا أنها مدينة هذا الفيلسوف الشاعر الذي خلد اسمه خلود الأجيال. وأذهب الى أبعد من هذا فأقول ان التصاق

(١) هناك المئات من المصادر المتخصصة عن أبي العلاء، ومن أهمها: أثار أبي العلاء المعري لوزارة المعارف المصرية، وكتاب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري نشره: المجمع العلمي العربي بدمشق وممن كتب عنه طه حسين، وزكي المحاسني، وعبد العزيز الميمني وعباس محمود العقاد وغيرهم.

اسمه بها هو الذي جعل لها شهرة المدن الكبيرة سيما عند خاصة الأدباء والشعراء، فما من رجل في الشرق وفي الغرب، له مشاركة في الأدب، ويعلم طرفاً عن هذا المفكر الفذ إلا وتشوقه هذه البلدة - أو القرية على حد تسمية الكثيرين - ويود زيارتها حين تطأ قدماه بلاد الشام. فقد زارها كثيرون من أعلام الفكر وود طه حسين منذ عشرين سنة ونيفاً - أي حين كتب رسالته «ذكرى أبي العلاء» - لو أتاحت له زيارة المعرة ل يكتب عن هذه القرية عالماً بها، مستقصياً أمرها، متأثراً بما توحى إليه من ذكرى أبي العلاء وأزهار علمه وفلسفته^(١). وردد لي هذه الأمنية سنة ١٩٢٦ حين زار مدينة حلب ممثلاً «الجامعة المصرية» في مؤتمر الآثار الذي عقد في بيروت. ولكن اضطراب الأمن في تلك المنطقة آنئذٍ، حال دون تحقيق أمنيته، ولم تكن أمنيته أن يمر بها مروراً سريعاً بل أن يمكث فيها سنة أو أكثر من سنة لدراسة أبي العلاء من جديد لأنه يرى أن كثيراً من آرائه التي دونها في كتاب «الذكرى» تحتاج إلى تغيير وتحوير. أما القبر فقد سبق أن دعوت في الصحف وفي مجلتي إلى ضرورة العناية به عناية تتساق ومجد أبي العلاء. ويسرني أن أقول إن هذه الصيحات التي ردها الكثير من الأدباء قد أثمرت بعض الثمر أو كله، وهاهي «الجمهورية السورية» تشارك الأدباء والشعراء هذه الأمنية الغالية وسأعود إلى تفصيل ذلك بعد أن أستوفي الكلام عن قرية الشاعر الحكيم.

المعرة بلدة بنيت على نشز يتصل في الغرب بالتلعات الصاعدة نحو جبل الزاوية، وتحيط بها من بقية جهاتها أودية وسهول كانت فيما مضى مغارس للتين والزيتون والفسق واللوز ولم يبق من ذلك إلا أثر ضئيل^(٢) وقد وصفها المؤرخون وصفاً دقيقاً، ولم يهملها الرحالون الذين مروا بها فهذا ناصر خسرو الرحالة الفارسي الذي مر بها عام ٤٣٨هـ قد وصفها بقوله «هي مدينة آهلة بالسكان كثيراً، ويحيط بها سور من حجر، وشاهدت بالقرب من هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية، فسألت أحدهم عن ذلك فأجابني أن هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها، ثم قال: «وأسواق المعرة طافحة بالأرزاق والخيرات. وجامعها الاعظم مبني على اكمة قامت وسط المدينة، ولايزرع في هذه الجهات إلا الحنطة وتغل غلة حسنة، ويكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفسق واللوز والكرمة، ومياه المعرة تجمع من المطر أو تمتاح من الآبار». وذكرها ابن جبير في القرن السادس فقال:

«وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفسق وأنواع الفواكه، ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين، وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها رزاقاً».

وقال ياقوت في معجم البلدان بعد أن عرض إلى ذكر كلمة المعرة واشتقاقها ودلالة هذا اللفظ على شتى المعاني، ويعد أن أورد عدة روايات عن سبب تسميتها بمعرة النعمان وصفها بقوله: «معرة النعمان مدينة كبيرة قديمة مشهورة، من أعمال حمص، بين حلب وحماة... ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين». وقال ابن بطوطة في القرن الثامن سنة ٧٢٥هـ «المعرة مدينة صغيرة، أكثر شجرها الزيتون والفسق، ومنها يحمل إلى مصر والشام، ولاعجب أن يراها ابن بطوطة مدينة صغيرة وهو لم يترك

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ١٠٧.

(٢) جولة أثرية في بعض البلاد الشامية للمهندس الزراعي أحمد وصفي زكريا ص ١٨٤.

بقعة من بقاع الأرض إلا ذرعها وكتب عنها، ولم يخرج شيخ الربوة والعريزي وغيرهما من المؤرخين وكتاب السير عما قدمناه فكيف وصفها المحدثون الذين عرضوا لدراسة فيلسوفها^(١)، لقد أورد الدكتور طه في كتابه «ذكرى أبي العلاء»، بعض نتف مما قاله ناصر خسرو وياقوت ثم اعتمد على المستشرق الفرنسي سلمون ويظهر من نصوص كلامه انه زارها في رحلة لانعلم متى كانت فقد وصف سفره من حماه، محاذياً نهر العاصي، عابراً الجسر الذي أقامه بنو منقذ، فمدينة أقامية الأثرية، فجل الأربعة الذين تطل هضباته على المعرة تلك المدينة الجميلة القائمة في منخفض هذا السهل الفسيح، وينتهي عند هذه الجملة «ولقد تدل الاطلال المنتشرة في السهل حول هذه القرية على أنها كانت مدينة كبيرة في عصرها القديم، بذلك يشهد مسجدنا الذي تظلل قبة ضخمة على ثمانين أساطين،

ويطول بنا المجال لو أخذنا نستعرض أقوال الثقات والمؤرخين الذين ذكروها، قديماً وحديثاً، فحسبنا ما قدمناه على أن نحقق هذا الذي ذكره بزيارة تقوم بها إلى المعرة، وليست هي الأولى، فقد زرتها قبل هذه المرة مرات، على بعد ثمانين كيلو متراً من حلب إلى الغرب فالجنوب، وفي طريق جميل معبد بالزفت تجتازه السيارة بكثير من الراحة، وبعد أن تمر بعدة دساكر وقرى انتشرت هنا وهناك، وسهول فاتنة زهت بمفاتن الطبيعة وخضرة الربيع، تطل عليك المعرة بمنارتها الشامخة، وأبنيتها القديمة، وكرومها الهائلة، وبساتينها الباسمة الغناء، ويشعر زائر المعرة حين يهبطها بنشوة الفرح للحفاوة التي يلقيها بها أهلها الذين يفاخرون غيرهم بأن أرضها كانت ولا تزال مثوى لأكبر مفكري العرب قاطبة، ويلاحظ أولاً أن المعرة منذ مرّ بها ناصر خسرو حتى يومنا هذا هي هي، إلا في تفريق من الوصف غاية في الإيجاز، فلا تزال أرضها من أخصب الأراضي لزراعة القمح وشتى أنواع الحبوب، ولا يزال ماؤها يجمع من المطر أو يمتاح من الآبار، ولا يزال سوقها الطافح بالأرزاق والخيرات صباحاً حتى إذا قارب الظهر نفذ كل شيء وجمدت حركة الأخذ والعطاء^(٢) وجامعها الكبير هو هو، قد انبسط في قلب البلد تنحدر إليه في عشر درجات فإذا أنت في ساحة واسعة أو ما يعرف بد «صحن الجامع» توسطه حوض ماء بسقفه وأعمدته البيزنطية، فمأذنة قائمة في مدخل الجامع من اليسار، يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً تقريباً، مربعة الأضلاع، نقشت عليها كتابات مختلفة.

والمعرة ككل البلدان الصغيرة، قد احتوت الجوامع والحمامات والخانات والمطاحن والمعاصر وهي، على حد تشبيه البعض، «صورة مصغرة من مدينة حلب»^(٣) ووقوع المعرة على محاذة طريق حلب - دمشق - بيروت، يجعلها دائماً محط الكثير من المسافرين يقصدونها إما للراحة من وعاء السفر أو لزيارة ضريح أبي العلاء، أو للأمرين معاً، والسيارة التي قرّبت المسافات البعيدة قد جعلت حتى المدن الصغيرة تعمل جهدها على أخذ طابع المدن الكبيرة، وهذا ما تحاوله المعرة التي افتتح فيها شارع كبير يخترق المدينة من مدخلها محاذياً السراى الجديدة حتى ضريح أبي العلاء، وقد سمى هذا الشارع الذي تقام على جانبيه بعض الأبنية الحديثة باسمه، ويزيد في جمال المدينة - رغم قدمها - أنها واقعة في مرتفع من الأرض المحاطة بالسهول والكروم وبعض

(١) من الأمثال العامية التي يرددونها القرويون حين لا يجدون حاجتهم في سوق ما، قولهم «دسوق المعرة لايباع ولاشري».

(٢) جولة أثرية ص ١٨٤

البساتين، وهي لاتزال غنية بكروم التين والعنب كما كانت منذ ألف عام. وثمة بساتين أنشأت حديثاً تضم أشجار التوت والجوز والمشمش، فأغراس من الخوخ والدراق، وأما الفستق الذي تحدث عنه ناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة فلا اثر له فيها. وإن كان بعض المزارعين يحاول الآن غرسه في بعض المناطق الحوارية التي تشابه تربتها تربة حلب تقريباً.

وقد حرصت، وأنا في المعرة على أن أحقق هذا الذي ذكره المؤرخون القدماء عن السور الصخري الذي كان يحيط البلد، وعن السارية التي نقشت عليها الكتابة العربية والتي تذود العقارب عن المدينة فلم أجد لها أي أثر، ولا وجدت من شيوخها القدماء من يحفظ أسطورة السارية.

وأما السور فلا يبعد أن يكون على عهد ناصر خسرو أو بعده وأن يكون قد تهدم بعد غارة الصليبيين على المعرة - تلك الغارة التي انتهت سنة ١٠٩٩ م بفتح المدينة وتدميرها، ومما لا ريب فيه أن المدينة كانت مسورة، وكانت لها أبوابها السبعة لتتقي بها هجمات الغازين الذين اجتاحتها أكثر من مرة، واحاطة المدن بالاسوار والابواب هو طابع كافة المدن في العصور القديمة.

ولكن هل حماها سورها الصخري وأبوابها السبعة من صولات الغزاة والمغيرين؟ اللهم لا، فمنذ حطم عبد الله بن طاهر أسوار المعرة حين أرسله المأمون لتأديب نصر بن شيث العقيلي الذي غضب لقتل الأمين، إلى الغزوة الرومانية الكبرى التي أثارها القائد البيزنطي نيسفور فوكاس الذي اشتبك بحروب طاحنة مع سيف الدولة، إلى غارات السلجوقيين، إلى هجمات الصليبيين، عدا الغزوات والفتن الداخلية التي أثارها القرامطة وبنو كلاب - ان جميع هذه الغارات والحروب التي استهدفت لها سورية قد اجتاحت في طريقها مدينة أبي العلاء فتعرضت أكثر من مرة للنهب والسلب، والتخريب والتهديم، وللحرق أحياناً، ولا عجب بعد ما مر بها كل ذلك أن يذهب الكثير من المعالم التي تحيط بها من الخارج كالابواب والاسوار.

وقد آد هذه المدينة منازل بها على مر العصور فوصف هذه النكبات الكثير من الشعراء ومنهم شاعر مغمور الاسم لعله من شعراء المعرة قال:

هذه صاح بلدة قد قضى الله عليها كما ترى بالخراب

فقف العيس وقضة وابك من كان من شيوخها والشباب

واعتبر أن دخلت يوماً إليها فهي كانت منازل الاحباب

هذا الماع سريع عن ماضي المعرة وحاضرها، هذه البلدة التي تصطبغ بصبغة المدن والتي يتكاثر عدد نفوسها يوماً بعد يوم، فقد قدر نفوسها بعض المؤرخين المعاصرين بستة آلاف نسمة وهي اليوم تسعة آلاف، وهي أخذت في الازدياد ولا أعلم كيف أفسر رواية صاحب «النجوم الزاهرة» وهو من ثقة المؤرخين - حين عرض إلى تاريخ الحروب الصليبية وتوغل الافرنج في المدن الشامية سنة ٤٩٠ - ٤٩١ هـ فقد ذكر أن الافرنج لما اجتاحت المعرة كانت ١٠٠ ألف نسمة، قال: «وجاءوا إلى المعرة فنصبوا عليها السلاط، وهذا يدل على أنها كانت إلى ذلك العهد مسورة - فنزلوا إليها - فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان»^(١) فما سبب هذا التقلص؟ هو ثمرة الويلات التي اجتاحتها في

الماضي؟ أم أن التقدير لم يكن صحيحاً. وهذا مانميل إليه، أم أن العريان التي كانت محيطة بجهاث المعرفة قد احتمت بالمدينة؟ وهذا أقرب شيء لانقاذ رواية صاحب النجوم الزاهرة من التجريح!

ونقف عند هذا الحد لنحدث قليلاً عن المسجد الذي يحوي الضريح، وفي رواية أنه ليس مسجداً بل بيتاً، ومهما كان فقد أصبح هذا البيت من الأمكنة الأثرية التي نحرص على عدم مس معالمة مهما عملنا على إقامة ضريح فخم يليق بمكانة صاحبه دخلنا الدار، وهي دار صغيرة ذات ثلاث غرف، أحداها قد اتخذها شيخ ضرير لتعليم أولاد القرية القرآن الكريم على طريقة الكتاتيب. لم نكد نقرئه التحية ونعلمه رغبتنا بزيارة الضريح حتى فتح لنا الغرفة التي تحتوي جثمان شيخ المعرفة وفيلسوفها الفذ. وهي غرفة معتمة ضيقة لا يزيد طولها على ثلاثة أمتار وعرضها على مترين، قد خلت من كل زينة وزخرف اللهم إلا من هذه الكلمات التي خطها الزائرون على جدرانها، نثراً وشعراً - وكلها لإجلال لصاحب الضريح - ومن قبر وشاهدتين مكسورتين قد استندت أحدهما على حافة فرشاة القبر والآخرى على الجدار، وأما الضريح فقد استوى في فرشاة حجرية مخرومة من النصف.

فشاهدة واحدة نقش عليها بالكوفية هذه الكلمات «أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان» وتحدث هذه الشاهدة بقدمها عن خاليات العصور، وقد تساءلت أين هي وصيته التي حرص على أن تنقش على قبره..

هذا جناه أبي على وماجنيت على أحد؟

أترى كان هذا البيت من الشعر على الشاهدة الثانية فاقتلعها خصومه الذين حكموا عليه بالكفر والزندقة؟ على أن بعض المؤرخين المعاصرين يذهب إلى أن الشاهدة الثانية تضم هذين البيتين:

قد كان صاحب هذا القبر جرهرة
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها
نفيسة صاغها الرحمن من شرف
فردها غيرة منه إلى الصدف

ولا أميل إلى هذا الرأي، والبيتان المذكوران مكتوبان على قطعة من الورق معلقة على الجدار أما الغرفة الثالثة فهي مهجورة لم تنل من اهتمامنا، وفي رواية أنها تضم جسد خادمه زائر هذا البيت لأبد له من ذكر «البانتيون» والمقارنة بين قبور عظمائهم وقبور عظمائنا وإن كانت المقارنة مفقودة بين قبر أبي العلاء وقبر فولتير مثلاً، فهناك الجلال والروعة والفض والزخرف، وهنا الزرية والبساطة والزهد والتقصف.. وتجربنا هذه الحالة إلى الحديث عن العناية بالقبر، وها أنا ذا أحدثكم عن الأدوار التي مرت بهذه القضية.

فكرة إشادة ضريح لأبي العلاء نبتت قبل الحرب العامة، قام بها بعض الفيورين على مثل هذه الأمور، وقد جمع قسم من المال ثم طويت الفكرة، ولا أحد يعرف ماتم بالمال؟ ولا شك أن الذي أؤتمن عليه أراد أن لا يخيب نظرية أبي العلاء في البشر!

ثم أعيد البحث في هذه القضية سنة ١٩٢٥ وأخذت الحكومة السورية المشروع على عاتقها. وبالفعل أدرج المال اللازم في موازنة الدولة، ثم نشبت الثورة السورية وأصبح البحث في مثل هذه المشاريع كتفريط في حق في حقوق الوطن!

وحينما استقرت الأمور السياسية أثار المشروع مجدداً أحد النواب في دورة سنة ١٩٣٣، باقتراح لم يقبل وهلة واحدة، فقد وجد من عززه ووجد من حاول قذفه، وعملت الحكومة كل الوسائل لتسويفه وتأجيل البت فيه فلم يتراجع النواب وهاجموها مهاجمة عنيفة مما جعلها أن تتراجع وتقول بلسان وزير المعارف «أن الحكومة لاتقول بعدم تشييد ضريح لأبي العلاء، بل أنها ساعية لتشيد بهما يمكن من السرعة، فوقف نائب المعرة وجابه الوزير بهذه الكلمات: «وقول الحكومة أنها تفكر في الأمر معناه أنها لاتريد أن تعمل شيئاً، ثم وقف مقدم الاقتراح وجرت بينه وبين مقرر اللجنة المالية مناقشات طويلة، وكانت بينهما خصومة سياسية عنيفة وخاطبه أو خاطب الحكومة بهذه اللهجة الحادة: «ماهي قيمة جمهوريتكم أمام أبي العلاء؟ إن ذكرى أبي العلاء أعظم من كل جمهورية تنشونها، وانتهت المناقشة بتراجع الحكومة وبإقرار الاقتراح، وفتح اعتماد بثمانية آلاف ليرة سوري لتشيد الضريح، وصدرت الطوابع سنة ١٩٣٤ وبيعت في شهور معدودة، ولا يزال المبلغ مرصوداً في خزانة الدولة لهذه الغاية.

وشاءت الاقدار أن لا يتم المشروع أيضاً فقد عصفت بسورية الأحداث وصرفتها عن التفكير بمثل هذه المشاريع وهاهي بعد خمس سنوات أي بعد أن استقرت الامور ودخلت الجمهورية السورية في دورها الانشائي الجديد تعاود الحكومة بحث الفكرة بكثير من الاهتمام فقد ناطت وزارة المعارف بأحد كبار رجال الفن الافرنسيين عمل تصميم القبر وهو يشتغل به منذ سنة وصدر مرسوم جمهوري بشراء بعض الدور التي تحجب موقع الضريح عن الطريق العام. وقد لا ينقضي هذا العام إلا ويوضع الحجر الاساسي لاشادة البناء، ثم قام في المعرة وفي كافة المدن السورية مهرجانات أدبية كبرى للحفاوة بذكره الألفية، أي بذكرى أكبر اديب عربي لم تحل عزلته في قريته الوادعة دون أن يكتب أخلد الآراء وأدق التأملات الفلسفية في أكثر من ستين كتاباً لم يصلنا منها غير كتب معدودة تدل بنزعتها التحريرية الجريئة على أنه أكبر فيلسوف عرف النفس البشرية والطباع الانسانية في بوتقة صافية من التحليل الممزوج بالرفق والقسوة مما لا يستطيع أن يجاريه فيه أحد وحق له أن يخلد على الأزمان، وأن تعتبره العربية من أكبر أدباؤها العالميين.

ذكريات عن معرة النعمان

كتب صبحي الياسيني قائم مقام معرة النعمان سنة ١٩٤٤ هذه الذكريات عن قبر المعري: كان يوم الجمعة في الثالث من ربيع الأول عام ٤٤٩ للهجرة، حين حضرت أبي العلاء الوفاة، وانطفأت تلك الجذوة المتقدة يوماً مشهوداً عند أهل المعرة، إذ وفد إليها غير الفضلاء والعلماء والخلق الكثير، أربعة وثمانون شاعراً، وقفوا حين مواراته الرسم يرثون عبقريته الفذة وعلمه

المضيعة واليوم وقد انقضى ألف عام على مولده يعيد التاريخ نفسه فيقف مثل هذا العدد وأكثر منه من الشعراء والأدباء جاءوا من أقاصي البلاد على قبره ليستعيدوا ذكرى صاحب هذه الشعلة المتقدة التي مرت عليها القرون فما زادت إلا وميضاً واستعاراً.

والمعروف أن جثة المعري نقلت إلى ساحة لإحدى دور أهله ودفن بها، وهي واقعة في الطرف الغربي من المعرة، وقد كانت هذه الدار في عهده على ما يظهر من انقطاع آثار البناء ووجود القبور الأثرية بتاليها من الجهة الغربية، واقعة في أقصى البلدة باتجاه الغرب، وكانت قبور أهله وبنى عشيرته وتلامذته قبل إنشاء الضريح الحالي تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، إلا أنه كما حجب اسمه أسماءهم وفضله فضلهم في حياته، كالشمس إذا ظهرت غاب كل كوكب، فكذا حجب قبره قبورهم، واضطر المهندسون الذين قاموا بتشييد الضريح إلى إزالة القبور الواقعة بجوار قبره، وحفظت حجارتها وشواهدا في حديقة خلفية لضريح أبي العلاء.

يروى التاريخ أن أبا العلاء أوصى أن يكتب على قبره البيت التالي:

هذا جناه أبي على وماجنت على أحد؟

وهذا البيت ليس له وجود على قبره ذي الكتابة الكوفية المشجرة، ولا يوجد على شاهد الضريح سوى الكلمات التالية:

«قبر قبر أبي العلاء بن عبد الله بن سليمان» وقد محا الزمان كلمات: «هذا قبر أبي» وكتب على ظهر الشاهد: رحمة الله عليه، وقد وجد بجوار ضريحه حجر مستطيل الشكل بقياس ٥٠ × ٣٠ مسطر عليه هذان البيتان بخط ثلث حديث:

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة نفيسة صاغها الرحمن من نطف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف

وقد علمت من ثقة في المعرة أن هذا الحجر حديث، جدد عام ١٩٠٣ بذيّل آخر مكتوب بالخط الكوفي أتى عليه الزمن فجده أهل الفضل.

وقد كان ضريح المعري في وضعه السابق على غير الاتجاه الصحيح، فكان منحرفاً انحرفاً قليلاً نحو الشمال الغربي، وذلك على ما يظهر بسبب الزلازل أو انخفاض الأرض فعُد الآن إلى الاتجاه الصحيح.

أما الضريح القديم كان حالة قبيحة من الإهمال ذكرها مؤرخو المعري حتى قام عام ١٩٠٣ المرحوم نورس باشا الحراكي، وهو رئيس للمعرة في ذلك العهد، وبنى عند قبره غرفة يعلوها قبة ويجوارها مصلى جعل منه مدرسة للأولاد كان يقوم بالتدريس فيها شيخ أعمى دائماً كلما مات واحد قام آخر. ولما فتح قبره لم ير فيه من آثاره إلا بقية ضئيلة كالرماد من فتات عظامه، وقد صب الآن فوقها الأسمنت لتكون قاعدة قوية تحت حجارة القبر الثقيلة.

وقد كان في النية نحت الحجارة جديدة لقبره لتقوم مقام الحجارة الأثرية القديمة وتتناسب مع شكل البناء الجديد، إلا أن صرف النظر أخيراً عن هذا العمل بعد القيام به، وكان ذلك الأوفق والأنسب.

وكان أمر بناء الضريح تكتنفه الصعوبات لعوامل شتى منها تبدل الحكومات المتعاقبة على البلاد السورية فكأن رغبة أبي العلاء التي أبداها في ترك قبره وعدم الاحتفاء به إذ يقول:

لا تكرموا جسدي إذا ما حل بي ريب المنون فلا فضيلة للجسد
أو يقول:

إن التوابيت أجدات مكررة فجنب القوم سجنأ في التوابيت
تحققت بقوة لا يمكن التغلب عليها

إلا أنه تقرر في موازنة الحكومة السورية لعام ١٩٣١ مبلغ من المال كاف لبناء الضريح ولم ينفذ المشروع، كما أنه تقرر ذلك أيضاً في موازنات الأعوام التالية -١٩٣٢- ١٩٣٧- ١٩٣٨، وأضافوا على ذلك في عام ١٩٣٢ مشروعاً جديداً هو طبع طوابع بريدية موشحة باسم أبي العلاء يعود ريعها لإنشاء الضريح فنفتت الطوابع والقبر على ما هو عليه.

وكانوا في كل عام يرصدون مبلغاً لإنشاء الضريح، ولا ينفذ العمل، حتى جاء عام ١٩٣٩، إذ خصص ١٥٠٠٠ ليرة سورية في موازنة الحكومة السورية (فصل ٧ مادة ١ فقرة ٤) وتقرر البدء بالعمل، وكان ذلك يوم الأحد في ١٨ تشرين الثاني ١٣٩ شائناً بإنشاء شركة كهربائية أهلية مساهمة، وشركة مياه إذ أنارت الكهرباء بلدتهم لأول مرة، وجرت المياه النقية إلى قسم من دورهم. وكان المظنون أن الأمور أخيراً سوف تسير سيراً حسناً لولا أن اندلاع الحرب جعل مواد البناء من أسمنت وحديد مرتفعة الثمن ارتفاعاً فاحشاً، كذلك صارت اليد العاملة تطلب أجوراً فاحشة، فاستنكف الملتزم عن البناء، وقامت الحكومة بعد أخذ ورد بنقل الإلتزام إلى رجل آخر مع وضع اعتمادات مالية إضافية تتصاعد حسب ارتفاع الأسعار، إلى أن انتهى العمل منه.

والضريح في وضعه الحالي عبارة عن فسحة دار مزروعة بالرياحين يدخل إليها من أروقة محيطية بها من الغرب والشمال، وفي صدر هذه الدار قبر أبي العلاء موضوع تحت إيوان جميل، وخلف القبر مسجد يدخل إليه من بابين على طرفي القبر، ومكتبة على جانب المسجد للغرب، وخلف المسجد حديقة صغيرة محفوظ بها الحجارة الأثرية التي وجدت حول القبر.

وقد سبق أن قامت بلدية معرة النعمان بشق وتخطيط شارع كبير من شرقي البلدة إلى غربها بحيث جعلته يمر مباشرة أمام ضريحه، وقد عبّته وجعلت الأرصفة على جانبيه حتى صار من الشوارع اللائقة بمدينة كبيرة، واسمه شارع أبي العلاء، كما خصصت البلدية قطعة أرض مناسبة في مدخل البلدة لإقامة نصب تذكاري فيها لأبي العلاء.

وقام أهالي المعرة بنصيب طريف من هذا التمجيد، فأسموا فندق أبي العلاء ومطعم أبي العلاء، وهم يملأون القلل بالماء ليلة الجمعة ويضعونها طوال تلك الليلة بجوار قبره ليشربها في اليوم التالي من بلد ذهنه من صبيان المدارس اعتقاداً منهم أن الذهن يصفو من بلادته بهذا الماء،

وهم يقسمون بالمعري كما يقسمون بمقام النبي يوشع الموجود عندهم ويتعصبون له، ولاشاعر عندهم أو فيلسوف سبّاق للمعري في شاعريته أو حكمته، وهو أول من يسوق لك الدليل على ذلك من أشعاره وآثاره.

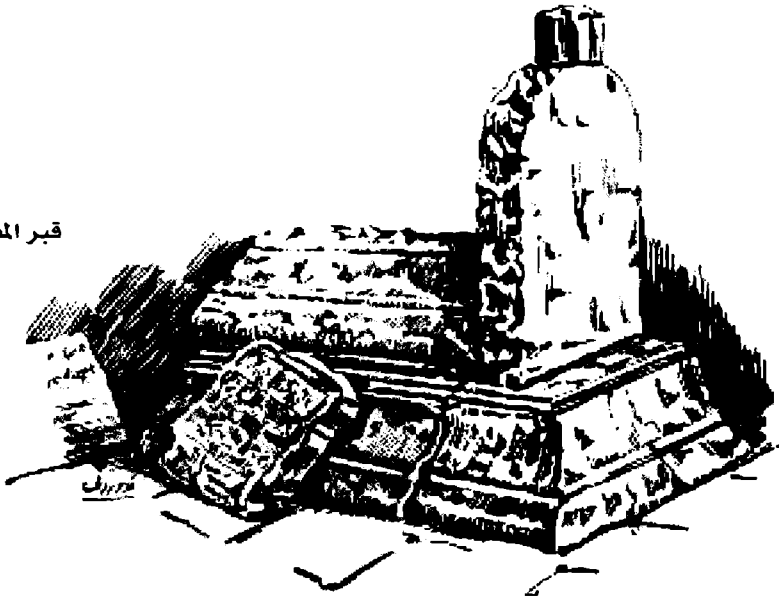
ذكريات المحاسني عن قبر المعري:

وأما الدكتور زكي المحاسني فقد مر بمعرة النعمان وكتب ذكرياته وانطباعاته عن قبر المعري حين زيارته له في أوائل الخمسينات في القرن العشرين فقال:

مررت بمعرة النعمان منذ سنوات، ومعني أمي، يرحمها الله، فقلت لها: وكانت تتحامل على نفسها من المرض الذي أودى بها بعد شهور. أوتأذنين في أن أزور قبر أبي العلاء فأقرأ عليه سورة الفاتحة؟

في ظهر ذلك اليوم، تنسمت هواء المعرة المتناوح، كما تنسمه أبو العلاء قبل ألف عام، جزت نحو الضريح بسوق القصارين، وكان القصارون ينشرون على سعف من الخشب المسقوف ثوباً من القطن عريضاً صبيغاً بالسواد، فدلقت إلى شيخ فيهم أكلت السنون عمره وقلت: أين يكون ضريح الشيخ المعري؟ فنظر إلي نظرة طويلة في غير تعجب، إذ كان قد رأى مثلي يأتي ويسأل عن الضريح، وأرخى من يده قماشاً كان يعصره، ثم أوماً إلى طريق مسقوف داكن، فقال: من هنا ... إلى هنالك جعلت أتخطى فجوة درب الضيق، وأعلل نفسي بقرب هذا البقري الخالد الذي أحببت آثاره منذ كنت طالباً في تجهيزية دمشق، فلقد قرأته على حداثة السن، ووجدت في شعره صدى أحزاني المبكرة، وتأملاتي الحائرة. ومضيت حيث أشار الشيخ، لأقف عند قبر أبي العلاء في

قبر المعري



سكنة ورهبة، وقد كان قبلي ألوف وقضوا وقفتي، ومئات من الدارسين والباحثين جاؤوا هذا القبر ليؤدوا التحية لرهن المحبسين، وليروا بالأعين محبسه المتواضع الذي سكنه أكثر من نصف عمره.

عند القبر

لقد كان المرقد يومئذ بالياً، وفي رحبة منزل تحوط التعاشيب أطراف فناءه، وكتاب هناك من كتابات الأولاد ازدحم فيه صغار يرتلون آي القرآن قبيل الانصراف إلى منازلهم للغداء. كان زهد أبي العلاء بقي منسحباً وراءه من خلف العصور، جاثماً على رسمه البالي المتواضع. وتلفت وأنا أعود من زورته إلى من رأيت من أهل بلده، فإذا هم من أهل الزهادة مثله، عليهم أثواب بالية. وكان أكثر بيوتهم من الطين، ولولا التي كانت بانتظاري، لأطلت الوقوف والتجوال في بلد أبي العلاء، فما شيء أحب للأديب من تنسمة الأدب في مواطن أقلامه وأحراره.

إن جو البلدة، وهواءها، وماءها، حتى أشجارها وأعشابها، جزء من حياة أي أديب أو شاعر.

شبح يطوف بالقبر

ولم يكن ليبارح فكري اذذاك ما حدثني به صديقي حاكم المعرة من أن شيخاً من أهلها روى له أنه كان يتراءى له في بعض الليالي الدامسة، بالمعرة، شبح فتاة ملتفة بغلالة بيضاء، تخرج من بعض منعطفات البيوت، وتتهادى في الهواء رويداً، كما يريد أبو العلاء، يواكبها أشعاع من النور، ينسرب معها في دروب المعرة فيزيد في تألق فتنتها، حتى إذا دنت من بيت أبي العلاء طرقت عليه الباب طروق صائدة القلوب، ثم اجتازت العتبة إليه، وغابت في ضريحه!!

كان ذلك الشيخ يحلف جاهداً أن طيف تلك الحسناء كان يرى في بعض الليالي بهذه الصورة، فيصدق حاكم المعرة، وقد يكذبه الناس، يحسبون أنه اختبل أو صار من الممرورين.

ونظرت في شعر أبي العلاء فوجدته في صباه منتفض الشعور تلقاء الجمال، ذلك الذي أحسه أو



تخيله أو ترامى إلى سمعه، قال في فتاة لعلها كانت معرية اسمها أمامة:

ولقد ذكرتك يا أمامة بعدما نزل الدليل إلى التراب يسوقه
فنسيت ما كلفتني وطالما كلفتني ما ضرني تكليفه
وهواك عندي كالغناء لانه حسن لدى ثقيله وخفيفه

فجعلت أسأل نفسي، لم حرمتنا على أبي العلاء الحب في صدر حياته، إذ كان شاباً يجرى مع الناس فيما يجرون فيه من لهو، فلعله كان يروح في العشايا إلى وادي النسيم بظاهر المعرة ليسرح الفكر في «أمامة»، تلك التي صارت تبدو روحها في غلائل بيض، تسرى إليه في الليالي بعد موته. وقد زار المعرة بعد أبي العلاء، طلباً لقبره، سائحون وجغرافيون فخلعوا عليها أوصافاً تتناولها من نواح شتى. فالجغرافي الاصطخري لم يجد فيها نهراً جارياً ولا عيناً. وابن حوقل وجدها كثيرة الخير والسعة والتين والفسق.

على أن سائحاً فارسياً جاءها، في حياة أبي العلاء، سنة ٤٣٨ للهجرة، هو ناصر خسرو، فزاره في بيته، وقد وجده محفوظاً بتوفير أهل البلدة حتى ظن أنه حاكمها، وقد وصف هذا السائح المعرة بكثرة السكان، وإقبال الزراعة، ونضرة الفاكهة. ورآها ابن جبير السائح ذات فواكه، وأنها من أخصب بلاد الله وأكثرها رزقاً. ولعل المعرة بعد أبي العلاء، قد واثاها من زمانها انتعاش فأصبحت، على مر السنين، بلدة عامرة يأتيها رزقها رغداً. وممن زارها من أجل أبي العلاء، قد واثاها من زمانها انتعاش فأصبحت، على مر السنين، بلدة عامرة يأتيها رزقها رغداً.

وممن زارها من أجل العلاء جماعة من الألمان والانكليز، فقد وصفها تسيتسان zeetzan في رحلاته Die reisen فوجدها منطقة خصبة زراعية.

وقال فيها مثل هذا المستشرقان الشهيران والبول Walpole ومارغاليوث Margaliouth وأتى «القفطي»، قبره سنة ٦٠٥ للهجرة فوجده ساحة بين دور أهله وعليه باب صغير قديم ولم يجد احتفالاً به وعناية ورأى عليه خبازي يابسة وتراباً متراكماً، وبالموضع ازراء وتهاون.

وقد زاره الذهبي المؤرخ بعد مائة سنة من زيارة القفطي فرأى مثل ما رأى من سبقه. وتجشم الرحلة إليه علاء الدين بن المظفر الكندي سنة ٦٧٩ فوجده دارساً لصيقاً بالأرض. وزاره ابن بطوطة الرحالة في القرن الثامن للهجرة فوجد المعرة خربة مهدمة، ثم رمم أحد ولادة الترك نورس باشا قبر أبي العلاء وأنشأ عليه مكتباً للأطفال.

وزاره الأب لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥م فوجد القبر محفوظاً بالكرامة والوقار، وعلى الضريح كتابة قديمة بالخط الكوفي ويجواره مرقد لبعض تلاميذه.

والظاهر أن سيرة المعري بعد موته كانت موضعاً للأخذ والرد بين أيدي سكان المعرة، فإذا هبت رياح مجده وخلوده احتفل أهلها بقبره، وإذا راجت لديهم الأراجيف في عقيدته الدينية أهملوه. وحين زرت مضجعه وجدته أربع قطع من الحجارة الصفاح، اثنتان تطلان القبر على هيئة جملون، والاخرتان شاهدتان وأحدى الشاهدتين بالية كتابتها الكوفية من ترادف السنين.



شعر في تنكار المعري:

وأخيراً فأنتنا نختم بهذه الأبيات التي نظمها الشاعر المصري محمد مصطفى الماحي حين رأى صورة لقبر أبي العلاء المعري، وكان ولد الشاعر محمد سعيد الماحي قد زار المعرة والتقط فيها صورة لقبر المعري وأهداها إلى والدها فكتب الأبيات التالية:

من حكمة وبلاغة وذكاء
أرض «المعرة» منزل الجوزاء
وتفرد وترفع وإباء
وزهادة وتواضع وحياء
ذهن صفا - ماعاش - أي صفاء
جمعت على قدر وطيب ثناء
منه تفهم حكمة الحكماء
و «أبو العلاء» منار كل علاء

ياقبر لو تدري الذي ضمنته
لغضضت من شم الجبال وفاخرت
أشبهت من آويته في وحدة
حتى لخلتك مثله في عفة
فيك انطوت دنيا أقام صروحها
إن تفترق فيه الظنون فإنها
الدين لله العلى وحسبنا
هي مشعل يهdy إلى سبيل الله

أبو العلاء المعري

خذ من بيانك ذممة لبياني
قلمي، وعي عن المقام لسانني
يسطيع شأوك رافع أو بان
رهن العمى، وغضبت للأنسان
وهو المراد بهذه الاكوان
والدين والدنيا له عينان
تجلو اليقين وصادق الايمان
لله ذي الجبروت والسلطان
وحباك ما تبغي من الرضوان
وحمدت عقبى العلم والعرفان
وشغفت بالأعراض والهجران
عين الحكيم وتنثنى بأمان
في حيرة من عقلك الفتان
ليفيق مختبل ويقصر عان
متعالياً عن ذلة وهوان
انف الشريف وعضة المتفاني
لم يؤتها بشر وفطر حنان
غمال التراب، وكل حي فان
جدلان فعل الشاب النشوان
والأرض من رمم ومن اكفان
وامرت بالمعروف والاحسان
ورحمت حتى الطير في الاوكان
فحملت ما حملوا من الاحزان
فكفضن عن نوح وعن إرثان
وسلون بعد تعذر السلوان
فيه لغير الواحد الديان
ومدحت في الانجيل والقرآن

ثقة الدهور وحجة الازمان
أعنى القريض فان بلغتك خانني
تبني العقول، وترفع الايدي، وما
اكبرت رزء العقل حين رايته
تجري الامور وليس يعلم كنهها
ويقاد أعمى في الحياة وبعدها،
كل له ذكرى، وكل عبدة
فلئن حجبت عن الغيوب فانها
أعلى لك الغرفات يوم لقيته
فرايت منزلة العليم واجره
شغفت بك الدنيا تريدك وامقا
تجلو زخارفها فتغمض دونها
فتنت محاسنها العقول، ولم تزل
صارمتها وكشفت عن سواتها
وصددت عن صلف الملوك وكبرهم
اغناك عن الآلهم وهباتهم
أوتيت من أخلاق ربك رحمة
أشفقت من وطء التراب على الألى
يمشي الفتى يختال فوق رفاتهم
الجو أرواح تفيض وانفس
عفت الأذى ونهيت عن مكرومه
ورحمت حتى الوحش في فلواتها
ورثيت للشاكين من بلوانهم
ومسحت دمع النائحات معزيا
ونسين من هول الفجائع ما مضى
شرع بعثت به، ودين لم تقم
بوركت في دين المسيح وأحمد

انتهى الجزء الأول من كتاب معالم الشام وأعلامها ويليها الجزء الثاني (العددان ٨٥ - ٨٦)

ALMAWSEM



موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها
مجدد سعيد الطريحي



KUFA ACADEMY POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEIJERLAND
NEDERLAND

<http://www.almawsem.net>

<http://www.yafatim.com>

e-mail: almawsem@almawsem.net

المراسلات